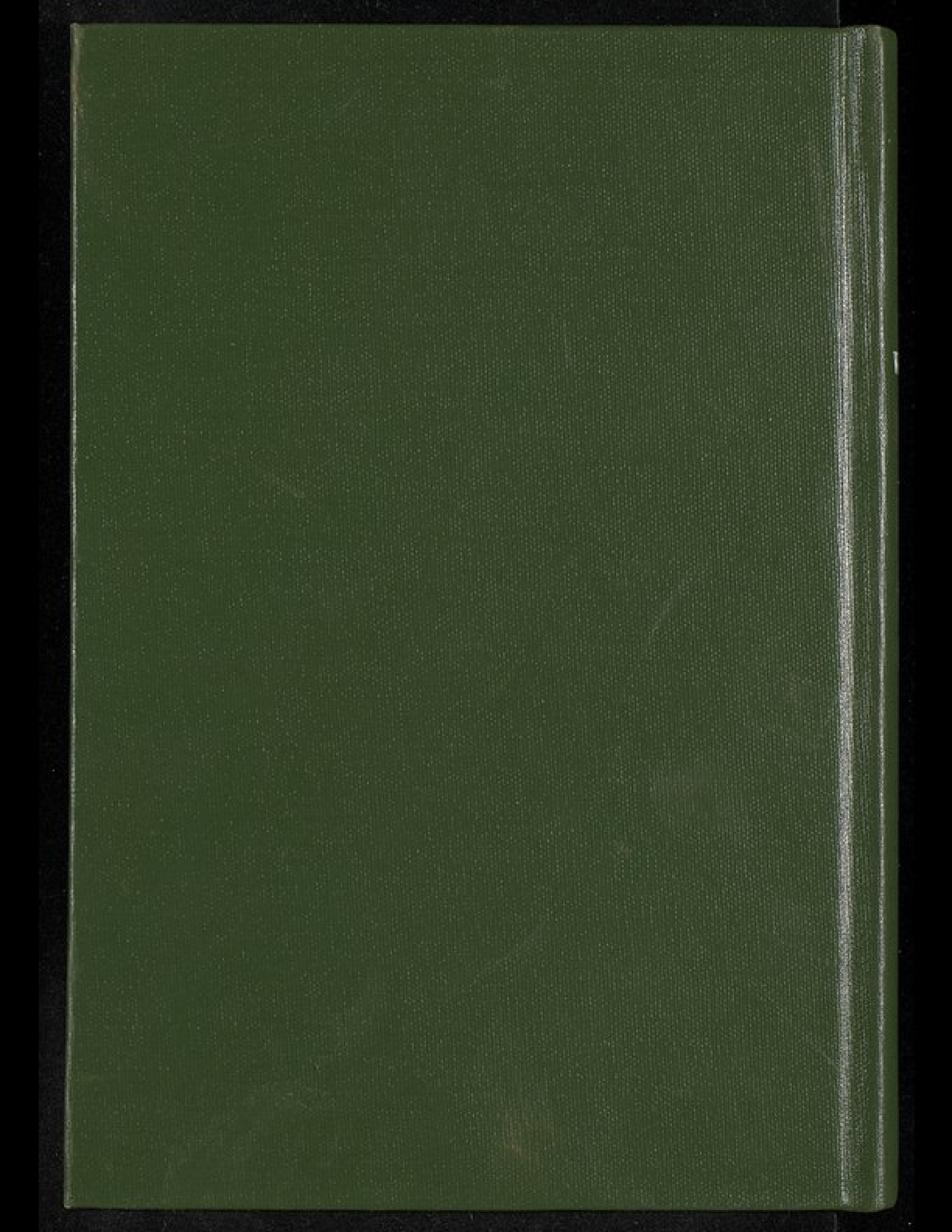




مكتبة الجاحظ

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثانى

البيان والتبيين

الجزء الأول

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م

الطبعة الأولى

إهــداء

حفظك الله وأبقاك وأمتع بك، وجعل ما بيني وبينك من وُدٍّ موصولاً أبد الدهر، فقد عرفتك صديقاً لا يشوب صداقته زيفٌ من شوائب الدنيا، وعرفتك على تقادم العهد وتطاول الزمان، أخاً ثابت الإخاء وثيق النفس، ليس كمن يدور بخلته بين الناس ملتمساً بها الغنم، وباغياً بها النفع. فكان ذلك، أيدك الله، مما أكبرك في عيني، وأعظمك في نفسي، وبسطني أن أقدم إليك هذا الكتاب الخالد لترى فيه، ولتعلم أيها السمي الكريم، أني أحفظ لك في نفسي مثل ما تحفظ لي من وفاء، وأطوي لك صدري على مثل ما تطوي من ولاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – عرض الكتاب

وهذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ التى أخذت نفسى بإخراجها وجِلائها على الناس ، وهو ، لاجرم ، أسْيَرُ كتب أبى عثمان وأكثرها تداولا ، وأعظمها نفعاً وعائدة ؛ فيه تخرّج كثير من الأدباء ، واستقامت ألسُنهم على الطريقة المثلَى . فهو أستاذ أرهاط متعاقبة من المتأدبين ، وهو شيخ جماعات متتابعة ، ممن صقلوا ذوقهم بصقال الجاحظ ، ورفعوا فنّهم بالتأمل فى فنه وعبقريته

٢ – بعض أقوال القدماء

فيه يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى[1] فى الصناعتين ، عند الكلام على كتب البلاغة : « وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمرى كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة . إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة ، مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتثرة فى أثنائه ، فهى ضالة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير » .

وهو كلام رجل قد خبر الكتاب ورازَه ، ولكنه لم يشأ أن يرسم لنا صورة مفصلة واضحة .

---

(١) توفى نحو سنة ٣٩٥ .

وابن رشيق القيروانى (٣٩٠ — ٤٦٣) فى العمدة[١] يقول : « وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ — وهو علاّمة وقته — الجهد ، وصنع كتابا لا يُبلَغ جودة وفضلا ، ثم ما ادّعى إحاطته بهذا الفن ؛ لـكثرته ، وأنّ كلام الناس لا يُحيط به إلا الله عز وجل » .

أما ابن خلدون المغربى (٧٣٢ — ٨٠٨) فيسجل لنا رأى قدماء العلماء فى هـذا الـكتاب ؛ إذ يقول عنـد الـكلام على علم الأدب[٢] : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين : وهى أدب الـكتاب لابن قتيبة ، وكتاب الـكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبى على القالى . وما سوى هذه الأربعة فتبعٌ لها ، وفروع عنها»

٣ — تفصيل الـكتاب

إنّ دأب الجاحظ فى تأليفه أن يرسل نفسه على سجيّتها ، فهو لا يتقيد بنظامٍ محكم يترسّمه ، ولا يلتزم نهجاً مستقيما يحذوه ، ولذلك تراه يبدأ الـكلام فى قضية من القضايا ، ثم يدعها فى أثناء ذلك ليـدخل فى قضية أخرى ، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل ، وقد كانت هذه سبيلَ كثير من علماء دهره ، كما أن علوّ سنه وجِدّةَ التأليف فى تلك الأبحاث التى طرَقها ، كل أولئك كان شفيعاً له فى هـذا الاسترسال والانطلاق .

وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحيانا ، فهو يقول عند الـكلام على البيان[٣] : « وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الـكتاب ، ولـكنا أخرناه لبعض التدبير » .

(١) العمدة (١ : ١٧١) فى باب البيان .
(٢) مقدمة ابن خلدون ٨٠٥ . (٣) الجزء الأول ص ٧٦ .

وهو يَعِدُ فى أواخر هذا الجزء[1] أن يتكلم فى الجزء الثانى على طعن الشعوبية على العرب فى اتخاذ المِخصرة ، ثم يحاول الوفاء بما وعد ، فى الجزء الثانى ، ولـكنه يرى أن الفرصة لم تسنح له بعد ، فيعتذر بقوله : « ولـكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلة من التابعين » . ويمضى الجزء الثانى بأكمله ، ولا يستطيع صاحبنا الوفاء بما وعد به إلا فى صدر الجزء الثالث من الـكتاب .

ونحن نستطيع أن نرد مباحث الـكتاب وقضاياه إلى الضروب التالية :

(١) البيان والبلاغة (٢) القواعد البلاغية (٣) القول فى مذهب الوسط (٤) الخطابة (٥) الشعر (٦) الأسجاع (٧) نماذج من الوصايا والرسائل (٨) طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم (٩) عَرْضٌ لبعض كلام النوكي والحمقى ونوادرهم (١٠) ضروب من الاختيارات البلاغية .

البيان والبلاغة :

تحدث الجاحظ فى تعريف البيان ، وساق فى تفصيلِ أنواعَ الدلالات البيانية من اللفظ ، والإشارة ، والعقد ، والنُّصبة[2] . وعقد أبواباً لمدح اللسان والبيان[3] ، وصنع موازنة بين لغة العامة والحضريين والبدويين[4] ، ونوه تنويها بصحة لغة الأعراب فى عصره[5] ، وروى مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم[6] ، وتحدث فى لـكنة النبط والروم[7] ، وعَرَض نماذج من كلام الموالى[8] ، وعقد

(١) الجزء الأول ص ٣٨٣ .
(٢) انظر ١ : ٧٥ .
(٣) ١ : ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٩٢ .
(٤) ١ : ١٢٠ .
(٥) ١ : ١٥٧ .
(٦) الجزء الثالث .
(٧) ١ : ٧٠ .
(٨) ١ : ١٦١ — ١٦٥ .

فى الجزء الثانى بابا للحن وأخبار اللحانين ، بعد أن تكلم فى الجزء الأول[1] على اللحن ومتى يستملح ومتى يستهجن ، وفى الجزء الثانى عرض صوراً من صور العى والحصر و بسط مذهباً له فى وجوب أداء القصص والنوادر كما هى ، إن معربةً فمعربةٌ ، أو ملحونه فلحونة ، زاعماً أن الإعراب يفسد نوادر المولدين[1] .

ولم ينس أن يسوق فى صدر كتابه طائفة من الآيات التى تنوه بشأن البيان والبلاغة ، ثم يعيد الكرة فى الحث على البيان والتبيين[2] ، إذ يقول : « وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ... » .

وهو لا يُغْفِل أن يتكلم فى مخارج الحروف ، ويبين أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها فى البيان[3] ، وكذلك أثر لحم اللثة[4] ، وكذا أثر سقوط الأسنان ، وينقل قول محمد الرومى[5] : « قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح فى الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها »

ويعقد بابا للحروف التى تدخلها اللثغة ، ويبين أى لثغة أشنع وأيها أظرف[6] .

ولعل الذى دفعه إلى ذلك ما كان معروفاً من لثغة واصل بن عطاء المعتزلى ، الذى حاول أن يعتذر له ، وأن يجعل من هذا النقص الذى كان يتغلب عليه ، كمالاً وعبقرية يسوق فيها الدليل إثر الدليل[7] .

وهو كذلك يروى طائفة صالحة من أخبار البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء[8] ، ومن جمع بين الخطابة والشعر[9] ، ويعرض نماذج من كلام الرسول فى صدر الجزء الثانى ، كما عقد بابا للغز فى الجواب فى ذاك الجزء .

فإذا ما حاول الكلام فى البلاغة ، وهى المرتبة التى فوق البيان ، ذهب

---

(١) ١ : ١٤٦ . (٢) ١ : ١٤٥ . (٣) ١ : ٢٠٠ . (٤) ١ : ٥٨ .
(٥) ١ : ٦١ . (٦) ١ : ٦١ . (٧) ١ : ٦٤ .
(٨) ١ : ١٤ . (٩) ١ : ٩٨ . (١٠) ١ : ٥١ .

يسرد تعريفها عند الفرس والروم والهنـد والأعراب ، وأعلام البلغاء ، كالعتابى وسهل بن هارون ، وعمرو بن عبيد ، وابن المقفع(١). ثم لا يرضيه ذلك حتى يظفر بترجمة لصحيفه هندية ترسم حدود البلاغة وتبين أصولها(٢).

ولم يتعرض لمسائل البلاغة التى عرفت فيما بعـد ، إلا ما قدّم من كلام فى تنافر الحروف وائتلافها(٣)، وكذلك وجوب مراعاة مقتضى الحال(٤). وهو يتكلم فى الإيجاز والإطناب ويعين المواضع الصالحة لـكل منهما(٥)، ويروى لنا الشعر الذى يمدح فيه الشعراء الإيجاز(٦). ويتكلم فى المشاكلة البديعية ، ويعرض فيها أمثلة من القرآن والشعر(٧).

القول فى مذهب الوسط :

يستطيع المتصفح لهذا الـكتاب أن يلمح للجاحظ مجهودا طريفا ، فهو قد عقد باباً للصمت والحث عليه(٨)، ويحكى أقوال المعارضين لأصحاب الخطابة والبلاغة الذين يفضلون هذا الصمت(٩)، ويخصص باباً آخر يقذف فيه بطائفة من كلام المُغْرِبين وأصحاب التقعير(١٠)،وأبوابا أخر فى مديح اللسان وشدة العارضة(١١) ولـكنه لا يرضيه هؤلاء ولا أولئك ، بل يرى أن كلا منهما قد جنح إلى غير الصواب ، وأن الصواب والخير كله فى إصابة القدر فى الـكلام(١٢) ، وأن تكون الألفاظ والمعانى أوساطاً بينَ بينَ(١٣).

---

(١) ١ : ٨٨ . (٢) ١ : ٩٢ . (٣) ١ : ٦٩.
(٤) ١ : ١٤٩ . (٥) ١ : ١٤٩ . (٦) ١ : ٢٧٦ .
(٧) ١ : ١٥٢ . (٨) ١ : ١٩٤ .
(٩) ١ : ٢٦٩ . (١٠) ١ : ٣٧٧ .
(١١) ١ : ١٦٦، ٢١٢، ٢٣١ (١٢) ١ : ٢٧٧ .
(١٣) ١ : ٢٥٥ .

الخطابة :

وقد عنى الجاحظ بهذا الفن عناية خاصة. ولا غرو ، فالخطابة دِعامة من دعائم الدعوة . وكان المعتزلة يلجئون إلى الخطابة والجدال فى تأييد أمرهم ، و بيان مذاهبهم ومقالاتهم[١] . فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر[٢] ، و يبين ما ينبغى اتباعه فى ضروب من الخطب ، كخطبة النكاح[٣] ، وما تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول وترفيع الصوت ، ذاكراً فى ذلك الخبر والمثل[٤] ومن عُرف بجهارة الصوت[٥] ، وهو يسترسل فيذكر أن الروم أهل جهارة ، و ينقل خبرا غريبا « لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمِع الناس جميعا صوت وجوب القرص فى المغرب[٦] » . ويتكلم فى الدمامة ومدى أثرها فى قدر الخطيب والشاعر[٧] ، ويتعرض للخلاف فى تأثير حركة الخطيب و إشارته ، أو سكونه وهدوء جوارحه ، فى سامعيه[٨] . ويتكلم فى استعمال المخاصر والعصى فى الخطبة[٩] وطعن الشعوبية على العرب فى ذلك[١٠] ، ويذكر أسماء الخطباء وقبائلهم وأنسابهم[١١] وأخبار خطباء الخوارج خاصة[١٢] ، كما عقد باباً لأسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان[١٣] ، وكانوا بمحصلة إياد وتميم فى الخطب[١٤] . وهو فى أثناء ذلك يسرد مختارات قوية من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ومَن بعدهم ، وكذا خطب رجالات الخوارج وأهل الدعوة .

---

(١) ١ : ١٤ .
(٢) ١ : ١١٨ .
(٣) ١ : ١١٦ .
(٤) ١ : ١٢٠ .
(٥) ١ : ١٢٣ .
(٦) ١ : ١٣٣ .
(٧) ١ : ٢٣٧ .
(٨) ١ : ٩١ .
(٩) ١ : ٣٧٠ .
(١٠) ١ : ٢٨٣ ثم أول الثانى ، ثم أول الثالث .
(١١) ١ : ٣٠٧ .
(١٢) الجزء الثالث .
(١٣) ١ : ٣٥٨ .
(١٤) ١ : ٥٢ .

الشعر :

والشعر وسيلة من وسائل البيان ، ومعرض من معارض البلاغة ، وله ميسم يبقَى على الدهر فى المدح والهجاء[١] ، وله أوزان لا بد منها ولا بد من القصد إليها ، فمن جاء كلامه على وزن الشعر ولم يتعمد هو هذا الوزن فليس كلامه بشعر ، فقد ورد فى القرآن وفى الحديث كلام موزون على أعاريض الشِّعر ولـكنه لا يسمى شعرا[٢] . ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل[٣] . وليس ينبغى للقصيدة أن تكون كلها أمثالا وحكما ، فإنهـا إذا كانت كذلك لم تسِرْ ولم تجر مجرى النوادر[٤] . وفى المولدين شعراء مطبوعون[٥] ، وللشعراء رسوم خاصـة[٦] ، وقد كان بعض أبيات الشعر سبباً من أسـباب تسمية الشاعر[٧] . والشعر خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفنى ، « فما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره[٨] » .

السجع :

وهذا الفن من البيان يثير خلافا بين العلماء والأدباء والدَّيانيين ؛ فهناك حديث : « أسجع كسجع الجاهليـة ؟ ! » . فهو فى ظاهره حجة لمن يرفض استعمال هذا الفن ويستهجنه ، وهو عند التأويل محمول على السجع الذى يراد به إبطال الحق[٩] . على أن من الأدباء من يرى أن السجع إنما كان منهياً عنـه فى

(١) ١ : ١٥٦ .
(٢) ١ : ٢٨٧ — ٢٨٩ .
(٣) ١ : ٤٥ .
(٤) ١ : ٢٠٦ .
(٥) ١ : ٥٠ .
(٦) ١ : ٩٣ .
(٧) ١ : ٣٧٤ .
(٨) ١ : ٢٨٧ .
(٩) ١ : ٢٨٧ .

نأنأة الإسلام ، لقرب عهدهم بالجاهلية حيث كان السجع يجرى فى الـكهانة والترجيم بالغيب ، فلما زالت العلة زال التحريم[1]. ولهذا شبيهٌ فى النهى عن مرثية ابن أبى الصلت لقتلى أهل بدر فى أول الأمر ، فلما زالت العلة زال النهى[2]. ويسوق الجاحظ من بعد ذلك مأثورا من متخير السجع و بديعه[3].

الرسائل والوصايا :

ولقد كانت الرسائل والوصايا مظهرا من مظاهر البيان العربى ، فهو ينثر فى تضاعيف كتابه قدرا صالحا مختارا منها[4] ، لتـكون إماما يحتذى ، وقالبا يُصاغ عليه القول .

النساك والقصاص :

وللنساك حظ وافر من عناية الجاحظ فى الـكتاب . فهؤلاء النساك الروحيون قد نبغ منهم نوابغ فى البيان ، فهم قوم قد لانت ألسنتهم ودق إحساسهم ، بما حفظوا كلام الله وحديث الرسول ، وهم قد تصدوا لوعظ العامة والتأثير فيهم ببليغ القول وحُسن المحاضرة ، وكانت لهم جولات فى مساجد البصرة والـكوفة ، حيث كانت تؤثَر عنهم الحكمة وتروى العظة ، ويُتناقل البيان الرفيع .

وأما القصاص فقد كانت صناعتهم تقتضيهم العناية بقوة البيان وحسن الأداء وكانوا ذوى فصاحة و بلاغة . فمنهم موسى بن سيار الأسوارى « كان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به ، فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها بالفارسية ،

---

(١) ١ : ٢٩٠ . (٢) ١ : ٢٩١ .
(٣) ١ : ٢٨٤ ، ٢٩٧ . (٤) انظر الجزء الثانى .

فلا يُدرى بأيّ لسان هو أبين[1] » .

لذلك ولهذا عقد الجاحظ بابا لذكر النساك والزهاد من أهل البيان[2] ، وآخر لذكر القصاص[3] كما روى طائفة من كلام النساك[4] ومقطعات من كلام القصاص[5] ، كما خصص فى الجزء الثالث من الكتاب بابا كبيرا فى الزهد ساق فيه مواعظ عيسى وداود عليهما السلام ، ومواعظ الحسن وعمر وآخرين من النساك ومن زهاد البصرة والكوفة . وأتبع ذلك بمختارات من دعاء السلف الصالح ، والأعراب والنساك .

النوكى والحمقى :

والجاحظ ذلك المرح الضاحك ، لا يفتأ يعجّب الناس من هذا الخَلْق الطريف ، أولئك الذين شاء الله أن يكونوا مصدر عبرة وموعظة ، كما شاء أن يكونوا مصدر عزاء وتسرية عن النفس . هؤلاء النوكى والحمقى قد يتفق بعضهم من البيان السّاحر ، ومن التبيين العجيب ، ما يكون فى الصدر المقدم من حسن التعبير وجميل التعليل ، كما يتفق لبعضهم أن يريد البيان فيخطئ خطأ ظاهراً أو خفيا ، فيكون كلامه عُواراً جديرا بأن ينبه الجاحظُ على التحذير منه ، وبأن يكشف عما به من خطل ومجانبة للصواب ، كما صنع ذلك فى باب العى . وهو يروى فى الجزء الثانى وفى الجزء الثالث طائفةً من أخبارهم وأقوالهم ؛ ليكون فى ذلك ترويح عن نفس المتصفّح ، ونفع له فى بيانه وعبارته ، وهُدًى له أن يضل السبيل . ويستطرد الجاحظ فيما يستطرد فيلحق بهؤلاء النوكي والحمقى طائفةً خاصّة من المعلمين[6] ، لا يلبث أن يستثنى منهم جماعة من جِلّة المعلمين والمؤدبين.

(١) ١ : ٣٦٨ .
(٢) ١ : ٣٦٢ .
(٣) ١ : ٣٦٧ .
(٤) ١ : ٢١٠ .
(٥) فى الجزء الثانى .
(٦) ١ : ٢٤٨ - ٢٥٠ .

الاختيارات :

والجاحظ بين الفينة والأخرى يوشّع كتابه بالجيّد المتخيّر من النثر والشعر ، ولاسيما في الجزأين الثاني والثالث ، حيث تطالعك الأبيات الحسان والفقر المستملحة. فمنها ما يكون شاهداً لما يبغي أن يدعمه ويؤيده من قضايا البيان ، ومنها ما يرويه ليكون للحفظ والمذاكرة . وقد روى طائفة من مختارات المراثي ، ومن الخمريات ومن هجاء البرامكة ومديحهم ، ومما قيل في الشيب ، ومما حوى الحكمة والزهد ، وروى كذلك كثيراً من أقوال الأعراب ونوادرهم ، وطائفة من أدب بني العباس ومجموعة من قصار الخطب وطوالها ، ومتنخّل الرسائل والوصايا ، كما سبق القول .

هذه صورة لست أراها كاملة التكوين مستوفية الوضوح ، ولكنها تقرب الكتاب إلى قارئه تقريبا ، وتخط له الخطوط الرئيسية التي يستطيع بها أن يتتبع ما يحوى الكتاب من فن .

٤ ـ أثر الكتاب

لعل من نافلة الكلام أن أردد القول في عظيم أثر هذا الكتاب . ويمكنني أن أقول في ثقة : إنه ليس يوجد أديب نابهٌ في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يُفِدْ منه ، وقلّما تجد أديباً من المحدَثين لم يتمرّسْ بما فيه من أدب . كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدّها كبار المؤلفين القدماء في مؤلفاتهم كابن قتيبة[١] في عيون الأخبار ، والمبرد[٢] في الكامل ، وابن عبد ربه[١] في العقد ، والعسكري[٢] في الصناعتين ، والحُصْرى[٣] في زهر الآداب وجمع الجواهر ،

(١) سنة ٢١٣ — ٢٧٦ . (٢) سنة ٢١٠ — ٢٨٦ .
(٣) ٢٤٦ — ٣٢٨ . (٤) توفي بعد ٣٩٥ .
(٥) توفي سنة ٤٥٢ .

وابن رشيق[1] في العمدة ، وعبد القاهر الجرجاني[2] في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وأسامة بن منقذ[3] في لباب الآداب

٥ - تاريخ تأليفه

ذكرت طرفاً من ذلك في مقدمة الحيوان[4] ، وسقت الدليل على أن الجاحظ ألفه في أخريات حياته ، حين علت به السنُّ وقعد به المرض ، وذكرت أيضاً أنه ألفه بعد كتاب الحيوان ؛ إذ أنني عثرت على نصٍّ قاطع في البيان والتبيين يدل على ذلك ، وهو قوله : « كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لِمَا ذكرتَ من عجبك بذلك ، فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله »

ومن المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب البيان والتبيين إلى القاضي أحمد بن أبي دواد[5] ، كما أهدى من قبله كتاب الحيوان إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات المتوفى سنة ٢٣٣ ، وكتاب الزرع والنخل إلى الكاتب إبراهيم بن العباس الصولي المتوفى سنة ٢٤٣ ، وأن كلا منهم أعطاهُ خمسة آلاف دينار[6] .

والذي يعنينا من هؤلاء هو القاضي أحمد بن أبي دواد . كان أحمد من بلغاء الناس وفصحائهم وشعرائهم ، وكان قد برع في الفقه والكلام حتى بلغ مابلغ وكان من أصحاب واصل بن عطاء المعتزلي ، فصار بذلك إلى الاعتزال ، وكان ذا حظوة عند المأمون ، وقد أوصى به أخاه المعتصم ، فلما صارت الخلافة إليه جعله قاضي القضاة بعد أن عزل يحيى بن أكثم . ولما مات المعتصم وتولى ولده الواثق حسنت

(١) ٣٩٠ — ٤٦٣ .
(٢) توفي سنة ٤٧١ .
(٣) ٤٨٨ — ٥٨٤ .
(٤) مقدمة الحيوان ص ٢١ .
(٥) ١٦٠ — ٢٤٠ .
(٦) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦) .

حال أبى دواد فى أول خلافته ، فقلد المتوكل ولده محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عُزل وقلد يحيى بن أكثم ثانية ، وتوفى أحمد سنة ٢٤٠ ، وكان بين محمد بن عبد الملك و بين أحمد بن أبى دواد منافسة شديدة ، وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به ، وكان منحرفا عن أحمد بن أبى دواد للعداوة كانت بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له : لم هربت ؟ فقال : «خفت أن أكون ثانى اثنين إذ هما فى التنور ! » . يريد ما صنع بمحمد و إدخاله تنور حديد فيه مسامير ، كان هو صَنَعه ليعذب الناس فيه ، فعذب هو فيه حتى مات .

ويروى ياقوت[١] ، أنه بعد قتل ابن الزيات جىء بالجاحظ مقيداً إلى مجلس ابن أبى دواد ، فجرت بينه و بين القاضى محاورة انتصر فيها الجاحظ ، وكان من عاقبتها أن رضى عنه ابن أبى دواد وأجازه ، وقربه إلى نفسه .

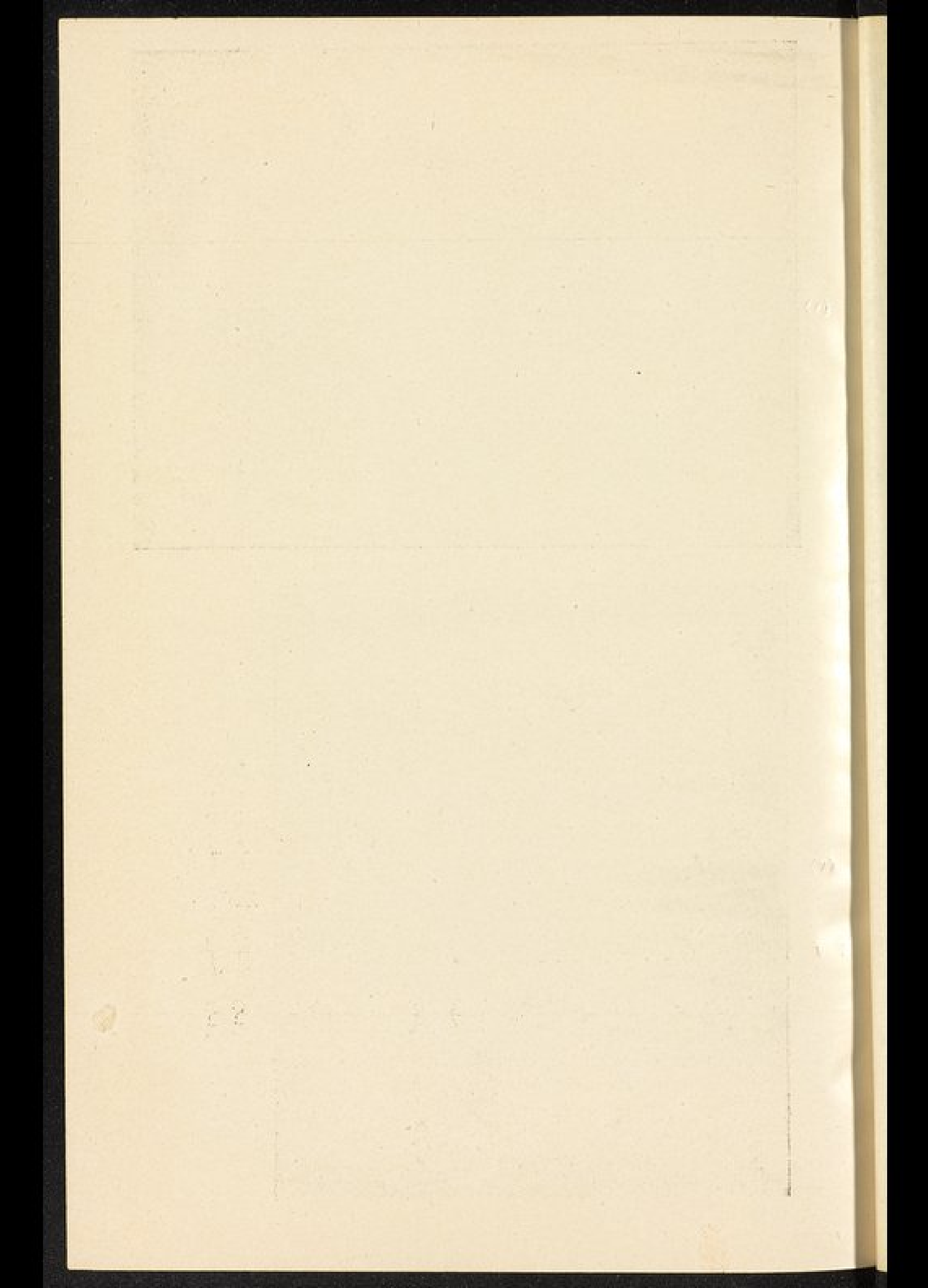
وهذا الخبر يعين لنا أن كتاب البيان والتبيين لم يظهر إلا بعد سنة ٢٣٣ ، وهى السنة التى قتل فيها ابن الزيات .

٦ — نسخ الكتاب

النسخة الأولى والنسخة الثانية :

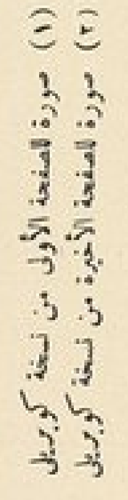
يذكر ياقوت[٢] أن كتاب البيان والتبيين نسختان : « أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود » . فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صُنْع الله أنى حينما اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضِها ببعض ، تبيَّن لى فى أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلى ، هى أصحّ نسخة من أصول الكتاب

(١) إرشاد الأريب (١٦ : ٧٩) .
(٢) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦) .




(١)

(٢)


(١) صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي

(٢) صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي

ولحظت أيضاً أنها كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات التى لا توجد فى سائر النسخ ، أو توجد ولكن بعبارة أخرى مخالفة . كما أن سائر النسخ كثيراً ما تتفق فى ذكر نصوص وعبارات لا نجدها فى نسخة كوبريلى ، أو نجدها ولكن بصورة أخرى . ومهما يكن من شىء فلا ريب عندى أن نسخة كوبريلى هى أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً ، ونستطيع أن نترجم هذا بأن القائم لدينا من أصول الكتاب نسختان : إحداهما نسخة كوبريلى ، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التى قلما تشذ واحدة منها عن الأخرى[1] .

وصف المخطوطات :

جعل الجاحظ كتابه هذا فى ثلاثة أجزاء ، كما نص على ذلك فى أول الجزأين الثانى والثالث . وقد توافر لى من نسخ الكتاب أربع مخطوطات :

(الأولى) : نسخة مكتبة كوبريلى[2] المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٧٠ أدب) ، المرموز لها بالرمز (ل) . وهذه النسخة المصورة فى أربع مجلدات أصلها المخطوط جزءان اثنان ، ولكنها مع ذلك تنبّه فى آخر كل جزء من تقسيم الجاحظ على أنه قد انتهى وابتدأ الذى يليه . والجزء الأول فى ٣٥٦ صفحة والثانى فى ٣٥٥ ، وفى كل صفحة ١٧ سطراً ، وبكل سطر نحو عشرين كلمة . وهذه النسخة القديمة مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق . وفى نهايتها : « كمل السفر الثانى ، وبتمامه تم الكتاب بأسره بفضل الله وعونه . والصلاة على

(١) تجد أيضاً أن افتتاح نسخة كوبريلى وحدها « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » أما سائر النسخ فتتفق فى أن افتتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد النبى الكريم وسلم ، عونك اللهم وتيسيرك »

(٢) نص خاتم وقف هذه المكتبة « هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد ، عرف بكوبريلى ، أقال الله عثاره ١٠٨٨ » .

سيدنا محمد وآله فى الجمعة سابع المحرم من ســنة أربع وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى » .

(الثانية) : نسخة دار الـكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) وهى المرموز لها بالرمز (ب) وهى فى مجلد واحد يقع فى ٧٠٠ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، و بكل سطر نحو ١٣ كلمة ، وهى مكتوبة بالخط الفارسى الجميل وليس بهـا ضبط ، وعنوانها عجيب « كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليـه حسناً و بلاغة » . وكتب فى صدرها أيضاً « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة على ذمة الـكتبخانة الخديوية . ومضاف فيماه مايو سنة ١٨٨٢ » . وكلمة « فيماه » مكونة من « فى » العربية ، و « ماه » الفارسية التى بمعنى شهر ، فتاريخ هذه النسخة يرجع إلى سنة ١٢٩٩ الهجرية .

(الثالثة) : نسخة دار الـكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) وهى المرموز إليها بالرمز (حـ) وهى فى مجـلد يقع فى ٧٥١ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، و بكل سطر نحو ١١ كلمة . وهى مكتوبة بالخط المعتاد وليس بها ضبط ، ولـكن بها أثر قراءة وتصحيح ، و بعض كتابات ذاهبة فى الندرة بخط المغفور له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى ، وقد ألصق بآخرها ورقة بها تعليقات فهرسية لمواضع متفرقة من الـكتاب بخطه أيضاً . وفى خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ من كتابة هـذا الـكتاب يوم الخميس المبارك الموافق ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ثلثمائة وتسعة بعد الألف ، على يد كاتبها الفقير راجى عفو الـكريم ، محمد سليم » .

(الرابعة) : نسخة المـكتبة التيمورية المحفوظة برقم (٤٩٨ أدب) ، وهى فى

مجلد واحد به ٥٨٨ صفحة مكتوبة بالخط الفارسي المعتاد ، و بكل صفحة ١٩ سطراً و بكل صفحة نحو١٧ كلمة ، و بهوامش هذه النسخة تعليقات كثيرة بخط الناسخ وكتب فى صـدرها : « من كتب الفقير عبـد السلام المويلحى فى ٢ رجب سنة ١٢٨٥ » ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ ، و بها عدة أسقاط قيَّد مواضعها فى أول الـكتاب العلامة المغفورله أحمدتيمور باشا . وتبلغ هذه الأسقاط نحو٢٠ صفحة من مواضع متفرقة .

الطبعات السابقة :

(١) النشرة الأولى فى مجلدين فى ٢٢٢ صفحة و ١٩٠ صفحة ، وذلك بالمطبعة العلمية من سنة ١٣١١ — ١٣١٣ ، عنى بها حسن أفندى الفا كهانى إلى نهاية الـكراسة السابعة من الجزء الأول ، و باقى الـكتاب بعناية الشيخ محمـد الزهرى الغمراوى ، وهـذه النشرة مجردة من الضبط ، وبهـا تعليقات يسيرة فى الجزء الأول فقط .

(٢) النشرة الثـانية فى ثلاث مجلدات فى ٢١٨ صفحة ، ١٩٦ صفحة ، ٢٣٦صفحة . وذلك فى مطبعة الفتوح ومطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ . أشرف عليها الأستاذ الـكبير السيد محب الدين الخطيب ، ونجد فى نهاية الجزء الثـالث : « وكتب بعض حواشى هـذا الجزء إبراهيم بن محمد الدلجونى الأزهرى[١] ، عفى عنه » . وهذه الطبعة بها قليل من الضبط وقليل من التعليق ، وتمتاز عن سابقتها بالإشارة إلى بعض روايات النسخ المخطوطة ، ومما يجدر ذكره أن تلك النسخ المخطوطة غير معينة .

(١) كان غفر الله له من أعلام أدباء الأزهر ، وقد تلمذت له عاما فى الأزهر سنة ١٣٤٠ ومن آثاره شرح ديوان الحماسة المنسوب للرافعى ، ونشرة من كامل المبرد .

(٣،٤) النشرة الثالثة والرابعة ، صنع الأستاذ الجليل حسن السندوبى ١٣٤٥ و ١٣٥١ وكل منهما فى ثلاث مجلدات ، وتمتاز الرابعة بكثرة التعليقات والتراجم ، وألحق بهما بعض الفهارس .

هذا وقد طبع كتاب عنوانه « منتخبات من البيان والتبيين » يقع فى ثمانين صفحة ، وذلك بمطبعة الجوائب ١٣٠١ ثم بمطبعة الرغائب ١٣٢٨ . وكتاب آخر عنوانه « مختار البيان والتبيين » باعتناء الأديبين خليل بيدس ، وشريف النشاشيبى ، وهو فى ٢٤٨ صفحة طبع بمطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٣ الميلادية .

٧ — تحقيق الكتاب

عند ما فرغت من تحقيق تلك المَعْلمة الكبيرة ، أعنى كتاب الحيوان ، رأيت أن ألتمس شيئاً من الهدوء والرَّوح ، إثر ذلك المجهود العاتى ، ولكن تلك الرغبة الملحة فى بعث مكتبة الجاحظ ، وهى رغبة توشك أن تكون جهاداً ، حملتنى أن أدخل فى الميدان كرة أخرى ، استجابة لدعوة النفس ، وتلبية لإرادة صديق كريم أثيرٍ لدىّ ، هو الأستاذ « عبد السلام محمد الناظر » ، الذى سعدتُ بأخوته وزمالته زهاء ربع قرن قضينا منها ثمانى سنين جنباً إلى جنب زمانَ الطلب بدار العلوم ، فقد أرادنى على أن أعجل بوفاء ما وعدت به من قبل ، فكان بتلك الرغبة الكريمة وبما أخذ على عاتقه من المشاركة فى نفقات الطبع ، صاحب فضل عظيم فى ظهور هذه النشرة الحديثة من البيان التى جعلت إهداءها إليه .

وكان الأدباء من قبلُ يجدون كثيراً من العسر ، ويلمسون كثيراً من الاستغلاق ، الناجم عن تحريف النصوص وتصحيفها ، وقلة التعرض لبيان ما بها

من إشارة ، وحل ما فيها من رموز ، فلما شرعت فى تحرير هذا الكتاب هالنى ما رأيت فى الطبعات السابقة من تحريف وتشويه ، مع أن الذين تولوا هذه النشرات علماء فضلاء ، ذاك أنهم لم يعنوا بدراسة الأصول المخطوطة دراسة متصلة ، ولم يراعوها مراعاة تامة ، فلم يسعفهم فضلهم الواسع بإخراج النسخة القريبة من السلامة ، أما نسختنا هذه فقد عورضت على المخطوطات التى أسلفت وصفها فى الفصل السابق ، وصنعت — فيما نرى — على ماتقتضيه أساليب النشر الحديث وأُعدَّت لها الفهارس الكاشفة عن خباياها وما بها من خير كثير .

وقد اتَّخذتُ نسخة كوبريلى أصلاً لهذه النشرة ، منبهاً على ما بينها و بين سائر النسخ من خلاف . وما كان من زيادة فى هذه النسخة على سائر النسخ لم أنبه عليه ، وهو كثير ، وما كان من زيادة فى سائر النسخ أضفته بين معقفين : [ ] ونبهت عليه ، على أننى فيما بعد صفحة ٢٩٤ من هذا الجزء قد أضربت عن هذا التنبيه ؛ تجنُّباً للإسهاب ، وجعلت وضع الكلمة بين المعقفين دليلاً على أنها من سائر النسخ ، وقد أثبت أرقام نسخة الأصل على جوانب الصفحات مكتفياً بذكر الصفحات عن ذكر رقم الجزء ؛ فإن الجزء الثانى من الأصل إنما يبدأ فى نحو منتصف الجزء الثانى من نشرتنا هذه ، وسأنبه على ذلك فى حينه .

وعُنيت بضبط الكتاب محققاً مابه من الألفاظ الغريبة والكلمات الفارسية والبصرية ونحوها ، كما عنيت خاصة بتحقيق الأعلام وترجمتها على ما فى ذلك من عُسر شديد وجهد جهيد ، فقد أرْبَت الأعلام المترجمة فى هذا الجزء فقط على الأربعمائة والأربعين ، وبذلت العناية فى تحقيق النصوص وتخريجها ، ونسبة الشعر إلى قائله ، منبها على المراجع من الدواوين وغيرها من كتب اللغة والأدب والتاريخ والسِّيَر والحديث والتفسير والقراءات .

وأما تقسيم الكتاب فقد أبقيته كما صنع الجاحظ ، ثلاث مجلدات ، لم أحدث فيه تغييراً ، ولم أضف إليه شيئاً من العناوين .

وقد شك بعضهم فى التفسيرات اللغوية التى وردت فى صلب الكتاب ، فظن أنها من زيادات القراء والناسخين ، وقد فاته أن الجاحظ قد عمد إلى تفسير كثير من لغات كتابيه : الحيوان ، والبيان . ويجد القارئ فى ثنايا الحيوان كثيراً من التفسيرات والنصوص اللغوية التى تناقلها اللغويون ورووها عن الجاحظ . ولقد استطعت أن استخرج فهرساً كبيراً للمواد اللغوية الجاحظية فى كتاب الحيوان ، وقع فى نحو ٢٧ صفحة[١] ، لذلك حافظت على هذه النصوص وأبقيتها فى مكانها من صلب الكتاب .

٨ – الفهارس

وستضاف إلى الكتاب فهارس تقتضيها طبيعته ، وهى :

١ — فهرس البيان والبلاغة .

٢ — « الخطب .

٣ — « الرسائل والوصايا .

٤ — « الأشعار والأرجاز

٥ — « الأمثال .

٦ — « اللغات .

٧ — « الأعلام .

٨ — « القبائل والأرهاط والطوائف .

---

(١) انظر الحيوان (٧ : ٥٨٨ — ٦١٥)

٨ — فهرس البلدان .

١٠ — « أيام العرب .

١١ — « معالم الحضارة .

١٢ — « الـكتب .

ويلحق بها من بعدُ جريدةُ تعيين المراجع والمصادر ، وطائفةٌ من الاستدراكات العامة للكتاب .

اللهم منك نستمدّ التوفيق ، وبك نستعين ، وعليك نعتمد . والحمد لله رب العالمين ؟

منشية الصدر فى صبيحة الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٧
١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨

عبد السلام محمد هارون

مكتبة الجاحظ
أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثانى

البيان والتبيين

الجزء الأول

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

الطبعة الأولى

إهـــداء

حفظك الله وأبقاك وأمتع بك ، وجعل ما بيني وبينك من وُدٍّ موصولاً أبد الدهر ، فقد عرفتك صديقاً لا يشوب صداقته زيفٌ من شوائب الدنيا ، وعرفتك على تقادم العهد وتطاول الزمان ، أخا ثابت الإخاء وثيق النفس ، ليس كمن يدور بخلته بين الناس ملتمساً بها الغنم ، وباغياً بها النفع ، فكان ذلك ، أيدك الله ، مما أكبرك في عيني ، وأعظمك في نفسي ، وبسطني أن أقدم إليك هذا الكتاب الخالد لترى فيه ، ولتعلم أيها السمي الكريم ، أني أحفظ لك في نفسي مثل ما تحفظ لي من وفاء ، وأطوي لك صدري على مثل ما تطوي من ولاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - عرض الكتاب

وهذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ التى أخذت نفسى بإخراجها وجلائها على الناس ، وهو ، لاجرم ، أشيَر كتب أبى عثمان وأكثرها تداولا ، وأعظمها نفعاً وعائدة ؛ فيه تخرّج كثير من الأدباء ، واستقامت ألسُنهم على الطريقة المثلَى . فهو أستاذ أرهاط متعاقبة من المتأدبين ، وهو شيخ جماعات متتابعة ، ممن صقلوا ذوقهم بصقال الجاحظ ، ورفعوا فنّهم بالتأمل فى فنه وعبقريته

٢ — بعض أقوال القدماء

فيه يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى [١] فى الصناعتين ، عند الكلام على كتب البلاغة : « وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمرى كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة . إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة ، مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتثرة فى أثنائه ، فهى ضالة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير » .

وهو كلام رجل قد خبر الكتاب ورازَه ، ولكنه لم يشأ أن يرسم لنا صورة مفصلة واضحة .

(١) توفى نحو سنة ٣٩٥ .

وابن رشيق القيروانى (٣٩٠ — ٤٦٣) فى العمدة[١] يقول : « وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ — وهو علاّمة وقته — الجهد ، وصنع كتابا لا يُبلَغ جودة وفضلا ، ثم ما ادّعى إحاطته بهذا الفن ؛ لكثرته ، وأنّ كلام الناس لا يُحيط به إلا الله عز وجل » .

أما ابن خلدون المغربى (٧٣٢ — ٨٠٨) فيسجل لنا رأى قدماء العلماء فى هذا الكتاب ؛ إذ يقول عند الكلام على علم الأدب[٢] : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين : وهى أدب الكتاب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبى على القالى . وما سوى هذه الأربعة فتبعٌ لها ، وفروع عنها »

٣ — تفصيل الكتاب

إنّ دأب الجاحظ فى تأليفه أن يرسل نفسه على سجيّتها ، فهو لا يتقيد بنظامٍ محكم يترسّمه ، ولا يلتزم نهجاً مستقيما يحذوه ، ولذلك تراه يبدأ الكلام فى قضية من القضايا ، ثم يدعها فى أثناء ذلك ليدخل فى قضية أخرى ، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل ، وقد كانت هذه سبيلَ كثير من علماء دهره ، كما أن علوّ سنه وجِدّةَ التأليف فى تلك الأبحاث التى طرقها ، كل أولئك كان شفيعاً له فى هذا الاسترسال والانطلاق .

وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحيانا ، فهو يقول عند الكلام على البيان[٣] : « وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ، ولكنا أخرناه لبعض التدبير » .

(١) العمدة (١ : ١٧١) فى باب البيان .
(٢) مقدمة ابن خلدون ٨٠٥ . (٣) الجزء الأول ص ٧٦ .

وهو يَعِدُ فى أواخر هذا الجزء[1] أن يتكلم فى الجزء الثانى على طعن الشعوبية على العرب فى اتخاذ المِخصرة ، ثم يحاول الوفاء بما وعد ، فى الجزء الثانى ، ولـكنه يرى أن الفرصة لم تسنح له بعد ، فيعتذر بقوله : « ولـكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلة من التابعين ». ويمضى الجزء الثانى بأكمله ، ولا يستطيع صاحبنا الوفاء بما وعد به إلا فى صدر الجزء الثالث من الـكتاب .

ونحن نستطيع أن نرد مباحث الـكتاب وقضاياه إلى الضروب التالية :

(١) البيان والبلاغة (٢) القواعد البلاغية (٣) القول فى مذهب الوسط (٤) الخطابة (٥) الشعر (٦) الأسجاع (٧) نماذج من الوصايا والرسائل (٨) طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم (٩) عَرْضٌ لبعض كلام النوكي والحمقى ونوادرهم (١٠) ضروب من الاختيارات البلاغية .

البيان والبلاغة :

تحدث الجاحظ فى تعريف البيان ، وساق فى تفصيلِ أنواعَ الدلالات البيانية من اللفظ ، والإشارة ، والعقد ، والنُّصبة[2] . وعقد أبواباً لمدح اللسان والبيان[3] ، وصنع موازنة بين لغة العامة والحضريين والبدويين[4] ، ونوه تنويها بصحة لغة الأعراب فى عصره[5] ، وروى مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم[6] ، وتحدث فى لـكنة النبط والروم[7] ، وعَرَض نماذج من كلام الموالى[8] ، وعقد

(١) الجزء الأول ص ٣٨٣ .
(٢) انظر ١ : ٧٥ .
(٣) ١ : ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٩٢ .
(٤) ١ : ١٢٠ .
(٥) ١ : ١٥٧ .
(٦) الجزء الثالث .
(٧) ١ : ٧٠ .
(٨) ١ : ١٦١ — ١٦٥ .

فى الجزء الثانى بابا للحن وأخبار اللحانين ، بعد أن تكلم فى الجزء الأول[1] على اللحن ومتى يستملح ومتى يستهجن ، وفى الجزء الثانى عرض صوراً من صور العى والحصر وبسط مذهباً له فى وجوب أداء القصص والنوادر كما هى ، إن معربة فمعربة ، أو ملحونه فملحونة ، زاعماً أن الإعراب يفسد نوادر المولدين[1] .

ولم ينس أن يسوق فى صدر كتابه طائفة من الآيات التى تنوه بشأن البيان والبلاغة ، ثم يعيد الكرة فى الحث على البيان والتبيين[2] ، إذ يقول : « وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ... » .

وهو لا يُغْفِل أن يتكلم فى مخارج الحروف ، و يبين أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها فى البيان[3] ، وكذلك أثر لحم اللثة[4] ، وكذا أثر سقوط الأسنان ، و ينقل قول محمد الرومى[5] : « قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح فى الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها »

و يعقد بابا للحروف التى تدخلها اللثغة ، و يبين أى لثغة أشنع وأيها أظرف[6] .

ولعل الذى دفعه إلى ذلك ما كان معروفاً من لثغة واصل بن عطاء المعتزلى ، الذى حاول أن يعتذر له ، وأن يجعل من هذا النقص الذى كان يتغلب عليه ، كمالاً وعبقرية يسوق فيها الدليل إثر الدليل[7] .

وهو كذلك يروى طائفة صالحة من أخبار البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء[8] ، ومن جمع بين الخطابة والشعر[9] ، و يعرض نماذج من كلام الرسول فى صدر الجزء الثانى ، كما عقد بابا للغز فى الجواب فى ذاك الجزء .

فإذا ما حاول الكلام فى البلاغة ، وهى المرتبة التى فوق البيان ، ذهب

---

(١) ١ : ١٤٦ . (٢) ١ : ١٤٥ . (٣) ١ : ٢٠٠ . (٤) ١ : ٥٨ .
(٥) ١ : ٦١ . (٦) ١ : ٦١ . (٧) ١ : ٦٤ .
(٨) ١ : ١٤ . (٩) ١ : ٩٨ . (١٠) ١ : ٥١ .

يسرد تعريفها عند الفرس والروم والهند والأعراب ، وأعلام البلغاء ، كالعتابى وسهل بن هارون ، وعمرو بن عبيد ، وابن المقفع[(١)]. ثم لا يرضيه ذلك حتى يظفر بترجمة لصحيفة هندية ترسم حدود البلاغة وتبين أصولها[(٢)].

ولم يتعرض لمسائل البلاغة التى عرفت فيما بعد ، إلا ما قدّمَ من كلام فى تنافر الحروف وائتلافها[(٣)]، وكذلك وجوب مراعاة مقتضى الحال[(٤)]. وهو يتكلم فى الإيجاز والإطناب ويعين المواضع الصالحة لكل منهما[(٥)]، ويروى لنا الشعر الذى يمدح فيه الشعراء الإيجاز[(٦)]. ويتكلم فى المشاكلة البديعية ، ويعرض فيها أمثلة من القرآن والشعر[(٧)].

القول فى مذهب الوسط :

يستطيع المتصفح لهذا الكتاب أن يلمح للجاحظ مجهودا طريفا ، فهو قد عقد باباً للصمت والحث عليه[(٨)]، ويحكى أقوال المعارضين لأصحاب الخطابة والبلاغة الذين يفضلون هذا الصمت[(٩)]، ويخصص باباً آخر يقذف فيه بطائفة من كلام المُغْرِبين وأصحاب التقعير[(١٠)]، وأبوابا أخر فى مديح اللسان وشدة العارضة[(١١)] ولكنه لا يرضيه هؤلاء ولا أولئك ، بل يرى أن كلا منهما قد جنح إلى غير الصواب ، وأن الصواب والخير كله فى إصابة القدر فى الكلام[(١٢)]، وأن تكون الألفاظ والمعانى أوساطاً بينَ بينَ[(١٣)].

(١) ١ : ٨٨ .
(٢) ١ : ٩٢ .
(٣) ١ : ٦٩ .
(٤) ١ : ١٤٩ .
(٥) ١ : ١٤٩ .
(٦) ١ : ٢٧٦ .
(٧) ١ : ١٥٢ .
(٨) ١ : ١٩٤ .
(٩) ١ : ٢٦٩ .
(١٠) ١ : ٢٧٧ .
(١١) ١ : ١٦٦، ٢١٢، ٢٣١
(١٢) ١ : ٢٧٧ .
(١٣) ١ : ٢٥٥ .

الخطابة :

وقد عنى الجاحظ بهذا الفن عناية خاصة. ولا غرو ، فالخطابة دِعامة من دعائم الدعوة . وكان المعتزلة يلجئون إلى الخطابة والجدال فى تأييد أمرهم ، و بيان مذاهبهم ومقالاتهم [1] . فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر [2] ، و يبين ما ينبغى اتباعه فى ضروب من الخطب ، كخطبة النكاح [3] : وما تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول وترفيع الصوت ، ذاكراً فى ذلك الخبر والمثل [4] ومن عُرف بجهارة الصوت [5] ، وهو يسترسل فيذكر أن الروم أهل جهارة ، و ينقل خبرا غريبا « لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعا صوت وجوب القرص فى المغرب [6] » . ويتكلم فى الدمامة ومدى أثرها فى قدر الخطيب والشاعر [7] ، ويتعرض للخلاف فى تأثير حركة الخطيب و إشارته ، أو سكونه وهدوء جوارحه ، فى سامعيه [8] . ويتكلم فى استعمال المخاصر والعصى فى الخطبة [9] وطعن الشعوبية على العرب فى ذلك [10] ، ويذكر أسماء الخطباء وقبائلهم وأنسابهم [11] وأخبار خطباء الخوارج خاصة [12] ، كما عقد باباً لأسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان [13] ، وكانوه بخصلة إياد وتميم فى الخطب [14] . وهو فى أثناء ذلك يسرد مختارات قوية من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ومَن بعدهم ، وكذا خطب رجالات الخوارج وأهل الدعوة .

---

(1) ١ : ١٤ .
(2) ١ : ١١٨ .
(3) ١ : ١١٦ .
(4) ١ : ١٢٠ .
(5) ١ : ١٢٣ .
(6) ١ : ١٣٣ .
(7) ١ : ٢٣٧ .
(8) ١ : ٩١ .
(9) ١ : ٣٧٠ .
(10) ١ : ٢٨٣ ثم أول الثانى ، ثم أول الثالث .
(11) ١ : ٣٠٧ .
(12) الجزء الثالث .
(13) ١ : ٣٥٨ .
(14) ١ : ٥٢ .

الشعر :

والشعر وسيلة من وسائل البيان ، ومعرض من معارض البلاغة ، وله ميسم يبقَى على الدهر فى المدح والهجاء[١]، وله أوزان لا بد منها ولا بد من القصد إليها ، فمن جاء كلامه على وزن الشعر ولم يتعمد هو هذا الوزن فليس كلامه بِشعر ، فقد ورد فى القرآن وفى الحديث كلام موزون على أعاريض الشّعر ولـكنه لا يسمى شعرا[٢]. ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل[٣]. وليس ينبغى للقصيدة أن تكون كلها أمثالا وحكما ، فإنهـا إذا كانت كذلك لم تسِرْ ولم تجر مجرى النوادر[٤]. وفى المولدين شعراء مطبوعون[٥]، وللشعراء رسوم خاصـة[٦]، وقد كان بعض أبيات الشعر سبباً من أسـباب تسمية الشاعر[٧]. والشعر خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفنى ، « فما تـكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تـكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره[٨]» .

السجع :

وهذا الفن من البيانـ يثير خلافا بين العلماء والأدباء والدّيّانيين ؛ فهناك حديث : « أسجع كسجع الجاهليـة ؟ ! » . فهو فى ظاهره حجة لمن يرفض استعمال هذا الفن و يستهجنه ، وهو عند التأويل محمول على السجع الذى يراد به إبطال الحق[٩]. على أن من الأدباء من يرى أن السجع إنما كان منهياً عنـه فى

(١) ١ : ١٥٦ . (٢) ١ : ٢٨٧ — ٢٨٩ .
(٣) ١ : ٤٥ . (٤) ١ : ٢٠٦ .
(٥) ١ : ٥٠ . (٦) ١ : ٩٣ .
(٧) ١ : ٣٧٤ . (٨) ١ : ٢٨٧ .
(٩) ١ : ٢٨٧ .

نأنأة الإسلام ، لقرب عهدهم بالجاهلية حيث كان السجع يجرى فى الكهانة والترجيم بالغيب ، فلما زالت العلة زال التحريم[١] . ولهذا شبيه فى النهى عن مرثية ابن أبى الصلت لقتلى أهل بدر فى أول الأمر ، فلما زالت العلة زال النهى[٢] . ويسوق الجاحظ من بعد ذلك مأثورا من متخير السجع وبديعه[٣] .

الرسائل والوصايا :

ولقد كانت الرسائل والوصايا مظهرا من مظاهر البيان العربى ، فهو ينثر فى تضاعيف كتابه قدرا صالحا مختارا منها[٤] ، لتكون إماما يحتذى ، وقالبا يُصاغ عليه القول .

النساك والقصاص :

وللنساك حظ وافر من عناية الجاحظ فى الكتاب . فهؤلاء النساك الروحيون قد نبغ منهم نوابغ فى البيان ، فهم قوم قد لانت ألسنتهم ودق إحساسهم ، بما حفظوا كلام الله وحديث الرسول ، وهم قد تصدوا لوعظ العامة والتأثير فيهم ببليغ القول وحُسن المحاضرة ، وكانت لهم جولات فى مساجد البصرة والكوفة ، حيث كانت تُؤثر عنهم الحكمة وتروى العظة ، ويُتناقل البيان الرفيع .

وأما القصاص فقد كانت صناعتهم تقتضيهم العناية بقوة البيان وحسن الأداء وكانوا ذوى فصاحة وبلاغة . فمنهم موسى بن سيار الأسوارى « كان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به ، فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها بالفارسية ،

(١) ١ : ٢٩٠ .
(٢) ١ : ٢٩١ .
(٣) ١ : ٢٨٤ ، ٢٩٧ .
(٤) انظر الجزء الثانى .

فلا يُدرى بأىِّ لسان هو أبين[1] » .

لذلك ولهذا عقد الجاحظ بابا لذكر النساك والزهاد من أهل البيان[2] ، وآخر لذكر القصاص[3] كما روى طائفة من كلام النساك[4] ومقطعات من كلام القصاص[5] ، كما خصص فى الجزء الثالث من الكتاب بابا كبيرا فى الزهد ساق فيه مواعظ عيسى وداود عليهما السلام ، ومواعظ الحسن وعمر وآخرين من النساك ومن زهاد البصرة والكوفة . وأتبع ذلك بمختارات من دعاء السلف الصالح ، والأعراب والنساك .

النوكى والحمقى :

والجاحظ ذلك المرِح الضاحك ، لا يفتأ يعجَب الناس من هذا الخلق الطريف . أولئك الذين شاء الله أن يكونوا مصدر عبرة وموعظة ، كما شاء أن يكونوا مصدر عزاء وتسرية عن النفس . هؤلاء النوكى والحمقى قد يتفق بعضهم من البيان الساخر ، ومن التبيين العجيب ، ما يكون فى الصدر المقدم من حسن التعبير وجميل التعليل ، كما يتفق لبعضهم أن يريد البيان فيخطئ خطأ ظاهراً أو خفيا ، فيكون كلامه عُواراً جديرا بأن ينبه الجاحظُ على التحذير منه ، و بأن يكشف عما به من خطل ومجانبة للصواب ، كما صنع ذلك فى باب العى . وهو يروى فى الجزء الثانى وفى الجزء الثالث طائفةً من أخبارهم وأقوالهم ؛ ليكون فى ذلك ترويح عن نفس المتصفّح ، ونفع له فى بيانه وعبارته ، وهُدًى له أن يضل السبيل . ويستطرد الجاحظ فيما يستطرد فيلحق بهؤلاء النوكى والحمقى طائفةً خاصّة من المعلمين[6] ، لا يلبث أن يستثنى منهم جماعة من جِلّة المعلمين والمؤدبين.

(1) ١ : ٣٦٨ .
(2) ١ : ٣٦٢ .
(3) ١ : ٣٦٧ .
(4) ١ : ٢١٠ .
(5) فى الجزء الثانى .
(6) ١ : ٢٤٨ - ٢٥٠ .

الاختيارات :

والجاحظ بين الفينة والأخرى يوشّع كتابه بالجيّد المتخيّر من النثر والشعر ، ولا سيما فى الجزأين الثانى والثالث ، حيث تطالعك الأبيات الحسان والفقر المستملحة. فمنها ما يكون شاهداً لما يبغى أن يدعمه ويؤيّده من قضايا البيان ، ومنها ما يرويه ليكون للحفظ والمذاكرة . وقد روى طائفة من مختارات المراثى ، ومن الخمريات ومن هجاء البرامكة ومديحهم ، ومما قيل فى الشيب ، ومما حوى الحكمة والزهد ، وروى كذلك كثيراً من أقوال الأعراب ونوادرهم ، وطائفة من أدب بنى العباس ومجموعة من قصار الخطب وطوالها ، ومتنخّل الرسائل والوصايا ، كما سبق القول .

هذه صورة لست أراها كاملة التكوين مستوفية الوضوح ، ولكنها تقرب الكتاب إلى قارئه تقريبا ، وتخط له الخطوط الرئيسية التى يستطيع بها أن يتتبع ما يحوى الكتاب من فن .

٤ – أثر الكتاب

لعل من نافلة الكلام أن أردد القول فى عظيم أثر هذا الكتاب . ويمكننى أن أقول فى ثقة : إنه ليس يوجد أديب نابهٌ فى العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يُفدِ منه ، وقلَّما تجد أديباً من المحدَثين لم يتمرّسْ بما فيه من أدب . كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدّها كبار المؤلفين القدماء فى مؤلفاتهم كابن قتيبة[١] فى عيون الأخبار ، والمبرد[٢] فى الكامل ، وابن عبد ربه[١] فى العقد ، والعسكرى[٢] فى الصناعتين ، والحُصْرى[٣] فى زهر الآداب وجمع الجواهر ،

(١) سنة ٢١٣ — ٢٧٦ . (٢) سنة ٢١٠ — ٢٨٦ .
(٣) ٢٤٦ — ٣٢٨ . (٤) توفى بعد ٣٩٥ .
(٥) توفى سنة ٤٥٢ .

وابن رشيق[1] فى العمدة ، وعبد القاهر الجرجانى[2] فى دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وأسامة بن منقذ[3] فى لباب الآداب .

٥ – تاريخ تأليفه

ذكرت طرفاً من ذلك فى مقدمة الحيوان[4] ، وسقت الدليل على أن الجاحظ ألّفه فى أخريات حياته ، حين علت به السنّ وقعد به المرض ، وذكرت أيضاً أنه ألّفه بعد كتاب الحيوان ؛ إذ أننى عثرت على نصٍّ قاطع فى البيان والتبيين يدل على ذلك ، وهو قوله : « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لِمَا ذكرتَ من عجبك بذلك ، فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب فى ذلك أوفر إن شاء الله »

ومن المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب البيان والتبيين إلى القاضى أحمد بن أبى دواد[5] ، كما أهدى من قبله كتاب الحيوان إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات المتوفى سنة ٢٣٣ ،وكتاب الزرع والنخل إلى الكاتب إبراهيم بن العباس الصولى المتوفى سنة ٢٤٣ ، وأن كلا منهم أعطاهُ خمسة آلاف دينار[6] .

والذى يعنينا من هؤلاء هو القاضى أحمد بن أبى دواد . كان أحمد من بلغاء الناس وفصحائهم وشعرائهم ، وكان قد برع فى الفقه والكلام حتى بلغ مابلغ وكان من أصحاب واصل بن عطاء المعتزلى ، فصار بذلك إلى الاعتزال ، وكان ذا حظوة عند المأمون ، وقد أوصى به أخاه المعتصم ، فلما صارت الخلافة إليه جعله قاضى القضاة بعد أن عزل يحيى بن أكثم . ولما مات المعتصم وتولى ولده الواثق حسنت

(١) ٣٩٠ — ٤٦٣ .
(٢) توفى سنة ٤٧١ .
(٣) ٤٨٨ — ٥٨٤ .
(٤) مقدمة الحيوان ص ٢٦ .
(٥) ١٦٠ — ٢٤٠ .
(٦) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦) .

حال أبى دواد فى أول خلافته ، فقلد المتوكل ولده محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عُزِل وقلد يحيى بن أكثم ثانية ، وتوفى أحمد سنة ٢٤٠ ، وكان بين محمد بن عبد الملك و بين أحمد بن أبى دواد منافسة شديدة ، وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به ، وكان منحرفا عن أحمد بن أبى دواد للعداوة كانت بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له : لم هربت ؟ فقال : «خفت أن أكون ثانى اثنين إذ هما فى التنور ! » . يريد ما صنع بمحمد و إدخاله تنور حديد فيه مسامير ، كان هو صَنَعه ليعذب الناس فيه ، فعذب هو فيه حتى مات .

ويروى ياقوت[1] ، أنه بعد قتل ابن الزيات جيء بالجاحظ مقيداً إلى مجلس ابن أبى دواد ، فجرت بينه و بين القاضى محاورة انتصر فيها الجاحظ ، وكان من عاقبتها أن رضى عنه ابن أبى دواد وأجازه ، وقربه إلى نفسه .

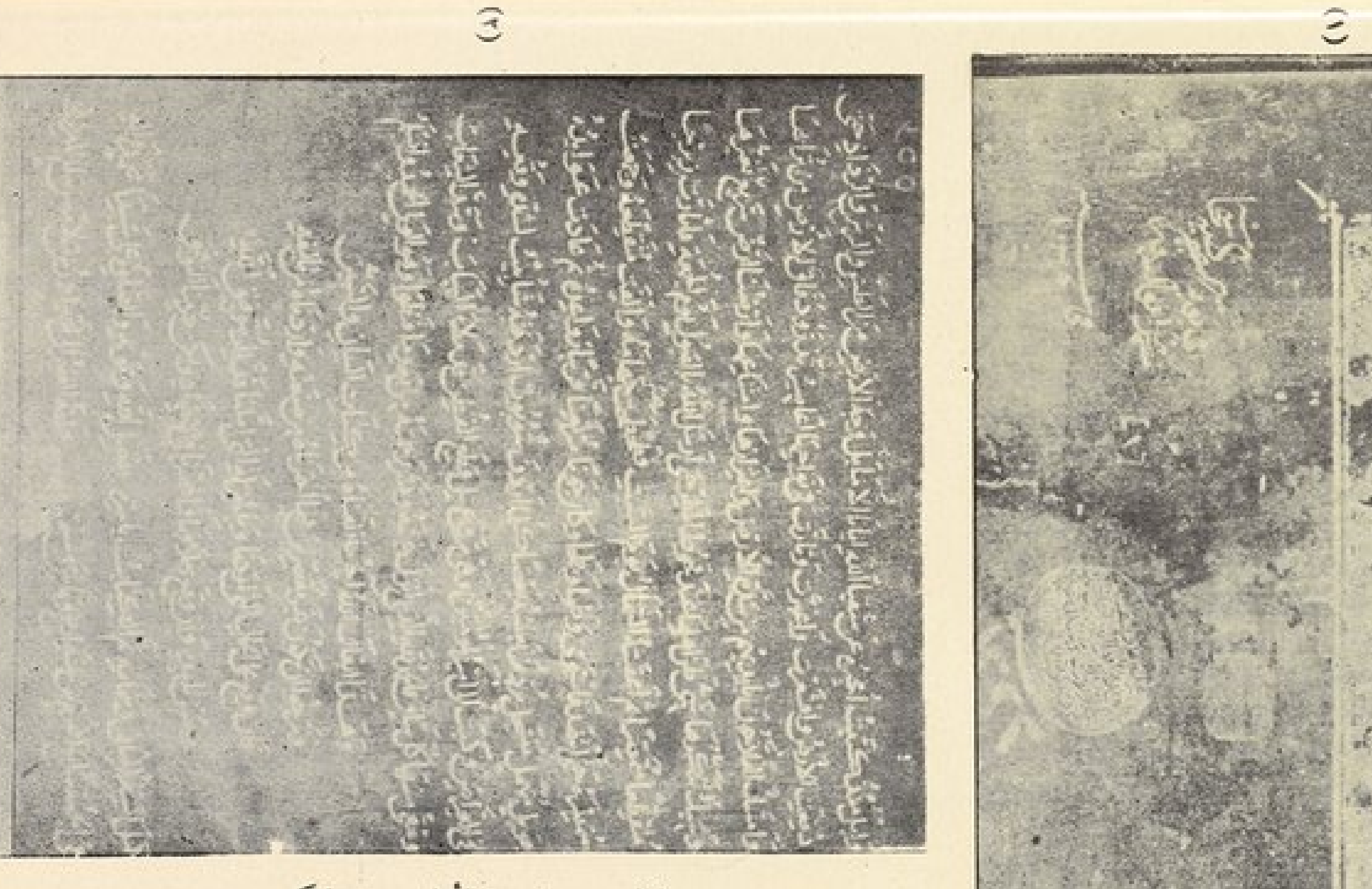
وهذا الخبر يعين لنا أن كتاب البيان والتبيين لم يظهر إلا بعد سنة ٢٣٣ ، وهى السنة التى قتل فيها ابن الزيات .

٦ — نسخ الكتاب

النسخة الأولى والنسخة الثانية :

يذكر ياقوت[2] أن كتاب البيان والتبيين نسختان : « أولى وثانية . والثانية أصح وأجود » . فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صُنْع الله أنى حينما اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضِها ببعض ، تبيَّن لى فى أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلى ، هى أصحّ نسخة من أصول الكتاب

(١) إرشاد الأريب (١٦ : ٧٩) .
(٢) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦) .



(١) صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي
(٢) صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي

ولحظت أيضاً أنها كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات التى لا توجد فى سائر النسخ ، أو توجد ولكن بعبارة أخرى مخالفة . كما أن سائر النسخ كثيراً ما تتفق فى ذكر نصوص وعبارات لا نجدها فى نسخة كوبريلى ، أونجدها ولكن بصورة أخرى . ومهما يكن من شىء فلا ريب عندى أن نسخة كوبريلى هى أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً ، .نستطيع أن نترجم هذا بأن القائم لدينا من أصول الكتاب نسختان : إحداهما نسخة كوبريلى ، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التى قلما تشذ واحدة منها عن الأخرى[1] .

وصف المخطوطات :

جعل الجاحظ كتابه هذا فى ثلاثة أجزاء ، كما نص على ذلك فى أول الجزأين الثانى والثالث . وقد توافر لى من نسخ الكتاب أربع مخطوطات :

(الأولى) : نسخة مكتبة كوبريلى[2] المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٧٠ أدب) ، المرموز لها بالرمز (ل) . وهذه النسخة المصورة فى أربع مجلدات أصلها المخطوط جزءان اثنان ، ولكنها مع ذلك تنبّه فى آخر كل جزء من تقسيم الجاحظ على أنه قد انتهى وابتدأ الذى يليه . والجزء الأول فى ٣٥٦ صفحة والثانى فى ٣٥٥ ، وفى كل صفحة ١٧ سطراً ، وبكل سطر نحو عشرين كلمة . وهذه النسخة القديمة مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق . وفى نهايتها : « كمل السفر الثانى ، وبتمامه تم الكتاب بأسره بفضل الله وعونه . والصلاة على

(١) تجد أيضا أن افتتاح نسخة كوبريلى وحدها « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » أما سائر النسخ فتتفق فى أن افتتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد النبى الكريم وسلم ، عونك اللهم وتيسيرك » .

(٢) نص خاتم وقف هذه المكتبة « هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد ، عرف بكوبريلى ، أقال الله عثاره ١٠٨٨ » .

سيدنا محمد وآله فى الجمعة سابع المحرم من سـنة أربع وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى » .

(الثانية) : نسخة دار الـكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) وهى المرموز لها بالرمز (ب) وهى فى مجلد واحد يقع فى ٧٠٠ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١٣ كلمة ، وهى مكتوبة بالخط الفارسى الجميل وليس بهـا ضبط ، وعنوانها عجيب « كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليـه حسناً وبلاغة » . وكتب فى صدرها أيضاً « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة على ذمة الـكتبخانة الخديوية . ومضاف فيماه مايو سنة ١٨٨٢ » . وكلمة « فيماه » مكونة من « فى » العربية ، و « ماه » الفارسية التى بمعنى شهر ، فتاريخ هذه النسخة يرجع إلى سنة ١٢٩٩ الهجرية .

(الثالثة) : نسخة دار الـكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) وهى المرموز إليها بالرمز (حـ) وهى فى مجـلد يقع فى ٧٥١ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١١ كلمة . وهى مكتوبة بالخط المعتاد وليس بها ضبط ، ولـكن بها أثر قراءة وتصحيح ، وبعض كتابات ذاهبة فى الندرة بخط المغفور له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى ، وقد ألصق بآخرها ورقة بها تعليقات فهرسية لمواضع متفرقة من الـكتاب بخطه أيضاً . وفى خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ من كتابة هـذا الـكتاب يوم الخميس المبارك الموافق ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ثلثمائة وتسعة بعد الألف ، على يد كاتبها الفقير راجى عفو الـكريم ، محمد سليم » .

(الرابعة) : نسخة المـكتبة التيمورية المحفوظة برقم (٤٩٨ أدب) ، وهى فى

مجلد واحد به ٥٨٨ صفحة مكتوبة بالخط الفارسي المعتاد ، و بكل صفحة ١٩ سطراً و بكل صفحة نحو ١٧ كلمة ، و بهوامش هذه النسخة تعليقات كثيرة بخط الناسخ وكتب فى صـدرها : « من كتب الفقير عبـد السلام المويلحى فى ٢ رجب سنة ١٢٨٥ » ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ ، وبها عدة أسقاط قَيَّد مواضعها فى أول الـكتاب العلامة المغفورله أحمدتيمور باشا . وتبلغ هذه الأسقاط نحو ٢٠ صفحة من مواضع متفرقة .

الطبعات السابقة :

(١) النشرة الأولى فى مجلدين فى ٢٢٢ صفحة و ١٩٠ صفحة ، وذلك بالمطبعة العلمية من سنة ١٣١١ — ١٣١٣ ، عنى بها حسن أفندى الفا كهانى إلى نهاية الـكراسة السابعة من الجزء الأول ، وباقى الـكتاب بعناية الشيخ محمـد الزهرى الغمراوى ، وهـذه النشرة مجردة من الضبط ، وبها تعليقات يسيرة فى الجزء الأول فقط .

(٢) النشرة الثانية فى ثلاث مجلدات فى ٢١٨ صفحة ، ١٩٦ صفحة ، ٢٣٦ صفحة . وذلك فى مطبعة الفتوح ومطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ . أشرف عليها الأستاذ الـكبير السيد محب الدين الخطيب ، ونجد فى نهاية الجزء الثالث : « وكتب بعض حواشى هـذا الجزء إبراهيم بن محمد الدلجمونى الأزهرى[1] ، عفى عنه » . وهذه الطبعة بها قليل من الضبط وقليل من التعليق ، وتمتاز عن سابقتها بالإشارة إلى بعض روايات النسخ المخطوطة ، ومما يجدر ذكره أن تلك النسخ المخطوطة غير معينة .

(١) كان غفر الله له من أعلام أدباء الأزهر ، وقد تلمذت له عاما فى الأزهر سنة ١٣٤٠ ومن آثاره شرح ديوان الحماسة المنسوب للرافعى ، ونشرة من كامل المبرد .

(٤،٣) النشرة الثالثة والرابعة ، صنع الأستاذ الجليل حسن السندوبى ١٣٤٥ و ١٣٥١ وكل منهما فى ثلاث مجلدات ، وتمتاز الرابعة بكثرة التعليقات والتراجم ، وألحق بهما بعض الفهارس .

هذا وقد طبع كتاب عنوانه « منتخبات من البيان والتبيين » يقع فى ثمانين صفحة ، وذلك بمطبعة الجوائب ١٣٠١ ثم بمطبعة الرغائب ١٣٢٨ . وكتاب آخر عنوانه « مختار البيان والتبيين » باعتناء الأديبين خليل بيدس ، وشريف النشاشيبي ، وهو فى ٢٤٨ صفحة طبع بمطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٣ الميلادية .

٧ – تحقيق الكتاب

عند ما فرغت من تحقيق تلك المَعْلمة الكبيرة ، أعنى كتاب الحيوان ، رأيت أن ألتمس شيئاً من الهدوء والرَّوح ، إثر ذلك المجهود العاتى ، ولكن تلك الرغبة الملحة فى بعث مكتبة الجاحظ ، وهى رغبة توشك أن تكون جهاداً ، حملتنى أن أدخل فى الميدان كرة أخرى ، استجابة لدعوة النفس ، وتلبية لإرادة صديق كريم أثيرٍ لدىّ ، هو الأستاذ « عبد السلام محمد الناظر » الذى سعدتُ بأخوته وزمالته زهاء ربع قرن قضينا منها ثمانى سنين جنباً إلى جنب زمانَ الطلب بدار العلوم ، فقد أرادنى على أن أعجل بوفاء ما وعدت به من قبل ، فكان بتلك الرغبة الكريمة وبما أخذ على عاتقه من المشاركة فى نفقات الطبع ، صاحب فضل عظيم فى ظهور هذه النشرة الحديثة من البيان التى جعلت إهداءها إليه .

وكان الأدباء من قبلُ يجدون كثيراً من العسر ، ويلمسون كثيراً من الاستغلاق ، الناجم عن تحريف النصوص وتصحيفها ، وقلة التعرض لبيان ما بها

من إشارة ، وحل ما فيها من رموز ، فلما شرعت فى تحرير هذا الكتاب هالنى ما رأيت فى الطبعات السابقة من تحريف وتشويه ، مع أن الذين تولوا هذه النشرات علماء فضلاء ، ذاك أنهم لم يعنوا بدراسة الأصول المخطوطة دراسة متصلة ، ولم يراعوها مراعاة تامة ، فلم يسعفهم فضلهم الواسع بإخراج النسخة القريبة من السلامة ، أما نسختنا هذه فقد عورضت على المخطوطات التى أسلفت وصفها فى الفصل السابق ، وصنعت — فيما نرى — على ماتقتضيه أساليب النشر الحديث وأُعدَّت لها الفهارس الكاشفة عن خباياها وما بها من خير كثير .

وقد اتَّخذتُ نسخة كوبريلى أصلاً لهذه النشرة ، منبهاً على ما بينها و بين سائر النسخ من خلاف . وما كان من زيادة فى هذه النسخة على سائر النسخ لم أنبه عليه ، وهو كثير ، وما كان من زيادة فى سائر النسخ أضفته بين معقفين : [ ] ونبهت عليه ، على أننى فيما بعد صفحة ٢٩٤ من هذا الجزء قد أضربت عن هذا التنبيه ؛ تجنُّباً للإسهاب ، وجعلت وضع الكلمة بين المعقفين دليلاً على أنها من سائر النسخ ، وقد أثبت أرقام نسخة الأصل على جوانب الصفحات مكتفياً بذكر الصفحات عن ذكر رقم الجزء ؛ فإن الجزء الثانى من الأصل إنما يبدأ فى نحو منتصف الجزء الثانى من نشرتنا هذه ، وسأنبه على ذلك فى حينه .

وعُنيت بضبط الكتاب محققاً مابه من الألفاظ الغريبة والكلمات الفارسية والبصرية ونحوها ، كما عنيت خاصة بتحقيق الأعلام وترجمتها على ما فى ذلك من عُسر شديد وجهد جهيد ، فقد أرْبَت الأعلام المترجمة فى هذا الجزء فقط على الأربعمائة والأربعين ، وبذلت العناية فى تحقيق النصوص وتخريجها، ونسبة الشعر إلى قائله ، منبها على المراجع من الدواوين وغيرها من كتب اللغة والأدب والتاريخ والسِّيَر والحديث والتفسير والقراءات .

وأما تقسيم الكتاب فقد أبقيته كما صنع الجاحظ ، ثلاث مجلدات ، لم أحدث فيه تغييراً ، ولم أضف إليه شيئاً من العناوين .

وقد شك بعضهم فى التفسيرات اللغوية التى وردت فى صلب الكتاب ، فظن أنها من زيادات القراء والناسخين ، وقد فاته أن الجاحظ قد عمد إلى تفسير كثير من لغات كتابيه : الحيوان ، والبيان . ويجد القارئ فى ثنايا الحيوان كثيراً من التفسيرات والنصوص اللغوية التى تناقلها اللغويون ورووها عن الجاحظ . ولقد استطعت أن استخرج فهرساً كبيراً للمواد اللغوية الجاحظية فى كتاب الحيوان ، وقع فى نحو ٢٧ صفحة[1] ، لذلك حافظت على هذه النصوص وأبقيتها فى مكانها من صلب الكتاب .

٨ — الفهارس

وستضاف إلى الكتاب فهارس تقتضيها طبيعته ، وهى :

١ — فهرس البيان والبلاغة .

٢ — « الخطب .

٣ — « الرسائل والوصايا .

٤ — « الأشعار والأرجاز

٥ — « الأمثال .

٦ — « اللغات .

٧ — « الأعلام .

٨ — « القبائل والأرهاط والطوائف .

---

(١) انظر الحيوان (٧ : ٥٨٨ — ٦١٥)

٨ — فهرس البلدان .

١٠ — « أيام العرب .

١١ — « معالم الحضارة .

١٢ — « الكتب .

ويلحق بها من بعدُ جريدةُ تعيين المراجع والمصادر ، وطائفةٌ من الاستدراكات العامة للكتاب .

اللهم منك نستمدّ التوفيق ، وبك نستعين ، وعليك نعتمد . والحمد لله رب العالمين ؟

منشية الصدر فى صبيحة الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٧
١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨

عبد السلام محمد هارون

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون
المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان عمرو بن بحر ، رحمه الله :

اللهم إنّا نعوذ بك من فِتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلُّف لما لا نُحسِن كما نعوذ بك من العُجْب بما نحسن ، ونعوذ بك من السَّلاطة والهَذَر[1] ، كما نعوذ بك من العِيّ والحَصَر . وقديماً ما تَعَوَّذُوا بالله من شرِّهما ، وتضرَّعوا[2] إلى الله فى السلامة منهما .

وقد قال النَّمر بن تولب[3] :

أَعِذْنِي ربِّ مِن حصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفْسٍ أعالجها علاجا

وقال الهُذَلىّ[4] :

ولا حَصِرٌ بخُطبتِه إذا ما عَزّتِ الخُطَبُ[5]

وقال مَكّىُّ بنُ سَوادة[6] :

(١) السلاطة : حدة اللسان ، والصخب . والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

(٢) كتب إزاءها فى ل : « ورغبوا » إشارة إلى أنه كذلك فى نسخة .

(٣) النمر بن تولب : شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا . وكان أحد أجواد العرب الذ كورين وفرسانهم . الإصابة ٨٠٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والخزانة (١: ٢٩١) . ويقال « النمر » بكسر الميم ، وصحح ابن دريد فى الاشتقاق ١١٣ أنه بفتح النون وسكون الميم .

(٤) هو أبو العيال الهذلى ، أحد الشعراء المخضرمين ، عمر إلى خلافة معاوية ، وكان هو وبدر بن عامر يسكنان مصر ، خرجا إليها فى خلافه عمر بن الخطاب ، الأغانى (٢٩ : ١٦٧) والإصابة ٨٠٣ من باب الكنى .

(٥) البيت من أبيات فى الأغانى ، والقصيدة فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ١٣٧ ١٣٧ ومخطوطة الشنقيطى من الهذليين ٩٥ . وفى شرح السكرى : « عزت : غلبت وقلت ، عند ملك أو فى جمع » .

(٦) مكى بن سوادة البرجمى البصرى ، ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٧١ .

حَصِرٌ مُسْهِبٌ جرِىءٌ جَبانٌ   خيرُ عِيِّ الرجال عِيُّ السُّكوتِ

وقال الآخر :

مَلِئٌ بِبُهْرٍ والتفاتٍ وسَعْلَةٍ   ومسحةِ عُثْنونٍ وفتل أصابعِ [1]

ومما ذمُّوا به العِيَّ قولُه :

وما بىَ مِن عِيٍّ ولا أنطقُ الخَنا   إذا جمع الأقوامَ فى الخطب مَحْفِلُ

وقال الراجز وهو يمتَحُ بدلوه [2] :

علقتُ يا حارثُ عند الوِردِ   بجابِئٍ لا رَفِلِ التَّردِّى [3]

* ولا عَيِىٍّ بابْتِناء المجدِ [4] *

وهذا كقول بشّارٍ الأعمى :

وعِىٌّ الفَعَـــالِ كعِيِّ المقال   وفى الصَّمت عِيٌّ كعِىِّ الكَلِمْ

وهذا المذهب شبيهٌ بما ذهب إليه شُتَيم بن خُوَيلِد [5] فى قوله :

ولا يَشعَبون الصَّدْعَ بعـــد تفاقُمٍ   وفى رِفق أيديكم لِذِى الصَّدْعِ شاعِبُ [6]

ومثل هذا قول زَبّان بن سَيّار [7] : ٣

ولسنا كأقوام أجدُّوا رِيَاسـة   يُرَى مالُهـــا ولا يُحَسُّ فَعالُها

يُرِيغون فى الخِصْبِ الأمورَ ونفعُهمْ   قليلٌ إذا الأموالُ طال هُزالُها [8]

---

(١) هذه رواية ل . وفى سائر النسخ والكامل ٢٠ ليبسك : « الأصابع » .

(٢) الرجز فى الحيوان (٣ : ٤١٩) .

(٣) الجابئ : الذى يطلع فجأة . والرفل : الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . ل : « لجاءنى » صوابه فى سائر النسخ .

(٤) ل : « ولا عيا » وفى هامشها « الرواية : بجابئ . ولا عي » .

(٥) شتيم بن خويلد : شاعر جاهلى ، كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤) . وشتيم بهيئة التصغير .

(٦) ل : « لذى الصدع » .

(٧) زبان بن سيار بن عمرو الفزارى ، شاعر جاهلى كان بينه وبين النابغة الذبيانى مهاجاة . الأغانى (٣ : ٧٩ — ٨٠) والاشتقاق ١٧٢ .

(٨) يريغون : يطلبون ويدبرون . الأموال : الإبل .

وقُلنا بلا عِيٍّ وسُسْنا بِطاقةٍ   إذَا النارُ نارُ الحربِ طال اشتعالُها

لأنَّهم يجعلون العجزَ والعِيَّ من الخُرْق ، كانا فى الجوارح أم فى الألسنة .

وقال ابن أحمرَ الباهلىّ :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف لى   بالعلم بعـــــد تدبُّرِ الأمرِ[١]

وقالوا فى الصمت كقولهم فى المنطق . قال أُحَيْحَة بن الجُلاح :

والصمت أجمَل بالفتى   ما لم يكن عِيٌّ يَشينُه[٢] ،

والقول ذوخَطَـــل إذا   مَا لم يكن لُبٌّ يُعينُهُ

وقال مُحرِزُ بن علقمة :

لقد وارَى المقـابرُ من شُرَيْكٍ   كثيرَ تحـلُّمٍ وقليلَ عابِ[٣]

صموتاً فى المجـالس غير عَىٍّ   جديراً حين ينطق بالصّوابِ

وقال مكّىُّ بنُ سوادةَ :

تسلَّمَ بالسُّكوت من العيوب   فكان السُّكْتُ أجلبَ للعيوبِ

ويرتجلُ الكلامَ وليس فيـه   سوى الهَذَيانِ من حَشْدِ الخطيبِ

وقال آخر[٤] :

جمعتَ صنوف العِيِّ من كلِّ وِجهَةٍ   وكنتَ جديراً بالبلاغةِ من كَثَبْ[٥] .

---

(١) فى هامش ل : «تدبر هاهنا من الأدبار» . وفى اللسان : «وعرف الأمر تدبرا ، أى بأخرة . قال جرير :

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم   ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا» .

(٢) فيما عدا ل : «أحسن بالفتى» . وسيعاد البيتان فى (٢ : ٣٧) .

(٣) ل : «كبير تحلم» والوجه ما فى سائر النسخ .

(٤) فى الكامل ٢٠ ليبسك : «وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعى ، وكان أبوه خطيبا وخاله» .

(٥) فيما عدا ل : «وكنت حريا» . وفى الكامل : «وكنت مليئا» .

* أبوكَ مُعِمٌّ فى الكلام ومُخْـــولٌ　　　وخالكَ وثابُ الجرائمِ فى الخُطَبْ ٤

وقال حُميدُ بن ثورِ الهلالى(١) :

أتانا ولم يعدِلْه سحبانُ وائلٍ　　　بيانًا وعلمًا بالذى هو قائلُ
فما زال عنه اللُّقْمُ حتّى كأنّه　　　من العِىِّ لما أنْ تكلَّمَ باقلُ

سحْبانُ مثَلٌ فى البيان ، وباقلٌ مثل فى العىّ ، ولهما أخبارٌ .

وقال الآخر :

ماذا رُزِينا منــكِ أمَّ الأسْودِ　　　من رُحْبِ الصّدرِ وعقلٍ مُتْلَدِ(٢)
* وهى صَنَاعٌ باللسانِ واليد *

وقال آخر(٣) :

لو صَخِبَتْ شهرَينِ دأبًا لم تمَلّْ　　　وجعلَتْ تُكثر من قولٍ وَبَلْ(٤)
حُبُّكَ للباطل قِدْمًا قد شَــغَلْ　　　كَسْبَكَ عن عِيالنا قلتُ أجَلْ
* تضجُّراً منّى وعِيًّا بالحِيَلْ *

---

(١) كذا . والصواب أن صاحب الشعر هو حميد الأرقط ، كما فى اللسان (بقل ٦٥). وحميد الأرقط شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصرا للحجاج ، كما فى الخزانة (٢ : ٤٠٤) نقلا عن الأنساب . وقد ذكر الحجاج فى قوله من أبيات هذه القصيدة :

يقول وقد ألقى المراسى للقرى　　　أبن لى ما الحجاج بالناس فاعل

وأما حميد بن ثور الهلالى فصحابى عاش إلى خلافة عثمان . الأصابة ١٨٢٠ .

(٢) يقال رحب رحبا ، كحسن حسنا ، ورحب رحبا كتعب تعبا . والمتلد : القديم . وفى اللسان (تلد) :

ماذا رزينا منك أم معبد　　　من سعة الحلم وخلق متلد

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن عيسى البهدلى ، شاعر كان فى عصر هارون الرشيد كما فى أمالى ثعلب ٨٢ من المخطوطة .

(٤) تقرأ أيضا « وبل » كفرح ، كما أشير ذلك فى هامش ل . وفى أمالى ثعلب : « من قول العلل » .

قال : وقيل لبُزُرْجِمْهِر الفارسىّ[1] : أىُّ شىء أسترُ للعَىّ ؟ قال : عقلٌ يجمّله . قالوا : فإن لم يكن له عقلٌ . قال : فمالٌ يستره . قالوا : فإن لم يكن له مال قال : فإخوانٌ يعبِّرون عنـه . قالوا : فإن لم يكن له إخوانٌ يعبِّرون عنه . قال : فيـكون عييًّا صامتا . قالوا : فإن لم يكنْ ذا صَمْت . قال : فموتٌ وحىٌّ خيرٌ له من أن يكونَ فى دار الحياة .

وسأل الله عز وجل موسى بنَ عمران ، عليه السلام ، حين بعثه إلى فرعونَ بإبلاغ رسالته ، والإبانةِ عن حجّته ، والإفصاح عن أدِلّته ، فقال حين ذكر العُقْدة التى كانت فى لسانه ، والحُبْسة التى كانت فى بيانه : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ .

وأنبأنا اللهُ تبارك وتعالى عن تعلّق فرعونَ بكلّ سبب ، واستراحتِه إلى كل شَغَب ، ونبّهنا بذلك على مذهبِ كلّ جاحدٍ معاند ، وكلّ مُختالٍ مكايِد ، حين خبّرنا بقوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ . وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ ﴾ .

وقال موسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ وقال : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ رغبةً منه فى غاية الإفصاح بالحجّة ، والمبالغةِ فى وضوح الدّلالة ؛ لتكون الأعناقُ إليـه أمْيَلَ ، والعقولُ عنه أفهمَ ، والنفوسُ إليه أسرعَ ، وإن كان قد يأتى من وَراء الحاجة ، ويَبْلغ أفهامَهم على بعض المشقّة .

ولله عزّ وجلّ أن يمتحِنَ عبادَه بما شاء من التخفيف والتّثقيل ، ويبلُوَ أخبارَهم كيف أحَبَّ من المحبوب والمكروه . ولـكلّ زمانٍ ضربٌ من المصلحة ونوعٌ من المِحْنة ، وشكلٌ من العبادة .

(١) هو بزرجمهر بن البختكان ، الحكيم الفارسى ، وهو الذى قص تاريخ انتساخ كتاب كليلة ودمنة وترجمتـه من كتب الهند . وتجد كثيرا من أقواله وحكمه منثورة فى عيون الأخبار لابن قتيبة .

ومن الدَّليل على أنّ الله تعالى حَلّ تلك العقدة ، وأطلق ذلك التعقيد والحُبسة ، قولُه : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى ﴾ . فلم تقع الاستجابة[1] على شيء من دُعائه دون شيء ؛ لعُموم الخبر .

وسنقُول في شأنِ موسى عليه السلام ومسألته ، في موضعه من هذا الكتاب إنْ شاء الله .

وذكر اللهُ تبارك وتعالى جميلَ بلائه في تعليم البيان ، وعظيمَ نِعمته في تقويم اللّسان ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ومدح القرآنَ بالبيان والإفصاح ، وبحسن التّفصيل والإيضاح ، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ ، وسماه فرقاناً كما سمّاه قرآناً . وقال : ﴿ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ[2] ﴾ ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ .

وذكر الله عزّ وجلّ لنبيّه عليه السلام حالَ قريش في بلاغةِ المنطق ، ورجاحة الأحلامِ ، وصحّة العقول ، وذكر العربَ وما فيهم[3] من الدّهاء والنَّكْراء والمَكْر ، ومن بلاغة الألسنة ، واللَّدَد عند الخُصومة ، فقال تعالى : ٦
﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ لِتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً ﴾ ، وقال : ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، وقال :

---

(١) ل : « الإجابة » .

(٢) الآية ١٩٥ من الشعراء ، وهي بتمامها : (بلسان عربي مبين) .

(٣) فيا عدال « وما فيها » .

﴿ ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ . ثم ذكر خلابةَ ألسنتهم ، واستمالتَهم الأسماعَ بحُسن منطقهم ، فقال : ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ مع قوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ .

وقال الشاعر فى قوم يُحسنون فى القول و يسيئون فى العمل ، قال أبو حفص[(١)] أنشدنى الأصمعىّ للمكعبَر الضبّى[(٢)] :

كُسالى إذا لاقيتَهم غيرَ منطقٍ ... يُلَهَّى بِهِ المحروبُ وهو عناءُ

وقيل لزُهمان[(٣)] : ما تقول فى خُزاعة ؟ قال : جوعٌ وأحاديث !

وفى شبيه بهذا المعنى قال أُفنون بن صُرَيم التغلبىّ :

لو أنّنى كنتُ مِن عادٍ ومن إرَمٍ ... رَبِيتُ فيهم ومِن لقمانَ أو جَدَنِ[(٤)]

لَمَا وقَوْا بأخيهم من مُهوَّلَةٍ ... أخا السُّكونِ ولا حادُوا عن السَّنَنِ[(٥)]

أنَّى جَزَوْا عامراً سُوأَى بفِعلِهِمُ ... أم كيفَ يجزُونَنى السُّوأَى من الحَسَنِ[(٦)]

---

(١) أبو حفص ، كنية عمر بن عثمان الشمرى .

(٢) المكعبر الضبي ، اسمه حريث بن عفوط ، كما فى حواشى الكامل ٤٨ ليبسك . والبيت التالى من أبيات منسوبة إليه فى الكامل . ولكنها فى الحماسة (٢ : ١٩١ — ١٩٣) منسوبة إلى ولده محرز بن المكعبر . وهو يهجو بالشعر بنى عدى بن جندب ، وكان استنجد بهم ليستردوا له إبله التى اغتصبتها بنو عمرو بن كلاب ، فلم يصنعوا شيئاً . و « المكعبر » بكسر الباء . وفى اللسان : « ويقال كعبره بالسيف ، أى قطعه ، ومنه سمى المكعبر الضبي ، لأنه ضرب قوما بالسيف . وضبط فى الحماسة بالفتح ، وأجاز التبريزى الكسر أيضاً ، تبعا لابن جنى فى المبهج ٣٦ .

(٣) فيا عدال : « لذوهمان » .

(٤) ل : « غذى قيل ولقمان وذى جدن » . والأبيات مشروحة مفصلة فى المفضليات ٢ : ٦٢ وخزانة الأدب (٤ : ٤٥٦) .زوانظر أمالى الزجاجى ٣٥ والقالى (٢ : ٥١) .

(٥) ل : « لما فدوا » و « ولا جاروا » . وأشير فى هامشها إلى رواية « وقوا » .

(٦) ل : « سوءا » وأشير فى هامشها إلى رواية « سوأى » .

أم كيفَ ينفعُ ما تُعطِي العَلُوقُ به رِئمانَ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبنِ

رِئمان ، أصله الرّأفة والرّحمة . والرّءوم أرقُّ من الرءوف . فقال : « رِئمان أنف » كأنها تَبَرُّ ولدَها بأنفها وتمنعُه اللبن .

ولأنّ العربَ تجعلُ الحديثَ والبَسط ، والتأنيس والتلقِّيَ بالبِشر ، من حقوق القِرَى ومن تمام الإكرام . وقالوا : « مِن تمام الضِّيافةِ الطَّلاقةُ عند أوّلِ وَهْلة ، وإطالةُ الحديث عند المواكلة » . وقال شاعرُهم — وهو حاتم الطائيّ[١] :

سَلِي الجائعَ الغَرثانَ يا أمَّ مُنذِرٍ إذا ما أتاني بين ناري ومَجزِري

هَلَ ابسُطُ وجهي أنّه أوّلُ القِرَى وأبذُلُ معروفي له دون مُنكَرِي ٧

وقال الآخر :

إنّك يا ابنَ جعفرٍ خيرُ فتًى وخيرُهم لطارقٍ إذا أتى

ورُبَّ نِضوٍ طَرَقَ الحيَّ سُرًى صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى

* إنّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى *

وقال الآخر[٢] :

لحافي لحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتُه ولم يُلهِني عنه غزالٌ مقنَّعُ

أُحدِّثُه إنّ الحديثَ من القِرى وتعلمُ نفسي أنّه سوف يهجعُ

ولذلك قال عمرو بن الأهتم[٣] :

---

(١) لعل هذه العبارة من زيادة بعض القراء . وإلا فإن الشعر ليس لحاتم ، بل هو لعروة بن الورد في ديوانه ٩٩ والحماسة (٢ : ٢٥٨) .

(٢) هو عروة بن الورد العبسي ، ديوانه ١٠٠ . ونسب البيتان في الحماسة (٢ : ٣٣٥) إلى عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمي . ونسبا مع غيرهما في الأغاني (١١ : ١٤٩) إلى العجير السلولي ، وذكر أن من الناس من ينسبها لعروة .

(٣) هو عمرو بن سنان — وهو الأهتم — بن سمي بن سنان بن خالد ، كان سيدا من سادات قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شريفاً جميلا ، وكان يقال لشعره « الحلل المنشرة » . وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم ، وسأله الرسول عن الزبرقان بن بدر =

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً　　فهذا مَبيتٌ صالحٌ وصديقُ[1]

وقال آخر[2] :

أُضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رَحْلِهِ　　ويُخصب عندى والمحلُّ جديبُ
وما الخِصبُ للأضيافِ أن يكثُرَ القِرَى　　ولكنّما وجهُ الكريمِ خصيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ وقال : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ . وقال : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ . وقال : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ .

وعلى هذا المذهب قال : ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ . وقال الشاعر فى نظر الأعداء بعضِهم إلى بعض :

يتقارضون إذا التقَوْا فى موقفٍ　　نظراً يُزيلُ مَواطِئَ الأقدامِ[3]

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ؛ لأنّ مدار الأمرِ على البيان والتبيين ، وعلى الإفهام والتفهيم . وكلّما
٨ كان اللّسانُ أبْيَنَ كان أحمدَ ، كما أنه كلما كان القلبُ أشدَّ استبانةً كان أحمد . والمفهِمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان فى الفضل ، إلاّ أنّ المفهِم أفضل من المتفهِّم

= فدحه ثم هجاه ، ولم يكذب فى الحالين ، فقال رسول الله « إن من الشعر حكما وإن من البيان سحرا » .

(١) البيت من قصيدة طويلة لعمرو بن الأهتم فى المفضليات (١ : ١٢٣ — ١٢٥) برواية : « فهذا صبوح راهن وصديق » .

(٢) هو الخريمى ، كما فى عيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) . والخريمى هو إسحاق بن حسان ابن قوهى ، كما فى الحيوان (١ : ٢٢٤) .

(٣) وكذا ورد إنشاده فى اللسان (قرض) . وقد أشير فى هامش ل إلى رواية « يزل مواقع الأقدام » فى نسخة . وفيها عدال « يزيل مواقع » .

وكذلك المعلِّم والمتعلِّم . هكذا ظاهرُ هذه القضية ، وجُمهور هذه الحكومة ، إلا فى الخاصّ الذى لا يُذكَر ، والقليلِ الذى لا يُشهَر .

وضرب الله عزّ وجل مثلاً لعىّ اللسان ورداءة البيان ، حين[1] شبّه أهلَه بالنساء والولدان ، فقال تعالى : ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ . ولذلك قال النمِر بن تولَب :

وكلُّ خليلٍ عليـه الرِّعاثُ والحُبُلاتُ ، ضعيفٌ مَلِق[2]

الرِّعاث : القِرَطَة . والحُبُلات : كلُّ ما تزيّنت به المرأةُ من حَسَن الحلْى ، والواحدةُ حُبْلَة .

وليس ، حَفِظك الله ، مضرّةُ سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسَقَطات الخطَل يوم إطالة الخُطبة ، بأعظمَ مما يحدُث عن العىّ من اختلال الحجّة ، وعن الحَصَر من فوت دَرَك الحاجة . والناس لا يعيِّرون الخُرْس ، ولا يلومون مَن استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحَصِرَ ، ويؤنّبون العييّ ، فإن تكلّفا مع ذلك مقاماتِ الخطباء ، وتعاطَيا مناظرة البلغاء[3] ، تضاعف عليهما الذمّ وترادَفَ عليهما التأنيب . ومماتنةُ العَىِّ الحصِرِ للبليغ المِصقَع ، فى سبيل مماتنَة المنقطع المفحَم للشاعر المفلق[4] ؛ وأحدُهما ألوَمُ من صاحبه ، والألسنةُ إليه أسرع .

وليس اللَّجلاج والتَّمتام ، والألثغ والفأفاء ، وذوالحُبسَة والحُكلة والرُّتة[5] وذو اللَّفَفِ والعجلة[6] ، فى سبيل الحَصِر فى خطبته ، والعييّ فى مناضلة خصومه ،

---

(١) ل : « حتى » .
(٢) البيت فى اللسان (رعث) .
(٣) ل : « مناضلة البلغاء » .
(٤) ماتن فلان فلانا ، إذا عارضه فى جدل أو خصومة .
(٥) الحكلة : شبه العجمة ، لا يبين صاحبها الكلام . والرتة : عجلة فى الكلام وقلة أناة .
(٦) رجل ألف ، أى عي بطىء الكلام ، إذا تكلم ملأ لسانه فمه .

كما أن سبيلَ المُفحَمِ عند الشعراء ، والبكىء عند الخطباء ، خلافُ سبيلِ المُسْهِبِ الثَّرثار ، والخَطِلِ المِكْثار .

ثم اعلم — أبقاك الله — أنّ صاحب التشديق والتقعير والتقعيب[1] من الخطباء والبلغاء ، مع سماجة التكلّف ، وشُنعةِ التزيُّد ، أعذرُ من عييّ يتكلف الخطابة ، ومن حَصِرٍ يتعرض لأهل الاعتياد والدُّرْبَة . ومَدارُ اللائمة ومستقرُّ المذمّة حيث رأيتَ بلاغةً يخالطها التكلف ، و بياناً يمازجه التزيّد . إلاّ أنّ تعاطيَ الحَصِرِ المنقوصِ مَقامَ الدربِ التامّ ، أقبحُ من تعاطي البليغ الخطيب ، ومن تشادُقِ الأعرابيّ القُحّ . وانتحالُ المعروفِ ببعض الغَزارة في المعاني والألفاظ ، وفي التحبير والارتجال ، أنّه البحرُ الذي لا يُنزَح والغَمْرُ الذي لا يُسبَر ، أيسرُ من انتحال الحَصِرِ المنخوب أنّه في مِسلاخِ التامّ[2] الموفَّر ، والجامعِ المحكَّك[3] .

و إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : « إيايَ والتشادُق » ، وقال : « أبغضكمُ إليَّ الثرثارون المتفيهقون[4] » ، وقال : « مَن بدا جَفا » ، وعاب الفدّادِين[5] والمتزيِّدين ، في جَهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق ، ورُحْبِ الغلاصم وهَدَلِ الشِّفاه ، وأعلَمَنا أنّ ذلك في أهل الوبر أكثر ، وفي أهل المدر أقل — فإذا عابَ المدريّ بأكثرَ مما عاب به الوبريّ[6] ، فما ظنُّك بالمُولَّد القَرَوِيّ والمتكلِّف البلديّ . فالحَصِرُ المتكلِّف والعييُّ المتزيِّد ، ألوَمُ من البليغ المتكلِّف

(١) التقعير : أن يتكلم بأقصى فمه . والتقعيب في الكلام كالتقعير فيه .
(٢) المنخوب : الجبان الضعيف القلب . والمسلاخ ، الجلد ، أراد أنه في هيئته ومنزلته .
(٣) المحكك : المنجذ ، الذي قد جرب الأمور وعرفها .
(٤) المتفيهقون : الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ، وهو الامتلاء والاتساع .
(٥) في الحيوان (٥ : ٥٠٧ — ٥٠٨) : « الفداد : الجافي الصوت والكلام » . وقد ساق في ذلك خبرا وحديثا .
(٦) المدري : الحضري ، ومباني أهل الحضر بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس . والوبري : ساكن البادية ، والبداة يتخذون بيوتهم من الوبر .

لأكثرَ مما عنده . وهو أعذر ؛ لأنّ الشُّبهة الداخلةَ عليه أقوى . فمَنْ أسوأُ حالا — أبقاك الله — ممّن يكون ألوَمَ من المتشدِّقين ، ومن الثرثارين المتفيهقين ، وممن ذكره النبي صلى الله عليه وسلم نصًّا ، وجعل النّهى عن مذهبه مفسَّراً ، وذكر مقته له وبغضَه إياه .

ولما علم واصلُ بنُ عطاء[1] أنّه ألثغُ فاحش اللّثَغ ، وأنّ مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذْ كان داعيةَ مقالةٍ ، ورئيسَ نِحلة ، وأنّه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنّه لابدَّ له من مقارَعة الأبطال ، ومن الخطب الطِّوال وأنّ البيان يحتاج إلى تمييزٍ وسياسة ، وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وأنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة[2]، وأن ذلك من أكثر ما تُستمالُ به القلوب ، وتُثنى به الأعناق[3] ، وتزيَّن به المعانى ؛ وعلِمَ واصلٌ أنّه ليس معه ما ينوب عن البيان التامّ ، واللسان المتمكِّن والقوة المتصرِّفة ، كنحو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيّه موسى عليه السلام من التوفيق والتّسديد ، مع لباس التّقوى وطابَعِ النبوة ، ومع المِحْنة[4] والاتّساع فى المعرفة ، ومع هَدْىِ النبيِّين وسَمْت المرسَلين ، وما يُغَشِّيهم اللهُ به من القَبول

---

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلى ، المعروف بالغزال ، وكان يجلس إلى الحسن البصرى ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر — خرج واصل عن الفريقين ، وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، بل هو بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد، فقيل لهما ولا تباعهما معتزلون . ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٨١ . ابن خلكان ، ولسان الميزان (٦ : ٢١٤) .

(٢) فيما عدال : « إلى الجلالة والفخامة » .

(٣) فيما عدال : « وتثنى إليه الأعناق » .

(٤) المحنة : الامتحان والاختبار . فيما عدال : « المحبة » .

والمهابة . ولذلك قال بعضُ شعراء النبي صلى الله عليه وسلم[١] :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبيِّنةٌ   كانت بداهتُه تُنْبِيك بالخَبرِ

ومع ما أعطى اللهُ تبارك وتعالى موسى ، عليه السلام ، من الحجَّة البالغة ، ومن العلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلَّ الله تلك العقدة وأطْلَقَ تلك الحُبْسة[٢] ، وأسقطَ تلك المحنة .

ومن أجْل الحاجة إلى حُسن البيان ، و إعطاء الحروف حقوقَها من الفصاحة — رامَ أبو حذيفةَ إسقاطَ الراء من كلامه ، و إخراجَها من حروفِ منطقِهِ ؛ فلم يزل يكابِد ذلك ويغالبُه ، ويناضله ويساجله ، ويتأتَّى لسَتره والراحةِ من هُجنته ، حتّى انتظم له ما حاول ، واتّسق له ما أمَّل . ولولا استفاضةُ هذا الخبرِ وظهورُ هذه الحال حتّى صار لغرابته مثلاً ، ولطَرافته مَعْلَماً ، لما استجزْنا الإقرارَ به ، والتأكيدَ له . ولستُ أعنِي خُطَبه المحفوظة ورسائله المخلَّدة ، لأنَّ ذلك يحتمل الصَّنعة ، و إنما عَنيتُ محاجَّة الخصوم ومناقلةَ الأكْفاء ، ومفاوضةَ الإخوان . واللُّثغة في الراء تكون بالغين والذال والياء ، والياء أقلُّها قبحاً ، وأوجَدُها في كبار الناس و بلغائهم وأشرافهم وعلمائهم .

وكانت لُثغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، فإذا حمل على نفسه وقوَّم لسانه أخرج الراء . وقد ذكره في ذلك أبو الطُّروق الضبِّيّ[٣] فقال :

عليمٌ بإبدال الحــــروف وقامعٌ   لـكلِّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُه

---

(١) هو عبد الله بن رواحة الأنصارى . انظر الإصابة ٤٦٦٧ . وبعض أبيات القصيدة فى السيرة ٧٩٢ جوتنجن والمؤتلف ١٢٧ .

(٢) فيا عدال : « ورفع تلك الحبسة » .

(٣) أبو الطروق ، لم أجد له ترجمة إلا ما قال ابن خلكان ، أنه كان شاعراً من شعراء المعتزلة ، وأنه مدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام . انظر الوفيات فى ترجمة واصل بن عطاء . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٥١٣ فى باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه . وانظر الحيوان (٦ : ٩٢) .

وكان واصلُ بن عطاء قبيحَ اللُّثْغة شنيعَها ، وكان طويلَ العنق جِدًّا ؛ ولذلك قال بشَّارٌ الأعمى :

مالي أشايعُ غزَّالاً له عنـــقٌ   كنِقْنِق الدَّوِّ إن ولَّى وإن مَثَلا[1]
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالى وبالُـكُمُ   أتُـكْفِرون رجالاً أكفَروا رجُلا

فلما هجا واصلا وصوَّبَ رأيَ إبليسَ في تقديم النَّار على الطِّين ، وقال :

الأرض مظلمةٌ والنارُ مُشرِقةٌ   والنار معبودةٌ مذْ كانت النارُ

وجعل واصلاً غزَّالا ، وزعَمَ أنَّ جميعَ المسلمين كفَروا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : وعليٌّ أيضاً ؟ فأنشد :

وما دونَ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو   بصاحبك الذى لا تَصْبَحينا[2]

قال واصلُ بن عطاء عند ذلك : «أمَا لهذا الأعمى الملحِدِ المُشنَّف المكنَّى بأبى معاذٍ مَن يقتله[3] . أما والله لولا أن الغِيلَة سجيَّةٌ من سجايا الغالية ، لبعثْتُ إليه من يبعَج بطنه على مضجعه ، ويقتُله في جوف منزلِه وفي يوم حَفْله ، ثم كان لا يتولَّى ذلك منه إلا عُقَيليٌّ أو سَدُوسيٌّ[4] » .

قال إسماعيل بن محمّدٍ الأنصاريُّ ، وعبدُ الكريم بن رَوح الغِفاريّ : قال أبو حفص عُمر بن أبى عثمان الشَّمَّريُّ : ألا ترَيان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأنتما لِلَّذى ترَيانِ من سلامته وقلَّة ظهور التكلُّف فيه لا تظُنَّان به التكلُّف ، مع امتناعه من حَرْفٍ كثير الدَّوران فى الكلام . ألا ترَيانِ أنَّه حين لم يستطعْ

(١) النقنق ، بكسر النونين : ذكر النعام . والدو والدوية والداوية : الفلاة .
(٢) البيت لعمرو بن كلثوم فى معلقته . فيها عدال : « وما شر الثلاثة » وهى الرواية المعروفة . صبح القوم : سقاهم الصبوح ، والمراد به الخمر . وفى أصول الكتاب : « لا تصحبينا »
(٣) المشنف : الذى لبس الشنف ، وهو بالفتح : القرط فى أعلى الأذن . وفيها عدال : « المكتنى » بدل « المكنى » .
(٤) بشار بن برد من أصل فارسى ، وكان أبوه برد مولى لأم الظباء العقيلية السدوسية ، فادعى بشار أنه مولى بنى عقيل لنزوله فيهم . الأغانى (٣ : ٢٠) .

أن يقول بشّار ، وابن بُرد ، والمرعَّث ، جعل المشنَّف بدلا من المرعَّث ، والملحِد بدلاً من الكافر ؛ وقال : لولا أنّ الغِيلة سجيّةٌ من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصوريّة ولا المُغيريّة[١] ؛ لمكان الراء ؛ وقال : لبعثت إليه من يبعج بطنه ، ولم يقل : لأرسلتُ إليه ؛ وقال : عَلَى مضجعه ، ولم يقل : على فراشه .

وكان إذا أراد أن يَذْكُر البُرّ قال : القمح أو الحنطة . والحنطةُ لغةٌ كوفيّة والقمح لغةٌ شاميّة . هذا وهو يعلم أنّ لغةَ من قال بُرّ ، أفصحُ من لغةِ مَن قال قمح أو حنطة . وقال أبو ذؤيب الهذلىّ[٢] :

لا دَرَّ دَرِّىَ إن أطعمتُ نازلَهم ... قِرفَ الحَتِىّ وعندى البُرّ مكنوزُ[٣]

وقال أميّة بن أبى الصلت فى مديح عبد الله بن جُدْعان[٤] :

له داعٍ بمكّة مشمعِلٌ ... وآخرُ فوقَ دارَتِه يُنادِى

---

(١) المنصورية : إحدى فرق الغالية من الشيعة ، وهم أصحاب أبى منصور العجلى ، وكان يزعم أن عليا هو الكسف الساقط من السماء ، وأن أول ما خلق الله عيسى عليه السلام ، ثم على بن أبى طالب . انظر الملل (٢ : ١٤) ومفاتيح العلوم ٢٢ والمواقف ٦٢٥ والفرق بين الفرق ٢٣٤ . والمغيرية : فرقة من غلاة الشيعة أيضا ، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى . وكان مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، ادعى النبوة لنفسه ، وغلا فى حق على غلوا ظاهراً . انظر الملل (٢ : ١٣) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٢٤ والفرق بين الفرق ٢٢٩ والحيوان (٢ : ٢٦٧) .

(٢) وكذا نسبه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢٨٥) . وفيها عدا ل : « المتنخل الهذلى » وهذه النسبة الأخيرة فى القسم الثانى من مجموعة أشعار الهذليين ص ٨٧ وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) . وانظر اللسان (٥ : ٣٦٥ / ١٨ : ١٧٩) وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٧٩ .

(٣) القرف ، بالكسر : القشر . والحتى : سويق المقل ، وقيل رديئه ؛ وقيل يابسه .

(٤) عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، أحد أجواد العرب فى الجاهلية ، وكان ممدحا لأمية بن أبى الصلت ، مدحه بقوله :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك إن شيمتك الحياء

ثم بقوله :

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته ... ببذل وما كل العطاء يزين

وكان له أمتان تسميان الجرادتين ، فوهبه إياهما . الأغانى (٨ : ٢ — ٤) .

إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها ... لُبابَ البُرِّ يُلبكُ بالشِّهادِ(١)

وقال بعض القرشيِّين يذكر قيسَ بن مَعْدِيكَرِبَ ومَقدمَه مكةَ فى كلمةٍ له :

قيسٌ أبو الأشعثِ بِطْريقُ اليمنْ ... لا يسألُ السائلُ عنه ابنُ مَنْ(٢)

* أشبَعَ آلَ اللهِ من بُرِّ عَدَنْ *

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أتَرَوْنَ أنِّي لا أعرف رقيق العيش ؟ لُبابُ البُرِّ بصغار المِعْزَى(٣) » . ١٣

وسمع الحسنُ رجلاً يعيب الفالوذَق ، فقال : « لُبابُ البُرِّ ، بلُعاب النَّحل ، بخالص السَّمن ، ما عاب هذا مسلمٌ ! » .

وقالت عائشة : « ما شَبِع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من هـذه البُرَّة السَّمراء حتَّى فارقَ الدُّنيا » .

وأهلُ الأمصار إنَّما يتكلَّمون على لُغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلافَ فى ألفاظٍ من ألفاظِ أهل الكوفة والبَصرة والشام ومصر .

حدَّثنى أبو سعيدٍ عبدُ الكريم بن رَوْح قال : قال أهل مكَّةَ لمحمد بن المُناذر الشاعر(٤) : ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحة ، إنَّما الفصاحة

---

(١) الردح : جمع رداح ، كسحاب ، وهى الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع . واللباب : الخالص . والشهاد ، بالكسر : جمع شهد ، وهو العسل . وقد نسب البيت فى اللسان (شيز) إلى ابن الزبعرى ، وفى (ردح ، شهد) إلى أمية .

(٢) ل : « يا ابن من » . والسائل تقرأ بالرفع بمعنى أنه لا يحتاج إلى التعريف بأبيه ، وبالنصب بمعنى أنه يعطى من يعرف ومن لا يعرف .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨١) .

(٤) هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبير بن يربوع ، كان إماما فى علم اللغة وكلام العرب ، وكان فى أول أمره ناسكا ملازما للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، فتهتك بعد ستره ، وفتك بعد نسكه . وكان معاصرا للأصمعى وخلف الأحمر وأبى العتاهية وأبى نواس . ومناذر ، بضم الميم . انظر أخبار حسان فى الأغانى (١٧ : ٩ — ٣٠) .

لنا أهلَ مكّة . فقال ابن المُناذِر : أمّا ألفاظُنا فأحْكَى الألفاظِ للقرآن ، وأكثرُها له موافقةً ، فضَعُوا القرآنَ بعد هذا حيثُ شِئتم . أنتم تُسمُّون القِدر بُرْمَة وتجمعون البُرمة على بِرَامٍ ، ونحن نقول قِدر ونجمعها على قُدُور ، وقال الله عز وجل : ﴿وجِفَانٍ كالجَوَابِي وقُدُورٍ رَاسِياتٍ[١]﴾ . وأنتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت عِلِّيَّةً[٢] ، وتجمعون هـذا الاسم على عَلالِيّ ، ونحن نسمِّيه غرفة ونجمعها على غُرفاتٍ وغُرفٍ . وقال الله تبارك وتعالى : *﴿غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ وقال : ﴿وَهُمْ فِي الغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ . وأنتم تسمُّون الطَّلعَ الكافورَ والإغْرِيضَ ونحن نسمِّيه الطَّلْع . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ﴾ . فعَدَّ عشر كلماتٍ لم أحفظ أنا منها إلا هذه . ألا ترى أنَّ أهلَ المدينة لما نزل فيهم ناسٌ من الفُرْس فى قديم الدّهر عَلِقُوا بألفاظٍ من ألفاظهم ، ولذلك يسمُّون البِطِّيخ الخِرْبِز ، ويسمُّون السميط الرَّزْدَق[٣] ، ويسمُّون المَصُوص المَزُور[٤] ، ويسمون الشِّطْرَنج الاشترنج ، فى غير ذلك من الأسماء . وكذلك أهلُ الكوفة ؛ فإنّهم يسمُّون المِسحاة بالْ ، وبَالْ بالفارسيّة . ١٣

ولو عَلِق ذلك لغةَ أهلِ البصرة إذْ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبهَ ، إذ كان أهـلُ الكوفة قد نزلُوا بأدنى بلاد النَّبَط وأقصى بلاد العرب .

---

(١) كالجوابى ، هذا ما فى ل ، وهى قراءة ورش وأبى عمرو فى الوصل ، وابن كثير ويعقوب فى الوصـل والوقف . وقراءة سائر القراء (كالجواب) وهى ما فى سائر النسخ . وانظر الحيوان (٤ : ٦/٩١ : ١٦٣) .

(٢) العلية ، بكسر العين وضمها مع تشديد اللام المكسورة ، لغتان .

(٣) السميط ، كشريف وبهيئة التصغير أيضاً : الآجر القائم بعضه فوق بعض . والرزدق ، فارسى معرب ، وأصله بالفارسية « رَسته » ومعناه السطر والصف من النخل وغيره . وفى الأصل : « الروذق » محرف .

(٤) المصوص : لحم ينقع فى الخل ويطبخ .

ويسمّى أهلُ الكوفة الحَوْك الباذَرُوج[١]، والباذروج بالفارسية، والحَوْك كلمة عربيّة. وأهلُ البصرة إذا التقت أربعُ طرق يسمُّونها مُرَبَّعة، ويُسمّيها أهلُ الكوفة الجِهارسُوك، والجهارسُوك بالفارسيّة. ويسمّون السُّوق وَالسُّوَيقة «وازار»، والوازار بالفارسيّة. ويسمُّون القِثّاء خِيَارا، والخيار بالفارسية. ويسمُّون المجذوم وَيْذِى، بالفارسية.

وقد يستخفُّ النّاسُ ألفاظا ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكُر فى القرآن الجوعَ إلاّ فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المُدْقِع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السَّغَب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة. وكذلك ذِكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآنَ يلفظ به إلاّ فى موضع الانتقام. والعامّة وأكثرُ الخاصّة لا يَفصلون بين ذِكر المطر وبين ذكر الغَيث، ولفظُ القرآن الذى عليه نزَلَ أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقُل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرَضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرَضين، ولا السمعَ أسماعا. والجارى على أفواه العامةِ غيرُ ذلك، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعضُ القرّاء أنّه لم يجدْ ذكر لفظ النكاح فى القرآن إلاّ فى موضع التزويج.

والعامّة ربمّا استخفت أقلَّ اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقلُّ فى أصل اللغة استعمالاً وتدَعُ ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صِرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجودُ منه، وكذلك المَثل السّائر.

وقد يبلغ الفارسُ والجوادُ الغايةَ فى الشهرة ولا يُرزَق ذلك الذكرَ والتنويهَ بعضُ من هو أولى بذلك منه. ألا ترى أنّ العامّةَ ابنُ القِرِّيَّة[٢] عندها أشهر فى

(١) الباذروج، ذكر فى المعتمد ١٠ أنه ريحانة معروفة.

(٢) ابن القرية، هو أبو سليمان أيوب بن زيد، كان أعرابياً أميا. وهو معدود فى جلة الخطباء المشهورين، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٤. والقرية، بكسر القاف وتشديد=

الخطابة مِن سحبان وائل . وعُبَيدُ الله بن الحُرّ[١] أذكَرُ عندهم فى الفروسيّة من زُهير بن ذؤيب . وكذلك مذهبُهم فى عنترةَ بنِ شداد، وعُتَيبة بنِ الحارث بن شهاب[٢] . وهم يضربون المثل بعمرو بن مَعْدِيكَرِب ، ولا يعرفون بِسطام بن قيس[٣] .

وفى القرآن معانٍ لا تكاد تفترق ، مثـل الصلاةِ والزّكاة ، والجوعِ والخوف ، والجنّة والنار ، والرّغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس .

قال قطرب : أنشدنى ضِرار بن عمرو[٤] قولَ الشاعر فى واصل بن عطاء :

ويجعــل البُرَّ قمحاً فى تصرُّفه   وجانَبَ الراءَ حتّى احتال للشَّعَرِ[٥]

= الراء المكسورة : اسم لإحدى جداته . وذكر الأصبهانى فى الأغانى أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أخبارهم ولا حقيقة لهم ولا وجود فى الدنيا ، وهم مجنون ليلى ، وابن القرية ، وابن أبى العقب . انظر وفيات الأعيان والمعارف ٢٠٨ والأغانى (٢ : ١٦٣) .

(١) عبيد الله بن الحر الجعفى ، قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب بن الزبير منافسة ، صمد عبيد الله لرجال مصعب صموداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه فخاف أن يؤسر فألقى بنفسه فى الفرات فمات غرقا . وكان عبيد الله شاعراً فحلا . انظر ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٨ والحيوان (٢ : ١٠٣ — ١٠٤) .

(٢) كان فارس تميم ، وفيه يقول عمرو بن معد يكرب : « ما أبالى أى ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ، مالم يلقنى دونها عبداها أو حراها » يعنى بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، وبالعبدين عنترة والسليك بن السلكة . الأغانى (١٤ : ٢٧) .

(٣) بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبى يوم الشقيقة .

(٤) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية ، وكان فى بدء أمره تلميذا لواصل بن عطاء المعتزلى ، ثم خالفه فى خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازى ٦٩ والفرق بين الفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود ، وحرف أبى بن كعب ، ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد ابن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب ، وقيل إن يحيى بن خالد البرمكى أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) .

(٥) من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء « السبد » بالتحريك ، و « الهلب » بالضم ، و « السبحة » ، وجمعها سبائح . و « الجمة » : ما طال من الشعر ، و « اللمة » : ما زاد على الجمة . و « الجملة » ، بالضم : ما اجتمع من الشعر ، كذلك . انظر المخصص (١ : ٦٢ — ٦٩) .

ولم يُطِقْ مطراً والقول يُعجِلُه ... فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المطَرِ

قال وسألت عُثمانَ البُرّى[(١)]: كيف كان واصلٌ يصنع فى العدد، وكيف كان يصنع بعشرةٍ وعشرين وأربعين؛ وكيف كان يصنع بالقَمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان، وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخِرِ وجمادى الآخِرة ورجب؟ فقال: مالى فيه قولٌ إلا ما قال صفوان:

ملقَّن ملهَمٌ فيما يحاوله ... جَمٌّ خواطرُه جوّابُ آفاقِ

وأنشدنى ديسمٌ[(٢)] قال: أنشدنى أبو محمد اليزيدىّ:

وخَلّةُ اللفظِ فى الياءات إن ذكرت ... كخَلّة اللفظ فى اللاماتِ والألفِ[(٣)]

وخَصْلَةُ الرّاء فيها غيرُ خافيةٍ ... فاعرِفْ مواقعَها فى القول والصُّحُفِ

يزعم أنّ هذه الحروفَ أكثر تَرداداً من غيرها، والحاجة إليها أشدّ. واعتبِرْ ذلك بأن تأخذ عِدّةَ رسائلَ وعدة خطبٍ من جملةِ خطب الناس ورسائلهم؛ فإنك متى حصّلتَ جميع حروفها، وعددْتَ كلَّ شكل على حِدَة، علمت أنّ هذه الحروفَ الحاجةُ إليها أشدّ.

---

(١) هو أبو سلمة عثمان بن مقسم البرى الكندى البصرى . قال السمعانى فى الأنساب ٧٧ : « هذه النسبة إلى البر ، وهو الحنطة ، وهذه النسبة إلى بيعه ، والمشهور بهذا الانتساب أبو سلمة عثمان بن مقسم البرى الكندى مولى لهم من أهل الكوفة يروى عن قتادة ، وابن أبى اسحاق ، وحماد بن أبى سليمان ، وجابر ، وعاصم بن أبى النجود » . وكان قدريا معروفا بالكذب ووضع الحديث . لسان الميزان (٤ : ١٥٥) .

(٢) هو ديسم العنزى أحد من هجاهم بشار . الحيوان (١ : ١٨٣) . وكان بشار كثير الولوع بديسم العنزى ، وكان صديقا له ، وهو مع ذلك يكثر هجاءه . الأغانى (٣ : ٢٧) .

(٣) الخلة ، بالفتح : الخصلة . فيا عدال : « إن قندت » والمعنى يتجه بكل منهما .

ذكر ما جاء فى تلقيب واصل بالغزّال ومن نفى ذلك عنه

قال أبو عثمان : فمن ذلك ما خبّرنا به الأصمعىّ قال : أنشدنى المعتمر بن سليمان ، لإسحاق بن سُوَيد العدوىّ :

بَرِئتُ من الخوارج لستُ منهم ... منَ الغزّال منهم وابنِ بابِ[1]
ومِن قومٍ إذا ذَكَروا عليًّا ... يَرُدُّون السّلامَ على السّحابِ
ولكنّى أحبُّ بكلّ قلبى ... وأعلَمُ أنّ ذاكَ من الصّوابِ
رسولَ اللهِ والصِّدّيقَ حُبًّا ... به أرجُو غداً حُسْنَ الثّواب[2]

وفى مِثْل ذلك قال بشار :

مالى أُشايعُ غزّالاً له عنق ... كنِقْنِقِ الدَّوِّ إن ولّى وإن مثَلا[3]

ومن ذلك قول مَعْدانَ الشُّمَيطى[4] :

يومَ تُشْفَى النّفوسُ من يَعْصُرِ اللؤ ... مِ ويُثْنَى بِسامَةَ الرحّالِ[5]
وعَدِىّ وتَيمِها وثَقيفٍ ... وأُمَيّ وتغلِبٍ وهلالِ
لا حَرُورا ولا النواصِبُ تَنْجُو ... لا ولا صَحْبُ واصِلِ الغزّالِ[6]

---

(١) يعنى بالغزال واصل بن عطاء . وابن باب ، هو عمرو بن عبيد ، من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين . توفى بمران سنة ١٤٤ ورثاه المنصور . قالوا : ولم يسمع بخليفه رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦ والمعارف ٢١٢ .

(٢) فيا عدال : « حسن المآب » .

(٣) سبق البيت فى ص ١٦ .

(٤) هو أبو السرى معدان الأعمى الشميطى المديرى . ونسبته إلى الشميطية ، وهى فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، تنتمى إلى أحمر بن شميط صاحب المختار . وقد قتلهما معا مصعب بن الزبير . وفى الأصل : « السميطى » تحريف . انظر الفرق بين الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٢٣٣ والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٥) يعصر ، أبو قبيلة ، وهو يعصر — ويقال أعصر أيضاً — بن سعيد بن قيس ابن غطفان . انظر الاشتقاق ١٦٤ والمعارف ٣٦ والقاموس (عصر) . وسامة ، هو سامة ابن لؤى ، ولقبه بالرحال لأن أخاه عامر بن لؤى توعده حين فقأ عينه ، فرحل إلى عمان هاربا حيث أتى حتفه فى الطريق . انظر سيرة ابن هشام ٦٣ جوتنجن .

(٦) النواصب ، والناصبية ، وأهل النصب : المتدينون ببغضة على ؛ لأنهم نصبوا له ،=

وكان بشّارٌ كثيرَ المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشّارٌ بالرَّجعة، ويكفِّرَ جميعَ الأمة. وكان قد قال فى تفضيله على خالد بن صفوان[١] وشبيب بن شيبة[٢]، ١٦ والفضل بن عيسى[٣]، يومَ خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق:

أبا حُذيفةَ قد أوتيتَ مُعْجِبةً ... فى خُطبةٍ بدَهَتْ من غير تقدير

وإنّ قولاً يروق الخالدَين معاً ... لَمُسْكِتٌ مُخرِسٌ عن كلِّ تحبير

لأنه كان مع ارتجاله الخطبةَ التى نزع منها الراء[٤]، كانت مع ذلك أطولَ من خطبهم. وقال بشار:

تكلّفُوا القولَ والأقوامُ قد حَفَلوا ... وحبّروا خطباً ناهيك من خُطبِ

فقام مرتجلاً تغلى بداهتُه ... كمِرجَل القَين لما حُفَّ باللّهب

وجانَبَ الراءَ لم يشعُرْ بها أحد ... قبل التصفُّح والإغراق فى الطّلبِ[٥]

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة:

فهذا بديهٌ لا كتحبيرِ قائلٍ ... إذا ما أراد القولَ زوّرَه شهرا[٦]

أى عادوه. فيا عدال: «النوائب» تحريف، صواب هذه «النوابت» وقد أشير إلى هذه الرواية الأخيرة فى هامش ل.

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم، كان قريبا لشبيب، وعلما من أعلام الخطابة، وقد وفد إلى هشام، وكان من سمار أبى العباس، وكان مطلاقا، روى أنه قال: «ما من ليلة أحب إلى من ليلة قد طلقت فيها نسائى، فأرجع والستور قد قلعت، ومتاع البيت قد نقل، فتبعث إلى بنتى بسلّة فيها طعامى، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه». انظر المعارف ١٧٧.

(٢) شبيب بن شيبة، كان من رهط خالد بن صفوان، وكان بينهما منافسة شديدة، وهو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم. وسيرد ذكره فيما بعد.

(٣) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى، وسيترجم له الجاحظ فى باب أسماء الخطباء والبلغاء والأنبياء.

(٤) خطبة واصل بن عطاء التى جانب فيها الراء محفوظة فى مكتبة مدرسة النبى شيث بالموصل. انظر مخطوطات الموصل ص ٢٠٨.

(٥) فيا عدال: «لم يشعر به أحد»، وهى رواية الأغانى (٣ : ٥٩).

(٦) زور الكلام: أصلحه وهيأه.

فلما انقلب عليهم بشّارٌ ومقاتِلُه لهم بادية ، هجوه ونفوه ، فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عُبيد . وقال صفوان الأنصارى :

متى كان غَزّال له يا ابن حَوْشَبٍ غلامٌ كعمرٍو أو كعيسى بن حاضِرِ [1]
أمَا كان عُثمانُ الطّويلُ ابنُ خالدٍ أو القَرْمُ حَفْصٌ نُهيةً للمُخاطِرِ [2]
له خلف شَعْبِ الصِّين فى كل ثُغرة إلى سُوسِها الأقصى وخَلْفَ البرابِرِ [3]
رجالٌ دُعاةٌ لا يُفَلُّ عزيمُهم تهكُّمُ جبّارٍ ولا كيدُ ماكرِ [4]
إذا قال مُرُّوا فى الشّتاء تطوّعُوا وإن كان صيفٌ لم يُخَفْ شهرُ ناجرِ [5]
بهجرةِ أوطانٍ وبَذْلٍ وكُلْفةٍ وشدّةِ أخطارٍ وكَدِّ المسافرِ
فأنجحَ مَسعاهم وأثقبَ زَندَهم وأوْرَى بفَلْجٍ للمُخاصِمِ قاهرِ [6] ١٧
وأوتادُ أرضِ الله فى كلّ بلدةٍ وموضعُ فُتياها وعلمِ التّشاجُرِ [7]
وما كان سحبانٌ يشقُّ غُبارَهم ولا الشُّدْقُ من حَيَّىْ هلالِ بن عامرِ [8]
ولا النّاطق النَّخّار والشيخ دَغفل إذا وصَلُوا أيمانَهم بالمخاصِرِ [9]

(١) عيسى بن حاضر ، أحد رجال المعتزلة ، وكان صاحب عمرو بن عبيد ، انظر الحيوان (١ : ٣٣٧ — ٣٣٨) .

(٢) حفص ، هو حفص الفرد ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك ، وذكر أنه من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . والنهية ، بالضم : غاية كل شىء ، كالنهاية . والمخاطر : الذى يخاطر غيره ، أى يراهنه .

(٣) السوس الأقصى : كورة بالمغرب مدينتها طنجة . والسوس الأدنى : بلدة بالأهواز .

(٤) العزيم والعزيمة والعزم والمعزم ، بمعنى . والتهكم : التكبر ، ويقال تهكم عليه ، إذا اشتد غضبه .

(٥) تطاوع للأمر وتطوع به وتطوعه : تكلف استطاعته . فيما عدا قال : « تطاوعوا » و « وإن كان صيفا » .

(٦) أثقب الزند : قدحه فأخرج منه النار . وأورى الزند إيراء : أثقبه .

(٧) التشاجر : التنازع والاختلاف فى الخصومات ، أراد النزاع الكلامى .

(٨) الشدق : جمع أشدق ، وهو المتفوه ذو البيان .

(٩) النخار ، هو النخار بن أوس العذرى ، قال فيه صاحب القاموس « أنسب العرب » . وكان معاصراً لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر فى الأغانى (٧ : ٩٥) . وسيأتى قول الجاحظ فى علة تسميته بالنخار ، أنه ربما حمى فى الكلام فنخر . ودغفل ، هو دغفل بن حنظلة =

ولا القالةُ الأعلَوْن رهطُ مكَحَّلٍ إذا نطَقُوا فى الصُّلح بين العشائرِ (١)
بجمعٍ من الجُفَّين راضٍ وساخطٍ وقد زَحفتْ بُدّاؤهم للمَحَاضِرِ (٢)

الْجُفَّانِ : بكروتميم . والرَّوْقان : بكر وتغلب . والفاران : الأزْد وتميم . ويقال ذلك لكل عِمارةٍ من الناس(٣) ، وهى الجمع ، وهم العمائر أيضا : غارٌ . والجُفُّ أيضا : قِشْر الطَّلْعة .

تَلقّب بالغَزّال واحدُ عصرِه فمَنْ لليتامى والقَبيل المكاثرِ
ومَن لِحَرُوريٍّ وآخرَ رافضٍ وآخرَ مُرْجىٍّ وآخَر جائرِ (٤)
وأمرٍ بمعروفٍ وإنكار منكَرٍ وتحصين دين الله من كلِّ كافرِ
يُصِيبون فَصْلَ القولِ فى كلِّ موطنٍ كما طَبَّقَتْ فى العظم مُدْيةُ جازرِ
تراهُمْ كأنَّ الطيرَ فوقَ رءوسهم على عِمّةٍ معروفةٍ فى العشائرِ
وسيماهم معروفةٌ فى وجوههمْ وفى المشْيِ حُجَّاجاً وفوق الأباعرِ
وفى رَكعةٍ تأتى على الّليل كلّه وظاهرِ قولٍ فى مِثال الضمائرِ
وفى قَصِّ هُدّابٍ وإحفاء شاربٍ وكَوْرٍ على شَيبٍ يُضىء لناظرِ (٥)
وعَنْفَقةٍ مصلومة ولنعلِه قِبالانِ فى رُدْنٍ رحيبِ الخواصر (٦)
فتلك علاماتٌ تحيط بوصفهم وليس جَهُول القوم فى علم خابرِ (٧)

= السدوسى ، أدرك النبى ولم يسمع منه شيئا ، ووفد على معاوية ، وقتلته الأزارقة . انظر أمثال الميدانى فى « أنسب من دغفل » والإصابة ٢٣٩٥ .

(١) مكحل ، هو عمرو بن الأهتم المنقرى ، كما سيأتى فى (١ : ٣٩) من أرقام الأصل .

(٢) البداء : جمع باد ، وهو ساكن البادية . والمحاضر : المناهل يجتمعون عليها .

(٣) الجف ، والروق ، والفار : الجمع الكثير من الناس .

(٤) ب : « حائر » .

(٥) الكور : لوث العمامة . أى إدارتها على الرأس .

(٦) العنفقة : ما بين الشفة السفلى والذقن . قبال النعل : زمامها .

(٧) ب « فى جرم خابر » .

١٨ وفى واصلٍ يقول صفوان :

فما مَسَّ ديناراً ولا صرَّ درهما ‏ ‏ ولا عرف الثوبَ الذى هو قاطعُه

وفيه يقول أسْباط بن واصل الشيبانىّ :

وأشهد أنّ الله سمّاكَ واصلا ‏ ‏ وأنّك محمود النقيبة والشّيَم

ولما قام بشّار بِعُذر[1] إبليس فى أنّ النّار خيرٌ من الأرض ، وذكر واصلا بما ذكره به ، قال صفوان :

زعمتَ بأنّ النارَ أكرمُ عنصراً ‏ ‏ وفى الأرض تَحْيا بالحجارة والزَّنْد[2]

وتُخْلَقَ فى أرحامها وأرومها ‏ ‏ أعاجيبُ لا تُحصَى بخطٍّ ولا عَقْدِ[3]

وفى القَعر من لُجِّ البحار منافعٌ ‏ ‏ من اللؤلؤ المكنون والعنبر الوَرْدِ

كذلك سِرُّ الأرض فى البحر كلّه ‏ ‏ وفى الغَيضة الغنّاء والجبل الصَّلْدِ

ولا بدَّ من أرض لكل مُطَيّرٍ ‏ ‏ وكلِّ سَبُوحٍ فى الغمائر من جُدِّ[4]

كذلك ما ينساحُ فى الأرض ماشيا ‏ ‏ على بطنه مَشْىَ المُجانِب للقَصْدِ[5]

ويَسْرِى على جلدٍ يقيم حُزوزَه ‏ ‏ تَعَمُّجَ ماء السَّيل فى صَبَبٍ حَرْدِ[6]

وفى قُلَلِ الأجبال خلفَ مُقطَّمٍ ‏ ‏ زَبرجَدُ أملاكِ الوَرَى ساعةَ الحشْدِ[7]

---

(١) فيما عدال : « يعذر » .

(٢) يعنى أن النار كامنة فى الحجارة والزند .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل . والعقد : ضرب من الحساب .

(٤) فى الأصل : «لكل مطهر» ولا يستقيم به المعنى ، وصوابه من الفرق بين الفرق ٤٠ حيث أنشد القصيدة . والغمائر : جمع غمير ، وهو الماء الكثير . والجد ، بالضم والفتح : شاطئ النهر ، أى لا بد لكل سابح من شاطئ .

(٥) ينساح : يمشى على بطنه . فيما عدال : « كذاك وما ينساح » .

(٦) التمعج : التلوى . والصبب : الموضع المتحدر . والحرد : المتنحى المعتزل .

(٧) المقطم : جبل يمتد من أسوان على شاطئ النيل الشرق حتى يكون منقطعه طرف القاهرة . قال ياقوت : « وذكر قوم أنه جبل الزبرجد » . والأملاك . الملوك .

وفى الحَرّةِ الرَّجلاء تُلفَى معادنٌ … لهن مغارات تَبَجَّسُ بالنَّقْدِ(١)
مِن الذهبِ الإبريز والفضة التى … تروقُ وتُصبى ذا القناعة والزُّهد
وكل فِلِزٍّ من نُحاس وآنُكٍ … ومن زِئبَقٍ حَيٍّ ونُوشَاذُرٍ يُسْدِى(٢)
وفيها زرانيخ ومَكْرٌ ومَرْتَكٌ … ومن مَرْقَشِيثَا غيرِ كابٍ ولا مُكْدِى(٣)
وفيها ضُروب القارِ والشَّبِّ والمَهَا … وأصنافُ كِبريتٍ مُطاوِلةُ الوَقدِ(٤) ١٩
ترى العِرْقَ منها فى المقاطع لائحاً … كما قَدَّتِ الحسناء حاشيةَ البُرْدِ
ومن إثمِدٍ جَونٍ وكِلْسٍ وفِضَّةٍ … ومن تُوتِياء فى معادنه هِندِى
وفى كلِّ أغوارِ البلاد معادنٌ … وفى ظاهر البيداء من مُستَوٍ نَجدِ(٥)
وكلُّ يواقيتِ الأنامِ وحَلْيِهـا … من الأرض والأحجارِ فاخرةِ المَجْدِ
وفيها مَقامُ الخِلِّ والركنُ والصَّفا … ومُستَلَمُ الحُجَّاج من جَنّة الخُلْدِ

(١) الحرة : أرض حجارتها سود . والرجلاء : التى لا يستطاع المشى فيها حتى يترجل فيها ؛ لخشونتها وصعوبتها . تبجس بالنقد ، أى تنفجر بالذهب والفضة .

(٢) الفلز : جواهر الأرض كلها . والآنك : الأسرب ، وهو الرصاص القلعى . وقال كراع : هو القزدير . وجعل الزئبق حيا لسرعة حركته . والنوشاذر ، بالذال المضمومة ، ويقال بالمهملة أيضاً : حجر صاف كالبلور . انظر حواشى الحيوان (٥ : ٣٤٩) . فيا عدال : « ونوشادر » . وفى الفرق بين الفرق ٤٠ : « ونوشادرسندى » نسبة إلى السند . قال داود « يكون بالبلاد الحارة » .

(٣) الزرنيخ : معدن له ألوان كثيرة ، منها الأصفر والأحمر والأغبر ، وأجودها الصفائحى الذى يستعمله النقاشون الذى له لون كلون الذهب وكانت صفائحه تتقشر وكأنها مركبة بعضها فوق بعض . المعتمد لابن رسولا ١٤٠ . وفى اللسان أنه لفظ أعجمى ، وضبط فيه وفى المعرب ١٧٤ بكسر الزاى . والمكر ، بالفتح : المغرة ، وهى طين أحمر يصبغ به . والمرتك : مبيض المرداسنج . والمرداسنج : رصاص غبيط وأسرنج أورصاص محروق يسبك حتى يمتزج ، وتبييضه أن يلف فى صوف ويطبخ بفول وكلما نضج غير الصوف والفول حتى يبيض . تذكرة داود . وهو فارسى معرب . والمرقشيثا : صنف من الحجارة يستخرج منه النحاس . المعتمد .

(٤) المها : جمع مهاة ، وهى البلورة التى تبص لشدة بياضها . فيا عدال : « النهى » وهو بالفتح : ضرب من الخرز .

(٥) النجد : ما غلظ من الأرض وارتفع واستوى .

وفى صخرة الخِضر التى عند حُوتِها   وفى الحجر المُمهِى لموسى على عَمْدِ[(١)]
وفى الصَّخرة الصماء تُصدَعُ آيةٌ   لأمّ فصيلٍ ذى رُغاء وذى وَخْدِ[(٢)]
مفاخرُ للطِّين الذى كان أصلَنا   ونحن بَنُوه غيرَ شَكٍّ ولا جَحْدِ
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمةٌ   وأوضحُ برهانٍ على الواحد الفرد
أتجعلُ عَمْرا والنَّظامىَّ واصلاً   كأتباعِ دَيْصانٍ وهم قُمُشُ المَدِّ[(٣)]
وتفخر بالميلاء والعِلْجِ عاصمٍ   وتضحكُ من جِيد الرَّئيس أبى الجَعْدِ[(٤)]
وتحكِى لدى الأقوام شُنْعةَ رأيهِ   لتصرفَ أهواء النُّفوس إلى الرَّدِّ
وتسميتَه الغزَّال فى الشِّعر مطنِباً   ومولاك عند الظُّلم قِصَّتُه مُرْدِى

يقول : إن مولاك ملاّح ؛ لأن الملاّحين إذا تظلّموا رفعوا المَرادى .

فيا ابنَ حليفِ الطِّين واللُّومِ والعَمَى   وأبعدَ خلقِ الله من طُرُق الرُّشْدِ[(٥)]
أتهجُو أبا بكرٍ وتخلع بعــدَه   عليًّا وتعزو كلَّ ذاك إلى بُرْدِ
كأنك غضبانٌ على الدِّين كلّه   وطالبُ ذَحْلٍ لا يَبيت على حِقْدِ
رجَعتَ إلى الأمصارِ من بعد واصل   وكنتَ شريداً فى التَّهائم والنُّجْدِ[(٦)]

(١) صخرة الخضر : التى نسى عندها الحوت . وفى سورة الكهف : (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت) . والخضر ، بكسر الخاء ، ويقال فيه أيضاً خضر ككتف . أمهى الحجر : ظهر ماؤه ، إشارة إلى ضرب موسى بعصاه الحجر .

(٢) إشارة إلى الصخرة التى ظهرت منها ناقة صالح عشراء وتبعت سقبا . والوخد : ضرب من سير الإبل . ب ، حـ : « وجد » بالجيم ، وأثبت ما فى ل والتيمورية .

(٣) ديصان : صاحب الديصانية من المجوس الثنوية ، والقمش : جمع قماش ، وهو الرذال من كل شئ .

(٤) الميلاء ، هى حاضنة أبى منصور العجلى صاحب المنصورية . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٨) . وأبو الجعد ، كنية لواصل بن عطاء ، وكنيته المعروفة « أبو حذيفة » .

(٥) فى هامش ل : « إنما قال ابن حليف الطين ؛ لأن أباه كان فخارا يصنع الجرار » .

(٦) التهائم : الأرض المتصوبة إلى البحر ، ومنه تهامة . والنجد ، بضمتين ، وسكن الجيم للشعر : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف واستوى .

أنجعل ليلَى النّاعِظية نِحلةً ... وكلُّ عريقٍ فى التناسُخِ والرَّدِّ[١]
عليك بدَعدٍ والصَّدوف وفرتَنَى ... وحاضِنَتَىْ كِسْفٍ وزاملتَىْ هِنْدِ[٢]
تُواثِبُ أقماراً وأنت مُشَوَّهٌ ... وأقربُ خلقِ الله من شَبه القِرْدِ

ولذلك قال فيه حمادُ عَجْرَد[٣] بعد ذلك :

ويا أقبحَ مِن قردٍ ... إذا ما عَمِىَ القِردُ

ويقال إنه لم يجزَعْ بشار من شىء جزَعَه من هذا البيت[٤] .

وذكره الشاعرُ وذكر أخويه لأمّه فقال :

لقد ولدتْ أمُّ الأكيمِه أعرَجًا ... وآخرَ مقطوعَ القفا ناقص العَضُدِ[٥]

وكانوا ثلاثةً مختلفى الآباء والأمُّ واحدةٌ ، وكلُّهم وُلِد زَمِناً . ولذلك قال بعضُ من يهجوه :

إذا دعاهُ الخالُ أقعى ونكَصْ ... وهُجْنَةُ الإقراف فيه بالحِصَصْ[٦]

وقال الشّاعر :

لا تشهدَنَّ بخارجيٍّ مُطْرِفٍ ... حتَّى ترى مِن نَجْله أفراسا[٧]

---

(١) ليلى الناعظية : إحدى نساء الغالية ، منسوبة إلى بنى ناعظ ، بالظاء المعجمة ، وهم بطن من العرب . انظر القاموس واللسان والجمهرة (٣ : ١٢١) . نحلة ، أى صاحبة نحلة ومذهب .

(٢) ودعد ، وأخواتها من الأسماء الشائعة فى غزل العرب . والكسف ، هو أبو منصور العجلى . انظر الحيوان (٢ : ٦/١٦٦ : ٣٨٩) . والزامل : من يزمل غيره ، أى يتبعه .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر من مخضرمى الدولتين ، ولم يشتهر إلا فى العباسية ، وكان بينه وبين بشار مهاجاة فاحشة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٦/٦٦ : ٢٢٨) .

(٥) الأكيمه : مصغر الأكمه ، وهو الذى ولد أعمى .

(٦) الإقراف : الهجنة من قبل الأب ، على أنه لئيم الأم والأب .

(٧) أى لا تشهد به المحافل والحروب . والخارجى من الخيل : الذى يخرج بنفسه من غير أن يكون له عرق فى الجودة . والمطرف كالطارف : المستحدث .

وقال صفوانُ الأنصاريّ فى بشّارٍ وإخوتِه ، يخاطب أُمَّهم :

ولَدْتِ خُلْداً وذِيخاً فى تشتُّمه   وبعده خُزَزًا يشتدّ فى الصُّعُدِ[1]
ثلاثةٌ من ثلاثٍ فُرِّقوا فِرَقًا   فاعرف بذلك عِرقَ الخالِ فى الولدِ

الخُلْد : ضربٌ من الجُرذان يولَد أعمى . والذِّيخ : ذَكَر الضِّباع ، وهو أعرج . والخُزَز : ذكر الأرانب ، وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب فى الصُّعُد[2] . وقال بعد ذلك سليمان الأعمى ، أخو مسلمِ بن الوليد الأنصارى الشّاعر[3] ، فى اعتذار بشّارٍ لإبليسَ وهو يخبر عن كَرَم خصال الأرض :

٢١ * لابد للأرض إن طابتْ وإنْ خَبُثَتْ   من أن تُحِيلَ إليها كلَّ مغروسِ
وتُربةُ الأرضِ إن جِيدت وإن قُحِطَتْ   فحملها أبداً فى إثر منفوسِ[4]
وبطنُها بفِلِزِّ الأرض ذو خَبَرٍ   بكلّ ذى جوهرٍ فى الأرض مرموسِ[5]

الفِلِزّ : جوهر الأرض من الذهب والفضّة والنحاس والآنُك وغير ذلك .

وكلُّ آنيـــةٍ عَمّتْ مرافقُها   وكلُّ منتقَدٍ فيها وملبوسِ
وكلُّ ماعونِها كالمِلح مرفقــةٌ   وكلُّها مُضْحِكٌ مِن قول إبليسِ[6]

وقال بعض خُلَعاء بغداد[7] :

---

(١) التشتم ، أراد به الشتامة ، وهى القبح . والصعد : جمع الصعود ، بالفتح ، وهى العقبة الشاقة .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٦/٤٤٧ : ٣٥٦ ، ٧/٣٧٥ : ١٣٢) .

(٣) وكذا فى الحيوان (٤ : ١٩٥) لكن ياقوتا فى معجم البلدان (١١ : ٢٥٥) والصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ قد جعلاه ابنا لمسلم بن الوليد . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم ابن الوليد ، المعروف بصريع الغوانى ، الشاعر المعروف ، كان كأبيه شاعرا مجيداً » .

(٤) جيدت : مطرت بالجود ، وهو المطر الغزير . والمنفوس : المولود .

(٥) ل : « بكل جوهرة » . والمرموس : المدفون .

(٦) الماعون : كل ما انتفع به .

(٧) الخلعاء : جمع خليع ، وهو المستهتر بالشرب واللهو ، والذى أعدى نفسه هواها . فيا عدال : « خلفاء بغداد » ، وهو تحريف . وسعاد اليدان فى (٢ : ١٧٥) من أرقام الأصل ، وقبلهما : « وقال بعض الطياب » . والطياب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكه المزاح . انظر سيبويه (٢ : ٢١١) والحيوان (٣ : ٢٧) .

عجِبتُ من إبليس فى كِبْرِهِ   وقُبْحِ ما أظهرَ من نيّته[١]
تاه على آدمَ فى سجدةٍ   وصـــار قوّاداً لذُرِّيّتِهِ[٢]

وذكره بهذا المعنى سليمانُ الأعمى ، أخو مسلمِ الأنصاريّ[٣] ، فقال :

يأبَى السّجودَ له من فَرْطِ نَخْوتِهِ   وقد تحوّل فى مِســلاخِ قوّادِ

وقال صفوانُ فى شأن واصلٍ وبشّارٍ ، وفى شأن النّار والطّين ، فى كلمةٍ له :

وفى جوفها للعَبْـد أسترُ منزلٍ   وفى ظهـرها يَقضِى فرائضَه العبدُ
تمجُّ لُفَاظَ المِلح مجًّـا وتصطفى   سبائكَ لا تَصْدَا وإن قدُم العهدُ
وليس بِمُحصٍ كُنْهَ ما فى بُطونها   حسابٌ ولا خَطٌّ وإن بَلغَ الجُهْدُ
فسائلْ بعبـد الله فى يوم حَفْلِهِ   وذاك مَقامٌ لا يشاهده وَغْدُ[٤]
أقام شَبيبٌ وابنُ صَفوانَ قبـلَه   بقولِ خطيبٍ لا يجانبه القَصْدُ[٥]
٭ وقام ابنُ عيسى ثمّ قفّاه واصلٌ   فأبدَعَ قولاً ما له فى الورى نِدُّ ٢٢
فما نَقَصَتْهُ الرّاءُ إذْ كان قادراً   على تَرْكِها واللفظُ مطّرِدٌ سَرْدُ
فَفَضَّلَ عبدُ اللهِ خُطبةَ واصلٍ   وضُوعِفَ فى قَسْمِ الصِّلاتِ له الشُّكْدُ[٦]
فأقنَعَ كُلَّ القومِ شُكرُ حِبائِهم   وقَلّل ذاك الضّعْفَ فى عينه الزُّهْدُ

* * *

قد كتبنا احتجاجَ مَن زعم أنّ واصلَ بنَ عطاء كان غزّالا ، واحتجاجَ مَن

---

(١) ب : « وخبث ما أبداه » .
(٢) ل : « فى سجدته » .
(٣) انظر ما سبق فى ٣١ س ٦ .
(٤) يشير إلى ما كان من اجتماع شبيب وخالد بن صفوان والفضل بن عيسى وواصل ، عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . انظر ما سبق ص ٢٤ .
(٥) القصد : المعتدل الذى لا يميل إلى أحد طرفى الإفراط والتفريط . ل : « أقام شبيبان » .
(٦) الشكد ، بالضم : الجزاء والعطاء .

دفَع ذلك عنه . ويزعم هؤلاء أنّ قولَ الناس واصلٌ الغزّال ، كما يقولون خالد الحَذّاء[١] ، وكما يقولون هِشامٌ الدَّستَوائىّ[٢] . وإنما قيل ذلك لأنّ الإباضيّة[٣] كانت تبعثُ إليه من صَدَقاتها ثياباً دَستَوائيّة ، فكان يكسوها الأعرابَ الذين يكونون بالجَنَاب[٤] ، فأجابوه إلى قولِ الإباضيّة ، وكانوا قبلَ ذلك لا يزوِّجون الهُجناء ، فأجابوه إلى التّسوية وزوَّجوا هجيناً ، فقال الهجين فى ذلك :

إنا وجَدْنا الدَّستَوائيِّينا ... الصائمين المتعبِّـــــدينا

أفضلَ منكمْ حَسَباً ودِينا ... أخـزى الإلهُ المتكبِّرينا

* أفيكمُ مَن يُنكِح الهَجِينا[٥] *

وقال : إنما قيل ذلك لواصل لأنّه كان يكثر الجلوسَ[٦] فى سوق الغزّالين ، إلى أبى عبد الله ، مولى قَطَنٍ الهلالىّ . وكذلك كانت حالُ خالدٍ الحَذّاء الفقيه . وكما قالوا : أبو مسعودٍ البدرىّ[٧] ، لأنه كان نازلا على ذلك الماء . وكما قالوا : أبو مالك

---

(١) هو خالد بن مهران ، ويكنى أبا المبارك ، مولى لقريش لآل عبد الله بن عامر بن كرز . قيل إنما سمى حذاء لأنه كان يتكلم فيقول : احذ على هذا الحديث . المعارف ٢١٩ . وقيل إنه تزوج امرأة فنزل عليها فى الحذائين فنسب إليها . السمعانى ١٦٠ .

(٢) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سنبر — بجعفر — الدستوائى البصرى البكرى ، وكان يرمى بالقدر ، روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ودستوا ، بفتح الدال والتاء ، من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . معجم البلدان ، والمعارف ٢٢٣ ، وتهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٥) .

(٣) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، الخارج فى أيام مروان بن محمد . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٨٠) والفرق بين الفرق ٨٢ والمواقف ٦٣٠ .

(٤) الجناب ، بالفتح : موضع فى أرض كلب فى السماوة ، بين العراق والشام . ل : « بالحباب » تحريف .

(٥) الهجين : عربى ولد من أمه ، أو من أبوه خير من أمه .

(٦) فيما عدا ل : « لكثرة جلوسه » .

(٧) هو أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصارى البدرى ، وشهرته بكنيته . صحابى شهد العقبة وبدرا ، توفى سنة ٤٠ . الإصابة ٥٥٩٩ والسمعانى ٦٨ .

السُّدِّى[١] ؛ لأنه كان يبيع الخُمُر فى سُدَّة المسجد[٢] . وهذا الباب مستقصًى فى كتاب « الأسماء والكنى » وقد ذكرنا جملة منه فى كتاب « أبناء السَّرارى والمَهِيرات » .

ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها

* قال أبو عثمان : وهى أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء . ٢٣

فأما التى هى على الشين المعجمة فذلك شىء لا يصوِّره الخَطّ ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة ، وإنما هو مَخرجٌ من المخارج ، والمخارجُ لا تُحصَى ولا يُوقف عليها . وكذلك القولُ فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم ؛ وليس ذلك فى شىء أكثَرَ منه فى لغة الخوز . وفى سواحل البحر من أسياف فارسَ ناسٌ كثير ، كلامُهم يشبه الصَّفير[٣] . فمَنْ يستطيع أن يصوِّر كثيراً من حروف الزَّمزمة والحروفِ التى تظهر من فم المجوسىّ إذا ترك الإفصاحَ عن معانيه ، وأخَذَ فى باب الكناية وهو على الطعام .

فاللُّثغة التى تعرِض للسِّين تكون ثاء ، كقولهم لأبى يَكسوم[٤] : أبى يَكثوم ؛ وكما يقولون بُثْرة ، إذا أرادوا بُسْرة . وبِثْم الله ، إذا أراد وابسم الله .

والثانية اللُّثغة التى تعرِض للقاف ؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاء ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : طُلْت له ؛ وإذا أراد أن يقول : قال لى ، قال : طال لى .

---

(١) فى القاموس (سدد) : « وإسماعيل السدى لبيعه المقانع فى سدة مسجد الكوفة » ومثله فى اللسان . وفى تهذيب التهذيب : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى ، أبو محمد الكوفى . مات سنة سبع وعشرين ومائة . وذكر السمعانى ٢٩٤ أنه مولى زينب بنت قيس بن مخرمة ، حجازى الأصل ، سكن الكوفة .

(٢) السدة ، بالضم : الباب ، أو ما حول المسجد من الرواق .

(٣) فيما عدا ل : « شبيه بالصفير » .

(٤) أبو اليكسوم : كنية أبرهة الملك الحبشى ، صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة ، وكان له ابن يسمى « يكسوم » ، وبه كان يكنى . انظر السيرة ٤١ جوتنجن .

وأما اللثغة التى تقع فى اللام فإنّ مِن أهلها مَن يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : اعتللت : اعتيْت ، وبدل جَمَل : جَمَى . وآخرون يجعلون اللامَ كافاً ، كالذى عرض لعُمَر أخى هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة فى هذا ، قال: مَكْمِكَة فى هذا .

وأمّا اللُّثغة التى تقع فى الراء فإن عددَها يُضعِف على عدد لُثغة اللام ؛ لأنّ الذى يعرِض لها أربعةُ أحرف : فمنهم مَن إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْى ، فيجعل الراء ياء . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْغ ، فيجعل الراء غينا . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عمذ ، فيجعل الراء ذالا . وإذا أنشد قول الشاعر[1] :

واستبــدّت مرةً واحدة إنما العاجزُ مَن لا يستبدّ

قال :

واستبــدّت مَذّة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

فمن هؤلاء علىّ بن الجُنيد بن فريدى .

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة ، فإذا أراد أن يقول :

واستبــدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

يقول :

واستبــدّت مَظّة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

ومنهم من يجعل الرّاء غيناً معجمة ، فإذا أراد أن ينشد هذا البيت قال : ٢٤

واستبدت مغّــةً واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

كما أن الذى لُثغته بالياء ، إذا أراد أن يقول : « واستبدّت مرة واحدة » يقول « واستبدت مَيّةً واحدة » .

---

(١) هو عمر بن أبى ربيعة ، من قصيدة فى ديوانه ٧٦ مطلعها :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

وأما اللُّثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء، ولسليمان بن يزيدَ العدوىّ[1] الشاعر، فليس إلى تصويرها سبيل. وكذلك اللُّثغة التى تعرض فى السين[2] كنحو ما كان يعرض لمحمّد بن الحجاج، كاتب داود بن محمد، كاتب أم جعفر؛ فإنّ تلك أيضاً ليست لها صورةٌ فى الخط تُرى بالعين، وإنما يصوِّرها اللسان وتتأدّى إلى السمع. وربّما اجتمعت فى الواحد لُثغتان فى حرفين، كنحو لثغة شوشى، صاحب عبد الله بن خالد الأموى؛ فإنه كان يجعل اللامَ ياء والراء ياء. قال مرّةً: مَوْيايَ وِيْ اِيَّ. يريد مولاى ولىّ الرّىّ. واللُّثغة التى فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهنّ وأوضَعُهنّ لذى المروءة، ثم التى على الظاء، ثم التى على الذال. فأمّا التى على الغين فهى أيسرهنّ، ويقال إنّ صاحبَها لو جَهَد نفسه جَهْدَه، وأحَدّ لسانَه، وتكلّف مَخْرج الراء على حقِّها والإفصاحَ بها، لم يكُ بعيداً من أن تُجيبه الطَّبيعة، ويؤثِّر فيها ذلك التعهُّد أثراً حسناً.

وقد كانت لُثغة محمّد بن شبيبٍ المتكلّمُ، بالغين، وكان إذا شاء أن يقول عَمرو، ولعمرى، وما أشبه ذلك على الصحّة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلّف والتهيُّؤَ لذلك، فقلت له: إذا لم يكن المانعُ إلا هذا العذرَ فلستُ أشكُّ أنك لو احتملتَ هذا التكلُّفَ والتتبُّعَ شهراً واحداً أنّ لسانك كان يستقيم.

فأمّا من تعتريه اللُّثغة فى الضاد وربّما اعتراه أيضاً فى الصّاد والراء، حتّى إذا أراد أن يقول مُضَر قال مُظَى، فهذا وأشباهُه لاحقون بشوشى.

وقدْ زعم ناسٌ من العوامّ أن موسى عليه السلام كان ألثغَ، ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له على شىء بعينه. فمنهم مَن جعل ذلك خِلقة، ومنهم من زعَم أنّه إنما اعتراه حين قالت آسيةُ بنتُ مُزاحِمٍ امرأةُ فرعون لفرعون:

---

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٩١) وروى له القالى شعرا فى (٣ : ٢٨).

(٢) فيا عدا ل: «الشين».

« لا تَقْتُل طفلاً لا يعرفُ التَّمر من الجمر[١] » . فلمَّا دعا له فرعونُ بهما جميعاً تناول جمرةً فأهوى بها إلى فِيه ، فاعتراه من ذلك ما اعتراه .

وأما اللُّثغة فى الراء فتكون بالياء والظَّاء والذال والغين ، وهى أقلُّها قبحاً وأوجدُها فى ذَوِى الشرف وكبار الناس وبُلغائهم وعلمائهم .

وكانت لثغة محمد بن شبيبٍ المتكلِّمُ ، بالغين ، فإذا حَمَل على نفسه وقوَّم لسانَه أخرج الرَّاء على الصِّحة فتأتَّى له ذلك . وكان يَدَعُ ذلك استثقالاً . أنا سمعت ذلك منه .

قال : وكان الواقدىُّ[٢] يروى عن بعض رجالِه ، أنَّ لسان موسَى كانت عليه شأمةٌ[٣] فيها شَعَرات . وليس يدلُّ القرآنُ على شىء من هـذا[٤] ؛ لأنَّه ليس فى قوله : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ دليلٌ على شىء دون شىء .

وقال الأصمعىّ : إذا تتعتع اللسانُ فى التاء فهو تمتام ، وإذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء . وأنشد لرؤبة بن العجاج :

يا حَمْدَ ذاتَ المنطقِ التَّمتامِ[٥] كأنَّ وَسْواسَكِ فى اللَّمامِ[٦]

* حديثُ شيطانِ بنى هِنَّامِ[٧] *

---

(١) فيا عدا ل : « لا يفرق » بدل « لا يعرف » .

(٢) الواقدى ، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدى ، مولى الأسلميين . كان من أهل المدينة ، وانتقل إلى بغداد ، وولى القضاء بها للمأمون . وكان عالما بالمغازى والسير والفتوح والأخبار . ولد سنة ١٣٠ وتوفى سنة ٢٠٧ . الفهرست لابن النديم ١٤٤ وتاريخ بغداد (٣ : ٣ — ٢١) وابن خلكان (١ : ٥٠٦) والسمعانى ٥٧٧ .

(٣) الشأمة ، بالهمز وبدونه : الخال فى الجسد . فيا عدا ل : « شامة » .

(٤) فيا عدا ل : « مما قالوا » .

(٥) فى الديوان ١٤٤ : « ياهال » مرخم هالة . والبيت مطلع أرجوزة له يمدح بها مسلمة بن عبد الملك .

(٦) يقال ما يزورنا إلا لماما ، أى إلا أحيانا على غير مواظبة .

(٧) فى اللسان : « بنوهنام : حى من الجن ، وقد جاء فى الشعر الفصيح » . وفى الأصل : « بنى همام » صوابه من الديوان .

وبعضهم ينشد :

* يا حَمْدَ ذاتَ المنطقِ النَّمْنَامِ *

وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الزَّحْف[١] :

لستُ بفأفاءٍ ولا تَمتامِ ... ولا كثيرِ الهُجْرِ فى الكلامِ

وأنشد أيضاً للخَوْلانىِّ فى كلمةٍ له :

إنَّ السياطَ تَرَكْنَ لاستِك منطقاً ... كمقالة التمتامِ ليس بمُعْرِبِ

فجعل الخَوْلانىُّ التمتامَ غيرَ مُعْرِبٍ عن معناه ، ولا مفصحٍ بحاجته .

وقال أبو عبيدة : إذا أدخلَ الرَّجلُ بعضَ كلامه فى بعضٍ فهو ألفُّ ، وقيل بلسانه لَفَفٌ . وأنشدنى لأبى الزَّحْف الراجز :

كأنَّ فيه لففاً إذا نطقْ ... من طُولِ تحبيسٍ وهَمٍّ وأرَقْ

كأنَّه لما جلس وحْدَه ولم يكن له مَن يكلِّمه ، وطال عليه ذلك ، أصابه ٢٦
لففٌ فى لسانه .

وكان يزيدُ بن جابرٍ ، قاضى الأزارقة[٢] بعد المُقَعْطِل ، يقال له الصَّموت ؛ لأنَّه لما طال صمتُه ثقُل عليه الكلام ، فكان لسانُه يلتوى ، ولا يكاد يبين .

وأخبرنى محمدُ بنُ الجهم[٣] أنَّ مثل ذلك اعتراه أيامَ محاربة الزُّطِّ[٤] ، من طول التفكُّر ولزوم الصَّمت .

---

(١) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفى — ابن عم جرير بن الخطفى — وعمر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس . انظر الشعراء لابن قتيبة .

(٢) الأزارقة : فرقة من فرق الخوارج السبع ، نسبة إلى نافع بن الأزرق الحنفى . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٦٠) ومفاتيح العلوم ١٩ والمواقف ٦٢٩ والفرق بين الفرق ٨٢ .

(٣) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاه المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر ، وجهها إليه المأمون فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختبار مؤهلا لحصوله على هذه الولايات .

(٤) الزط : جيل من الهند . انظر تحقيق اسمهم فى الحيوان (٥ : ٤٠٧) . وقد كان هؤلاء ممن حاربهم المأمون . انظر حوادث سنة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من كتب التاريخ .

قال : وأنشدَنى الأصمعىّ :

حـديث بنى قُرْطٍ إذا ما لقيتَهم　　كنَزْو الدَّبا فى العرفج المتقارِب[١]

قال ذلك حين كان فى كلامهم عَجَلة . وقال سلمة بن عَيّاش[٢] :

كأنَّ بنى رألانَ إذْ جاء جمعُهم　　فراريجُ يُلقَى بينهن سَويقُ[٣]

فقال ذلك لدِقّة أصواتهم[٤] وعَجَلة كلامهم . وقال اللَّهَبىُّ[٥] فى اللجلاج :

ليس خطيبُ القوم باللجـلاج　　ولا الذى يَزْحَـلُ كالمِلباجِ[٦]

ورُبَّ بيـداء وليـلٍ داجِ　　هتـكتُه بالنَّصِّ والإدلاجِ

وقال محمد بن سَلاَّم الجُمَحى : كان عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا رأى رجلا يتلجلج فى كلامه ، قال : « خالقُ هذا وخالقُ عمرِو بن العاصى واحد »[٧]

ويقال فى لسانه حُبْسة ، إذا كان الكلام يثقُل عليـه ولم يبلُغْ حدَّ الفأفاء والتمتام . ويقال فى لسانه عُقْلةٌ ، إذا تعقَّل عليـه الكلام[٨] . ويقال فى لسانه

---

(١) بنو قرط : بطن من بنى بكر بن كلاب . انظر المعارف ٤٠ والقاموس (قرط) . فيا عدا ل : « بنى زط » تحريف ، اجتلبه ما سبق من الكلام. والدبا : الجراد قبل أن يطير .

(٢) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد ، ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يمدحهما . انظر الأغانى (٢١ : ٨٤ — ٨٦) .

(٣) بنو رألان : قبيلة من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

(٤) فيا عدا ل : « لرقة أصواتهم » تحريف .

(٥) اللهبى ، هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، أحد شعراء بنى هاشم ، وكان ممن وفد على عبد الملك بن مروان . انظر الأغانى (١٥ : ٢ — ١٠) ، والمؤتلف ٣٥ والمرزبانى ٣٠٩ .

(٦) يزحل : يزل عن مقامه . قال لبيد :

لو يقوم الفيل أو فياله　　زل عن مثل مقامى وزحل

والملباج : الأحمق الشديد الحمق .

(٧) فيا عدا ل : « إذا رأى الرجل » و « عمرو بن العاص » . وفى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء ، لا يجوز حذفها . وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هـذا مخالف لجميع النحاة . يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٣) . والخبر فى الحيوان (٥ : ٥٨٧) وعيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٨) الـكلام بعد « التمتام » إلى هنا من ل فقط .

لُكنةٌ ، إذا أدخل بعضَ حروف العجَم في حروف العرب ، وجَذبتْ لسانَه العادةُ الأولى إلى المخرج الأوّل . فإذا قالوا في لسانه حُكْلة فإنما يذهبون إلى نُقصان آلةِ المنطق ، وعَجْز أداة اللفظ ، حتى لا تُعْرَفَ معانيه إلا بالاستدلال .

وقال رؤْبة بن العجاج :

لو أنّني أوتيتُ عِلمَ الحُكْلِ عِلمَ سليمانَ كلامَ النملِ [١]

وقال محمد بن ذُؤَيب [٢] ، في مديح عبد الملك بن صالح : ٢٧

ويفهَمُ قول الحُكْلِ لو أنّ ذَرَّةً تساوِدُ أخرى لم يَفُتْه سِوادُها [٣]

وقال التَّيمى [٤] في هجائه لبنى تَغلب :

ولكنَّ حُكْلاً لا تُبينُ ودِينُها عبادةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ [٥]

قال : وأنشدَني سُحَيمُ بن حفص [٦] ، في الخطيب الذي تعرِض له النَّحنحة والسُّعلة ، وذلك إذا انتفخَ سَحْرُه ، وكَبا زَنده ، ونَبا حدُّه ؛ فقال :

نعوذُ باللهِ مِن الإهمالِ ومِن كَلالِ الغَرْب في المَقالِ

* ومن خطيبٍ دائمِ السُّعالِ *

(١) وكذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميداني (١ : ٢/٤٥٤ : ٨٥) والحيوان (٤ : ٨ ، ٢٣) . لكن قال ابن برى : «الرجز للعجاج» . انظر اللسان (حكل) . والحكل : ما لا يسمع له صوت من الحيوان .

(٢) هو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي العماني الراجز ، وقيل له العماني وهو بصرى ولم يكن من أهل عمان ، لأن دكينا الراجز نظر إليه فقال : من هذا العماني ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا . وهو شاعر راجز من شعراء الدولة العباسية ، كان مقربا من الرشيد . الأغاني (١٧ : ٧٨ — ٨٣) والشعراء لابن قتيبة .

(٣) السواد ، بالكسر : السرار . وانظر الحيوان (٤ : ٢٣) .

(٤) في الحيوان (٤ : ٢٤) : «وقال التيمى الشاعر المتكلم» .

(٥) أنشده في الحيوان برواية : «عجم وحكل لا تبين» .

(٦) ويقال أيضاً في اسمه «عامر بن حفص» ، ولقبه «سحيم» . وبلقبه هذا يذكره الجاحظ في مواضع كثيرة . والمدائني في كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست لابن النديم ٩٤ ليبسك ١٣٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب ، ثقة فيما يرويه . وتوفى سنة ١٩٠ .

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ :

إنَّ زياداً ليس بالبكىِّ ولا بهيَّابٍ كثيرِ العِىِّ

وأنشدنى بعض أصحابنا :

ناديتُ هَيْذَان والأبوابُ مغلقةٌ ومثلُ هَيْذانَ سَنَّى فتحةَ البابِ(١)

كالهُندُوانىِّ لم تُفلَلْ مَضاربُه وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجَّابِ(٢)

وقال آخر :

* إذا الله سَنَّى عَقْدَ شىءٍ تيسرا(٣) *

وقال بشر بن المُعتَمِر(٤) ، فى مثل ذلك :

ومِن الكبائرِ مِقْوَلٌ متتَعتِعٌ جَمُّ التنحنح مُتعَبٌ مبهورُ(٥)

وذلك أنّه شهد رَبْسان ، أبا بُجَير بن رَبْسانَ ، يخطُب . وقد شهدتُ أنا هذه الخطبةَ ولم أر جباناً قطُّ أجرأ منه ، ولا جريئا قطُّ أجبَنَ منه .

وقال الأشلُّ الأزرقىّ — من بعض أخوالِ عمرانَ بنِ حِطَّانَ الصُّفرىِّ القَعَدىِّ(٦) :

(١) سنى : فتح وسهل .

(٢) الهندوانى ، بضم الدال مع ضم الهاء وكسرها : السيف المطبوع من حديد الهند . تفلل : تثلم . والوجاب : الخفاق المضطرب من الخوف .

(٣) يروى صدره : * وأعلم علما ليس بالظن أنه *

و : * فلا تيأسا واستغورا الله إنه *

انظر اللسان (غور ، سنا) .

(٤) بشر بن المعتمر ، صاحب البشرية ، انتهت إليه رآسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة فى بعض مسائل أوردتها فى كتابى « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نخاسا فى الرقيق توفى سنة ٢١٠ . انظر لسان الميزان (٢ : ٣٣) والملل والنحل (١ : ٨١) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازى ٤٢ . فيما عدال : « بشر بن معمر » تحريف . ولبشر قصيدتان فى الحيوان (٦ : ٢٨٤ — ٢٩٧) .

(٥) المقول : الكثير القول .

(٦) هو أبو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى ، رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشراة فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام ، فطلبه عبد الملك ففر إلى عمان . ولما طال عمره قعد عن الحرب ، فاكتفى بالتحريض والدعوة بشعره . توفى سنة ٨٤ . الإصابة ٦٨٦٩ .

— فى زيدِ بن جُندبٍ الإيادىّ[١] خطيبِ الأزارقة ، وقد اجتمعا فى بعض المحافل ، فقال بعد ذلك الأشلُّ البكرىّ : ٢٨

نَحنَحَ زيدٌ وسَعَلْ   لمّا رأى وَقعَ الأسَلْ
ويلُ أمِّـهِ إذا ارتَجَلْ   ثمّ أطالَ واحتَفَـلْ

وقد ذكر الشاعر زيدَ بنَ جندبٍ الإيادىّ ، الخطيبَ الأزرقىّ ، فى مرثيته لأبى دُوَادِ بنِ حَرِيز الإيادى[٢] ، حيثُ ذكره بالخطَابة وضرب المثَـلَ بخطباء إياد ، فقال :

كقُسٍّ إياد أو لَقيطِ بن مَعْبَـدِ   وعُذْرَةَ والمِنطِيقِ زَيدِ بن جُندبِ

وزيدُ بن جندبٍ هو الذى قال فى الاختلاف الذى وقع بين الأزارقة :

قل للمحِلِّين قد قرّتْ عيونُهُمُ   بفُرقة القومِ والبغضاء والهَرَبِ[٣]
كنّا أناساً على دينٍ ففرّقنَا   طولُ الجِدال وخَلْطُ الجِدِّ باللعِبِ[٤]
ما كان أغنى رجالاً ضَلَّ سعيُهم   عن الجِدال وأغناهُمْ عن الخُطَبِ
إنّى لأهوَنُكُمْ فى الأرضِ مُضطرَباً   مالى سِوى فَرَسى والرُّمحِ مِن نَشَبِ

وأمّا عُذْرة المذكور فى البيت الأوّل فهو عُذْرة بن حُجَـيرة[٥] الخطيبُ الإيادى . ويدل على قَدره فيهم ، وعلى قَدْره فى اللَّسَن وفى الخُطَب ، قولُ شاعرهم :

وأىُّ فَتىً صَبْرٍ على الأينِ والظَّما   إذا اعتَصَرُوا لِلَّوح ماءَ فِظاظِها[٦]
إذا ضَرّجُوها ساعةً بدِمائها   وحُلَّ عن الكَوْماء عَقْد شِظاظِها[٧]

(١) له شعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) .
(٢) فيا عدا ل : « بن جرير تحريف . انظر سمط اللآلى ٧١٨ .
(٣) فيا عدا ل : « قد قرت عيونكم » .
(٤) فيا عدا ل : « قرع الكلام » .
(٥) فيا عدا ل : « عذرة بن حجرة » .
(٦) اللوح ، بالفتح والضم : العطش . والفظاظ : جمع فظ ، وهو ماء الكرش . وكانوا يعتصرون ماء الكرش إذا عز عليهم الماء فى المفاوز .
(٧) الكوماء . الناقة العظيمة السنام . والشظاظ : العود الذى يدخل فى عروة الجوالق .

فإنك ضَحَّاكٌ إلى كلّ صاحبٍ   وأَنطَقُ من قُسٍّ غداةَ عُكاظِها
إذا شَغَبَ المولَى مُشاغِبُ مَعْشَرٍ   فَعُذْرَةُ فيها آخِذٌ بكِظاظِها[1]

فلم يضرِبِ هذا الشاعرُ الإيادىُّ المثَلَ لهذا الخطيبِ الإيادىِّ ، إلاّ برجُلٍ من خُطباء إياد ، وهو قُسُّ بنُ ساعدةَ . ولم يضرِبْ صاحبُ مرثية أبى دُؤادِ بن ٢٩
حَرِيزٍ الإيادىِّ[2] المثَلَ إلاّ بخطباء إيادٍ فقط ، ولم يفتقر إلى غيرهم ، حيث قال فى عُذرة بن حُجَيرة[3] :

كقُسِّ إيادٍ أو لَقيطِ بن مَعْبِدٍ   وعُذرةَ والمِنْطيقِ زيدِ بن جُندبِ

وأول هذه المرثية قوله :

نعى ابنَ حَرِيزٍ جاهلٌ بمُصابِه   فعَمَّ نِزاراً بالبُكا والتَّحَوُّبِ[4]
نعاهُ لنا كاللَّيثِ يحمِى عرينَه   وكالبَدْرِ يُغشِى ضوؤُه كلَّ كوكبِ
وأصبَرَ من عَوْدٍ وأهدَى إذا سَرَى   من النَّجمِ فى داجٍ من الليل غَيْهَبِ[5]
وأذرَبَ من حَدِّ السِّنانِ لسانُه   وأمضَى من السَّيفِ الحسامِ المشطَّبِ[6]
زعيمُ نِزارٍ كلِّها وخَطيبُها   إذا قام طاطا رأسَه كلُّ مِشْغَبِ
سليلُ قُرومٍ سادة ثُمَّ قالةٍ   يبُذّون يومَ الجمع أهلَ المُحصَّبِ[7]
كقُسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبدٍ   وعُذْرةَ والمنطيقِ زيدِ بن جُندبِ

---

(١) الكظاظ : ممارسة الشدة وملازمتها .
(٢) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيها عدا ل : « بن جرير » .
(٣) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيها عدا ل : « ابن حجرة » .
(٤) التحوب : البكاء فى جزع وصياح . والبيت فى سمط اللآلى ٧١٨ .
(٥) العود ، بالفتح : الجمل المسن وفيه بقية . وفى أمثالهم : « زاحم بعود أودع » أى استعن على حربك بأهل السن والمعرفة ، فإن رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .
(٦) الذرب : الحدة . والحسام : القاطع . والمشطب : الذى فيه طرائق فى متنه .
(٧) أشير فى هامش ل إلى رواية « ثم قادة » فى نسخة . والمحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

فى كلمةٍ له طويلة . وإيّاهم عَنَى الشّاعرُ بقوله :

يَرْمُون بالُخطَب الطِّوالِ وتارةً ... وَحْىَ المَلاحِظِ خيفةَ الرُّقَباءِ[١]

قال : أخبرنى محمّد بن عبّاد بن كاسِب ، كاتبُ زهيرٍ ومولى بَجِيلة من سَبْىِ دابق[٢] ، وكان شاعراً راوية ، وطلّابة للعلم علّامة ، قال : سمعت أبا دؤاد بن حَرِيز[٣] يقول وقد جرى شىء من ذكر الُخطَبِ وتحبيرِ الكلام واقتضابه ، وصعوبةِ ذلك المَقام وأهوالِه ، فقال : « تلخيص المعانى رِفْق[٤] ، والاستعانة بالغريب عَجْز ، والتّشادقُ من غير أهل البادية بُغض ، والنَّظَر فى عيون النّاس عِىّ ، ومَسُّ اللِّحية هُلْك ، والخروجُ مِمّا بُنِى عليه أوّلُ الكلام إسهاب » . قال : سمعته يقول : « رأس الخطابة الطَّبع ، وعَمُودُها الدُّرْبة ، وجناحاها رواية ٣٠ الكلام ، وحَلْيُها الإعراب ، وبهاؤُها تخيُّر الألفاظ[٥] . والمحبّة مقرونةٌ بقلّة الاستكراه » . وأنشدنى بيتاً له فى صفة خطباء إياد :

يَرْمُون بالُخطب الطّوالِ وتارةً ... وَحْىَ المَلاحِظِ خِيفةَ الرُّقَباء

فذكر المبسوطَ فى موضعه ، والمحذوفَ فى موضعه ، والموجَز ، والكناية والوحْىَ باللّحظِ ودَلالة الإشارة . وأنشدنى له الثّقة فى كلمةٍ له معروفة :

الجودُ أخْشَنُ مسًّا يا بنى مَطَرٍ ... مِنْ أن تَبزَّكُمُوه كفُّ مستلِبِ[٦]

ماأعْلَمَ النّاسَ أنّ الجودَ مَدْفَعةٌ ... للذّمّ لكنّه يأتى على النَّشَبِ ٣١

---

(١) عنى بالملاحظ العيون ، لحظه لحظا : نظره بمؤخر عينه . والبيت منسوب إلى أبى دواد بن حريز . وهو بهذه النسبة فى زهر الآداب (١ : ٩٦) .

(٢) دابق ، بكسر الباء ، وروى بفتحها : قرية قرب حلب .

(٣) فيما عدا ل : « جرير » . وانظر ما مضى ص ٤٢ .

(٤) التلخيص : التبيين والشرح والتقريب .

(٥) فيما عدا ل : « اللفظ » .

(٦) بنو مطر : رهط معن بن زائدة الشيبانى ، الجواد المعروف ، وابن أخيه يزيد الشيبانى الممدوح بالكرم والشجاعة . انظر أخبارهما فى وفيات الأعيان وغيرها . بزه الشىء : استلبه منه .

قال : ثمَّ لم يَحفِل بها ، فادَّعاها مسلمُ بن الوليد الأنصاريّ ، أو ادُّعِيَت له . وكان أحد مَن يجيد قريضَ الشِّعر وتحبير الخطب[١] .

وفى الخطباء مَن يكون شاعراً ويكونُ إذا تحدَّثَ أو وصَف أو احتجَّ بليغاً مفوَّها بَيِّنا ، وربما كان خطيباً فقطْ وشاعراً فقط وبيِّن اللسان فقط .

فمن الخطباء الشعراء ، الأبيناء الحكماء : قُسُّ بن ساعِدة الإيادىّ . والخطباء كثيرٌ ، والشعراء أكثَرُ منهم ، ومن يجمع الشِّعرَ والخطابةَ قليل .

ومنهم : عمرو بن الأهتم المِنقَرى ، وهو المُكَحَّل ، قالوا : كأنَّ شِعرَه فى مجالس الملوك حُلَلٌ منشورة . قيل لعمر بن الخطاب رحمه الله : « قيل للأوسيَّةِ أىُّ منظرٍ أحسن ؟ فقالت : قصورٌ بيضٌ فى حدائقَ خُضْر » ، فأنشد عند ذلك ٣٠
عمرُ بن الخطاب ، بيتَ عدىِّ بن زيدٍ العِبَادِىّ :

كَدُمَى العاج فى المحاريب أو كالـ   ـبَيض فى الرّوض زَهرُهُ مُستَنِيرُ

قال : فقال قَسامة بن زُهير[٢] : « كلام عَمرِو بنِ الأهتم آنَقُ ، وشعره أحسن » هذا . وقَسامة أحدُ الأبيناء .

ومن الخطباء الشعراء : البَعِيثُ المُجاشِعىّ ، واسمه خِداش بن بِشر بن بَيْبَة[٣] .

ومن الخطباء الشعراء : الكُمَيْتُ بن زيد الأسدى[٤] ، وكنيته أبو المستَهِلّ . ٣١

---

(١) فيا عدال : « الكلام » .

(٢) قسامة بن زهير المازنى ، له إدراك ، وكان ممن افتتح الأبلة مع عتبة بن غزوان ، وكان رأسا فى تلك الحروب . مات بعد الثمانين . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) فى المؤلف ٥٦ ، أنه خداش بن بشر بن خالد بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع . دخل بين جرير وغسان السليطى ، وأعان غسان فلج الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق ، وسقط البعيث . فيا عدال : « لبيد » بدل « بيبة » تحريف .

(٤) من يقال له الكميت من الشعراء ثلاثة ، كلهم أسدى ، من بنى أسد بن خزيمة . وأعرفهم وأشهرهم الكميت بن زيد ، وكان مكثرا جدا ، يتعمل لإدخال الغريب فى شعره ، وله فى أهل البيت الأشعار المشهورة ، وهى أجود شعره . وهذا الكميت هو الكميت الأصغر =

ومن الخطباء الشعراء : الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائى[١] ، وكنيته أبو نَفْر . قال القاسم بن مَعْن : قال محمّد بن سهلٍ راويةُ الكميت : أنشدتُ الكميتَ قولَ الطرِمّاح :

إذا قُبِضت نَفْسُ الطرِمّاحِ أخلقَتْ   عُرَى المَجْد واستَرْخَى عِنانُ القصائدِ

قال : فقال الكميت : إى واللهِ ، وعِنان الخطابة والرِّواية .

قال أبو عثمان الجاحظ : ولم يَرَ الناسُ أعجبَ حالاً من الكميتِ والطرمّاح . وكان الكميتُ عدنانيًّا عَصبيًّا ، وكان الطرِمّاح قَحطانيا عَصَبيًّا . وكان الكميت شِيعيًّا من الغالية ، وكان الطرِمّاح خارجيًّا من الصُّفْريّة . وكان الكميت يتعصّب لأهل الكوفة ، وكان الطرمّاح يتعصب لأهل الشام . وبينهما مع ذلك من الخاصّة والمخالَطة ما لم يكن بين نَفْسَين قطُّ ، ثم لم يَجْرِ بينهما صَرْمٌ ولا جَفْوةٌ ولا إعراض ، ولا شىءٌ مما تدعو هذه الخصالُ إليه . ولم يَرَ الناسُ مثلَهما إلا ما ذكروا من حالِ عبد الله بن يزيد الإباضى[٢] ، وهِشام بن الحكَم الرافضى[٣] ؛ فإنّهما صارا إلى المشاركة بعد الخِلْطة والمصاحبة[٤] .

= وأما الأكبر فهو الكميت بن ثعلبة ، أحد الشعراء المخضرمين ، وهو جد الكميت الأوسط : الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة ، شاعر مخضرم أيضا . انظر المؤتلف ١٨٠ ومعجم المرزبانى ٣٤٧ .

(١) الطرماح بن حكيم : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، مولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة ، وكان فصيحا يكثر فى شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابى عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . انظر الشعراء لابن قتيبة والأغانى (١٠ : ١٤٨) والخزانة (٣ : ٤١٨) .

(٢) فيما عدا ل : « بن يزيد الإباضى » .

(٣) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستانى ، ومن المشبهة عند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والتشبيه . وآراؤه مفصلة فى الفرق ٤٧ — ٥٣ والملل والنحل (٢ : ٢١ — ٢٣) . وانظر الحيوان (٣ : ١١) .

(٤) الخلطة ، بالكسر : العشرة ؛ وبالضم : الشركة .

وقد كانت الحال بين خالد بن صَفْوانَ وشبيبِ بن شيبةَ ، الحالَ التى تدعو إلى المفارَقة بعد المنافسة والمحاسَدة ؛ للذى اجتمع فيهما من اتّفاق الصِّناعة والقَرابة والمجاورة ، فكان يُقال : لولا أنهما أحكمُ تميمٍ لتبايَنَا تبايُنَ الأُسْدِ والنُّمُر .
وكذلك كانت حالُ هشامِ بن الحكم الرافضىّ ، وعبدِ الله بن يزيد الإباضىّ[1] ، إلا أنهما أفضَلا[2] على سائر المتضادَّين ، بما صارا إليه من الشَّرِكة فى جميع تجارتِهما . وذكر خالدُ بنُ صفوانَ شبيبَ بنَ شيبة فقال : « ليس له صديقٌ فى السِّرّ ، ولا عدوٌّ فى العلانية[3] » ، فلم يعارضْه شبيب . وتدلُّ كلمةُ خالدٍ هذه على أنه يُحسِن أن يسُبَّ سَبَّ الأشراف .

ومن الشعراء الخطباء : عِمْرانُ بن حِطّانَ ، وكنيته أبو شهاب ، أحدُ بنى عمرِو بن شيبانَ إخوةِ سَدُوس . ٣٢

فمن بنى عمرِو بن شيبانَ مع قِلّتهم من الخطباء والعلماء والشعراء : عِمرانُ بن حِطّانَ رئيسُ القَعَدِ من الصُّفْرِيّة ، وصاحبُ فُتْياهم ، ومَفْزَعُهم عند اختلافهم . ومنهم : دَغْفَل بن حنظلةَ النّسّابةُ ، الخطيبُ العلّامة . ومنهم القعقاع بن شَوْر[4] . وسنذكر شأنَهم إذا انتهَينا إلى موضع ذكرِهم إن شاء الله .

ومن الخطباء الشعراء : نصر بن سَيّار[5] ، أحد بنى لَيث بن بكر ، صاحب

---

(١) فيا عدال : « بن زيد » . وانظر ما سبق ص ٤٦ .

(٢) فيا عدال : « فضلا » وهما سيان ، يقال فضل كنصر وعلم ، وأفضل عليه وعنه ، أى زاد .

(٣) الخبر فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) .

(٤) شور ، بفتح الشين المعجمة . وفى القاموس أن القعقاع بن شور تابعى . وترجم له فى لسان الميزان (٤ : ٤٧٤) ، وقال : من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية . وفيه يقول الشاعر:

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس

(٥) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ولاه هشام بن عبد الملك . ثم غزا ما وراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيراً ، وأقام بمرو . وقد انتبه إلى استفحال الدعاوة العباسية ، فكتب إلى بنى مروان بالشام فلم يأبهوا بالخطر ، وظل يكافح حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومس ، واستمر فى كفاحه إلى أن لحقه المرض فى مفازة بين الرى وهمذان . ومات بساوة سنة ١٣١ .

خُراسان ، وهو يُعَدُّ فى أصحاب الوِلايات والحروب ، فى التدبير ، وفى العَقل وشِدَّة الرأى .

ومن الخطباء الشعراء العلماء : زيد بن جُندب الإيادىّ ، وقد ذكرنا شأنه[1] .

ومن الخطباء الشعراء : عَجْلانُ بن سَحْبانَ الباهلىّ ؛ وسحبانُ هذا هو سحبانُ وائلٍ ، وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ، وممن قد تنافر إليه الأشراف : أعشى هَمْدَان .

ومن الشعراء الخطباء : عِمران بنُ عِصام العَنَزِىّ[2] ، وهو الذى أشار على عبد المَلِك بخَلْع عبد العزيز أخيه ، والبيعةِ للوليد بن عبد الملك ، فى خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذى لمّا بلغ عبدَ الملك بن مروان قَتْلُ الحجّاج له قال : ولِمَ قَتَلَه ، وَيْلَه ؟ ألاَ رَعَى له قولَه فيه :

وبَعثْتَ من وَلَد الأغَرِّ مُعَتِّبٍ ... صَقْراً يلوذُ حَمامُه بالعَرْفَجِ[3]
فإذا طبخْتَ بنارِهِ أنضجْتَها ... وإذا طَبَخْتَ بغيرها لم تَنضَجِ
وهو الهِزَبْرُ إذا أرادَ فَرِيسةً ... لم يُنجِها منه صِياحُ الهَجْهَجِ[4]

---

(١) انظر ما سبق ص ٤٢ .

(٢) عمران بن عصام العنزى : شاعر خطيب ذو لسان وذو جلد وشجاعة ، عرفه الحجاج فبعثه إلى عبد الملك بن مروان لينزع الولاية من أخيه عبد العزيز بن مروان ، ويجعلها لابنه الوليد ابن عبد الملك ، فقام بذلك ، ولم يلبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات . فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج ، فأتى به حين قتل ابن الأشعث فقتله . الأغانى (١٦ : ٥٨ — ٥٩) . والعنزى : نسبة إلى عنزة ، بالتحريك ، إحدى قبائل بنى أسد . فيا عدال : « العرنى » تحريف . وهو معدود فى رجال عنزة . انظر الاشتقاق ١٩٦ .

(٣) معتب ، بكسر التاء المشددة : جد من أجداد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل ابن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى ، وهو ثقيف .

(٤) هجهج بالسبع : صاح به وزجره .

ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولَّدين منهم : بَشّارٌ الأعمى ، وهو بشارُ ابن بُرْد ، وكنيته أبو مُعاذ ، وكان من أحد موالى بنى عُقَيل . فإن كان مولى أمِّ الظِّباء على ما يقول بنو سَدوس ، وعلى ما ذكره حَمّادُ عَجْرَدٍ ، فهو من موالى بنى سَدوس . ويقال إنه من أهلِ خراسانَ نازلاً فى بنى عُقَيل . وله مديحٌ كثيرٌ

٣٣ فى فرسانِ أهلِ خُراسانَ ورِجالاتهم . وهو الذى يقول :

مِن خُراسانَ وبيتى فى الذُّرَى ولَدَى المَسعاة فَرْعِى قد بسَقْ

وقال :

وإنِّي لِمنْ قَوْمٍ خُراسانُ دارُهم كرامٍ وفَرْعِى فيهمُ ناضِرٌ بَسَقْ

وكان شاعراً راجزاً ، وسَجّاعاً خطيباً ، وصاحب منثورٍ ومزدَوِج . وله رسائلُ معروفة

وأنشد عُقْبةُ بنُ رؤبةَ ، عقبةَ بنَ سَلَمٍ[1] ، رجزاً يمتدحه به ، وبشّارٌ حاضر ، فأظهرَ بشارٌ استحسانَ الأرجوزة ، فقال له عقبةُ بن رؤبة : هذا طرازٌ يا أبا مُعاذٍ لا تُحسِنُه . فقال بشار : أَلِمثلي يُقال هذا الكلام ؟ أنا واللهِ أرجَزُ منك ومِن أبيكَ ومن جدِّك . ثم غدا على عُقبةَ بنِ سَلَمٍ بأرجوزته التى أولها :

يا طَلَلَ الحىِّ بذاتِ الصَّمْدِ باللهِ خبِّرْ كيف كُنتَ بَعْدِى

وفيها يقول :

اسْــلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِـلَدِّ للهِ أيامُك فى معـــدِّ

وفيها يقول :

---

(١) عقبة بن سلم ، بفتح السين واللام ، كما ضبط فى الاشتقاق ٢٩٢ ، قال ابن دريد : « ومن بنى هناءة فى الإسلام عقبة بن سلم ، صاحب دار عقبة بالبصرة ، ابن نافع بن هلال ابن أهبان بن هراب بن عائذ بن خزير بن أسلم بن هناءة » . والخبر مفصل فى الأغانى (٣ : ٣٦ — ٣٧) وزهر الآداب (٢ : ١٢١) .

الحُرُّ يُلحَى والعصا للعَبْد وليس المُلحف مِثْلُ الرَّدّ

وفيها يقول :

وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ حَمَلتُه فى رُقعةٍ من جِلدِى

* وما دَرى ما رغبتى من زُهْدِى *

أى لم أرِه زُهداً فيه ولا رغبةً(١) . ذهب إلى قول الأغرّ الشاعر(٢) :

لقد كنتَ فى قوم عليكَ أشِحَّةٍ بنفسك ، لولا أنّ مَن طاح طائحُ

يوَدُّون لو خاطُوا عليكَ جُلودَهُمْ وهَلْ يدفعُ الموتَ النّفوسُ الشحائحُ(٣)

***

والمطبوعون على الشعر من المولَّدين بشارٌ العُقيلىّ ، والسَّيِّد الحِمْيرىّ ، وأبو العتاهية ، وابن أبى عُيَيْنة(٤) . وقد ذكر الناسُ فى هذا الباب يحيى بن نوفلٍ وسَلْماً الخاسرَ ، وخَلَفَ بنَ خليفة(٥) . وأبانُ بنُ عبد الحميد اللاحقىُّ أوْلى بالطَّبع من هؤلاء ، وبشّارٌ أطبعُهم كلِّهم . ٢٤

(١) قال أبو الفرج : « وذكر لى أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعى هذا الخبر عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر إلى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجل بشار محضره وعشرته فقابله بهذه المقابلة القبيحة » .

(٢) كلمة « الأغر » من ل فقط . وفى المؤتلف ص ٤٠ شاعران من بنى يشكر بن وائل ، يقال لكل منهما « الأغر » .

(٣) انفردت ل بهذه الرواية وكتب فيها فوق « هل » : « لا » إشارة إلى أنهما روايتان . وفيها عدال وكذا زهر الآداب (٢ : ١٢١) : « ولا » .

(٤) هو محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة ، من شعراء الدولة العباسية وساكنى البصرة ، أنفذ أكثر أشعاره فى هجاء ابن عمه خالد . أنظر الأغانى (١٨ : ٨ — ٢٩) .

(٥) من شعراء الحماسة ، وكان يقال له « الأقطع » لأنه قطعت يده فى سرقة ، فاستعاض عنها بأصابع من جلود ، وكان من معاصرى جرير والفرزدق ، دخل يوما على يزيد بن عمر ابن هبيرة ، فى يوم مهرجان ، وقد أهديت له هدايا وهو يفرقها فى الناس ، وكان إذ ذاك أميرا على العراق ، فوقف ثم قال :

كأنا شماميس فى بيعة تقس فى بعض عيداتها

وقد حضرت رسل المهرجان وصفوا كريم هدياتها =

ومن الخطباء الشعراء ومَن يؤلِّف الكلامَ الجيِّدَ ، ويصْنَع المناقلاتِ الحسانَ ويؤلِّف الشعر والقصائدَ الشريفة ، مع بيانٍ عجيبٍ ورواية كثيرة ، وحُسْن دَلٍّ وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأب ، أحد بني ليث بن بكر ، وكنيته أبو الوليد .

ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخَطابةَ والشِّعرَ الجيِّدَ والرسائلَ الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العَتَّابى ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى ألفاظِه وحَذْوِه ومثاله فى البديع يقولُ جميعُ من يتكلَّف مِثلَ ذلك من شعراء المولَّدين ، كنحو مَنْصورٍ النَّمَرى ، ومسلم بن الوليد الأنصاريّ وأشباهِهما .

وكان العتابىُّ يحتذِى حَذْوَ بشّار فى البديع . ولم يكن فى المولَّدين أصوبُ بديعاً من بشّارٍ ، وابن هَرْمة .

والعتابىُّ من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :

إنّى امرؤٌ هدَمَ الإقتارُ مأثُرَتى   واجتاحَ ما بَنَتِ الأيامُ من خطَرِى
أيّامَ عمرِو بنِ كلثوم يسوِّدُه   حَيّا ربيعةَ والأفناء من مُضَرِ (١)
أُرومةٌ عطَّلتْنى مِن مكارمِها   كالقوس عطَّلها الرّامى من الوتَرِ

ودلَّ فى هذه القصيدة على أنّه كان قصيراً بقوله :

نَهى ظِرافَ الغوانى عن مُواصَلتى   ما يفجأ العينَ من شَيبى ومن قِصَرى

* * *

= علوت برأيى فوق الرءوس   وأشخصته فوق هاماتها
لأكتب صاحبتى صحفة   تغيظ بها بعض جاراتها

وكان بين يديه جامات من ذهب وفضة ، فأمر له منها بعشرين جاما ، وأقبل يقسم الباق ويقول :

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة   فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها   فليس تبق وباق شكرها خلف

انظر الشعراء لابن قتيبة .

(١) الأفناء : الأخلاط من القبائل ، واحدها فنو ، بالكسر ، وفنا ، كعصا .

ومن الخطباء الشعراء الذين قد جَمعُوا الشِّعر والخطبَ ، والرسائلَ الطِّوالَ والقصارَ ، والكتبَ الكِبارَ المخلَّدة[1] ، والسِّيَرَ الحِسانَ المدوَّنة ، والأخبارَ المولَّدة : سَهلُ بن هارون بن راهيونى[2] الكاتب ، صاحب كتاب ثعلة وعفرة ، فى معارضة كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب الإخوان[3] . وكتاب المسائل ، وكتاب المخزوميّ والهذلية ، وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء علىّ بن إبراهيم بن جَبلَة بن مَخْرَمة ، ويُكنى أبا الحسن[4] . وسنذكر كلام قُسّ بن ساعدة ، وشأن لَقيط بن معبد ، وهند بنت الخُسّ ، وجُمعة بنت حابس ، وخطباء إياد ، إذا صِرْنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله .

ولإيادٍ وتميمٍ فى الخُطب خَصلةٌ ليست لأحدٍ من العرب ؛ لأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى رَوَى كلامَ قُسّ بن ساعدةَ وموقفَه على جمله بعُكاظ وموعظتَه ، وهو الذى رواهُ لقريشٍ والعرب ، وهو الذى عَجَّبَ من حُسْنه وأظهرَ من تصويبه . وهذا إسنادٌ تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفّق الله ذلك الكلامَ لقُسّ بن ساعدةَ لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبَعْث . ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبةً .

---

(١) فيما عدا ل : « المجلدة » .

(٢) فيما عدا ل : « راهيبونى » . وفى الفهرست ١٠ ليبسك « راهبون » . وسهل ابن هارون ، نسبته إلى دستميسان ، كورة بين واسط والبصرة والأهواز . كان سهل متحققا بالمأمون ، وصاحب بيت الحكمة ، وهو فارسى الأصل ، شعوبى المذهب ، شديد العصبية على العرب وله فى ذلك كتب كثيرة . عمل للحسن بن سهل رسالة يمدح فيها البخل ويرغب فيه ويستميحه فى خلال ذلك ، فأجابه الحسن بكلام جاء فيه : « قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئا » . انظر الفهرست ١٢٠ ليبسك ١٧٤ مصر وسرح العيون بهامش لامية العجم (١ : ٢٦١ — ٢٧٢) .

(٣) عند ابن النديم « كتاب أسباسيوس فى اتحاد الإخوان » .

(٤) فيما عدا ل : « ولا أعلمه يكنى إلا أبا الحسن » .

وكذلك ليس لأحدٍ فى ذلك مثلُ الذى لبنى تميم ؛ لأنَّ النبىَّ عليه السلام لما سأل عمرَو بنَ الأهتمِ عن الزِّبرقان بن بدر[1] قال : « مانعٌ لحَوْزتِهِ ، مطاعٌ فى أذنَيه[2] » ، فقال الزِّبرقان : « أما إنّه قد علِمَ أكثرَ ممّا قال ، ولكنّه حسَدنى شرفى » فقال عمرو : « أمَا لَئنْ قال ماقال فوالله ما علمتُه إلاّ ضَيِّقَ الصدر[3] ، زَمِرَ المروءة[4] لئيمَ الخال ، حديثَ الغِنَى » ، فلما رأى أنه قد خالف قولُه الآخِرُ قولَه الأوّل ، ورأى الإنكار فى عَيْنَىْ رسول الله قال : « يا رسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ماعلمتُ ، وغضِبتُ فقلتُ أقبحَ ماعلِمت ؛ وما كذَبْتُ فى الأولى ولقد صدَقْتُ فى الآخِرة » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « إنّ من البيان لسِحْرا » .

فهاتان الخصلتان خُصَّت بهما إيادٌ وتميم ، دون جميع القبائل[5] .

ودخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاويةَ بنِ أبى سفيان ، فأشار له إلى الوِساد فقال له : اجلِسْ. فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : وما منعك يا أحنفُ مِن الجلوس على الوِساد ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ فيما أوصى به قيسُ بنُ عاصمٍ

(١) عمرو بن الأهتم ، هو عمرو بن سنان بن سمى التميمى ، والأهتم لقب أبيه سنان . وفد عمرو إلى رسول الله فى وفد تميم ، وكان سيدا خطيبا شاعرا . انظر الإصابة ٥٧٦٦ ومعجم المرزبانى ٢١٢ . والزبرقان بن بدر ، هو الحصين بن بدر ، ولقب الزبرقان لحسن وجهه . وهو وعمرو بن الأهتم ممن نادوا الرسول الكريم من وراء الحجرات حين وفدوا فى بنى تميم ، وله شعر فى كتاب الحيوان (٣ : ٦/١٠٣ : ٩٨) والسيرة ٩٢٥ جوتنجن . وانظر الإصابة ٢٧٧٦ والمؤتلف ١٢٨ وزهر الآداب (١ : ٦ — ٧) .

(٢) فيما عدا ل : « أذنيه » تحريف . ويروى : « مطاع فى عشيرته » . وانظر القصة فى زهر الآداب (١ : ٥) ولباب الآداب ٣٥٤ — ٣٥٥ وأول أمثال الميدانى .

(٣) فى زهر الآداب والأمثال : «ضيق العطن» . والعطن : مناخ الإبل حول الماء ، وهو كناية عن البخل .

(٤) زمر المروءة : قليلها ، يقال هو زمر بين الزمارة والزمورة . وفى زهر الآداب : « زمن » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « دون سائر القبائل » .

المِنقريُّ وَلدَه أنْ قال : « لا تَغشَ السُّلطانَ حتّى يَمَلَّك ، ولا تقطعه حتّى ينساك ، ولا تجلس له على فِراشٍ ولا وِساد ، واجعلْ بينَك و بينه مجلِسَ رجلٍ أو رجُلين ؛ فإنّه عسى أن يأتيَ مَن هو أولى بذلك المجلس منك فتُقامَ له ، فيكونَ قيامُك زيادةً له ، ونُقصاناً عليك[1] » . حَسْبِي بهذا المجلس يا أميرَ المؤمنين ، لعلّه أن يأتيَ مَن هو أولى بذلك المجلس منّي . فقال معاوية : « لقد أُوتِيَتْ تميمٌ الحِكمةَ ، ٣٦ مع رِقّة حواشِي الكَلِمِ[2] » . وأنشأ يقول :

يأيُّها السائلُ عمّا مضى وعِلْمِ هذا الزّمنِ العائبِ[3]
إن كنتَ تبغِي العلمِ أو أهلَه أو شاهداً يُخبِرُ عن غائبِ
فاعتبِرِ الأرضَ بسُكّانها واعتبِر الصّاحبَ بالصّاحبِ

***

وذهبَ الشاعرُ فى مرثيَة أبى دؤادٍ فى قوله :

وأصبَرَ من عَوْدٍ وأهدَى إذا سَرَى من النّجمِ فى داجٍ مِن الليل غَيهَبِ[4]

إلى شبيهٍ بقول جبّارِ بن سَلْمَى[5] بن مالك بن جعفر بن كِلاب ، حين وقَفَ على قبر عامرِ بن الطُّفيل فقال : « كان واللهِ لا يضلُّ حتّى يضلَّ النّجم ، ٧ ولا يعطَش حتّى يعطَشَ البعير ، ولا يَهابُ حتّى يهابَ السّيل ، وكان واللهِ خيرَ ما يكونُ حين لا تَظُنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً[6] » .

(١) فيما عدا ل : « ونقصا عليك » .
(٢) فيما عدا ل : « الكلام » .
(٣) ل : « العاتب » .
(٤) انظر ما سبق ص ٤٣ س ١١ .
(٥) سلمى ، بضم السين ، وقيل بفتحها ، كما نص ابن حجر فى الإصابة ١٠٥١ . ب : « سليمان » تحريف . وجبار ، أحد الصحابة الفرسان ، أسلم بعد وقعة بئر معونة ، لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر السيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن .
(٦) انظر الحيوان (٣ : ٤٨١) وشروح سقط الزند ٥٠٠ .

وكان زيدُ بن جندبٍ أشغَى أفلح(١) ، ولولا ذلك لكان أخطبَ العربِ قاطبةً . وقال عُبيدة بن هلال اليشكُرىّ(٢) فى هجائه له :

أشغَى عَقَنْباةٌ ونابٌ ذو عَصَل(٣) وفَلَحٌ بادٍ وسِنٌّ قد نَصَل(٤)

وقال عبيدة أيضاً فيه :

ولَفُوكَ أشنَعُ حين تنطِقُ فاغراً من فِى قريحٍ قد أصاب بَرِيرَا(٥)

وقد قال الكميت :

تُشبَّه فى الهام آثارُها مَشَافِرَ قَرْحَى أكَلْنَ البريرا(٦)

وقال النَّمرُ بنُ تولَبٍ فى شُنْعة أشداق الجَمَل :

كم ضَرْبةٍ لك تَحْكِى فاقُرَاسِيةٍ من المَصَاعب فى أشداقه شَنَعُ(٧)

القُراسِيَةُ : بعيرٌ أضجَمُ(٨) . والضَّجَم : اعوجاجٌ فى الفم ، والفَقَم مثلُه . والرَّوَق : ركوبُ السنِّ الشَّفَةَ .

وفى الخطباء مَن كان أشغَى ، ومن كانَ أشدَق ، ومن كان أرْوَق ، ومن

٣٧ كان أضجَم ، ومن كان أفقم . وفى كلِّ ذلك قد روينا الشاهد والمثل .

---

(١) الشغا : اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج . والفلح : شق فى الشفة العليا ، فإذا كان فى العليا فهو علم . ل : « أفلج » بالجيم ، تحريف .

(٢) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٥٤ . وفى الاشتقاق ٢٠٧ : «ومنهم عبدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفجاءة ثم ولى بعده أمر الخوارج . وهو الذى يقول فى حصارهم لما حاصرهم سفيان بن الأبرد الكلبى :

إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا تساوك هزلى مخهن قليل » .

(٣) العقباة : العقاب الحديدة المخالب . والعصل : الالتواء .

(٤) ل : « وفلج » تحريف . نصل : خرج وظهر .

(٥) القريح : المصاب بالقرحة ، فيهدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك .

(٦) عجز البيت فى الحيوان (٣ : ٣١٠/٦ : ٤١٢) .

(٧) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وانظر الحيوان (٣ : ٣١٠) .

(٨) الذى فى المعاجم أنه البعير الضخم الشديد .

وروى الهيثمُ بن عدى[١] عن أبى يعقوبَ الثَّقفىّ ، عن عبد الملك بن عُمير[٢] ، قال : قدِم علينا الأحنفُ بنُ قيسٍ الكوفةَ ، مع المُصعَب بن الزبير ، فما رأيتُ خَصلةً تُذَمّ فى رجلٍ إلاّ وقد رأيتُها فيه : كان صَعْل الرأس ، أحجَنَ الأنف ، أغضَفَ الأذن[٣] ، متراكِبَ الأسنان ، أشدَقَ[٤] ، مائل الذَّقن ، ناتئ الوَجْنة ، باخق العين[٥] ، خفيف العارضَين ، أحنفَ الرِّجلين ، ولكنّه كان إذا تكلّمْ جلى عن نفسه .

ولو استطاع الهيثمُ أن يمنعَه البيانَ أيضاً لمنَعه . ولولا أنّه لم يجد بدًّا من أن يجعل له شيئاً على حالٍ لمَا أقرّ بأنه إذا تكلّمَ جلّى عن نفسه[٦] .

وقوله[٧] فى كلمتِه هذه كقول هند بنت عُتبة ، حين أتاها نَعِيُّ يزيدَ بن أبى سفيان ، فقال لها بعض المعزِّين : إنّا لنرجو أنْ يكونَ فى معاويةَ خلفٌ من يزيد ، فقالت هند : « ومثلُ معاويةَ لا يكونُ خلفاً من أحد ، فوالله أنْ لو جُمِعت العربُ من أقطارها ثمّ رُمِى به فيها ، لخرَج من أىِّ أعراضِها شاء » . ولكنّا نقول : أمثل الأحنف يقال : « إلا أنّه كان إذا تكلّمَ جلّى عن نَفسه » ؟

* * *

(١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الأخبارى ، كان ممن جالس المنصور والمهدى والهادى ، وفيه يقول أبو نواس :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعل فقدم الدال قبل العين فى النسب

وله تصانيف كثيرة . ولد قبل ١٣٠ وتوفى سنة سبع ومائتين . ابن خلكان .

(٢) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى — ويقال العرنى — أبو عمرو الكوفى ، المعروف بالقبطى ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش ، توفى سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب .

(٣) صعل الرأس : دقيقة . أحجن . مقبل الروثة نحو الفم . أغضف : مسترخ .

(٤) الأشدق : الواسع الشدق المائله .

(٥) البخق : أن تخسف العين بعد العور .

(٦) هذه الفقرة ليست فى ل . والكلام فى الخبر لعبد الملك بن عمير ، لا الهيثم بن عدى .

(٧) فى الأصل « وقولنا » .

ثم رجع بنا القول إلى الكلام، الأول فيما يعترى اللسانَ من ضُروب الآفات.

قال ابنُ الأعرابىّ: طلّق أبو رَمادة[١] امرأتَه حين وجدَها لَثغاء، وخاف أن تجيئه بولدٍ ألثغ، فقال:

لَثغاء تأتى بحَيَفْسٍ ألثغِ　　تَميسُ فى المَوْشِىّ والمصبَّغِ

الحيفس: الولد القصير الصغير[٢].

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ كلمةً جامعةً لكثيرٍ من هذه المعانى، وهى قول الشاعر:

اسكُتْ ولا تَنطِقْ فأنتَ خَبْحابْ[٣]　　كلُّكَ ذو عيبٍ وأنت عيّابْ

إنْ صدَقَ القومُ فأنت كذّابْ　　أو نطَقَ القومُ فأنتَ هيّابْ

أو سكَتَ القومُ فأنت قَبْقابْ[٤]　　أو أقدموا يوما فأنت وجّابْ[٥]

وأنشدنى فى هذا المعنى أيضاً:

ولستُ بِدُمَّيْجَةٍ فى الفِرا　　شِ وجّابةٍ يحتمى أن يُجيبا[٦]

ولا ذِى قَلازِمَ عند الحياض　　إذا ما الشَّريبُ أرابَ الشَّريبا[٧]

الدُّمَّيْجة: الثقيل عن الحركة[٨]. والقَلازم: كثرة الصِّياح[٩]. وأنشدنى: ٣٨

(١) ل: «أبو زمعة». وفى عيون الأخبار (٤: ٨): «طلق زياد».

(٢) الحيفس، كهزبر وصيقل. وقيل فى تفسيره: الدميم الخِلقة.

(٣) الخبحاب. الصغير الجسم المتداخل العظام. ل: «خبخاب» تحريف. وأنشده فى أمالى ثعلب ٢٦٢ من المخطوطة واللسان (خيب): «خياب»، وهو القداح الذى لا يورى والقداح والقداحة: حجر القدح. وانظر عيون الأخبار (٢: ١٥).

(٤) قبقاب: كثير الكلام مخلطه.

(٥) الوجاب: الجبان الفرق. وأنشده فى اللسان (قدم): «أو قدموا» شاهدا على أن قدم، بالتشديد، بمعنى تقدم.

(٦) الدميجة، بالدال المهملة. وفى الأصول: «بزميجة» تحريف صوابه فى اللسان (دمج، وجب) ونوادر أبى زيد ٢٤٢. حيث أنشد البيت. والوجابة: الفزع الفرق. ورواية النوادر: «هيابة».

(٧) البيت فى اللسان (وجب، قلزم).

(٨) فسر فى اللسان (دمج) بأنه المتداخل، وفى (وجب) بأنه الذى يندمج فى الفراش. وفى النوادر: «ابن الأعرابى: رجل دميجة، إذا كان ملازما لفراشه».

(٩) فسرت القلزمة فى اللسان بأنها الابتلاع.

رُبَّ غريب ناصح الجيبِ   وابنِ أبٍ مُتَّهَم الغَيبِ (١)
ورُبَّ عيّابٍ له منـــظرٌ   مُشتمِلِ الثوبِ على العَيبِ (٢)

وأنشدنى أيضاً :

وأجرأ مَن رأيتُ بظهرِ غيب   على عَيب الرِّجال ذوُو العيوبِ (٣)

***

وقال سهلُ بن هارون : « لو عَرفَ الزَّنجىُّ فَرط حاجته إلى ثناياه فى إقامة الحروف ، وتكميل آلة البيان (٤) ، لما نزع ثناياه » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله فى سُهَيل بن عمرو الخطيب (٥) : « يا رسولَ الله ، انزِعْ ثَنِيَّتَيْه السُّفْلَيَيْنِ حَتَّى يَدْلَعَ لسانُهُ ، فلا يقومَ عليك خطيباً أبداً (٦) » . وإنما قال ذلك لأنَّ سهيلاً كان أعلمَ مِن شفته السُّفلَى .

وقال خَلّادُ بن يزيدَ الأرقط (٧) : خطب الجمحىُّ خطبةَ نكاحٍ أصاب فيها معانىَ الكلام ، وكان فى كلامه صفيرٌ يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زيدُ بنُ علىِّ بنِ الحسين بكلامٍ فى جودة كلامه ، إلا أنَّه فَضَلَه بحُسن المخرج

---

(١) رجل ناصح الجيب : نقى الصدر، ناصح القلب ، لا غش فيه .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار (٢ : ١٤) برواية : « وكل عياب »

(٣) كأنه مأخوذ من قول المستورد حين قال له رجل : أريد أن أرى رجلا عيابا . قال « التمسه بفضل معايب فيه » . الكامل ٥٧٩ ليبسك . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٤) .

(٤) ح : « وتكميل جبل البيان » .

(٥) هو أبو زيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، خطيب قريش ، وهو الذى تولى أمر الصلح بالحديبية ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون سنة ثمان عشرة . الإصابة ٣٥٦٦ وصفوة الصفوة (١ : ٣٠٧) والسيرة ٤٧٦ جوتنجن .

(٦) فى الإصابة : « قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم : دعنى أنزع ثنيتى سهيل فلا يقوم علينا خطيبا . فقال : دعها فلعلها أن تسرك يوما . فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم قام سهيل ابن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فالله حى لا يموت » .

(٧) خلاد بن يزيد الأرقط ، أحد الرواة للقبائل، والعارفين بالقبائل والأشعار . ابن النديم ١٧ ليبسك ١٥٦ مصر .

والسَّلامةِ من الصفير ، فذكر عبدُ الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر ، سلامةَ لفظ زيدٍ لسلامة أسنانه ، فقال فى كلمةٍ له :

قَلَّت قوادحُها وتمّ عديدُها فله بذاك مَزِيّة لا تنكرُ[1]

ويروى : « صحت مخارجُها وتمّ حروفها » . المزيّة : الفضيلة .

وزعم يَحيى بن نُجَيم بن معاوية بن زَمَعة ، أحدُ رواةِ أهلِ البصرة[2]، قال : قال يونس بن حبيبٍ ، فى تأويل قول الأحنف بن قيس :

أنا ابنُ الزَّافِرِيّة أرضعَتْنى بثديٍ لا أجَدَّ ولا وخيمِ[3]

أتَمَّتْنى فلم تنقُصْ عظامى ولا صَوتى إذا جَدَّ الخصومُ[4]

قال : إنما عنى بقوله عظامى أسنانَه التى فى فيه ، وهى التى إذا تَمّت تمت الحروفُ ، وإذا نقصت [نقصت] الحروف[5] .

وقال يونس: وكيف يقول مثله: « أتَمّتْنى فلم تنقصْ عِظامى » وهو يريد بالعظام عظامَ اليدين والرجلين ، وهو أحنفُ من رجليه جميعاً ، مع قول الحُتات له[6] : ٣٩
« والله إنكَ لضئيلٌ ، وإن أمّك لوَرْهاء[7] » . وكان أعرفَ بمواقع العُيوب وأبصرَ بدقيقها وجليلِها . وكيف يقول ذلك وهو نُصْبُ عيونِ الأعداء والشُّعراء والأكْفاء ،

---

(١) القادح : أكال يقع فى الأسنان .

(٢) ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٧٠ ليبسك ٢٤٢ مصر ، مع أصحاب القصائد التى قيلت فى الغريب .

(٣) الزافرية ، لم أجد فى قبائلهم ما يحتمل هذه النسبة . وأم الأحنف ، هى حبة بنت عمرو بن قرط بن ثعلبة الباهلية ، كما فى الإصابة ٤٢٦ . والأجد : اليابس الذى ذهب لبنه .

(٤) فيما عدال : « أصطك الخصوم » وفى البيت إقواء .

(٥) هذه الجملة ساقطة مما عدال .

(٦) الحتات ، كغراب ، هو الحتات بن يزيد بن علقمة التميمى الدارمى المجاشعى ، وكان الرسول قد آخى بينه وبين معاوية ، فمات فى خلافته فورثه بالأخوة . الإصابة ١٦٠٧ . وهو أحد من وفد من بنى تميم على رسول الله . السيرة ٩٣٣ — ٩٣٤ .

(٧) الورهاء : الحمقاء التى لا تتمالك حمقا .

وهو أنفُ مُضَرَ الذى تَعطِس عنه ، وأبْيَنُ العربِ والعجم قاطبةً .

قالوا : ولم يتكلَّمْ معاويةُ على مِنبر جماعةٍ منذ سقطَتْ ثناياه فى الطَّست .

قال أبو الحسن وغيرُه : لما شَقَّ على معاويةَ سقوطُ مَقادمِ فيه قال له يزيدُ ابن معنٍ السُّلمى : « واللهِ مابلغ أحدٌ سِنَّك إلا أبغض بعضُه بعضاً ، ففُوك أهْوَنُ علينا من سمعك وبصرك » . فطابت نفسُه .

وقال أبو الحسن المدائنىّ : لما شَدَّ عبدُ الملك أسنانَه بالذهب قال : « لولا المنابر والنِّساء ، ما باليتُ متى سقطَتْ » .

قال : وسألتُ مباركاً الزَّنجىَّ الفاشْكارَ(١) ، ولا أعلم زِنجيًّا بلغ فى الفَشكرةِ مبلغَـه ، فقلت له : لِمَ تنزِع الزَّنجُ ثناياها ؟ ولِمَ يحدِّدُ ناسٌ منهم أسنانَهم ؟ فقال : أمَّا أصحاب التحديد فللقِتال والنَّهش ، ولأنَّهم يأكلون لحومَ الناس ، ومتى حاربَ ملكٌ ملكاً فأخذه أسيراً أو قتيلا أكله ، وكذلك إذا قاتَل بعضُهم بعضاً أكل الغالبُ منهم المغلوب . وأمَّا أصحاب القَلْع فإنَّهم قالوا : نظَرْنا إلى مَقادم أفواهِ الغنم فكرِهْنا أن تشبِه مقادمُ أفواهنا مقادمَ أفواهِ الغنَم ، فكم تظنُّهم — أكرمَكَ الله — فقَدُوا من المنافع العِظام بفَقْد تلك الثنايا .

وفى هذا كلامٌ يقع فى كتاب الحيوان .

وقال أبو الهندىّ فى اللَّثَغ :

سَقَيتُ أبا المطرَّح إذ أتانى ... وذُو الرَّعَثاتِ منتصبٌ يَصيحُ(٢)
شراباً تَهرُبُ الذِّبَّانُ منـه ... ويَلثَغُ حين يشربُه الفَصيحُ(٣)

---

(١) الفاشكار : لفظة فارسية معربة ، مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة : (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ .

(٢) فيا عدال : « إذا نأى » تحريف . والرعثة ، بالضم والتحريك : عثنون الديك .

(٣) الذبان تسقط على النبيذ الحلو ولا تسقط على الحازر . انظر الحيوان (٣ : ٣٦٠ ، ٣٨٠) .

وقال محمد بن عمرو الرُّومىّ، مولى أمير المؤمنين: قد صحّت التجربةُ وقامت العِبرة، على أنّ سقوطَ جميع الأسنان أصلحُ فى الإبانة عن الحروف، منه إذا سقط أكثرُها، وخالف أحدُ شِطريها الشَّطر الآخر.

وقد رأينا تصديقَ ذلك فى أفواه قومٍ شاهَدَهم النّاسُ بعد أن سقطت جميعُ أسنانِهم، وبعد أن بقى منها الثُلث أو الرُّبع.

فمن سقطت جميع أسنانِه وكان معنى كلامه مفهوماً: الوليدُ بن هشامٍ القَحْذَمى[1]، صاحب الأخبار. ومنهم أبو سفيان بن العلاء بن لبيدٍ التَّغلبى[2]، وكان ذا بيانٍ ولَسن.

وكان عبيد الله بن أبى غسّان ظريفاً يصرّف لسانه كيف شاء[3]، وكان الإلحاح على القَيْسى[4] قد بَرَدَ أسنانَه، حتّى كان لا يَرى أحدٌ منها شيئاً إلاّ إن تطلَّعَ فى لحم اللِّثة، أو فى أُصول منابتِ الأسنان.

وكان سفيانُ بن الأبرد الكلبى[5] كثيراً ما يجمع بين الحارّ والقارّ، فتساقطت أسنانه جُمَعُ، وكان فى ذلك كلِّه خطيباً بيِّناً.

وقال أهل التجربة: إذا كان فى اللحم الذى فيه مَغارزُ الأسنان تشميرٌ وقِصَرُ سَمْك[6]، ذهبت الحروفُ وفسد البيان. وإذا وَجَد اللسانُ من جميع

(١) الوليد بن هشام بن قحذم، أبو عبد الرحمن القحذمى، من أهل البصرة، يروى عن جرير بن عثمان، وروى عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى. توفى سنة ٢٢٢. لسان الميزان وأنساب السمعانى ٤٤٣.

(٢) ذكره الجاحظ فى (١ : ١٩١) من الأصل، فيمن كنيته اسمه، قال: «وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبى، خليفه عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة».

(٣) فيما عدال: «كيف أحب».

(٤) القيسى: المشمش، باللغة التركية، كما فسره استينجاس فى معجمه ٩٩٨. وفيه «Apricot : قيسى T». ل: «الزى» تحريف.

(٥) سفيان بن الأبرد الكلبى: أحد قواد بنى أمية، كان ذا ضلع كبيرة فى حرب الخوارج، وهو آخر من أرسل إلى قطرى بن الفجاءة وقتله سنة ٧٨، وكان المباشر لقتله سودة بن أبجر. انظر ما سيأتى فى (٢ : ٢٣٥) من الأصل، وابن خلكان فى ترجمة قطرى.

(٦) التشمير: التقليص. والسمك، بالفتح: الارتفاع.

جهاته شيئاً يقرعُه ويصكه ، ولم يمرّ في هواء واسعِ المجال ، وكان لسانُه يملأ جَوْبَةَ فيه ، وإذا كان كذلك[1] لم يضرَّه سقوطُ أسنانه إلا بالمقدار المغتفر ، والجزء المحتمل . ويؤكِّد ذلك قولُ صاحب المنطق[2] ، فإنّه زعم في كتاب الحيوان أنّ الطائرَ والسبُع والبهيمةَ كلّما كان لسانُ الواحد منها أعرضَ كان أفصحَ وأبينَ ، وأحكى لما يُلقَّن ولما يَسمَع ، كنحو الببغاء والغُداف وغراب البَيْن[3] ، وما أشبه ذلك ؛ وكالذى يتهيَّأ من أفواه السنانير إذا تجاوبَتْ ، من الحروف المقطَّعة المشارِكة لمخارج حروفِ الناس . وأمّا الغنمُ فليس يمكنها أن تقول إلا « ما » . والميم والباء أوّلُ ما يتهيّأ في أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، وبابا ؛ لأنهما خارجان مِن عمل اللسان ، وإنّما يظهران بالتقاء الشفتَين . وليس شيءٌ من الحروف أدخلَ في باب النقص والعجز من فم الأهتم ، من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة . فأما الضّاد فليست تخرجُ إلاّ من الشِّدق الأيمن ، إلاّ أن يكون المتكلّمُ أعسَرَ يَسَراً[4] ، مثل عمر بن الخطاب رحمه الله ؛ فإنه كان يُخرِج الضّادَ من أيِّ شِدقيه شاء . فأمّا الأيمَن والأعسَر والأضبَط[5] ، فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد .

وكذلك الأنفاس مُقسومةٌ على المنخرين ، فحالاً يكون في الاسترواح ودَفْع ٤١
البُخار من الجوف من الشِّق الأيمن ، وحالاً يكون من الشِّق الأيسر ،

---

(١) هذه الجملة من ل فقط .

(٢) صاحب المنطق ، هو أرسطوطاليس ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصاحب المنطق » . القفطى ٢٢ . وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٢٨٨) . وجاء في الحيوان (٢ : ٣١٥) : « وغراب البين نوعان : أحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللؤم ، والآخر كل غراب يتشاءم به » .

(٤) رجل أعسر يسر : يعمل بيديه جميعا .

(٥) الأعسر : الذى يعمل بيده اليسرى خاصة . والأضبط ، تفسره المعاجم بأنه الأعسر اليسر الذى يعمل بكلتا يديه . وتأمل .

ولا يجتمعان على ذلك فى وقتٍ إلا أن يستكرهَ ذلك مستكرهٌ ، أو يتكلّفه متكلِّف . فأمّا إذا ترك أنفاسَه على سجيّتها لم تكن إلا كما قالوا[١] .

وقالوا : الدّليل على أنّ من سقط جميعُ أسنانه أن عِظَم اللّسان نافعٌ له ، قول كعب بن جُعَيلٍ ليزيدَ بن معاوية ، حين أمره بهجاء الأنصار ، فقال له : « أرادِّى أنت إلى الكفر بعد الإسلام[٢] ، لا أهجُو قوماً نصرُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وآوَوْه ، ولكنّى سأدلُّك على غلامٍ فى الحىّ كافرٍ ، كأنّ لسانَه لسانُ ثور » . يعنى الأخطل .

وجاء فى الحديث : « إنّ الله تبارك وتعالى يُبغِض الرجلَ الذى يتخلّل بلسانه كما تتخلّل الباقرةُ الخلاَ بلسانها[٣] » .

قالوا : ويدلُّ على ذلك قولُ حسّانِ بن ثابت ، حين قال له النبى عليه السلام : « ما بَقِى من لسانك؟» . فأخرج لسانَه حتّى قرَع بطرَفه طرَف أرْنبته ، ثم قال : « والله لو وضعتُه على شعرٍ لحلَقه أو على صخرٍ لفلقه[٤] ، وما يسرُّنى به مِقْولٌ من مَعَدّ » .

وأبو السِّمط مَروانُ[٥] بن أبى الجَنوب بن مروانَ بن أبى حفصة[٦] ، وأبوه

---

(١) كذا وردت العبارة فى جميع النسخ بدون ذكر فاء الجواب ، لغير ضرورة ، وحقها الإثبات كما فى قول عمر :

رأت رجلا أما الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر

(٢) فيا عدال : « الإيمان » .

(٣) يقال بقر وبقير وبيقور وباقر . انظر المعاجم والحيوان(٤ : ٤٦٩) . ومنه قراءة (إن الباقر تشابه علينا) . وأما « الباقرة » فلم أرها إلا هنا ، ومخرجها على أنها واحد الباقر . وفى الجامع الصغير للسيوطى ١٨٤٩ : « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ، الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » وخرج الحديث من مسند أحمد ، وسنن أبى داود والترمذى ، وذكر أنه حديث حسن .

(٤) فيا عدال : « على صخر لفلقه ، أو على صخر لحلقه » .

(٥) كان يقال له مروان الأصغر ، ولجده مروان الأكبر . وكان شاعرا ساقط الشعر بارده ، عاصر الواثق والمتوكل . وله فى المتوكل وأحمد بن أبى دواد قصائد عدة . تاريخ بغداد والأغانى (١١ : ٢) .

(٦) مروان بن أبى حفصة ، هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة ، شاعر =

وأبو أبيه[١] ، فى نسقٍ واحد ، يقرعون بأطراف ألسنتهم أطرافَ آنفهم .

وتقول الهند : لولا أنَّ الفيلَ مقلوبُ اللِّسان لكان أنطقَ من كلِّ طائرٍ يتهيأ فى لسانه كثيرٌ من الحروف المقطَّعة المعروفة[٢] .

وقد ضرب الذين زعموا أنَّ ذهابَ جميع الأسنان أصلحُ فى الإبانة عن الحروف مِن ذَهاب الشَّطر والثُّلثين ، فى ذلك مثلاً ، فقالوا : الحمام المقصوص جناحاه جميعاً أجدرُ أن يطير مِن الذى يكون جناحاه أحدهما وافراً والآخر مقصوصاً . قالوا : وعلّة ذلك التعديلُ والاستواء ، وإذا لم يكن ذلك كذلك ارتفع أحدُ شِقَّيه وانخفضَ الآخَر ، فلم يَجْذِف ولم يَطِر[٣] .

والقطا من الطير قد يتهيَّأ من أفواهها أن تقول : قَطَا قطا . وبذلك سمِّيت[٤] .

ويتهيَّأ من أفواه الكلاب العَيْناتُ والفاءات والواوات ، كنحو قولها : وَوْ وَوْ ، وكنحو قولها : عَفْ عَفْ . قال الهيثم بنُ عديّ : قيل لصبيّ : من أبوك ؟ فقال : وَوْ وَوْ ، لأنّ أباه كان يسمَّى كلبا[٥] .

قال : ولكلِّ لغةٍ حروفٌ تدور فى أكثر كلامها ، كنحو استعمال الرُّوم ٤٢
للسين ، واستعمال الجرامقة للعين[٦] .

= مجود من أهل اليمامة ، قدم بغداد ومدح المهدى والرشيد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية فى شعره ، وله فى معن بن زائدة مدائح ومراث عجيبة . ولد سنة ١٠٥ وتوفى سنة ١٨٢ . وفيات الأعيان وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) فى الأصول : « وابنه » .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٧/٣١٠ : ١٠٣ ، ١٩٢) .

(٣) جذف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجذافاه : جناحاه . يقال بالدال والذال جميعا . انظر الحيوان (١ : ٣/٢٦٢ : ٢٣٠) .

(٤) ل : « ولذلك سميت » .

(٥) الخبر فى الحيوان (٢ : ٥/٦٨ : ٢٨٨) .

(٦) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، أى السريانيين ، قال المسعودى فى التنبيه والإشراف ٦٨ : « وكانوا شعوبا وقبائل ، منهم النونويون ، والأثوريون ، والأرمان ، والأردوان ، والجرامقة ، ونبط العراق ، وأهل السواد » .

وقال الأصمعىّ : ليس للروم ضادٌ ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسّريانىّ ذال .

قال : ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كان مجموعةً فى بيت شعرٍ لم يستطع المنشدُ إنشادَها إلّا ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبرُ حربٍ بمكان قَفرٍ ... وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ(١)

ولما رأى مَن لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت(٢) ثلاثَ مرّاتٍ فى نسَق واحدٍ فلا يتتعتعُ ولا يتلجلج ، وقيل لهم إنّ ذلك إنّما اعتراه إذْ كان من أشعار الجِنّ ، صدّقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن يَسير(٣) فى أحمدَ بنِ يوسفَ(٤) حين استبطأه :

هَلْ مُعينٌ على البُكا والعويلِ ... أم مُعَزٍّ على المُصاب الجليلِ

ميّتٌ مات وَهو فى وَرَق العَيش ... مقيمٌ به وظـــــلٍّ ظليلِ(٥)

فى عِدادِ الموتى وفى عامر الدُّنْيا ... أبو جعفرٍ أخى وخليـــلى

---

(١) البيت مجهول القائل ، ولتنافر لفظه نسبوه إلى بعض الجن ، وصنعوا فى ذلك قصة . انظر الحيوان (٦ : ٢٠٧) ومعاهد التنصيص (١ : ١٢) وقد روى بلفظ : « وما بقرب قبر حرب قبر » .

(٢) البيت السابق من السريع . فيما عدا ل : « هذين البيتين » تحريف .

(٣) هو محمد بن يسير الرياشى ، يقال إنه كان مولى لبنى رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشى الأخبارى الأديب ، وكان شاعرا ظريفا من شعراء المحدثين متقللا ، لم يفارق البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا جاوز بلده . وكان ماجنا هجاء خبيثا من بخلاء الناس . انظر أخباره فى الأغانى (١٢ : ١٢٤ — ١٣٦) . وله أخبار وأشعار شتى فى كتاب الحيوان . وفى الأصول : « ابن بشير » تحريف . وفى القاموس (يسر) : « وأبو جعفر وهو محمد بن يسير ، شاعر » . وجاء فى ترجمته من الأغانى (١٢ : ١٣٢) أن الخليفة المعتصم تفاءل باسمه وقال : « أمر محمود وسير سريع » .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، كان كاتب ديوان الرسائل زمان المأمون ، وكان فصيح اللسان يقول الشعر فى الغزل والمدح والهجاء ، وله أخبار مع إبراهيم بن المهدى ، وأبى العتاهية ، ومحمد بن يسير وغيرهم . توفى سنة ٢١٣ . تاريخ بغداد ٢٦٩٢ والأغانى (٢٠ : ٥٦ — ٥٨) .

(٥) ورق العيش . نضرته وحداثته .

لم يمُتْ مِيتة الوفاةِ ولـكنْ　　　مات عن كلِّ صالحٍ وجميلِ
لا أذيل الآمالَ بعـدك إنِّى　　　بَعْدَها بالآمالِ حقٌّ بَخيلِ
كم لها، وقفةً بباب كريمٍ　　　رجعَتْ من نَدَاه بالتعطيلِ[1]

ثم قال :

لم يَضِرْها ، والحمدُ لله ، شىءٌ　　　وانثنَتْ نحو عَزْف نفسٍ ذهُولِ[2]

فتفقَّدِ النصفَ الأخيرَ من هـذا البيت ؛ فإنك ستجد بعضَ ألفاظه يتبرأ من بعض .

وأنشدنى أبو العاصى قال : أنشدنى خلفٌ الأحمر فى هذا المعنى :

وبعضُ قَريضِ القوم أولادُ عَلَّةٍ　　　يَكُدُّ لسـانَ الناطقِ المتحفِّظ[3]

٤٣ وقال أبو العاصى : وأنشدنى فى ذلك أبو البَيداء الرِّياحىُّ[4] :

وشِعرٍ كبعر الـكَبْش فرّق بينَه　　　لسان دعِىٍّ فى القريض دخيلِ[5]

أما قولُ خلفٍ :

* وبعض قريضِ القومُ أولاد عَلّة *

فإنه يقول : إذا كان الشعرُ مستكرَهاً ، وكانت ألفاظُ البيت من الشِّعر لا يقع بعضُها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التّنافُرِ ما بينَ أولاد العَلاّت . وإذا

---

(١) التعطيل : الإخلاء وترك الشىء ضياعا . فيا عدال : « موقفاً بباب كريم » .

(٢) فى اللسان : « عزفت نفسى عن الشىء تعزف وتعزف عزفا وعزوفا : تركته بعد إعجابها وزهدت فيه » . والذهول ، من الذهل ، بالفتح ، وهو تركك الشىء تناساه على عمد ، أو يشغلك عنه شغل . فيا عدا ل « نحو عرف » تحريف .

(٣) أولاد علة : بنو رجل واحد من أمهات شتى . والبيت فى العمدة (١ : ١٧٢)

(٤) ذكره ابن النديم فى الفهرست ٦٦ وقال إنه زوج أم أبى مالك عمرو بن كركرة . وكان أبو مالك راوية أبى البيداء . واسم أبى البيداء أسعد بن أبى عصمة ، وهو أعرابى نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بأجرة .

(٥) انظر العمدة (١ : ١٧٢) .

كانت الـكلمةُ ليس موقعُها إلى جنب أُختها مَرضيًّا موافقاً ، كان على اللِّسان عند إنشاد ذلك الشعر مَؤُونة .

قال : وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء ، سهلَ المَخارج ، فتعلمُ[(١)] بذلك أنه قد أُفرِغ إفراغا واحدًا ، وسُبِك سبكاً واحـداً ، فهو يجرِى على اللسان كما يجرى الدِّهان .

وأما قوله : « كبعر الـكبش » ، فإنما ذهب إلى أنّ بعرَ الـكبشِ يقع متفرِّقا غيرَ مؤتلفٍ ولا متجاور . وكذلك حروفُ الـكلام وأجزاء البيتِ من الشّعر ، تَراها متّفقة مُلْسًا ، وليِّنة المعاطف سهلة ؛ وتَراها مختلفةً متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشقُّ على اللسان وتـكُدُّه ، والأخرى تَراها سهلةً ليِّنة ، ورَطْبة مواتية ، سلِسةَ النِّظام ، خفيفةً على اللِّسان ؛ حتى كأنَّ البيتَ بأسْرِه كلمةٌ واحدة ، وحتّى كأن الـكلمةَ بأسرها حرفٌ واحد .

وقال سحيم بن حفص[(٢)] : قالت بنتُ الحطيئة للحطيئة : « تركتَ قوماً كراما ونزلتَ فى بنى كُليبٍ بعرِ الـكبش » . فعابَتْهُم بتفرُّق بيوتهم .

فقيل لهم : فأنشِدُونا بعضَ مالا تتباينُ ألفاظُه ، ولا تتنافر أجزاؤُه . فقالوا : قال الثّقفىُّ[(٣)] :

من كانَ ذا عضُدٍ يدرِكْ ظُلامتَه   إنّ الذّليلَ الذى ليست له عضـدُ

تَنْبُو يداه إذا ما قلَّ ناصرُه   ويأنَفُ الضَيمَ إنْ أثرَى له عددُ

وأنشدوا[(٤)] :

---

(١) فيا عدا ل : « فيعلم » وتقرأ بالبنا للمفعول .

(٢) سبقت ترجته فى ص ٤٠ .

(٣) هو الأجرد الثقفى ، كما فى الشعراء ١٧٢ . وانظر أمالى ثعلب ٧٤ من المخطوطة وعيون الأخبار (٣ : ٢) ، والحيوان (٣ : ٤٥) . وفى ل : « فأنشدوا » فقط .

(٤) الأبيات التالية لأبى حية النميرى ، كما فى الـكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر الحيوان (٣ : ٤٩) .

رمَتْنِي وسِـــترُ اللهِ بيني و بينَهَا عشِــيَّةَ آرامِ الـكِناسِ رميمُ[١]
رميمُ التي قالتْ لجاراتِ بيتِهــا ضَمِنْتُ لـكم ألاَّ يزالُ يهيــمُ[٢]
ألا رُبَّ يومٍ لو رمَتْــني رميتُها ولـكنَّ عهـدى بالنِّضالِ قديمُ[٣]

وأنشدوا : ٤٤

ولستُ بِدُمَّيجَـــةٍ فى الفرا ش وجَّابةٍ يحتمى أن يُجيبــا[٤]
ولا ذى قَلازِمَ عنـــد الحِياض إذا ما الشَّريب أرابَ الشَّريبا

وقال أبو نوفل بن سالم[٥] لرؤبةَ بن العجاج : يا أبا الجحَّاف ، مُتْ إذا شئت[٦] . قال : وكيف ذاك ؟ قال : رأيت عُقبة بنَ رُؤْبة ينشد رجزاً أعجبنى . قال : إنه يقولُ ، لو كان لقوله قِران ! وقال الشاعر :

مَهاذِبَةٌ مَناجِبَـــة قِرانٌ مَنادِبَةٌ كأنَّهمُ الأُســودُ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

وبات يدرُس شِعراً لا قِرانَ له قد كان نَقَّحه حولاً فما زادا

وقال الآخر ، بشَّار :

فهـذا بديهٌ لا كتحبير قائلٍ إذا ما أراد القولَ زوَّره شَهرا[٧]

***

(١) رمتنى ، أى بطرفها . ستر الله : الإسلام أو الشيب . وآرام الـكناس ، روى فيها : « بأحجار الـكناس » وهو اسم موضع . ورميم : اسم خليلته. ٤٥
(٢) يصح فى « أن » أن تكون ناصبة ، أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .
(٣) قال المبرد فى تفسيره : «لو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولـكن قد تطاول عهدى بالشباب » .
(٤) سبق البيتان والـكلام عليهما فى ٥٧ . وفى الأصول : « ولست بزميجة » تحريف.
(٥) فيا عدا ل : « قال نوفل بن سالم » .
(٦) فيا عدا ل : « متى شئت » .
(٧) سبق البيت فى ٢٤ .

فهـذا فى اقتران الألفاظ . فأمّا فى اقتران الحروف(١) فإنّ الجيمَ لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير . والزّاى لا تقارنُ الظّاء ولا السّين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا بابٌ كبير . وقد يُكتَفَى بذكر القليل حتّى يُستدَلّ به على الغاية التى إليها يُجرَى .

وقد يتكلّمُ المِغلاق(٢) الذى نشأ فى سَواد الـكوفة بالعربيّة المعروفة ، ويكونُ لفظُه متخيَّراً فاخرا ، ومعناه شريفاً كريما ، ويَعلمُ مع ذلك السامعُ لكلامه ومَخارجِ حروفِهِ أنّه نَبَطىّ . وكذلك إذا تكلّمَ الخُراسانىُّ على هذه الصّفة ، فإنّك تعلم مع إعرابه وتخيُّرِ ألفاظِه فى مَخرج كلامه ، أنّه خُراسانىٌّ . وكذلك إن كان من كُتّاب الأهواز .

ومع هـذا إنّا نجدُ الحاكيةَ من الناس(٣) يَحكى ألفاظَ سُـكّان اليَمَن مع مَخارج كلامهم ، لا يُغادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايتُه للخُراسانىّ والأهوازىّ والزّنجىّ والسّندىّ والأحباش(٤) وغير ذلك . نعم حتّى تجدُه كأنّه أطبَعُ منهم ، فإذا ما حَكَى كلامَ الفأفاء فكأنّما قد جُمِعَتْ كلُّ طُرْفةٍ فى كل فأفاء فى الأرض فى لسانٍ واحد . وتجدُه يحكى الأعمى بصُوَرٍ ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه ، لا تـكاد تجد مِن ألفِ أعمَى واحداً يجمع ذلك كلَّه ، فكأنّه قد جَمَع جميعَ طُرَف(٥) حركاتِ العُميان فى أعمَى واحد .

ولقد كان أبو دَبُّوبة الزّنجى ، مولى آل زيادٍ ، يقف بباب الـكَرْخ ،

(١) فيا عدا ل : « افتراق » فى هذا الموضع وسابقه .

(٢) المغلاق : الذى يستعصى عليه الـكلام .

(٣) الحاكية ، أراد به الذى يحكى كلام الناس ويفعل مثلهم فى الحديث . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٤) فى الأصول : « والأجناس » تحريف

(٥) فيا عدا ل : « طرق » بالقاف .

بحضرة المُكارِين[1] ، فينهَق ، فلا يبقى حمارٌ مريض ولا هَرِم حسيرٌ ، ولا مُتعَبٌ بهيرٌ إلا نَهَقَ . وقبل ذلك تسمع نَهيق الحمار على الحقيقة ، فلا تنبعث لذلك ، ولا يتحرّك منها متحرّكٌ حتى كانَ أبو دبُوبة يحرّكه . وقد كان جَمَعَ جميعَ الصّورِ التى تجمع نهيقَ الحمار فجعَلَها فى نهيقٍ واحد . وكذلك كان فى نُباح الكلاب . ولذلك زعمت الأوائلُ أنّ الإنسانَ إنما قيل له العالَمُ الصغيرُ سليلُ العالَمَ الكبير ، لأنّه يصوّر بيديهِ كلّ صورة ،[ويحكى بفمه كل حكاية[2]] ، ولأنّه يأكلُ النّباتَ كما تأكل البهائم ، ويأكل الحيوانَ كما تأكل السِّباع وأنّ فيه من أخلاق جميعِ أجناسِ الحيوان أشكالاً .

وإنما تهيّأ وأمكنَ الحاكيةَ لجميعِ مخارجِ الأمم ، لِما أعطى اللهُ الإنسانَ من الاستطاعة والتمكين ، وحين فضّله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة . فبِطُول استعمال التكلّف ذلّتْ جوارحُه لذلك . ومتى تَرَكَ شمائلَه على حالها ، ولسانَه على سجيته ، كان مقصوراً بعادة المَنْشا على الشكل الذى لم يزل فيه . وهذه القضيّةُ مقصورةٌ على هـذه الجملة مِن مخارج الألفاظ ، وصُوَر الحركات والسُّكون . فأمّا حروفُ الكلامِ فإنّ حُكْمَها إذا تمكّنتْ فى الألسنة خلافُ هذا الحكم . ألا ترى أنّ السِّنديّ إذا جُلِبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلاّ أنْ يجعلَ الجيم زاياً ولو أقامَ فى عُليا تميم ، وفى سُفْلَى قيس ، وبين عَجُز هوازنَ ، خمسين عاماً . وكذلك النبطىُّ القُحُّ ، خلافُ المِغلاق الذى نشأ فى بلاد النَّبَط ؛ لأنّ النَّبَطىّ القُحّ[3] يجعل الزّاىَ سيناً ، فإذا أراد أن يقول زَوْرَق قال سَوْرَق ؛ ويجعل العين همزة ، فإذا أراد أن يقول مُشْمَعِلّ ، قال مُشْمَئِلّ .

---

(١) المكارين : جمع مكار ، وهو من يكريك دابته تنتفع بها بالكراء ، وهو الأجر .

(٢) هذه التكملة مما عدا ل . وانظر الحيوان (١ : ٢١٣) .

(٣) ما بعد « القح » الأولى إلى هنا ليس فى ل .

والنَّخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنّ أنها رومية وأهلُها يزعمون أنها مولَّدة بأن تقول ناعمة ، وتقول شمس ، ثلاث مرّاتٍ متواليات .

والذى يعترِى اللِّسان ممَّا يمنع من البيان أمور : منها اللُّثغة التى تعترى الصِّبيان إلى أن ينشَئُوا ، وهو خلافُ ما يعترى الشَّيخ الهرِم الماجّ[1] ، المسترخِىَ الحَنَك ، المرتفعَ اللِّثة ؛ وخِلافُ ما يعترى أصحاب اللُّكَن من العَجَم ، ومن يُنشَّأُ من العرب مع العجَم . فمن اللُّكْن ممّن كان خطيباً ، أوشاعراً ، أو كاتباً داهياً[2] ٤٦
زِيادُ بن سَلْمَى أبو أُمامة ، وهو زِيادٌ الأعجم[3] . قال أبوعُبيدة : كان يُنشِد قوله:

فتًى زادَهُ السُّلطان فى الوُدِّ رِفعةً إذا غيَّرَ السلطانُ كلَّ خليلِ[4]

قال : فكان يجعل السِّين شيناً والطاء تاء ، فيقول : « فتَى زَادَه الشُّلْتَان » .

ومنهم سُحَيْم عبدُ بنى الحَسحاس[5] ، قال له عمرُ بن الخطاب رحمه الله وأنشد قصيدتَه التى يقول أوّلَها :

عُمَيرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غادِياً كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

---

(١) الماج : الهرم الذى يمج ريقه ولا يستطيع حبسه .
(٢) ل : « خطيبا وشاعرا وكاتبا داهيا » .
(٣) زياد الأعجم : من شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح اصطخر مع أبى موسى الأشعرى ، وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضا زياد بن سليمان . انظر الخزانة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٣٣ والشعراء لابن قتيبة ، والأغانى (١٤ : ٩٨ — ١٠٥) .
(٤) فى الحيوان (٧ : ١٥١) أن يزيد بن المهلب كان يعد هذا الشعر أحسن ما مدح به . وفى الكامل ٣٦٦ أنه يمدح بالشعر المهلب بن أبى صفرة .
(٥) سحيم من المخضرمين ، قد أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد يرتضخ لكنة حبشية . وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان : إنى قد ابتعت لك غلاما شاعراً حبشيا . فكتب إليه عثمان : لا حاجة بى إليه فاردده ؛ فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شبع أن يشبب بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم . فرده عبد الله . قتل سحيم فى خلافة عثمان . انظر الأغانى (٢٠ : ٢) والخزانة (١ : ٢٧٢ — ٢٧٤) .

فقال له عُمر[١] : لو قدَّمْتَ الإسلامَ على الشّيب لأجزْتُك . فقال له : ما سَعَرْتُ . يريد ما شَعَرت ، جعَلَ الشين المعجمة سيناً غير معجمة .

ومنهم عُبيد الله بن زِيادٍ[٢] ، والِي العراق ، قال لهانىءْ بن قَبيصة : أهَرُورِيٌّ سائرَ اليوم ! يريد أحَرُوريٌّ .

ومنهم صُهَيب بن سِنان النَّمَرى[٣] ، صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنَّك لهائنٌ يريد إنك لحَائنٌ[٤] . وصُهَيب بن سنان يرتضخ لُكْنة روميّة ، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنةً فارسيّة ، وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء .

وأزدانقاذار لكنته لكنةٌ نَبَطيّة ، وكان مثلَهما فى جعل الحاء هاء .

وبعضُهم يَروِى أنّه أملى على كاتبٍ له فقال : اكتب : « الهاصل ألفُ كُرٍّ[٥] » . فكتبها الكاتب بالهاء كاللَّفظ بها[٦] فأعاد عليه الكلامَ ، فأعاد الكاتب . فلما فَطِن باجتماعهما على الخطأ[٧] قال : أنت لا تُهسن أن تكتب ، وأنا لا أهسِن أن أملِيَ ، فاكتُبْ : « الجاصل ألف كُرٍّ » . فكتبها بالجيم معجمة .

---

(١) بدل هذه العبارة فيا عدا ل : « لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك . هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب . والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الوضع كما وقعت داخل الكتاب » ، وهو كلام مقحم من زيادة قارىء أو ناسخ . والقصة فى الكامل ٣٦٦ .

(٢) فى الكامل ٣٦٦ : « وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية ، وإنما أتته من قبل زوج أمه شيرويه الأسوارى » . وسيأتى فى كلام الجاحظ نحو هذا .

(٣) صهيب بن سنان بن مالك النمرى الرومى ، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً ، فنشأ فيهم فصار ألكن . وكان ممن عذب فى بدء الإسلام . توفى سنة ٣٨ .

(٤) حائن ، أى هالك . وفى الأصول : « لحَنٌ » والسياق يأباه .

(٥) الكر ، بالضم : مكيال لأهل العراق ستون قفيزاً ، قال ابن سيده : يكون بالمصرى أربعين إردبا .

(٦) فيا عدا ل : « كما لفظ بها » .

(٧) فيا عدا ل : « لاجتماعهما على الجهل » .

ومنهم أبو مسلمٍ صاحبُ الدّعوة(١) ، وكان حسَنَ الألفاظ جيِّد المعانى ، وكان إذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : كُلْت لك . فشارك فى تحويل القاف كافًا عُبيدَ الله بنَ زياد . كذلك خبّرنا أبو عبيدة .

قال : وإنّما أُتِى عُبيد الله بن زيادٍ فى ذلك أنّه نشأ فى الأساورة(٢) عند شِيرَوَيه الأسوارىّ ، زوجِ أمّه مَرجانة .

وقد كان فى آل زيادٍ غيرُ واحد يسمى شِيرَوَيه . قال : وفى دار شِيرويه عاد علىُّ بنُ أبى طالبٍ زياداً من عِلّةٍ كانت به . ٤٧

فهذا ما حضرَنا من لُكْنة البلغاء والخطباء والشُّعراء والرؤساء . فأمّا لُكنة العامّة ومَن لم يكن له حظٌّ فى المنطق فمثلُ فيلٍ مولى زياد(٣) فإنه قال مرّةً لزياد «أهْدَوا لنا همارَ وَهْشٍ» . يريد حمارَ وحش . فقال زياد : ماتقولُ ويْلَك ! قال : «أهدَوا إلينا أيراً» . يريد عيراً . قال زياد : الأوّلُ أهوَن ! وفَهِمَ ما أراد(٤) .

وقالت أمُّ ولدٍ لجرير بن الخَطَفَى ، لبعض ولدِها : «وقع الجُرْذان فى عِجان أمِّكم(٥)» . فأبدلت الذّال من الجُرْذان(٦) دالاً وضمّت الجيم ، وجعلت العَجين عِجانا . وقال بعض الشُّعراء فى أمِّ ولدٍ له ، يذكر لُكنَتها :

أوّلُ ما أسمَعُ منها فى السَّحَر(٧) ... تذكيرُها الأنثى وتأنيثُ الذَّكَرْ

* والسَّوأةُ السَّوآء فى ذِكر القمَرْ *

---

(١) هو أبو مسلم الخراسانى ، الذى قام بالدعوة إلى الدولة العباسية . واسمه عبد الرحمن ابن مسلم ، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما ، كالأحامرة بالكوفة . انظر الحيوان (٥ : ٣٤٠) .

(٣) كان مولى زياد وحاجبه ، انظر الحيوان (٧ : ٨٢ — ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٣٣) .

(٤) هذه الجملة فى ل فقط .

(٥) الجردان ، بالضم : قضيب ذوات الحوافر ، أوهو عام . والعجان : مابين السوأتين .

(٦) الجرذان ، بكسر الجيم وضمها : جمع جرذ ، وهو ضرب من الفأر .

(٧) فيما عدا ل : «أكثر ما أسمع» . وسيعيده الجاحظ فيما بعد برواية : «أول» .

لأنّها كانت إذا أرادت أن تقول القمر ، قالت : الـكَمَر .

وقال ابنُ عبّاد[1] : ركبَتْ عجوزٌ سِنديّةٌ جملاً ، فلما مضى تحتها متخلّعًا اعتراها كهيئة حركة الجماع ، فقالت : هذا الدّمَل يذَكِّرنا بالسّرّ . تريد أنه يذكّرها بالوطء ، فقلبت الشين سينا والجيم ذالا . وهذا كثير .

وباب آخرُ من اللكنة . قيل لنَبَطيّ : لِمَ ابتعتَ هذه الأتان ؟ قال : « أركبها وتَلَدُ لى » . فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنّه فتح المكسور حين قال وتلَد لى ، ولم يقل تلِد لى .

قال : والصَّقْلَبِيُّ[2] يجعل الذال المعجمة دالاً فى الحروف .

---

(١) هو محمد بن عباد بن كاسب ، كما فى الحيوان (٣ : ٢٩٢) ، حيث ساق القصة بعبارة أخرى .

(٢) الصقلبى : نسبة إلى صقلب ، وهى بلاد بين بلغار وقسطنطينية ، كما ذكر ياقوت . فيما عدا ل : « الصقلى » تحريف ، فإن الذين يعنيهم الجاحظ عند ذكر الأمم هم الصقالبة . انظر الحيوان (١ : ١١٣ ، ١١٧ — ٣/١٢٠ : ١٤٦ ، ٤/٢٤٥ : ٧١ ، ٥/١٠٩ : ٧/٣٦ : ٢٣٦) .

باب البيان (١)

قال بعضُ جهابذة الألفاظِ ونُقّادِ المعانى : المعانى القائمةُ فى صدور النّاس (٢) المتصوَّرَة فى أذهانهم ، والمتخلِّجة فى نفوسهم ، والمتّصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فِكَرهم ، مستورةٌ خفيّة ، وبعيدةٌ وحشية ، ومحجوبةٌ مكنونة ، وموجودةٌ فى معنًى معدومةٍ ، لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحبِه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ،
٤٨ ولا معنَى شريكِهِ والمعاونِ له على أموره ، وعلى مالا يبلغه من حاجاتٌ نفسِه ، إلاّ بغيره . وإنما يُحيى تلك المعانىَ ذِكرُهم لها (٣) ، وإخبارُهم عنها ، واستعمالُهم إيّاها . وهذه الخصالُ هى التى تقرّبها من الفهم ، وتُجَلّيها للعقل ، وتجعل الخفىّ منها ظاهراً ، والغائبَ شاهداً ، والبعيدَ قريبا . وهى التى تلخِّص الملتبس (٤) ، وتحلّ المنعقد ، وتجعل المهمَل مقيَّداً ، والمقيَّد مطلقاً ، والمجهولَ معروفا ، والوحشىَّ مألوفا ، والغُفْل موسوماً ، والموسومَ معلوما . وعلى قدْر وُضوح الدّلالة وصوابِ الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودِقّةِ المَدْخَل ، يكون إظهارُ المعنى . وكلّما كانت الدّلالة أوضحَ وأفصح ، وكانت الإشارةُ أبينَ وأنوَر ، كان أنفعَ وأنجع . والدّلالة الظاهرةُ على المعنى الخفىّ هو البيانُ الذى سمعتَ الله عزّ وجلّ يمدحُه ، ويدعو إليه ويحثُّ عليه . بذلك نطَقَ القُرآنُ ، وبذلك تفاخَرَت العَرب ، وتفاضَلَتْ أصنافُ العَجَم (٥) .

---

(١) كلمة « البيان » ليست فى ل ، وهى فى سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : « العباد » .

(٣) فيما عدا ل : « وإنما تحيى تلك المعانى فى ذكرهم لها » .

(٤) التلخيص : التبيين والتفسير . وفى حديث على « أنه قعد لتلخيص ما التبس على غيره » .

(٥) فيما عدا ل : « الأعجام » .

والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيء كشَفَ لك قِناعَ المعنى ، وهتكَ الحِجابَ دونَ الضمير ، حتّى يُفضِيَ السّامعُ إلى حقيقته ، ويَهجُم على محصولِه كائناً ما كان ذلك البيانُ ، ومن أيِّ جنسٍ كان ذلك الدّليل ؛ لأن مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التى إليها يجرِى القائلُ والسّامع ، إنّما هو الفهْمُ والإفهام ؛ فبأيِّ شيء بلغْتَ الإفهام وأوضَحْتَ عن المعنى ، فذلك هو البيانُ فى ذلك الموضع .

ثم اعلم — حفِظَكَ الله — أنّ حُكْمَ المعانى خلافُ حُكمِ الألفاظ ؛ لأنّ المعانِيَ مبسوطةٌ إلى غير غاية ، وممتَدّةٌ إلى غير نهاية ، وأسماء المعانى مقصورةٌ معدودة ، ومحصَّلةٌ محدودة .

وجميعُ أصنافِ الدّلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقُص ولا تَزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العَقْد[1] ، ثمّ الخطّ ، ثمّ الحالُ التى تسمّى نُصْبَةً[2] . والنُّصبة هى الحال الدالّةُ ، التى تقوم مقامَ تلك الأصنافِ ، ولا تقصُرُ عن تلك الدِّلالات ، ولكلِّ واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائنةٌ من صورةِ صاحبتها ، وحليةٌ مخالفةٌ لحِليَة أختها ؛ وهى التى تكشِف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، ثمّ عن حقائقها فى التّفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصّها وعامّها ، وعن طبقاتها فى السارّ والضارّ ، وعمّا يكون منها لغْواً ٤٩ بَهْرَجاً[3] ، وساقطا مُطَّرَحاً .

قال أبو عُثمان : وكان فى الحقّ أن يكون هذا البابُ فى أوّل هذا الكتاب ، ولكنّا أخّرْناه لِبعض التّدبير .

---

(١) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد فى الحديث أنه « عقد عقد تسعين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة (٣ : ١٤٧) والحيوان (١ : ٣٣) .

(٢) أصل معنى النصبة بالضم ، هو السارية .

(٣) لغوا ، أى لا يعتد به ولا يحصل منه على فائدة . ل : « لهوا » تحريف . والبهرج : الباطل .

وقالوا : البيان بَصَرٌ والعِيّ عَمًى ، كما أنّ العلم بصرٌ والجهلَ عمى . والبيانُ من نِتاج العِلم ، والعِيُّ من نِتاج الجهل .

وقال سهلُ بن هارون(١) : العقل رائد الرُّوح ، والعلمُ رائدُ العقل ، والبيان ترجمان العلم(٢) .

وقال صاحبُ المنطق : حَدُّ الإنسانِ : الحيُّ النّاطق المُبين .

وقالوا : حياةُ المروءة الصِّدق ، وحياة الرُّوح العفاف ، وحياة الحِلم العلم ، وحياة العِلم البيان .

وقال يونسُ بنُ حبيب : ليس لِعِييّ مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو حَكّ بيافوخِهِ أعْنانَ السّماء(٣) .

وقالوا : شِعرُ الرّجل قِطعةٌ من كلامه ، وظنُّهُ قطعةٌ من علمِهِ ، واختيارُه قطعةٌ من عقلِهِ .

وقال ابنُ التَّوْأم(٤) : الرُّوح عِماد البدَن ، والعِلْم عِماد الرُّوح ، والبيان عِماد العلم .

قد قُلْنا فى الدّلالة باللّفظ . فأمّا الإشارة فباليد ، وبالرأس ، وبالعين والحاجب والمَنكِب ، إذا تباعَدَ الشخصان ، وبالثّوب وبالسّيف . وقد يتهدّد رافعُ السّيف والسّوط ، فيكون ذلك زاجراً ، ومانعاً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيرا .

---

(١) سبقت ترجمته فى ٢٥ .

(٢) الترجان ، كزعفران وعنفوان ، وبفتح التاء وضم الجيم : المفسر للسان .

(٣) أعنان السماء : نواحيها ، واحدها عَنَن وعَنّ . فيما عـدا ل : « عنان » . وقد روى صاحب اللسان قول يونس هذا ثم قال : « والعامة تقول عنان السماء » . لكنهم قالوا : عنان السماء : ما عنّ لك منها . وقد ضبط فى اللسان ضبط قلم بالفتح ، وفى القاموس ضبط تعيين بالكسر .

(٤) أورد له الجاحظ فى البيان ، وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، أخباراً تنبئ عن حكمته وصواب رأيه . ولعله « صبار بن التوأم اليشكرى » الذى ذكره الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٤٢١) .

والإشارةُ واللفظ شريكانِ ، ونعْمَ العونُ هي له ، ونِعم الترجمانُ هي عنه . وما أَكثَرَ ما تنوب عن اللفظِ ، وما تُغني عن الخطِّ . وبعدُ فهل تعدو الإشارةُ أن تكون ذاتَ صورةٍ معروفةٍ ، وحِلْية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها . وفى الإشارة بالطَّرْف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفقٌ كبير[1] ، ومَعُونة حاضرة ، في أمورٍ يسترُها بعضُ النّاسِ من بعض ، ويُخْفونها من الجليسِ وغيرِ الجليس . ولولا الإشارةُ لم يَتفاهم النّاسُ معنَى خاصّ الخاصّ ، ولَجَهِلوا هذا الباب البتّة . ولولا أن تفسيرَ هذه الكلمة يَدخل فى باب صناعة الكلام لفسَّرتُها لكم . وقد قال الشاعر فى دِلالات الإشارة :

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها ... إشارةَ مذعورٍ ولم تتكلَّمِ
فأيقنْتُ أنّ الطَّرْفَ قد قال مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيَّمِ[2] ٥٠

وقال الآخر[3] :

وللقلب على القلـب ... دليلٌ حينَ يلقاهُ
وفى النّاس من النـاس ... مقاييسُ وأشباهُ
وفى العينِ غنًى للمر ... ءِ أنْ تنطقَ أفواهُ

وقال الآخر فى هذا المعنى:

ومَعشرٍ صِيدٍ ذَوِى تَجِلَّهْ ... ترى عليهم للندى أدلَّه

وقال الآخر :

ترى عينُها عَيْنِي فتعرف وَحْيَها ... وتعرف عينى ما به الوَحْىُ يرجعُ ١

وقال آخر :

---

(١) المرفق ، بفتح الميم والفاء ، وكمنبر ومجلس : ما استعين به .
(٢) ل : « المسلم » . وما أثبت من سائر النسخ يوافق ما فى العمدة (١ : ٢١٢) .
(٣) هو أبو العتاهية . انظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢) .

وعينُ الفتى تُبدِى الذى فى ضميره   وتعْرِف بالنجوَى الحديثَ المغمَّسا(١)

وقال آخر :

العينُ تُبدِى الذى فى نفسِ صاحبها   من المحبَّة أو بُغضٍ إذا كانا

والعينُ تنطق والأفواهُ صامتةٌ   حتَّى ترى من ضمير القلب تِبْيانا

هـذا ومبلغُ الإشارة أبعدُ من مبلغ الصَّوت . فهذا أيضاً باب تتقدَّم فيه الإشارةُ الصوتَ .

والصوتُ هو آلةُ اللَّفظِ ، والجوهرُ الذى يقوم به التقطيع ، وبه يُوجَد التأليف(٢) . ولن تـكون حركات اللسـان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاَّ بظهور الصوت ، ولا تـكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحُسنُ الإشارة باليدِ والرأسِ ، مِن تمام حُسن البيانِ باللسان ، مع الذى يكون مع الإشارة من الدَّل والشِّـكْل(٣) ، والتقتُّل والتثنِّى(٤) ، واستدعاء الشَّهوة ، وغيرِ ذلك من الأمور .

قد قُلْنا فى الدَّلالة بالإشارة . فأمَّا الخطُّ ، فما ذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ فى كتابه من فضيلة الخطِّ والإنعامِ بمنافع الـكتاب ، قولُه لنبيِّه عليه السـلام : ﴿ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . وأقسم به فى كتابه المُنْزَل ، على نبيِّه المُرسَل ، حيث قال : ﴿ نَ . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسطرُونَ ﴾ ، ولذلك قالوا : القلَمُ أحَدُ اللِّسانين . كما قالوا : قِلَّة العِيال أحَدُ اليَسارَين . وقالوا : القلمُ أبقى أثراً ، واللسان أكثرُ هَذَراً .

---

(١) المغمس ، بالعين المهملة وكسر الميم المشددة وفتحها : الغامض المظلم .

(٢) الـكلام من هنا إلى كلة « التأليف » التالية ساقط من ل .

(٣) الشكل ، بالـكسر والفتح : دل المرأة وغنجها وغزلها .

(٤) التقتل ، بالقاف : الاختيال والتثنى والتكسر فى المشى . وفى الأصول : « التفتل » .

وقال عبدُ الرحمن بنُ كَيْسان[١] : استعمال القلم أجدرُ أن يحضَّ الذّهن على تصحيح الكتاب ، من استعمال اللّسان على تصحيح الكلام .

وقالوا : اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر ، والقلمُ مطلَقٌ فى الشّاهد والغائب ، وهو للغابرِ الحائن[٢] ، مثلُه للقائم الرّاهن .

والكتاب يُقرأ بكلّ مكان ، ويُدرَس فى كلّ زمان ؛ واللسان لا يَعْدُو سامِعَه ، ولا يتجاوزُه إلى غيره .

وأمّا القَول فى العَقْد ، وهو الحسابُ دونَ اللّفظ والخطّ ، فالدّليلُ على فضيلته ، وعِظَمَ قَدْرِ الانتفاع به ، قولُ الله عزّ وجل : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وجَاعِلُ اللَّيلِ[٣] سَكَناً والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسباناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ . وقال جلّ وتقدّس : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الإِنْسانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وقال جلّ وعزّ : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ .

والحسابُ يشتمل على معانٍ كثيرةٍ ومنافعَ جليلة ، ولولا معرفةُ العِباد بمعنى الحِساب فى الدنيا لَمَا فهِمُوا عن الله عزّ وجل معنَى الحسابِ فى الآخرة . وفى عدم اللّفظِ وفَساد الخطّ والجهلِ بالعقد ، فَسادُ جُلّ النِّعَم ، وفِقدانُ جُمهور المنافع ، واختلالُ كلّ ما جعله الله عزّ وجلّ لنا قِواماً ، ومَصْلحةً ونِظاماً .

---

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٢٠٥) وروى عنه .

(٢) الحائن : الهالك . وفى الأصول : « الكائن » .

(٣) قرأ الكوفيون : (وجعل) وباقى السبعة (وجاعل) . تفسير أبى حيان (٤ : ١٨٦) .

وأما النِّصبة[١] فهى الحالُ النَّاطقةُ بغير اللفظ، والمشيرةُ بغير اليد. وذلك ظاهرٌ فى خَلْق السموات والأرض، وفى كلِّ صامتٍ وناطق، وجامدٍ ونامٍ، ومُقيم وظاعن، وزائد وناقص. فالدَّلالة التى فى المَوَات الجامد، كالدَّلالة التى فى الحيوان الناطق. فالصّامتُ ناطقٌ من جهة الدَّلالة، والعَجْماء مُعْرِبةٌ من جهة البُرهان. ولذلك قال الأوَّل[٢]:

« سَلِ الأرض فقُلْ: مَنْ شَقَّ أنهارَكِ، وغَرَس أشجارَك، وجَنَى ثمارَك، فإن لم تُجِبْكَ حِواراً، أجابتك اعتباراً ».

وقال بعضُ الخطباء: «أشهَدُ أنّ السمواتِ والأرضَ آياتٌ دالاّت[٣] وشواهدُ
٥٢ قائمات، كلٌّ يؤدِّى عنك الحجة ويَشْهَد لك بالرُّبوبية[٤] موسومةٌ بآثار قُدْرتك، ومَعالِم تدبيرِك، التى تجلَّيْتَ بها لخلْقك، فأوصَلْتَ إلى القلوب مِن معرفتك ما آنسَها مِن وَحشة الفكر، ورَجْم الظُّنون، فهى على اعترافها لك، وافتقارها إليك[٥]، شاهدةٌ بأنك لا تُحيط بك الصِّفات، ولا تَحُدُّك الأوهام، وأنّ حَظَّ الفِكْر فيك، الاعترافُ لك».

وقال خطيبٌ من الخطباء، حين قام على سَرير الإسكندر وهو ميِّت[٦]:
« الإسكندر كان أمسِ أنطَقَ منه اليومَ، وهو اليومَ أوْعَظُ مِنه أمس ».

ومتى دلَّ الشىء على معنًى فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً، وأشار إليه وإن

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ٧٦.

(٢) هو الفضل بن عيسى بن أبان، كما فى الحيوان (١ : ٣٥). وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢).

(٣) ل: « ودلالات ».

(٤) فيما عدا ل: « ومعرب عنك بالربوبية ».

(٥) فيما عدا ل: « وذلها إليك ».

(٦) القول التالى ينسب أيضا إلى الموبذ حين قام يرثى قباذ الملك. الكامل ٣٢٠ ليبسك والعقد (٢ : ١٠٦) ومروج الذهب (٢ : ٣١٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) والحيوان (٦ : ٦٠٥) والصناعتين ١٤ — ١٥.

كان ساكناً . وهذا القولُ شائعٌ في جميع اللغات ، ومتّفق عليه مع إفراط الاختلافات .

وقال عنترةُ بنُ شدّادٍ العَبْسيّ وجعَل نعيبَ الغُراب خبراً للزّاجر :

حَرِقُ الجناحِ كأنَّ لحْيَيْ رأسِهِ جَلَمانِ بالأخبارِ هَشٌّ مُولَعُ[1]

الحَرِق : الأسوَد . شبّه لَحْيَيه بالجَلَمين ، لأنَّ الغراب مخبِرٌ بالفرقة والغُربة ويَقطع كما يقطع الجَلَمانِ[2] . وأنشدنى أبو الرُّدَينيّ العُكْليّ[3] ، في تنسُّمِ الذئبِ الرِّيحَ واستنشائهِ[4] واستِرواحِه :

يَستخبِرُ الرِّيحَ إذا لم يَسمَعِ[5] بمِثْلِ مِقراعِ الصَّفا المُوقَّعِ

المِقراع : الفأس التي يُكسَر بها الصّخر . والموقَّع : المحدَّد . يقال وقَّعت الحديدة إذا حدَّدْتَها . وقال آخرُ ، وهو الرّاعي :

إنَّ السّماءَ وإنَّ الرِّيحَ شاهدةٌ والأرضُ تشهدُ والأيّامُ والبَلَدُ

لقد جَزَيتُ بني بدرٍ ببَغْيِهِمِ يومَ الهَباءةِ يوماً ماله قَوَدُ[6]

وقال نُصيبٌ في هذا المعنى ، يمدح سليمانَ بنَ عبد الملك :

---

(١) انظر الحيوان (١ : ٣٤/٢ : ٣١٦) .

(٢) الإنشاد التالي والتعليق عليه ، هو فيما عدا ل سابق لذلك الإنشاد المتقدم .

(٣) أبو الرديني العكلي هو لدلم بن شهاب ، أحد بني عوف بن كنانة ، من عكل ، ويروى الجاحظ فيما سيأتي أنه هجا بني نمير فتوعدوه بالقتل فقال :

أتوعدني لتقتلني نميــر متى قتلت نمير من هجاها

فشد عليهم منهم رجل فقتله . وكان يهاجي عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء الدولة العباسية . انظر الأغاني (٢٠ : ١٨٣) والحيوان (٥ : ١٥٩/٦ : ٤٦٣) والخزانة (٣ : ١٠٥) .

(٤) الاستنشاء : الشم . فيما عدا ل : « واستنشاقه » ، وهما بمعنى .

(٥) انظر الحيوان (١ : ٣٤/٤ : ١٣٢/٧ : ١٤) . وفي اللسان (صخر ، قرع) : « يستصخر » .

(٦) يوم الهباءة ، كان لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة بن بدر ، وأخوه حمل . انظر معجم البلدان والكامل لابن الأثير (١ : ٣٥٢) والعمدة (٣ : ٢١٦) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال الميداني (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣/٢ : ٥٣٨/٤ : ٥٨٥) .

أقولُ لِرَكبٍ صادِرِينَ لقيتُهم ... قَفَا ذَاتِ أوشالٍ ومولاكَ قاربُ[(١)]
قِفُوا خبِّرُونا عن سليمانَ إنَّنى ... لمعروفه مِنْ أهْلِ وَدَّانَ طالبُ[(٢)]
* فعاجُوا فأثنَوْا بالذى أنتَ أهْلُه ... ولو سكتُوا أثنَتْ عليكَ الحقائبُ ٥٣

وهذا كثيرٌ جدا .

* * *

وقال علىٌّ رحمه الله[(٣)] : « قيمة كلِّ امرئٍ ما يُحسِن[(٤)] » . فلو لم نقِفْ من هذا الكتابِ إلاّ على هذه الكلمة لوجدْناها شافيةً كافية ، ومُجزِئةً مغْنِية ؛ بل لوَجدناها فاضلةً عن الكفاية ، وغيرَ مقصِّرة عن الغاية . وأحسنُ الكلام ما كان قليلُه يُغنيك عن كثيرِه ، ومعناه فى ظاهرِ لفظِه ، وكان اللهُ عزَّ وجلَّ قد ألبسه من الجَلالة ، وغشَّاه من نُور الحكمة على حَسَب نيّة صاحبه ، وتقوى قائلِه . فإذا كان المعنى شريفاً واللَّفظُ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، ومنزَّها عن الاختلال مصوناً عن التكلُّف ، صنَعَ فى القُلوب صنيعَ الغَيث فى التُّربة الكريمة . ومتى فَصَلت الكلمةُ على هذه الشَّريطة ، ونفذَتْ من قائلها على هذه الصِّفة ، أصحَبها اللهُ من التوفيق ومَنَحها من التأييد ، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدورُ الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقولُ الجَهَلة .

وقد قال عامر بن عبد قيس[(٥)] : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعتْ فى

---

(١) القارب : طالب الماء . وأراد بالمولى نفسه . ب : « لاغب » وكتب فى هامش ل : « خ : لاغب » .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة . قال ياقوت : « وقد أكثر نصيب من ذكرها فى شعره » . وأنشد هذه الأبيات . ج : « آل ودان » وكذا ياقوت .

(٣) فيما عدال : « بسم الله الرحمن الرحيم وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه » .

(٤) فيما عدال : « قيمة كل إنسان » وفى زهر الآداب (١ : ٤١) : « كل امرئ » .

(٥) هو عامر بن عبدقيس بن ثابت التميمى ، ويقال له أيضا عامر بن عبد الله . تابعى ثقة من كبار التابعين وعبادهم . وكان غاية فى الزهد ، روى عنه فى ذلك روايات تدخل فى حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ وصفة الصفوة (٣ : ١٢٦ — ١٣٥) . وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما سترى فى مواضع كثيرة . توفى فى خلافة معاوية .

القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان[١] » .

وقال الحسنُ رحمه الله ، وسمِـع رجلاً[٢] يَعِظ ، فلم تقع موعظته بموضعٍ من قلبه ، ولم يرِقّ عندها ، فقال له : « يا هذا ، إنّ بقلبك لشرًّا أو بقلبي » .

وقال عليُّ بنُ الحسين بن علي رحمه الله[٣] : لو كان الناسُ يعرِفون جُملةَ الحال في فضل الاستبانة ، وجملةَ الحال في صواب التّبيين ، لأعرَبُوا عن كلِّ ما تَخَلَّجَ في صُدورِهم ، ولوَجَدوا من بَرْدِ اليقين ما يُغْنِيهم عن المنازَعة إلى كلِّ حالٍ سوى حالهم . وعلى أنّ دَرَكَ ذلك كان لا يُعْدِمُهم في الأيام القليلة العِدّة[٤] ، والفِكْرة القصيرة المُدّة ، ولكنّهم من بين مغمورٍ بالجَهْل ، ومفتونٍ بالعُجْب ، ومعدولٍ بالهوى عن باب التثبُّت ، ومصروفٍ بسوء العادة عن فَضْلِ التَّعلُّم .

وقد جَمَع محمَّدُ بنُ عليّ بن الحسين صلاحَ شأن الدُّنيا بحذافيرِها في كلمتين ، فقال : « صلاحُ شأن جميعِ الناس التّعايُش والتعاشُر ، [وهو[٥]] ملءُ مكيالٍ ثلثاه فِطنة ، وثلثُه تغافُل » . فلم يجعَلْ لغير الفِطنة نصيباً من الخير ، ولا حَظًّا في الصلاح لأنّ الإنسان لا يتغافل إلا عن شيءٍ قد فَطِن له وعرَفه . ٥٤

وذكر هذه الثلاثة الأخبارَ إبراهيمُ بنُ داحَة ، عن محمّد بن عمير . وذكرها صالح بن عليّ الأفقم ، عن محمد بن عُمَير . وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشِّيَع ، وكان ابنُ عمير أغلاهم .

وأخبرني إبراهيمُ بن السِّنْديّ ، عن عليّ بن صالحٍ الحاجب ، عن العباس ابن محمد قال : قيل لعبد الله بن عبّاس : أنَّى لك هذا العلمُ ؟ قال : قلبٌ عَقولٌ ،

---

(١) انظر الحيوان (٤ : ٢١٠) .
(٢) فيما عدا ل : « وسمع متكلما » .
(٣) كلام على هذا في زهر الآداب (١ : ٥٩) .
(٤) يقال أعدمه الشيء ، إذا لم يجده .
(٥) الكلمة من زهر الآداب (١ : ٧١) حيث نقل عن البيان .

ولسانٌ سَؤُول . وقد رووْا هذا الكلامَ عن دغفلِ بن حنظلةَ العلاَّمة[1] . وعبدُ الله أوْلَى به منه . والدّليل على ذلك قولُ الحسن : إنّ أوّلَ مَن عُرِف بالبَصرة ابنُ عباسٍ ، صعِد المنبر فقرأ سورةَ البقرة ، ففسّرَها حرفاً حرفا ، وكان مِثَجًّا يسيل غَرْبا[2] .

المِثَجُّ : السائل الكثير ، وهو من الثّجّاج . والغَرْب ، هاهنا : الدّوَام .

هشام بن حسّانَ وغيرُه ، قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، إنّ قوماً زعمُوا أنّك تذمُّ ابنَ عباسٍ . قالوا : فبكى حتّى اخضلّت لحيتُه ، ثم قال : إنّ ابنَ عبّاسٍ كان من الإسلام بمكان ، إنّ ابن عبّاس كان من القرآنِ بمكان[3] ، وكان والله له لسانٌ سَؤُولٌ ، وقلب عَقُول ، وكان والله مِثَجًّا يسيل غَرْبا .

قالوا : وقال عليُّ بن عبد الله بن عباس : من لم يجد مَسَّ الجَهْل فى عقله ، وذُلَّ المعصية فى قلبه ، ولم يَستبِنْ موضعَ الخَلّةِ فى لسانه ، عند كلال حَدِّه عن حَدِّ خَصمِه ، فليس ممّن يَنْزِع[4] عن ريبة ، ولا يَرغبُ عن حال مَعْجزةٍ ، ولا يكترث لفَصْلِ ما بين حُجّة وشُبهةٍ .

قالوا : وذكَر محمّدُ بن عليِّ بن عبد الله بن عباس ، بلاغةَ بعضِ أهله فقال : إنّى لأكرهُ أن يكون مقدارُ لسانه فاضلاً على مقدار عِلمه ، كما أكره أن يكون مقدارُ علمه فاضلاً على مقدار عقله .

وهذا كلامٌ شريفٌ نافع ، فاحفظوا لفظَه وتدبَّرُوا معناه ، ثمّ اعلموا أنّ المعنى الحقيرَ الفاسدَ ، والدنيَّ الساقط ، يعشِّش فى القلب ثم يَبيض ثم يُفرِّخ ،

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٨٩) وعيون الأخبار (٢ : ١١٨) . ودغفل بن حنظلة ممن أدرك النبي ولم يسمع منه شيئا ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه وكان منها هذا السؤال . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٢٧٣) .

(٢) الخبر فى اللسان (ثجج ، غرب) .

(٣) فيما عدا ل : « كان من العلم بمكان » .

(٤) فيما عدا ل : « يفزع » .

فإذا ضَرَبَ بجِرانِهِ ومكَّنَ لعُروقه ، استفحل الفساد وبَزَل ، وتمكَّن الجهل وقَرَحَ[1] ، فعند ذلك يقوى داؤه ، ويمتنع دواؤه ؛ لأنّ اللفظَ الهجينَ الرديّ ، والمستكرَهَ الغبيّ ، أعلقُ باللسان ، وآلف للسمع ، [وأشدُّ التحاماً بالقلب[2]] من اللفظ النَّبيه الشّريف ، والمعنى الرَّفيع الكريم . ولو جالَسْتَ الجُهّالَ والنَّوْكى ، والسُّخَفاء والحَمقى ، شهراً فقط ، لم تَنقَ من أوضارِ كلامِهم ، وخَبَال معانيهم ، * بمجالَسة أهل البيان والعقل دهراً ؛ لأنّ الفسادَ أسرعُ إلى النَّاس ، ٥٥ وأشدُّ التحاماً بالطبائع . والإنسانُ بالتعلُّم والتكلُّف ، وبطُول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارَسَةِ كُتُبِ الحكماء ، يَجُودُ لفظُه ويحسُن أدبُه ، وهو لا يحتاج فى الجهل إلى أكثَرَ من تَركِ التعلُّم ، وفى فساد البيان إلى أكثَرَ من تَركِ التخيُّر .

ومما يؤكِّد قولَ محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس ، قولُ بعضِ الحكماء حين قيل له : متى يكونُ الأدبُ شرًّا مِن عدمه ؟ قال : إذا كثُر الأدب ، ونَقَصَت القريحة .

وقد قال بعضُ الأوّلين : « مَن لم يكن عقلُه أغلبَ خصالِ الخَير عليه ، كان حتفُه فى أغلَب خصال الخير عليه » . وهذا كلّه قريبٌ بعضُه من بعض .

وذكر المغيرةُ بن شُعْبة عُمَرَ بنَ الخطّاب رحمه الله فقال : « كان والله أفضَلَ من أن يَخْدَع ، وأعقَلَ من أن يُخْدَع » .

وقال محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عباس : « كفاكَ مِن عِلْمِ الدّين أن تعرِف ما لا يسَعُ جَهلُه ، وكفاكَ مِن علم الأدب أن ترِوىَ الشّاهدَ والمثَل » .

وكان عبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ القاضى يَروى عن جدّه إبراهيم بن سلمة ،

---

(١) بزل : بلغ سن البزول ، وهو التاسعة . وقرح : بلغ سن القروح ، والقارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل . كنى بهما عن القوة .

(٢) هذه مما عدا ل .

قال : سمعتُ أبا مسلم[١] يقول : سمعت الإمام إبراهيمَ بنَ محمدٍ[٢] يقول : يكفي من حَظِّ البلاغة أن لا يُؤتَى السّامعُ من سوء إفهام النّاطق ، ولا يُؤتَى النّاطقُ من سوء فهم السّامع .

قال أبو عثمان : أما أنا فأستحسنُ هذا القولَ جدًّا .

---

(١) هو أبو مسلم الخراسانى الداعى للدولة العباسية .
(٢) هو إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أخو أبى العباس السفاح رأس الدولة العباسية ، حبسه مروان بن محمد ، وقتل فى محبسه سنة ١٣٢ حيث ظهر بعده أبو العباس السفاح ، عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا [حول ولا[1]] قوّة إلا بالله ، وصلّى الله على محمدٍ خاصّة ، وعلى أنبيائه عامة .

خبّرنى أبو الزُّبير كاتبُ محمَّدِ بن حسّان[2] ، وحدّثنى محمد بن أبان — ولا أدرى كاتب مَن كان — قالا : قيل للفارسىّ : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصْل من الوصل .

وقيل لليونانىّ : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للرومىّ : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغَزارةُ يومَ الإطالة .

وقيل للهندىّ : ما البلاغة ؟ قال : وُضوح الدّلالة ، وانتهاز الفرُصة ، وحسن الإشارة .

وقال بعضُ أهل الهند : جُمّاع البلاغة البَصر بالحُجّة ، والمعرفةُ بمواضع الفرصة . ثم قال : ومن البصر بالحُجّة ، والمعرفةِ بمواضع الفرُصة ، أن تدعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاحُ أوعرَ طريقةً . وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلغَ فى الدَّرَك ، وأحقَّ بالظَّفَر . ٥٦

قال : وقال مرّةً : جُمّاع البلاغة التماس حُسن الموقع ، والمعرفةُ بساعات القول ، وقلّة الخَرَقِ بما التبَسَ من المعانى أو غَمُضَ[3] ، وبما شرَدَ عليك من اللفظ أو تعذّر .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) هو محمد بن حسان بن سعد التميمي ، كان على خراج الكوفة . انظر الأغانى (٢ : ١٤٨) .

(٣) الخرق ، بالتحريك : الدهشة والحيرة . فيما عدا ل : « الحرف » تحريف .

ثم قال : وزَيْنُ ذلك كلِّه ، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشمائلُ موزونةً ، والألفاظُ معدَّلةً ، واللهجة نقيَّةً[1] . فإن جامَعَ[2] ذلك السنُّ والسمتُ والجمال وطولُ الصَّمت ، فقد تمَّ كلَّ التمام ، وكمل كلَّ الكمال .

وخالَفَ عليه سهلُ بن هارونَ فى ذلك ، وكان سهلٌ فى نفسه عتيقَ الوجه ، حسنَ الشارةِ ، بعيداً من الفَدَامة ، معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يُقضَى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرِقَّةِ الذهن قبل المخاطبة ، وبدقَّة المذهب قبل الامتحان وبالنُّبل قبل التكشُّف . فلم يمنعْه ذلك أن يقول ما هو الحقُّ عِنده وإن أدخلَ ذلك على حاله النقص .

قال سهلُ بن هارون : لو أنَّ رجلَين خطبَا أو تحدَّثا ، أو احتجَّا أو وصَفَا وكان أحدُهما جميلاً بهيًّا ، ولَبَّاساً نبيلاً[3] ، وذا حَسَبٍ شريفاً ، وكان الآخَر قليلاً قميئاً ، وباذَّ الهيئة دَميما ، وخامِلَ الذِّكر مجهولا ، ثم كان كلامُهما فى مقدارٍ واحدٍ من البلاغة ، وفى وزنٍ واحدٍ من الصواب ، لتصدَّع عنهما الجمْع وعامَّتُهم تَقضِى للقليل الدَّميم على النَّبيل الجسيم ، وللباذِّ الهيئة على ذى الهيئة ، ولشغَلَهم التعجُّب منه عن مساواةِ صاحبه له ، ولصار التعجُّب منه سبباً للعَجَب به ، ولصار الإكثارُ فى شأنِه عِلَّةً للإكثار فى مدحه ، لأنَّ النفوسَ كانت له أحقَر ، ومِن بيانِه أيأس ، ومن حَسَدِه أبعَد . فإذا هَجَمُوا منه على ما لم يكونُوا يحتسِبُونه ، وظهَرَ منه خلافُ ما قدَّرُوه ، تضاعَفَ حُسْنُ كلامه فى صدورهم ، وكَبُرَ فى عيونهم ؛ لأنَّ الشىء من غير معدنه أغرب ، وكلَّما كان أغرَبَ كان أبعَدَ فى الوَهْم ، وكلَّما كان أبعَدَ فى الوهم كان أطرَفَ ، وكلَّما كان أطرَفَ كان أعجب ،

(١) ل : « والألفاظ معتدلة ، والبهجة نقية » وفيها تحريف .
(٢) فيما عدا ه : « جاء مع » .
(٣) ل فقط : « ولبيسا » والمعروف فى المعاجم المتداولة « لباسا » كما فى سائر النسخ .

وكلما كان أعجب كان أبدع . وإنما ذلك كنوادرِ كلام الصِّبيان ومُلَح المجانين ؛ فإنّ ضحِك السامعين من ذلك أشدُّ ، وتعجُّبَهم به أكثر . والنّاسُ مُوَكَّلُون بتعظيم الغريب ، واستِطراف البعيد[1] ، وليس لهم في الموجود الرّاهن ، ٥٧ *وفيما تحتَ قُدرتهم من الرّأى والهوى ، مِثْلُ الذى لهم فى الغريب القليل ، وفى النادر الشاذّ ، وكلُّ ما كان فى مِلْك غيرِهم . وعلى ذلك زَهِدَ الجيرانُ فى عالِمِهم ، والأصحابُ فى العائد من صاحبهم . وعلى هذه السَّبيلِ يستطْرفون القادمَ عليهم ، ويرحَلُون إلى النَّازح عنهم ، ويتركون مَن هو أعمُّ نفعاً وأكثرُ فى وجوه العِلم تصرُّفا ، وأخفُّ مؤُونةً وأكثرُ فائدة . ولذلك قدّم بعضُ النّاس الخارجيَّ على العريق[2] ، والطّارف على التّليد .

وكان يقول[3] : إذا كان الخليفةُ لبيغاً والسيِّد خطيباً ، فإنّك تجدُ جمهورَ الناس وأكثرَ الخاصّة فيهما على أمرَين : إمّا رجلاً يُعطِى كلامَهما من التعظيم والتّفضيل ، والإكبار والتبجيل ، على قدر حالِهما فى نفسه ، ومَوقعِهما من قلبه ؛ وإما رجُلاً تعرِضُ له التُّهمة لنفسه فيهما ، والخوفُ من أن يكون تعظيمُه لهما يُوهمه من صَوابِ قولِهما ، وبلاغة كلامهما ، ما ليس عندهما ، حتّى يُفرط فى الإشفاق ، ويُسْرِف فى التُّهمة . فالأوّلُ يزيد فى حقِّه للذى له فى نفسه ، والآخر ينقُصه من حقِّه لتُهمتِه لنفسه ، ولإشفاقه من أن يكون مخدوعا فى أمره . فإذا كان الحبُّ يُعمِى عن المساوى فالبُغض أيضاً يُعمِى عن المحاسن . وليس يَعرِف حقائقَ مقاديرِ المعانى ؛ ومحصولَ حدود لطائف الأمور ، إلاّ عالمٌ حكيم ، ومعتدلُ الأخلاط عَليم ، وإلاّ القويُّ المُنّة ، الوثيق العُقْدة ، والذى لا يَميل مع ما يستميل الجمهورَ الأعظمَ ، والسوادَ الأكبر .

(١) فيا عدا ل : « واستطراف البديع » .
(٢) الخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قدم .
(٣) أى سهل بن هارون . انظر ص ٨٩ س ٩ . وفيا عدا ل : « وكانوا يقولون » .

وكان سهلُ بن هارونَ شديدَ الاطناب فى وصف المأمون بالبلاغة والجهارة، وبالحلاوة والفخامة، وجَودة اللّهجة والطّلاوة.

وإذا صِرْنا إلى ذِكْر ما يحضُرُنا مِن تسميةِ خُطباء بنى هاشم، وبُلغاء رجال القبائل، قلْنا فى وصفهما على حسَب حالهما، والفرْقِ الذى بينهما؛ ولأنّا عسى أن نذكر جملةً من خطباء الجاهليِّين والإسلاميِّين، والبدويِّين والحضَريِّين، وبعضَ ما يحضُرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم، وبالله التوفيق.

ثم رجع القولُ بنا إلى ذكر الإشارة.

وروى أبو شَمِر[1] عن مُعَمَّرٍ أبى الأشعث[2]، خلافَ القول الأوّل فى
٥٨ فى الإشارة والحركة عند الخطبة، وعند منازَعة الرجال ومناقَلة الأكْفاء.

وكان أبو شَمِرٍ إذا نازع لم يحرِّكْ يديه ولا منكِبيه، ولم يقلِّبْ عينيه، ولم يحرِّكْ رأسَه، حتّى كأنّ كلامَه إنما يخرج من صَدْع صخرة. وكان يَقضِى على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك، وبالعجز عن بُلوغ إرادته. وكان يقول: ليس من حقّ المنطق أن تستعين عليه بغيره، حتّى كلّمه إبراهيمُ بن سيَّار النَّظّام عنـد أيوب بن جعفر[3]، فاضطرَّه بالحجّة، وبالزيادة فى المسألة، حتّى حرَّكَ يديه وحَلَّ حُبْوَتَه، وحَبَا إليه حتى أخذ بيديه. وفى ذلك اليومِ انتقل أيُّوبُ من قول أبى شَمِرٍ إلى قول إبراهيم. وكان الذى غرَّ أبا شَمِرٍ ومَوَّهَ له هذا الرأى، أنّ أصحابه كانوا يستمعون منه، ويسلِّمون له ويميلون إليه، ويَقبَلون كلَّ ما يُورِده

(١) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة. انظر آراءه فى الفرق ١٩٠ — ١٩٤.

(٢) هو معمر بن عباد السلمى، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائنى، وحفص الفرد، وأبو شمر، وأبو بكر الأصم، وأبو عاصم عبد الكريم بن روح. انظر ابن النديم ١٤٧، والمواقف ٦٢٣ طبع بولاق. ومعمر بتشديد الميم، كما فى لسان الميزان (٦: ٧١). توفى سنة ٢١٥.

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى، كان من أعلم الناس بقريش، وبالدولة وبرجال الدعوة كما سيأتى. وذكر الجاحظ فى الحيوان (٦: ٧٨) أنه كان لا يعب أكل الضباب.

عليهم ، ويُنبِّته عندهم . فلما طالَ عليهِ توقيرُهم له ، وتَرْكُ مجاذبتهم إياه ، وخفّت مؤونةُ الـكلامِ عليه — نَسِيَ حالَ منازعة الأكفاء ومجاذبةِ الخصوم . وكان شيخاً وقوراً ، وزِمِّيتاً رَكيناً(١) ، وكان ذا تصرُّف في العلم ، ومذكوراً بالحلم .

قال معمَّر ، أبو الأشعث : قلت لبَهْلة الهنديّ أيّامَ اجتلب يحيى بنُ خالدٍ أطبّاء الهند ، مثل مَنْكَة وبازِيْكر(٢) وقِبْرِقْل(٣) وسِنْدباذ وفُلان وفُلان : ما البلاغةُ عندَ الهند ؟ قال بَهْلة : عندنا في ذلك صحيفةٌ مكتوبة ، ولكن لا أُحسن ترجمتها(٤) ، ولم أعالجْ هذه الصناعة فأثِقَ من نفسي بالقيام بخصائصها ، وتلخيصِ لطائفِ معانيها .

قال أبو الأشعث : فلقيتُ بتلك الصحيفة التَّراجمةَ فإذا فيها(٥) :

أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأش ، ساكنَ الجوارح ، قليلَ اللَّحظ ، متخيَّرَ اللفظ ، لا يكلِّمُ سيِّدَ الأمة بكلام الأمة ولا الملوكَ بكلام السُّوقة . ويكونَ في قُواه فضلُ التصرُّف في كلِّ طبقة ، ولا يدقِّق المعانيَ كلَّ التدقيق ، ولا يُنقِّح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يُصفِّيها كلَّ التَّصفية ، ولا يهذِّبها غايةَ التهذيب ، ولا يفعلَ ذلك حتّى يصادفَ حكيماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومَن قد تعوَّد حذفَ فُضول الكلام ، وإسقاطَ مشتركاتِ
الألفاظ ، وقد نَظَرَ في صناعة المنطق على جهة الصِّناعة والمبالغة ، لا على * جهة ٥٩
الاعتراض والتصفُّح ، وعلى وجه الاستطراف والتظرُّف . قال : ومِن عِلْمِ حَقٍّ

(١) الزميت : الحليم الساكن القليل الكلام ، كالصميت . والركين : الرزين .
(٢) كذا ضبطت هذه الأسماء الهندية في نسخة الأصل ، وهي ل . وفي الحيوان (٧ : ٢١٣) أن « منكه » كان صحيح الإسلام .
(٣) ل : « وقل بن قل » وأثبت ما في سائر النسخ .
(٤) فيما عدال : « مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك » .
(٥) ذكر العسكري في الصناعتين ١٩ هذه الصحيفة ، وفسرها . وكذلك ذكرها ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) .

المعنى(١) أن يكون الاسمُ له طِبْقاً، وتلك الحالُ له وَفْقاً، ويكون الاسم له لا فاضلا [ولا مفضولا(٢)] ، ولا مقصِّراً، ولا مشتركا، ولا مضمَّناً، ويكونَ مع ذلك ذاكراً لما عَقَدَ عليه أوّلَ كلامه، ويكونَ تصفُّحه لمصادِرِه، في وزن تصفُّحه لموارده، ويكونَ لفظُه مُونِقاً، ولهَوْل تلك المقامات معاوِداً(٣). ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قوم بمقدارِ طاقتهم، والحملِ عليهم على أقدار منازلهم، وأن تُواتِيَه آلاتُه، وتتصرَّف معه أداتُه، ويكونَ في التُّهَمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظنِّ بها مقتصداً؛ فإنه إنْ تجاوَزَ مقدارَ الحقِّ في التُّهمة لنفسه ظلَمَها، فأودعَها ذِلَّةَ المظلومين، وإنْ تجاوَزَ الحقَّ في مقدار حُسْن الظنِّ بها، آمنها فأودَعَها تهاوُنَ الآمنين. ولكل ذلك مقدارٌ من الشُّغْل، ولكل شُغْلٍ مقدارٌ من الوهَن، ولكل وهَنٍ مقدارٌ من الجهل.

وقال إبراهيم بن هانئ(٤)، وكان ماجناً خليعاً، وكثير العبثِ متمرِّداً. ولولا أنّ كلامه هذا الذي أراد به الهزْلَ يدخُلُ في باب الجِدّ، لمَا جعلتُه صِلَةَ الكلام الماضي. وليس في الأرض لفظٌ يسقط البتّة، ولا معنًى يبور حتّى لا يصلحَ لمكانٍ من الأماكن.

وقال إبراهيم بن هانئ: من تمام آلة القصَص أن يكون القاصُّ أعمى، ويكونَ شيخاً بعيدَ مدى الصوت. ومن تمام آلة الزَّمْر أن تكون الزّامرةُ

---

(١) فيما عدا ل: «وقال من علم حق المعنى». وفي الصناعتين: «قال واعلم أن حق المعنى».

(٢) هذه مما عدا ل.

(٣) بدله في الصناعتين: «ومعناه نيراً واضحاً». وهو يدل أن الترجمة التي حصل عليها العسكري غير التي حصل عليها الجاحظ.

(٤) إبراهيم بن هانئ: أحد معاصري الجاحظ، روى عنه أخباراً في الحيوان، وخبراً في البخلاء ١٠٦.

سوداء . ومن تمام آلة المُغَنِّى أن يكون فارِهَ البِرْذَوْن ، برّاقَ الثِّياب [١] ، عظيمَ الكِبْر ، سيِّئَ الخُلُق . ومن تمام آلة الخَمّار أن يكون ذِمِّيًّا ، ويكون اسمه أذِين أو شَلُومَا ، أو مازيار ، أو أزداناذار ، أو مِيشا ، ويكونَ أرقطَ الثِّياب ، مختوم العُنق . ومن تمام آلة الشِّعر أن يكون الشّاعرُ أعرابيًّا ، ويكونُ الداعى إلى الله صوفيًّا . ومن تمام آلة السُّؤدُد أن يكون السيِّد ثقيلَ السَّمع ، عظيمَ الرَّأس . ولذلك قال ابن سنان الجُدَيْدِىّ [٢] ، لراشد بن سَلَمةَ الهُذَلىّ : « ما أنتَ بعظيم الرأس [ولا ثقيلِ السمع [٣]] فتكون سيِّدا ، ولا بأرسَحَ فتكون فارساً » .

وقال شَبِيبُ بن شَيْبَةَ الخطيب ، لبعض فِتيان بنى مِنْقَرٍ : « واللهِ ما مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرسان ، ولا فُتِقْتَ فَتْقَ السّادة » . ٦٠

وقال الشّاعر :

فقبَّلْتُ رأساً لم يكن رأسَ سيِّدٍ ... وكفًّا ككفِّ الضَّبِّ أو هى أحقَرُ [٤]

فعاب صِغَرَ رأسه وصِغَر كفِّه ، كما عاب الشّاعر [٥] كفَّ عبدِ الله بن مطيعٍ العَدَوىّ ، حين وجدَها غليظة جافية ، فقال :

دَعا ابنُ مُطيعٍ للبِيَاع فجئتُه ... إلى بَيْعةٍ قلبى لها غيرُ آلفِ

فناوَلَنِى خشناءَ لمَّا لمسْتُها ... بكفِّىَ ليست من أكُفِّ الخلائفِ

وهذا الباب يقعُ (فى كتابِ الجوارحِ) مع ذكر البُرْصِ والعُرج والعُسْر ٦١

(١) فيما عدا ل : « الثنايا » . ولكل وجه .

(٢) كذا ضبط فى ل . وهو إما نسبة إلى « جديد » ، وهى خطة لبنى جديد بالبصرة ، أو إلى « الجديدة » وهى قرية فى كورة بين النهرين بين نصيبين والموصل .

(٣) هذه مما عدا ل .

(٤) فيما عدا ل : « تقلب رأساً » .

(٥) هو فضالة بن شريك . وكان عبد الله بن الزبير قد ولى عبد الله بن مطيع بن الأسود الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فقال فضالة هذا الشعر فى هجائه . انظر الأغانى (١٠ : ١٦٤) . وسيعيد الجاحظ إنشاده فيما بعد .

والأدر والضَّلع (١) ، [والحذب والقَرَع (٢)] ، وغير ذلك من عِلَل الجوارح ، وهو واردٌ عليكم إن شاء الله بعد هذا الكتاب .

وقال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة الشِّيعيِّ أن يكون وافرَ الجُمّة ، صاحب بازَيْكَنْد (٣) . ومن تمام آلة صاحب الحَرَسِ أن يكون زِمِّيتاً قطوباً أبيضَ اللِّحية ، أقنى أجنى (٤) ، ويتكلّم بالفارسيّة (٥) .

وأخبرني إبراهيم بن السِّنْديّ قال : دخل العُمانيّ الراجز على الرشيد ، ليُنْشده شعراً ، وعليه قَلَنْسُوةٌ طويلة ، وخُفٌّ ساذَج ، فقال : إياك أن تنشدَني إلاّ وعليك عمامةٌ عظيمة الكَوْر ، وخفّان دُمالقان (٦) .

قال إبراهيم : قال أبو نصر : فبكَّرَ عليه من الغدِ وقد تزيّا بزيِّ الأعراب ، فأنشده ثم دَنا فقبّل يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدتُ مَرْوانَ ورأيتُ وجهه وقبّلتُ يده وأخذتُ جائزتَه ، وأنشدتُ يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ورأيتُ وجوهَهما وقبّلت أيديَهما وأخذتُ جوائزَهما ، وأنشدتُ السفّاح ورأيتُ وجهَه وقبّلت يدَه وأخذتُ جائزته ، وأنشدتُ المنصورَ ورأيتُ وجهَه وقبّلت يدَه وأخذتُ جائزتَه ، وأنشدْتُ المهديَّ ورأيتُ وجْهَه وقبّلْت يدَه وأخذْتُ جائزته ، وأنشدْتُ الهادِيَ ورأيتُ وجهَه وقبّلت يدَه وأخذت جائزته . * هذا إلى كثيرٍ من أشباه الخلفاء ، وكبار الأمَراء ، والسّادة الرؤساء ، ولا والله ٦١

(١) فيما عدا ل : « والفلج » .
(٢) هذه مما عدا ل .
(٣) في هامش ل : « بازيكند نوع من الثياب ، فارسية » . وقد ضبطت الكلمة في اللّن والتعليق ، بفتح الزاي وضم الياء وفتح الكاف .
(٤) الأقنى : المرتفع أعلى الأنف المحدودب وسطه . والأجنى : تسهيل الأجنأ ، وهو الأحدب الظهر .
(٥) فيما عدا ل : « صاحب تكلم بالفارسية » .
(٦) الدمالق : المستدير الأملس . ل : « ذلقان » صوابه في سائر النسخ .

إنْ رأيتُ فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أتمَّ كفًّا ، ولا أندَى راحة منك يا أمير المؤمنين . ووالله لو أُلقى فى رُوعى أنّى أتحدّث عنك ما قلتُ لك ما قلت . قال : فأعظمَ له الجائزةَ على شِعره ، وأضعفَ له على كلامِه ، وأقبل عليه فبَسطَه ، حتى تمنَّى والله جميعُ مَن حضر أنهم قاموا ذلك المقام .

***

ثم رجع بنا القولُ إلى الكلام الأول . قال ابنُ الأعرابىّ : قال معاوية ابن أبى سفيان لصُحارِ بن عَيّاشٍ العبدىّ[1] : ما هذه البلاغةُ التى فيكم ؟ قال : شىءٌ تَجِيش به صدورُنا فتَقذِفُه على ألسنتنا . فقال له رجل مِن عُرْض القوم[2] : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء بالبُسْر والرُّطَب ، أبصرُ منهم بالخُطَب . فقال له صُحار : أجَلْ والله ، إنّا لنَعلم إنّ الرِّيح لَتُلْقِحُه[3] ، وإن البَرد ليَعقِدُه ، وإن القمرَ ليَصْبُغُه ، وإن الحرَّ ليُنْضِجُه .

وقال له معاوية : ما تعدُّون البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال له معاويةُ : وما الإيجاز ؟ قال صُحار : أن تُجيب فلا تبطئْ ، وتقولَ فلا تخطئْ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صُحَار ؟ قال صُحار : أقِلْنى يا أمير المؤمنين ، ألاّ تُبْطئَ ولا تُخْطئَ[4] .

وشأن عبد القَيس عجَبٌ ، وذلك أنهم بعد مُحارَبة إيادٍ تفرّقُوا فِرقتَين : ففرقةٌ وقعت بعُمانَ وشِقِّ عُمان ، وهم خطباء العرب ؛ وفرقةٌ وقعت إلى البَحْرَين

(١) هو صحار بن عياش — ويقال ابن عباس — بن شراحبل بن منقذ العبدى ، من بنى عبد القيس ، خطيب مفوه ، كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان علامة نسابة . توفى نحو سنة ٤٠ . انظر الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

(٢) من عرض القوم ، بضم العين ، أى عامتهم .

(٣) فى الأصول : « لتنفخه » صوابه فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٢) .

(٤) فيا عدال : « لا تبطئْ ولا تخطئْ » . وفى الحيوان (١ : ٩١) : « لا تخطئْ ولا تبطئْ » . وفى الصناعتين ٣٢ : « هو ألا تخطئْ ولا تبطئْ » .

[وشقّ البحرَين[١]] ، وهم من أشعر قَبيلٍ فى العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سُرّة البادية[٢] وفى مَعدِن الفَصاحة . وهـذا عَجَب . ومن خُطَبائهم المشهورين : صَعصعة بن صُوحان ، وزَيد بن صُوحان ، وسَيْحان بن صوحان[٣] . ومنهم صُحار بن عَيَّاشٍ . وصحارٌ من شيعة عثمان ، وبنو صوحانَ من شيعة علىّ . ومنهم مَصْقَلة بن رَقَبة ، ورقبة بن مَصْقَلة ، وكَرِب بن رَقَبة .

وإذا صِرْنا إلى ذكر الخطَباء والنَّسَّابين ، ذكَرْنا من كلامِ كلِّ واحدٍ منهم بقَدْر ما يحضُرنا ، وبالله التوفيق .

قال لى ابنُ الأعرابىّ : قال لى المفضَّل بن محمد الضبىّ : قلت لأعرابىٍّ منّا : ما البلاغة ؟ قال لى : الإيجازُ فى غير عجْز ، والإطنابُ فى غير خَطَلٍ . قال ابنُ الأعرابىّ : فقلتُ للمفضَّل : ما الإيجاز عندكم ؟ قال : تركُ الفضـول[٤] ، ٦٢
وتقريب البعيد .

قال ابنُ الأعرابىّ ، قيل لعبد الله بن عُمَر : لو دعوْتَ الله لنا بدَعَواتٍ . فقال : اللهمَّ ارحَمْنا وعافِنا وارزُقْنا ! فقال له رجلٌ : لو زِدْتَنا يا أبا عبد الرحمن . فقال : نعوذ بالله من الإسهاب .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) ل : « فى هذه البادية » .

(٣) ذكرهم ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٩ . وقال : « بنو صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس . وسيحان فعلان من السيح ، ساح الماء يسيح سيحاً » . فيما عدا ل : « شيخان » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ما الإيجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول » .

باب

ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء

ممن كان لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل

منهم : زيد بن صُوحَان ، ومنهم : أبو وائلة إياس بن معاوية المُزَنى[1] ، القاضى القائف ، وصاحب الزَّكَن ، والمعروف بجَودة الفِراسة . ولِكَثْرة كلامه قال له عبد الله بن شُبْرُمة[2] : « أنا وأنت لا نتّفق . أنت لا تشتهى أن تسكتُ وأنا لا أشتهى أن أسْمَع » .

وأتَى حَلْقةً من حَلَقِ قُرَيشٍ فى مسجد دمشق ، فاستولَى على المجلس ، ورأوه أحمرَ دميما باذَّ الهيئة ، قَشِفًا ، فاستهانُوا به ، فلما عرَفوه اعتذروا إليه وقالوا له : الذَّنْب مقسومٌ بيننا وبينك ؛ أتيتَنا فى زِيِّ مسكينٍ ، تكلِّمُنا بكلام الملوك .

ورأيتُ ناساً يستحسنون جوابَ إياسِ بن معاوية ، حين قيل له : ما فيك عيبٌ غير أنّك مُعْجَبٌ بقولك . قال : أفأعجبَكم قولى ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أحقُّ بأن أُعجَبَ بما أقول ، وبما يكون مِنِّى[3] .

والناسُ ، حفِظَك الله ، لم يضَعُوا ذِكْرَ العُجْب فى هذا الموضع . والمعيبُ عند النّاس ليس هو الذى لا يَعرِف ما يكون منه من الحُسْن . والمعرفةُ لا تَدْخُل فى باب التَّسمية بالعُجبِ ، والعُجْبُ مذموم . وقد جاء فى الحديث : « إنّ المؤمنَ

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزنى ، من مزينة مضر ، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة . وكان صادق الظن لطيفاً فى الأمور ، وكان لأم ولد ، ومنزله عند السى ، ومات بها سنة ١٢٢ . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩) وأنساب السمعانى .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبى ، أبو شبرمة الكوفى القاضى . ولاه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة . توفى سنة ١٤٤ . انظر تهذيب التهذيب .

(٣) فيا عدا ل : « منى منكم » .

مَن ساءته سيِّئتُه ، وسرَّته حسنته » . وقيل لعمر : فلانٌ لا يَعرِف الشرَّ . قال : «ذاك أجْدَرُ أن يقعَ فيه» . و إنّما العُجْب إسرافُ الرَّجُلِ فى السُّرور بما يكون منه والإفراطُ فى استحسانه ، حتَّى يظهر ذلك فى لفظه وفى شمائله . وهو كالذى وَصَف به صَعصعةُ بن صُوحان[1] ، المنذرَ بنَ الجارود[2] ، عند علىّ بن أبى طالب رحمه الله ، فقال : « أمَا إنّه مع ذلك لنَظَّارٌ فى عِطفَيه ، تَفَّالٌ فى شِراكيه ، تعجِبُه حُمرة بُرْدَيه[3] » . ٦٣

قال أبو الحسن : قيل لإياسٍ : ما فيك عيبٌ إلاّ كثرةُ الكلام . قال : فتسمعون صوابًا أم خطأً ؟ قالوا : لا ، بل صوابًا . قال : «فالزِّيادة من الخير خير» . وليس كما قال ؛ للكلام غايةٌ ، ولنَشاط السّامعين نِهاية ، ومافَضَل عن قَدْر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والمَلاَل ، فذلك الفاضل هو الهَذَر ، وهو الخَطَل ، وهو الإسهاب الذى سمعتَ الحكماء يَعيبُونه .

وذكر الأصمعىُّ أنّ عمر بن هُبَيْرة لما أرادَهُ على القضاء قال : إنِّى لا أصلحُ له . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنِّى عَيِيٌّ ، ولأنى دَميمٌ ، ولأنّي حديد . قال ابن هُبيرة : أمّا الحِدّة فإنّ السَّوطَ يقوِّمك ، وأما الدَّمامة فإنِّي لا أريد أن أحاسِنَ بك أحداً ، وأمّا العِيّ فقد عبّرتَ عمّا تُريد .

فإن كان إياسٌ عند نفسه عيِيًّا فذاك أجدَرُ بأن يَهجُر الإكثار .

و بعدُ فما نعلَمُ أحداً رمَى إياساً بالعِيّ ، و إنّما عابُوه بالإكثار .

وذكر صالح بن سليمان ، عن عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال

---

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلما فى عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلى ، وشهد صفين مع على ، وكان خطيباً فصيحاً . مات بالكوفة فى خلافة معاوية . الإصابة ٤١٢٥ . وصوحان ، بضم الصاد . انظر الاشتقاق ١٩٩ .

(٢) المنذر بن الجارود العبدى ، ولد فى عهد النبى ، ولأبيه صحبة ، وشهد الجمل مع على ، وولاه عبيد الله بن زياد الهند فى إمرة يزيد بن معاوية فمات هناك سنة ٦١ . انظر الإصابة ٨٣٢٨ .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨) .

ما رأيتُ عقولَ النّاسِ إلاّ قريباً بعضُها من بعضٍ ، إلا ما كان مِن الحجّاج ابن يُوسُف ، و إياسِ بن معاوية ؛ فإنّ عقولَهما كانت ترجُحُ على عقول الناس كثيراً .

وقال قائلٌ لإياس : لِمَ تعْجَلُ بالقضاء؟ فقال إياس : كم لكفّك من إصبَع ؟ قال : خمس . قال : عجِلْتَ . قال : لمْ يَعجل مَن قال بَعد ما قَتَل الشىء علماً ويقيناً . قال إياس : فهذا جوابى[1] .

وكان كثيراً ما يُنشِد قولَ النابغة الجَعْدىّ :

أبَى لى البلاءُ وأنّى امرُؤٌ ... إذا ما تبَيَّنْتُ لم أرتَبِ[2]

قال : ومدح سلمة بن عَيّاش[3] ، سوّار بن عبد الله[4] ، بمثلِ ما وصف به إياسٌ نفسَه حين قال :

وأَوْقَفُ عند الأمرِ ما لم يَضِحْ له ... وأمضى إذا ماشكَّ مَن كان ماضيا[5]

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رحمه الله ، إلى عدىّ بن أرْطاةَ : إنّ قِبلَكَ رجلين من مُزَينة ، فولِّ أحدَهما قضاء البَصرة . يعنى بكرَ بن عبد الله المُزَنى[6] و إياس بن معاوية . فقال بَكر : والله ما أُحْسِن القضاء ، فإن كنتُ كاذباً فما ٦٤

(١) فيا عدال : « فهنا هو جوابى لك » .
(٢) أنشده فى الحيوان (٣ : ٤٩٥) وقال : « وليس يريد أنه فى حاله تبينه غير مرتاب ، وإنما يعنى أن بصيرته لا تتغير » .
(٣) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، كان منقطعا إلى جعفر ومحمد ولدى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يمدحهما . ترجم له أبو الفرج فى (٢١ : ٨٤ — ٨٦) .
(٤) أبو عبد الله سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة العنبرى البصرى ، نزل بغداد وولى بها قضاء الرصافة . وكان فقيها فصيحا ، أديبا شاعرا . وقد وثقه كثيرون منهم أحمد بن حنبل . توفى سنة ٢٤٥ . انظر تاريخ بغداد ٤٧٨٨ .
(٥) فيا عدال : « ما كان » تحريف .
(٦) بكر بن عبد الله المزنى ، نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصرى ، ثقة جليل ، توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

يَحِلّ لك أن تولِّينى ، وإنْ كنت صادقا فما يحلُّ لك أن تولينى[1] .

وكانو إذا ذَكروا البصرة قالوا : شيخُها الحسَن ، وفتاها بكر .

وقال إياس بن معاوية : لستُ بِخَبّ والخَبّ لا يخدعنى . وقال : الخَبُّ[2] لا يخدعُ ابنَ سيرين ، وهو يَخْدع أبى ويخدع الحَسَن .

ودخل الشّامَ وهو غلامٌ ، فتقدَّمَ خصمًا له ، وكان الخَصم شيخاً كبيراً ، إلى بعضِ قُضاةِ عبد الملك بن مَرْوان ، فقال له القاضى : أتقدُم شيخاً كبيرا ؟ قال الحقُّ أكبر منه . قال : اسكتْ . قال : فمن ينطِقُ بحُجّتى . قال : لا أظنُّك تقولُ حقًّا حتّى تقوم . قال : لا إله إلاّ الله ! فقام القاضى فدخل على عبد الملك مِن ساعته ، فخبَّره بالخبَر ، فقال عبد الملك : اقضِ حاجتَه السّاعةَ وأخرِجْه من الشامِ ، لا يُفسِدُ علىّ الناس .

فإذا كان إياسٌ وهو غلامٌ يُخافُ على جماعة أهلِ الشّام ، فما ظنُّك به وقد كَبِرَت سنُّه ، وعضَّ على ناجذِه .

وجملةُ القول فى إياسٍ أنّه كان من مفاخر مُضَر ، ومن مُقدَّمى القضاة ، وكان فقيه البَدَنِ[3] ، دقيقَ المسلك فى الفِطَن ، وكان صادقَ الحَدْسِ نِقَابا[4] ، وكان عجيب الفِراسة مُلْهَماً ، وكان عفيفَ المَطعَم ، كريم المَداخِلِ والشِّيَم ، وجيهاً ٦٤ عند الخلفاء ، مقدَّما عند الأكْفاء . وفى مُزَينة خيرٌ كثير .

***

(١) فيا عدا ل : « فإن كنت صادقا فما يحل لك أن تولينى ، وإن كنت كاذبا إنها لأحرامها » .

(٢) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . وهذه الكلمة والتى قبلهما فى ل فقط ، وليستا فى الحيوان (٢ : ٢٧٩) .

(٣) لعله يعنى بذلك فراسته وتأديه إلى الفهم بعينه ويده .

(٤) الحدس ، بالفتح : الظن والتخمين . والنقاب ، ككتاب : الرجل العلامة الفطن . قال أوس بن حجر :

نجيبٍ جواد أخو مأقط نقاب يحدث بالغائب

ثم رجعنا إلى القول الأوّل .

ومنهم ربيعةُ الرَّأي (١) ، وكان لايكاد يسكت . قالوا : وتكلّمَ يوماً فأكثرَ وأعجبَ بالذى كان منه ، فالتفت إلى أعرابىّ كان عنده فقال : يا أعرابىّ : ما تعدُّون العىَّ فيكم ؟ قال : ما كنتَ فيه منذُ اليوم . وكان يقول : السَّاكت بين النائم والأخْرس .

ومنهم عُبيد الله بن محمد بن حفص التَّيْمىّ (٢) . ومحمدُ بن حفصٍ هو ابن عائشة ؛ ثم قيل لعبيد الله ابنه : ابن عائشة . وكان كثيرَ العلمِ والسَّماع ، متصرِّفاً فى الخبر والأثر . وكان من أجْوَاد قريش (٣) ، وكان لا يكاد يسكُت ، وهو فى ذلك كثيرُ الفوائد . وكان أبوه محمَّد بنُ حفصٍ عظيمَ الشأن ، كثير العلم ، بعث إليه يَنْخَابُ (٤) خليفته فى بعضِ الأمر ، فأتاه فى حلْقته فى المسجِد ، فقال له فى بعض ٦٥ كلامه : أبو مَنْ أصلحَكَ الله ؟ فقال له : هَلّا عرَفْتَ هذا قبل مجيئك ! وإنْ كان لا بدَّ لك منه فاعترِضْ مَن شئْت فَسَلْه . فقال له : إنِّى أريد أن تخلِيَنى . قال : أفى حاجةٍ لك أم فى حاجة لى ؟ قال : بل فى حاجةٍ لى . قال : فالقَنِى فى المنزل . قال : فإنَّ الحاجة لك . قال ما دونَ إخوانى سِتْر .

ومنهمْ محمد بن مِسْعَرٍ العُقَيْلىُّ ، وكان كريماً كريم المجالَسة ، يذهب مَذهبَ

---

(١) ويقال له ربيعة صاحب الرأى . انظر الكلام على أصحاب الرأى فى المعارف لابن قتيبة ٢١٦ — ٢١٩ . وهو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنكدر التيميين ، وكان أبو العباس السفاح قد أقدمه للقضاء فلم يفعل . ومات بالأنبار سنة ١٣٦ . انظر المعارف ٢١٧ وصفة الصفوة (٢ : ٨٣ — ٨٦) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمى ، يقال له ابن عائشة ، والعائشى ، والعيشى ، نسبة إلى عائشة بنت طلحة ؛ لأنه من ذريتها . توفى بالبصرة سنة ٢٨٨ . انظر المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ ، وتهذيب التهذيب ، والأنساب ٣٧٩ والحيوان (٢ : ١٢) .

(٣) الأجواد : جمع جواد . فيما عدا ل : « من أجود قريش » .

(٤) ل : « بعث إليه زياد ينخاب » وكلمة « زياد » مقحمة . وفيما عدا ل : « ميخاب » بدل « ينخاب » . وضبط « ينخاب » هو ما فى ل .

النُّسَّاك ، وكان جواداً . مرَّ صديقٌ له من بنى هاشم بقصرٍ له و بُستانٍ نفيس ، فبلغه أنّه استحسنَه ، فوَهَبه له .

ومنهم أحمد بن المُعَذَّل بن غَيلانَ[1] ، كان يذهب مذهب مالكٍ رحمه الله ، وكان ذا بيانٍ وتبحُّرٍ فى المعانى ، وتصرُّفٍ فى الألفاظ .

وممن كان يُكثِر الكلام جداً الفضل بن سهل ، ثم الحسن بن سَهلٍ[2] فى أيّامه .

وحدَّثنى محمد بن الجهم ودُوَاد بن أبى دُوَاد قالا : جلس الحسن بن سهل فى مصلَّى الجماعة ، لنعيم بن خازم[3] ، فأقبل نُعيمٌ حافياً حاسراً وهو يقول : ذنْبى أعظم من السماء ، ذنْبى أعظم من الهواء ، ذنْبى أعظم من الماء ! قالا : فقال له الحسن بن سهل : على رِسْلِك ، تقدّمَتْ منك طاعةٌ ، وكان آخرُ أمرِك إلى توبة ، ليس للذَّنب بينهما مكان ، وليس ذنبُك فى الذُّنوب بأعظمَ مِن عَفو أمير المؤمنين فى العفو .

ومن هؤلاء علىُّ بن هشام ، وكان لا يسكت ، ولا أدرى كيف كان كلامه .

قال : وحدَّثنى مَهدىُّ بن ميمون ، قال : حدَّثنا غَيلان بن جرير ، قال : كان مطرِّف بن عبد الله[4] يقول : « لا تُطعِم طعامك مَن لا يشتهيه » . يقول :

---

(١) هو أخو الشاعر المشهور عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ، كلاهما كان من شعراء الدولة العباسية . قال أبو الفرج فى أثناء ترجمة عبد الصمد : « وكان أخوه أحمد أيضاً شاعرا ، إلا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم فى المنزلة » . انظر الأغانى (١٢ : ٥٤) .

(٢) استوزر المأمون الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . قتل الفضل سنة ٢٠٢ . وأما الحسن فقد توفى سنة ٢٣٦ . وهو والد بوران زوج المأمون ، التى فيها يقول الباهلى :

بارك الله للحسن ... ولبوران فى الختن
يا ابن هارون قد ظفر ... ت ولكن ببنت من

(٣) فيما عدا ل : « ابن حازم » بالحاء المهملة .

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان لأبيه صحبة . وكان يقص فى مكان أبيه بمسجد البصرة . توفى سنة ٩٥ . الإصابة ٨٣١٨ والمعارف ١٩٣ وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) وتهذيب التهذيب .

لا تُقبِلْ بحديثك على مَن لا يقبِلُ عليك بوجهه .

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : « حَدِّث النّاسَ ما حَدَجُوك بأبصارهم ، وأذِنُوا لك بأسماعهم ، [ولحظوك بأبصارهم[1]] ، وإذا رأيت منهم فترةً فأمْسِكْ » .

قال : وجعل ابن السّمّاك[2] يوماً يتكلّم ، وجاريةٌ له حيث تسمع كلامَه ، فلما انصرَفَ إليها قال لها : كيف سمِعتِ كلامى ؟ قالت : ما أحسنَه ، لولا أنّك تكثر تَرداده . قال : أردِّده حتّى يَفْهَمَه مَن لم يَفهمْه . قالت : إلى أن يَفْهَمَهُ مَن ٦٦ لا يفْهَمُه قد ملّه من يَفهمُه[3] .

عبّاد بن العوّام ، عن شُعبة عن قتادة قال : مكتوب فى التوراة : « لا يعادُ الحديثُ مرّتين[4] » .

سفيان بن عُيَيْنة[5] ، عن الزُّهرى قال : « إعادةُ الحديث أشدُّ مِن نَقْل الصّخر[6] » .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بنى عجل ، المعروف بابن السماك ، سمع هشام ابن عروة ، والعوام بن حوشب ، وسفيان الثورى ، وروى عنه الحسين الجعفى ، وأحمد بن حنبل . وهو كوفى قدم بغداد زمن هارون الرشيد ، وكان يبكى هارون من قوة موعظته . ومكث ببغداد مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ . تاريخ بغداد ٢٨٩٥ وصفة الصفوة (٣ : ١٠٥) .

(٣) فيما عدا ل : « فهمه » . وانظر الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٨) .

(٤) ل فقط « لا يعد » وأثبت ما فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٧٩) .

(٥) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى ، الكوفى ثم المكى ، ثقة حافظ . سمع الزهرى وعبد الله بن دينار وغيرهما ، وحدث عنه الأعمش وابن جريج وشعبة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم . وفيه يقول الشافعى : « لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز » . وكان يحدث فى موسم الحج ، وقد حج سبعين سنة . ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٢) وتهذيب التهذيب .

(٦) فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٩) : « من وقع الصخر » صواب هذه : « من رفع الصخر » .

وقال بعضُ الحكماء : « مَن لم يَنْشط لحديثك فارفَعْ عنه مَؤونةَ الاستماع منك » .

وجملة القول فى الترداد ، أنّه ليس فيه حدٌّ يُنتهَى إليه ، ولا يُؤتَى على وَصْفه[(١)] . وإنّما ذلك على قدر المستمعين ، ومَن يحضُره من العوامّ والخواصّ . وقد رأينا اللهَ عزّ وجلّ ردّدَ ذِكْرَ قصّة موسى وهودٍ ، وهارون وشعيبٍ ، وإبراهيمَ ولوطٍ ، وعادٍ وثمودَ . وكذلك ذِكْرَ الجنّةِ والنّارِ وأمورٍ كثيرة ؛ لأنّه خاطبَ جميعَ الأمم من العَرب وأصناف العجَم ، وأكثرُهم غَبِيٌّ غافِل[(٢)] ، أو مُعانِدٌ مشغولُ الفِكْرِ ساهى القلب .

وأمّا أحاديث القَصَص والرِّقّة فإنّى لم أرَ أحداً يعيب ذلك .

وما سمِعْنا بأحدٍ مِن الخطباء كان يرى إعادةَ بعضِ الألفاظ وتَرْدادَ المعانى عِيًّا ، إلا ما كان من النَّخّار بن أوسٍ العُذْرى ؛ فإنّه كان إذا تكلّمَ فى الحَمالات[(٣)] وفى الصَّفح والاحتمال ، وصلاح ذاتِ البَين ، وتخويفِ الفريقَين من التّفانِى والبَوار — كان رُبَّما ردّد الكلامَ على طريق التّهويل والتّخويف ، وربّما حَمِىَ فنَخَر .

وقال ثُمامة بنُ أشرس[(٤)] : كان جعفرُ بنُ يحيى[(٥)] أنطقَ الناس ، قد جمع

---

(١) فيما عدا ل : « يؤتى إلى وصفه » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « غبي غافل » .

(٣) الحمالة ، كسحابة ، الدية يحملها قوم عن قوم . ل : « الجهالات » تحريف .

(٤) ثمامة بن أشرس النميري مولى بني نمير ، كان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق : وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق بين الفرق ١٥٧ . وتروى عنه قصص تشير إلى استخفافه بالدين ، من ذلك أنه رأى الناس يوم جمعة يتعادون إلى المسجد الجامع لخوفهم من فوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر ! ثم قال : ماصنع ذاك العربي بالناس . تأويل مختلف الحديث ٦٠ . قتل ثمامة في زمان الواثق الذي تولى الخلافة من ٢٢٧ — ٢٣٢ . وقيل مات فى ٢١٣ . انظر الفرق ١٥٩ ولسان الميزان (٢ : ٨٤) . وكذا معجم الفرق الإسلامية (رسم الثمامية) .

(٥) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من كبار البرامكة الذين قتلهم الرشيد .

الهُدوء والتمهُّل ، والجزالةَ والحلاوة ، وإفهاماً يُغنيـه عن الإعادة . ولو كان فى الأرض ناطقٌ يَستغنِي بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى جعفرٌ عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة .

وقال مرَّةً : مارأيتُ أحداً كان لا يتحبَّس ولا يتوقَّف ، ولا يتلجلج ولا يتنحنح ، ولا يَرتقب لفظاً قد استدعاه من بُعْد ، ولا يلتمس التخلُّص إلى معنًى قد تَعصَّى عليه طلبُه ، أشدَّ اقتداراً ، ولا أقلَّ تكلُّفا ، من جعفر بن يحيى .

وقال ثُمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط بمعناك ، ويجلِّى عن مَغزاك ، وتُخرِجُه عن الشَّرْكة ، ولا تستعين عليه بالفِكرة . والذى لا بُدّ له منه ، أن يكون سليمًا من التكلُّف ، بعيداً من الصَّنعة ، بريئاً من التعقُّد ، غنيًّا عن التأويل[1] .

٦٧ وهذا هو تأويلُ قولِ الأصمعىّ : « البليغُ مَن طَبَّقَ المَفصل[2] ، وأغناك عن المُفَسَّر » .

وخبَّرنى جعفرُ بن سَعيد[3] ، رضيع أيوبَ بن جعفرٍ وحاجبُه[4] ، قال : ذُكِرَتْ لعمرو بن مَسْعَدة[5] ، توقيعاتُ جعفرِ بن يحيى ، فقال : قد قرأت

---

(١) كلام جعفر هنا فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) .

(٢) طبق المفصل : أصابه إصابة محكمة فأبان العضو من العضو ، ثم جعل لحسن الإصابة بالقول . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٧٤) .

(٣) جعفر بن سعيد هذا ، أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ فى كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٩) .

(٤) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة ، وكان أول أمره على مذهب أبى شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام ، كما سيأتى .

(٥) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد الكتاب فى زمان المأمون ، ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد ٦٦٦٢ أنه ابن عم العباس الصولى الشاعر . وكان إبراهيم قد ضاقت به حاله فبعث إليه عمرو مالا ، فكتب إليه إبراهيم :

سأشكر عمرا ما تراخت منيتى   أيادى لم تمنن وإن هى جلت =

لأم جعفر توقيعاتٍ فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجودَ اختصاراً ، وأجمَعَ للمعانى .

قال : ووصف أعرابى أعرابيا بالإيجاز والإصابة فقال : « كان والله يَضَع الهِناءَ مواضِعَ النُّقْب[١] » . يظنُّون أنه نَقل قولَ دريدِ بن الصِّمَّة[٢] ، فى الخنساء بنتِ عمرِو بن الشَّريد ، إلى ذلك الموضع . وكان دريدٌ قال فيها[٣] :

ما إنْ رأيتُ ولا سمِعتُ به   فى النّاسِ طالى أيْنُقٍ جُرْبِ
متبذِّلاً تبدو محاسِنُه   يضع الهِناءَ مَواضِعَ النُّقْبِ

ويقولون فى إصابة عينِ المعنى بالكلام الموجَز : « فلان يفُلُّ المحَزَّ ، ويُصيب المَفصِل » ، وأخَذوا ذلك من صنعة الجزّار الحاذق ، فجعلوه مثلاً للمصيب الموجِز .

وأنشدنى أبو قَطَن الغَنَوىّ ، وهو الذى يقال له شهيد الكَرَم[٤] ، وكان أبْيَنَ مَن رأيتُه من أهل البَدْوِ والحضَر :

= فتى غير محجوب الغنى عن صديقه   ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها   فكانت قذى عينيه حتى تجلت

ومسعدة ، بفتح الميم والعين ، كما ضبطه ابن خلكان . توفى سنة ٢١٧ . وبعض الناس بعده فى الوزراء . انظر التنبيه والإشراف ٣٠٤ .

(١) الهناء ، بالكسر : ضرب من القطران تطلى به الإبل . والنقب : جمع نقبة ، بالضم ، وهى أول ما يبدو من الجرب .

(٢) دريد بن الصمة كان سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم ، غزا مائة غزاة ما أخفق فى واحدة منها ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مظاهرا للمشركين وقتل على شركه . الأغانى (٩ : ٢) .

(٣) كان دريد بن الصمة قد خطبها فردته ، وكان رآها تهنأ بعيرا فقال :

حيوا تماضر واربعوا صحبى   وقفوا فإن وقوفكم حسبى
أخناس قد هام الفؤاد بكم   وأصابه تبل من الحب

وبعدها البيتان التاليان . انظر الأغانى (١٣ : ١٣٠) .

(٤) روى الجاحظ عنه أيضا فى الحيوان (٣ : ٩٤) . والشعر التالى من روايته وليس له ، بل هو لشقران مولى بنى سلامان بن سعد بن هذيم ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٧٤) .

فلو كنتُ مولى قيسِ عَيلانَ لم تجِدْ ... عَلَيَّ لمخلوقٍ مِنَ النَّاسِ دِرهَما
ولكنَّنى مولى قُضاعةَ كلِّها ... فلستُ أُبالِى أن أدينَ وتَغرَمَا
أولئك قومٌ باركَ اللهُ فيهمُ ... على كلِّ حالٍ ما أعفَّ وأكرَما
جُفاةُ المَحزِّ لايُصيبون مَفصِلاً ... ولا يأكلون اللَّحمَ إلا تخذُّما[1]

يقول : هم ملوكٌ وأشباهُ الملوك ، ولهم كُفَاةٌ فهم لا يحسِنون إصابة المفاصل .

وأنشدنى أبو عبيدةَ فى مثلِ ذلك :

وصُلْعِ الرّؤوسِ عِظامِ البُطون ... جفاةِ المَحزِّ غِلاَظِ القَصَرْ[2]

ولذلك قال الراجز[3] :

ليس براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ ... ولا بجزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

وقال الآخر ، وهو ابنُ الزِّبَعْرَى[4] :

٦٨

وفتيانِ صِدْقٍ حِسانِ الوُجو ... هِ لا يجِدُون لشىءٍ ألَمْ
مِنَ آلِ المُغيرةِ لا يَشْهدُو ... نَ عند المَجازرِ لحْمَ الوَضَمْ

وقال الرَّاعِى فى المعنَى الأوّل :

فطَبَّقْنَ عُرْضَ القُفِّ ثمَّ جَزَعْنَهُ ... كما طَبَّقَتْ فى العظْم مُدْيةُ جازِرِ[5]

---

(١) قال التبريزى فى شرح الحماسة : « أى لا يتأنقون فى فصل اللحم كعمل الجزار ؛ لأنهم ليسوا بجزارين ، ولا ذلك من عادتهم . والخذم : سرعة القطع ، وفى التخذم زيادة تكلف. يقول : إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعا بالسكاكين لا نهشا بالأسنان » .

(٢) القصر : جمع قصرة ، بالتحريك ، وهى أصل العنق ، وفى ل : (ترمى بشرر كالقصر) .

(٣) هو رشيد بن رميض العنزى . انظر اللسان (حطم) . ورشيد هذا ممن أدرك الإسلام . انظر الإصابة ٢٧٣٣ .

(٤) هو عبد الله بن الزبعرى ، كان من أشعر قريش ، وكان شديدا على المسلمين ، ثم أسلم فى الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٦٤٧٠ والمؤتلف ١٣٢ .

(٥) عرض القف ، بضم العين : وسطه ومعظمه . جزعنه : قطعنه . فيما عدا ل : « حتى لقينه » .

وأنشد الأصمعى :

وكف فتًى لم يعرف السَّلخَ قبْلَها　　تجُور يداه فى الأديم وتجــرَحُ

وأنشد الأصمعى :

لا يُمسِكُ العُرْفَ إلاَّ ريثَ يبْعثُه　　ولا يُلاطِمُ عند اللَّحمِ فى السُّوقِ[١]

وقد فسَّر ذلك لَبيدُ بن ربيعة ، وبَيَّنه وضرب به المثل ، حيث قال فى الحُكْمِ بين عامر بن الطُّفَيل ، وعَلقمة بنِ عُلاثة[٢] :

يا هَرِمَ بنَ الأكرمِينَ مَنْصِبا[٣]　　إنَّكَ قد أُوتيتَ حُكْمًا مُعْجِبا

* فطَبِّق المَفْصِلَ واغنَمْ طيِّبا *

يقول : احكمْ بين عامرِ بن الطُّفَيل وعلقمةَ بن عُلاثة بكلمةٍ فَصْل ، وبأمرٍ قاطع ، فتفصِلَ بها بين الحقّ والباطل ، كما يَفصل الجزَّارُ الحاذق مَفْصِل العظمَين .

وقد قال الشَّاعر فى هَرِم :

قَضَى هــرِمٌ يومَ المُرَيْرَة بينَهم　　قضاءَ امرئٍ بالأوَّليَّــة عالمِ[٤]

قَضَى ثم ولَّى الحكمَ مَنْ كان أهلَه　　وليس ذُنابَى الرِّيش مِثلَ القوادمِ[٥]

ويقال فى الفحل إذا لم يُحْسِنِ الضِّراب : جمل عَيَايَاء ، وجمل طبَاقاء . وقالت امرأةٌ فى الجاهلية تشكو زَوجها : «زوجي عَيَاياء طَبَاقَاء ، وكل داء له داء[٦]» .

---

(١) فيما عدا ل : « إلا ريث يرسله » .

(٢) انظر لمنافرة عامر وعلقمة ، الأغانى (١٥ : ٥٠ — ٥٥) .

(٣) هرم هذا ، هو هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزارى ، أحد حكام العرب . وهو غير هرم بن سنان بن أبى حارثة المرى ، ممدوح زهير . انظر الأغانى والاشتقاق ١٧٢ .

(٤) الأولية : مفاخر الآباء ، قال ذو الرمة :

وما فخر من ليست له أولية　　تعد إذا عد القديم ولا ذكر

(٥) ذنابى الريش : ريشات أربع فى جناحه بعد الخوافى . والخوافى : ريشات أربع بعد القوادم .

(٦) فى جميع : النسخ « له دواء » تحريف . انظر اللسان (طبق ، عي ، دوا) . أى كل عيب يكون فى الرجال فهو فيه . وهذا الكلام من حديث أم زرع . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ٧٩ — ٨٧ .

حتَّى جعلوا ذلك مثلاً للعَيِيّ القَدَم ، والذى لا يتّجه للحجة . وقال الشّاعر[١] :

طَبَاقاء لم يشهَدْ خُصـومًا ولم يَقُدْ ٭ رِكاباً إلى أكوارها حين تُعْكَفُ[٢]

وذكر زهير بن أبى سُلمى الخَطَل فعابه فقال : ٦٩

وذى خَطِلٍ فى القول يحسَبُ أنّه ٭ مُصيبٌ فما يلمِمْ به فهو قائلُه[٣]

عبأْتَ له حلماً وأكرَمْتَ غيرَه ٭ وأعرضْتَ عنه وهو بادٍ مقاتلُه

وقال غيره :

شُمُسٌ إذا خَطِل الحديثُ أوانسٌ ٭ يرقُبْنَ كلَّ مجــذَّرٍ تِنْبال

الشُّمُس ، مأخوذٌ من الخيل ، وهى الخيل المرِحَة الضاربة بأذنابها من النشاط . والمُجذَّر : القصير . والتِّنْبَال : القصير الدَّنىء .

وقال أبو الأسود الدُّؤلىّ ، وكان من المقدَّمين فى العلم ، واسم أبى الأسود ظالم بن عمرو :

وشاعرٍ سَوْءٍ يَهضِبُ القولَ ظالما ٭ كما اقتمَّ أعشى مُظلِمُ الليل حاطبُ

يهضِب[٤] : يُكثِرُ . والأهاضيب : المطر الكثير . اقتمَّ : افتعلَ من القُمامة . وأنشد :

أعوذُ بالله الأعزِّ الأكرم ٭ مِنْ قَوْلِيَ الشىءَ الذى لم أعلمِ[٥]

٭ تخبُّطَ الأعمَى الضَّريرِ الأيهمِ[٦] ٭

---

(١) هو جبل بن معمر ، كما فى اللسان (طبق) .

(٢) الكور ، بالضم : الرحل بأداته . تعكف : تحبس .

(٣) ما يلمم به ، أى مايحضره . وهذه الرواية تطابق رواية الديوان ١٣٩ . وكتب فى ل فوق « يلمم » : « يهمم » ، ولعله إشارة إلى رواية ، ولم أجدها عند ثعلب والشنتمرى .

(٤) يقال هضب وأهضب ، بمعنى .

(٥) « قولى » كتب فوقها فى ل : « قوف » إشارة إلى رواية أخرى . والقوف : التتبع .

(٦) الأيهم : الأعمى ، والرجل الذى لا عقل له ولا فهم .

وقال إبراهيم بن هَرْمَةَ[١] ، فى تطبيق المفصِلِ — وتُلحَق هذه المعانى بأخواتها قَبْلُ[٢] :

وعَمِيمَةٍ قد سُقْتُ فيها عائراً غُفْلاً ومنها عائرٌ مَوْسُومُ[٣]
طَبَّقْتُ مَفْصِلَها بغير حديدةٍ فرأى العدوُّ غَنَاىَ حيث أقومُ[٤]

* * *

وهذه الصِّفات التى ذكرها ثُمامةُ بن أَشْرَسَ ، فوصف بها جعفرَ بن يحيى[٥] ، كانَ ثُمامةُ بنُ أَشْرَسَ قد انتظمَها لنفسه ، واستولى عليها دون جميعِ أهلِ عصره وما علمتُ أنّه كان فى زمانه قَرَوِيٌّ ولا بَلَدِيٌّ ، كان بَلَغَ من حُسْنِ الإفهام ، مع قلّة عدد الحروف ، ولامن سُهولةِ المَخْرَجِ مع السلامة من التكلُّف ، ما كان بلَغَه . وكان لفظُه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طَبَقَة لفظه ، ولم يكن لفظُه إلى سمعك بأسرعَ مِن معناه إلى قلبك .

٧٠ قال بعضُ الكُتّاب : معانى ثُمامةَ الظّاهرةُ فى ألفاظه ، الواضحةُ فى مخارج كلامه ، كما وصف الخُرَيميُّ شِعرَ نفسه فى مديح أبى دُلَفَ ، حيث يقول :

له كَلِمٌ فيــك معقولةٌ إزاءَ القُلوب كرِكْبٍ وُقوفِ[٦]

---

(١) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة الفهرى ، كان من الشعراء المعاصرين لجرير . وكان الأصمعى يقول : « ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » . وفى الأغانى (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة قصيدته التى يقول فيها :

إن الغوانى قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة . وقد ذكر ابن جنى فى المبهج ٥٥ اشتقاق اسمه من الهرم ، بالفتح ، وهو ضرب من النبت .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١٠٧ — ١٠٩ .

(٣) عميمة ، أراد بها الخطبة الطويلة . والسهم العائر : الذى لا يدرى من رماه .

(٤) أراد أنه أصاب مفاصل المعانى بكلامه الصائب ، فبهر بذلك الأعداء

(٥) يشير إلى ما سبق فى ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٦) روى البيت فى زهر الآداب (٤ : ٤٩) محرفا .

وأوّلُ هذه القصيدة قولُه :

أبا دُلَفٍ دلفَتْ حاجتى إليك وما خِلتُها بالدَّلوفِ (١)

ويظنُّون أن الخُرَيمىَّ إنّما احتذى فى هـذا البيت على كلام أيّوب بن القِرِّيّة (٢) حينَ قال له بعضُ السلاطين (٣) : ما أعددْتَ لهذا الموقف ؟ قال : «ثلاثة حروفٍ (٤) كأنهنَّ رَكْبٌ وقوف : دنيا ، وآخرةٌ ، ومعروف (٥) » .

وحدَّثنى صالح بن خاقان ، قال : قال شَبيب بن شيبة (٦) : « النَّاس موكَّلُون بتفضيل جودة الابتداء ، وبمدح صاحبِه ، وأنا مُوَكَّل بتفضيل جودة القَطْع ، وبمدح صاحبِه . وحَظُّ جودةِ القافية وإن كانت كلمةً واحدة ، أرفَعُ من حظِّ سائر البيت » . ثم قال شبيب : « فإن ابتُلِيتَ بمقامٍ لا بدَّ لك فيـه من الإطالة ، فقدِّمْ إحكامَ البلوغ فى طلب السَّـلامة من الخطَل ، قَبل التقدُّمِ فى إحكام البلوغ فى شَرَف التَّجويد . وإيّاك أن تعدِلَ بالسّلامة شيئاً ؛ فإنّ قليلاً كافيا خيرٌ من كثيرٍ غيرِ شاف » .

ويقال إنّهم لم يَرَوْا خطيباً قطّ بلديًّا إلّا وهو فى أوّل تكلّفه لتلك المقامات كان مُستَثْقَلا مستصلَفا أيّامَ رياضته كلِّها ، إلى أن يتوقَّحَ وتستجيبَ له المعانى ،

---

(١) بدل هذا البيت فى ل :

ألا من دعانى ومن دلنى على رائدى ورسولى خروق

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٠ — ٢١ .

(٣) هو الحجاج بن يوسف ، وكان قد أسره فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث . انظر زهر الآداب (٤ : ٤٩) وابن خلـكان (١ : ٨٣)

(٤) ل : « صروف » . وفى هـامش ل : « الصرف : الحيلة » والمراد بالحروف هنا الـكلمات .

(٥) زاد فى زهر الآداب : « فقال له الحجاج : بئسما منيت به نفسك يا ابن القرية . أترانى ممن تخدعه بكلامك وخطبك ، والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلى هذا . قال : أقلنى عثرتى ، وأسغنى ريقى ؛ فإنه لا بد للجواد من كبوة ، والسيف من نبوة ، والحليم من صبوة . قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو » .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٢٤ .

ويتمكّنَ من الألفاظ ، إلا شبيب بن شيبة ؛ فإنه كان قد ابتدأ بحلاوةٍ ورشاقة ، وسهولة وعُذوبة ؛ فلم يزل يزدادُ منها حتى صار فى كلِّ موقفٍ يبلغُ بقليل الكلام مالا يبلغُهُ الخطباء المصاقع بكثيره .

قالوا : ولمّا مات شَبيب بن شَيبة أتاهم صالح المُرّىّ[1] ، فى بعض مَنْ أتاهم للتّعزية ، فقال : « رحمةُ الله على أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخى المساكين » .

وقال الرّاجز[2] :

إذا غَدَتْ سعدٌ على شَبيبِها على فتاها وعلى خَطيبِها
مِن مَطلَعِ الشّمس إلى مَغيبِها عَجِبْتَ مِن كثرتِها وطيبِها

٧١ حدثنى صديق لى قال : قلت للعَتّابىّ : ما البلاغة ؟ قال : كلُّ مَن أفهمكَ حاجتَه من غير إعادةٍ ولا حُبْسة ولا استعانةٍ فهو بليغ ، فإن أردتَ اللّسانَ الذى يرُوق الألسنة[3] ، ويفوق كلَّ خطيب ، فإظهارُ ما غَمُض من الحقّ وتصوير الباطل فى صورة الحقّ . قال : فقلت له : قد عرفتُ الإعادة والحُبْسة ، فما الاستعانة ؟ قال : أما تَراه إذا تحدّثَ قال عِند مقاطع كلامه : ياهَنَاهُ ، وياهذا ، وياهيه ، واسمَعْ منى واستمِعْ إلىَّ ، وافهمْ عنّى ، أوَ لست تفهمُ ، أوَ لست تعقِل . فهذا كلُّه وما أشبهه عىٌّ وفساد .

---

(١) هو صالح بن بشير بن وادع المرى ، أبو بشر البصرى ، القاضى الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء ، كان مملوكا لامرأة من بنى مرة بن الحارث فأعتقته . توفى سنة ١٧٢ أو ١٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٦٥) .

(٢) هو أبو نخيلة الراجز ، كما فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) والأغانى (١٨ : ١٣٩) . ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته ، فسأله إياها فوعده فمطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا شبيباً الخائن ابن الخائن الكذوبا
هل تلد الذيبة إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرجز .

(٣) راق عليه : زاد عليه فضلا . وقد عداه هنا بغير الحرف . وأنشد فى اللسان :

رافت على البيض الحسا ن بحسنها وبهائها

قال عبد الكريم بن رَوْح الغِفاريّ ، حدثنى عُمَر الشمّرى ، قال : قيل لعمرو بن عُبيد[1] : ما البلاغة ؟ قال : ما بَلَغَ بك الجنّة ، وعدَلَ بك عن النّار ، وما بصَّرَك مواقع رُشْدِك وعواقبَ غَيِّك . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : مَن لم يُحسِنْ أن يسكُتَ لم يحسن أن يستمِع ، ومَن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنّا مَعْشَرَ الأنبياء بِكَاء » أى قليلو الكلام . ومنه قيل رجل بَكِئ . وكانوا يكرهون أن يزيد منطِقُ الرجُل على عقله . قال : قال السائل : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون مِن فتنة القول ، ومن سَقَطات الكلام ، ما لا يخافون من فِتنة السُّكوت ومن سَقَطات الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنّك إنّما تريد تخيُّرَ اللفظ[2] ، فى حسن الإفهام . قال : نعم . قال : إنك إنْ أُوتيتَ تقريرَ حُجّة الله فى عقول المكلَّفين[3] ، وتخفيفَ المؤونة على المستمعين وتزيينَ تلك المعانى فى قلوب المريدينَ ، بالألفاظِ المستحسَنة فى الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبةً فى سُرعة استجابتهم ، ونَفْيِ الشّواغِلِ عن قلوبهم بالموعظة الحسنة ، على الكتاب والسُّنّة ، كنتَ قد أُوتيتَ فَصلَ الخطاب ، واستحققْتَ[4] على الله جزيلَ الثّواب . قلت لعبد الكريم مَن هذا الذى صبَرَ له عمرٌو هذا الصّبر ؟ قال : قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال : ومن كان يجترئ عليه هذه الجُرأة إلاّ حفص بن سالم .

قال عُمَر الشمّرى : كان عمرو بن عُبيدٍ لا يكاد يتكلّم ، فإذا تكلّم لم يكَدْ ٧٢

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٣ . وانظر كلام عمرو بن عبيد هذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٠) .

(٢) فيما عدا ل : « تحبير اللفظ » .

(٣) فى الأصول : « المتكلمين » صوابه من عيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٤) فيما عدا ل وكذا فى عيون الأخبار : « واستوجبت » .

يُطيل . وكان يقول : لا خير فى المتكلِّم إذا كان كلامه لمَنْ شهِدَه دونَ نفسه . وإذا طال الـكلامُ عرضت للمتكلِّم أسبابُ التكلُّف ، ولا خيرَ فى شىء يأتيك به التكلُّف .

وقال بعضهم — وهو مِن أحسَن ما اجتبَيْناه ودوَّنّاه — لا يكون الكلامُ يستحقّ اسمَ البلاغة حتَّى يسابقَ معناه لفظَه ، ولفظُه معناه ، فلا يكونَ لفظُه إلى سمعك أسبَقَ من معناه إلى قلبك .

وكان مُوَيْسُ بن عمران[1] يقول : لم أرَ أنطَقَ من أيّوبَ بنِ جعفر ، ويحيى بنِ خالد .

وكان ثُمامة يقول : لم أرَ أنطَقَ من جعفرِ بنِ يحيى بن خالد .

وكان سهلُ بن هارونَ يقول : لم أرَ أنطَقَ من المأمونِ أميرِ المؤمنين .

وقال ثُمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكُتّابه : «إن استطعتم أن يكونَ كلامُـكم كلُّه مِثلَ التّوقيع فافعلوا» .

وسمعت أبا العتاهِيَة يقول : «لو شئتُ أن يكون حديثى كلُّه شعراً موزوناً لـكان» .

وقال إسحاق بن حسان بن قوهي[2] : لم يفسِّر البلاغةَ تفسيرَ ابنِ المقفَّع أحدٌ . سُئِل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجرِى فى وجوهٍ كثيرة .

---

(١) مويس بن عمران : معاصر للجاحظ ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتاج للبخل . سئل عنه أبو شعيب القلال فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمس . انظر البخلاء ٥٨ . وفى القاموس : «ومويس ، كأويس ، ابن عمران : متكلم» .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمى ، قال الخطيب فى تاريخ بغداد ٣٣٦٩ : «وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله ، فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بعثمان بن خريم ... وأبوه خريم الموصوف بالناعم» . ثم قال : «وله مدائح فى محمد بن منصور بن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما» . وما سيرويه الجاحظ من كلام ابن المقفع ، أورده العسكرى فى الصناعتين ١٤ وسره تفسيراً .

فنها ما يكون فى السُّكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى الإشارة ، ومنها ما يكون فى الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سَجْما وخُطَبا ، ومنها ما يكون رسائلَ . فعامّةُ ما يكون من هذه الأبوابِ الوحىُ فيها ، والإشارةُ إلى المعنى[1] ، والإيجازُ ، هو البلاغة . فأمّا الخُطَب بين السِّماطَين ، وفى إصلاح ذاتِ البَين ، فالإكثارُ فى غير خَطَل ، والإطالةُ فى غير إملال . وليكن فى صدر كلامك دليلٌ على حاجتك ، كما أنّ خيرَ أبياتِ الشعر البيتُ الذى إذا سمِعْتَ صدرَه عرفْتَ قافيتَه . كأنّه يقول : فرّقْ بينَ صدر خطبة النكاح و بين صَدْر خُطْبة العيد ، وخُطبة الصُّلح وخُطبة التَّواهُب[2] ، حتَّى يكونَ لكلّ فنٍّ من ذلك صدرٌ يدلُّ على عجُزه ؛ فإنّه لا خيرَ فى كلامٍ لا يدلُّ على معناك ، ولا يشير إلى مَغْزاك ، و إلى العَمود الذى إليه قصدتَ ، والغرضِ الذى إليه نزَعت . قال : فقيل له : فإنْ مَلَّ السامعُ الإطالةَ التى ذكَرْتَ أنّها حقُّ ذلك الموقِف ؟ قال : إذا ٧٣
أعطيْتَ كلَّ مَقامٍ حقَّه ، وقمتَ بالذى يجبُ من سياسة ذلك المقام ، وأرضيْتَ من يعرِف حقوقَ الكلام ، فلا تهتمَّ لما فاتَكَ من رضا الحاسد والعدُوّ ؛ فإنّه لا يرضيهما شىء . وأمّا الجاهلُ فلستَ منه وليس منك . ورِضا جميعِ النّاسِ شىءٌ لا تنالُه . وقد كان يُقال : « رضا النّاسِ شىءٌ لا يُنال » .

قال : والسُّنّة فى خطبة النكاح أن يطيل الخاطبُ و يقصِّر المُجيب . ألا ترَى أنّ قيسَ بنَ خارجةَ بنِ سِنان[3] ، لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخّرةَ راحلتَى الحامِلَيْن فى شأن حَمَالة داحسٍ والغبراء[4] ، وقال : مالى فيها أيُّها

---

(١) فى الصناعتين : « والإشارة إلى المعنى أبلغ » .
(٢) فيا عدا ل : « المواهب » .
(٣) ضرب الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٦١) بخطبة سنان المثل فى الطول .
(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . وانظر لحرب داحس والغبراء ، =

المَشَمْتان[١] ؟ قالا : له : بل ما عندك ؟ قال : عنـدِى قِرى كلِّ نازل ، ورِضا كلِّ ساخط ، وخطبةٌ من لدُنْ تطلُع الشّمس إلى أن تغرُب ، آمُرُ فيها بالتّواصُل وأنهَى فيها عن التّقاطُع . قالوا : فخطب يوماً إلى اللّيل فما أعادَ فيها كلمةً ولا معنًى فقيل لأبى يعقوب[٢] : هلاَّ اكتَفَى بالأمر بالتّواصُل عن النّهى عن التّقاطع ؟ أوَليس الأمرُ بالصّلة هو النّهىُ عن القطيعة ؟ قال : أو ما علِمتَ أنّ الكِناية والتّعريض لا يعملانِ فى العقول عملَ الإفصاح والكَشْف[٣] .

قال : وسُئِل ابنُ المقفّع عن قول عمر رحمه الله : « ما يتَصَعَّدُنى كلامٌ كما تتصعَّدُنى خطبةُ النِّكاح[٤] » . قال : ما أعرفه إلا أن يكون أراد قُربَ الوجوه من الوجوه ، ونَظَر الحِداق من قُرْبٍ فى أجواف الحِداق . ولأنّه إذا كان جالساً معهم كانوا كأنّهم نُظَراء وأكْفاء ، فإذا عَلا المِنبرَ صارُوا سُوقةً ورعِيّة .

وقد ذهب ذاهبونَ إلى أنّ تأويلَ قولِ عمرَ يرجع إلى أنّ الخطيب لا يجد بُدًّا من تزكية الخاطب ، فلعلّه كرِه أن يمدحَه بما ليس فيه ، فيكونَ قد قال زُوراً وغرَّ القومَ من صاحبه . ولعمرى إنّ هذا التأويل ليَجوز إذا كان الخطيب موقوفاً على الخطابة . فأمّا عمرُ بنُ الخطّاب ، رحمه الله ، وأشباهُه من الأئمّة الراشدين ، فلم يكونوا ليتكلّفوا ذلك إلا فيمن يستحقّ المدح .

= الأغانى (٧ : ١٤٣) والعقد (٣ : ٣١٣) ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٤٣) ، وأمثال الميدانى (١ : ٣٥٩/٢ : ٥١) .

(١) المشمة ، بالتحريك : الشيخ الهرم الذى تقارب خطوه وانحنى ظهره .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، الذى سبقت ترجمته فى ص ١١٥ .

(٣) فيما عدا ل : « والكشف » .

(٤) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ، كتصاعد به .

وروى أبو مِخْنَف[1] ، عن الحارث الأعور[2] ، قال : « واللهِ لقد رأيتُ عليًّا وإنّه ليخطبُ قاعداً كقائم ، ومحارِبا كمُسالم » . يريد بقوله : قاعداً ، خطبة النكاحَ .

وقال الهيثمُ بنُ عديّ : لم تكن الخطباء تخطب قُعوداً إلاّ في خُطْبة النكاح . ٧٤

***

وكانوا يستحسنون أن يكون في الخُطَبِ يومَ الحَفْل ، وفي الكلام يوم الجَمْع آيٌ من القرآن ؛ فإنّ ذلك مما يورث الكلام البهاء والوَقار ، والرِّقّة ، وسَلَس الموقِع[3] .

قال الهيثم بن عديّ : قال عِمران بن حِطّان : إنّ أوّلَ خطبةٍ خطبتُها ، عند زياد — أو عند ابن زياد[4] — فأعجَبَ بها النّاس ، وشهدها عمّي وأبي . ثم إنّي مررتُ ببعض المجالس ، فسمعتُ رجلاً يقولُ لبعضهم : هذا الفتى أخطبُ العربِ لو كان في خطبته شيء من القرآن .

وأكثرُ الخُطباء لايتمثّلون في خطبهم الطِّوالِ بشيء من الشِّعر ولا يكرهونه في الرسائل ، إلاّ أن تكون إلى الخلفاء .

وسمعتُ مُؤمَّل بنَ خاقانَ ، وذكر في خطبته تميمَ بن مُرّ ، فقال : « إنّ

---

(١) هو أبو مخنف لوط بن يحيي بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي ، شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفي ، ومجالد . روى عنه المدائني ، وعبد الرحمن بن مغراء . ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان وابن النديم ١٣٦ — ١٣٧ .

(٢) كان الحارث الأعور من رجال علي في حرب صفين ، وكان جهير الصوت . انظر وقعة صفين ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) فيما عدا ل : « وحسن الموقع » .

(٤) فيما عدا ل : « أو قال عند ابن زياد » .

تميمًا لها الشَّرفُ العودُ[1]، والعزُّ الأقعس، والعدد الهَيْضَل[2]. وهى فى الجاهليّة القُدَّامُ، والذِّروة والسَّنام. وقد قال الشاعر:

فقلتُ له وأنكرَ بعضَ شأنى ألم تعرفْ رقابَ بنى تميمِ

وكان المؤمَّل وأهلُه يخالفون جمهور بنى سعدٍ فى المقالة، فلِشدّة تحدُّبه على سَعْدٍ وشفقته عليهم، كان يناضِل عند السُّلطان كلَّ مَن سعى على أهل مقالتهم، وإن كان قولُه خلافَ قولهم؛ حدَبًا عليهم.

وكان صالح المُرِّىّ، القاصُّ العابد، البليغ، كثيراً ما ينشد فى قصصه وفى مواعظه، هذا البيت:

فباتَ يُرَوِّى أُصولَ الفسيل فعاشَ الفسيلُ وماتَ الرَّجُل[3]

وأنشد الحسنُ فى مجلسه، وفى قَصَصه وفى مواعظه:

ليس مَن ماتَ فاستراحَ بميْتٍ إنما الميت ميت الأحيـــاء[4]

وأنشد عبدُ الصمد بن الفضل بن عيسى بن أبانٍ الرَّقاشىُّ، الخطيب القاصُّ السَّجّاع، إما فى قَصَصه، وإمّا فى خُطْبة من خُطَبه، رحمه الله:

أرضٌ تخـيَّرَها لطِيب مَقِيلِها كعبُ بن مامةَ وابنُ أمِّ دُوادِ[5]
جرَتِ الرِّياحُ عَلَى محَلِّ دِيارِهم فكأنَّهمْ كانوا على مِيعادِ
فأرَى النعيمَ وكُلَّ ما يُلهَى به يومًا يَصيرُ إلى بِلًى ونَفادِ[6]

---

(١) الشرف العود، بفتح العين: القديم. قال الطرماح:
هل المجد إلا السودد العود والندى ورأب الثأى والصبر عند المواطن
(٢) العز الأقعس: الثابت المنيع. والعدد الهيضل: الكثير.
(٣) انظر الحيوان (٦: ٥٠٨).
(٤) البيت لعدى بن الرعلاء الغسانى، كما فى الخزانة (٤: ١٨٧) وحماسة ابن الشجرى ٥١. وانظر الحيوان (٦: ٥٠٨).
(٥) الأبيات للأسود بن يعفر من قصيدة فى المفضليات (٢: ١٦ — ٢٠). والثانى والأخير منها ليس فى ل.
(٦) الرواية المعروفة كما فى المفضليات: «فإذا النعيم».

قال أبو الحسن : خطب عبيد الله بن الحسن[1] على منبر البصرة فى العيد ٧٥ وأنشد فى خطبته :

أين الملوكُ التى عن حَظِّها غفلَتْ   حتَّى سقاها بكأسِ الموتِ ساقيها
تلك المدائنُ بالآفاقِ خاليـــةٌ   أمست خلاءً وذاق الموتَ بانيها

قال : وكان مالكُ بن دينارٍ[2] يقولُ فى قَصَصه : « ما أشدَّ فِطام الكبير » وهو كما قال القائل :

وتَرُوضُ عِرسَكَ بعد ماهَرِمَتْ   ومن العَناء رياضـةُ الهَرِمِ[3]

ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القُدُّوس :

والشـيخُ لا يترُكُ أخلاقَه   حتَّى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِهِ[4]
إذا ارعَوَى عادَ إلى جَهْـله   كذى الضَّنَى عاد إلى نُكْـسِهِ

وقال كلثومُ بن عمرٍو العَتّابىّ :

وكنتَ امرأً لو شئْتَ أن تبلُغَ المدى   بَلَغْتَ بأدنَى نعمةٍ تستديمُها
ولـكنْ فِطامُ النَّفسِ أثقلُ مَحْمَلاً   من الصَّخرةِ الصَّمّاء حين تَرومُها

***

وكان يَمْدحون الجهيرَ الصّوتِ ، ويذُمُّون الضَّئيلَ الصّوت . ولذلك تشادَقُوا

---

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبى الحر العنبرى البصرى ، كان من قضاة البصرة وفقهائها العالمين بالحديث . توفى بالبصرة سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب والسمعانى ٤٠٠ . وسيأتى فى قول الجاحظ : « وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء ، بلال ابن أبى بردة ، وسوار ، وعبد الله ، ، وأحمد بن أبى رياح » . فما عدا ل : « عبد الله بن الحسن » تحريف .

(٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار ، كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤى ، وكان من كبار الزهاد الوعاظ ، وكان يكتب المصاحف . روى عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين . وتوفى نحو سنة ١٣٠ . انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٩٧ — ٢٠٩) حيث روى ابن الجوزى كثيراً من أقواله .

(٣) انظر الحيوان (١ : ٤١/٣ : ١٠٢) . (٤) انظر الحيوان (٣ : ١٠٢) .

فى الكلام ، ومدَحُوا سَعة الفم ، وذمُّوا صِغَر الفم .

قال : وحدَّثنى محمد بن يَسير الشاعر قال : قيل لأعرابيّ : ما الجمال ؟ قال : طُولُ القامة وضِخَم الهامة ، ورُحب الشِّدق ، وبُعْد الصَّوت .

وسأل جعفرُ بن سليمانَ أبا المِخَشّ عن ابنه المِخَشّ ، وكان جَزِع عليه جزعاً شديدا ، فقال : صِفْ لى المِخَشّ . فقال : كان أشدق خُرطُمانيّاً[1] ، سائلاً لعابُه ، كأنّه ينظر من قَلْتَيْن[2] ، وكأن تَرقُوَتَه بُوانٌ أو خَالِفَة[3] ، وكأن مَنكِبه كِرْكِرةُ جملٍ ثَفَالٍ[4] . فقأ اللهُ عينىَّ إن كنتُ رأيتُ قبلَه أو بعدَه مِثلَه[5] .

قال : وقلتُ لأعرابيّ : ما الجمال ؟ قال : غُؤُور العينَين ، وإشراف

٧٦ الحاجبين ، ورُحْبُ الشِّدقين » .

وقال دَغْفَل بن حنظلة النسَّابة ، والخطيب العلامة ، حين سأله معاوية عن قبائل قريش ، فلما انتهى إلى بنى مخزوم قال : « مِعْزَى مَطيرة[6] ، علَتْها قُشَعْرِيرة ، إلا بنى المُغيرة ، فإن فيهم تشادُقَ الكلام ، ومصاهرةَ الكرام[7] » .

وقال الشاعر فى عمرو بن سعيد الأشدق :

تشادَقَ حتى مال بالقول شِدقُه   وكلُّ خطيبٍ لا أبا لَكَ أشدَقُ

وأنشد أبو عبيدة :

---

(١) الخرطمانى ، بضم الخاء والطاء : الكبير الأنف .

(٢) القلت ، بالفتح : النقرة فى الجبل تمسك الماء .

(٣) الترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر . والبوان بالضم والكسر : عمود فى الخباء فى مقدمه . والخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره .

(٤) الكركرة : صدر كل ذى خف . والثفال ، كسحاب : البطىء .

(٥) الخبر فى الكامل ١٣٦ ليبسك وأمالى ثعلب ٢٤٧ من المخطوطة . وسيعيده الجاحظ فى (٢ : ٣٥) من أرقام الأصل .

(٦) المعزى تؤنث وتذكر ، ففيها التنوين وعدمه . مطيرة : قد أصابها المطر .

(٧) الخبر فى الحيوان (٦ : ٤٦٠)

وصُلعِ الرُّؤوسِ عِظامِ البُطونِ   رِحابِ الشِّداقِ غِلاظِ القَصَرْ[1]

قال . وتكلّمَ يوماً عند معاويةَ الخطباءُ فأحسنوا ، فقال : والله لأرمينَّهم بالخطيب الأشدَقِ ! قم يا يزيدُ فتكلّمْ .

وهذا القولُ وغيرُه من الأخبار والأشعار ، حُجّةٌ لمن زعم أنّ عمرو بن سعيدٍ لم يُسمَّ الأشدقَ للفَقَم ولا للفَوَه .

وقال يحيى بن نوفل ، فى خالد بن عبد الله القسرىّ[2] :

بَلَّ السَّراويلَ مِن خوفٍ ومن وَهَلٍ   واستطعَمَ الماءَ لما جَدَّ فى الهَرَبِ

وألحنُ النَّاسِ كلِّ النَّاسِ قاطبةً   وكان يُولَعُ بالتَّشديقِ فى الخُطَبِ

ويدلُّك على تفضيلهم سَعةَ الأشداقِ ، وهجائهم ضيقَ الأفواه ، قول الشاعر :

لحى اللهُ أفواهَ الدَّبى مِن قَبيلةٍ   إذا ذُكِرت فى النّائبات أمورُها

وقال آخر :

وأفواهُ الدبى حامَوْا قليلاً   وليس أخو الحِمايةِ كالضَّجُورِ

وإنّما شبّهَ أفواهَهم بأفواه الدَّبى ، لصِغَرِ أفواههم وضِيقها .

وعلى ذلك المعنى هجا عَبْدة بن الطبيب[3] حُيَيَّ بن هَزَّالٍ وابنَيه ، فقال :

تدعو بُنَيَّيْكَ عَبّاداً وحِذْيَمَةً   فا فأرةٍ شجَّها فى الجُحْرِ مِحفارُ[4]

---

(١) القصر ، بالتحريك : أصول الأعناق ، واحدتها قصرة .

(٢) كان خالد القسرى قد خرج عليه المغيرة بن سعيد العجلى صاحب المغيرية ، ففزع لذلك . ويروى الجاحظ فى الحيوان (٦/٢٦٧ : ٣٩٠) أنه اضطرب وقال : « أطعمونى ماء » لشدة ذهوله .

(٣) عبدة ، بسكون الباء ، وهو عبدة بن الطبيب — واسم الطبيب يزيد — بن عمرو ابن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبدنهم بن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان فى جيش النعمان بن مقرن الذى حارب الفرس بالمدائن .

(٤) انظر هذا البيت فى أبيات رواها فى الحيوان (٥ : ٢٦٣ — ٢٦٤) . شجها ، أى شج الفأرة : كسر رأسها . والمحفار والمحفر والمحفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

وقد كان العباس بن عبد المطلب [جهيراً[١]] جهيرَ الصوت . وقد مُدِح
٧٧ بذلك ؛ وقد نفع الله المسلمينَ بجهارة صوته يومْ حُنين ، حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنادى العباسُ : يا أصحابَ سُورةِ البقرة[٢] ، هذا رسول الله . فتراجَعَ القومُ ، وأنزل الله عزّ وجلّ النَّصرَ[٣] وأتى بالفتح .

ابنُ الكلبيّ عن أبيه عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان قَيْسُ بنُ مَخْرَمةَ بنِ المطَّاب بن عبد مناف[٤] ، يمكو حَولَ البيت ، فيُسمَع ذلك من حِراء . قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ ، فالتصدية : التصفيق . والمُكاء : الصَّفيرُ أو شبيهٌ بالصَّفير . ولذلك قال عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مُجدَّلاً … تَمكو فريصتُه كشِدْقِ الأعْلَمِ

وقال العُجَيْر السَّلُوليُّ[٥] في شِدّة الصوت :

ومِنهنّ قَرعِي كلَّ بابٍ كأنّما … به القومُ يَرجُونَ الأذِينَ نُسُورُ[٦]
فجئتُ وخَصْمِي يَصْرِفُونَ نُيوبهم … كما قُصِبَتْ بين الشِّفارِ جَزُورُ[٧]
لدى كلِّ موثوقٍ به عندَ مِثْلِها … له قدمٌ في النّاطقين خطيرُ
جهيرٌ وممتدُّ العِنانِ مُناقلٌ … بصيرٌ بعَوْرات الكلام خبيرُ[٨]

---

(١) الجهير : ذو المنظر والهيئة الحسنة . وهذه التكملة مما عدا ل .

(٢) كذا . والمعروف « يا أصحاب السمرة » . والسمرة هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان . انظر (غزوة حنين) في كتب التاريخ والسيرة .

(٣) فيما عدا ل : « النصرة » .

(٤) قيس بن مخرمة : أحد الصحابة ، وكان من المؤلفة قلوبهم . ولد عام الفيل عام ولد الرسول الكريم . الإصابة ٧٢٢٩ .

(٥) العجير ، ويقال أيضاً « العجير » بفتح العين : شاعر من شعراء الدولة الأموية مقل . وقد عده ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . انظر الخزانة (٢ : ٢٩٨) والأغاني (١١ : ١٤٦ — ١٥٤) .

(٦) الأذين والآذن : الحاجب صاحب الإذن . وانظر الأبيات في الحيوان (٤ : ٣٩١) ، وأمالي ثعلب ٢٢٨ — ٢٣٩ من المخطوطة والأغاني (١١ : ١٤٦ — ١٥٤) .

(٧) الخصم يقال للواحد والجمع . صرف نابه : حرقه فسمع له صوتا . قصبت : قطعت .

(٨) المناقلة : تبادل الحديث .

فظلّ رداء العَصْب مُلقىً كأنّه ... سَلَى فرسٍ تحتَ الرِّجال عقيرِ[1]

لوانّ الصُّخورَ الصُّمَّ يسمعن صَلْقَنا ... لَرُحْنَ وفي أعراضِهن فُطورُ[2]

الصَّلْقُ : شدة الصوت . وفُطُور : شقوق .

وقال مُهَلْهِل :

ولولا الرِّيح أُسْمِعَ أهلُ حَجْرٍ ... صَليلَ البِيض تُقرَعُ بالذُّكورِ[3]

والصَّريف : صوت احتكاك الأنياب والصَّليل صوت الحديد ها هنا .

وفي شِدّة الصَّوت قال الأعشى[4] في وصف الخطيب بذلك :

فيهم الخِصْبُ والسَّماحة والنجـ ... ـدةُ جَمْعاً والخاطبُ الصلاّقُ[5]

وقال بشّار بن برد في ذلك يهجو بعضَ الخطباء : ٦٥

ومِن عَجَبِ الأيام أنْ قمتَ ناطقاً ... وأنتَ ضئيلُ الصّوت منتفخ السَّحْرِ

ووقع بين فتًى من النَّصارى وبين ابن فهريز المطران كلامٌ ، فقال له الفتى : ما ينبغي أن يكون في الأرض رجلٌ واحدٌ أجهلُ منك ! وكان ابنُ فهريز[6] في نفسه أكثرَ النّاسِ علماً وأدبًا ، وكان حريصاً على الجَثْلَقَة . فقال للفتى : وكيف

---

(١) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . والسلى : الجلدة التي يكون فيها الولد . وفي البيت إقواء . (٢) الأعراض : الجوانب والنواحي .

(٣) حجر ، بالفتح : قصبة اليمامة . والبيض ، بالكسر : السيوف ، جمع أبيض . وبالفتح جمع بيضة الحديد التي تقي الرأس . وانظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ والوشح ٧٤ والحيوان (٦ : ٤١٨) والعمدة (٢ : ٥٠) والأغاني (٤ : ١٤٦) . فيما عدا ل : « أهل نجد » وقد أشير إلى هذه الرواية في هامش ل .

(٤) فيما عدا ل : « يقول الأعشى » .

(٥) الصلاق : الشديد الصوت . ويروى : « المصلاق » و « السلاق » و « المسلاق » انظر اللسان (سلق ، صلق) وديوان الأعشى ١٤٤ .

(٦) ابن فهريز ، أو ابن بهريز ، اسمه عبد يشوع ، كان مطران حران ثم صار مطران الموصل ، وله رسائل وكتب ذهب فيها إلى إبطال وحدة الأقنوم التي يقول بها اليعقوبية والملكية ، وكانت له حكمة قريبة من حكمة الإسلام . وقد نقل من كتب المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً . انظر ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ليبسك والحيوان (١ : ٧٦) مع الاستدراكات الملحقة بالجزء السابع منه .

حلّتَ عندك هذا المحلَّ ؟ قال : لأنك تعلم أنا لا نتخذ الجاثليقَ إلاّ مديدَ القامة ، وأنت قصيرُ القامة ؛ ولا نتخذه إلاّ جهيرَ الصوت جيِّد الحلق ، وأنت دقيق الصوت رديءُ الحلق[1] ؛ ولا نتخذه إلاّ وهو وافرُ اللِّحية عظيمُها وأنت خفيفُ اللِّحية صغيرها ؛ وأنت تعلم أنا لا نختار للجثلقة إلاّ رجلاً زاهداً في الرِّياسة ، وأنت أشدُّ النَّاس عليها كلَباً ، وأظهرُهم لها طلباً . فكيف لا تكونُ أجهلَ النَّاسِ وخصالُك هذه كلُّها تمنع من الجثلقة ، وأنتَ قد شغلتَ في طلبها بالَكَ ، وأسهرت فيها ليلَك .

وقال أبو الحجناء[2] في شِدَّة الصوت :

إني إذا ما زبّبَ الأشداقُ[3] ... والتجَّ حولي النَّقعُ واللَّقلاقُ[4]

* ثبْتُ الجنانِ مِرْجَمٌ ودّاقُ *

المِرْجم : الحاذق بالمراجمة[5] بالحجارة . والودّاق : الذي يُسيل الحجارةَ كالوَدْق من المطر .

وجاء في الحديث : « مَن وُقِيَ شرَّ لَقلقِه وقَبْقَبه وذَبْذَبه وُقِيَ الشرَّ » . يعني لسانَه وبطنَه وفرْجه .

وقال عمر بن الخطاب في بواكي خالدِ بن الوليد [بن المغيرة[6]] : « وما عليهنّ

---

(١) في النسخ : « الخلق » بالخاء المعجمة في الموضعين ، تصحيف . وفي الحيوان (٣ : ٤٣٥) : « وفي السند حلوق جياد » . وفي رسائل الجاحظ ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(٢) أبو الحجناء ، هو نصيب الأصغر ، مولى المهدي ، وكانت له بنت تسمى «حجناء» . وهو القائل في الفضل بن يحيى :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى ... ترك الناس كلهم شعراء

الأغاني (٢٠ : ٢٥ — ٣٤) .

(٣) زببت الأشداق : ظهر عليها الزبد . والرجز في اللسان (زبب ، لقق) .

(٤) اللقلاق واللقلقة : الصوت والجلبة .

(٥) ل : « بالمواجهة » صوابه في سائر النسخ .

(٦) هذا مما عدا ل .

أن يُرِقْنَ مِنِ دموعِهنّ على أبى سُليمان ما لم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَة[١] » .

وجاء فى الأثر : « ليس منا مَن حَلَقَ أو صَلَقَ أو سَلَقَ أو شَقّ[٢] » .

ومما مَدَح به العُمانىُّ هارونَ الرّشيدَ ، بالقصيد دون الرجز ، قولُه :

جَهِيرُ العُطَاسِ شَديدُ النِّياطِ   جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمْ
ويَخطُو على الأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ   وَيعـلُو الرِّجالَ بجِسمٍ عَمَمْ

النِّياط : معاليق القلب . والأَينُ : الإعياء . والظّليم : ذكر النعام . ويقال ٧٩
إنه لَعَمَمُ الجسم ، وإن جسمَه لعَمَمٌ ، إذا كان تامًّا . ومنه قيل نبتٌ عميم . واعتمّ النَّبت ، إذا تمّ .

وكان الرّشيد إذا طاف بالبيت جعَلَ لإزاره ذَنَبَيْنِ عن يمينٍ وشمالٍ ، ثم طاف بأوسَعَ مِن خطو الظّليم ، وأسرعَ من رَجْعِ يدِ الذّئب .

أخبرنى إبراهيم بن السِّنْدىّ بمحصول ذَرْع ذلك الخطو ، إلا أنى أحسِبه فراسخَ فيما رأيته يذهب إليه .

وقال إبراهيم : ونظر إليه أعرابىٌّ فى تلك الحال [والهيئة[٣]] فقال :

* خَطْوَ الظّليمِ رِيعَ يُمْسِى فانشَمَرْ *

ريع : فُزِّع . يُمسِى : حين المَساء . انشمر : جَدَّ فى الهرب .

وحدّثنى إبراهيم بن السِّندىّ قال : لما أتى عبدَ الملك بن صالحٍ وفدُ الرّوم وهو فى بلادهم[٤] ، أقام على رأسه رجالاً فى السِّماطين لهم قَصَرٌ وهامٌ ، ومناكبُ وأجسام ، وشواربُ وشعور ، فبيناهم قيامٌ يكلّمونه ومنهم رجلٌ وجهُه فى قفا

---

(١) فسر « النقع » فى اللسان (١٠ : ٢٤١) بأنه رفع الصوت ، أو أصوات الخدود إذا ضربت ؛ أو وضعهن النقع ، وهو الغبار ، على رؤسهن ، أو شق الجيوب .

(٢) الصلق : الصياح والولولة . والسلق مثله ، أو خمش الوجوه عند المصيبة .

(٣) هذه مما عدا ل .

(٤) فيما عدا ل : « فى البلاد » .

البِطْريق [إذ] عطَسَ عَطْسةً ضئِيلة ، فلحظه عبدُ الملك ، فلم يدر أىَّ شىء أنكرَ منه ، فلما مضى الوفدُ قال له : ويلَكَ ، هَلاَّ إذ كنتَ ضيِّقَ المنخر كزَّ الخيشوم ، أتبَعتَها بصيحةٍ تخلع بها قلب العِلْج .

وفى تفضيل الجَهارة فى الخُطب يقول شَبَّةُ بن عِقالٍ[1] بعَقِبِ خطبته عند سليمانَ بنِ علىّ بن عبد الله بن عباس :

ألا ليتَ أمَّ الجهم والله سامعٌ ترى، حيثُ كانت بالعراق، مَقامى
عشِيَّةَ بَذَّ الناسَ جهرى ومَنْطقى وبَذَّ كلامَ النّاطقين كلامى

وقال طحلاء يمدح معاويةَ بالجهارة وبجودة الخطبة :

رَكُوبُ المنابر وثَّابُها مِعَنٌّ بخُطبتِه مِجْهرُ
تَرِيعُ إليه هَوادى الكلامِ إذا ضَلَّ خُطبتَه المِهْذَرُ

مِعَنٌّ : تَعِنّ له الخطبة فيخطبها مقتضِباً لها . تَريع : ترجع إليه . هوادى الكلام:
٨٠ أوائله . فأراد أنّ معاويةَ يخطب فى الوقت الذى يذهب كلامُ المِهْذَر فيه . والمِهْذَرُ : المِكْثارُ .

وزعموا أنّ أبا عطيّةَ عُفَيفاً النَّصرىّ ، فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نَصر ، لمّا رأى الخيل بعَقْوته يومئذ دَوائِسَ[2] نادى : يا صباحاه ! أُتيتم يا بنى نَصر . فألقت الحَبالَى أولادَها من شِدّة صوته . قالوا : فقال ربيعةُ ابن مسعودٍ[3] يصف تلك الحربَ وصوتَ عُفَيف[4] :

---

(١) هو شبه بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وهو زوج جمثل أخت الفرزدق ، كما فى النقائض ٨٥٥ . وروى ابن سلام ١٥٩ أنه بعث بدراهم وحملان وكسوة وخمر إلى الأخطل ، وذلك ليفضل الفرزدق على جرير ويسبه .

(٢) العقوة : ماحول الدار والمحلة . دوائس : جمع دائس . فيما عدا ل : « وأيس » .

(٣) فى نهاية الجزء الأول من كامل ابن الأثير : « ربيعة بن سفيان » .

(٤) بضم العين وفتح الفاء ، كما ضبطه ابن الأثير .

عُقَامًا مَرُوساً بين عوفٍ ومالكٍ ... شديداً لظاها تترك الطفلَ أشيبا

وكانت جُعَيلٌ يوم عَمْرٍو أراكةٍ ... أسودَ الغضَى غادرنَ لحماً مُتَرَّبا[1]

ويوم بِمَكْرُوثاه شدَّتْ مَعَتّبٌ ... بغاراتها قد كان يوماً عَصَبْصَبا[2]

فأسقطَ أحبالَ النساء بصوته ... عُنَيفٌ وقد نادى بنصرٍ فطرّبا[3]

وكان أبو عروة، الذى يقال له أبو عُروة السِّباع[4]، يصيح بالسَّبُع وقد احتمل الشَّاة، فيخلّيها ويذهبُ هاربا على وجهِه[5]. فضرب به الشّاعرُ المثَلَ — وهو النابغةُ الجعدىّ — فقال:

وأزجُر الكاشحَ العدوَّ إذا اغــتابكَ عندى زَجْراً على أضَمِ[6]

زَجْرَ أبِى عُروةَ السِّباعَ إذا ... أشفَقَ أن يلتبِسْنَ بالغَنَمِ

وأنشد أبو عمرٍو الشَّيبانىُّ لرجلٍ من الخوارج يصف صيحة شبيبِ بن يزيد ابن نُعَيم[7]. قال أبو عبيدة وأبو الحَسَن[8]: كان شبيبٌ يصيح فى جنبات

(١) عمرو وأراكة: موضعان.

(٢) مكروثاه، بفتح أوله: موضع. والعصبصب: الشديد.

(٣) الأحبال: جمع حبل، بالتحريك، وهو حمل المرأة.

(٤) كذا ولم أجد من ذكر هذا غيره. وفى التيمورية فقط: «السباح».

(٥) فى اللسان: «وأبو عروة رجل زعموا كان يصيح بالسبع فيموت، ويزجر الذئب فيموت مكانه فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه وخرج من غشائه»!

(٦) الأضم: الغضب. وفى اللسان (١٩ : ٢٨٠): «على وضم» تحريف.

(٧) شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى، خرج بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد. وفى أحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيل — دجيل الأهواز لا دجيل بغداد — فغرق فيه. وكانت تشترك معه زوجه غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج. ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج فى الكوفة تحصن الحجاج منها وأغلق عليه قصره، فكتب إليه عمران بن حطان — وكان الحجاج قد لج فى طلبه —:

أسد على وفى الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى ... بل كان قلبك فى جناحى طائر

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧. المعارف ١٨٠ والأغانى (١٦ : ١٤٩/ ٢١ : ٨) ووفيات الأعيان.

(٨) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى الأخبارى.

الجيش إذا أتاه ، فلا يُلوِى أحدٌ على أحد . وقال الشاعر فيه :

إنْ صاح يوماً حسِبتَ الصّخرَ منحدِراً   والرِّيحَ عاصــــفةً والموجَ يلتطم

قال أبو العاصى : أنشدنى أبو مُحرِز خلفُ بنُ حيّانَ ، وهو خلفٌ الأحمر[١] مولى الأشعريِّين ، فى عيب التشادق :

له حَنْجرٌ رحْبٌ وقول منقّحٌ   وفَصْلُ خطابٍ ليس فيه تشادقُ[٢]

إذا كان صوتُ المرء خَلْفَ لَهاتِهِ   وأنحَى بأشـداقٍ لهنّ شقاشِقُ

٨١ وقبْقَبَ يَحْكِى مُقْرَماً فى هِبابِهِ   فليس بمسبوقٍ ولا هو سابقُ[٣]

وقال الفرزدق :

* شقاشِقُ بين أشداق وهامِ[٤] *

وأنشد خلفٌ :

وما فى يديه غيرُ شِـــدقٍ يُميله   وشِقشِقةٍ خَرساء ليس لهـا نغبُ

متى رامَ قولاً خالفته صـــجيّةٌ   وضِرس كقعْب القَين ثَلّمَه الشّعْبُ

وأنشد أبو عمرو وابنُ الأعرابىّ :

وجاءت قريشٌ قريشُ البِطَاحِ   هى العُصَبُ الأُوَلُ الدّاخِلَهْ

---

(١) هو أبو محرز خلف بن حيان ، المعروف بالأحمر البصرى ، مولى أبى بردة بلال بن أبى موسى الأشعرى ، وهو معلم الأصمعى وأهل البصرة وأستاذ أبى نواس . توفى فى حدود ١٨٠ . إنباه الرواة وإرشاد الأريب (١١ : ٦٦) .

(٢) الحنجر : جمع حنجرة ، وهى رأس الغلصمة .

(٣) المقرم : الفحل المكرم . والهباب ، بالكسر : النشاط .

(٤) عجز بيت له من أبيات فى ديوانه ٨٤٨ يمدح بها مالك بن المنذر بن الجارود ، وهى :

تمتك قروم أولاد المعلى   وأبناء السامعة الكرام

تخمط فى ربيعة بين بكر   وعبد القيس فى الحسب اللهام

إذا سمت القروم لهم علتهم   شقاشق بين أشداق وهام

يقودُهمُ الفيـــلُ والزَّنْدَبيلُ ... وذو الضِّرس والشَّـفةِ المائلهْ(١)

ذو الضرس وذو الشفة ، هو خالد بن سَلَمة المخزوميّ الخطيب . والفيل والزَّنديبل أبان والحكم ابنا عبدِ الملك بن بشر بن مروان . يَعنى دُخُولَهم على ابن هبيرة . والزَّنديبل : الأنثى من الفِيَلة ، فيما ذكر أبو اليقظان سُحيم بن حفص . وقال غيره : هو الذكر . فلم يقِفُوا من ذلك على شىء .

وقال الشاعر فى خالد بن سَلَمة المخزوميّ :

فما كان قائلهم دَغْفَلٌ ... ولا الحيقُطَان ولا ذو الشَّفَهْ

قوله «دَغفل» يريد دَغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب النَّاسب . والحَيْقُطَان : عبدٌ أسودُ ، وكان خطيباً لا يُجارَى .

وأنشد بعضُ أصحابنا :

وقافيـــةٍ لَجلجتُها فرددتُها ... لِذى الضِّرس لو أرسلتُها قَطرتْ دَما

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ العرب ، ولرُبَّما كان نَزْعُ ضِرسٍ أيسرَ علىَّ من أن أقول بيت شعر .

قال : وأنشدنا منيع :

لجئتُ ووَهْبٌ كالخَلاة يضُـمُّها ... إلى الشِّدق أنيابٌ لهنّ صريفُ(٢)

فقعقعتُ لَحيَىْ خالدٍ واهتضمتُـه ... بحُجَّـةِ خَصمٍ بالخصوم عنيفِ ٨٢

أبو يعقوب الثَّقفى عن عبد الملك بن عمير ، قال : سئل [الحارث] بن أبى ربيعة(٣)

---

(١) البيتان لخلف بن خليفة الأقطع ، يذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة . انظر الحيوان (٧ : ٨١) .

(٢) الخلاة : واحدة الخلى ، وهو الرطب من النبات . والصريف : الصوت .

(٣) كلمة « الحارث » مما عدا ل . وهو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، وكان يلقب بالقباع ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، كان رجلا صالحا دينا من سروات قريش ، وكان حاول أن يصد أخاه عن قول الشعر فلم يفلح . انظر الأغانى (١ : ٤٧) .

عن علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه فقال : كم كان له ما شئتَ من ضرسٍ قاطعٍ فى العلم بكتاب الله ، والفقه فى السنة ، والهجرة إلى الله ورسوله ، والبَسطة فى العَشيرة ، والنَّجدة فى الحرب ، والبذل للماعون .

وقال الآخر :

ولم تُلفِنى فهًّا ولم تُلفِ حُجّتى ملجلَجةً أبغى لها مَن يُقيمُها[1]
ولا بتُّ أُزجيها قَضِيباً وتَلتوِى أراوِغُها طوراً وطوراً أُضِيمُها[2]

وأنشدنى أبو الرُّدينىّ العُكلى :

فتًى كان يعلو مَفرِقَ الحقِّ قولُه إذا الخطباء الصِّيد عَضَّل قِيلُها[3]

وقال الخُرَيمىُّ فى تشادق علىّ بن الهيثم :

يا علىَّ بنَ هيثمٍ يا سُماقا قد ملأتَ الدُّنيا علينا نِفاقا[4]
خلِّ لَحيَيْك يسكُنانِ ولا تضـ ـرب على تغلبٍ بلَحيَيْك طاقا[5]
لا تَشادَقْ إذا تكلَّمتَ واعلمْ أنَّ للناسِ كلِّهم أشداقا

وكان علىُّ بن الهيثمِ جواداً ، بليغَ اللسان والقلم .

وقال لى أبو يعقوب الخُرَيمىّ[6] : ما رأيت كثلاثةِ رجالٍ يأكلون الناس أكلاً ، حتّى إذا رأوا ثلاثةَ رجالٍ ذابوا كما يذوب الملح فى الماء ، والرّصاص فى النّار : كان هشام بن محمدٍ[7] علاّمةً نسّابة ، وراويةً للمثالب عيّابة ، فإذا رأى ٨٢

(١) الفه : العي الذى لا يبين . والملجلجة : المضطربة المختلطة .
(٢) أزجيها : أسوقها . والقضيب : المقتضبة ليس لها حسن . أضيمها : أنتقصها .
(٣) الصيد . جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبرا . عضل ، هو من قولهم : عضلت الحامل ، إذا صعب خروج ولدها .
(٤) السماق ، بالضم : الخالص . فى عدال : « علينا بقاقا » .
(٥) الطاق : ما عطف من الأبنية .
(٦) الخبر فى الأغانى (٢١ : ١٥٧) منقولا عن الجاحظ .
(٧) فى عدال وكذا فى الأغانى : « هشام بن الكلبى » .

الهيثم بنَ عديّ[١] ذاب كما يذوب الرَّصاص فى النّار . وكان علىّ بن الهيثم مِقْعَانِيًّا[٢] صاحب تقعيع وتقعير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، لا يحفِل بشاعرٍ ولا بخطيبٍ ، فإذا رأى مُوسَى الضبّيّ ذابَ كما يذوب الرَّصاص عند النّار . وكان عَلّويه المغنّي[٣] واحدَ النّاسِ فى الرِّواية وفى الحكاية ، وفى صنعة ٨٣
الغناء وجَوْدة الضَّرب ، وفى الإطراب وحسن الحلْق ، فإذا رأى مُخارِقًا[٤] ذاب كما يذوب الرَّصاص عند النار .

***

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبُعْد الصوت .

قال أبو عبيدة : كان عُروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، رَديفًا للملوك[٥] ، ورحّالاً إليهم ، وكان يقال له عُروةُ الرّحّال ، فكان يومَ أقبَلَ مع ابن الجَوْن ، يريد بنى عامر ، فلمّا انتهى إلى وارداتٍ مع الصُّبح[٦] ، قال له عُروة : إنّك

(١) فى الأصول : « الهيثم بن عدى » صوابه من الأغانى . ولأجل « على بن الهيثم » ساق الجاحظ الخبر .

(٢) كذا وردت مضبوطة فى الأصل ، ولعلها من لغة أهل البصرة ، مأخوذة من التقعيع ، وهو التشدق . وزاد قبل هذه الكلمة فى الأغانى : « حريفا » .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن يوسف ، وكان جده من السغد الذين سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان ، واشتهر بعلويه ، وكنيته أبو الحسن . كان مغنيا حاذقا ، ومؤديا محسنا ، وضاربا متقدما ، وكان إبراهيم علمه وخرجه وعنى به جدا فبرع ، وغنى للأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلى بمديدة يسيرة ، الأغانى (١٠ : ١١٥ — ١٢٥) .

(٤) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ؛ وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهى من المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب ، ونشأ فى المدينة ، وقيل بل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزارا مملوكا ، وكان مخارق وهو صبى ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلى منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . الأغانى (٢١ : ١٤٣) .

(٥) المعروف فى هذا « الردف » بالكسر ، واحد الأرداف ، وهم الذين يخلفون الملوك فى القيام بأمر المملكة ، بمنزلة الوزراء فى الإسلام . وأما الرديف فهو الراكب خلف صاحبه . وعروة الرحال قتله البراض بن قيس . الحيوان (١ : ١٦٦) .

(٦) واردات ، قال ياقوت : موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها .

قد عرَفتَ طولَ صحبتى لك ، ونَصيحتى إيّاك ، فائذَن لى فأهتِفَ بقومى هَتفةً .

قال : نعم ، وثلاثاً . فقام فنادى : يا صَباحاه ! ثلاثَ مرّات . قال : فسمِعْنا شيوخنا يزعُمون أنّه أسمعَ أهلَ الشِّعب ، فتلبّبوا للحرب ، وبعثُوا الرَّبايا[1] ، ينظرون من أين يأتى القوم .

قال : وتقول الرُّوم : لولا ضَجّة أهلِ رُومِيّة وأصواتُهم ، لسَمِع النّاسُ جميعاً صوتَ وُجوبِ القُرص فى المغرِب[2] .

وأعيَبُ عندهم مِن دقّة الصوت وضِيق مخرَجِه وضعف قوّته ، أن يعترِىَ الخطيبَ البُهْرُ والارتعاش ، والرِّعدة والعرَق .

قال أبو الحسن : قال سفيان بن عُيَيْنة : تكلّمَ صعصعةُ عند معاويةَ فعرِقَ ، فقال معاوية : بَهرَك القول ! قال صعصعة : « إنّ الجياد نَضّاحةٌ بالماء » .

والفرس إذا كان سريعَ العرق ، وكان هشًّا ، كان ذلك عيبًا . وكذلك هو فى الكثرة ، فإذا أبطأ ذلك وكان قليلاً قيل : قد كبا ؛ وهو فرسٌ كابٍ . وذلك عيبٌ أيضا .

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ ، لأبى مِسمارٍ العُكلىّ ، فى شبيهٍ بذلك قولَه :

لله درُّ عامرٍ إذا نطَقْ ... فى حَفْل إملاكٍ وفى تلك الحِلَقْ[3]
ليس كقومٍ يُعرَفون بالسَّرَقْ[4] ... مِن خُطَب النّاس ومِمّا فى الورَقْ
يلفِّقُون القولَ تلفيقَ الخِرَقْ[5] ... مِن كلِّ نَضّاح الذَّفارَى بالعرَقْ

* إذا رمَتْه الخطباء بالحدَقْ *

---

(١) الربايا : جمع ربيئة ، وهو العين والطليعة . فيا عدا ل : « وعبوا » تحريف .

(٢) وجب قرص الشمس : وقع واختفى فى مكان الغروب .

(٣) الإملاك : التزويج وعقد النكاح . وحلقة القوم ، تقال بالفتح ، وبالتحريك ، وبالكسر ؛ وجمعها حلق ، بالتحريك ، وبكسر ففتح .

(٤) السرق ، بالتحريك ، وبفتح فكسر ، هو السرقة . فيا عدا ل : « بالشدق » تحريف .

(٥) فيا عدا ل : « الخلق » .

[والذّفارَى هنا : يعنى بدن الخطيب . والذِّفريانِ للبعير ، وهما اللَّحمتان فى قفاه(١)

وإنما ذكر خطب الإملاك لأنهم يذكرون أنه يَعرِض للخطيب فيها مِن الحَصَر أكثرُ مما يَعرِض لصاحب المِنبر . ولذلك قال عمرُ بن الخطّاب رحمه الله : « ما يتصعَّدُنى كلامٌ كما تتصعَّدُنى خُطبة النكاح(٢) » . ٨٤

وقال العُمَانىُّ :

لا ذَفِرٌ هَشٌّ ولا بِكابِى   ولا بلجلاجٍ ولا هيَّابِ

الهشُّ : الذى يجُود بعرقه سريعا ؛ وذلك عَيب . والذَّفِرُ : الكثير العرق . والكابى : الذى لا يكاد يَعرق ، كالزَّند الكابى الذى لا يكاد يُورِى . فجعل له العُمانىُّ حالاً بين حالين إذا خَطَب ، وخبّر أنه رابطُ الجأش ، معاودٌ لتلك المقامات .

وقال الكميت بن زيد — وكان خطيباً — : « إنّ للخطبة صَعْداء(٣) ، وهى على ذى اللُّبِّ أرمَى » .

وقولهم أرمَى وأربَى سواء ، يقال فلان قد أرمَى على المائة وأربَى .

ولم أر الكميتَ أفصحَ عن هذا المعنى ولا تخلّص إلى خاصّته . وإنّما يجترئ على الخطبة الغِرُّ(٤) الجاهل الماضى ، الذى لا يثنيه شىء ، أو المطبوع الحاذق ، الواثقُ بغزارته واقتداره ، فالثّقة تنفِى عن قلبه كلَّ خاطرٍ يُورِث اللَّجلجة والنّحنحة ، والانقطاعَ والبُهْرَ والعَرَق .

وقال عُبيد الله بنُ زياد ، وكان خطيباً ، على لُكْنة كانت فيه : « نِعم الشىء

---

(١) هذه مما عدا ل .
(٢) تصعده الأمر وتصاعد به : شق عليه .
(٣) الصعداء ، بالفتح : المشقة . وأما الصعداء بفتح فضم ، فالتنفس الممدود .
(٤) فيما عدا ل : « الغمر » .

الإمارةُ ، لولا قَعقعة البُرُد[1] ، والتشزُّن للخُطَب[2] » .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوان : عَجِلَ عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين ! قال : « وكيف لا يَعجَل عليَّ وأنا أعرِضُ عَقْلِي على النّاس في كلِّ جُمُعةٍ مَرّةً أو مرّتين » . يعني خطبةَ الجمعة وبعض ما يعرِض من الأمور .

وقال بعض الكلبيين[3] :

فإذا خطبْتَ على الرِّجال فلا تكن خَطِلَ الكلام تقوله مُختالا[4]
واعلَمْ بأنّ من السُّكوت إبانةً ومن التكلُّم ما يكون خَبالا[5]

***

مرّ[6] بِشرُ بنُ المعتمر[7] بإبراهيم[8] بن جبلة بن مَخْرَمة السَّكونيّ الخطيب ، وهو يعلّم فتيانهم الخطابة ، فوقف بِشرٌ فظنّ إبراهيمُ أنّه إنّما وقَفَ ليستفيد أو ليكونَ رجلاً من النَّظّارة ، فقال بِشر : اضربُوا عمّا قالَ صَفْحاً واطوُوا عنه ٨٥
كَشْحا . ثمّ دفعَ إليهم صحيفةً من تحبيره وتنميقه ، وكان أوّل ذلك الكلام :

خُذْ من نفسِك ساعةَ نشاطِك وفراغِ بالك وإجابتِها إياك ، فإنّ قليلَ تلك الساعةِ أكرَمُ جوهراً ، وأشرَفُ حسَباً ، وأحسن في الأسماع ، وأحلَى في الصدور ، وأسلَمُ من فاحش الخطاء ، وأجْلَبُ لكلّ عين وغُرّة ، مِن لفظٍ

(١) البرد : جمع بريد ، وأصل البريد الدابة ، ثم جعل للرجل . وفى هامش ل « خ : البريد » إشارة إلى ما فى نسخة أخرى . وفى هامش التيمورية : وإنما قال هذا لأن الوالى لا يدرى بما يأتيه من خير أو شر ، فهو يجزع لرؤيته ويخاف » .

(٢) التشزن : التأهب والتهيؤ والاستعداد . والخبر فى نهاية (شزن) من اللسان .

(٣) ب والتيمورية : « الكلبيين » حـ : « الكلابيين » .

(٤) ل : « الرحال » بالحاء المهملة .

(٥) ل : « التكلف » وكتب إزاءها : « خ : التكلم » . وهى رواية سائر النسخ .

(٦) فيما عدا ل : « كلام » .

(٧) سبقت ترجمته فى ص ٤١ . وبعدها فى ب والتيمورية : « حين مر » .

(٨) حـ : « لابراهيم » .

شريف ومعنًى بديع . واعلمْ أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يُعطيك يومُك إلا طولُ ، بالكدِّ والمطاولة(١) والمجاهدة ، وبالتكلُّف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً قصْداً ، وخفيفاً على اللّسان سهلًا ؛ وكما خرج من يَنبوعِهِ ونجم من مَعْدِنِه . وإياك والتوعُّرَ ، فإنّ التوعُّر يُسلِمُك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلِكُ معانيَكَ ، ويَشِينُ ألفاظك . ومن أراغ معنًى كريماً فليلتمِسْ له لفظاً كريماً ؛ فإنّ حقّ المعنى الشريفِ اللّفظُ الشّريف ، ومن حقِّهما أن تصونهما عما يفسدُهما ويهجِّنُهما ، وعمّا تعودُ مِن أجله أن تكونَ أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارَهما ، وترتهِن نفسَك بملابستِهما وقضاء حقِّهما . فكُنْ فى ثلاثِ منازل ؛ فإن أولَى الثلاث ، أن يكون لفظُك رشيقاً عذْبا ، وفخْما سهلا ، ويكونَ معناك ظاهراً مكشوفا ، وقريباً معروفا ، إمّا عند الخاصّة إنْ كنتَ للخاصّة قصَدتَ ، وإمّا عند العامّة إنْ كنتَ للعامّة أردتَ . والمعنى ليس يشرُف بأن يكونَ من معاني الخاصّة ، وكذلك ليس يتّضع بأن يكونَ من معانى العامّة . وإنّما مَدارُ الشّرَف على الصّواب وإحرازِ المنفعة ، مع موافقَة الحال ، وما يجب لكلّ مَقامٍ من المقال . وكذلك اللفظ العامىّ والخاصىّ . فإنْ أمكنَكَ أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولُطف مَداخلك ، واقتدارِك على نفسك ، إلى أن تُفْهِم العامّةَ معانىَ الخاصّة ، وتكسُوَها الألفاظَ الواسطة(٢) التى لا تَلطُف عن الدَّهْماء ، ولا تجفُو عن الأكْفاء ، فأنت البليغ التامّ(٣) .

قال بشر : فلما قُرِئت على إبراهيمَ قال لى : أنا أحوَجُ إلى هذا من هؤلاء الفِتيان .

---

(١) ل : « والمكابرة » .
(٢) ل : « المبسوطة »
(٣) وقع فى سائر النسخ اضطراب فى صحيفة بشر . ففيها عدال قد وردت الصحيفة متتابعة لا يفصل بين فقرها شىء مما يلى . ولا إخال ذلك إلا من عمل قارئ أو ناسخ .

قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قطُّ أمثلَ طريقةً فى البلاغة من الكتاب فإنهم
٨٦ قد التمسُوا من الألفاظ ما لم يكن متوعِّراً وحشيًّا ، ولا ساقطا سُوقيّا . وإذا سمعتمونى أذكُر العوامّ فإنِّى لستُ أعنِي الفلّاحين والحُشْوَة[١] والصُّنّاعَ والباعة ، ولستُ أعنى أيضاً الأكرادَ فى الجبال ، وسُكّانَ الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثلَ الببر[٢] والطّيلسان[٣] ، ومثل مُوقَان وجِيلان[٤] ومثل الزّنج وأشباه الزّنج . وإنّما الأمم المذكورون مِن جميع الناس أربع : العرب ، وفارسُ ، والهند والرّوم . والباقون همجٌ وأشباه الهمَج . وأما العوامّ مِن أهل مِلّتنا ودعوتنا ، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطّبقة التى عقولُها وأخلاقُها فوقَ تلك الأمم ولم يبلغُوا منزلةَ الخاصة منا . على أنّ الخاصةَ تتفاضل فى طبقاتٍ أيضاً[٥] .

ثم رجع بنا القولُ إلى بقيّـــة كلامِ بشرِ بن المعتمر ، وإلى ما ذَكَرَ من الأقسام[٦] .

قال بشرٌ : فإن كانت المنزلةُ الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمَح[٧]

---

(١) الحشوة بالضم والكسر : رذال الناس وأسقاطهم .

(٢) ل : « البير » مع عدم نقط الحرف الثانى . وجاء فى تاريخ الطبرى (٥ : ٤٥) : « فأغار على أهل موقان والببر والطيلسان » .

(٣) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحى الديلم والخزر ، افتتحه الوليد بن عقبة فى سنة ٣٥ . معجم البلدان .

(٤) قال ابن الكلبى : موقان وجيلان ، وهما أهل طبرستان ، ابنا كاشج بن يافث بن نوح . قال ياقوت فى موقان : « ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعى ، فأكثر أهلها منهم » . وقال فى جيلان : « اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ... وليس فى جيلان مدينة كبيرة ، إنما هى قرى فى مروج بين جبال » .

(٥) الكلام من « قال بشر : فلما قرئت » إلى هنا ، موضعه فى سائر النسخ قبل : « وقال وينبغى للمتكلم أن يعرف » وبذلك يختلط كلام بشر بكلام الجاحظ . وما أثبت من ل هو الصحيح .

(٦) هذه العبارة ساقطة من سائر النسخ . وهذا يظهر فضل نسخة ل .

(٧) فيما عدا ل : « تسنح » .

لك عند أوّل نظرك وفى أول تكلُّفك ، وتجد اللّفظةَ لم تقع موقعها ولم تصِر إلى قرارها وإلى حقّها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحُلّ فى مركزها وفى نِصابها ، ولم تتّصل بشكلها ، وكانت قلقةً فى مكانها ، نافرةً من موضعها ، فلا تُكرِهْها على اغتصاب الأماكن ، والنُّزولِ فى غير أوطانها ؛ فإنّك إذا لم تتعاطَ قرضَ الشّعر الموزون ، ولم تتكلّف اختيارَ الكلام المنثور ، لم يَعِبْك بترك ذلك أحد فإنْ أنتَ تكلّفتَهما[1] ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا مُحكِماً لسانك ، بصيراً بما عليك وما لكَ ، عابَكَ مَن أنت أقلُّ عيباً منه ، ورأى مَن هو دونَك أنّه فوقَك. فإن ابتُليت بأنْ تتكلّفَ القولَ ، وتتعاطى الصّنعةَ ، ولم تَسْمَح لك الطّباعُ فى أوّل وَهلة[2] ، وتعاصَى عليك بعدَ إجالة الفكرة ، فلا تعجلْ ولا تضجَر ، ودَعْهُ بياضَ يومِك وسوادَ ليلِك ، وعاوِدْه عند نشاطِك وفراغِ بالِك ؛ فإنّك لا تعدم الإجابةَ والمواتاة ، إن كانت هناك طبيعةٌ ، أو جريْتَ من الصّناعة على عِرْق . فإن تمنّعَ عليك بعدَ ذلك من غير حادثِ شغلٍ عرَضَ ، ومن غير طولِ إهمال ، فالمنزلةُ الثّالثةُ أن تتحوّلَ من هذه الصناعةِ إلى أشهَى الصناعاتِ إليك ، وأخفِّها عليك ؛ فإنّك لم تشتهِه ولم تنازِعْ إليه إلاّ وبينكما نسب ، والشىء لا يحِنُّ ٨٧ إلاّ إلى ما يشاكلُه ، وإن كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات ؛ لأنّ النفوسَ لا تجود بمكنونها مع الرّغبة ، ولا تَسْمَح بمخزونها مع الرّهبةِ ، كما تجود به مع الشّهوة والمحبّة . فهذا هذا .

وقال : ينبغى للمتكلّم أن يعرفَ أقدارَ المعانى ، ويوازنَ بينها وبين أقدار المستمعينَ وبين أقدارِ الحالات ، فيجعلَ لكلّ طبقةٍ من ذلك كلاماً ، ولكلّ

(١) فيما عدا ل : « وإن أنت تكلفتها » .

(٢) الطباع ، يكون مفردا كالطبيعة ، ويكون جمع طبع أيضا ، وهو فى القول بإفراده يذكر ويؤنث . وفى اللسان : « والطباع كالطبيعة مؤنثة. وقال أبو القاسم الزجاجى : الطباع واحد مذكر ، كالنحاس والنجار — بكسر النون فيهما — قال الأزهرى . ويجمع طبع الإنسان طباعا » .

حالةٍ من ذلك مَقاما ، حتَّى يقسمَ أقدارَ الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدارَ المعانى على أقدار المقامات ، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك الحالات .

فإن كان الخطيبُ متكلِّما تجنَّبَ ألفاظ المتكلِّمين ، كما أنّه إنْ عبّر عن شىء من صناعةِ الكلام واصفاً أو مجيبا أو سائلاً ، كان أولى الألفاظ به ألفاظَ المتكلمين إذْ كانوا لتلك العبارات أفهَمَ ، وإلى تلك الألفاظ أميل ، وإليها أحنَّ وبها أشغَف ؛ ولأنّ كبارَ المتكلِّمين ورؤساء النظّارين كانوا فوقَ أكثرِ الخطباء ، وأبلغَ من كثيرٍ من البلغاء . وهم تخيَّروا تلك الألفاظَ لتلك المعانى ، وهم اشتقُّوا لها مِن كلام العرب تلكَ الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسميةِ ما لم يكن له فى لغة العرب اسمٌ ، فصاروا فى ذلك سلفاً لكلِّ خلف ، وقُدوةً لكلِّ تابع . ولذلك قالوا العَرَض والجوهر ، وأيْس وليس ، وفرّقوا بين البُطلان والتّلاشى ، وذكروا الهُذيّة والهُويّة والماهيّة[١] وأشباهَ ذلك . وكما وضع الخليل بنُ أحمدَ لِأوزان القصيد وقِصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العربُ تتعارف تلك الأعاريضَ بتلك الألقابِ ، وتلك الأوزانَ بتلك الأسماء ، كما ذكر الطّويلَ ، والبسيطَ ، والمديد ، والوافر ، والكامل ، وأشباه ذلك ، وكما ذكر الأوتادَ والأسباب ، والخَرْم والزّحاف . وقد ذكرت العرب فى أشعارها السِّناد والإقواء والإكفاء ، ولم أسمع بالإيطاء . وقالوا فى القصيد والرَّجَز والسَّجع والخُطَب ، وذكَرُوا حروفَ الرّوىّ والقوافى ، وقالوا هذا بيتٌ وهذا مصراع . وقد قال جَندَلٌ الطُّهَوىُّ[٢] حين مدح شعرَه :

* لم أُقْوِ فيهن ولم أُساندِ *

وقال ذو الرمّة :

٨٨ وشعرٍ قد أرِقْتُ له غريبٍ أجنِّبه المُسانَدَ والمُحالا[٣]

(١) نسبة إلى هذا ، وهو ، وماهو .

(٢) هو جندل بن المثنى الطهوى .

(٣) ديوان ذى الرمة ٤٤٠ . فيها عدا ل : « أجانبه » .

وقال أبو حِزام العُكلىّ[١] :

بيوتاً نصبْنا لتقويمها … جُذول الرَّبِيئِين فى المَرْبَأه
بيوتاً عَلَى الهَا لهَا سجحة … بغير السِّناد ولا المكْفَأه

وكما سمّى النحويون، فذكروا الحالَ والظّروفَ وما أشبهَ ذلك؛ لأنّهم لو لم يضَعُوا هذه العلاماتِ لم يستطيعوا تعريف القَرَويِّين وأبناء البلَديِّين علمَ العروض والنَّحو . وكذلك أصحابُ الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علاماتٍ للتّفاهُم .

قالوا : وقبيحٌ بالخطيب أن يقوم بخُطْبة العيد أو يوم السَّماطين، أو على منبر جماعة، أو فى سُدّة دار الخلافة، أو فى يوم جَمْعٍ وحفل، إمّا فى إصلاحٍ بين العشائر، واحتمالِ دماء القبائل، واستلال تلك الضّغائن والسّخائم، فيقول[٢] كما قال بعضُ مَن خطَب على منبرٍ ضخمِ الشّأنِ، رفيع المكان : « ثم إنّ الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلق وسوّاهم ومكّن لهم، لاشاهم فتلاشَوا[٣] » . ولولا أنّ المتكلّمَ افتقرَ إلى أن يلفِظ بالتّلاشى لكان ينبغى أن يُؤخَذَ فوق يده .

وخطَب آخرُ فى وسط دار الخلافة، فقال فى خطبته : « وأخرَجَهُ الله من باب الليسيّة، فأدخله فى باب الأيْسيّة[٤] » .

وقال مرّةً أخرى فى خُطبةٍ له : « هذا فرْقُ ما بين السّارّ والضّارّ، والدّفّاع والنّفّاع » .

وقال مرّةً أخرى : « فدلَّ ساترُه على غامره، ودلَّ غامره على منحلّه » .

---

(١) أبو حزام العكلى، اسمه غالب بن الحارث، كان أعرابيا فصيحا يفد على أبى عبيد الله وزير المهدى . قال الخوارزمى : « وشعره عويص؛ لأنه أكثر فيه من الغريب فلا يقف عليه إلا العلماء، وكان يؤخذ عنه اللغة، أدركه الكسائى واستشهد ببعض شعره . انظر شروح سقط الزند ١٤٦٠ — ١٤٦٧ .

(٢) بدلها فى ل : « أن يكون » .

(٣) يراد بالملاشاة الإفناء، كأنه جعلهم كلا شىء .

(٤) نسبة إلى ليس وأيس . وفى اللسان : « أيس وليس، أى من حيث هو وليس هو » .

فكاد إبراهيمُ بن السِّندىّ[١] يطير شِقَقًا[٢] ، وينقدُّ غيظا[٣] . هـذا وإبراهيمُ من المتكلِّمين ، والخطيبُ لم يكن من المتكلِّمين .

وإنَّما جازت هذه الألفاظُ فى صناعة الكلام حين عَجَزت الأسماء عن اتِّساع المعانى . وقد تَحسُنُ أيضاً ألفاظُ المتكلِّمين فى مثل شعرِ أبى نُواسٍ وفى كلِّ ما قالوه على وَجْه التظرُّف والتملُّح ، كقول أبى نُواسٍ :

وذات خـدٍّ مُورَّد ‏ ‏ قُوهيَّـة المُتجرَّدْ[٤] ٨٩
تأمَّلُ العَيْنُ منهـا ‏ ‏ محاسـناً ليس تنفدْ
فبعضُها قد تَنَـاهَي ‏ ‏ وبعضُهـا يتولَّدْ
والحسنُ فى كلِّ عضوٍ ‏ ‏ منها مُعَـادٌ مُرَدَّدْ

وكقوله[٥] :

يا عاقِدَ القلبِ مِنِّى ‏ ‏ هَلاَّ تذكرت حَلاَّ
تركتَ مِنِّى قليـلاً ‏ ‏ من القليـل أقلاَّ
يكاد لا يتجزا ‏ ‏ أقلُّ فى اللَّفظ مِن لا

وقد يتملَّحُ الأعرابىُّ بأن يُدْخِل فى شعره شيئاً من كلام الفارسيَّة ، كقول العُمَانىّ للرَّشيد ، فى قصيدته التى مدحَه فيها :

(١) هو إبراهيم بن السندى بن شاهك ، يروى الجاحظ عنه كثيراً . وأبوه السندى ابن شاهك ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشيد . انظر الجهشيارى ٢٣٦ — ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هذه عبارة عن المبالغة فى الغضب . وفى حديث عائشة : « فطارت شقة منها فى السماء وشقة فى الأرض » . هو مبالغة فى الغضب والغيظ ، كما فى اللسان . ب ، حـ « شغفا » ل : « شفقا » صوابهما ما أثبت من التيمورية .

(٣) ينقد : ينشق . ل : « وينقد غيظا » بمعنى يشتعل .

(٤) الأبيات يقولها فى نعت « جنان » جارية آل عبد الوهاب الثقفى . انظر ديوانه ٣٧١ وأخبار أبى نواس لابن منظور ١٣ . قوهية ، أراد بيضاء . والقوهى : ضرب من الثياب بيض ، منسوبة إلى قوهستان . وفى الديوان : « فتاة التجرد »

(٥) أخبار أبى نواس ١٣ . وانظر فيه أشعاراً أخرى فيها دليل معرفته بألفاظ المتكلمين.

مَنْ يَلْقَهُ مِن بطلٍ مُسْرَنْدِ[١]   فى زَغْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بالسَّرْدِ[٢]

* تجول بين رأسِه و « الكَرْدِ[٣] » *

يعنى العُنُق . وفيها يقول أيضا[٤] :

لما هَوَى بين غِياض الأُسْدِ   وصار فى كفِّ الهِزَبْر الوَرْدِ

* آلَى يَذُوق الدَّهرَ آب سَرْدِ[٥] *

وكقول الآخر :

ودَلَّهنى وقْعُ الأَسِنَّةِ والقَنَا   وكافِر كُوباتٍ لها عُجَرٌ قُفْدُ[٦]

بأيدى رجالٍ ما كلامى كلامُهم   يَسُومُوننى مَرْداً وما أنا والمَرْدُ[٧]

ومثل هذا موجود فى شعر [أبى] المُذَافِر الكندىّ[٨] وغيره ، ويكون أيضا أن يكون الشعر مثل شعر بَحْرَوَشار[٩] ، وأسود بن أبى كريمة . وكما قال يزيد

---

(١) المسرندى : الذى يغلب ويعلو .

(٢) الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . والسرد : سمر الزرد .

(٣) أصله فى الفارسية « گردن » كما فى المعرب ٢٧٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٠ .
وأقدم من قول العمانى هذا قول الفرزدق :

وكنا إذا القيسى نب عتوده   ضربناه دون الأنثيين على الكرد

(٤) فيما عدا ل : « ويقول فيه أيضا » .

(٥) آب سرد : ماء بارد . آب : ماء ، يكسر آخر الموصوف المتقدم على صفته فى الفارسية . وسرد : بارد .

(٦) المدله : الساهى القلب الذاهب العقل . فيما عدا ل : « وولهنى » . والوله : الحزن ، وذهاب العقل حزنا . وفى هامش ل : « كافركوب هى المقرعة » . والعجر : جمع عجرة ، وهى العقدة فى الخشبة ونحوها . والقفد : جمع أقفد ، وهو فى أصله الغليظ العنق .

(٧) سامه الشىء : كلفه إياه وجشمه وأراده عليه . ومرد ، بالفتح : رجل ، بالفارسية . ومن معانيه فى الفارسية البطل ، والشجاع . استينجاس ١٢١١ . وفى هامش ل : المرد الرجل ، بالفارسية .

(٨) ذكره المرزبانى فى معجمه فى ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين . وفى الأصول : « المذافر الكندى » .

(٩) كذا ورد مضبوطا فى الأصل . وفيما عدا ل : « الحروشاذ » .

ابن ربيعة بن مُفَرَّغ (١) :

٩٠ آبَ استْ نَبيذَ است   عُصَاراتِ زيبَ استْ

* سُمَيَّهْ رُوسَپيد استْ (٢) *

وقال أسود بن أبى كَرِيمَةَ :

لَزِم الغُـرَّام ثوبى   بُكرة فى يَوم سبت (٣)

فتمايلتُ عليهـم   مَيْل زَنكيٍّ بمَسْتي (٤)

قدحَسا الدَّاذِىَّ صِرْفاً   أو عُقَاراً بَايِخَسْتِ (٥)

---

(١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان مولعا بهجاء بنى زياد ، وتعدى ذلك إلى أبى سفيان فقذفه بالزنا ، وأمر يزيد بن معاوية بطلبه فظل ينتقل من بلد إلى بلد ويستجير حتى وقع فى يد عبيد الله بن زياد فأمر به فسقى نبيذاً حلوا قد خلط معه الشبرم ، فأسهل بطنه وطيف به وهو فى تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون : « اين چيست » لما يسيل منه . أى هذا ماذا ؟ . وهو يجيبهم بالأبيات التالية . انظر الأغانى (١٧ : ٥١ — ٧٣) والخزانة (٢ : ٢١٠ — ٢١٦) والاشتقاق ٣٠٩ — ٣١٠ والشعراء لابن قتيبة .

(٢) آب : ماء . واست : فعل من أفعال الكينونة فى الفارسية . أراد أن النبيذ ما هو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هى أم زياد بن أبيه ، أو ابن أبى سفيان . انظر الإصابة ٦١١ من قسم النساء . وروسپيد ، أى مشهورة . رو ، هو الوجه بالفارسية ويقال له أيضا « روى » . وسپيد ، بفتح السين ، أى أبيض .

(٣) الغرام : جمع غريم ، وهو المطالب بالدين ، وهو جمع عزيز ؛ لأن فعيلا لا يجمع على فعال . وأجاز ابن سيده أن يكون جمع غارم على النسب ، أى ذو إغرام أو تغريم . انظر اللسان (١٥ : ٣٣٢) .

(٤) ل : « عليه مثل زنكى » تحريف . والزنكى : الزنجى ، بالفارسية . مَستى ، بالفارسية ، أى السكر وإدمان الشراب .

(٥) الداذى : نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل فى الفرق فتعبق رائحته ويجود إسكاره . هذا ما فى اللسان . وفى القاموس : « الداذى شراب للفساق » . والعقار بالضم : الخمر . بايخست ، كتب إزاءها فى هامش حـ : « بايخست الشراب على الريق بالفارسية » . وكتب المحقق الفاضل الدكتور إبراهيم أمين فى مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية (ديسمبر سنة ١٩٣٦) : « بايخست أو پاى خست ، بمعنى موطوءة بالأقدام » .

نم كُفتَم دُور باد   وبحكم آن‌خر كُفت[١]
إن جِلدِى دبغته   أهلُ صنعاء بجَفت[٢]
وأبو عمرة عنـدى   آن كوربُد نَمَست[٣]
جالس أندر مكناد   ايا عمـد بهشت[٤]

***

وكما لا ينبغى أن يكون اللفظُ عامِّيًّا ، وساقطا سُوقيًّا ، فكذلك لا ينبغى أن يكون غريباً وحشيًّا ؛ إلاّ أنْ يكون المتكلِّم بدويًّا أعرابيا ؛ فإنّ الوحشىّ من الكلام يفهمه الوحشىُّ من الناس ، كما يفهَمُ السُّوقىّ رَطانَة السُّوق . وكلامُ النّاسِ فى طبقاتٍ كما أنّ النـاسَ أنفسَهم فى طبقات . فمن الكلام الجزلُ والسَّخيفُ ، والمليحُ والحسن ، والقبيح والسَّمجُ ، والخفيفُ والثقيل ؛ وكلُّه عربىّ ، وبكُلٍّ قد تكلموا ، وبكلٍّ قد تمادحوا وتعايبوا . فإنْ زعم زاعمٌ أنه لم يكن فى كلامهم تفاضُل ، ولا بينهم فى ذلك تفاوُت ، فلِمَ ذكروا العِيَّ والبكىء ، والحَصِر والمُفحَمَ ، والخَطِل والمُسهَب[٥] ، والمتشدِّق ، والمتفيهِق ، والمِهمارَ ، والثَّرثار[٦] ، والمكثار والهمّار[٧] ، ولِمَ ذكروا الهُجْر والهَذَرَ ، والهَذَيانَ والتَّخليط

(١) كفتم ، أى قلت . دور باد ، أى معاذ الله ، وفى الأصل : « ذوزباد » . آن : اسم إشارة معناه ذلك . وخَرْ ، معناه الحمار ، أو البليد ، أو الأحمق . وكفت ، بمعنى قال .

(٢) فى معجم استينجاس ٣٦٥ « جفت بلّوط ، أى ثمرة البلوط » .

(٣) أبو عمرة : كنية الجوع . كور ، أى أعمى أو أعور . بد أو بود بمعنى كان . نمست ، أى ليس ثملا ، فمعناه كان أعمى وليس ثملا .

(٤) هذا البيت لم يرد فى ل . وقال الدكتور إبراهيم أمين : « هذا البيت مضطرب ، وبه تحريف . الكلمات الفارسية التى به هى اندر بمعنى فى . ومكناد بمعنى لا تجعل . بيهشت ، أى فى الجنة » .

(٥) الخطل : ذو الخطل ؛ وهو الكلام الفاسد الكثير . والمسهب ، بضم الميم وكسر الهاء وفتحها : الكثير الكلام .

(٦) رجل مهمار : كثير الكلام ، كما فى اللسان (همر) . وفى الأصول : « المهماز » تحريف . يقال رجل همار ومهمار ومهمر ، أى مكثار الكلام .

(٧) فى الأصول : « الهماز » وانظر التنبيه السابق .

وقالوا : رَجُلٌ تِلِقَّاعَة[١] ، وفلان يتلَهْيَع فى خطبته[٢] . وقالوا : فلانٌ يُخطِئُ فى جوابه ، ويُحِيل فى كلامه ، ويناقِضُ فى خَبَرِه . ولولا أنّ هـذه الأمور قد كانت تكون فى بعضهم دونَ بعض لمَا سَمّى ذلك البعضُ البعضَ الآخَرَ بهذه الأسماء .

وأنا أقول : إنّه ليس فى الأرض كلامٌ هو أمتَعُ ولا آنَق ، ولا ألذُّ فى
٩١ الأسماع ، ولا أشدُّ اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفتَقُ للّسان ، ولا أجودُ تقويما للبيان ، مِن طول استماعِ حديثِ الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماء البلغاء . وقد أصاب القومُ فى عامّةِ ما وَصَفوا ، إلاّ أنّي أزعُم أنّ سخيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعانى . وقد يُحتاج إلى السَّخيف فى بعض المواضع ، ورُبّما أمتَعَ بأكثَرَ من إمتاع الجزْلِ الفخم من الألفاظ ، والشريفِ الكريم من المعانى . كما أنّ النادرةَ الباردة جِداً قد تكون أطيَبَ من النادرة الحارّة جدّا . وإنّما الكَرْبُ الذى يَختِمِ على القلوب[٣] ، ويأخُذ بالأنفاس ، النادرةُ الفاترة التى لا هى حارّةٌ ولا باردة ، وكذلك الشِّعر الوسَط ، والغِناء الوسط ؛ وإنّما الشأن فى الحارّ جدًّا والباردِ جدّا .

وكان محمّد بن عبّاد بن كاسب يقول : واللهِ لَفلانٌ أثقل من مغنٍّ وسط ، وأبغضُ من ظريفٍ وسَط .

ومتى سمعتَ — حفِظك الله — بنادرةٍ من كلام الأعراب ، فإيّاك أن تحكيَها إلا مع إعرابها ومخارجِ ألفاظها ؛ فإنّك إنْ غيّرتَها بأن تلحَنَ فى إعرابها وأخرجْتَها مخارجَ كلام المولّدين والبلديّين ، خرجْتَ من تلك الحكايةِ وعليك

---

(١) التلقاعة والتلقاع ، بكسر التاء واللام وتشديد القاف : الكثير الكلام .

(٢) تلهيع فى كلامه : أفرط فيه .

(٣) الختم على القلب : أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شىء ، كأنه قد طبع . فيما عدا ل : « يحتم » تحريف .

فضلٌ كبير . وكذلك إذا سمعتَ بنادرةٍ من نوادر العوامّ ، ومُلحة من مُلَح الحُشوَة والطَّغام ، فإيّاك وأن تستعمِلَ فيها الإعراب ، أو تتخيّرَ لها لفظاً حسنا ، أو تجعل لها من فيك مخرجاً سَرِيًّا ؛ فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويُخرجها من صورتها ، ومِن الذى أُرِيدَت له ، ويُذهب استطابتَهم إياها واستملاحَهم لها[1] .

ثمّ اعلَمْ أنّ أقبحَ اللّحن لحنُ أصحاب التّقعير والتقعيب ، والتّشديق والتمطيط والجَهْورةِ والتفخيم[2] . وأقبحُ مِن ذلك لحنُ الأعاريب النّازلين على طُرُق السّابلة ، و بقُرب مَجامع الأسواق .

ولأهل المدينة ألسنٌ ذَلِقة ، وألفاظٌ حسنة ، وعبارةٌ جيّدة . واللّحن فى عوامّهم فاشٍ ، وعلى مَن لم يَنظرْ فى النّحو منهم غالب .

واللّحن مِن الجوارى الظِّراف ، ومن الكواعبِ النّواهد ، ومن الشّوابِّ المِلاح ، ومن ذوات الخُدود الغرائر ، أيْسَر . وربّما استَملح الرّجل ذلك منهنّ ما لم تكن الجاريةُ صاحبةَ تكلُّف ، ولكن إذا كان اللحنُ على سجيّة سُكّان البلَد . وكما يستملحون اللّثغاء إذا كانت حديثةَ السن ، ومَقدودةً مجدولة ٩٢
فإذا أسنّتْ واكتهلَتْ تغيّرَ ذلك الاستملاح .

وربّما كان اسمُ الجارية غُلَيِّمَ أو صُبَيَّةَ أو ما أشبه ذلك ، فإذا صارت كهلةً جَزْلة ، وعجوزاً شَهلةً ، وحَملت اللّحمَ وتراكَمَ عليها الشحم ، وصار بَنُوها رجالاً وبناتُها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : يا غُلَيِّمُ كيف أصبحتِ ؟ ويا صُبَيَّة كيفَ أمسيتِ .

ولأمرٍ ما كنّتِ العربُ البناتِ فقالوا : فعلت أمُّ الفضل ، وقالت أمُّ عمرو

---

(١) انظر هذا الرأى أيضاً فى الحيوان (١ : ٢٨٢) .
(٢) الجهورة : مصدر جهور : رفع الصوت وأعلنه . ل : « والجهورية » .

وذهبت أمُّ حكيم . ثم حَثَّ دعاهم ذلك إلى التقدُّم فى تلك الكُنَى . وقد فسَّرنا ذلك كلَّه فى كتاب الأسماء ، والكُنى ، والألقاب والأنباز .

وقد قال مالك بن أسماء(١) فى استملاح اللَّحن من بعض نِسائه(٢) :

أمُغَطًّى مِنّى على بصرى للـ ... حُبِّ أم أنتِ أكملُ النّاسِ حُسنا

وحديثٍ ألَذُّه هو مِمّا ... ينعَتُ الناعِتونَ يُوزَنُ وزنا(٣)

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا ... نًا وأحلَى الحديثِ ما كان لحْنا

وهم يمدحون الحِذقَ والرِّفق ، والتخلُّصَ إلى حَبَّاتِ القلوب ، وإلى إصابة عيونِ المعانى . ويقولون : أصاب الهدَف ، إذا أصابَ الحقَّ فى الجُملة . ويقولون : قَرطَسَ فلان ، وأصاب القِرطَاسَ ، إذا كان أجودَ إصابةً من الأوّل . فإن قالوا رمى فأصاب الغُرّة ، وأصاب عينَ القِرطاس ، فهو الذى ليس فوقَه أحد .

ومن ذلك قولهم : فلان يفلُّ الحزَّ ، ويصيب المَفصِل ، ويضع الهِناء مواضع النُّقَب(٤) .

وقال زُرارةُ بن جَزْء(٥) ، حين أتى عُمرَ بنَ الخطاب رحمه الله فتكلَّم عنده ، ورفعَ حاجتَه إليه :

أتيتُ أبا حفصٍ ولا يستطيعه ... من النّاس إلا كالسِّنان طَرِيرُ(٦)

---

(١) مالك بن أسماء الفزارى : شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء ، زوج الحجاج . وهو ممن عرف بالجمال فى العرب . الأغانى (١٦ : ٤٠ — ٤٦) .

(٢) كذا فهم الجاحظ فى شعر مالك أنه أراد باللحن الخطأ فى الكلام . وقد رجع عن هذا الرأى بعد أن سار كتاب البيان والتبيين فى الآفاق ، وفسر اللحن بأنه التعريض والتورية . انظر تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث .

(٣) فى هامش ل : « خ : تشتهيه النفوس » .

(٤) انظر ما سبق فى ص ١٠٧ .

(٥) زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب الكلابى : صحابى جليل عاش إلى خلافة مروان بن الحكم . انظر الإصابة ٢٧٨٨ حيث نقل ابن حجر نص الجاحظ هنا .

(٦) الطرير ، هو فى الأسنة المحدد ، وفى الناس ذو الرواء والمنظر .

فوفّقني الرحمنُ لمّا لقيتُه ... وللباب مِن دُونِ الخصوم صَريرُ
قُرُومٌ غَيارَى عند بابٍ مُمنَّعٍ ... تُنازِعُ مَلْكاً يهتدي ويجورُ [1]
٩٣ فقلتُ له قولاً أصاب فؤادَه ... وبعضُ كلام النّاطقين غُرورُ

وفى شبيهٍ بذلك يقول عبدُ الرحمن بنُ حسّان :

رجالٌ أصحّاء الجلودِ من الخَنا ... وألسنةٌ معروفة أين تذهب [2]

وفى إصابة فَصّ الشّىء وعينِه ، يقول ذو الرُّمَّة فى مديح بلال بن أبى بردة الأشعرىّ :

تُناخِي عندَ خيرِ فتىً يَمانٍ ... إذا النّكباء عارضَت الشَّمالا [3]
وخيرِهِمُ مآثِرَ أهلِ بيتٍ ... وأكرمِهِمْ وإن كرُموا فَعالا
وأبعدِهِمْ مسافةَ غَوْرِ عقلٍ ... إذا ما الأمرُ فى الشُّبهات عالا [4]
ولُبْسٍ بينَ أقوامٍ فكلٌّ ... أعدَّ له الشَّغازِبَ والمِحالا [5]
وكلُّهمُ ألدُّ له كِظاظٌ ... أعدّ لكلِّ حالِ القوم حالا [6]
فَصَلْتَ بحكمةٍ فأصبتَ منها ... فُصوصَ الحقِّ فانفصَلَ انفصالا

وكان أبو سعيدِ الرّأيِ ، وهو شِرْشِير المدنى [7] يعيب أبا حنيفة ، فقال الشاعر :

---

(١) الغيارى ، بفتح الغين وضمها جمع غيور . يجور ، فى هامش ل : « خ : أى هو من البشر يجوز أن يجور على الغلط » . فيما عدا ل : « وتجور » أى القروم . وهذا البيت لم يروه ابن حجر .

(٢) أى قد صحت وبرئت من الخنا .

(٣) انظر ديوان ذى الرمة ٤٤٢ — ٤٤٣ ثم ٤٤٥ . والنكباء : كل ريح تهب بين ريحين .

(٤) عال : عظم وتفاقم . ل « غالى » وفيما عدا ل : « غالا » صوابهما من الديوان .

(٥) الشغازب : جمع شغزبية وشغزبى ، وهو ضرب من الحيلة فى الصراع . والمحال ، بالكسر : الحيلة .

(٦) الألد : الشديد العداوة . والكظاظ : تجاوز الحد فى العداوة .

(٧) كذا ورد اسمه مضبوطا فى الأصل . ولم أعثر له على ترجمة .

عِندى مسائلُ لا شِرشِيرُ يُحسِنها   عندَ السُّؤالِ ولا أصحابُ شِرشِيرِ
ولا يُصِيب فصوصَ الحقِّ نَعلَمُه   إلا حَنيفيَّةٌ كوفيَّـةُ الدُّورِ[1]

ومما قالوا فى الإيجاز، وبلوغِ المعانى بالألفاظ اليسـيرة، قولُ ثابِت قُطْنَةَ[2] :

مازِلتُ بَعْدَكَ فى همٍّ يجيش به   صَدرى وفى نَصَبٍ قد كاد يُبلينى[3]
لا أُكثِرُ القولَ فيما يَهضِبُون به   مِن الكلام، قليلٌ منه يكفينى[4]
إنّى تذكَّرتُ قتلَى لو شهِدْتُهمُ   فى غَمرةِ الموتِ لم يَصْلَوْا بها دُونى

٩٤ وقال رجلٌ من طيٍّ ومدحَ كلامَ رجلٍ [فقال[5]] : « هـذا كلامٌ يُكتَفَى بأولاه، ويُشتَفَى بأخراه » .

وقال أبو وَجْزَةَ السعدىُّ[6] ، من سعدِ بنِ بكر، يصف كلامَ رجل :

يَكفِى قليلُ كلامِهِ وكثيرُه   ثَبْتٌ إذا طالَ النِّضالُ مُصِيبُ

ومن كلامهم الموجَز فى أشعارهم قولُ العُكْلىّ، فى صفة قوس :

---

(١) نعلمه، جملة حالية، أو نعلمه أى أحد نعلمه، حذف الموصوف كما فى قوله :

* يرمى بكفى كان من أرمى البشر *

فيما عدا ل : « تعلمه » . حنيفية، أى جماعة منسوبة إلى أبى حنيفة . وفى همع الهوامع (٢ : ١٩٠) : « وقاس الكمال أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى، الحنيفى، فى النسبة إلى مذهب أبى حنيفة، فرقا بينه وبين المنسوب إلى قبيلة بنى حنيفة حيث يقال فيه حنفى » .

(٢) هو أبو العلاء ثابت بن كعب، شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية وكان فى صحابة يزيد بن المهلب، ولقب « قطنة » لأن سهماً أصابه فى عينه فى بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قطنة . انظر الأغانى (١٣ : ٤٧ — ٥٤) والخزانة (٤ : ١٨٥) .

(٣) الأبيات فى الأغانى (١٣ : ٥١ — ٥٢) ، وهى فى رثاء المفضل بن المهلب .

(٤) يهضبون فى الحديث : يخوضون فيه دفعة دفعة مع ارتفاع صوت .

(٥) هذه مما عدا ل .

(٦) أبو وجزة هو يزيد بن عبيد، من بنى سعد بن بكر بن هوازن، أظآر النبى صلى الله عليه وسلم . وكان أبو وجزة من التابعين، روى عن جماعة من الصحابة، وهو أحد من شبب بعجوز . انظر الأغانى (١١ : ٧٥ — ٨١) وتهذيب التهذيب، والشعراء لابن قتيبة .

فى كَفِّه مُعطِيَــةٌ مَنُوعُ   مُوثَقَةٌ صابرةٌ جَزُوعُ(١)

وقال الآخَر ، ووصف سَهمَ رامٍ أصابَ حماراً ، فقال :

* حتَّى نجا من شخصه وما نَجا(٢) *

وقال الآخر [وهو(٣)] يصفُ ذئباً :

أطلس يخفى شخصَه غُبَارُهُ(٤)   فى شِــدقِه شَفرتُه ونارُهُ(٥)

هو الخبيثُ عينُــه فرارُهُ(٦)   بَهْمُ بنى مُحاربٍ مُزدارُهُ(٧)

ووصف الآخر ناقة فقال :

* خرقاءُ إلاَّ أنَّها صَنَاعِ(٨) *

يَصف سُرعةَ نقل يديها ورجلَيها ، أنَّها تشبه المرأةَ الخرقاء ، وهى الخرقاء فى أمرها الطَّيَّاشَةُ(٩) . وقال الآخَر ووصف سَهماً صارِداً(١٠) ، فقال :

ألقَى على مفطوحها مَفطوحا(١١)   غادَرَ داءً ونجا صحيحا

---

(١) يعنى بجزعها رنينها وصوتها عند الإنباض . انظر الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٢) فيما عدا ل وكذا فى الحيوان (٣ : ٧٥) : « من جوفه » . أى نجا السهم من جوف الحمار ولم ينج الحمار من الهلاك .

(٣) هذه مما عدا ل . وانظر الرجز فى الكامل ٢٠٨ وجمهرة العسكرى ١٩ وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) والكامل ٢٠٨ ومحاسن البيهقى (٢ : ١٣٤) والحيوان (٦ : ٤٣٨) .

(٤) الأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد . وأراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفى شخصه .

(٥) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . عنى أنه قد استغنى بأنيابه عن معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار .

(٦) هذا البيت وتاليه ليس فى ل . والفرار ، مثلثة الفاء : أن يفر عن أسنان الدابة ليعلم سنه . أى تعرف خبثه فى عينه إذا أبصرته . يضرب مثلا لمن يدل ظاهره على باطنه .

(٧) مزداره : موضع زيارته وسطوه .

(٨) الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) هذا التفسير ساقط مما عدا ل .

(١٠) الصارد : النافذ المصيب ، وهو المخطئ أيضاً . والمراد الأول .

(١١) انظر العمدة (١ : ١٦٨) واللسان (فطح) . وفيه : « على فطحاتها » . قال : « وعنى بالفطحاء الموضع المنبسط منها ، كالفريصة » .

[المفطوح الأوّل للقوس ، وهو العريض ، وهو ها هنا موضع مقبض القوس . والمفطوح الثانى : السهم العريض . يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضاً[١]] .

وقال الآخر :

إنّكَ يا ابنَ جعفرٍ لا تُفلحُ   اللّيلُ أخفَى والنّهارُ أفضحُ[٢]

وقالوا فى المثَل : « الليلُ أخفَى لِلوَيل » . وقال رؤبة يصف حمارا[٣] :

حَشْرَجَ فى الجوف سَحيلاً وشَهَقْ   حتّى يُقالُ ناهــقٌ وما نَهَقْ

الحشرجة : صوت الصّدر . والسَّحِيل : صوت الحمار إذا مدّه . والشَّهيق : أن يُقطِّع الصّوت .

وقال بعضُ ولدِ العبّاس بن مِرْداسٍ السُّلَمىّ ، فى فرس أبى الأعور السُّلمىّ[٤] :

جاء كلَمْعِ البَرْقِ جاشَ ناظره[٥]   يَسبحُ أولاه ويَطفو آخِرُه ٩٥

* فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُه *

قوله : جاش ناظره ، أى جاش بمائه . وناظر البرق : سحابُه . يسبح ، يعنى بعد ضَبْعَيْه ، فإذا مدَّهما علا كَفَلُه . وقال الآخر :

* إن سرّكَ الأهوَنُ فابدأْ بالأشدّ *

وقال العجّاج :

يمكُنُ السّيفَ إذا السّيفُ انأطَرْ[٦]   مِن هامَةِ اللّيثِ إذا ما اللّيثُ هَرّ[٧]

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) أنشد الجاحظ البيت الأول فى الحيوان (١ : ٢٨٥) والثانى فى (٣ : ٢٢) .

(٣) ديوان رؤبة ١٠٦ .

(٤) أبو الأعور السلمى مشهور بكنيته . واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس . وهو صحابى قائد ، غزا قبرس سنة ٢٦ وكانت له مواقف بصفين مع معاوية . الإصابة ٥٨٤٦ .

(٥) كتب فى ل : « ماطره » فوق « ناظره » .

(٦) انأطر : انعطف وانثنى . وانظر ديوان العجاج ١٨ .

(٧) هر : زأر . فيما عدا ل : « إذا الليث هتر » تحريف .

كجَمَلِ البحر إذا خاضَ جسر غَوارِبَ اليَمِّ إذا اليمُّ هَدَرْ(١)

* حتى يُقالَ حاسِرٌ وما حَسَرْ(٢) *

قالوا : جمل البحر سمكةٌ طولها ثلاثون ذراعا . يقول : هذا الرجل يبعد كما تبعد هذه السمكة بجسارة ، لا يردُّها شيء ، حتّى يقال كاشف وما انكشف البحر . يقال : البحر حاسِرٌ وجازِرٌ . يقول : حتّى يحسب النّاسُ من ضِخَمِ ما يبدو من هذا الجمل ، أنّ الماء قد نضَب عنه ، وأنّ البحر حاسِرٌ(٢) . وقال آخر :

يا دارُ قد غيَّرها بِلاهَا كأنّما بقلمٍ محاها(٣)

أخْرَبها عُمرانُ مَن بَناها وكَرُّ مُمساها على مَغناها(٤)

وطفِقَتْ سحابةٌ تَغشاها تبكي على عِراصِها عيناها

قوله : أخْرَبها عُمران مَن بناها ، يقول : عمَّرها بالخراب . وأصل العُمران مأخوذ من العَمْرِ ، وهو البقاء ، فإذا بقى الرّجُل فى داره فقد عَمَرها . فيقول : إنّ مُدّة بقائه فيها أبلَتْ منها ؛ لأنّ الأيّام مؤثِّرة فى الأشياء بالنّقص والبِلَى ، فلما بقِيَ الخرابُ فيها وقام مَقام العُمران فى غيرها ، سُمّى بالعُمران . وقال الشاعر(٥) :

يا عَجَّلَ الرّحمنُ بالعذابِ لِعامرات البيتِ بالخراب

يعنى الفار . يقول : هذا عُمرانها ، كما يقول الرّجل : «ما نَرَى من خيرك ٦٩

(١) غوارب اليم : أعالى موجه .
(٢) فيما عدا ل : «جاسر وما جسر» .
(٣) هذا التفسير كتب فى هامش التيمورية ، وأشير إلى أنه فى نسخة . فى صلب سائر النسخ بدل هذا التفسير تفسير آخر ، وهو «اليم معظم الماء . وغوارب اليم : معظمه ، جسر : قطع ، ومنه قيل للجسر جسر لأن الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر ، أى قطع الأمر وهو بعد فيه ، لما يرون من مدانه فيه وقوته عليه» .
(٤) ل فقط : «مندناها» ، وهو الوجه الذى نرتضيه فى رواية البيت ، لكن التفسير الذى سيرد فيما بعد يؤيد ما أثبت من سائر النسخ .
(٥) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر . انظر ديوان المعانى (٢ : ١٥١) والحيوان (٤ : ٢٧٤/٥ : ٣٤ ، ٢٥٨) .

ورِفدكَ ، إلاَّ ما يبلغنا مِن حَطْبِكَ علينا[١] ، وفَتِّكَ فى أعضادنا » .

وقال الله عزّ وجل : ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . والعذابُ لا يكون نُزُلاً ، ولكنْ لمَّا قامَ العذابُ لهم فى موضع النَّعيم لغيرهم ، سُمِّى باسمه . وقال الآخَر :

فقلتُ أطعِمْنى عُمَيْرُ تَمْرا ... فكان تمرى كَهْرَةً وزَبْرا[٢]

والتَّمر لا يكون كَهْرَة ولا زَبْراً ، ولكنّه على ذا . وقال الله عزّ وجل : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، وليس فى الجنَّة بُكرةٌ ولا عشىّ ، ولكنْ على مقدارِ البُكَرِ والعشيَّاتِ . وعلى هذا قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ . والخزَنة : الحَفَظة . وجهنّمُ لا يضيع منها شىء فيُحفظ ولا يختار دُخولَها إنسانٌ فيُمنعُ منها ، ولكنْ لمّا قامت الملائكةُ مَقامَ الحافظ الخازن سُمِّيت به .

قوله : مُمْساها ، يعنى مَساءها . ومغناها : موضعها الذى أقيم فيه . والمغانى : المنازل التى كان بها أهلُوها . وطَفِقَت ، يعنى ظَلَّت . تبكى على عِراصها عَيناها ، عيناها ها هنا للسَّحاب . وجَعل المطرَ بكاءً من السَّحاب على طريق الاستعارة ، وتسميةِ الشَّىء باسم غيرِه إذا قام مَقامه . ويقال لكلِّ جَوْبةٍ مُنْفَتِقةٍ ليس فيها بناء : عَرْصة .

وقال أبو عَمرِو بنُ العَلاء : اجتمع ثلاثةٌ من الرُّواة فقال لهم قائل : أىُّ نِصفِ بيتِ شِعْرٍ أحكَمُ وأوجَز ؟ فقال أحدهم : قول حُميد بن ثَور الهِلالىّ :

---

(١) ما يبلغنا ، أى ما يصل إلينا . وفى اللسان : « وحطب فلان بفلان : سعى به » . ل : « خطك فيناء . فيا عدا ل : « من خطبك علينا » ورأيت الصواب فيا أثبت .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . وانظر الخلاف فى رواية الرجز الحيوان (٤ : ٢٧٤/٥ : ٣٣) والمخصص (٢ : ١٣٤) .

* وحَسْبُكَ داءً أن تَصحَّ وتَسْلَما[١] *

ولعلَّ حُميداً أن يكون أخذَه عن النَّمر بن تولب ، فإنّ النمر قال[٢] :

يُحبُّ الفتى طُولَ السَّلامةِ والغِنى ... فكيفَ تَرَى طُولَ السَّلامةِ يَفعلُ[٣]

وقال أبو العتاهية :

* أسْرَعَ في نقصِ امرئٍ تَمامُه[٤] *

ذهب إلى كلام الأوّل : « كُلُّ ما أقام شَخَص ، وكلُّ ما ازداد نقَص ، ولو كان النّاسُ يُميتهم الدّاء ، إذاً لأعاشَهم الدّواء[٥] » .

وقال الثانى من الرُّواة الثلاثة : [بل[٦]] قولُ أبى خِراشٍ الهُذَلىّ[٧] : ٩٧

* نُوكَّلُ بالأدنَى وإنْ جَلَّ ما يَمضِى[٨] *

وقال الثالث من الرُّواة : بل قولُ أبى ذُؤيبِ الهُذَلىّ :

* وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنَعُ[٩] *

---

(١) صدره كما فى الحيوان (٦ : ٥٠٣) :

* أرى بصرى قد رابنى بعد صحة *

(٢) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « قال النمر » فقط .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٣) والأغانى (١٩ : ١٥٩) والمعمرين ٦٣ .

(٤) فى الأصل : « نقض » ، بالضاد المعجمة ، وكذا ورد فى الحيوان (٦ : ٥٠٢) لكن فى الحيوان (٣ : ٤٧٩) وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) : « نقص » ، وهو الأمثل .

(٥) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٢) .

(٦) هذه مما عدا ل .

(٧) أبو خراش الهذلى : هو خويلد بن مرة ، مخضرم أدرك زمان عمر بن الخطاب وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين ، ومات فى زمان عمر . الإصابة ٢٤١ والأغانى (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والخزانة (١ : ١١٢) والشعراء لابن قتيبة .

(٨) عجز بيت من مرثية له رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٢٦) يرثى بها أخاه عروة بن مرة الشاعر الهذلى ، أحد إخوته الشعراء العشرة . وصدره :

* على أنها تعفو الكلوم وإنما *

والقصيدة بتمامها فى نسخة الشنقيطى من ديوان الهذليين .

(٩) من مرثيته المشهورة ، فى أول ديوانه والمفضليات (٢ : ٢٢١ — ٢٢٩) . وصدره :

* والنفس راغبة إذا رغبتها *

فقال قائل : هـذا من مفاخر هُذيل : أن يكون ثلاثةٌ من الرُّواة لم يصيبوا فى جميعِ أشعار العرب إلاَّ ثلاثةَ أنصافٍ ، اثنانِ منها لهذيلٍ وحدها . فقيل لهذا القائل : إنّما كان الشرط أن يأتوا بثلاثةِ أنصافٍ مستغنياتٍ بأنفسها ، والنّصف الذى لأبى ذؤيبٍ لا يَستغنى بنفسه ، ولا يَفهم السامعُ معنى هذا النّصفِ حتّى يكون موصولاً بالنّصف الأول ؛ [لأنّك إذا أنشدتَ رجلاً لم يسمَع بالنّصف الأوّل[١]] وسمِع :

* وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنَعُ *

قال : مَن هذه التى تُرَدُّ إلى قليلٍ فتقنع . وليس المُضمَّن[٢] كالمطلَق ، وليس هذا النّصف مما رواه هذا العالم ، وإنما الرِّواية قولُه :

* والدّهر ليس بمُعْتبٍ مَن يجزَع[٣] *

* * *

وممّا مَدحوا به الإيجازَ والكلامَ الذى هو كالوحى والإشارة ، قولُ أبى دؤاد ابن حَرِيز الإيادِىّ[٤] :

يرمُونَ بالخُطَب الطِّوالِ وتارةً   وَحْىَ المَلاحظ خِيفةَ الرُّقَباء

فَمدَح كما ترى الإطالةَ فى موضعها ، والحذفَ فى موضعه .

ومما يدلُّ على شَغَفهم وكَلَفهم ، وشِدّة حبِّهم للفَهْم والإفهام ، قولُ الأسدىّ فى صفةِ كلامِ رجلٍ نَعَت له موضعاً من تلك السباسِب التى لا أمارة فيها ، بأقلِّ اللّفظ وأوجزه ، فوَصَف إيجازَ النّاعت ، وسرعةَ فهمِ المنعوت له ، فقال :

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) ل : « المضمر » .

(٣) هو عجز مطلع مرثيته . وصدره :

* أمن المنون وريبها تتوجع *

(٤) فى الأصول : « بن جرير الإيادى » . وانظر ما سبق فى ٤٢ ، ٤٤ .

بضربةِ نَعْتٍ لم تُعَدْ غيرَ أنني   عَقُولٌ لأوصافِ الرِّجالِ ذَكُورُها[١]

وهذا كقولهم لابن عبّاس : أنَّي لكَ هـذا العلم ؟ قال : « قلبٌ عقولٌ ، ولسانٌ سؤولٌ[٢] » .

وقال الرّاجز[٣] :

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنْ[٤]   جُبْتُهما بالنَّعْتِ لا بالنَّعتَيْنْ[٥] ٩٨

ظهراهما مِثْلُ ظُهورِ التُّرْسَيْنْ[٦]   قطعته بالأمّ لا بالسَّمْتَيْنْ[٧]

* * *

وقالوا فى التحذير من مِيسم الشِّعر ، ومن شدّة وقع اللسان ، ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجوّ ، قال امرؤ القيس :

ولو عن نَثَا غَـيرِهِ جاءنى   وجُرْحُ اللِّسانِ كجرحِ اليدِ[٨]

وقال طَرَفة بن العَبْد :

بحُسامِ سَيْفِكَ أو لسانِكَ والـ   ـكَلِمُ الأصيلُ كأرغبِ الكَلْمِ[٩]

---

(١) ل فقط : « بغت » تحريف . على أنه قد كتب فى هامشها « خ : نعت » .

(٢) انظر ما سبق من الكلام على الخلاف فى نسبة هذا القول ص ٨٤ — ٨٥ .

(٣) هو خطام المجاشعى ، أوهميان بن قحافة . انظر الخزانة (٣ : ٣٧٤ — ٣٧٦). وكتاب سيبويه (١ : ٢٤١/٢ : ٢٠٢) .

(٤) المهمه : القفر المخوف . والقذف ، بالتحريك : البعد . فيما عدا ل : « فدفدين » . وقد نبه العينى على هذه الرواية . والمرت ، بالفتح : التى لا ماء فيها ولا نبات .

(٥) وصف نفسه بالحذق والمهارة . والعرب يفخرون بمعرفة الطرق .

(٦) يستشهد به النحويون على الجمع بين لغتى التثنية والجمع فى المضاف إلى المثنى إذا كان بعض ما أضيف إليه . وهذا البيت وما بعده فى ل فقط .

(٧) الرواية المعروفة : « بالسمت لا بالسمتين » .

(٨) النثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وبعده :

لقلت من القول ما لا يزا   ل يؤثر عنى يد المسند

(٩) حسام السيف : طرفه الذى يضرب به . والكلم ، بفتح فكسر : جمع كلمة . أرغب : أوسع . والكلم : الجرح . ل : « والكلم الرغيب » صوابه فى سائر النسخ وديوان طرفة ٦١ .

قال وأنشدنى محمد بن زياد[١] :

تَحَيَّتُ شَماساً كما تَلْحَى العِصِى   سَبًّا لو أنّ السبَّ يُدمِى لدَمِى
مِن نَفَرٍ كلُّهُمُ نِكسٌ دَنِى   مَحامِدِ الرَّذْلِ مشائيمِ السَّرِى[٢]
مَخابِطِ العِكْمِ مَوَادِعِ المَطِى[٣]   مَتارِكِ الرَّفِيقِ بالخَرْقِ النَّطِى[٤]

وأنشد محمد بن زياد :

تمنّى أبو العَفّاقِ عندى هَجْمَةً   تُسَهِّلُ مأوى لَيلِها بالكلاكِلِ[٥]
ولا عَقْلَ عندى غيرُ طعنٍ نَوافِذٍ   وضَربٍ كأشداقِ الفِصالِ الهَوادِلِ
وسبٍّ يَوَدُّ المرءُ لو ماتَ قبلَهُ   كَصَدْعِ الصَّفا فَلَّقْتَه بالمعاوِلِ[٦]

الهَجْمَةُ : القِطعة من النُّوق فيها فَحْل . والكَلْكَل : الصَّدر . والفِصال : جمع فَصِيل ، وهو ولد النّاقة إذا فُصِل عنها . والهوادل : العظام المَشافِر . والعقل هاهنا الدِّيَةُ . والعاقلة : أهل القاتل الأدنَوْن والأبعدُون . والصَّفا : جمع صفاةٍ وهى الصخرة . وقال طَرَفَة :

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابى ، الكوفى ، كان رواية لأشعار القبائل ناسبا ، وأحد العالمين بالأئمة المشهورين بمعرفتها ، أخذ عن المفضل والكسائى ، وأخذ عنه ثعلب وابن السكيت . ولد ليلة وفاة أبى حنيفة سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٣١ . وفيات الأعيان وبغية الوعاة .

(٢) القياس فى مفرد محامد ، محمد بالكسر ، وفى مفرد مشائيم مشئام . ولم أجدهما فى معجم .

(٣) العكم ، بالكسر : العدل مادام فيه المتاع . والمخابط ، من الخبط وهو طلب المعروف . موادع المطى ، أى مطيهم مودوعة لا يجهدونها .

(٤) الخرق ، بالفتح . القفر ، والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والنطى : البعيد . وهذا البيت لم يرد فى ل .

(٥) أبو العفاق ، لعله أراد به الذئب ؛ لأنه يعفق ؛ أى يسرع فى العدو . وفى الحيوان (٦ : ٤١٣) : «أبو اليقظان» ، وهى كنية للذئب أيضا ؛ لأنه

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى   بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

ولم أجد هاتين الكنيتين فيما لدى من المراجع . وفى القاموس أن أبا اليقظان اسم الديك .

(٦) فى الحيوان : «كوقع الهضاب صدعت بالمعاول» .

رأيتُ القوافِي يَتَّلجن مَوالجاً ... تضايَقُ عنها أن تَوَلَّجها الإبَرْ[١]

٩٩ وقال الأخطل :

حتَّى أقَرُّوا وهم مِنِّى على مَضَض ... والقولُ ينفُذ ما لا تَنفُذُ الإبَرْ[٢]

وقال العُمانىّ :

إذ هُنَّ فى الرَّيطِ وفى المَوادع ... تُرْمَى إليهنَّ كبَذْرِ الزّارع

الرَّيط : الثياب ، واحدها رَيْطَةٌ ؛ والرَّيطة : كلُّ ملاءةٍ لم تكن لِفقين . والحلّة لا تكون إلاّ ثوبين ، والمَوادع : الثِّياب التى تَصون غيرَها ، واحِدها مِيدعَةٌ .

وقالوا : « الحرب أوّلُها شكوَى ، وأوسَطُها نَجْوى ، وآخرُها بَلوَى » .

وكتب نصر بن سَيّارٍ ، إلى ابن هبيرة[٣] ، أيّامَ تحرُّكِ أمرِ السّواد بخُراسان[٤] :

أرَى خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ جَمْرٍ ... فيوشِكُ أن يكون له اضطرام[٥]

فإنَّ النارَ بالعُودين تُذْكَى ... وإنّ الحربَ أوّلُها الكلام[٦]

فقلتُ من التعجُّبِ ليتَ شِعرِى ... أأيقاظٌ أميَّةُ أم نِيامُ[٧]

---

(١) القوافى : القصائد . يتلجن ؛ يدخلن ، أصله يوتلجن من الولوج والبيت فى ديوان طرفة ٤ .

(٢) فى ديوان الأخطل ١٠٥ : « حتى استكانوا وهم منى على مضض » .

(٣) كان نصر بن سيار عامل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية على خراسان ، وكان ابن هبيرة — وهو يزيد بن هبيرة — عامله على العراق . وفى تاريخ الطبرى (٩ : ٩٢) أنه كتب بالشعر إلى مروان بن محمد .

(٤) السواد : شعار العباسيين ، وأول من أظهر السواد أبو مسلم الخراسانى ، داعى الدولة العباسية فى خراسان .

(٥) الطبرى : « بين الرماد » . ل : « لها ضرام » . وفى الطبرى : « فأحج بأن يكون له ضرام » . أحج : أجدر .

(٦) ما عدا ل : « أولها كلام » . الطبرى : « مبدؤها الكلام » .

(٧) ل : « أقول » .

فإن كانُوا لِحَيْنِهِمُ نِياماً   فقُلْ قوموا فقـد طال المنام[١]

وقال بعض المولدين :

إذا نلتَ العطيَّةَ بَعْـد مَطْلٍ   فلا كانت، وإن كانت جَزِيلَهْ
فسَقْياً للعطيَّة ثُمَّ سَقْيا   إذا سَهُلت ، وإن كانت قليلَهْ
وللشُّعراء ألسنةٌ حِدادٌ   على العَوْرات مُوفِيَةٌ دليلَهْ
ومِنْ عَقْل الكريم إذا اتَّقاهُمْ   وداراهُمْ مُداراةً جَميلَهْ[٢]
إذا وضَعُوا مَكاوِيَهم عليـهِ ،   وإنْ كذَبوا ، فليس لهنَّ حيلَهْ[٣]

وقالوا : « مذاكَرة الرِّجال تلقيحٌ لألبابها » .

ومما قالوا في صفة اللِّسان قولُ الأسديّ[٤] ، أنشدنيها ابنُ الأعرابيّ :

وأصبحتُ أعددتُ للنّائبا   تِ عِرْضا بريئاً وعَضْبا صقيلا[٥]
ووقعَ لِسانٍ كحدِّ السِّنا   نِ ورُمحاً طويلَ القناةِ عَسُولا[٦]

١٠٠ وقال الأعشى :

وأدْفع عن أعراضكم وأُعِيركم   لساناً كمِقْراض الخَفاجيِّ مِلْحَبا[٧]

[المِلحَب : القاطع[٨]] .

---

(١) فيما عدا ل : « حان القيام » . وهذا البيت لم يروه الطبرى . وزاد الطبرى فى الخبر : « فكتب إليه : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثؤلول قبلك . فقال نصر : أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) المكاوى : جمع مكواة . أراد لواذع الهجاء . أى ليس لتلك المكاوى من حيلة وإن كانت كذبا .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمى . والبراجم من أسد بن ربيعة . انظر المفضليات (٢ : ١٨٦) حيث القصيدة ، والاشتقاق ١٩٧ .

(٥) العضب : السيف القاطع .

(٦) العسول : المضطرب لينه .

(٧) وكذا فى الديوان ٩٠ . لكن فيما عدا ل : « أدافع » .

(٨) هذا الشرح ليس فى ل .

الخفاجىّ : رجُلٌ إسكاف منسوب إلى خفاجة[١] .

وقال ابنُ هَرْمَة :

قل للذى ظَلّ ذا لونَين يأ كُلُنى　　لقـد خَلوتَ بلحمٍ عادِمِ البَشَمِ[٢]
إيّاكَ لا أُلزِمَنْ لَحْيَيْك من لُجُمى　　نِكْلا يُنكِّل قرّاصاً من اللُّجُمِ[٣]
إنى امرؤٌ لا أصوغُ الحَلْيَ تَعمَلُهُ　　كَفّاىَ ، لكنْ لسانى صائغُ الكَلِمِ

وقال الآخر :

إنّي بغَيتُ الشِّعرَ وابتغانى　　حتّى وجدتُ الشِّعرَ فى مكانى
* فى عَيْبَةٍ مِفتاحُها لِسانى *

وأنشد :

إنّي وإنْ كانَ ردائى خَلَقا[٤]　　وبَرْنَكانِى سَمَلاً قد أخلَقا[٥]
* قد جَعل اللهُ لسانى مُطلَقا *

---

(١) هذا الشرح ساقط مما عدا ل . وفى شرح الديوان : « نسبة إلى خفاجة بن معاوية ابن عقيل » .

(٢) ذكر أبو الفرج فى (٤ : ١٠٦) من سبب هذا الشعر أن المسور بن عبد الملك المخزومى كان يعيب شعر ابن هرمة ، وكان المسور هذا عالما بالشعر والنسب ، فقال ابن هرمة فيه ما قال . عادم البشم ، أى لا يبشم من أكله ، وذلك لعجزه عن مضغه .

(٣) النكل ، بالكسر : اللجام أو حديدته . قراصا : قطاعا ؛ القرص : القطع .

(٤) فيما عدا ل : « إزارى » . والأبيات فى اللسان (برنك) .

(٥) البرنكان ، كزعفران : قال ابن منظور كساء من صوف له علمان . وفى القاموس : « ويقال للكساء الأسود البركان والبركانى — بتشديد الراء فيهما — والبرنكان كزعفران والبرنكانى » . وفى المعرب ٦٩ : « والبرنكان يقال كساء برنكانى ، وليس هو بعربى ، والجمع برانك ، وقد تكلمت به العرب » . لكن فيه ٥٦ : « ابن دريد : والبرنكان بالفارسية وهو الكساء » . على أن نص ابن دريد فى الجمهرة (٣ : ٣٠٨) : « والبرنكان أيضا ، كساء برنكانى . ليس بعربى » . فالنص الأخير من المعرب غريب .

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

قال أبو عثمان : والعَتَّابيّ حين زعم أنّ كلّ مَن أفهمك حاجتَه فهو بليغ(٢) لم يَعْنِ أنّ كلّ مَن أفهمَنا مِنْ معاشر المُوَلَّدِين والبلديِّين قَصْدَه ومعناه ، بالكلام الملحون ، والمعدول عن جهته ، والمصروف عن حقّه ، أنّه محكوم له بالبلاغة كيف كان ، بعد أن نكون قد فهِمْنا عنه . ونحن قد فهمنا(٣) معنى كلامِ النَّبَطيّ الذى قيل له : لِمَ اشتريتَ هذه الأتان ؟ قال : « أركبُها وتَلَدَ لى(٤) » . وقد علِمْنا أنّ معناه كان صحيحاً .

وقد فهمنا قول الشيخ الفارسيّ حين قال لأهل مجلسه : « ما من شرّ من دَيْن » . وأنّه قال حين قيل له : ولم ذاك يا أبا فلان ؟ قال : « مِن جَرّى يتعلّقون(٥) » . وما نشكّ أنه قد ذَهب مذهباً ، وأنّه كما قال .

وقد فهمنا(٦) معنى قول أبى الجَهير الخُراسانيّ النخّاس ، حين قال له الحجّاج أتبيع الدوابّ المَعِيبَة من جُنْد السلطان ؟ قال : « شريكانَنا(٧) فى هوازها ، وشَريكانَنا(٧) فى مداينها . وكما تجىء نكون(٨) » . قال الحجّاج : ما تقول ،

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١١٣ س ٩ — ١٠ .

(٣) جلة « ونحن قد فهمنا » ، ساقطة مما عدا ل .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٧٤ س ٥ — ٧ . ل فقط : « وتولد لى » .

(٥) من جراه ، أى من أجله . وفى اللسان (جرر) : « وربما قالوا من جراك غير مشدد ، ومن جرائك بالمد من المعتل » . وكتب إزاءها فى التيمورية : « أى من أجـل » . أراد من جرى الدائنين الذين يتعلقون بمدينهم .

(٦) هاتان من ل فقط .

(٧) جمع لفظ « شريك » على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون ، كما يقولون فى مَرد ، بمعنى رجل : مَردان . فيما عدا ل : « شريكانا » .

(٨) فيما عدا ل : « تكون » بالتاء .

ويلك ! فقال بعضُ من قد كان اعتاد سماعَ * الخطأ وكلامِ العُلوج بالعربيّةِ حتّى ١٠١ صار يفهمُ مثلَ ذلك : يقول : شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن ، يبعثون إلينا بهذه الدّوابّ ، فنحن نبيعُها على وُجوهها .

وقلت لخادمٍ لى : فى أىِّ صناعةٍ أسلموا هذا الغلام ؟ قال : « فى أصحاب سِنْدِ نِعال » يريد : فى أصحاب النِّعال السِّندية . وكذلك قولُ الكاتب المِغلاق للكاتب الذى دُونَه : « اكتب لى قل خطين[1] وريحنى منه » .

فمن زعم أنّ البلاغةَ أن يكون السامعُ يفهمُ معنى القائلِ ، جعَلَ الفصاحةَ واللُّكنة ، والخطأ والصّوابَ ، والإغلاق والإبانة ، والملحونَ والمُعرب ، كله سواء ، وكلّه بيانا . وكيف يكون ذلك كلُّه بيانا ، ولولا طولُ مخالطة السامع للعجَم وسماعِهِ للفاسد من الكلام ، لما عَرَفه . ونحن لم نَفهم عنه إلا للنّقص الذى فينا . وأهلُ هذه اللُّغةِ وأربابُ هذا البيانِ لايستدلُّون على معانى هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رِطانة الرُّوميّ والصَّقْلبى ، وإن كان هذا الاسم إنّما يستحقُّونه بأنّا نَفهم عنهم كثيراً من حوائجهم . فنحن قد نَفهم بحَمْحَمة الفرَس كثيراً من حاجاته ، ونفهم بضُغاء السِّنَّور كثيراً من إرادته[2] . وكذلك الكلبُ ، والحمار ، والصبيُّ الرّضيع .

وإنّما عنى العتّابى إفهامَكَ العربَ حاجتَك على مَجارِى كلام العربِ الفُصحاء . وأصحابُ هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منّا : « مُكرهٌ أخاك لا بطل » . و : « إذا عزّ أخاكَ فهُنْ[3] » . ومَن لم يفهم هذا لم يفهم قولَهم : ذهبتُ إلى أبو زيد، ورأيت أبى عمرو[4] . ومتى وجد النحويّون أعرابيا يفهم هذا وأشباهَه بَهْرَجُوه ولم

---

(١) فيما عدال : « حطين » .

(٢) ب فقط : « ارادانه » . وانظر الحيوان (١ : ٣٢) .

(٣) جاء هذا المثل وسابقه على لغة من يعرب الأب والأخ إعراب المقصور مطلقا .

(٤) هذا على الحكاية . انظر همع الهوامع (٢ : ١٠٤) .

يسمعوا كلامَه[1] ؛ لأنّ ذلك يدلُّ على طول إقامته فى الدّار التى تفسد اللُّغة وتنقُص البيان . لأنّ تلك اللُّغةَ إنّما انقادت واستوت ، واطّردت وتكاملت ، بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة ، [وفى تلك الجيرة[2]] ، ولفقد الخُلطاء من جميع الأمم .

ولقد كان بين زَيد بن كَثْوَةَ[3] يومَ قدِم علينا البصرة ، وبينَه يوم مات بَونٌ بعيد . على أنّه قد كان وضع منزلَه فى آخر موضعِ الفصاحة وأوّلِ موضع العُجمة ، وكان لا ينفكُّ من رواةٍ ومُذاكِرين .

١٠٢ وزعم أصحابنا البَصريُّون عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : لم أرَ قرويَّين أفصحَ من الحسن والحجّاج ، وكان — زعموا — لا يبرِّئهما من اللَّحن .

وزعم أبو العاصى أنّه لم يرَ قرويًّا قط لا يلحن فى حديثه ، وفيما يجرى بينه وبين الناس ، إلاّ ما تفقّده من أبى زيدٍ النحوىّ ، ومن أبى سعيد المُعلِّم . وقد روَى أصحابُنا أنّ رجلاً من البلديّين قال لأعرابىّ : « كيفَ أهلِكْ » قالها بكسر اللام . قال الأعرابىُّ : صَلْباً . لأنّه أجابه على فَهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسألةَ عن أهله وعيالِه .

وسمعت ابن بَشيرٍ[4] وقال له أبو المفضّل العنبرىّ[5] : إنى عثَرت البارحةَ بكتابٍ ، وقد التقطته ، وهو عندى ، وقد ذكروا أنّ فيه شعراً ، فإنْ أردتَه

---

(١) فيما عدا ل : « ولم يسمعوا منه » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) فيما عدا ل : « يزيد بن كثوة » تحريف ، جاء على الصواب فى مواضع متعددة من الحيوان . وفى اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهرى : وكثوة ، بالفتح : اسم أم شاعر ، وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل :

ألا إن قومى لا تلط قدورهم ولكنما يوقدن بالعذرات » .

(٤) هو على بن بشير ، كما سيأتى فى (٢ : ٧) من أرقام الأصل .

(٥) أبو المفضل العنبرى ، يبدو أنه أحد الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروى عنهم العلماء . ل : « أبو الفضل » .

وهبتُه لك . قال ابن بَشير[١] : أريده إن كان مقيَّداً . قال : والله ما أدرى أمقيَّدٌ هو أم مغلول[٢] . ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته .

وحكى الكسائيّ أنّه قال لغلامٍ بالبادية : من خَلَقْك ؟ وجزم القاف ، فلم يدرِ ما قال ، ولم يجبْه ، فردَّ عليه السؤالَ فقال الغلام : لعلك تريد مَن خَلَقَك .

وكان بعضُ الأعراب إذا سمع رجلاً يقول نعم فى الجواب ، قال : « نَعَمٌ وشاءٌ ؟ » ؛ لأنّ لغته نَعِمْ[٣] . وقيل لعُمر بن لجأ : قل « إنّا من المجرمين منتقمِين » . قال : ﴿ إنّا مِنَ المجرِمين منتقِمُون ﴾ .

وأنشد الكسائى كلاماً دار بينه و بين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَبٌ مَا عَجَبٌ أعجبنى ... من غُلامٍ حَكَمِيٍّ أَصُلَا[٤]
قلت هل أحسستَ ركبا نَزَلُوا ... حَضَناً ما دونَه قال هَلا[٥]
قلت بَيِّن ما هَلاَ هل نزلوا ... قال حَوباً ثم ولّى عَجِلَا[٦]
لستُ أدرى عندها ما قال لى ... أنَعم ما قال لى أم قال لا
تلك منـــه لغةٌ تعجبنى ... زادت القلب خبالا خَبَلا

***

---

(١) ل : « ابن يسير » .
(٢) فيا عدا ل : « أكان مقيدا أو مغلولا » .
(٣) نعم ، بكسر العين : لغة فى نعم . وبهما قرئ .
(٤) هو عمر بن لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح إسلامى ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير ، وكان جرير أسنّ منه ، وكان عارفا بمثالب القبائل . انظر الأغانى (١٩ : ٢٢) والنقائض ٤٨٧ — ٤٩١ ، ٩٠٧ والجمحى ١٥٠ — ١٥٣ والمرزبانى ٤٧٨ والموشح ١٢٧ — ٢٩ ، والشعراء .
(٥) حكمى : نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة . أصلا ، أى وقت الأصل ، وهو جمع الأصيل بمعنى العشى . وتقرأ أيضا « أصلا » ككرم ، أصل : صار ذا أصل .
(٦) حضن ، بالتحريك : جبل بنجد .
(٧) هلا : زجر يزجر به الفرس . فى هامش ل : « هلا معناه حرك لتدركهم » . وحوب بالفتح : زجر للبعير ليمضى .

قال أبو الحسن : قال مولى زيادٍ لزيادٍ : أهدَوا لنا حمارَ وَحْش . قال : أيّ شيء تقولُ ويلَك ؟ قال : « أهدَوْا لنا أيراً » ، يريد : أهدَوْا لنا عيرا . قال زياد : ويلَك ، الأوّلُ خير[1] .

وقال الشّاعر يذكر جاريةً له لَكْناء :

١٠٣ أكثرُ ما أسمعُ منها بالسَّحَر[2] تذكيرُها الأنثى وتأنيثُ الذَّكَر

والسَّوأة السَّوآء فى ذِكر القمَر

فزيادٌ قد فهم عن مولاه ، والشاعر قد فهم عن جاريته[3] ولكنّهما لم يفهما عنهما من جهة إفهامهما لهما ، ولكنّهما لمّا طال مُقامهما فى الموضع الذى يكثرُ فيه سماعُهما لهذا الضَّرب ، صارا يفهمان هذا الضَّربَ من الكلام .

(١) سبق الخبر فى ص ٧٣ .

(٢) فيا عدا ل : « فى السحر » . والرجز مضى فى ص ٧٣ .

(٣) فيا عدا ل : « وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته » .

ذكر ما قالوا فى مديح اللِّسان

بالشعر الموزون واللفظ المنثور ، وما جاء فى الأثر وصحّ به الخبر

قال الشّاعر :

أرى النّاسَ فى الأخلاق أهلَ تخلّقٍ وأخبارُهم شتّى فعُرْف ومُنكَر[1]
قريباً تدانيهم إذا ما رأيتَهم ومختلفاً ما بينهم حين تَخْبُرُ
فلا تحمَدنّ الدّهرَ ظاهرَ صفحةٍ مِن المرء مالم تَبْلُ ما ليس يَظهرُ
فما المرءُ إلا الأصغَرانِ : لسانه ومَعْقُوله ، والجسم خَلْقٌ مُصوَّرُ
وما الزّينُ فى ثوب تراه وإنّما يَزِينُ الفتى مخبُورُه حين يُخبَرُ
فإن طُرّةٌ راقتْك منه فرُبّما أمرّ مَذاقُ العُود والعودُ أخضر[2]

وقال سُويد بنُ أبى كاهلٍ[3] فى ذلك :

وَدَعَتْنى بِرُقاها إنّها تُنزِلُ الأعصمَ من رأسِ اليَفَعْ[4]
تُسمِعُ الحُدّاثَ قولاً حسناً لو أرادُوا مِثلَه لم يُستطَعْ[5]

---

(١) التخلق : أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه . قال سالم بن وابصة :
عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتى دونه الخلق

(٢) فيما عدا ل : « راقتك منهم » . أمر : صار مرا .

(٣) سويد بن أبى كاهل اليشكرى ، نسبة إلى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر مخضرم عاش فى الجاهلية دهراً ، وعمر فى الإسلام عمراً طويلا ، عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة . الإصابة ٣٧١٦ والأغانى (١١ : ١٦٥ — ١٦٧) . وقصيدته هذه العينية مفضلية . انظر المفضليات (١ : ١٨٨) . وكانت العرب تسميها اليتيمة لما اشتملت عليه من الأمثال ، كما فى الإصابة .

(٤) جعل حديثها كالرقية فى قوة أثرها . والأعصم : الوعل الذى فى يديه بياض . واليفع واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) فى المفضليات : « لو أرادوا غيره لم يستمع » .

ولساناً صَيرفيًا صارما   كذُباب السَّيف ما مَسّ قَطعْ[1]

وقال جرير :

وليس لِسَيفى فى العظام بقِيّـةٌ   وللسَّيفُ أشْوَى وقعة من لِسانيا[2]

١٠٤ وقال آخر :

وجُرحُ السَّيف تَدْمُلُه فيَبْرَا   ويبقى الدَّهرَ ما جَرَح اللّسانُ[3]

وقال آخر :

أبا ضُبيعةَ لا تَعجَل بسيّئةٍ   إلى ابن عمك واذ كُرْه بإحسانِ
إمّا تَرَانى وأثوابى مُقارِبةٌ   ليست بخَزٍّ ولا من حُرِّ كَتّانِ[4]
فإنّ فى المجد هِمّاتى وفى لُغَتى   عُلويّةٌ ولسانى غيرُ لَحّانِ

وفيما مدحوا به الاعرابىّ إذا كان أديباً ، أنشدنى ابنُ أبى كريمة ، أو ابنُ كريمة ، واسمه أسود[5] :

ألا زعمَتْ عفراءُ بالشّام أنّنى   غُلامُ جَوارٍ لا غلامُ حُرُوب
وإنّى لأهْذِى بالأوانِسِ كالدُّمَى   وإنّى بأطراف القنا لَلَعوبُ[6]

---

(١) لا رابطة بين هـذا البيت وسابقيه ؛ فإن الأولين فى التشبيب ، وذا فى الفخر ، وبينهما فى القصيدة أكثر من ثمانين بيتاً . وقبل هذا البيت :

ورأى منى مقاما صادقا   ثابت الموطن كتام الوجع

ذباب السيف : حده . وفى المفضليات وسائر النسخ : « كحسام السيف » ، وهو حده .

(٢) أى سيفى مع قوته ، هو أشوى وقعة من لسانى ، أى لسانى أشد منه فتكا . وأشوى من الشوى ، وهو إخطاء المقتل . فيما عدا ل : « ولا السيف » صوابه ما أثبت من ل والديوان ٦٠٦ .

(٣) البيت فى اللسان (دمل) .

(٤) المقارب ، بكسر الراء : الرخيص ، أو الوسط بين الجيد والردىء .

(٥) انظر ما سبق فى ص ١٤٣ .

(٦) هذى به : ذكره فى هذائه ، وهو الهذيان . فيما عدا ل : « لأهذى » .

وإنى على ما كان من عُنْجُهِيَّتى   ولُوثة أعرابيّتى لأديبُ[1]

وقال ابن هَرْمة[2] :

لله دَرُّكَ مِن فتًى فَجَعَتْ به   يومَ البَقيعِ حوادثُ الأيّامِ
هَشٍّ إذا نَزَلَ الوفودُ ببابِهِ   سهلِ الحجاب مؤدّبِ الخُدّامِ
فإذا رأيتَ شقيقَه وصديقَه   لم تدر أيُّهما أخو الأرحامِ

وقال كعبُ بن سعدٍ الغنوىّ[3] :

حبيبٌ إلى الزُّوّارِ غِشيانُ بَيْتِهِ   جميلُ المُحَيّا شَبَّ وهو أديبُ
إذا ما تراءاه الرِّجال تحفَّظُوا   فلم تُنْطِق العوراء وهو قريبُ[4]

وقال الحارثىّ :

وتَعلم أنّى ماجدٌ وتَرُوعُها   بَقيّةُ أعرابيّةٍ فى مُهاجِرِ

وقال الآخر :

وإنّ امرأً فى النّاس يُعطَى ظُلامةً   ويمنعُ نِصْفَ الحقِّ منه لَراضِعُ[5]
أَأَلموتَ يَخشَى أثكَلَ اللهُ أمَّه   أمِ العيشَ يرجو نَفعَه وهو ضائعُ ١٠٥
ويَطْعَمُ ما لم يندفِعْ فى مَريئِهِ   ويمسح أعْلَى بطنِهِ وهو جائعُ
وإنّ المقولَ فاعلَمَنَّ أسِنَّةٌ   حِدَادُ النَّواحِى أرهفَتْها المواقعُ[6]

ويقولون : « كأن لسانَه لسانُ ثَور » .

---

(١) اللوثة ، بالفتح والضم : الحمقة . والأديب : ذو الأدب ، وهو الظرف .
(٢) الأبيات التالية نسبت فى الحماسة (١ : ٣٣٤) إلى محمد بن بشير الخارجى .
(٣) كعب بن سعد الغنوى شاعر إسلامى ، الظاهر أنه تابعى . انظر المرزبانى ٣٤١ والخزانة (٣ : ٦٢١) وسمط اللآلى ٧٧١ والتيجان ٢٦٠ .
(٤) البيتان من قصيدة فى الأصمعيات ٩٤ طبع المعارف . والعوراء : الكلمة القبيحة .
(٥) ل : « وإن امرأ يعطى عليه » . والنصف ، بالكسر : الإنصاف . وأنشد للفرزدق :
ولكن نصفا لو سببت وسبنى   بنو عبد شمس من مناف وهاشم
والراضع : اللئيم ؛ رضع : لؤم ، وزنا ومعنى .
(٦) المواقع : جمع ميقعة ، وهى المسن الطويل .

وحدَّثنى مَن سمِع أعرابيًّا يمدح رجلا بِرقّة اللسان فقال : « كانَ واللهِ لسانُه أرقَّ من وَرَقةٍ ، وألْيَنَ من سَرَقَة[١] » .

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لحسّانَ بنِ ثابت : ما بَقِى من لسانك ؟ فأخرجَ لسانَه حتّى ضرب بطرَفه أرنبَتَه ، ثمّ قال : « واللهِ ما يَسُرُّنى به مِقولٌ من معَدٍّ ، واللهِ أن لو وضعتُه على حَجَرٍ[٢] لفلقه ، أو على شعرٍ لَحَلَقه » .

قال : وسمعتُ أعرابيًّا يصف لسانَ رجلٍ ، فقال : « كان يَشُولُ بلسانه شَوَلانَ البَرُوق ، ويتخلّل به تخلّل الحيّة » . وأظنّ هذا الأعرابىَّ أبا الوجيهِ العُكلىّ .

[يشول : يرفع . البروق : الناقة إذا طلبت الفَحل فإنّها حينئذ ترفع ذنبها . وإنّما سُمّى شوّال شوّالاً لأنّ النُّوق شالت بأذنابها فيه . فإن قال قائل : قد يتّفق أن يكون شوّالٌ فى وقتٍ لا تشول الناقة بذَنبها فيه ، فلِمَ بقى هذا الاسم عليه ، وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له إنما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتّفق أنْ شالت النُّوق بأذنابها فيه ، فبقى عليه كالسِّمة . وكذلك رمضانُ إنما سمّى لرَمَض الماء فيه من شدّة الحرّ ، فبقى عليه فى البرد . وكذلك ربيعٌ ، إنّما سمّى لرعيهم الرَّبيع فيه ، وإن كان قد يتّفق هذا الاسم فى وقت البرد والحرّ[٣]] .

قال : ووصَف أعرابىٌّ رجلاً فقال : أتيناه فأخرَجَ لسانَه كأنّه مِخراقُ لاعبٍ[٤] .

---

(١) السرق ، بالتحريك : شقائق من جيد الحرير أو أبيضه . معرب من الفارسية « سره » . انظر اللسان والمعرب ١٨٢ ، ومعجم استينجاس ٦٨٠ .

(٢) فيما عدا ل : « على صخر » .

(٣) هذه العبارة جميعها ليست فى ل .

(٤) المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به .

قال وقال العبّاس بن عبد المطلب للنبيّ صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، فيم الجمالُ ؟ قال فى اللّسان .

قال : وكان مجاشع بن دارم[١] خطيباً سليطا ، وكان نهشلٌ[٢] بكيئاً مَنزُورا[٣] ، فلمّا خرجَا من عند بعض الملوك عذَله مجاشعٌ فى تركِهِ الكلامَ ، فقال له نهشل : إنّى والله لا أحسِنُ تكذابَك ولا تأثامك ، تشول بلسانك شَوَلانَ البرُوق ، وتَخَلّلُ تخلُّلَ الباقرة .

وقالوا : أعلى جميعِ الخلق مرتبةُ الملائكة ، ثم الإنس ، ثم الجنّ . وإنما صار لهؤلاء المزيّةُ على جميعِ الخلق بالعقل ، وبالاستطاعة على التصرُّف ، وبالمنطق .

قال : وقال خالد بنُ صفوانَ : ما الإنسانُ لولا اللّسانُ إلاّ صورةٌ ممثّلةٌ ، أو بهيمةٌ مهملةٌ .

قال : وقال رجلٌ لخالد بن صفوان : مالى إذا رأيتُكم تتذاكرون الأخبارَ وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وقع علىّ النوم ؟ قال : لأنّك حِمار فى مِسلاخ إنسان[٤] .

وقال صاحب المنطق : حدُّ الإنسانِ الحىُّ الناطق المُبين[٥] .

وقال الأعور الشّنّىُّ[٦] :

---

(١) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ . وكان غالب بن صعصعة والد الفرزدق سيد بنى مجاشع . الاشتقاق ١٤٧ .

(٢) نهشل : أخو مجاشع . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٩٣ .

(٣) المنزور : القليل الكلام ، لا يتكلم حتى ينزر ، أى يلح عليه .

(٤) المسلاخ : الجلد .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٧٧ س ٥ .

(٦) الأعور الشنى ، هو بشر بن منقذ ، أحد بنى شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى ابن دعمى بن جديلة بن أسد . قال صاحب المؤتلف ٣٨ : « شاعر خبيث ، وكان مع على رضى الله عنه يوم الجمل » . والبيتان التاليان ليسا له ، بل هما لزهير فى معلقته .

١٠٦ وكائنْ تَرى مِن صامتٍ لك مُعجبٍ ... زيادتُه أو نقصُــه فى التَّكلُّمِ
لسانُ الفتى نصــفٌ ونصفٌ فؤادُه ... فلم يَبقَ إلاّ صــورةُ اللّحمِ والدمِ

* * *

ولما دخل ضَمْرة بن ضَمْرة[١]، على النُّعمان بن المنذر، زَرَى عليه، للذى رأى مِن دَمامته وقِصَرِه وقِلّته. فقال النُّعمان[٢]: « تَسْمَعُ بالمُعَيْدِىِّ لا أنْ تراه[٣] ». فقــال: أبيتَ اللّعنَ! إنّ الرِّجالَ لا تُــكال بالقُفْزان[٤]، ولا تُوزَن بالميزان، وليست بمُسوكٍ يُستَقَى بها، وإنّما المرء بأصــغريه: بقلبه ولسانه، إن صالَ صال بجَنانٍ، وإن قال قال ببَيَانٍ ».

واليمــانِيَة تَجعل هــذا الصَّعْب النهدىَّ[٥]. فإنْ كان ذلك كذلك فقد أقرّوا بأنّ نَهداً من مَعَدٍّ.

وكان يقال: « عقلُ الرَّجُل مدفونٌ تحتَ لسانه ».

---

(١) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٤٩ فى ذكر رجال مجاشع: « ومن رجالهم ضمرة ابن ضمرة، وكان من رجال بنى تميم فى الجاهلية لسانا وبيانا، وكان اسمه شق بن ضمرة، فسماه بعض ملوك الحيرة ضمرة ». وفى أمثال الميدانى (١ : ١١٨) أن اسمه كان « شقة »، وهو الصواب إذ ورد فيه من الشعر:

صرمت إخاء شقة يوم غول ... وإخوته فلا حلت حــلالى

(٢) فى أمثال الميدانى أن صاحب الخبر، هو المنذر بن ماء السماء، لا النعمان.

(٣) المعيدى: تصغير رجل منسوب إلى معد. وكان الكسائى يرى التشديد فى الدال. انظر اللسان (معد). ويروى: « لأن تسمع بالمعيدى خير » و: « أن تسمع ».

(٤) القفزان: جمع قفيز، وهو مكيال قدره ثمانية مكاكيك عند أهل العراق.

(٥) من بنى نهد. قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٢٠: « ومن رجالهم الصقعب، الوافد إلى النعمان. واسم الصقعب خيثم بن عمرو، وكان سيد بنى نهد قد أخذ مرباعهم دهرا، وله حديث فى دخوله إلى النعمان. وقال قوم. بل اسمه البراء بن عمرو ».

وباب آخر فى ذكر اللسان

أبو الحسن : قال : قال الحسن : « لِسان العاقل مِن وراء قلبِه ، فإذا أراد الكلامَ تفكَّر ، فإن كان له قالَ ، وإن كان عليه سَكَتَ . وقَلْبُ الجاهل من وراء لسانِهِ ، فإنْ هَمَّ بالكلام تكلَّمَ به له أو عليه » .

قال أبو عبيدة : قال أبو الوَجيه : حدَّثنى الفرزدق قال : كُنَّا فى ضيافة معاويةَ بنِ أبى سفيان ، ومعنا كعب بن جُعَيل التَّغلبىُّ ، فقال له يزيد : إن [ابن حسَّان — يريد[1]] عبد الرحمن بن حسَّان — قد فضَحَنا ! فاهجُ الأنصارَ . قال : أرادِّى أنت إلى الإشراك بعد الإيمان[2] ، لا أهجُو قوماً نصَرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، ولكنِّى أدلُّك على غلامٍ لنا نصرانيٍّ كأنَّ لسانَه لسانُ ثور . يعنى الأخطل .

وقال سعدُ بنُ أبى وقّاصٍ ، لعُمَرَ ابنِه[3] حين نَطَقَ مع القوم فبذَّهُم ، وقد كانوا كلَّموه فى الرِّضا عنه . قال : هذا الذى أغضبَنى عليه ، أنِّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يكون قومٌ يأكلون الدُّنيا بألسِنَتِهم ، كما تَلحَس الأرضَ البقرةُ بلسانها » .

قال : وقال معاويةُ لعمرِو بن العاصِى : « يا عمرو ، إنَّ أهل العراق قد أكرَهُوا عليًّا على أبى موسى ، وأنا وأهلُ الشَّام راضُونَ بك ، وقد ضُمَّ إليكَ رجلٌ طويلُ اللِّسان ، قصيرُ الرَّأى ، فأجِد الحزَّ ، وطبِّق المَفصِل ، ولا تَلْقَه ١٠٧ برأيكَ كُلِّه » .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) فيما عدا ل : « الإسلام » .

(٣) عمر بن سعد بن أبى وقاص ، تابعى ثقة ، وهو الذى قتل الحسين ، ولد فى عصر النبى وقتل سنة ٦٧ . انظر تهذيب التهذيب .

والعجَب من قول ابن الزُّبير للأعراب : « سلاحُكم رَثٌّ ، وحديثكم غَثٌّ » . وكيف يكون هذا وقد ذَكَرُوا أنّه كان مِن أحسَنِ النّاسِ حديثاً ، وأنّ أبا نَضرَةَ[1] وعُبيد الله ابن أبي بَكرَةَ[2] إنّما كانا يحكيانه . فلا أدرِي إلاّ أن يكون حُسْن حديثه هو الذى ألقى الحسدَ بينه و بين كلِّ حَسَنِ الحديث .

وقد ذكَرُوا أنّ خالدَ بن صَفوانَ تَكلَّمَ في بعض الأمر ، فأجابه رجلٌ من أهل المدينة بكلامٍ لم يظنّ خالدٌ أنّ ذلك الكلامَ كان عنده ، فلما طال بهما المجلسُ كأنّ خالداً[3] عرّض له ببعضِ الأمر ، فقال المدنىّ : « يا أبا صفوان ، مالِي مِن ذنبٍ إلا اتّفاق الصناعتين » . ذكر ذلك الأصمعىّ .

قال فَضَالٌ الأزرق : قال رجـلٌ من بنى مِنقَرٍ : تكلّمَ خالد بن صفوانَ فى صُلحٍ بكلامٍ لم يسمع النّاس قبلَه مِثْلَه ، فإذا أعرابىٌّ فى بَتٍّ[4] ، ما فى رجليه حذاء ، فأجابه بكلامٍ وددتُ والله أنّى كنت مِتُّ وأنّ ذلك لم يكُنْ ، فلمّا رأى خالدٌ ما نَزَلَ بى قال : يا أخا مِنقر ، كيف نُجاريهِمْ وإنّما نحكيهم ، وكيف نُسابقُهم وإنّما نجرِى على ما سبَقَ إلينا من أعراقِهم ؛ فليُفرِخ رُوعُكَ فإنّه من مُقَاعسٍ ، ومُقَاعِسٌ لك . فقلت : يا أبا صفوان ، والله ما ألومُك على الأولى ، ولا أدَعُ حَمْدَكَ على الأُخرى .

---

(١) أبو نضرة ، هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدى . تابعى روى عن على وأبى موسى الأشعرى وأبى هريرة وابن عباس وغيرهم ، وروى عنه قتادة وسعيد بن أبى عروبة ، وكان من فصحاء الناس . توفى سنة ١٠٩ . تهذيب التهذيب . وقطعة بضم ففتح كما فى التقريب .

(٢) أبو بكرة ، اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة ، أسلم ومات فى خلافة عمر ، وكان تدلى الى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٨٨٩٤ . وقد توفى عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، وأعقب فيهم سبعة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، ورواد ، وعتبة . فكان عبيد الله من أجل الناس وأشجعهم . ولاه الحجاج سجستان سنة ٨٧ فغزا بلاد العدو فهلك هناك فى مجاعة . المعارف ١٢٥ — ١٢٦ . ب : « بن أبى بكر » تحريف .

(٣) كذا وردت العبارة مضبوطة فى ل . وفى سائر النسخ : « كان خالدا عرض » .

(٤) البت ، بالفتح : كساء غليظ مربع .

قال أبو اليقظان : قال عمر بنُ عبدِ العزيز : « ما كلَّمنى رجلٌ من بنى أسدٍ إلا تمنَّيتُ أن يُمَدّ له فى حُجَّته حتّى يكثُرَ كلامه فأسمعَه » .

وقال يونسُ بنُ حبيب[1] : ليس فى بنى أسدٍ إلاّ خطيبٌ ، أو شاعرٌ ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس فى هذيلٍ إلاّ شاعرٌ ، أو رامٍ ، أو شديدُ العَدْو .

التُّرجُمان بن هُرَيْم بن عدى بن أبى طَحْمَة[2] قال : دُعِى رَقَبة بنُ مَصْقَلة ، أو كَرِب بن رقبة[3] إلى مجلسٍ ليتكلَّم فيه ، فرأى مكانَ أعرابيّ فى شَمْلَةٍ[4] ، فأنكر موضعَه ، فسأل الذى عن يمينه عنه فخبّره أنّه الذى أعدُّوه لجوابِه ، فنهض مسرعاً لا يَلْوِى على شىء ؛ كراهةَ أن يُجمَع بين الدِّيباجتين فيتّضِع عند الجميع .

وقال خَلاَّد بن يَزِيد : لم يكن أحدٌ بعد أبى نَضْرَة أحسَنَ حديثاً من سَلْمِ ابن قُتَيبة[5] . قال : وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة يقول : احذِفوا الحديثَ كما ١٠٨
يحذِفُه سَلْم بن قتيبة .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي ، إمام نحاة البصرة فى عصره . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيبويه وروى عنه فى كتابه . وعنه أخذ الكسائى والفراء وأبو عبيدة وأبو زيد . ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٨٢ . معجم الأدباء وابن خلكان .

(٢) الترجمان بن هريم ، قال ابن قتيبة فى المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز ، وعلى بنى حنظلة فى فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبى طحمة كان شجاعا كيسا وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب ، وكبر هريم فحول اسمه فى أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقيل له : إنك لا تحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف ! وفى القاموس : « وأبو طحمة عدى بن حارثة من العرفاء » .

(٣) ل : « كوز بن رقبة » . وفى المعارف ١٧٧ من يسمى « كرب بن مصقلة بن رقبة » وأنه كان خطيبا وله خطبة يقال لها العجوز .

(٤) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به .

(٥) سلم بن قتيبة بن سلم بن عمرو بن حصين الباهلى ، كان أبوه والى خراسان أيام الحجاج . وأما سلم فوليها أيام هشام بن عبد الملك ، وولاه المنصور البصرة ، روى عنه الأصمعى ، وخلاد ابن يزيد الأرقط ، وأبو عاصم النبيل وغيرهم . مات سنة ١٥٩ وصلى عليه المهدى . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

ويزعمون أنّهم لم يَرَوْا محدِّثا قطُّ صاحبَ آثارٍ كان أجودَ حذْفًا، وأحسنَ اختصارا للحديث من سفيانَ بن عيينة[١]. سألوه مرّةً عن قول طاوُسٍ[٢] فى ذكاة الجراد، فقال: ابنُهُ عنه[٣]: «ذكاتُه صَيْدُه[٤]».

---

(١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالى الكوفى، كان محدثا كثير الروايه ثقة. توفى سنة ١٩٧. تهذيب التهذيب، وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠).

(٢) هو طاوس بن كيسان اليمانى الجندى، وقيل اسمه ذكوان، وطاوس لقب له، مولى من أبناء الفرس. روى عن العبادلة الأربعة، وأبى هريرة وعائشة، وروى عنه ابنه عبد الله وعمرو بن دينار وغيرهم. وكان من عباد أهل اليمن وسادات التابعين توفى سنة ١٠٦. تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٦٠).

(٣) يريد «حدثنى ابن طاوس عن طاوس» وابنه الذى يعنيه هو عبد الله بن طاوس، روى عن أبيه وعطاء ووهب بن منبه وغيرهم، وروى عنه ابناه: طاوس ومحمد، وعمرو بن دينار، والسفيانان. توفى سنة ١٣٢. تهذيب التهذيب.

(٤) فيما عدا ل: «أخذه». والمراد بالذكاة: الذبح، ومثلها الذكا والتذكية. فيما عدا ل: «زكاة» و«زكاته» بالزاى، تحريف.

وباب آخر

وكانوا يمدحون شِدّةَ العارضة، وقوة المُنّة، وظهور الحُجّة، وثَبات الجَنَانِ، وكَثْرةَ الرِّيق، والعلوَّ على الخَصْم؛ ويهجُون بخلافِ ذلك. قال الشاعر:

طَبَاقاء لم يشهد خُصوماً ولم يَعِش حميداً ولم يشهد حِلالاً ولا عِطْرَا[1]

وقال أبو زُبَيدٍ الطائىّ:

وخطيب إذا تمعَّرَت الأو جُهُ يوماً فى مَأقِطٍ مَشهودِ[2]

طَبَاقاء، يقال للبعير إذا لم يُحْسِن الضِّراب: جَمَلٌ عَيَاياء، وجمل طَبَاقاء. وهو هاهنا للرَّجُل الذى لا يتّجه للحجّة. الحِلال: الجماعات؛ ويقال حىٌّ حِلالٌ إذا كانوا متجاورِين مقيمين[3]. والعِطرُ هُنا: العُرْس[4]. المأقِط: الموضع الضيِّق، والمأقِط: الموضع الذى يُقتَتَل فيه. وقال نافعُ بن خليفةَ الغَنَوىّ:

وخَصْمٍ لَدَى بابِ الأمير كأنّهمْ قُرومٌ فَشَا فيها الزَّوائرُ والهَدْرُ

دَلَفْتُ لهم دُونَ المُنَى بمُلِمَّةٍ من الدُّرّ فى أعقاب جَوهرِها شَذْرُ[5]

إذا القومُ قالوا أَدْنِ منها وجدتَها مُطَبَّقةً يهماء ليس لها نَصْرُ

القُرُوم. الجِمَالُ المصاعب. الزوائر: الذين يزئرون[6]. والهَدْرُ: صوته عند هَيْجه، ويقال له الهَدِيرُ. دلفت، أى نهضتُ نهوضاً رُوَيداً. والدَّليف:

(١) أنشده فى اللسان (طبق ٨٣). وقد سبق نظيره فى ١١٠ س ٢.

(٢) البيت من قصيدة طويلة فى جمهرة أشعار العرب ١٣٨ — ١٤١. تمعرت، بالعين المهملة: تغيرت وعلتها صفرة.

(٣) حلال: جمع حلة، بالكسر، وهم القوم النزول وفيهم كثرة.

(٤) فيما عدا ل: «الحرس» تحريف.

(٥) عنى بالملمة: القصيدة أو الخطبة.

(٦) فيما عدا ل: «يزأرون» وكلاهما صواب، يقال زأر يزأر ويزئر.

المشىُ الرُّوَيْد[١] . قوله أدْنِ منها ، أى قلِّلها واختصِرْها . وجدتَها مُطَبِّقةً ، أى قد طَبَّقتَهم بالحُجّة . واليَهماء : الأرض التى لا يُهتدَى فيها لِطريق . ويهماء
١٠٩ هاهنا ، يعنى التى لا يُهتدَى إليها ويضلُّ الخصومُ عِندَها ؛ [والأيهم من الرجال : الحائر الذى لا يهتدى لشىء . وأرضٌ يهماء ، إذا لم يكنْ فيها علامة[٢]] .

وقال الأسْلَعُ بن قِصافٍ الطُّهَوِىُّ[٣] :

فِداءٌ لقومى كُلُّ معشَرِ جارمٍ ... طريدٍ ومَخْذولٍ بما جَرَّ مُسْلَمِ[٤]
هم أفحَمُوا الخَصْمَ الذى يستقيدُنِى ... وهم فَصَموا حِجْلِى وهم حقَنُوا دمى[٥]
بأيدٍ يُفرِّجْن المَضِيقَ وألْسُنٍ ... سِلاطٍ وجمعٍ ذِى زُهاء عَرَمْرَمِ
إذا شئتَ لم تعْدَمْ لدى الباب منهم ... جميلَ المُحيَّا واضحاً غيرَ تَوأمِ

الزُّهاء : الكَثرة ، ها هنا . والعَرمْرَم من العَرامة ، وهى الشَّراسة والشدّة[٦] . التَّوْأمان : الأخَوانِ المولودانِ فى بطن .

وقال التميمىُّ فى ذلك :

أما رأيتَ الألْسُنَ السِّلاطَا ... إن النَّدَى حيث ترى الضِّغاطَا[٧]

* والجاهَ والإقدامَ والنَّشاطَا *

---

(١) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « دلفت : دنوت » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) فى الأصل : « الأسلع بن قطاف » . صوابه من المؤتلف ٤٤ ونوادر أبى زيد ١٩٩ . وقصاف ، ككتاب ، من أسمائهم .

(٤) جر ، أى جنى جناية . والمسلم : الذى أسلمه قومه .

(٥) يستقيده : يطلب القود منه . فصموا : كسروا . فيما عدا ل : « قصموا » بالقاف . وحجلا القيد : حلقتاه .

(٦) فى اللسان : « وجيش عرمرم كثير ، وقيل هو الكثير من كل شىء . والعرمرم : الشديد » .

(٧) الندى : الكرم . والضغاط ، بالكسر : الزحام ، وهو من القلب ، أراد : إن الزحام حيث ترى الكرم . والبيت رواه الجاحظ فى البخلاء ٢٠٣ والحيوان (٥ : ٤٤٥) .

ذهب فى البيت الأخير إلى قولِ الشاعر[١] :

يسقط الطير حيث ينتثر الحـــبُّ وتُغْشى مَنازلُ الكرماء

وإلى قول الآخَر :

يرفَضُّ عن بيت الفقير ضُيوفُه وترى الغَنِىَّ يَهدِى لك الزُّوَّارَا

وأنشدُوا فى المعنى الأول :

وخطيبِ قومٍ قدَّمُوه أمامَهمْ ثقـــةً به مُتَخَمِّطٍ تيَّاحِ
جاوبْتُ خُطبتَه فظَلَّ كأنَّه لمَّا خَطبتُ مملَّحٌ بمِــلاحِ[٢]

المتخمِّط : المتكبِّر مع غضَب . والتَّيَّاح والمِتْيَحُ : الذى يَعرِض فى كلِّ شىء ويدخُل فيما لا يعنيه . وقوله مملَّحٌ بِمِلاح ، أى متقبِّض كأنه مُلِّح من الملح .

وأنشد أيضاً :

١١٠ أرِقتُ لِضَوءِ بَرقٍ فى نَشاصٍ تلألأَ فى مُمَلأَّةٍ غِصاصِ[٣]

النشاص : السَّحاب الأبيضُ المرتفع بعضه فوقَ بعض ، وليس بمنبسط . تلألأ ، التلألؤُ : ظُهور البَرْق[٤] فى سُرعةٍ . مملأّة بالماء . غِصاص : قد غُصَّت بالماء .

لواقِـحَ دُلَّحٍ بالمـاء سُحْمٍ تُمجُّ الغَيثَ من خَلَلِ الخَصاصِ

اللواقح : التى قد لقِحتْ من الرِّيح . والدُّلَّح : الدانية الظاهر المثقلة بالماء . سحم : سود . والخَصاص ، هاهنا : خَلَل السحاب[٥] .

---

(١) هو بشار بن برد ، والبيت من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . وقبل البيت ، كما فى الأغانى (٣ : ٤٣) :

إنما لذة الجواد ابن سلم فى عطاء ومركب للقاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء

(٢) المِلاح ، بالكسر : جمع ملح .

(٣) البيت مع تاليه فى اللسان (نشص) .

(٤) ل : « الظهور للبرق » .

(٥) ورد هذا التفسير فى ل بعد نهاية هذه الأبيات .

سَلِ الُخطباءَ هل سَبَحُوا كسَبْحِى   بُحُورَ القَولِ أو غَاصُوا مَغاصِى
لسانى بالنَّثِـــيرِ وبالقَوَافِى   وبالأَسجاعِ أَمْهَرُ فى الغِوَاصِ[1]

[النَّثير : الكلام المنثور . القوافى : خواتم أبيات الشِّعر . الأسجاع : الكلام المزدوج على غير وزن[2]] .

مِنَ الُحوتِ الذى فى لُجِّ بحرٍ   مُجِيدِ الغَوْصِ فى لُجَجِ المَغَاصِ
لعمرُكَ إنّنى لأُعِفُّ نفسى   وأَستُرُ بالتكرُّمِ من خَصاصِى[3]

وأنشد لرجلٍ من بنى ناشب بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة :

لنا قَمَرُ السَّماءِ وكلُّ نجمٍ   يُضِىءُ لنا إذا القَمَرانِ غارا[4]
ومَن يَفْخَر بغير ابنَىْ نِزارٍ   فليس بأَوّلِ الخطباءِ جارا[5]

وأنشد للأقرع[6] :

إنّى امرؤٌ لا أُقيلُ الخصمَ عَثْرتَهُ   عندَ الأميرِ إذا ما خَصمُه ظلعا
يُنِيرُ وَجْهِى إذا جَدَّ الخِصامُ بنا   ووَجْهُ خَصمِى تراه الدَّهرَ مُلْتَمَعا[7]

وأنشد :

تراه بنصرى فى الحفيظة واثقاً   وإنْ صَدَّ عنى العينُ منه وحاجِبُه[8]
وإن خَطَرَتْ أيدى الكُماةِ وجدتَنِى   نَصُوراً إذا ما استيبَسَ الرِّيقَ عاصِبُه

(١) لم أجد هذا المصدر ، وفيه شذوذ تصريفى . وقد ذكر فى القاموس : « الغياص » .
(٢) هذا التفسير مما عدا ل .
(٣) الخصاص هنا بمعنى الفقر وسوء الحالة والحاجة .
(٤) القمران : الشمس والقمر ، على التغليب .
(٥) ابنا نزار : ربيعة ومضر . فيما عدا ل : « أبى نزار » . جار : ظلم .
(٦) الأقرع القشيرى ، وهو الأشيم بن معاذ بن سنان ، وقيل هو معاذ بن كليب بن حزن. كان يناقض جعفر بن علبة الحارثى اللص ، وكان فى أيام هشام بن عبد الملك . المرزبانى ٣٨ .
(٧) التمع لونه ، بالبناء للمفعول : ذهب وتغير ، وفى هامش ل : « خ : منتقعا » . يقال انتقع لونه بالبناء للمفعول : تغير .
(٨) البيتان لأشرس بن بشامة الحنظلى . انظر نوادر أبى زيد ٢٠ واللسان (عصب ٩٨) .

عاصيه : يابسه ، يعتصم به[1] حتَّى يُتِمّ كلامه . الكماةُ : جمع كَمِيّ ؛ والكَمِيّ الرجل المتكمِّى بالسلاح ، يعنى المتكفِّر به المتستِّر . ويقال كَمَى الرّجلُ شهادتَه ١١١ يكمِيها ، إذا كتمها وسترها . وقال ابنُ أحمرَ وذكر الريقَ والاعتصامَ به :

هذا الثّناء وأجدِرْ أن أُصاحِبَه ... وقد يُدَوِّم ريقَ الطّامع الأملُ[2]

وقال الزُّبير بن العوّام ، وهو يُرقِّصُ عروةَ ابنَه :

أبيضُ مِن آل أبي عَتيقِ ... مباركٌ من وَلَدِ الصِّدِّيقِ

* أَلَذُّه كما أَلَذُّ ريقى *

وقالت امرأةٌ من بنى أسد :

أَلاَ بَكَرَ النّاعِى بخَيْرِ بنى أسَدْ ... بعمرِو بنِ مسعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ[3]

فمن كانَ يَعْيَا بالجوابِ فإنّه ... أبو مَعقِلٍ لا حَجْرَ عنه ولا صَدَدْ

أثارُوا بصَحراء الثَّوِيّة قَبرَه ... وما كنتُ أخشَى أن تَنَاءَى به البلَدْ

[تَنَاءَى : تَبعُد[4]] . والثَّوِيّة : موضعٌ بناحية الكوفة[5] . ومن قال الثُّوَيَّة فهى تصغير الثَّوِيّة .

وقال أوسُ بن حَجَرٍ فى فَضَالَةَ بنِ كَلَدَةَ :

أبا دُلَيجَةَ مَنْ يُوصَى بأرملةٍ ... أم مَنْ لأشعثَ ذِى طِمرَيْنِ طِمْلالِ[6]

أم مَن يكون خَطيبَ القومِ إن حَفَلوا ... لَدَى الملوك أُولِى كَيْدٍ وأقوالِ[7]

---

(١) ل : « طالبه ليعتصب به » تحريف .
(٢) انظر الحيوان (١ : ٣٢١ / ٣ : ٤٧) .
(٣) رواه فى المخصص (١٧ : ١٥٢) : « بخيرى بنى أسد » . وفى (١٢ : ٣٠١) ذكر أن هذه الرواية الأخيرة هى رواية أبى عمرو . وهى رواية اللسان (صمد) .
(٤) هذه مما عدا ل .
(٥) فيما عدا ل : « موضع يقال له صحراء الثوية » .
(٦) ديوان أوس بن حجر ٢٣ . وفى ل : « من توصى » . وفيما عدا ل : « ذى هدمين » .
(٧) هذا البيت لم يرو فى الديوان .

و « هدمين[١] » . وهما ثوبَانِ خَلَقانِ[٢] . يقال ثوبٌ أهدامٌ ، إذا كان خَلَقاً . والطِّمْلالُ : الفقير . وقال أيضا فيه[٣] :

أَلْهَفِي على حُسْنِ آلائِهِ ... على الجارِ الحىِّ والحاربِ[٤]
ورِقْبَتِهِ حَتَماتِ المُلو ... كِ بينَ السُّرادِقِ والحاجبِ[٥]
ويَكْفِى المقالَةَ أهْلَ الدِّحا ... لِ غيرَ مَعيبٍ ولا عائبِ[٦]

رقبته ، أى انتظاره إذنَ الملوك . وجعَله بين السُّرادِقِ والحاجب لِيدلَّ على مكانته من الملوك . وأنشد أيضا :

وخَصْمٍ غِضَابٍ يَنْغِضُون رءوسَهمْ ... أولى قَدَمٍ فى الشَّغْبِ صُهبٍ سِبَالُهَا[٧]
ضَرَبْتُ لهم إبْطَ الشِّمال فأصبَحت ... يرُدُّ غواةً آخَرِين نَكالُها

١١٢ إبْط الشِّمال ، يعنى الفؤاد ؛ لأنّه لا يكون إلا فى تلك الناحية[٨] . وقال شُتَيم ابن خُوَيلِد[٩] :

وقلتُ لسَيِّدِنا يا حلِيـ ... ـمُ إنّك لم تأسُ أسْواً رفيقا[١٠]

---

(١) أى ويروى : « ذى هدمين » .
(٢) فيما عدا ل : « هدمين : ثوبين خلقين » .
(٣) فيما عدا ل : « وقال أيضا فى فضالة بن كلدة » .
(٤) وهذه الأبيات الثلاثة لم ترو فى ديوان أوس . الحارب : المحارب ، أو الذى يحرب الغير ماله ، يسلبه .
(٥) الحتمات ، لم أجدها إلا هنا ، فإن صحت كانت جمع حتمة ، مرة من الحتم بمعنى القضاء وإيجابه .
(٦) الدحال : المراوغة والمخادعة . فيما عدا ل : « أهل الرحال » .
(٧) يقال نغض رأسه ينغضه ، وأنغضه ينغضه : حركه . والصهب السبال ، كناية عن الأعداء . وصهبة السبال من خواص الروم . والصهبة : الشقرة والحمرة .
(٨) فيما عدا ل : « لأنه يكون فى تلك الناحية » .
(٩) هو شتيم بن خويلد ، أحد بنى غراب بن فزارة ، شاعر جاهلى ، وهو بهيئة التصغير ، كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤) .
(١٠) الأبيات فى الحيوان (٣ : ٨٢ — ٥ : ٥١٧) ومعجم المرزبانى ٣٩٢ . والأول منها فى الأضداد لابن الأنبارى ٢٢٥ والأخير فى المخصص (٢ : ٨٩) والميدانى (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ ، والخزانة (٢ : ٣٥٨) واللسان (١١ : ٣٨٢) .

أعنتَ عديًا على شأوِها   تعادِى فريقًا وتُبقِى فريقا
زحرتَ بها ليلةً كلَّها   فجئتَ بها مُؤْيِدًا خَنْفقيقا

تأسو : تُداوِى ، أسْواً وأسًى ، مصدران . والآسِى : الطَّبيب . ومُؤْيِد : داهية . خَنْفَقِيق : داهيةٌ أيضا . الشَّأو : الغَلْوَةُ لركض الفرَس .

وأنشد لآدَمَ مولى بَلْعَنبر ، يقولها لابنه(١) :

يا بأبِى أنتَ ويا فوقَ البِئَبْ(٢)   يا بأبِى خُصْيُكَ من خُصْىٍ وَزُبّْ(٣)
أنت الحبيب وكذا قول المحبّ(٤)   جنَّبكَ اللهُ معاريضَ الوصَبْ
حتى تُفيدَ وتُداوِى ذَا الجرَبْ   وذا الجُنونِ من سُعالٍ وكَلَبْ
والجُدْبَ حتَّى يستقيم ذو الحَدَبْ   وتَحمِلَ الشَّاعِرَ فى اليوم العَصِبْ
على مَباهِيرَ كثيراتِ التَّعَبْ(٥)   وإن أراد جَدَلٌ صَعْبٌ أرِبْ
خُصُومةً تنقب أوساطَ الرُّكَبْ(٦)   أطْلَعْتَهُ من رَتَبٍ إلى رَتَبْ
حَتَّى تَرَى الأبصارُ أمثالَ الشُّهُبْ   يَرْمِى بها أشْوسُ ملحاحٌ كَلِبْ

* مجرَّبُ الشَّدَّاتِ ميمونٌ مِذَبّْ(٧) *

الوَصَبُ : المرض . والعَصِب : الشَّديد . يقال يَوْمٌ عَصِبٌ وعصيبٌ وعَصَبْصَبٌ، إذا كان شديدا . مَباهير : مَتَاعيب قد علاهم البُهْر . أرِبٌ ، يقال رَجلٌ أرِيب

(١) الرجز التالى أنشده ابن منظور فى اللسان (١٨ : ١٠ — ١١) وذكر روايته عن الجاحظ فى البيان والتبيين .
(٢) أى فوق قولك : « بأبى أنت » . ويروى : « البيب » بالتسهيل .
(٣) فيما عدا ل : « خصيك » . وفى اللسان : « خصياك » .
(٤) فى اللسان : « فعل المحب » .
(٥) كذا جاءت الرواية ، وتفسيرها فيما بعد يقيدها . لكن فى اللسان : « على نهابير » . والنهابير : الأمور الشداد الصعبة ، واحدتها نهبورة .
(٦) فيما عدا ل : « خصومة تنقب » . والبيت لم يرو فى اللسان .
(٧) فى اللسان : « مجرب الشكات » .

١١٣ وأرِبٌ، وله إرْبٌ، إذا كان عاقلاً أديباً حازماً. أظلعته(١) يقال ظَلَع الرّجلُ، إذا خَمَع فى مَشْيِه. الرّتَبَة: واحدة الرّتَب والرّتَبات، وهى الدّرَج. أى تُخْرِجه مِن شىء إلى شىء. والأشوس: الذى ينظر بمؤخِرِ عينه. مِلحاح: مُلِحٌّ، من الإلحاح على الشّىء. كَلِبٌ، أى الذى قد كَلِبَ. مِذَبٌّ، أى يذبُّ عن حريمه وعن نفسه.

وقالت ابنةُ وَثيمةَ، تَرثِى أباها وَثيمةَ بن عثمان:

الواهبِ المالَ التِّلا ... دَ ندًى ويكفينا العَظِيمَهْ(٢)
ويكونُ مِدْرَهَنا إذا ... نَزَلَتْ مُجلِّحَةٌ عظيمهْ
واحْمَرَّ آفاقُ السّما ... ءِ ولم تقَعْ فى الأرض دِيمَهْ
وتَعذّرَ الآكالُ حتّى كانَ أحْمَدَها الهَشِيمَهْ
لا ثَلّةٌ تُرعَى ولا ... إبلٌ ولا بقرٌ مُسِيمَهْ
ألفيتَه مَأوى الأرا ... مِلِ والمدفَّعِ اليتيمهْ
والدافِعَ الخَصْمَ الألَدَّ إذا تفُوضِحَ فى الخُصُومهْ
بلسانِ لُقمانَ بن عا ... دَ وفصلِ خُطْبتِه الحكيمهْ
ألجَمْتَهُمْ بعد التدا ... فُعِ والتجاذُبِ فى الحُكومهْ

التِّلادُ(٣): القديم من المال. والطارف: المستفاد. والمِدْرَه: لِسان القوم المتكلِّم عنهم. مجلِّحةٌ، أى داهية مصمِّمة. احمرَّ آفاقُ السّماء، أى اشتدّ البرد وقَلَّ المطرُ وكثُر القحْط. ودِيمةٌ: واحدةُ الدِّيَمِ، وهى الأمطار الدائمة. تعذّر: تمنَّع. الآكال: جمع أُكْل، وهو ما يؤكل. والهَشِيمَةُ: ما تهشّم من

(١) كذا جاءت بالظاء المعجمة فى التفسير والشعر قبله. ورواية اللسان: «أطلعته».
(٢) فيما عدا ل: «لنا ويكفينا».
(٣) وقع التفسير التالى فيما عدا ل متخللا للأبيات.

الشَّجَر ، أى وقع وتكسَّر[١] . الثَّلّة : الضأن الكثيرة ، ولا يقال للمِعزى ثَلّة ، ولكن حَيْلة[٢] ، فإذا اجتمعت الضَّأْن والمِعزى قيل لهما ثَلّة . مُسِيمة ، أى صارت فى السَّوْم ودخلت فيه ، والسَّوْمُ : الرعى . وسامَت تسوم ، أى رعت تَرْعى . ومنه قول الله : ﴿ ومِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ[٣] ﴾ .

وكانت العربُ تُعظِّم شأنَ لقمانَ بنِ عادٍ الأكبرِ والأصغرِ لُقَيمِ بنِ لُقمانَ[٤] ١١٤
فى النَّباهة والقَدْر ، وفى العلم والحُكْم ، وفى اللِّسان والحِلْم . وهذان غيرُ لقمانَ الحكيمِ المذكورِ فى القرآن[٥] على ما يقول المفسِّرون . ولارتفاع قَدْره وعِظَم شأنِه ، قال النَّمر بنُ تَولَب :

لُقَيمُ بنُ لُقمانَ من أُخته ... فكان ابنَ أختٍ له وابنَما[٦]
ليالِىَ حُمِّقَ فاستحصنَتْ ... عليه فغُرَّ بها مُظْلِما[٧]
فغُرَّ بها رَجُلٌ مُحكِمٌ ... فجاءت به رجُلاً مُحكِما[٨]

وذلك أنَّ أختَ لقمانَ قالت لامرأةِ لقمان : إنِّى امرأةٌ مُحْمِقَةٌ ، ولقمانُ رجُلٌ مُحْكِمٌ مُنْجِبٌ ، وأنا فى ليلة طُهْرِى ، فَهَبى لى ليلتَك . ففعلَتْ فباتت

---

(١) فيا عدا ل : « ما يهشم من الشجر أى يكسر » .

(٢) الحيلة ، بفتح الحاء وسكون الياء المثناة التحتية .

(٣) بدل هذه العبارة الطويلة فيا عدا ل : « الثلة : ما بين الست إلى العشر من الغنم . مسيمة : راعية » .

(٤) فى الأصول : « ولقيم بن لقمان » وقد محيت الواو فى ب فقط . ولقمان بن عاد ، هذا هو المعمر صاحب حديث النسور . انظر أخبار عبيد بن شرية ٣٥٦ — ٣٦٧ والتيجان ٧٥ — ٧٨ والمعمرين ٣ — ٤ وثمار القلوب ٣٧٦ — ٣٧٧ والميدانى (١ : ٣٩٣ — ٣٩٤) .

(٥) لقمان الحكيم المذكور فى القرآن ، قيل كان عبداً حبشيا لرجل من بنى إسرائيل فأعتقه وأعطاه مالا ، وكان فى زمن داود . وقيل كان حرا وكان اسمه لقمان بن باعورا ، وقيل هو ابن أخت أيوب أو ابن خالته . انظر المعارف ٢٥ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٨٦) .

(٧) وكذا فى الحيوان . وفى الأمثال : « ليالى حمق فا استحقبت » .

(٨) فى الحيوان : « فأحبلها رجل محكم » وفى الأمثال : « فأحبلها رجل نابه » .

فى بيت امرأةِ لقمان ، فوقع عليها فأحبلها بلُقَيمٍ ، فلذلك قال النّمر بن تولب ما قال .

والمرأة إذا ولدت الحمْقَى فهى مُحْمِقَةٌ ، ولا يعلم ذلك حتّى يُرَى ولَدُ زَوجِها من غيرها أكياساً .

وقالت امرأةٌ ذاتُ بنات :

وما أبالِى أنْ أكونَ مُحمِقَه ... إذا رأيتُ خُصْيَـةً مُعلّقَه[1]

وقال آخر :

أَزْرَى بسَعْيِك أنْ كنتَ امرأً حَمِقاً ... مِن نسل ضاوِيَةِ الأعْراق مِحْماقِ

ضاوِيَة الأعراق ، أى ضعيفة الأعراق نحيفتها . يقال رجلٌ ضاوٍ ، وفيه ضاوِيَةٌ ، إذا كان نحيفاً قليلَ الجسم . وجاء فى الحديث : «اغتَرِبُوا لا تُضْوُوا» . أى لا يتزوّج الرّجل القرابةَ القريبة ، فيجىء ولدُه ضاويا . والفعل منه ضَوِى يَضْوَى ضَوًى . والأعراقُ : الأصول . والمِحماقُ : التى عادتها أن تلد الحُمْقَى .

ولبُغْضِهم البناتِ قالت إحدى القوابل :

أيا سَحابُ طَرِّقى بخيرِ[2] ... وطَرِّقِى بخُصْـيةٍ وأيْرِ

* ولا تُرِينا طَرَفَ البُظَيْرِ *

وقال الآخر[3] فى إنجاب الأمّهات ، وهو يخاطب بنى إخوته : ١١٥

عفارِيتاً علَىَّ وأخْذَ مالى ... وعَجْزاً عن أُناسٍ آخرينا[4]

---

(١) الرجز فى المخصص (١٦ : ١٢٩) .

(٢) طرقت المرأة : نشب ولدها ولم يسهل خروجه ، يقال طرقت ثم خلصت . والرجز وقصته فى الحيوان (٥ : ٥٨١) .

(٣) هو رافع بن هريم : شاعر قديم أدرك الإسلام وأسلم . انظر الخزانة (١ : ٢٧٧) . والأبيات الأربعة الأولى منسوبة فى اللسان (كيس) إليه . وأما البيت الأخير فقد نسب فى نوادر أبى زيد ١١١ ، ١٩١ واللسان (أخا) إلى عقيل بن علفة .

(٤) فيما عدا ل : « وحلما عن أناس » . وفى اللسان : « وجبنا عن رجال » .

فهلاَّ غيرَ عمِّكمُ ظلمتمْ　　إذا ما كنتمُ متظلِّمينا
فلو كُنتمْ لكيِّسةٍ أكاستْ　　وكَيْسُ الأمِّ أكْيَسُ للبَنِينا[(١)]
ولكنْ أمُّكم حَمُقتْ فجئتم　　غِثاثاً ما نَرى فيكمْ سَمِينا[(٢)]
وكان لنا فَزارةُ عمَّ سوءٍ　　وكنتُ له كشرِّ بنى الأخِينا[(٣)]

ولبُغْضِ البناتِ هجرَ أبو حمزةَ الضبىُّ خَيمةَ امرأتِه ، وكان يَقِيلُ ويَبِيتُ عند جيرانٍ له ، حينَ ولدت امرأته بنتاً ، فمرَّ يوماً بخبائها وإذا هى ترقِّصُها وتقول :

ما لأبى حمزةَ لا يأتِينا　　يظلُّ فى البيت الذى يَلِينا
غَضْبانَ ألّا نلدَ البَنِينا　　تاللهِ ما ذلك فى أيدينا
وإنّما نأخُذُ ما أُعطِينا　　ونحن كالأرض لزارعينا
* نُنبتُ ما قد زرعُوه فينا[(٤)] *

قال : فغدَا الشّيخُ حتّى ولَجَ البيتَ فقبّل رأسَ امرأتِه وابنتِها .

وهذا الباب يقع فى كتاب الإنسان[(٥)] ، وفى فصلِ ما بين الذَّكر والأنثى ، تامًّا ، وليس هذا البابُ مما يدخل فى باب البيان والتَّبْيين[(٦)] ، ولكن قد يَجرِى السّببُ فيُجرَى معه بقَدْرِ ما يكونُ تنشيطا لقارئ الكتاب ، لأنّ خروجَه من الباب إذا طال لبعض العلم الكلام[(٧)] ، أرْوَحُ على قلبه ، وأزيد فى نشاطِه .

---

(١) فى الخزانة : « كيس للبنينا » . وفى اللسان : « يعرف فى البنينا » .
(٢) هذا البيت ساقط مما عدا ل . وقد روى فى الخزانة عن البغدادى .
(٣) يستشهد به على أن « أخا » يجمع على « أخين » جمع مذكر سالما . ورواية اللسان :
وكان بنو فزارة شر قوم　　وكنت لهم كشر بنى الأخينا
(٤) البيت الرابع والسابع ليس فى ل .
(٥) فيما عدا ل « فى كتاب الإنسان من كتاب الحيوان » .
(٦) ل فقط : « التبين » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة .
(٧) فى الأصل ، وهو ل : « لبعض الكلام العلم » . وفيما عدا ل : « إذا طال لبعض العلم ، كان ذلك » .

وقد قال الأول فى تعظيم شأن لُقَيم بن لقمان :

قومى اصبَحِينى فما صِيغَ الفتى حجراً ... لكنْ رهينـــةَ أحجارٍ وأرماسِ
قومى اصبَحِينى فإنّ الدهرَ ذو غِيَرٍ ... أفنى لُقَـــيماً وأفنى آلَ هِرماسِ[١]
اليومَ خمـــرٌ ويَبدُو فى غدٍ خَبَرٌ ... والدّهرُ مِن بين إنعامٍ وإبْآسِ
١١٦ فاشرَبْ على حَدَثانِ الدّهرِ مرتفقاً ... لايصحَبُ الهمُّ قرعَ السّنِّ بالكاسِ

وقال أبو الطَّمَحان[٢] القينىّ فى ذكر لُقمان :

إنّ الزمانَ ولا تفنى عجائبُـــه ... فيـــه تَقَطع ألاّفٍ وأقرانِ
أمسَتْ بنو القَينِ أفراقاً موزَّعةً ... كأنّهـــمْ من بقايا حىِّ لقمانِ[٣]

وقد ذكرت العربُ هـذه الأممَ البائدة ، والقرونَ السالفة . ولبعضهم بقايا قليلةٌ ، وهم أشلاءٌ فى العرب متفرّقون مغمورون ، مثل جُرهُم وجاسم ، ووَبارِ وعِملاق ، وأميم ، وطَسْم وجَديس ، ولُقمان والهِرماس ، و بنى الناصور ، وقيل بن عتر[٤] ، وذى جَدَن . وقد يقال فى بنى الناصور إن أصلهم من الرُّوم ، فأمّا ثمود فقد خبّر الله عزّ وجلّ عنهم فقال : ﴿وثموداً فما أبقَى[٥]﴾ ، وقال : ﴿فهَلْ

(١) الهرماس ، بالكسر : نهر نصيبين ، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ ، مسدودة بالحجارة والرصاص ، بنتها الروم لئلا تغرق هذه المدينة . وبعد هذا البيت فيا عدا ل هذا التفسير : « اصبحيني الصبوح : شرب الغداة ، والغبوق : شرب العشى . الرمس : القبر ؛ يقال رمست الميت أرمسه ، وأرمسته ، إذا دفنته » .

(٢) أبو الطمحان ، بفتح الطاء والميم : هو حنظلة بن الشرق ، أحد المعمرين ، كان فى الجاهلية نديما للزبير بن عبد المطلب ، وأدرك الإسلام وأسلم . الإصابة ٢٠٠٧ والخزانة (٣ : ٤٢٦) والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ .

(٣) بنو القين بن جسر ، قبيل أبى الطمحان ، والأفراق : جمع فرق ، بالكسر ، وهو القسم من الأقسام . وفى الكتاب : (فكان كل فرق كالطود العظيم) .

(٤) فيا عدا ل : « وعتر » .

(٥) فيا عدا ل : « ثمود » بدون تنوين فى هـذا الموضع والموضعين بعده ، وهى قراءة عاصم وحمزة ويعقوب . وقرأ باقى القراء : « وثمودا » بالتنوين ، كما أثبت من ل . انظر إتحاف فضلاء البشر ٤٠٤ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٦٩) . فمن صرفه ذهب به إلى الحى ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة . اللسان .

تَرَى لَهُمْ من باقِيَة ﴾ . فأنا أعجَب مِن مسلمٍ يصدِّق بالقرآن ، يزعُم أنّ فى قبائل العرب مِن بقايا ثمود .

وكان أبو عبيدة يتأوّل قولَه : ﴿ وثموداً فَمَا أبْقَى ﴾ ، أنّ ذلك إنّما وقع على الأكثر ، وعلى الجمهور الأكبر . وهذا التأويلُ أخرجَهُ من أبى عبيدةَ سوء الرّأيِ فى القوم ، وليس له أن يجىء إلى خبرٍ عامٍّ مرسَلٍ غير مقيَّد ، وخبرٍ مطلَق غير مستثنًى منه ، فيجعلَه خاصًّا كالمستثني منه . وأىُّ شىء بقى لطاعنٍ أو متأوِّل بعد قوله : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة ﴾ . فكيف يقولُ ذلك إذا كنّا نحنُ قد نرى منهم فى كل حىٍّ باقية . مَعاذَ اللهِ من ذلك .

وروَوْا أنّ الحجّاجَ قال على المنبر يوماً : تزعُمون أنّا من بقايا ثمود ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وثَموداً فَمَا أبْقَى ﴾ .

فأما الأممُ البائدة من العجم ، مثل كَنعان ويُونانَ وأشباهِ ذلك ، فكثير ، ولكن العجمَ ليس لها عنايةٌ بحفظ [شأن[١]] الأموات ولا الأحياء .

وقال المسيَّب بن عَلَس[٢] ، فى ذكر لقمان :

وإليكَ أعْمَلْتُ المطيَّةَ مِنْ سَهلِ العِراقِ وأنتَ بالقفرِ[٣]
أنتَ الرّئيسُ إذا همُ نزلُوا وتواجهُوا كالأُسْد والنُّمْرِ ١١٧
لو كنتَ من شىء سوى بَشَرٍ كنتَ المنوَّرَ ليلةَ البدرِ

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) المسيب ، بفتح الياء المشددة . وعلس ، بالتحريك . والمسيب لقب لقب به بيت قاله :

فإن سركم ألا تؤوب لقاحكم غزاراً فقولوا للمسيب يا الحق

واسمه زهير بن علس . وهو خال أعشى قيس ، وكان الأعشى راويته ، وكان يطرى شعره ويأخذ منه ، وهو جاهلى لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (١ : ٥٤٥ — ٥٤٦) والاشتقاق ١٩٢ والموشح ٥١ .

(٣) الأبيات تنسب إلى الأعشى ، وتنسب أيضا إلى المسيب بن علس . انظر ديوان الأعشى ٣٥١ . والبيت الثالث والخامس ينسبان إلى زهير . ديوانه ٨٩ ، ٩٠ . وانظر تعليقات العلامة الميمنى على خزانة الأدب (٣ : ٢١٦) طبع السلفية .

ولأنتَ أجْوَدُ بالعطاء من الـ　　ـريَّانِ لما جادَ بالقطرِ[١]
ولأنت أشجَعُ من أسـامةَ إذْ　　نَقَعَ الصُّراخُ ولُجَّ فى الذُّعْر[٢]
ولأنت أبيَنُ حِين تنطق من　　لقمان لمـــا عَىَّ بالأمْر

وقال لبيدُ بن ربيعةَ الجعفرىّ :

وأخلَفَ قُسًّا ليتَنِي ولو أنَّنِي　　وأعْيَا على لُقمانَ حُكمُ التدبُّرِ[٣]
فإن تسألينا كيفَ نَحْنُ فإنَّنا　　عَصافِيرُ من هذا الأنام المسحَّرِ[٤]

السَّحْر : الرِّئة[٥] . والمسحَّرُ : المعلَّل بالطعام والشَّراب . [والمسحَّر : المخدوع[٦]] ، كما قال امرؤ القيس :

أرانا مُوضِعين لأمْرِ غَيبٍ　　ونُسحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّراب[٧]

[أى نُعلَّلُ ، فكأنَّا نخدع ونسحر بالطعام والشَّراب[٨]] .

وقال الفرزدق :

---

(١) الريان ، عنى به السحاب الممتلئ . ط فقط : « الرباب » .
(٢) نقع الصراخ : ارتفع . قال لبيد :

فمتى ينقع صراخ صادق　　يحلبوها ذات جرس وزجل

(٣) البيتان فى ديوان لبيد ٨١ طبع ١٨٨٠ . قس ، هو ابن ساعدة الإيادى . أى أخلف قسا ما تمناه بقوله ليتنى ، ولو أننى . لم يظفر بما تمنى . وأما لقمان فلم تغن عنـه حكمته وتدبره شيئا . ويروى : « وأخلفن قسا » بعود الضمير على « بنات الدهر » فى بيت سابق . وهو :

وأفنى بنات الدهر أرباب ناعط　　بمستمع دون السماء ومنظر

(٤) عصافير ، أى صغار ضعاف مثلها . انظر الحيوان (٥ : ٢٢٩/٧ : ٦٣) . وقد نسب هذا البيت فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) إلى أمية بن أبى الصلت .
(٥) فى الحيوان عند إنشاد البيت : « وقال قوم : المسحر يعنى كل ذى سحر ، يذهب إلى الرئة » .
(٦) هذه مما عدا ل .
(٧) البيت فى ديوان امرئ القيس ١٣٢ واللسان (٦ : ١٢) . الإيضاع : ضرب من السير السريع . وفى الديوان : « لحتم غيب » .
(٨) هـذه مما عدا ل . وقد فسر السحر فى البيت بأنه الغذاء ، كما فى اللسان وشرح الديوان .

لئنْ حَوْمَتِي هابَتْ معدٌّ حِياضَها　　لقد كان لقمان بنُ عادٍ يهابُهــــا[١]

وقال الآخَر[٢] :

إذا ما مات ميّتٌ من تميمٍ　　فسرَّكَ أن يَعيش فجِئْ بزادِ
بخــبز أو بلحمٍ أو بتمرٍ　　أو الشّيء الملفّف فى البِجادِ[٣]
تراه يطوّف الآفاقَ حرصاً　　ليأ كلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ[٤]

وقال أفنون التّغلبى :

لو أنّنى كنتُ من عادٍ ومن إرَمٍ　　رَبِيتُ فيهمْ ولُقْمانَ وذِى جدَنِ[٥]

وقال الآخر[٦] :

ما لذّة العيش والفتى للــــدَّهرِ والدهرُ ذو فنونِ
أهلكَ طسْماً وقَبل طسمٍ　　أهلكَ عاداً وذا جُدُونِ　　١١٨
وأهل جاسٍ ومأربٍ بعــــد حَيَّ لُقمانَ والتَّقُونِ[٧]

---

(١) وكذا جاءت الرواية فى الديوان ٦٩ . وفيما عدا ل : « صانت معد » .

(٢) وهو يزيد بن الصعق الكلابى كما فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنايات الجرجانى ٧٣ والاقتضاب ٣٨٨ . أو مهوش الفقعسى ، كما فى حواشى الكامل ٩٨ ليبسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا فى العقد (٣ : ١٤٢) وأخبار الظراف ٢٤ .

(٣) الشيء الملفف فى البجاد ، هو وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك . والبجاد ، بالكسر : الكساء . انظر اللسان والمقاييس (بجد) والحيوان (٣ : ٦٧) .

(٤) فى ثمار القلوب للثعالبي ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان » .

(٥) سبق البيت فى أبيات ص ٩ .

(٦) هو سليمان بن ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة ، كما فى اللسان (تقن) . وفى الحماسة (٢ : ١٢) ومعجم ما استعجم (١ : ٣٥٨) أنه « سلمى بن ربيعة » . مختلف فى اسمه يقال « سلمان » و « سلمى » بفتح السين والميم ، و « سلمى » بضم السين وسكون اللام ، كالمنسوب .

(٧) جاس ، وردت بالسين المهملة فى ل والتيمورية . وهو موضع ذكره ياقوت . لكن فى معجم ما استعجم : « جاش » ، قال : « باليمن تلقاء مأرب » . وأنشد البيت =

والبُسر للعُسرِ ، والتغنِّي للفقرْ ، والحيُّ للمنونِ[١]

***

قال : وهم وإن كانوا يحبُّون البيان والطّلاقة ، والتَّحبير والبلاغة ، والتخلُّص والرَّشاقة ، فإنَّهم كانوا يكرهون السَّلاطة والهذَر ، والتكلُّف ، والإسهاب والإكثار ؛ لما فى ذلك من التزيُّد والمباهاة ، واتباع الهوى ، والمنافسة فى الغلو[٢]. وكانوا يكرهون الفُضولَ فى البلاغة ، لأنَّ ذلك يدعُو إلى السَّلاطة ، والسَّلاطة تدعو إلى البَذاء[٣]. وكلُّ مِراء فى الأرض فإنَّما هو من نِتاج الفُضول .

ومَن حصَّل كلامه وميَّزَه ، وحاسب نفسه ، وخاف الإثم والذمّ ، أشفق من الضَّراوة وسوء العادة ، وخاف ثمرةَ العُجْب وهُجْنة النفج[٤] ، وما فى حبِّ السُّمعة من الفِتنة ، وما فى الرِّياء من مجانبة الإخلاص .

ولقد دعا عُبادةُ بنُ الصَّامتِ[٥] بالطعام ، بكلامٍ تَرَك فيه المحاسنة ، فقال[٦] شدَّاد بن أوس[٧] : إنّه قد تَرَك فيه المحاسنة[٨] ، فاسترجَع ثم قال : « ماتكلَّمتُ

= وأهل جاش وأهل مأرب وحى لقمان والتقون

وكذا أنشده أبو تمام « جاش » بدون همز . وروى فى اللسان (جأش) قول السليك :

أمعتقل ريب المنون ولم أرع عصافير واد بين جأش ومأرب

وأما التقون ، بضم التاء ، فهم بنو تقن بن عاد ، بكسر التاء ، منهم عمرو بن تقن ، وكعب بن تقن . وبه يضرب المثل : « أرى من ابن تقن » .

(١) التغنى : الغنى ، كالتغانى والاغتناء . الحماسة واللسان : « والغنى كالعدم » .

(٢) فيما عدا ل : « فى العلو والقدر » . (٣) ل : « البلاء » .

(٤) النفج : أن يفخر بما ليس عنده . فيما عدا ل : « الفيح » تحريف .

(٥) أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى ، شهد بدرا ، وكان أحد النقباء بالعقبة ، كان قويا فى دين الله ، قائما بالأمر بالمعروف . توفى بالرملة سنة ٣٤ . الإصابة ٤٤٨٨ وتهذيب التهذيب .

(٦) فيما عدا ل : « ظن أنه ترك فيه المحاسبة » وفيه إقحام وتحريف .

(٧) فى الأصول : « أوس بن شداد » تحريف . وهو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجى ، ابن أخى حسان . وفيه يقول عبادة بن الصامت : « شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم » . الإصابة ٢٨٤٢ . وقد روى الجاحظ خطبة له فى الجزء الثالث من البيان .

(٨) فيما عدا ل : « المحاسبة » تحريف .

بكلمةٍ منذُ بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مزمومةً مخطومةً » .

قال : وروى[١] حمّادُ بن سَلَمَة ، عن أبى حمزة[٢] ، عن إبراهيم[٣] قال : « إنما يَهْلِكُ النّاسُ فى فُضول الكلام ، وفضول المال » .

وقال[٤] : « دع المعاذِر ، فإن أكثرها مفاجر » . وإنما صارت المعاذر كذلك لأنّها داعيةٌ إلى التخلُّص بكلّ شىء .

وقال سلاّم بن أبى مطيع[٥] : قال لى أيّوب[٦] : « إيّاكَ وحِفظَ الحديث » خوفاً عليه من العُجْب .

وقال إبراهيم النّخَعى : « دع الاعتذار ؛ فإنه يخالط الكذب[٧] » .

قالوا : ونظر شابٌّ وهو فى دارِ ابن سيرينَ إلى فَرْشٍ[٨] فى داره ، فقال : مابالُ تلك الآجُرّةِ أرفعَ من الآجُرّة الأخرى ؟ فقال ابن سيرين : « يا ابن أخى إنّ فُضُولَ النَّظرِ يَدْعُو إلى فضول القول » .

---

(١) فيما عدا ل : « ورووا عن » .

(٢) أبو حمزة هذا ، هو ميمون الأعور القصاب الكوفى ، روى عن سعيد بن المسيب والشعبى وإبراهيم النخعى ، وعنه منصور بن المعتمر والثورى . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٧) فى ترجمة إبراهيم النخعى .

(٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعى الكوفى الفقيه ، روى عن مسروق وعلقمة وشريح ، وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان ، ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ٩٦ . التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٧) . وفى عيون الأخبار (١ : ٢٣٠) : « وحمل الناس عن إبراهيم النخعى وهو ابن ثمانى عشرة سنة » .

(٤) ل : « وقالوا » .　　　(٥) فيما عدا ل : « سلام بن مطيع » .

(٦) هو أبو بكر أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى ، روى عن نافع وعطاء وعكرمة والأعرج وغيرهم ، وروى عنه الأعمش وقتادة وخلق كثير ، وكان حجة أهل البصرة ، وله أقوال كريمة فى صفة الصفوة (٣ . ٢١٢ — ٢٠٧) . وانظر تهذيب التهذيب .

(٧) فى عيون الأخبار (٣ : ١٠١) : « اعتذر رجل إلى إبراهيم فقال له : قد عذرتك غير معتذر ، إن المعاذير يشوبها الكذب » .

(٨) المراد بالفرش هنا ما بلطت به الأرض وفرشت . وفى اللسان : « فرش فلان داره ، إذا بلطها . قال أبو منصور : وكذلك إذا بسط فيها الآجر والصفيح فقد فرشها . وتفريش الدار . تبليطها » .

وزعم إبراهيمُ بن السِّنديّ قال : أخبرَنى مَن سمِـعَ عيسى بنَ على[1] يقول :

١١٩ « فُضولُ النَّظر من فضول الخواطرْ ، وفضول النظر يدعو إلى فُضول القول ، وفضول القول يدعو إلى فضول العمَل ؛ ومَن تعوَّدَ فضولَ الـكلام ثمّ تدارك استصلاح لسـانِه ، خرَجَ إلى استكراه القول ، وإنْ أبطأ أخرجَهُ إبطاؤُه إلى أقبحَ من الفضول » .

قال أبو عمرو بنُ العـلاء : أنـكحَ ضِرارُ بن عمرٍو الضَّبىّ ابنَته معبدَ بنَ زُرارة ، فلمَّا أخرجها إليه قال لها : « يا بُنَيّة أمسِكى عليكِ الفضْلَين » . قالت : وما الفضلان ؟ قال : فَضْل الغُلمة ، وفَضل الـكلام .

وضرارُ بن عمرٍو هو الذى قال : « مَنْ سَرّه بنوه ساءته نفْسه[2] » . وهو الذى لما قال له المنذر : كيف تخلَّصت يومَ كذا وكذا ، وما الذى نجاك ؟ قال : « تأخيرُ الأجل ، وإكراهى نفْسى على المُقّ الطوال » .

المَقَّاء : المرأة الطويلة . والمُقّ : جَمْعُ النسـاء الطوال . [والمُقّ أيضاً : الخيل الطِّوال[3]] .

وكان إخوته [قد[3]] استشَالُوه حتّى ركِب فرسَه ورفع عقيرتَه بعُكاظ ، فقال : « ألاَ إنّ خيرَ حائلٍ أمٌّ[4] فزوِّجوا الأمَّهات » . وذلك أنه صُرِع بين القَنَا ، فَأَشْبَلَ عليه إخوتُه لأمّه فأنقذوه[5] .

---

(١) هو عيسى بن على بن عبد الله بن العباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان ابن المقفع يكتب له ، وقد أمره بعمل نسخة الأمان لأخيه عبد الله الخارج على المنصور ، وهو الذى أرسل ابن المقفع إلى سفيان بن معاوية فغدر هذا به ، وقطعه عضوا عضوا وألقاه فى التنور . وكان المنصور يجل عيسى ويعظمه فى مجلسه . انظر الجهشيارى ١٠٣ — ١٠٧ . ومات فى خلافة المهدى . المعارف ١٦٣ .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٦) . وفى عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) : « رأى ضرار بن عمرو الضبي له ثلاثة عشر ذكراً قد بلغوا ، فقال ... » .

(٣) هذه من ل .   (٤) الحائل : التى لم تحمل .

(٥) أشبل عليه : عطف عليه وأعانه . حـ : « فاشل » تحريف . وبعد هذه الكلمة فى ل « أى عطف » . ب : « إخوته وأمه » . فيا عدال : « حتى أنقذوه » .

باب فى الصمت

قال : وكان أعرابىٌّ يجالس الشَّعبىَّ[1] فيطيل الصَّمت ، فسئل عن طول صمته فقال : « أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم » .

وقالوا : « لو كان الكلام من فضّة لكان السُّكوت مِن ذَهَب » .

وقالوا : « مقتل الرَّجُل بين لَحْيَيْه وفكَّيْه » .

وأخذ أبو بكر الصدِّيق ، رحمه الله ، بطرَف لسانِه وقال : « هذا الذى أوردَنى المَوَارد » .

وقالوا : ليس شىءٌ أحقَّ بطول سَجْنٍ من لِسان .

وقالوا : اللِّسان سَبع عَقُور .

وقال النبىُّ عليه السلام : « وهل يكُبُّ النَّاسَ على مناخرهم فى نار جَهنَّمْ إلا حصائِدُ ألسنتهم » .

وقال ابن الأعرابىّ ، عن بعض أشياخه : تكلم رجلٌ عند النبى عليه السلام فخطَلَ فى كلامه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أُعطِىَ العبدُ شرًّا من طلاقة اللِّسان » .

وقال العتْبى[2] ، وخالد بن خِدَاش[3] : حدثنا مَهْدىُّ بن ميمون[4] ، عن

---

(١) الشعبي ، هو عامر بن عبدالله بن شراحيل الشعبي الحميرى ، ونسبته إلى « شعب » بالفتح : بطن من همدان . كان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبدالعزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفى سنة ١٠٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ٧٤ — ٨٢) وتهذيب التهذيب (٥ : ٦٥) وصفة الصفوة (٣ : ٤٠) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المعروف بابن عائشة ، والعتبى ، تقدمت ترجمته فى ص ١٠٢ .

(٣) هو خالد بن خداش بن عجلان الأزدى المهلبي البصرى ، كان ثقة صدوقا . توفى سنة ٢٢٤ . تاريخ بغداد ٤٤٠٥ وتهذيب التهذيب .

(٤) هو مهدى بن ميمون الأزدى المعولى أبو يحيي البصرى ، أحد الرواة الثقات . توفى سنة ١٧١ . تهذيب التهذيب .

غيلان بن جرير[١] ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن أبيه قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفدٍ فقلنا : يا رسولَ الله ، أنتَ سيِّدنا ،
١٢٠ وأنت أطوَلُنا علينا طَوْلاً[٢] ، وأنت الجفنة الغرَّاء[٣] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أيها النَّاس ، قُولُوا بقولكم ولا يستفزَّنكم الشَّيطانُ ، فإنَّما أنا عبدُ الله ورسولُه » .

قال : وقال خالد بن عبد الله القَسرىّ ، لعمرَ بنِ عبدِ العزيز : من كانت الخلافة زانته فقد زيَّنتَها ، ومن [كانت[٤]] شرَّفته فقد شرَّفتَها . فأنت كما قال الشاعر :

وتَزيدِينَ أطيبَ الطِّيب طِيباً   أنْ تمَسِّيهِ أينَ مثلُكِ أينا
وإذا الدُّرُّ زانَ حُسْنَ وُجوهٍ   كان للدُّرِّ حُسْنُ وجهكِ زَيْنا

فقال عمر : إنَّ صاحبَكم أعطى مَقُولا ، ولم يُعْطَ معقولا .

وقال الشاعر :

لسانُكَ معسولٌ ونَفْسُك شَحَّةٌ   ودُونَ الثُّريّا مِن صديقِك مالُكا[٥]

وأخبرنا بإسنادٍ له ، أنّ ناساً قالوا لابن عُمَر : ادعُ اللهَ لنا بدَعَوات . فقال :

---

(١) هو غيلان بن جرير المعولى البصرى ، نسبة إلى « معولة » بطن من الأزد ، روى عن أنس ومطرف والشعبى ، وروى عنه مهدى بن ميمون وشعبة . توفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب وأنساب السمعانى ٥٣٧ .

(٢) الطول ، بالفتح : الفضل .

(٣) فى اللسان (جفن) : « كانت العرب تدعو السيد المطعام جفنة لأنه يضعها ويطعم الناس فيها ، فسمى باسمها . والغراء : البيضاء ، أى إنها مملوءة بالشحم والدهن » .

(٤) التكملة من عيون الأخبار (١ : ٩٣) حيث الخبر .

(٥) الشحة ، بفتح الشين : الشحيحة . والبيت فى الحيوان (٥ : ٤٣٠) . وأنشده فى اللسان (شحح) مع قرين بعده ، وهو :

وأنت امرؤٌ خلط إذا هى أرسلت   عينك شيئا أمسكته شمالكا

« اللهمّ ارحمْنا وعافِنا وارزقنا » . فقالوا : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن . قال : نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود الدؤلىّ ، فى ذكر الإسهاب ، يقولها فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة[١] ، والحارث هو القُباع ، وكان خطيباً من وُجوه قريش ورجالهم . وإنّما سمى القُباعَ لأنه أُتِى بِمِكْتَلٍ[٢] لأهل المدينة ، فقال إن هذا المِكْتَلَ لَقُباعٌ ! فسمِّى به . والقُبَاع : الواسع الرأس القصير . وقال الفرزدق فيه لجرير[٣] :

وَقَبْلَكَ ما أعيَتْ كاسِرَ عيْنِهِ ... زياداً فلم تقدِرْ علىّ حبائلُهْ
فأقسمتُ لا آتيهِ تِسعينَ حِجَّةً ... ولو كُسِرَتْ عُنقُ القُبَاعِ وكاهلُهْ[٤]

وقال أبو الأسود :

أميرَ المؤمنينَ جُزِيتَ خيراً ... أرِحْنا مِن قُباعِ بنى المُغيرهْ
بَلوناهُ ولُمْنـــــاهُ فأعْيا ... علينا ما يُمِرّ لنا مَريرهْ[٥]
على أنّ الفتى نِكَحٌ أكُولٌ ... ومِسهابٌ مذاهبُه كثيرهْ

وقال الشّاعر[٦] : ١٢١

(١) ويقال فيه أيضا الحارث بن عياش بن أبى ربيعة ، وأبو ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله ابن مخزوم . وكان الحارث أحد ولاة البصرة ، استعمله عليها ابن الزبير ، روى عن عمر وعائشة وحفصة وأم سلمة ، وروى عنه سعيد بن جبير والشعبى والزهرى . تهذيب التهذيب ، والإصابة ٢٠٣٩ . وانظر ما سبق فى حواشى ١٣٠ .

(٢) المكتل : زبيل كبير يسع خمسة عشر صاعا .

(٣) هذا الإنشاد هو فيما عدا ل متأخر عن قول أبى الأسود التالى .

(٤) فى الديوان ٧٣٩ . « سبعين حجة » .

(٥) المريرة : الحبل الطويل الدقيق . وإمرار الحبل : إحكام فتله . عنى أنه لا يمضى أمرا .

(٦) هو الفضل بن عبد الرحمن القرشى ، يقوله لابنه القاسم بن الفضل . الخزانة (١ : ٤٦٥) .

إياكَ إياكَ المــــــــراءَ فإنه   إلى الشر دعَّاءٌ وللصَّرمِ جالبُ[١]

وقال أبو العتاهية :

والصمتُ أزينُ للفتى   مِن منطقٍ فى غيرِ حِينه[٢]
كلُّ امرئٍ فى نفسِــهِ   أعلى وأشرفُ مِن قَرِينِه

وكان سهلُ بنُ هارونَ يقول : « سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة ، كما أنَّ التَوقِّى على الدَّوَاء أشدُّ من الدَّواء » .

وكانوا يأمرون بالتبيُّن والتثَبّت ، وبالتحرز من زَلَل الـكلام ، ومن زَلَل الرَّأى ، ومن الرأى الدَّبَرِىّ . والرَّأىُ الدَّبَرِىّ هو الذى يَعرِض من الصَّواب بعد مُضىِّ الرأىِ الأوّل وفَوتِ استدراكِه .

وكانوا يأمُرون بالتحلُّم والتعلُّم ، وبالتقدُّم فى ذلك أشدَّ التقدُّم .

وقال الأحنف : قال عمر بن الخطاب : « تفقهُوا قَبل أن تَسُودوا » . وكان يقول رحمه الله : « السُّؤدد مع السَّواد » .

وأنشدُوا لـكثيِّر عَزّةَ :

وفِى الحِلْمِ والإسلامِ للمرء وازعٌ   وفى تَركِ طاعاتِ الفُؤادِ المتيَّمِ
بصائرُ رُشْـدٍ للفتى مستبينةٌ   وأخلاقُ صِـدْقٍ عِلْمُها بالتعلُّمِ

الوازع : الناهى ؛ والوزَعة : جمع وازعٍ ، وهم الناهون والـكافُّونَ .

وقال الأفوهُ الأوْدىّ :

أضحتْ قُرَينةُ قد تَغيَّرَ بِشْرُها   وتجهَّمتْ بتحيَّةِ القومِ العِـدَا[٣]

---

(١) يستشهد به النحويون على حذف الواو قبل « المراء » . انظر الخزانة وسيبويه (١ : ١٤١) . ويروى : « فإياك » و « للشر جالب » . المراء : المجادلة . الصرم : القطيعة .
(٢) فيما عدا ل : « أجمل بالفتى » وفى ل : « زين للفتى » . والوجه فى هذه ما أثبت .
(٣) البيتان لم يرويا فى ديوانه المخطوط .

أَلوَتْ بإصبَعِها وقالت إنَّما ... يَكفِيكَ مِمَّا لا تَرَى ما قد تَرَى

وأنشد :

إبدأْ بنفسِـكَ فانهَها عن غَيِّها ... فإذا انتهتْ عنـهُ فأنتَ حكيمُ[1]

فهناكَ تُعذَرُ إن وَعَظْتَ ويُقتَدَى ... بالقول منك ويُقبَـلُ التعليمُ

قالوا : وكان الأحنفُ بنُ قيسٍ أشدَّ الناس سلطاناً على نفسه .

قالوا : وكان الحسن أترَكَ النَّاسِ لما نُهِيَ عنه . وقال الآخر :

لا تعـذرانى فى الإساءة إنَّه ... شِرَارُ الرِّجال مَن يُسِىء فيُعذَرُ[2]

وقال الكُميت بن زيد الأسديّ : ١٢٢

ولم يُقَـلْ بعدَ زَلَّةٍ لَهُمُ ... عُـدُّوا المعاذِرَ إنَّما حَسِبوا[3]

وأنشدنى مُحمَّـد بن يَسير ، للأحوص بن محمد[4] :

قامت تخاصرنى بِقُنَّتِهـا ... خَـوْدٌ تَأَطَّرُ غادةٌ بِكرُ

كلٌّ يَرَى أنَّ الشَّـبابَ له ... فى كلِّ مُبْلِـغِ لَذَّةٍ عُـذْرُ

تخاصرنى : آخُذ بيدها وتأخُذ بيدى . والقُنَّة : الموضع الغليظ من الأرض فى صلابة . والخَوْد : الحسنة الخَلْق . تأطَّرُ : تتثنَّى . والغادة : الناعمة اللَّيِّنة :

وقال جريرٌ فى فَوت الرَّأى :

ولا يتَّقُون الشَّرَّ حتَّى يُصيبَهُمْ ... ولا يعرِفون الأمْرَ إلا تدبُّرا[5]

---

(١) البيتان من قصيدة لأبى الأسود الدؤلى فى شرح شواهد المغنى ١٩٤ . ومنها :

يأيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

ويروى بعضها للمتوكل الليثى . انظر حماسة البحترى ١٧٣ .

(٢) البيت فى الحيوان (٣ : ١١١ ، ٧/٤٨٢ : ٢٦٠) .

(٣) أى عقولهم الصحيحة لا تدعهم يخطئون ويزلون ، لأنهم يفطنون للأمر قبل وقوعه ، ويصدق فى ذلك ظنهم . انظر الهاشميات ٦٣ والحيوان (٣ : ٤٨٢) .

(٤) فيما عدال : « وأنشد الأحوص بن محمد » تحريف .

(٥) فى الديوان ٢٤٦ .

=

قال : ومدح النّابغةُ ناساً بخلاف هذه الصفة ، فقال :

ولا يحسَبُون الخيرَ لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضَرْبةَ لازبِ

لازب ولازم ، واحد ، واللازب فى مكان آخر : اليابس . قال الله عزّ وجلّ : ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ . واللّزَبات : السِّنُونَ الجَدْبةُ .

وأنشد :

هفا هفوةً كانت من المرء بِدعةً وما مثلُه مِن مثلها بسليمِ
فإنْ يكُ أخطا فى أخيكمْ فرُبّما أصاب التى فيها صَلاحُ تميمِ

قال : وقال قائلٌ عند يزيدَ بنِ عُمرَ بن هُبيرة[1] : والله ما أَتى[2] الحارثُ بن شُريح بيوم خيرٍ قطّ . قال فقال : التَّرجُمان بن هُريم : « إلا يَكُنْ أَتى بيومِ خيرٍ فقد أَتى بيومِ شرّ » . ذهب الترجمان بن هُريم إلى مثلِ قول الشاعر :

وما خُلِقتْ بنو زِمّانَ إلّا أخيراً بَعْدَ خَلْقِ النّاسِ طُرّا[3]
وما فَعلتْ بنو زِمّانَ خيرًا ولا فَعلَتْ بنو زِمّان شرّا

***

ومن هذا الجنس من الأحاديث ، وهو يدخُل فى باب المُلَح ، قال الأصمعى : « وُصِلتُ بالعِلم ، ونِلتُ بالمُلَح » .

= لقد كنت يا ابن القين ذا خبرة بكم وعوف أبو قيس بكم كان أخبرا
فلا تتقون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة : قائد من قواد الأمويين ، ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمت له ولاية العراقين فى أيام مروان بن محمد ، ثم لما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه ، فأعياه أمره ، ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ . ابن خلكان .

(٢) فيا عدال : « أتانى » تحريف . والخبر فى الحيوان (٢ : ٨٧) .

(٣) زمان ، بكسر أوله وتشديد الميم ، اسم لعدة قبائل من العرب : زمان بن مالك ابن صعب بن بكر وائل ، وزمان بن مالك بن جديلة ، وزمان بن تيم الله ، والأولى أعرفهن . انظر المعارف ٤٧ — ٤٨ ومختلف القبائل ومؤتلفها ٣٦ — ٣٧ .

وقال رجلٌ مرّةً[1] : « أبى الذى قاد الجيوش ، وفتح الفتوح ، وخرج على الملوك ، واغتصب المنابر » . فقال له رجلٌ من القوم : لا جرَم ، لقد أُسِرَ وقُتِلَ وصُلِبَ ! قال : فقال له المفتخرُ بأبيه : دعْنى من أسْرِ أبى وقتله وصلبه ، أبوك أنتَ حدَّث نفسه بشىء من هذا قطّ ؟ ١٢٣

***

قد سمعْنا روايةَ القوم واحتجاجهم ، وأنا أُوصيكَ ألّا تدعَ التماسَ البيان والتبيين إن ظننتَ أن لك فيهما طبيعةً ، وأنّهما يناسبانك بعضَ المناسبة ، ويشاكلانك فى بعض المشاكلة ؛ ولا تُهمِلْ طبيعتَك فيستولىَ الإهمالَ على قُوّة القريحة ، ويستبدَّ بها سوء العادة . وإنْ كنتَ ذا بيانٍ وأحسستَ من نفسك بالنُّفوذ فى الخَطابة والبلاغة ، وبقُوّة المُنّة يوم الحَفْل ، فلا تُقصِّرْ فى التماس أعلاها سورةً[2] ، وأرفعِها فى البيان منزلةً . ولا يقطعنَّك تَهْييبُ الجُهلاء ، وتخويف الجُبَناء ؛ ولا تصرفنَّك الرِّواياتُ المعدولةُ عن وجوهها ، المتأوَّلةُ على أقبح مخارجها . وكيف تُطيعُهم بهذه الرِّوايات المعدولة ، والأخبارِ المدخولة ، وبهذا الرأى الذى ابتدَعُوه من قِبَل أنفُسهم .

وقد سمعتَ اللهَ تبارك وتعالى ، ذكَرَ داودَ النبىَّ صلوات اللهَ عليه ، فقال : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إلى قوله : ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[3] . فجمع له بالحكمةِ البراعةَ فى العقل ، والرَّجاحةَ فى الحِلم ، والاتِّساعَ فى العلم ،

---

(١) الخبر فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٣) .

(٢) ل فقط « والتبين » .

(٣) السورة ، بالضم : المنزلة الرفيعة ، جمعها سور ، بالضم .

(٤) تمام تلاوة الآية وما بعدها : (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) . الآيات ١٧ — ٢٠ من سورة ص .

والصَّوابَ فى الحُكْم ، وجَمَع له بفصل الخطابِ تفصيلَ المُجمَل ، وتلخيصَ الملتَبِس ، والبَصَرَ بالحزِّ فى موضع الحزِّ ، والحَسْمَ فى موضع الحَسم .

وذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُعيباً النبىَّ عليه السلام ، فقال : « كان شعيبُ خطيبَ الأنبياء » . وذلك عندَ بعضِ ما حكاه الله فى كتابه ، وحَلَّاه لأسماع عباده .

فكيف تَهاب منزلةَ الخطباء وداودُ عليه السلام سَلَفُك ، وشعيبٌ إمامُك مع ما تلوناه عليك فى صدر هذا الكتابِ من القرآن الحكيم ، والآىِ الكريم وهذه خطبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مدوّنة محفوظة ، ومخلَّدة[1] مشهورة ، وهذه خطبُ أبى بكرٍ وعمر وعثمانَ وعلىٍّ ، رضى الله عنهم .

وقد كان لرسول الله شعراء ينافِحُون عنه وعن أصحابه بأمره ، وكان ثابت ابن قيس بن الشَّمّاس الأنصارىّ[2] خطيبَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ،
١٢٤ لا يدفع ذلك أحدٌ .

فأمّا ما ذكرتم من الإسهاب والتكلُّف ، والخَطَل والتزيُّد ، فإنما يخرُج إلى الإسهاب المتكلِّف ، وإلى الخطَلِ المتزيِّد .

فأما أربابُ الكلامِ ، ورؤساء أهلِ البيان ، والمطبوعون المعاوِدُون ، وأصحابُ التَّحصيل والمحاسَبة ، والتوقِّى والشَّفقة ، والذين يتكلَّمون فى صَلاحِ ذاتِ البَين ، وفى إطفاء نائرة ، أو فى حَمَالة[3] ، أو على مِنبر جماعة ، أو فى عَقد إملاكٍ بين مسلم ومسلمة . فكيف يكون كلامُ هؤلاء يدعو إلى السَّلاطة والمِراء ،

---

(١) ل ، ب : « ومجلدة » بالجيم ، وأثبت ما فى ه والتيمورية .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصارى الخزرجى ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة ، وقد نفذ أبو بكر وصية له بعد موته أوصى بها رجلا رآه فى نومه . الإصابة ٩٠٠ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٥٧) .

(٣) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « ثائرة » تحريف . والحمالة كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وإلى الهَذَر والبَذَاء ، وإلى التفَيْهُق والرِّياء . ولو كان هذا كما يقولون لكان عليُّ ابنُ أبي طالبٍ ، وعبدُ الله بنُ عبّاسٍ أكثرَ النّاس فيما ذكرتم . فلِمَ خطبَ صعصعةُ بن صُوحان عند عليّ بن أبي طالبٍ ، وقد كان ينبغي للحسَن البَصريّ أن يكون أحقَّ التابعين بما ذكرتم ؟

قال الأصمعي : قيل لسعيد بن المسيِّب[1] : ها هنا قومٌ نُسّاكٌ يَعيبون إنشادَ الشعر . قال : « نَسَكُوا نُسْكاً أعجميًّا » .

وقد زَعمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «شُعبتانِ من شُعَب النِّفاق : البَذَاء والبَيان . وشُعبتان من شُعب الإيمان : الحياء ، والعِيّ » . ونحن نعوذُ بالله أن يكون القرآن يحثُّ على البيان ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحثُّ على العِيّ ، ونعوذُ بالله أن يجمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين البَذاء والبيان . وإنما وقَعَ النَّهْيُ على كلِّ شيءٍ جاوَزَ المقـدار ، ووقع اسم العِيِّ على كلِّ شيءٍ قصَّر عن المقدار . فالعِيُّ مذمومٌ والخطَلَ مذموم ، ودينُ الله تبارك وتعالى بين المقصِّر والغالي .

وها هنا رواياتٌ كثيرةٌ مدخولة [وأحاديث معلولة[2]] . رَوَوْا أنّ رجلاً مدح الحياء عند الأحنف ، [وأنّ الأحنف[2]] قال ثَمَّ[3] : يعودُ ذلك ضَعفاً . والخير لا يكون سبباً للشرّ . ولكنا نقول : إنّ الحياء اسمٌ لمقدارٍ من المقادير [ما زاد على ذلك المقدار فسمِّه ما أحببت . وكذلك الجود اسم لمقدارٍ من المقادير[4]] ، فالسَّرف اسم لما فضَل عن ذلك المقدار . وللحزم مقدارٌ ، فالجُبن اسمٌ لما فضل عن ذلك المقدار . وللاقتصاد مقدار ، فالبُخل اسمٌ لما خرج[5] عن ذلك المقدار ١٢٥

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي ، كان من أفقه التابعين ، وكان يسمى راوية عمر ، وكان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، كما كان من أعبر الناس للرؤيا . ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وتوفي سنة ٩٤ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٤) ، والمعارف ١٩٣ .

(٢) هذه مما عدا ل .   (٣) فيما عدا ل : « به » .

(٤) هذه مما عدا ل .   (٥) ل فقط : « لما فضل » .

والشَّجاعة مقدار ، فالتهوُّر والخَدَب اسمٌ لما جاوزَ ذلك المِقدار .

وهذه أحاديثُ ليست لعامّتها أسانيدُ متّصلة ، فإن وجَدْتَها متصلةً لم تجدها محمودة ، وأكثرُها جاءت مطلقةً ليس لها حاملٌ محمودٌ ولا مذموم . فإذا كانت الكلمة حسنةً استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحُسْن . فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة ، وتُنْسَب إلى هذا الأدب ، فقرضت قصيدةً ، أو حبَّرت خطبة ، أو ألفْتَ رسالة ، فإيّاك أن تدعوَك ثقتُك بنفسك ، أو يدعُوَك عُجْبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحلَه وتدَّعِيَه ؛ ولكن اعرِضْه على العلماء في عُرُض رسائلَ أو أشعارٍ أو خطب ، فإنْ رأيتَ الأسماعَ تُصْغِي له ، والعيونَ تَحْدِج إليه ، ورأيتَ مَن يطلبُه ويستحسنه ، فانتحلْه . فإن كان ذلك في ابتداء أمرِك ، وفي أوّل تكلُّفك فلم تر له طالباً ولا مستحسناً ، فلعلَّه أن يكون ما دام ريِّضا قضيباً[1] ، أن يحلَّ عندهم محلَّ المتروك . فإذا عاودْتَ أمثالَ ذلك مراراً ، فوجَدْتَ الأسماعَ عنه منصرفة ، والقلوبَ لاهيــة ، فخُذْ في غير هــذه الصناعة ، واجعَلْ رائدك الذى لا يَكْذِبُك حِرْصَهم عليه ، أو زُهدَهم فيه .

وقال الشّاعر[2] :

إنّ الحديثَ تغُرُّ القومَ خَلْوَتُه   حَتّى يَلِجَّ بهم عِيٌّ وإكثار[3]

ومن المثل المضروب : « كلُّ مُجْرٍ في الخلاء مُسَرٌّ[4] » ، ولم يقولوا مسرور . وكلٌّ صواب .

(١) الريض : الذى ابتدئ في رياضته . والقضيب : الذى لم يمهر في الرياضة . وأصل هذين الوصفين للحيوان الذى يراض ، كالناقة والفرس . وبعد هذه الكلمة في ب ، حـ : « تعنيا » وفي التيمورية : « تقيا » !

(٢) هو ابن هرمة كما في الحيوان (٢ : ٢٠٧) ورسائل الجاحظ ١٧١ ساسى . وانظر الحيوان (١ : ٨٨) ، وأدب الكتاب للصولى ١٠٧ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) .

(٣) ب والتيمورية : «حتى يلج» بالحاء .

(٤) في الحيوان (١ : ٨٨ / ٤ : ٢٠٧) والميدانى (٢ : ٧٣) والقالى (٢ : ٨٩) «يسر» . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخالى لا مسابق له فيه ، فهو مسرور =

فلا تثق في كلامك برأي نفسك ؛ فإنّي ربّما رأيتُ الرّجلَ متماسِكا وفوقَ المتماسك ، حتّى إذا صار إلى رأيه في شِعره ، وفي كلامِه ، وفي ابنه ، رأيته متهافِتاً وفوقَ المتهافِت .

وكان زهيرُ بنُ أبي سُلْمَى ، وهو أحد الثّلاثة المتقدمين ، يسمّى كبارَ قصائده « الحَوليّات » .

وقال نوح بن جرير : قال الحطيئة : « خيرُ الشِّعر الحوليّ المنقَّح » .

قال وقال : البعيث الشاعر[1] ، وكان أخطبَ النّاس : « إنّي واللهِ ما أُرسِل الكلامَ قضيباً خشيباً[2] ، وما أريد أنْ أخطُبَ يوم الحَفْل إلا بالبائت المحكَّك » . وكنتُ أظنُّ أنّ قولَهم « محكَّك » كلمةٌ مولَّدة ، حتّى سمعت قولَ الصَّعب بن عليّ الكِنانى : ١٢٦

أبلِغْ فزارةَ أنّ الذّئبَ آكِلُها ... وجائعٌ سَغِبٌ شرٌّ من الذّيب

أزَلُّ أطلَسُ ذو نفسٍ محكَّكةٍ ... قد كان طار زماناً في اليعاسيب[3]

وتكلَّم يزيدُ بن أبانٍ الرَّقاشى[4] ، ثم تكلم الحسَن ، وأعرابيّانِ حاضران

= بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل . و « مسر » اسم مفعول من « أسره » أي أفرحه ، وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد للآخر في عكسه :

ولدة ينفى على النعوت ... ينفى كإغضاء الروى المثبوت

أراد « المثبت » فتوهم « ثبته » . انظر اللسان (سرر) .

(١) البعيث لقب له . واسمه خداش بن بشر ، من بنى مجاشع ، وأمه أصبهانية يقال لها « مردة » . وسمى البعيث بقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما استـ ... ـمر فؤادى واستمر عزيمى

وكان أخطب تميم ، وكان يهاجى جريرا . الشعراء لابن قتيبة والمؤتلف ٥٦ .

(٢) الخشيب : الذى لم يحكم ولم يجود ، من السيف الخشيب الذى لم يصقل .

(٣) الأزل : السريع ، والخفيف الوركين . والأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد . واليعسوب : أمير النحل يقول : هو فى سرعته مثله .

(٤) هو أبو عمرو يزيد بن أبان الرقاشى البصرى القاص الزاهد الواعظ البكاء ، روى =

فقال أحدُهما لصاحبه : كيف رأيتَ الرّجُلين ؟ فقال : أمّا الأوّل فقاصٌّ مُجيدٌ ، وأما الآخَر فعربىٌّ مُحكِّكٌ .

قال : ونظر أعرابىٌّ إلى الحسن ، فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى خَيْشُومَ حُرٍّ .

قالوا : وأرادوا عبدَ الله بنَ وهبٍ الراسبىَّ[1] على الكلام يومَ عقدتْ له الخوارجُ الرِّياسة فقال : « وما أنا والرأىَ الفطيرَ[2] ، والكلامَ القضيب » ! ولمّا فرَغوا من البيعة له قال : « دعُوا الرّأى يَغِبُّ ؛ فإن غُبُوبَه يكشِف لكم عن مَحْضِه » .

وقيل لابن التَّوأم الرَّقاشىِّ[3] تكلّمْ ، فقال : « ما أشتهى الخبزَ إلا بائتاً » .

قال : وقال عبد الله بن سالم[4] لرُؤْبة : مُتْ يا أبا الجحاف إذا شئت . قال: وكيف ذاك ؟ قال رأيتُ اليوم عُقبةَ بن رؤبة ينشد شعراً له أعجبنى . قال : فقال رؤبة ؟ نعم [إنّه يقول[5]] ولكن ليس لشعره قِرَانٌ . وقال الشاعر :

مَهاذِبةٌ مَناجِبةٌ قِرَانٌ مناذِبةٌ كأنّهم الأسودُ

= عن أبيه وأنس بن مالك والحسن البصرى ، وروى عنه ابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبان وقتادة والأعمش . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢١٠ — ٢١١) وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩) .

(١) عبدالله بن وهب الراسبي : نسبة إلى راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان قد خرج على على فى أربعة آلاف . بايعه الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ . انظر الطبرى (٦ : ٤٢) والتنبيه والإشراف ٢٥٦ .

(٢) الفطير : كل ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه . ل : « القصير » تحريف .

(٣) ابن التوأم الرقاشى أحد البخلاء ، وقد أثبت له الجاحظ فى البخلاء رسالة طويلة . انظر ١٤١ — ١٦٣ . وروى ابن قتيبة له أخباراً فى عيون الأخبار (١ : ٢٩٩ ، ٣١٢/ ٣ : ١٧٠) .

(٤) سبقت كنيته فى ص ٦٨ : « أبو نوفل » . فيما عدا ل : « عبد الله بن سالم »

(٥) هذه مما عدا ل . وقد سبق الخبر فى ص ٦٨ .

يريد بقوله « قِران » التشابُهَ والموافقة .

وقال عُمَر بن لجأ لبعض الشُّعراء : أنا أشعر منك ! قال وبم ذاك[1] قال : لأنّى أقولُ البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابنَ عمّه .

قال : وذكر بعضُهم شِعر النّابغة الجعدىّ ، فقال : « مُطْرَفٌ بآلاف ، وخِمارٌ بواف[2] » . وكان الأصمعىُّ يفضّله من أجل ذلك . وكان يقول : « الحطيئة عبدٌ لشِعره » . عابَ شِعره حين وجدَه كلَّه متخيَّراً منتخَباً مستوِياً ، لمكان الصّنْعة والتكلُّف ، والقيام عليه .

وقالوا : لو أنّ شِعرَ صالح بن عبد القُدُّوس[3] ، وسابقٍ البربرىّ[4] كان مفرّقاً فى أشعار كثيرة ، لصارت تلك الأشعارُ أرفَعَ ممّا هى عليه بطبقاتٍ ، ولصار شعرُهما نوادِرَ سائرةً فى الآفاق . ولكنّ القصيدة إذا كانت كلُّها أمثالاً لم تَسِرْ ، ولم تجرِ مجرى النّوادر . ومتى لم يخرج السّامعُ من شىء إلى شىء لم يكن لذلك عنده موقع .

قال : وقال * بعضُ الشُّعراء لرجلٍ[5] : أنا أقولُ فى كلِّ ساعةٍ قصيدةً ، ١٢٧

---

(١) ل : « ولم ذلك »

(٢) المطرف بضم الميم وكسرها : واحد المطارف ، وهى أردية من خز مربعة لها أعلام . والواف : الدرهم الذى يزن مثقالا .

(٣) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، كان شاعراً حكيما من المتكلمين ، ومن الوعاظ بالبصرة ، اتهم عند المهدى بالزندقة فقتله ببغداد ، ضربه بيده بالسيف فجعله نصفين . وكان قد أضر آخر عمره . نكت الهميان ١٧١ وفوات الوفيات (١ : ٢٤٥) وتاريخ بغداد ٤٨٤٤ ولسان الميزان .

(٤) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربرى ، له أشعار حسنة فى الزهد ، وهو من موالى بنى أمية ، سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز . والبربرى نسبة إلى بلاد فى المغرب ، وقيل إنما هو لقب له . خزانة الأدب (٤ : ١٦٤) . ل : « اليزيدى » وفيما عدا ل : « البريرى » صوابهما ما أثبت .

(٥) ل : « لبعض » .

وأنت تقرِضُها في كلِّ شهرٍ . [فلمَ ذلك[1]] ؟ قال : لأنّي لا أقبل من شيطاني مثلَ الذي تقبَلُ من شيطانِك .

قال : وأنشد عُقبةُ بن رؤبة [أباه رؤبة[1]] بنَ العجاج شعراً وقال له : كيف تراه ؟ قال : يا بُنيّ إنّ أباك ليَعرِضُ له مثلُ هذا يميناً وشِمالاً فما يلتفت إليه .

وقد رَوَوْا مثلَ ذلك في زهيرٍ وابنه كعب .

قال : وقيل لعَقيل بن عُلَّفة : لِمَ لا تُطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك مِن القلادة ما أحاطَ بالعُنق[2] » .

وقيل لأبي المهوَّش[3] : لم لا تُطيل الهجاء ؟ قال : لم أجد المثلَ النادرَ إلاّ بيتاً واحداً ، ولم أجد الشِّعر السائرَ إلاّ بيتاً واحداً .

قال : وقال مَسلمةُ بنُ عبد الملك لنُصيبٍ الشاعر : ويحَكَ يا أبا الحَجْناء ، أما تُحْسِن الهجاء ؟ قال : أما تراني أُحْسِنُ مكان عافاك الله : لا عافاك الله !

ولاموا الكميتَ بن زيدٍ على الإطالة ،فقال : « أنا على القِصار أقدر » .

وقيل للعجّاج : مالكَ لا تُحسِن الهجاء ؟ قال : هل في الأرض صانعٌ إلاّ وهو على الإفساد أقدر .

وقال رُؤْبة : « الهَدْم أسرَعُ من البِناء » .

وهذه الحججُ التي ذكروها عن نُصيبٍ والكميت والعجّاجِ ورُؤْبة ، إنّما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهلٌ إن كانت هذه الأخبارُ

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) انظر الحيوان (٣ : ٩٩) وأمثال الميداني (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧)

(٣) أبو المهوش الأسدي : هو حوط بن رئاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبي ولم يروه . انظر الإصابة ٢٠١٥ والخزانة (٣ : ٨٦) . ل : « لأبي المهوس » ، صوابه بالشين .

صادقة . وقد يكونُ الرّجُل له طبيعةٌ فى الحساب ، وليس له طبيعة فى الكلام ، وتكون له طبيعة فى التّجارة وليست له طبيعةٌ فى الفلاحة ، وتكون له طبيعةٌ فى الحُداء أو فى التغبير[١] ، أو فى القراءة بالألحان ، وليست له طبيعةٌ فى الغناء ، وإن كانت هذه الأنواعُ كلّها ترجع إلى تأليف اللحون . وتكون له طبيعةٌ فى النّاى وليس له طبيعة فى السُّرْناى[٢] ، وتكون له طبيعةٌ فى قصبة الرّاعى ولا تكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين ، ويكون له طبع فى صناعة اللُّحون ولا يكون له طبعٌ فى غيرها ، ويكون له طبعٌ فى تأليف الرسائل والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعرٍ . ومثل هذا كثيرٌ جدًّا .

وكان عبدُ الحميد الأكبر[٣] ، وابنُ المقفّع ، مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشّعر إلا ما لا يُذكَر مثلُه .

وقيل لابن المقفّع فى ذلك ، فقال : « الذى أرضاه لا يجيئنى ، والذى يجيئنى لا أرضاه[٤] » .

وهذا الفرزدق ° وكان مُشْتَهِرًا بالنّساء[٥] ، وكان زِيرَ غَوانٍ ، وهو فى ذلك ١٢٨

(١) قال الأزهرى : « وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله تغبيراً ، كأنهم اذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا ، فسموا مغبرة » . ل : « التغيير » وفيما عدا ل : « التعبير » صوابهما ما أثبت

(٢) السرناى ، بضم السين : كلمة فارسية ، معناها البوق الذى ينفخ فيه ويزمر . استينجاس ٦٧٨ .

(٣) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، الذى قيل فيه : « فتحت الرسائل بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد » ، وهو من أهل الشام ، وكان فى أول أمره معلم صبية يتنقل فى البلدان ، وكان كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وقتل معه فى مدينة بوصير المصرية سنة ١٣٢ . وفيات الأعيان ، وسرح العيون (١ : ٢٥٦) .

(٤) فيما عدا ل : « يجيئنى » فى الموضعين .

(٥) هى صحيحة وقد وردت واضحة بهذا الرسم فى جميع النسخ ، وليس ما يوجب تصحيحها بـ « مستهترا » .

ليس له بيتٌ واحدٌ فى النَّسيب مذكور . ومع حسده لجرير . وجريرٌ عفيفٌ لم يَعشَق امرأةً قطّ ، وهو مع ذلك أغزَلُ النّاسِ شِعراً .

وفى الشُّعراء مَن لايستطيع مجاوزةَ الرّجز إلى القصيد ، ومنهم من يجمعهما كجرير وعُمَر بنِ لجأ ، وأبى النَّجم ، وحُميدٍ الأرقط ، والعُمانىّ . وليس الفرزدق فى طِوالِهِ بأشعَرَ منه فى قصاره .

وفى الشعراء مَن يخطب وفيهم من لايستطيع الخطابة ، وكذلك حال الخطباء فى قريض الشعر . والشّاعرُ نفسه قد تختلف حالاتُه .

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعَرُ النّاس ورُبّما مرّتْ علىّ ساعةٌ ونزْعُ ضرسٍ أهوَنُ علىّ من أن أقول بيتاً واحدا .

وقال العجّاج : لقد قلتُ أرجوزتى التى أوّلها :

بكيتَ والمُحتَزَنُ البَكِىُّ   وإنّما يأتِى الصِّبَا الصَّبِىُّ
أطرَباً وأنتَ قِنَّسْرِىُّ[1]   والدّهْرُ بالإنسان دَوّارِىُّ[2]

وأنا بالرّمل ، فى ليلةٍ واحدة ، فانثالَتْ علىّ قوافيها انثيالاً ، وإنى لأُرِيد اليومَ دونَها فى الأيّامِ الكثيرة فما أقدِر عليه .

وقال لى أبو يعقوبَ الخُرَيمىّ : خرجتُ مِن منزلِى أريد الشَّمَّاسيّة[3] ، فابتدأت القول فى مرثيةٍ لأبى التَّختاخ ، فرجَعت واللهِ وما أمكننى بيتٌ واحد .

وقال الشّاعر :

وقد يَقرِض الشّعرَ البَكِىُّ لسانُهُ   وتُعيِى القوافِى المرءَ وهو خَطيبُ

---

(١) القنسرى : الكبير السن . وقيل : لم يسمع هذا إلا فى بيت العجاج .
(٢) دوارى : يدور بالناس أحوالا . انظر ديوان العجاج ٦٦ .
(٣) الشماسية : موضع فى أعلى بغداد مجاور لدار الروم .

باب

من القول فى المعانى الظاهرة باللفظ الموجز[١]، من ملتقطات كلام النُّساك[٢]

قال بعض النّاس : « من التوقِّى تركُ الإفراط فى التوقِّى » .

وقال بعضهم : « إذا لم يكن ماتريد فأرِدْ ما يكون[٣] » .

وقال الشاعر :

قدَرُ الله واردٌ   حِين يقضى ورودُه
فأرِدْ ما يكون إنْ   لم يكن ما تريدُه[٤]

وقيل لأعرابىٍّ فى شكاتِه : كيف تجِدُك ؟ قال : « أجِدُنى أجِدُ ما لا أشتهى وأشتهى مالا أجد ، وأنا فى زمانٍ من جاد لم يجِد ، ومن وَجَدَ لم يجُدْ[٥] » .

وقيل لابن المقفَّع : ألا تقول الشعر ؟ قال : الذى يجيئنى لا أرضاه ، والذى ١٢٩ أرضاه لا يجيئنى[٦] .

وقال بعض النُّسَّاك : « أنا لما لا أرجو أرجَى مِنِّى لما أرجو » .

وقال بعضُهم : « أعجَبُ من العجب ، تركُ التعجُّب من العُجْب » .

---

(١) فيما عدا ل : « فى القوافى الظاهرة واللفظ الموجز » تحريف .
(٢) ل : « كلام الناس » تحريف .
(٣) هذه الكلمة لأيوب بن أبى تميمة السختيانى الذى سبقت ترجمته فى ص ١٩٢ . انظر صفة الصفوة (٣ : ٢١٤) والحيوان (٦ : ٨) .
(٤) هذان البيتان لم يرويا فى ل .
(٥) الخبر فى الحيوان (٣ : ١٣٢ / ٦ : ٥٠٣) . وقد نسب فى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) إلى أبى الدقيش . وما بعد كلمة « مالا أجد » هو مما عدا ل .
(٦) هذا الخبر من ل فقط ، وقد سبق قريبا فى ص ٢٠٨ .

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز لعبدِ بنى مَخزوم : «إنى أخافُ اللهَ فيما تقلّدتُ» . قال : لستُ أخاف عليك أن تخاف ، وإنّما أخاف عليك ألاّ تخاف .

وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صدَقْتُكَ ، وأخاف اللهَ إن كذَبْتُكَ .

وقال رجلٌ من النُّسّاك لصاحبٍ له وهو يَكِيدُ بنَفْسِه : أمّا ذنوبى فإنى أرجو لها مغفرةَ الله ، ولكنّى أخافُ على بناتى الضَّيعة ، فقال له صاحبه : فالذى ترجوه لِمغفرةِ ذنوبك فارجُه لحفظ بناتك[1] .

وقال رجلٌ من النُّسّاك لصاحبٍ له : مالى أراك حزيناً ؟ قال : كان عندى يتيمٌ أربّيه لأُوجَر فيه ، فمات وانقطع عنا أجْرُه ، إذْ بطَلَ قيامُنا بمئُونته . فقال له صاحبُه : فاجتلِبْ يتيماً آخر يَقوم لك مَقام الأوّل . قال : أخاف ألاّ أصيبَ يتيماً فى سوء خُلُقه ! قال له صاحبه : أمّا أنا فلو كنت فى موضعك منه لما ذكرت سوء خُلُقه .

وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوىّ وهو يقول : ما يمنعُنى مِن تعلُّم القرآن إلاّ أنى أخاف أنْ أُضَيِّعه . قال : أمّا أنت فقد عجّلت له التَّضييع ، ولعلّك إذا تعلّمْتَه لم تضيِّعه .

وقال عمر بنُ عبد العزيز لرجلٍ : مَن سيِّدُ قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كنت كذلك لم تَقُلْه[2] !

---

(١) ب : « تحفظ بناتك » ح : « يحفظ » . وأثبت ما فى ل والتيمورية .

(٢) فيما عدا ل : « لم تقل » .

باب آخر

وقالوا فى حُسن البيان ، وفى التخلُّص من الخصْم بالحقّ والباطل ، وفى تخليص الحقّ من الباطل ، وفى الإقرار بالحقّ ، وفى ترك الفخْر بالباطل .

قال أعرابىٌّ وذكر حِمَاس بنَ ثَامِلٍ فقال[1] :

برئتُ إلى الرحمن من كلّ صاحبٍ أصاحِبُه إلاّ حِمَاسَ بنَ ثاملِ
وظنِّى به بين السِّماطَين أنّه سيَنْجُو بحقٍّ أو سينجو بباطلِ

وقال العُجَير السَّلُولىّ[2] :

وإنَّ ابنَ زيدٍ لابنُ عمّى وإنّه لبلاَّلُ أيدِى جِلَّةِ الشَّوْلِ بالدّمِ[3]
طَلُوعُ الثَّنايا بالمطايا وإنّه غداةَ المَرادى لَلخطيبُ المقدَّمُ[4] ١٣٠
يسرُّك مظلوماً ويرضيك ظالماً ويَكفيكَ ما حُمِّلتَه حين تَغرَمُ

الشَّول : جمع شائلة ، وهى النّاقة التى قد جفَّ لبنها . وإذا شالت بذنبها بعد اللّقاح فهى شائلٌ ، وجمعها شُوَّل . المرادِى : المَصادم والمَقارع ؛ يقال ردَيْتُ الحجرَ بصخرةٍ [أو بمِعْوَلٍ[5]] ، إذا ضربتَه [بها[5]] لتكسِرَه . والمِرْداة : الصخرة التى يكسَّر بها الحجارة . وقال ابن رِبْعٍ الهُذَلىّ[6] :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل . وحماس بن ثامل ، أحد شعراء الحماسة ، أنشد له أبو تمام :

ومستنبح فى لج ليل دعوته بمشبوبة فى رأس صمد مقابل
وقلت له أقبل فإنك راشد وإن على النار الندى وابن ثامل

(٢) سبقت ترجمته فى ١٢٣ .

(٣) يبل أيديها بالدم ، أى ينحرها أو يعرقبها . والجلة : المسان من الإبل ، جمع جليل كصبي وصبية .

(٤) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة فى الجبل .

(٥) هذه مما عدا ل .

(٦) هو عبد مناف بن ربع الهذلى الجربى . وربع ، بكسر الراء . والجربى نسبة إلى =

أَعَيْنُ أَلاَ فابكى رُقَيبة إنَّهُ   وَصُولٌ لأرحامٍ ومِعْطاء سائِلِ[1]
فأُقسِمُ لو أدركتُهُ لحَمَيْتُــه   وإنْ كان لم يَترُكْ مقالاً لقائِلِ

وقال بعضُ اليهود ، وهو الرَّبيع بن أبى الْحُقَيق[2] من بنى النَّضير[3] :

سائِلْ بنـا خابرَ أكمائنا   والعلمُ قد يُلقَى لَدى السّائِلِ[4]
إنَّا إذا مالَتْ دواعِى الهوَى   وأنصتَ السّــامعُ للقائِلِ
واعتلَجَ النّاسُ بألبـابهم   نَقْضِى بحُكمٍ عادِلٍ فاصِلِ[5]
لا نَجعلُ الباطِلَ حقًّا ولا   نَلِطُّ دونَ الحقّ بالباطل[6]
نَـكرَهُ أنْ تَسْفَهَ أحلامُنا   فَنَخمُلَ الدّهرَ مع الخامِلِ

وقال آخر وذكر رِجاساً أيضا :

= جريب كقريش ، وهو بطن من هذيل . وعبدمناف شاعر جاهلى . انظر الخزانة (٣ : ١٧٤) وأما قصيدته التى منها البيتان فهى فى بقية أشعار الهذليين ٧ ونسخة الشنقيطى من الهذليين ٢٥ . وهو يرثى بالقصيدة « دية السلمى » . ودية بضم الدال وفتح الباء وتشديد الياء .

(١) فيما عدا ل : « أعينى » . وفى ديوان الهذليين : « فعينى ألا فابكى دية » .

(٢) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ٦١) أنه كان أحد الرؤساء فى يوم بعاث . وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .

(٣) وكذا ذكر ابن سلام فى طبقاته ١١٠ . وزعم أبو الفرج أنه من بنى قريظة ، وجاء فيما عدا ل زيادة : « وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فقتلوه » . وفى هذه العبارة خطأ وتحريف ؛ فإن الذى فى كتب السير أن الذى قتل بخيبر هو سلام بن أبى الحقيق ، وذلك أن الأوس بعد قتلهم لكعب بن الأشرف ، استأذنوا الرسول فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، فأذن لهم فخرجوا ، وأميرهم عبد الله بن عتيك ، إلى خيبر فقتلوا سلاما . وفى ذلك يقول حسان :

لله در عصابة لاقيتهم   يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

انظر السيرة ٧١٣ — ٧١٦ جوتنجن ، وديوان حسان ٢٧٢ — ٢٧٣ .

(٤) الخابر : الذى يخبر ويختبر . والأكماء : جمع كمى ، وهو الشجاع الجرى . قال :

تركت ابنتيك للمغيرة ، والقنا   شوارع والأكماء تشرق بالدم

وفى الأصول : « أكفائنا » صوابه من ابن سلام ١١٠ حيث أنشد الأبيات . و« يلق » بالقاف ، كما فى ل وابن سلام . وفى سائر النسخ « يلفى » ، سيان .

(٥) فيما عدا ل : « واصطرع » . وفى الطبقات : « نرضى بحكم العادل الفاصل » .

(٦) لط به : لزمه .

أتانى حماسٌ بابنِ ماهٍ يسوقُه ... ليَبْغِيَه خيراً وليس بفاعلِ[1]
ليُعْطِىَ عبساً مالَنا وصدورُنا ... من الغَيظ تغلِى مثلَ غَلْىِ المَراجلِ
وقافيةٍ قيلَتْ لكمْ لم أجِدْ لها ... جواباً إذا لم تَضْرِبوا بالمَناصلِ
فانطِقَ فى حقٍّ بحقٍّ ولم يكن ... ليَرْحَضَ عنكم قالةَ الحقِّ باطلِى[2] ١٣١

ليرحض، أى ليغسل. والراحض: الغاسل. والمرحاض: الموضع الذى يُغسَل فيه.

وقال عمرُو بن مَعْديكَرِب:

فلو أنَّ قومِى أنطقَتْنى رماحُهُمْ ... نَطقتُ ولكنَّ الرِّماحَ أجرّتِ[3]

الجِرار[4]: عُودٌ يعرَّض فى فم الفَصيل، أو يُشَقّ به لسانُه، لئلاّ يرضع. فيقول: قومى لم يَطْعَنُوا بالرِّماح فأُثْنِىَ عليهم، ولكنّهم فرُّوا فأسْكَتَتْ[5] كالمُجَرِّ الذى فى فمه جِرار[6].

وقال أبو عُبيدة: صاح رُؤْبةُ فى بعض الحروبِ التى كانت بين تميم والأزْد: يا معشر بنى تميم، أطلقوا من لسانى[7].

قال: وأبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنةً، فصاح: «لا عِيًّا

---

(١) ابن ماه، هذا ما أثبت فى هامش ل، ولهذا العلم اشتقاق فى اللغة من قولهم رجل ماهى القلب، أى جبان كأن قلبه فى ماء. وفى صلب ل: «بابن ماهى» وفيما عدا ل: «بابن ماها».

(٢) فيما عدا ل: «قالة الخزى».

(٣) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ١٧ — ١٨. وأبيات منها فى الحماسة (١: ٤٣). وانظر اللسان.

(٤) لم أجد هذا اللفظ فى المعاجم المتداولة. والمعروف «الخلال». انظر المعاجم فى مادة (خلل) والمخصص (٧: ٣٢). كما أن المعروف فى المصدر «الجر» و«الإجرار».

(٥) أسكت الرجل إسكاتا: انقطع كلامه فلم يتكلم.

(٦) ل: «الجرار».

(٧) نظير قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى فى المفضليات (١: ١٥٥):

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

ولا شللاً[١] ! » . والعرب تقول : « عِىٌّ أبأسُ من شَلل[٢] » كأنّ العِىَّ فوقَ كلّ زمانةٍ .

وقالت الجُهَنيّةُ[٣] :

ألا هَلَكَ الحُلوُ الحَلالُ الحُلاحِلُ   ومَن عِنده حِلمٌ وعلم ونائِلُ[٤]

وذو خُطَبٍ يوماً إذا القوم أفْحِمُوا   تُصيب مَرادى قولِهِ ما يحاولُ

بَصيرٌ بعَوراتِ الكلام إذا التقَى   شَرِيجان بين القوم : حقٌّ وباطلُ

أَبِىٌّ لما يأبَى الكريمُ بسيفِهِ   وإن أسلمَتْهُ جندُه والقبائلُ

ولَيس بِمعطاء الظُّلامةِ عن يدٍ   ولا دونَ أعلى سَوْرة المجد قابلُ[٥]

الحُلاحِلُ : السيِّد . شريجان : جنسان مختلفان من كلّ شىء[٦] .

وأنشد أبو عبيدةَ فى الخطيب يَطُولُ كلامه ، ويكونُ ذَكُوراً لأوّلِ خُطبته وللذى بَنَى عليه أمرَه ، وإنْ شَغَبَ شاغبٌ فقطع عليه كلامَه ، أو حَدَثَ عند ذلك حدَثٌ يُحتاج فيه إلى تدبيرٍ آخر ، وصَلَ الثانىَ من كلامه بالأوّل ، حتّى لا يكون أحدُ كلامَيهِ أجْوَدَ من الآخَر ، فأنشد :

وإنْ أحدَثوا شغْباً يُقطِّعُ نظمَها   فإنّك وَصّالٌ لما قَطَع الشَّغْبُ

ولو كُنتَ نَسّاجاً سَدَدْتَ خَصَاصَها   بقولٍ كطعم الشُّهد مازجَه العذْبُ[٧]

---

(١) فى اللسان : « ويقال لمن أجاد الرمى أو الطعن : لا شللا ولا عمى » .

(٢) ل : « أيأس من شلل » .

(٣) ب فقط : « الجهضمية » .

(٤) الحلال : الذى لا ريبة فيه . والحلاحل : السيد الشجاع الركين فى مجلسه .

(٥) عن يد : عن قهروذل واستسلام . وفى هامش ل : «نازل» رواية فى «قابل» .

(٦) فيما عدا ل : « شريجان : جنسان . يقال الناس شرجان وشريجان ، أى فرقتان . ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين ، أى بعضهم صائما وبعضهم مفطرا » .

(٧) الخصاص ، بالفتح : خلل الشىء . ل : « نساء » تحريف . وفيما عدا ل : « سدوت » تحريف أيضا ؛ إنما يقال سدى الثوب يسديه ، يائى . فيما عدا ل : « بالبارد العذب » وفيه الإقواء .

١٣٢ *وقال نُصَيْبٌ :

وما ابتذلْتُ ابتذالَ الثَّوبِ وُدَّكُمُ   وعائدٌ خَلَقاً ما كان يُبْتَذَلُ
وعِلْمُكَ الشَّىءَ تهوى أن تبيِّنَهُ   أشْفَى لقلبك مِن أخبار من تَسَلُ[1]

وقال آخَر :

لعَمْرُكَ ما وُدُّ اللِّسان بنافعٍ   إذا لم يَكن أصلُ المودَّة فى الصَّدرِ

وقال آخَر :[2]

تعلَّمْ فليس المرء يُولد عالماً   وليس أخو عِلمٍ كمَنْ هو جاهلُ
وأن كبيرَ القومِ لا عِلمَ عنده   صغيرٌ إذا التفَّتْ عليه المحافلُ[3]

وقال آخَر :

فَتًى مثلُ صَفْوِ الماء ليس بباخلٍ   عليك ولا مُهْدٍ مَلاماً لباخِلِ
ولا قائلٍ عَوْراءَ تؤذِى جليسَه   ولا رافعٍ رأساً بعوراءَ قائلِ[4]
ولا مُسْلِمٍ مولًى لأمرٍ يُصيبُه   ولا خالطٍ حقًّا مصيباً بباطلِ
ولا رافعٍ أحدوثةَ السّوء مُعْجَباً   بها بين أيدِى المجلسِ المتقابِلِ
يُرَى أهلُه فى نَعْمةٍ وهو شاحبٌ   طَوِى البَطنِ مِخماصُ الضُّحى والأصائلِ[5]

وقالت أخت يزيد بن الطَّثْرِيَّة[6] :

---

(١) يقال سأَلت أسأل ، وسلت أسل ، كما فى اللسان . ل : « يسل » .
(٢) هو رجل من قيس ، كما فى لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٢٢٨ .
(٣) بعده : ولا ترض من عيش بدون ولا يكن ⁂ نصيبك إرث قدمته الأوائل
(٤) العوراء : الكلمة القبيحة . فيما عدا ل : « تؤذى رفيقه » .
(٥) طوى البطن ، على وزن فعل ، أى ضامره . والمخماص : الجائع .
(٦) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر . والطثرية أمه ، وهى من الطثر ، بالفتح ، حى من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . وكان يزيد جميلا وسيما شريفا متلافا . توفى سنة ١٢٦ . انظر تحقيق ذلك فى حواشى الحيوان (٦ : ١٣٧) . واسم أخت يزيد زينب ، كما فى اللسان (١٣ : ٤٣) وحماسة أبى تمام (١ : ٤١٧) والبحترى ٤٣٣ .

أرى الأثْلَ مِن بطنِ العقيقِ مُجاوِرِي قريباً وقد غالت يَزِيدَ غوائلُه
فتىً قُدَّ قَدَّ السّيفِ لا متضائلٌ ولا رَهِـلٌ لَبّاتُه وبآدِلُه[1]
فتىً لا يُرى خَرْقُ القميص بخَصْرِه ولـكنّما تُوهِي القميصَ كواهلُه[2]
إذا نَزَلَ الأضيافُ كان عذَوّراً على الحيِّ حتّى تُستَقَلَّ مَراجلُه[3]
مَضى وورِثْناه دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وأبيضَ هنديًّا طويلاً حمـائلُه[4]
يَسُرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً وكلُّ الذى حمّلتَـه فهو حاملُه
١٣٣ * أخو الجِدِّ إنْ جَدَّ الرّجال وشمّروا وذو باطلٍ إن شئتَ ألهاك باطلُه

يصير هذا الشّعر وما أشبهَه ممّا وقع فى هـذا الباب، إلى الشّعر الذى فى أول الفَصْل.

(١) اللبة واللبب: المنحر. والبأدلة: اللحم بين الإبط والثندوة. وفى حماسه أبى تمام: «وأباجله».

(٢) لا يخرق قيصه بخصره لضمره، ويخرق قيصه بكاهله لـكثرة حمله نجاد السيف.

(٣) العذور: السيء الخلق. تستقل: تحمل وترفع. يقول: إنه يسوء خلقه على أهله عند نزول الضيف: حتى يطمئن إلى إمكان قراه. وعند البحترى: «حتى تستقر».

(٤) المفاضة: الدرع الواسعة. والدرع الدريس: الخلق. أضاف الصفة إلى الموصوف.

باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب

قال الشاعر :

عَجِبتُ لأقوام يَعِيبون خُطبَتى ... وما منهمُ فى موقفٍ بخطيبِ

وقال آخر[(١)] :

إنَّ الكلامَ مِنَ الفؤادِ وإنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ على الفؤاد دليلا[(٢)]

لا يُعجِبنَّك من خطيب قولُهُ ... حتَّى يكونَ مع البيان أصيلا[(٣)]

وأنشد آخر :

أَبَرَّ فما يزدادُ إلاّ حَماقةً ... ونَوكًا وإن كانت كثيراً مخارِجُه[(٤)]

وقد يكون ردىء العقل جيِّدَ اللسان .

وقال أبو العباس الأعمى[(٥)] :

إذا وصَفَ الإسلامَ أحسَنَ وصْفَهُ ... بِفِيه ، ويأبى قَلبُه ويهاجِرُه[(٦)]

وإن قامَ قال الحقَّ ما دامَ قائماً ... تقىُّ اللسان كافرٌ بَعْدُ سائِرُه[(٧)]

وقال قيس بن عاصم المِنقَرِىُّ[(٨)] يذكُر ما فى بنى مِنقر من الخَطابة :

---

(١) هو الأخطل كما نص ابن هشام فى شرح شذور الذهب ٢٧ .

(٢) الرواية المعروفة : « لفى الفؤاد » . والبيتان ليسا فى الديوان .

(٣) عند ابن هشام : « خطيب خطبة » . وفيما عدا ل : « مع اللسان » .

(٤) أبر : غلب . والنوك ، بالضم والفتح : الحمق .

(٥) أبو العباس الأعمى ، هو السائب بن فروخ ، مولى جذيمة بن على بن الديل بن بكر ابن عبد مناة ، وكان من شعراء بنى أمية المعدودين المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم ، روى الحديث عن صدر من الصحابة ، وروى عنه عطاء وعمرو بن دينار . توفى بعد ١٢٦ . الأغانى (١٥ : ٥٧ — ٦١) ونكت الهميان ١٥٣ — ١٥٥ وتهذيب التهذيب .

(٦) جاء بعد هذا البيت فيما عدا ل : « يقول أنه يثنيه عن قوله ويأباه ويهجره ويقول بحق على منبره بلسانه وسائره كافر » .

(٧) هامش ل : « خ : وإن قال الحق ما دام قائلا » .

(٨) هو أبو على قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس =

إنِّى امرؤٌ لا يعترى خُلُقى ... دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ ولا أَفَنُ[1]
من مِنقرٍ فى بيت مَكْرُمةٍ ... والأصلُ ينبتُ حولَهُ الغُصُنُ[2]
خطباء حينَ يقومُ قائلُهمْ ... بِيضُ الوُجوهِ مَصاقِعٌ لُسُنُ[3]
لا يَفْطِنون لعَيب جارِهمُ ... وهُمُ لحفظ جِوَارِهم فُطُنُ[4]

ومن هذا الباب وليس منه فى الجملة، قول الآخر :

١٣٤ أشارتْ بطَرْفِ العَينِ خيفةَ أهلِها ... إشارةَ مَذعورٍ ولم تتكلَّمِ
فأيقَنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قد قال مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المسلِّمِ[5]

وقال نُصَيبٌ، مولى عبد العزيز بن مروان[6] :

يقول فيُحسِنُ القولَ ابنُ لَيلَى ... ويفعلُ فوقَ أحسَنِ ما يقولُ[7]

= واسم مقاعس الحارث — بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر فارس شجاع ، وكان سيداً فى الجاهلية والإسلام ، صحب النبي فى حياته وعاش بعده زمانا ، وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية ، بل يزعمون أنه أول من وأد . وفيه يقول الأحنف : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم . الإصابة ٧١٨٨ والأغانى (١٢ : ١٤٣ — ١٥١) . وروى ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٨٦) أنه أنشد الشعر التالى ، حينما علم بأن ابن أخيه قد قتل ابنه .

(١) فنده : لامه وضعف رأيه . والأفن : ضعف الرأى والعقل. وفى أمالى القالى (١ : ٢٣٩) : « لا يعترى حسبى » .

(٢) فى الحماسة (٢ : ٢٦٤) وعيون الأخبار : « والغصن ينبت حوله » . وفى الأمالى : « والفرع » .

(٣) فى الأمالى وعيون الأخبار : « حين يقول » .

(٤) فى الحماسة والأمالى وعيون الأخبار : « لحفظ جواره » . وفطن : جمع فطن .

(٥) سبق البيتان فى ص ٧٨ . وروى هناك : « بالحبيب المتيم » .

(٦) نصيب هنا هو نصيب الأكبر ، وقد سبقت ترجمة الأصغر فى ١٢٥ . وهذا هو نصيب بن رباح ، وكان ابن نوبيين ، اشتراه عبد العزيز بن مروان ، وكان شاعرا فحلا فصيحاً ، وله شعر كثير فى الاحتجاج للسواد . انظر الأغانى (١ : ١٢٥ — ١٤٥) . وكنيته أبو محجن ، وجاء فى (١ : ١٣٥) أنه كان يكنى أبا الحجناء ، وهى كنية مشتركة بينه وبين نصيب الأصغر . انظر ما سبق فى ص ٢٠٧ .

(٧) البيت من أبيات فى الأغانى (١ : ١٣٥) . وبعده :

فتى لا يرزأ الخلان إلا ... مودتهم ويرزؤه الخليل
فبشر أهل مصر فقد أتاهم ... مع النيل الذى فى مصر نيل

وقال آخر :

أَلا رُبَّ خَصمٍ ذى فُنونٍ عَلَوْته وإن كان أَلْوَى يُشبِه الحَقَّ باطلُه[(١)]

فهذا هو معنى قولِ العتَّابى : « البلاغة إظهار ما غَمض من الحقّ ، وتصوير الباطل فى صورة الحقّ[(٢)] » . وقال الشَّاعر[(٣)] ، وهو كما قال :

عجبتُ لإدلال العَيِيِّ بنفسِه وصَمْتِ الذى قد كان بالقول أعلَما[(٤)]

وفى الصَّمت سَتْرٌ للعَيِيّ وإنما صحيفةُ لُبِّ المرء أنْ يتكلما

وموضع « الصحيفة » من هذا البيت ، موضعُ ذِكر « العنوان » فى شعره[(٥)] الذى رثى عثمانَ بن عفّان ، رحمه الله ، بِهِ حيث يقول :

ضَحَّوْا بأشمطَ عُنوانُ السُّجودِ به يقطِّع اللَّيلَ تسبيحاً وقرآنا[(٥)]

وأنشد أيضاً :

تَرَى الفتيانَ كالنَّخلِ وما يُدريكَ ما الدَّخْلُ[(٦)]

وكُلٌّ فى الهوى لَيْثٌ وفيما نابَهُ فَسْلُ

وليس الشَّأنُ فى الوصلِ ولكن إن يُرَى الفَضْلُ[(٧)]

---

(١) الألوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١١٣ س ١١ — ١٢ .

(٣) هو الحطئ جد جرير ، واسمه عوف ، انظر اللسان (خطف) حيث أنشد البيتين ، وكذا عيون الأخبار (٢ : ٢٧٥) .

(٤) فى اللسان : « لإزراء العيى » وفى عيون الأخبار : « قد كان بالحق » .

(٥) أى فى شعر الشاعر ، ولم يقصد به معينا . والبيت التالى لحسان بن ثابت فى ديوانه ٤١٠ واللسان (عنن ١٦٨) .

(٦) الشعر لابنة الخس ، كما فى اللسان (١٨ : ١٧٩ — ١٨٠) . وقبله :

قالت قالة أختى وحجواها لها عقل

وقد ضمنت ابنة الخس هذا المثل فى شعرها ، وأما المثل « ترى الفتيان » الخ ، فقائله هو عثمة بنت مطرود البجلية . انظر أمثال الميدانى (١ : ١٢٣) .

(٧) فيما عدا ل : « الفضل » بالضاد المعجمة .

وقال كِسرى أنو شِروان ، لبُزُرْجِمِهْر[١] : أىُّ الأشياء خيرٌ للمرء العَىّ[٢] ؟ قال عقلٌ يعيش به . قال : فإن لم يكن له عقلٌ ؟ قال : فإخوانٌ يسترون عليه . قال : فإن لم يكن له إخوانٌ ؟ قال : فمالٌ يتحبَّب به إلى الناس . قال فإن لم يكن له مال ؟ قال : فعِىٌّ صامتٌ . قال : فإن لم يكن له[٣] ؟ قال : فموتٌ مُرِيح .

وقال موسى بنُ يحيى بنِ خالد : قال أبو علىّ[٤] : « رسائل المرء فى كُتُبه أدَلُّ على مِقدارعقله ، وأصْدَقُ شاهداً على غيبه لك[٥] ، ومعناه فيك ، مِن أضعاف
١٣٥ ذلك على المشافهة والمواجهة » .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٧ ، حيث ورد الخبر التالى ببعض خلاف .

(٢) هذا ما فى ب ، وهو يطابق ما سبق . وفيما عداها : « العى » .

(٣) فيما عدا ل : « ذلك » بدل « له » .

(٤) هذه إحدى كنيتى العتابى ، وكنيته المشهورة أبو عمرو . وجاء فى عيون الأخبار (١ : ٣٩٠) « قال يحيى بن خالد للعتابى فى لباسه ، وكان لا يبالى مالبس — يا أبا على ، أخزى الله أمراً رضى أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله » . والعتابى هو كلثوم بن عمرو بن أيوب ، وجده السابع هو عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . والعتابى شاعر مترسل بليغ مطبوع ، من شعراء الدولةالعباسية ، وكان منقطعا إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . انظر الأغانى (١٢ : ٢ — ٩) وتاريخ بغداد ١٩٦١ ومعجم الأدباء (١٧ : ٢٦) .

(٥) فيما عدا ل : « وأصدق شاهد على غيبه لك » .

وباب منه آخر

ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبُرودِ العَصْب ، وكالحُلَل والمعاطف ، والدِّيباج والوشْى ، وأشباه ذلك .

وأنشدنى أبو الجَاهِر جُندب بن مدرِك الهلالىُّ :

لا يُشتَرى الحمدُ أُمْنيَّـةً ولا يُشتَرى الحمد بالمَقْصِرِ[1]
ولكنّما يُشـتَرى غالياً فمن يُعْطِ قيمته يَشْتَرِ
ومَن يعتـطِفْه على مِئزرٍ فنِـعم الرِّداءُ على المِئْزرِ

وأنشدنى لابن مَيَّادَةَ[2] :

نَعَمْ إنّنى مُهْدٍ ثَنـاءً ومِدْحَةً كبُرْدِ اليمانِى يُرْبِحُ البيعَ تاجِرُهْ

وأنشد :

فإنْ أهْلِكْ فقد أبقَيتُ بعدى قوافِىَ تُعجِب المُتمثِّلينا[3]
لذيذاتِ المقاطعِ مُحْكَماتٍ لوَ انَّ الشِّعرَ يُلبَس لارتُدِينا

وقال أبو قُرْدُودة ، يرثى ابن عمّارٍ[4] قتيلَ النُّعمان ونديمَه[5] ، ووصف كلامه ، و[قد[6]] كان نهاه عن منادمته :

---

(١) المقصر ، بفتح الصاد وكسرها : الشىء الدون اليسير . اللسان (٦ : ٤١٥) .

(٢) ابن ميادة ، هو الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين ، وكان ممن مدح المنصور ، ومات فى صدر خلافته . الأغانى (٢ : ٨٥ — ١١٦) .

(٣) البيتان لابن ميادة ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢٣٧ — ٢٣٨ وانظر ديوان المعانى (١ : ٨) ودلائل الإعجاز ٣٦٨ .

(٤) هو عمرو بن عمار الطائى ، كان شاعرا خطيبا ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته . وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر التالى . انظر الحيوان (٤ : ٢٤٣ / ٥ : ٣٣٢) . ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٥) هذه الكلمة فى ل فقط . (٦) هذه مما عدا ل .

إنّي نَهَيْتُ ابنَ عمّارٍ وقلتُ له   لا تأمَنَنْ أحمرَ العينين والشَّعَرَهْ
إنَّ الملوكَ متى تَنْزِلْ بساحتِهِمْ   تَطِرْ بنارِكَ مِن نيرانهم شَرَرَه
يا جَفْنةً كإزاءِ الحَوضِ قد هَدَمُوا   ومنطقاً مثلَ وَشْيِ اليَمْنة الحِبَرَه[1]

وقال الشّاعر،[2] فى مديح أحمدَ بنِ أبى دُوَاد :

وعويصٍ من الأُمورِ بهيمٍ   غامضِ الشَّخصِ مُظْلِمٍ مستورِ[3]
قد تسهّلتَ ما توعَّر منــهُ   بلســانٍ يَزِينُهُ التَّحبيرُ[4]
مثلُ وَشْيِ البُرود هَلْهَلَه النَّســجُ وعِند الحِجاجِ دُرٌّ نثيرُ
حَسَنُ الصَّمت والمَقَاطِعِ إمّا   نَطق القــومُ والحديثُ يدورُ[5]
ثُمَّ من بَعْدُ لحظةٌ تُورِثُ اليُسْــرَ وعِرضٌ مهذَّبٌ موفورُ ١٣٦

ومما يُضَمّ إلى هذا المعنى وليس منه ، قولُ جميل بن مَعْمَر :

نَمَتْ فى الرَّوابى من مَعَدٍّ وأفْلَجَتْ   على الخَفِرات الغُرِّ وهى وليدُ
أناةٌ على نِيرينِ أضحَى لِدَاتُهــا   بَلِيــنَ بلاءَ الرَّيْطِ وهى جديدُ[6]

نمت : شبَّت . الرَّوابى من مَعَدٍّ : البيوت الشريفة . وأصل الرابية والرُّباوة : ما ارتفع من الأرض . أفلجت : أظهرت[7] . والخفِرَات : الحييّات . الأناة : المرأة التى فيها فُتورٌ عند القيام . وقوله على نِيرَين ، وصفها بالقوة ، كالثّوب الذى

(١) إزاء الحوض : مصب الدلو فيه .
(٢) هو الجاحظ ، كما ورد فى ترجمة ياقوت له .
(٣) فى البيت إقواء .
(٤) فى معجم الأدباء : « قد قسمت » .
(٥) فيما عدا ل : « أنصت القوم » . وفى معجم الأدباء : « نصت » ، وهى صحيحة يقال نصت وأنصت ، والأخيرة أعلى .
(٦) فى المخصص (٣ : ١٥٦) :
ضناك على نيرين أضحى لداتها   بلين بلى الريطات وهى جديد
(٧) فيما عدا ل : « أفلجت : ظهرت وقهرت » وتقرأ بالبناء للفاعل .

يُنسَج على نِيرَين ، وهو الثَّوب الذى له سَدَيان ، كالدِّيباج وما أشبهه . أضحى لِداتُها ، اللِّدَة : القرينة فى المولد والمنشأ . فيقول : إنَّ أقرانَها قد بَلِينَ ، وهى جديدٌ لحُسن غِذائها ودوام نَعْمتها .

ومِن هذا الشكل وليس منه بعينه قولُ الشاعر :

على كلِّ ذى نيرين زِيد مَحالُهُ مَحالاً وفى أضلاعه زِيد أضْلُعَا

[المَحال : مَحال الظَّهر ، وهى فقارُه ، واحدُها مَحالة] .

وقال أبو يعقوب الخُرَيميُّ الأعور : أوّلُ شعرٍ قلتُه هذان البيتان :

بِقلبى سَقَامٌ لستُ أُحْسِنُ وصفَه على أنّه ما كان فهو شديدُ

تمرُّ به الأيّامُ تسحَبُ ذيلَها فتَبْلَى به الأيّامُ وهو جديدُ

وقال الآخر[1] :

أبى القلبُ إلاّ أمَّ عمرٍو وحبَّها عجوزاً ومَن يُحبِبْ عجوزاً يُفنَّدِ

كبُرْد اليمانى قد تقادَمَ عهده ورُقْعتُه ما شئْت فى العينِ واليَدِ

وقال ابن هَرْمة :

إنَّ الأديمَ الذى أصبحتَ تعرُكُه جهلا لَذُو نَغَلٍ بادٍ وذو حَلَمِ[2]

ولن يَئِطَّ بأيدى الخالقين ولا أيدى الخوالق إلا جيّدُ الأَدَمِ[3]

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذى الرُّمَّة : ١٣٧

وفى قصرِ حَجْرٍ من ذُؤابة عامرٍ إمامُ هدًى مستبصِرُ الحكمِ عادِلُه[4]

---

(١) فيما عدا ل : « وقال آخر ، هو أبو الأسود الدئلى » . والبيتان فى الحماسة (٢ : ١٢٨) منسوبان إلى أبى الأسود .

(٢) النغل : فساد الأديم . والحلم ، بالتحريك : فساده ووقوع الدود فيه .

(٣) يئط : يصوت . والخالق الذى يخلق الأديم ، يقدره ويقيسه قبل أن يقطعه . أو الأدم بالتحريك : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد المدبوغ . ويقرأ أيضا « الأدم » بضمتين جمع أديم .

(٤) البيتان فى ديوان ذى الرمة ٤٧٤ . وفى شرح الديوان : « الحجر سوق اليمامة وقصبتها » . ب : « ثغر حجر » ج : « قصر فقر » محرفتان .

كأنَّ على أعطافه ماءَ مُذْهَبٍ   إذا سَمَلُ السِّربالِ طارت رَعابلُه

الرَّعابل: القِطع. وشواءٌ مُرَعْبَلٌ: مقطَّع. ورَعْبَلْتُ الشيء أي قطَّعته. ويقال ثوب سَمَلٌ وأسمالٌ. ويقال سَمَل الثوب وأسمل، إذا خَلِق.

وهو الذي يقول:

حوراء فى دَعَجٍ صفراء فى نعجٍ   كأنها فضَّة قد مسَّها ذهبُ

الحور: شدَّة بياض العين. والدَّعجُ: شدة سواد الحدقة. والنَّعج: اللِّين. قالوا: لأنَّ المرأة الرقيقةَ اللون يكون بياضُها بالغداة يضرب إلى الحمرة، وبالعشىِّ يضرب إلى الصفرة. ولذلك قال الأعشى:

بيضاء ضَحْوتَها وصفـ   ـراء العَشِيَّة كالعَرارَهْ[1]

وقال آخر:

قد علمتْ بيضاء صَفْراءُ الأُصُلْ[2]   لأُغْنِيَنَّ اليوم ما أغنى رجُلْ

وقال بشَّار بن بُرْد:

وخُذِى ملابسَ زينةٍ   ومُصَبَّغاتٍ فَهْىَ أفخرْ

وإذا دخَلْتِ تقنَّعِى   بالُحمرِ إنَّ الحسْنَ أحمرْ

وهذان أعميانِ قد اهتديَا من حقائق هذا الأمر إلى ما لايبلغه تمييز البَصير[3]. ولبشَّارٍ خاصَّةً فى هذا الباب ماليس لأحد؛ ولولا أنّه فى كتاب الرَّجُل والمرأة، وفى باب القول فى الإنسان من كتاب الحيوان، أليَقُ وأزكى[4]، لذكرناه فى هذا الموضع.

---

(١) ديوان الأعشى ١١١ واللسان (عرر).
(٢) الأصل: جمع أصيل، وهو آخر النهار.
(٣) ل: «البصر».
(٤) أزكى: أصلح. فيما عدا ل: «أذكى» تحريف.

ومما ذكروا فيه الوزنَ قولُه :

زِنِي القول حتَّى تعرفى عند وزنهم   إذا رُفع الميزان كيف أميلُ[1]

وقال ابن الزَّبير الأسدىّ ، واسمه عبدُ الله[2] :

١٣٨ أعاذِلَ غُضِّى بعضَ لَوْمِكِ إنّنى   أرى الموتَ لا يرضى بِدَيْنٍ ولا رَهْنِ

وإنى أرى دهراً تغَيَّرَ صَرْفُه   ودُنْيا أراها لا تقومُ على وزْنِ

---

(١) ل : « حتى تعرف وزنه » .

(٢) الزبير ، هذا ، بفتح الزاى . وهو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة ، ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة . وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصبين لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيرا ، فمن عليه ووصله ، فمدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل وعمى بعد ذلك . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان أحد الهجائين يخاف الناس شره . الأغانى (١٣ : ٣١ — ٤٧) والخزانة (١ : ٣٤٥) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٠) . ولم يذكره الصفدى فى نكت الهميان .

وباب آخر

ويذكرون الكلام الموزونَ ويمدحُون به ، ويفضِّلون إصابةَ المقادير ، ويذمُّون الخروجَ من التعديل[١] .

قال جعفر بنُ سليمان : ليس طِيبُ الطّعام بكثرة الإنفاق وجودة التَّوابل ، وإنّما الشّأنُ فى إصابة القَدْر . وقال طارقُ بن أُثال الطائىّ[٢] :

ما إنْ يزالُ ببغـــدادٍ يزاحمُنا   على البَراذينِ أشباهُ البراذينِ
أعطاهمُ اللهُ أموالاً ومنزلةً   من الملوك بلا عقلٍ ولا دينِ
ما شئتَ مِن بغلةٍ سَفواء ناجيةٍ   وَمِن أثاثٍ وقولٍ غيرِ موزونِ[٣]

وأنشدنى بعض الشعراء :

رأتْ رجلاً أودى السِّفارُ بجسمه   فلم يبقَ إلاّ مَنطِقٌ وجَناجِنُ[٤]

[الجناجن : عظام الصَّدر[٥]] .

إذا حُسِرَتْ عنهُ العِمامةُ راعَها   جَميلُ الحفوفِ أغفلَتْهُ الدّواهنُ[٦]
فإن أكُ مَعرُوقَ العظامِ فإنّنى   إذا ما وَزَنْتَ القومَ بالقومِ وازِنُ[٧]

وقال مالك بن أسماء فى بعض نسائه وكانت لا تصيب الكلام كثيراً ، وربّما لحنَتْ :

---

(١) فيما عدا ل : « التبويل » محرف .
(٢) فيما عدا ل : « وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائى » .
(٣) سفواء : خفيفة سريعة . فيما عدا ل : « سفواء : ناجية سريعة » .
(٤) السفار : مصدر سافر ، كالمسافرة .
(٥) هذه مما عدا ل . والمفرد جنجن ، بكسر الجيمين وفتحهما .
(٦) الحفوف : الشعث وبعد العهد بالدهن . فيما عدا ل : « الحقوق » تحريف .
(٧) معروق العظام : قليل اللحم .

أمغَطًى مِنّى على بَصرِى للـحُبِّ أَمْ أنتِ أكملُ النّاسِ حُسْنا(١)
وحـديثٍ ألَذُّه هو ممّا ينعتُ النّاعِتونَ يُوزَنُ وزْنا
مَنطِقٌ صائبٌ وتلحن أحيا نًا وخَيرُ الحديثِ ما كان لَحنا ١٣٩

وقال طَرَفة فى المقدار وإصابته :

فسقَى ديارَكِ غيرَ مُفسِدِها صَوبُ الرّبيع وديمةٌ تَهمِى(٢)

طلب الغيثَ على قدْر الحاجة ، لأنّ الفاضل ضارّ . وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى دعائه(٣) : « اللهمَّ اسقِنا سقياً نافعا » . لأنّ المطر ربّما جاء فى غير إبّان الزّراعات ، وربما جاء والتمر فى الجُرُنِ ، والطّعام فى البيادر . وربّما كان فى الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهمّ حوالَيْنا ولا علينا(٤) » .

وقال بعض الشُّعراء لصاحبه : أنا أشعرُ منك . قال : ولِمَ ؟ قال لأنّى أقول البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابن عمِّه .

وعاب رؤبةُ شعر ابنه فقال : « ليس لشعره قِرَان(٥) » . وجعل البيتَ أخا البيت إذا أشبهه وكان حقُّه أن يُوضَع إلى جنْبه . وعلى ذلك التأويل قال الأعشى :

أبا مِسْمَعٍ أقصِرْ فإنّ قصيدةً متى تأتكم تلحق بها أخواتُها

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ .

وقال عمرو بن معدى كرب :

وكل أخٍ مفارقُهُ أخوه لعَمْرُ أبيك إلّا الفرقدانِ(٦)

---

(١) سبقت الأبيات والكلام عليها فى س ١٤٧ . وانظر كذلك أمالى ثعلب ٢٤١ من المخطوطة والقالى (١ : ٥) والرضى (١ : ١٠) .
(٢) ديوان طرفة ٦٢ ومعاهد التنصيص (١ : ١٢٢) .
(٣) الكلام من هنا إلى نهاية قوله : « صلى الله عليه وسلم » من ب فقط .
(٤) الكلمة الأولى من الحديث ساقطة من ل . (٥) انظر ما سبق فى س ٦٨ .
(٦) انظر الخزانة (٢ : ٥٢) والكامل ٧٦٠ وسيبويه (١ : ٣٧١) . والبيت ينسب أيضا إلى حضرمى بن عامر . المؤتلف ٨٥ .

وقالوا فيما هو أبعد مَعْنًى وأقلُّ لفظا . قال الهُذَلِىّ[١] :

أعامرُ لا آلوكَ إلاّ مُهَنَّداً ... وجِلدَ أبى عِجلٍ وثيقِ القبائلِ[٢]

ويعنى بأبى عِجلٍ الثّور .

وقالوا فيما هو أبعد من هذا . قال ابن عَسَلَةَ الشَّيبانى ، واسمه عبدُ المسيح[٣] :

وسَماعِ مُدْجِنَةٍ تعلِّلُنا ... حتى نَنامَ تناوُمَ العُجْمِ[٤]

فصحوت والنَّمَرِىُّ يحسبها ... عمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ[٥]

النجم واحدٌ وجمعٌ[٦] . والنَّجم : الثريّا فى كلام العرب . مدجنة ، أى سحابة دائمة[٦] .

وقال أبو النَّجْم فيما هو أبعد من هذا ، ووصف العيرَ والمَعْيُوراء ، وهو الموضع

١٤٠ * الذى يكون فيه[٧] :

---

(١) أبو خراش الهذلى . انظر نسخة الشنقيطى من الهذليين ٧١ .

(٢) فى ديوان الهذليين : « أواقد » وفى المخصص (١٣ : ١٧٤) :

أواقد لا آلوك إلا مهندا ... وجلد أبى العجل الشديد القبائل

قال : « يعنى ترسا عمل من جلد ثور مسن شديد قبائل الرأس » .

(٣) هو عبد المسيح بن حكيم بن عفير . وعسلة أمه نسب إليها ، وهى عسلة بنت عامر ابن شراكة الغسانى . انظر المؤتلف ١٥٧ — ١٥٨ والمرزبانى ٣٨٥ وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء . وقد نشرته محققا بمجلة المقتطف مايو سنة ١٩٤٥ . وقصيدة البيتين فى المفضليات (٢ : ٧٩) .

(٤) المدجنة : القينة تغنى فى يوم الدجن ، بفتح الدال ، وهو تكاثف الغيم . تعللنا : تلهينا بصوتها . قال الأصمعى : « كانت الأعاجم إذا نامت لم يجترأ عليها أن تنبه ، ولكن يعزف حولها ويضرب حتى تنتبه » . والآمدى يرويه « تناؤم العجم » . قال « تناؤم من النئيم ، أى تتكلم بما لا يفهم » .

(٥) النمرى ، هو كعب ، أحد بنى النمر بن قاسط . أى يحسب القينة فى عظيم قدرها عما للسماك ، وخالة للثريا . وفى جميع النسخ : « فصحوت » . وكذا فى الحيوان (١ : ٢١٢ ، ٢٨٦) وصواب روايته : « لصحوت » . لأن البيت جواب لبيت سابق ، وهو :

يا كعب إنك لو قصرت على ... حسن الندام وقلة الجرم

(٦) التكملة مما عدا ل . وقد وردت هاتان التكملتان أيضا فى الحيوان (١ : ٢٨٦) .

(٧) فيما عدا ل : « الذى يكون فيه الأعيار » على أن المعروف أن « المعيوراء » جمع من جموع العير .

* وظَلَّ يُوفِي الأَكَمَ ابنُ خالِهَا *

فهذا مما يدلُّ على توسُّعهم فى الكلام ، وحَمْلِ بعضِه على بعض ، واشتقاق بعضه من بعض[١] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نِعْمَتِ العمّةُ لكُمُ النَّخْلة » حين كانَ بينها و بين الناس تشابهٌ وتشاكل ونسبٌ من وجوهٍ . وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الزَّرع والنَّخْل .

وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدْتُ بأن التمرَ بالزبد طَيِّبٌ   وأنَّ الحُبارَى خالة الكَرَوانِ[٢]

لأنَّ الحُبارَى ، و إن كانت أعظمَ بدنًا من الكَرَوانِ ، فإنَّ اللَّونَ وعَمُودَ الصُّورة واحد ، فلذلك جعلها خالَته ، ورأى أنَّ ذلك قرابةٌ تستحقّ بها هذا القول .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) فى الحيوان (٦ : ٣٧٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : «ألم تر أن الزبد» .

باب آخر من الشعر مما قالوا فى الخطَب

واللَّسَن والامتداح به والمديح عليه

قال كعب الأشقرِىُّ[1] :

إلاَّ أكُنْ فى الأرض أخطبُ قائما   فإنِّى على ظَهر الكُميت خطيبُ

وقال ثابت قُطْنَة :

فإلاَّ أكنْ فيهم خطيباً فإنّنى   بسُمْر القنا والسَّيف جِدُّ خطيبِ[2]

وقالت ليلى الأخيليَّة :

حتّى إذا رُفِع اللّواء رأيتَه   تحتَ اللّواء على الخميس زَعيما[3]

وقال آخر :

عجبتُ لأقوامٍ يَعيبُون خُطبتى   وما منهمُ فى مَأقِطٍ بخطيبِ[4]

وهؤلاء يفخرون بأنّ خطبَهم التى عليها يعتمدون ، السيوفُ والرِّماح[5] ، وإن كانوا خطباء . وقال دُريد بن الصِّمَّة[6] :

أبلِغْ نُعَيْماً وأوفَى إن لقيتَهُما   إن لم يكن كان فى سمعيهما صمَمُ

فلا يزالُ شهابٌ يُستضاء به   يَهدِى المَقانِبَ ما لم تَهلِكِ الصِّمَمُ[7]

---

(١) هو كعب بن معدان الأشقرى ، شاعر فارس خطيب ، من أصحاب المهلب مذكور فى حروب الأزارقة . الأغانى (١٣ : ٥٤ — ٦١) ومعجم المرزبانى ٣٤٦ .

(٢) فيما عدا ل : « أكن فيكم » و « جد لعوب » .

(٣) من مقطوعة لها رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٧٦ — ٢٧٧) . وقبله :

ومخرق عنه القميص تخاله   وسط البيوت من الحياء سقيما

(٤) ل : « فى موقف » . وكتب فى هامشها « خ : مأقط » .

(٥) فيما عدا ل : « بخطبهم التى عليها يعتمدون بالسيوف والرماح » تحريف .

(٦) الأبيات التالية يرثى بها أخاه عبد يغوث بن الصمة . الأغانى (٩ : ٨) .

(٧) فى الأغانى : « فلا يزال شهابا » وبين هذا وسابقه فى الأغانى :

فما أخى بأخى سوء فينقصه   إذا تقارب بابن الصادر القسم

والصمم : جمع صمة ، بكسر الصاد وتشديد الميم ، وهو الشجاع . فى الأغانى : « الأمم » .

عارِى الأشاجع معصوبٌ بلمّته   أمرُ الزَّعامة فى عِرنينه شَمَمُ

المقانب : جمع مِقنَب ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة . والأشاجع : عروقُ ظاهرِ الكفّ ، وهى مغرز الأصابع . واللّمّة : الشّعرة التى ألمّت بالمنكب . ١٤١ وزَعيم القوم : رأسُهم وسيّدهم الذى يتكلّم عنهم . والزّعامة : مصدر الزّعيم الذى يسود قومَه . وقوله «معصوبٌ بلمّته» أى يُعصَب برأسه كلُّ أمرٍ . عِرنينه : أنفه .

وقال أبو العباس الأعمى (١) ، مولى بنى بكر بن عبد مناةَ من بنى عبدشمس :

ليت شعرى أفاح رائحة المسـك   وما إن أخال بالخَيْف أُنسِى (٢)
حين غابت بنو أميّةَ عنه   والبهاليلُ من بنى عبد شمسِ
خطباء على المنابر فُرسا   نٌ عليها وقالةٌ غير خُرْسِ
لا يُعابُون صامتينَ وإنْ قا   لُوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ
بحلومٍ إذا الحلوم استُخِفّتْ   ووجوهٍ مثلِ الدنانير مُلْسِ (٣)

وقال العجّاج :

وحَاصِنٍ من حاصِناتٍ مُلْسِ   من الأذَى ومن قِرافِ الوَقْسِ (٤)

المحصَنة : ذات الزوج . والحاصن : العفيف (٤) . والوقس : العيب (٥) .

وقال امرؤ القيس :

ويارُبَّ يومٍ قد أروح مُرَجَّلاً   حبيباً إلى البيض الكواعب أملسا (٦)

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢١٨ . والأبيات التالية فى الأغانى (١٥ : ٥٧) ونكت الهميان للصفدى ١٥٤ . وقد ذكر فيهما قصة للشعر .
(٢) الخيف : موضع فى الحجاز .
(٣) فى الأغانى : « إذا الحلوم تقضت » . قال : « ويروى مكان تقضت : اضمحلت » .
(٤) وكذا جاءت نسبتها فى اللسان (وقس) . وجاء فى (حصن) بدون نسبة . وليسا فى ديوان العجاج ولا ملحقاته .
(٥) فيما عدا ل : « العفيفة » . والحاصن يقال للمذكر والمؤنث .
(٦) فيما عدا ل : « الجرب » .
(٧) ديوان امرئ القيس ١٤١ .

وقال أبو العباس الأعمى :

ولم أرَ حَيًّا مثــل حيٍّ تحملوا   إلى الشام مظلومِينَ منذُ بُرِيتُ

أعزَّ وأمضى حين تَشــتجرُ القنا   وأعلمَ بالمســكين حيث يَبيتُ

وأرفَقَ بالدُّنيا بأُولَى سياســةٍ   إذا كاد أمرُ المســلمين يفوتُ

إذا مات منهم سيِّدٌ قام ســيِّدٌ   بصيرٌ بعَورات الكلام زَمِيتُ

وقال آخر :

لا يُغسَل العِرْضُ مِن تدنُّســِهِ   والثَّوب إن مَسَّ مَذْنَسًا غُســِلاَ

١٤٢ • وزَلَّةُ الرِّجل تُســتَقال ولا   يكاد رأىٌ يُقيــلك الزَّللاَ

وقال آخر فى الزَّلل :

ألهــفى إذْ عَصَيْتُ أبا يزيدٍ   ولهفى إذ أطعت أبا العــلاء

وكانت هَــفوةً من غير ريحٍ   وكانت زَلَّةً من غير ماء

وقال آخر :

فإنكَ لم ينــذِرْك أمراً تخافُه   إذا كنت فيه جاهلاً مثلُ خابِرِ

وقال ابن وابصة [اسمُه سالم[1]] ، فى مقامٍ قامَ فيه مع ناسٍ من الخُطباء :

يأيها المتحلِّي غيرَ شــيمتِه   ومَن سجيَّته الإكثارُ والمَلَقُ

اعمِدْ إلى القصْد فيما أنت راكبُه   إنَّ التخــلُّق يأتى دونَه الخُلُقُ

صَدَّت هُنيدةُ لما جئتُ زائرَها   عنِّى بمطروفةٍ إنسانُها غَــرِقُ

وراعها الشَّيبُ فى رأسى فقلتُ لها   كذاكِ يصفَرُّ بعد الخُضْرة الورَقُ

---

(١) هذه مما عدا ل . ونسبة الشعر إلى سالم بن وابصة هى كذلك فى الحماسة (١ : ٢٩٥) ونوادر أبى زيد ١٩١ والمؤتلف ١٩٧ . ونسب فى الحيوان (٣ : ١٢٧) والعقد (٢ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٧٧) والشعراء ١٣٨ إلى العرجى ، وفى حماسة البحترى ٣٥٨ إلى ذى الأصبع ، وورد بدون نسبة فى أمالى ثعلب ١٢٢ من المخطوطة . وسالم بن وابصة ، شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان . انظر المؤتلف وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٤٣ .

بلْ موقفٍ مثلِ حدِّ السيف قمتُ به　　أحمِى الذِّمار وترمينى به الحَدَقُ[١]
فما زَلَلْتُ ولا أُلفِيتُ ذا خَطَلٍ　　إذا الرِّجال على أمثالها زَلِقُوا

قال : وأنشدنى لأعرابىٍّ من باهِلَة :

سأُعمِل نَصَّ العِيس حتى يكُفَّنى　　غِنى المال يوماً أو غِنى الحَدَثانِ[٢]
فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرَى لها　　على الحُرِّ بالإقلال وَسْمُ هوانِ
متى يتكلَّمْ يُلْغَ حسنُ حديثِه　　وإن لم يَقُلْ قالوا عديمُ بيانِ
كأنَّ الغِنى عَنْ أهله ، بُورِكَ الغِنى ،　　بغيرِ لسانٍ ناطقٌ بلسانِ[٣]

وفى مثلها فى بعض الوجوه قال عروة بن الورد[٤] : ١٤٣

ذرِينى للغِنَى أسعَى فإنِّى　　رأيتُ النّاسَ شرُّهم الفقيرُ
وأهْوَنُهم وأحقرُهمْ لديهمْ　　وإن أمسى له كَرَمٌ وخِيرُ[٥]
ويُقصَى فى النَّدِىِّ وتزدريهِ　　حليلتُه وينْهَرُه الصَّغيرُ[٦]
وتلقَى ذا الغِنى وله جلالٌ　　يكاد فؤادُ صاحبِه يَطيرُ[٧]
قليلٌ ذنبُه والذّنبُ جَمٌّ　　ولكنَّ الغِنَى ربٌّ غفورُ[٨]

---

(١) بل ، هنا ، بمعنى رب ، تعمل عملها ، كما فى قوله :
* بل جوز تيهاء كظهر الحجفت *

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء . ونصها : تحريكها حتى تستخرج أقصى ما عندها من الجرى . والحدثان : الحوادث .

(٣) أى ناطق بلسان أهله . فيما عدا ل : « فى أهله » . وما أثبت من ل أجود ، وهو المطابق لما فى عيون الأخبار .

(٤) الأبيات مما لم يرو فى ديوان عروة . وقد رويت له فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢).

(٥) الخير ، بالكسر : الشرف والأصل . فيما عدا ل : « نسب وخير » .

(٦) الندى : مجلس القوم ، كالنادى والمنتدى . التيمورية : « ويقضى فى الندى » .

(٧) فيما عدا ل : « ويلق ذو الغنى » .

(٨) كذا فى ل والتيمورية . وفى ب ، حـ : « ولكن للغنى » . وانشده المرتضى فى أماليه (١ : ٣٨) : « ولكن الغنى » ، وقال : « أراد غنى رب غفور » .

وقال ابن عبّاس رحمه الله : « الهوَى إلهٌ معبود » . وتلا قولَ الله عزّ وجل : ﴿ أفرأيتَ مَنِ اتّخذَ إلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل[1] :

تلك عِرساى تنطِقان على عَمْـدٍ لِىَ اليومَ قولَ زُور وهِـتْرِ[2]
سَالَتَانى الطَّـلاقَ أنْ رأتَا ما لِى قليلاً قد جئتُمانى بنُكْرِ[3]
فلعلِّى أن يكثُرَ المالُ عِنـدِى ويُعرَّى من المَغَارِم ظهـرِى
وتُرى أعبـدٌ لنا وأواقٍ ومناصيفُ من خوادمَ عَشْرِ[4]
ونجرُّ الأذيالَ فى نعمةٍ زَوْ لٍ تقولان ضَعْ عصاكَ لدهْرِ[5]
وَىْ كأنْ مَن يكن له نشبٌ يُحْـبَبْ ومن يفتقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[6]
ويُجنَّبْ سِرَّ النَّجِىِّ ولكـنَّ أخا المال مُحْضَرٌ كُلَّ سِرِّ

المناصيف ، واحدهم مِنْصَفٌ وناصِفٌ ، وقد نَصَفَ القوم يَنْصُفُهم نِصَافَةً ، إذا

---

(١) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أحد العشرة المبشرين ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديما . وفى بيته أسلم عمر بن الخطاب ، لأنه كان زوج أخته فاطمة . توفى سنة ٥٠ . الإصابة ٣٢٥٤ وتهذيب التهذيب . وأبوه زيد بن عمرو أحد الصحابة الذين آمنوا بالرسول قبل أن يبعث . الإصابة ٢٩١٧ والخزانة (٣ : ٩٩) . والأبيات التالية تروى حينا لسعيد ، وحينا لوالده . وتروى كذلك لنبيه بن الحجاج ، كما فى الخزانة وشرح أبيات الكتاب للشنتمرى (٢ : ١٧٠) . ونسبت لزيد فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٢) الهتر ، بالكسر : الكذب والخطأ فى الكلام .

(٣) استشهد به سيبويه على إبدال الألف فى « سالتانى » من الهمزة . وفى سيبويه (١ : ٢٩٠ / ٢ : ٣٧٠) : « أن رأتانى * قل مالى » .

(٤) أواق ، فسره البغدادى بأنه جمع أوقية من الذهب أو الفضة . وقال : « ويروى بدله : وجياد » .

(٥) ب فقط : « دع عصاك » تحريف . ضع عصاك ، كناية عن الإقامة ؛ لأن المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يحملها . لدهر ، أى إلى انقضاء دهر . وفى هامش ل « خ : مثل قول الشاعر فألقت عصاها واستقر بها النوى » .

(٦) النشب ، بالتحريك : المال الأصيل من الناطق والصامت .

خدَمَهم . نعمةٌ زَوِلٌ : حسنة . [والزَّوِل : الخفيف الظريف[١]] .

وقال عَبيد بن الأبرص فى نحو هذا وليس كمثله :

تلك عِرسى غضبَى تريد زِيالى ... ألبينٍ تريدُ أم لدَلاَلِ[٢] ١٤٤
إن يكن طِبُّكِ الفراقَ فلا أحْــفِلُ أن تعطفِى صُدورَ الجِمالِ[٣]
أو يكن طِبُّكِ الدَّلالَ فلو فى ... سالف الدَّهرِ واللَّيالى الخوالى[٤]
كنتِ بيضاء كالمهاةِ وإذْ آ ... تيكِ نَشْوانَ مُرخياً أذيالى
فاتركى مَطَّ حاجِبَيكِ وعيشى ... مَعَنَـا بالرَّجاء والتَّأمالِ
زعَمتْ أنّنى كبِرتُ وأنّى ... قلَّ مالى وضَنَّ عنى المَوالى
وصحا باطِلِى وأصبحتُ شيخاً ... لا يُواتِى أمثالَها أمثالى
إنْ ترَيْنِى تغيَّرَ الرأسُ مِنّى ... وعلا الشَّيبُ مَفْرِقى وقَذالى
فَبِما أدخُل الخِباء عَلَى مَهْـــضومةِ الكَشحِ طَفْلَةٍ كالغزَالِ
فتعاطيتُ جِيدَها ثمَّ مالتْ ... مَيَلانَ القضيبِ بين الرِّمالِ
ثم قالت فِدًى لنفسِك نفسى ... وفداءٌ لمالِ أهلِكَ مالِي

* * *

قال : وخرج عثمانُ بن عفّانَ — رحمه الله — من دارِه يوماً ، وقد جاء عامر بن عبد قيس[٥] ، فقعد فى دهليزه ، فلما خرج رأى شيخا دميما أشْغَى ثَطًّا ، فى عباءة ، فأنكره وأنكر مكانَه ، فقال : يا أعرابى : أين ربُّكَ ؟ فقال : بالمِرْصَاد . [والشَّغَى : تراكب الأسنان واختلافها . ثَطٌّ : صغير اللحية[٦]] .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) الأبيات من قصيدة له فى مختارات ابن الشجرى ١٠٢ . والزيال : المفارقة .

(٣) الطب ، بالكسر : الطوية والإرادة والشهوة .

(٤) هذا البيت فى ل والتيمورية فقط .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ٨٣ . (٦) هذا مما عدا ل .

ويقال إن عثمان بن عفان لم يُفْحِمْه أحدٌ قطُّ غير عامر بن عبد قيس .

ونظر معاويةُ إلى النَّخَّار بن أوسٍ العُذْرِىّ[١] ، الخطيب الناسب ، فى عباءةٍ فى ناحيةٍ من مجلسه ، فأنكره وأنكر مكانَه زرايةً منه ، فقال من هذا ؟ فقال النَّخَّار : يا أمير المؤمنين ، إنّ العباءة لا تكلِّمك ، وإنما يكلِّمك مَن فيها .

قال : ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هَرِم بن قُطْبة[٢] ، ملتفًّا فى
١٤٥ بَتٍّ له فى ناحيةِ المسجد ، ورأى دمامته وقلّته ، وعَرَف تقديمَ العرب له فى الحُكم والعِلم ، فأحبَّ أن يكشِفَه ويَسْبُرَ ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك اليومَ أيُّهما كنت تنفِّر ؟ يعنى عَلقمة بن عُلاثَة ، وعامرَ بن الطُّفَيل . فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلتُ فيهما كلمةً لأعدتُها جَذَعةً . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لهذا العقل تحاكمت العربُ إليك .

ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوفدُ[٣] ، والأحنف ملتفٌّ فى بَتٍّ له[٤] ، فترك جميع القومِ واستنطقَه ، فلما تبعَّق منه ما تبعّق ، وتكلم بذلك الكلامِ البليغِ المصيب ، وذهب ذلك المذهَب ، لم يزَلْ عنده فى عَلياء ، ثم صار إلى أن عقد له الرِّياسة ثابتة له[٥] ، إلى أن فارقَ الدنيا .

ونظر النُّعمانُ بنُ المنذر إلى ضَمْرة بن ضَمْرة[٦] ، فلما رأى دمامته وقلّته قال : « تَسمعُ بالمُعَيدىِّ لا أنْ تراه » . هكذا تقوله العرب . قال ضمرة : « أبيتَ اللّعن ، إنّ الرجال لا تُكال بالقُفْزان ، ولا توزَن فى الميزان ، وإنّما المرء بأصغرَيْه : قلبِه ولسانه» .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ . (٢) سبقت ترجمته فى ص ١٠٩ .
(٣) هم وفد العراق ، أهل البصرة والكوفة . وخبر هذا الوفد فى العقد (١ : ١٩١) .
(٤) البت : كساء غليظ مربع .
(٥) فيما عدا ل : « ثابتا له ذلك » .
(٦) سبقت ترجمته فى ص ١٧١ ، حيث مضى الخبر .

وكان ضَمرةُ خطيباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيِّداً .

وكان الرَّمَق بن زيد[١] مدح أبا جُبَيلةَ الغسّانى[٢] ، وكان الرَّمَق دَمِيما قصيراً ، فلما أنشده وحاوره ، قال : « عسَلٌ طيِّبٌ فى ظَرف سَوء » .

قال : وكلَّم عِلباءُ بنُ الهَيثم السَّدوسى[٣] عمرَ بن الخطّاب ، وكان عِلباءُ أعورَ دميما ، فلمَّا رأى براعته وسمع بيانَه ، أقبل عمر يصعِّد فيه بصرَه ويَحْدُرُه ، فلما خرج قال عمر : « لكلِّ أناسٍ فى جُمَيْلِهِمْ خُبْرٌ[٤] » .

* * *

وقال أبو عثمان : وأنشدتُ سهلَ بن هارونَ ، قولَ سلمة بن الخُرْشُب[٥] وشعرَه الذى أرسل به إلى سُبَيع التغلبى[٦] فى شأن الرُّهُنِ التى وضعت على يديه فى قتال عَبْسٍ وذُبيان ، فقال سَهل بن هارون : والله لكأنَّه قد سمع رسالةَ عمر

---

(١) فى الاشتقاق ٢٧٠ « ومنهم الرمق بن زيد بن غنم الشاعر ، جاهلى . والرمق معروف ، وهو باقى النفس » . وذكر فى حواشيه عن العسكرى أنه « الدمق » واسمه عبيد بن سالم بن مالك . وفى الأغانى (١٩ : ٩٦) أن الرمق لقب له ، واسمه عبيد بن سالم بن مالك .

(٢) أبو جبيلة الغسانى ، أحد ملوك الغساسنة بالشام ، وفى ملوكهم جبلة بن الأيهم الغسانى آخر ملوك الغساسنة . وكان الرمق قد مدح أبا جبيلة بشعر قال فيه :

وأبو جبيلة خير من ... يمشى وأوفاهم يمينا
وأبره برا وأعـ ... ـلمه بعلم الأولينا

وهذا الشعر هو الذى يشير إليه الجاحظ . انظر الأغانى (١٩ : ٩٦) . ب والتيمورية : «أبا جبلة الغسانى » .

(٣) فيما عدا ل : « وتكلم علباء » وفى ب فقط بعد كلمة « السدوسى » : «عند عمر» . وما فى أمثال الميدانى (٢ : ١١٥) يطابق ما أثبت من ل ، جـ وهو علباء بن الهيثم بن جرير وأبوه من الرؤساء الذين حاربوا كسرى فى وقعة ذى قار . وأدرك علباء الجاهلية والإسلام ، وشهد الجمل واستشهد بها . الإصابة ٦٤٤٣ .

(٤) الجميل : تصغير الجمل . والخبر ، بضم الخاء وكسرها : العلم والمعرفة . فيما عدا ل : « خبرة » ، وهى بضم الخاء وكسرها كالخبر . وفى أمثال الميدانى : « لكل أناس فى بعيرهم خبر » .

(٥) سلمة بن الخرشب ، أحد شعراء المفضليات ، واسمه سلمة بن عمرو بن نصر ، والخرشب لقب أبيه ، وأصل معناه الطويل السمين .

(٦) ب فقط : « الثعلبى » مع أثر تصحيح .

ابن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم . والقصيدة قوله :

أبلغ سُبَيعاً وأنت سَيِّدُنا قِدْماً وأوفَى رجالِنا ذِمَما
أنَّ بَغيضاً وأنَّ إخوتَها ذُبيانَ قد ضرَّمُوا الذى اضطرما
١٤٦ نُبِّئتُ أنْ حكَّموكَ بينهم فلا يَقُولُنَّ بِئس ما حَكَما
إن كنتَ ذَا خِبرةٍ بشأنهمُ تعرفُ ذا حَقِّهم ومن ظَلَما
وتُنْزِلِ الأمرَ فى منازِلِه حُكماً وعلماً وتُحْضِرُ الفَهِما[1]
ولا تُبالى مِن المُحِقِّ ولا المُبْطِلِ لا إلَّهً ولا ذِمَما
فاحكمْ وأنت الحكِيمُ بينهمُ لن يَعْدَموا الحكمَ ثابتاً صَتَما

الصَّتَمَ : الصحيح القوىُّ ؛ يقال رجلٌ صَتَمٌ ، إذا كان شديداً[2] .

واصدَعْ أديمَ السَّواءِ بينهمُ على رضا مَن رَضِى ومن رَغِمَا
إنْ كان مالاً فَقَضِّ عِدَّتَهُ مالاً بمالٍ وإنْ دَمًا فدَمَا[3]
حتى تُرَى ظاهرَ الحُكومة مِثْـلَ الصُّبْح جَلَّى نهارُه الظُّلَمَا
هذا وإنْ لم تُطِقْ حكومتَهمْ فانبِذْ إليهمْ أمورَهُم سَلَمَا

* * *

وقال العائشىُّ[4] : كان عمر بن الخطاب — رحمه الله — أعلمَ الناسِ بالشِّعر ، ولكنه كان إذا ابتُلِىَ بالحُكْم بين النَّجاشىِّ والعَجْلانى[5] ، و بين

---

(١) فيما عدا ل : « وتحضر » بالضاد المعجمة ، وستعاد الأبيات فى (٢ : ٢٦١) من الأصل .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) فيا عدا ب : « فقض عدته » والوجه ما أثبت من ب .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن حفص ، المترجم فى ص ١٠٢ .

(٥) النجاشى هو قيس بن عمرو ، من بنى الحارث بن كعب ، روى أنه شرب الخمر فى رمضان لجلده على مائة سوط ، فلما رآه زاد على الثمانين صاح به : ماهذه العلاوة يا أبا الحسن ؟ =

الحطيئة والزِّبْرِقان ، كره أن يتعرَّضَ للشُّعَراء ، واستشهد للفريقَينِ رجالاً ، مثل حسَّان بن ثابت وغيره ، ممن تهون عليه سِبَالُهم ، فإذا سمع كلامَهم حَكَم بما يعلم ، وكان الذى ظَهَرَ من حُكْم ذلك الشاعرِ مُقْنِعاً للفريقين ، ويكون هو قد تخلَّص بعِرضِه سليماً . فلمَّا رآه مَن لا عِلْم له يسأل هذا وهذا ، ظنَّ أن ذلك لجهله بما يعرف غيرُه .

قال : ولقد أنشدوه شعراً لزهيرٍ — وكان لشعرِه مقدِّما — فلما انتهوا إلى قوله :

وإنَّ الحق مَقْطَعُهُ ثلاثٌ   يمينٌ أو نِفار أو جِلاءُ[1]

قال عمر كالمتعجِّب مِن علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامَها :

وإنَّ الحقَّ مقطعه ثلاثٌ   يمين أو نِفارٌ أو جِلاءُ

* يردِّد البيت من التعجُّب . ١٤٧

وأنشدوه قصيدةَ عَبْدَةَ بنِ الطَّبيب[2] الطويلةَ التى على اللام[3] ، فلما بلغ المنشدُ إلى قوله :

والمـــرء ساعٍ لشىء ليس يدركُهُ   والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

قال عمر متعجِّبا :

= فقال : لجراءتك على الله فى رمضان ! فهرب إلى معاوية وهجا عليا . الإصابة ٧٣٠١ ، ٨٨٥٤ والخزانة (٢ : ١٠٧) . وفى الإصابة أنه إنما سمى النجاشى لأن لونه كان يشبه لون الحبشة . وحكى ابن الكلبى أن جماعة من بنى الحارث بن كعب وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم من الهند » . وأما العجلانى ، فهو تميم بن أبى بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان . أدرك الإسلام فأسلم ، وكان يبكى أهل الجاهلية ، وعمر مائة وعشرين سنة . الإصابة ٨٥٨ والخزانة (١ : ١١٣) . وانظر الحكومة بينهما فى المرجعين المتقدمين والعمدة (١ : ٢٧) وأمالى ثعلب ١٨٠ — ١٨١ وزهر الآداب (١ : ١٩) .

(١) النفار : أن يتنافروا إلى حاكم يحكم بينهم . والجلاء ، بالكسر ، كما ضبط فى أصول الديوان ٧٥ ، وكما به عليه الصغانى . انظر حواشى اللسان (جلا ١٦٣) .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ١٢٢ .

(٣) هى إحدى المفضليات . انظر (١ : ١٣٣ — ١٣٤) .

* والعيشُ شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ *

يعجّبهم من حسن ما قسّم وما فصّل[١] .

وأنشدوه قصيدة أبى قيس بن الأسلت التى على العين ، وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكَيْسُ والقُوّةُ خيرٌ من الـ ـإشْفاقِ والفَهّةِ والهَاعِ[٢]

أعاد عمرُ البيت وقال :

الكَيس والقُوّةُ خيرٌ من الـ ـإشْفاقِ والفَهّةِ والهاعِ

[وجعل عمر يردّد البيت ويتعجّب منه[٣]] .

قال محمّد بن سلام ، عن بعض أشياخه قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرِض له أمرٌ إلاّ أنشدَ فيه بيتَ شِعر .

وقال أبو عمرو بنُ العلاء : كان الشّاعر فى الجاهلية يُقدّم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشّعر الذى يُقيّد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنَهم ، ويهوّل على عدوّهم ومَن غزاهم ، ويهيّب من فُرسانهم ويخوّف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعرُ غيرِهم فيراقب شاعرَهم ، فلمّا كثُر الشّعر والشعراء ، واتخذوا الشّعر مَكْسَبَةً ورحلوا إلى السُّوقة ، وتسرّعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيبُ عندَهم فوقَ الشّاعر. ولذلك قال الأوّل : «الشّعر أدنى مروءة السرىّ ، وأسرَى مروءة الدّنىّ» .

قال : ولقد وضَع قولُ الشعر من قدر النّابغة الذّبيانىّ ، ولو كان فى الدّهر الأوّل ما زادَه ذلك إلاّ رِفعة .

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٦) .

(٢) البيت من قصيدة مفضلية (٢ : ٨٤ — ٨٦) . الفهة : العى والسقطة والجهلة . والهاع : شدة الحرص . ويروى :

الحزم والقوة خير من الـ إدهان والفكة والهاع

(٣) هذه مما عدا ل .

وروى مُجالد[١] عن الشَّعبي قال : ما رأيت رَجُلاً مثلى ، وما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم منى بشىء إلاّ لقيتُه .

وقال الحسن البَصرىّ : يكون الرَّجُل عابداً ولا يكون عاقلا ، ويكون عابدًا عاقلا ولا يكون عالما . وكان مسلم بن يَسار عاقلا عالما عابدا .

قال : وكان يقال : « فقِه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مُطرِّف ، وحِفظ قتادة » .

قال: وذُكرت البصرة ، فقيل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبدالله المزنى[٣] .

قال : والذين بثّوا العلم فى الدنيا أربعــة : * قَتادة[٤] ، والزُّهرى[٥] ، ١٤٨
والأعمش[٦] ، والكلبى[٧] .

---

(١) هو مجالد بن سعيد الهمدانى ، أبو عمرو الكوفى النسابة ، يروى عن الشعبي ومسروق ، ويروى عنه الهيثم بن عدى . توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٩ — ٤٠) والمعارف ٢٣٤ .

(٢) مسلم بن يسار البصرى الأموى المكى ، روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه ابنه عبد الله وثابت البنانى وابن سيرين . وكان مفتى أهل البصرة قبل الحسن . توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٦١) .

(٣) سبق الخبر فى ص ١٠١ .

(٤) هو قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ، أحد المحدثين العباد الزهاد الثقات . ولد سنة ٦١ وتوفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٨٢) وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٥) وابن خلكان ونكت الهميان .

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ، نسبة إلى زهرة بن كلاب : حافظ مدنى . ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٧) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٠٢) وابن خلكان .

(٦) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئا حافظا عالما بالفرائض ، ولد يوم قتل الحسين ، يوم عاشوراء سنة ٦١ وتوفى سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٥) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٤٥) وابن خلكان .

(٧) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبى الكوفى النسابة المفسر ، قالوا : ليس لأحد أطول من تفسيره . وتوفى بالكوفة سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب وابن خلكان ، وابن النديم ١٣٩ حيث ساق الأخير ثبت مصنفاته الكثيرة .

وجمع سليمان بن عبد الملك بين قَتَادَة والزُّهرىّ ، فغَلب قتادةُ الزهرىَّ ، فقيل لسليمانَ فى ذلك ، فقال : إنّه فقيهٌ مليح . فقال القَحذَمِى[1] : لا ، ولكنه تعصَّب للقرشيَّة ، ولانقطاعه إليهم ولروايته فضائلهم .

وكان الأصمعى يقول : « وُصِلْتُ بالعلم ، ونلتُ بالمُلَحِ[2] »

وكان سهل بن هارون يقول : « اللسان البليغ والشعر الجيِّد لا يكادان يجتمعان فى واحِدٍ ؛ وأعسَرُ من ذلك أن تجتمع بلاغةُ الشعر ، و بلاغة القلم » .

والمسجديُّون[3] يقولون : من تمنَّى رجلاً حَسَنَ العقل ، حسنَ البيان ، حسنَ العلم ، تمنَّى شيئا عسيراً .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحذم القحذمى ، ثقة من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان ، وعنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، توفى سنة ٢٢٢ . السمعانى ٤٤٣ ولسان الميزان (٦ : ٢٢٧) .

(٢) سبق هذا القول فى ص ١٩٩ . وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٧) .

(٣) المسجديون : جماعة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة. انظر الحيوان (٣ : ٣٦٠) .

باب

وكانوا يعيبون النُّوكَ والعِيَّ والُحمقَ ، وأخلاقَ النِّساء والصِّبيان . قال الشاعر :

إذا ما كنتَ متَّخِـذا خليلاً　　فلا تثِقَنْ بكلِّ أخى إخاء
وإن خُيِّرت بينهمُ فألصِقْ　　بأهل العقـلِ منهم والحياء
فإنَّ العقـلَ ليس له إذا ما　　تفاضلت الفضائلُ من كِفاء
وإنَّ النوكَ للأحساب داء　　وأهونُ دائِه داء العيـــاء
ومَن ترَكَ العواقبَ مهملاتٍ　　فأيسر سَعيه سـعىُ العَناء
فلا تثِقنَّ بالنَّوكى لشىء　　وإن كانوا بنى ماء السماء[1]
فليسوا قابِلِي أدبٍ فدَعْهمْ　　وكن من ذاك منقطِعَ الرَّجاء

وقال آخَر فى التضييع والنُّوك :

ومَن ترَكَ العواقبَ مهملاتٍ　　فأيْسَرُ سـعيِه أبداً تَبابُ[2]
فعِش فى جَدِّ أنوكَ ساعدتهُ　　مقاديرٌ يخالفُها الصَّوابُ[3]
ذهاب المال فى حمـدٍ وأجرٍ　　ذهابٌ لا يقال له ذَهاب

وقال آخرُ فى مثل ذلك :

أرى زمناً نَوكاهُ أسـعَدُ أهلِهِ　　ولـكنَّما يشقى به كلُّ عاقلِ[4]

---

(١) بنو ماء السماء ، هم ملوك الشام ، أبوهم ماء السماء بن حارثة الأزدى . قال :

أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدى　　أبوه عامر ماء السماء

ويقال أيضا لملوك العراق بنو ماء السماء . وهو لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ابن ربيعة بن نصر اللخمى . قال زهير :

ولازمت الملوك من آل نصر　　وبعـدهم بنى ماء السماء

(٢) هذا البيت من ل فقط . والتباب : الخسران والهلاك .

(٣) فى عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) « خالفته * مقادير يساعدها » .

(٤) عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) .

مشَى فوقه رجلاهُ والرّأسُ تحتَه   فكَبّ الأعالى بارتفاعِ الأسافِلِ

وقال الآخر :

فلم أر مثـلَ الفقرِ أوضَعَ للفتى   ولم أر مثلَ المـالِ أرفعَ للرَّذْلِ (١)

ولم أر عِزًّا لامرئٍ كعشيرةٍ   ولم أر ذُلاًّ مثلَ نأيٍ عن الأصلِ (٢)

ولم أر مِن عُدمٍ أضرَّ على امرئٍ   إذاعاشَ وسطَ النّاس من عدم العقلِ

وقال آخر :

تحامَقْ مع الحمقى إذا ما لقيتَهمْ   ولا قِهِمِ بالنوكِ فِعلَ أخى الجهـلِ (٣)

وخلِّط إذا لاقَيت يوماً مُخلِّطاً   يخلِّط فى قولٍ صحيـحٍ وفى هزْلِ (٤)

فإنِّى رأيتُ المرءَ يشقَى بعقـله   كما كان قبلَ اليوم يَسعَدُ بالعقلِ

وقال آخر (٥) :

وأنزلَنى طولُ النّوى دارَ غُربةٍ   إذا شئتُ لاقيتُ أمرأً لا أشاكله

فحامقتُه حتّى يقـالَ سجيّةٌ   ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقِلُه

وقال بِشرُ بن المعتمِرِ :

وإذا الغبىُّ رأيتَـه مستغنياً   أعيا الطَّبيبَ وحيـلةَ المحتالِ

وأنشدنى آخرُ :

وللدّهرِ أيامٌ فكُن فى لباسـه   كلِبْسَـته يوماً أجدّ وأخلَقا (٦)

وكُن أكيسَ الكَيْسَى إذاما لقيتَهم   وإن كُنتَ فى الحمقَى فكن أنتَ أحمقا (٧)

( ) الأبيات فى عيون الأخبار (٣ : ١٩) وأمالى ثعلب ٢٠١ من المخطوطة .

(٢) ما أثبت من ل يطابق رواية ثعلب . وفيما عدا ل : « عن الأهل » .

(٣) فيما عدا ل : « ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل » .

(٤) هذا البيت فى ل فقط .

(٥) البيتان فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤) .

(٦) البيتان لعقيل بن علفة ، كما فى الحماسة (٢ : ١٧) . ورواهما ثعلب فى أماليه مع ثالث منسوبين إلى ماجد الأسدى . الأمالى ٢٠٦ من المخطوطة .

(٧) فى الحماسة والأمالى وفيما عدا ل : « إذ كنت فيهم » .

وأنشدنى آخر :

ولا تقربى يا بنتَ عمِّىَ بُوهةً ... من القوم دِفْناسًا غبيًّا مفنَّدا(١)

وإن كان أعطَى رأسَ ستِّين بَكْرةً ... وحُكمًا على حُكمٍ وعَبْداً مُولَّدا(٢) ١٥٠

ألاَ فاحذَرِى لا تُورِدَنْكِ هَجْمةٌ ... طِوالُ الذُّرَى جِبْساً من القوم قُعْدُدا(٣)

وأنشدنى آخر :

كسا اللهُ حَيَّىْ تغلبَ ابنةِ وائلٍ ... من اللُّؤمِ أظفاراً بَطيئاً نصولها(٤)

إذا ارتحلُوا عن دارِ ضَيمٍ تعاذلُوا ... عليها وردُّوا وفدَهمْ يستقيلُها

وأنشدنى آخر :

وإنَّ عناءً أن تُفهِمَ جاهلاً ... ويَحسَبَ جهلاً أنّه منك أفهَمُ(٥)

وقال جرير :

ولا يعرفون الشَّرَّ حتى يصيبَهم ... ولا يعرفون الأمرَ إلا تدبُّرا(٦)

وقال الأعرجَ المَعْنِىُّ الطائى(٧) :

---

(١) البوهة : الرجل الضعيف الطائش . والدفناس : الأحمق . والمفند : الضعيف الرأى والجسم .

(٢) عنى بالرأس الرءوس .

(٣) الهجمة من الإبل : قريب من المائة . يقول : لا تغترى بهذا الصداق . الجبس ، بالكسر : الجبان الفدم . والقعدد ، بضم العين والدال وفتحهما ، وضم القاف وفتح الدال : الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم .

(٤) حيا تغلب ، الأرجح أنه أراد بهما أحياء تغلب كلها ، فعبر بالمثنى عن الجمع . ويجوز أن يكون أراد بهما أوسا وغنما ابنى تغلب بن وائل . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٣٣) : « فالعقب فى ثلاثة أتخاذ لصلبه : عمران وهم قليل ، وأوس وغنم وفيه العدد والبيت » .

(٥) البيت لصالح بن عبد القدوس ، كما سيأتى فى (٢ : ٢٠٨) من أرقام الأصل .

(٦) سبق البيت والكلام عليه فى ١٩٨ .

(٧) هو عدى بن عمرو بن سويد بن زبان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن الطائى . شاعر جاهلى إسلامى . وهو القائل :

تركت الشعر واستبدلت منه ... إذا داعى صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك ... وودعت المدامة والندامى

انظر الإصابة ٣٧١٣ و ٦٤٠٩ ومعجم المرزبانى ٢٥١ . وفى حماسة البحترى ٤٧ أن قائل الشعر الأعرج بن مالك المرى .

لقد علم الأقوام أن قد فررتم ... ولم تبدءوهم بالمظالم أوّلا[١]
فكونوا كداعى كَرَّةٍ بعد فرّة ... ألا رُبَّ من قد فرّ ثُمّتَ أقبلا
فإن أنتمُ لم تفعلوا فتبدَّلوا ... بكلِّ سِنانٍ مَعْشَرَ الغَوْثِ مِغْزَلا[٢]
وأعطوهمُ حُكْمَ الصبىِّ بأهله ... وإنِّى لأرجو أنْ يقولوا بأنْ لا[٣]

ويقال: «أظلمُ من صبىّ[٤]» و«أكذَبُ من صبىّ» و«أخْرَقُ من صبىّ».

وأنشد:

ولا تحكُما حُكْمَ الصبىِّ فإنّه ... كثيرٌ على ظَهر الطَّريق مجاهلُه

قال: وسُئل دَغْفَل بن حنظلة، عن بنى عامر فقال: «أعناق ظِباء، وأعجاز نساء».

قيل: فما تقول فى اليمن؟ قال: «سيِّدٌ وأنْوَكُ[٥]».

(١) فى جميع النسخ: «أن قد قدرتم» صوابه من حماسة البحترى.

(٢) الغوث، هم بنو الغوث بن أدد، إخوة طيّ بن أدد. فيما عدا ل: «معشر العرب» صوابه فى ل وحماسة البحترى.

(٣) كتب بعد هذا البياض فى ب، جـ: «أصله بياض».

(٤) انظر الحيوان (٣: ٣٧١).

(٥) الأنوك: الأحمق، وجمعه النوكى.

باب

فى ذكر المعلمين[1]

ومن أمثال العامة : «أحمقُ من معلّمِ كُتّاب» . وقد ذكرهم صِقلابٌ فقال :

وكيف يُرجَّى الرأىُ والعقلُ عند مَنْ ... يَرُوح على أنثَى ويغدو على طِفْلِ[2]

وفى قول بعض الحكماء : « لا تستشيروا معلّمًا ولا راعىَ غنمٍ ولا كثيرَ ١٥١
القُعود مع النساء » . وقالوا : « لا تدعْ أمّ صبيِّك تضربُه ؛ فإنّه أعقلُ منها وإن كانت أسنَّ منه » وقد سمعنا فى المثل : « أحمق من راعى ضأنٍ ثمانين[3] » . فأما استحماق رُعاة الغنم فى الجملة فكيف يكون ذلك صوابًا وقد رعى الغنم عِدّةٌ من جِلّة الأنبياء صلى الله عليهم . ولعمرى إنّ الفدّادين من أهل الوبَر ورُعاة الإبل ليتنبّلُون[4] على رعاة الغنم ، ويقول أحدُهم لصاحبه : « إن كنت كاذبًا فحلبتَ قاعدا » . وقال الآخر :

ترى حالِبَ المِعزَى إذا صَرَّ قاعداً ... وحالِبُهنّ القــائمُ المتطاوِلُ[5]

---

(١) كتبت بحثا عنوانه « الجاحظ والمعلمون » فى عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ من مجلة الكتاب .

(٢) ورد البيت بدون نسبة فى عيون الأخبار (٢ : ٥٤) .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨٨) . دروس الميدانى فى (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين عن الجاحظ فى هذا المثل : « أشق من راعى ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » وروى عن الجاحظ فى اللسان (ثمن) : « أشق من راعى ضأن ثمانين » . ولم أجد هاتين الروايتين فيما بين يدى من كتبه . وروى فى اللسان عن ابن خالويه : « أحمق من طالب ضأن ثمانين » وذكر أصل المثل . وهذه الرواية الأخيرة رويت فى الميدانى عن أبى عبيد ، وذكر لها أصلا غير أصل ابن خالويه .

(٤) ب ، جـ : « ليتلون » التيمورية « ليتبلون » صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) الصر : أن يشد الضرع بالصرار لئلا يرضعها ولدها . وفى النسخ : « إذا سر » وليس له وجه .

وقالت امرأةٌ من غامد ، فى هزيمة ربيعة بن مكدَّم[1] ، لجمع غامدٍ وحْدَه :

ألا هل أتاها على نأيِها ... بما فَضَحتْ قومَها غامدُ
تمنيتمُ مائتَىْ فارسٍ ... فردَّكمُ فارسٌ واحدُ
فليت لنا بارتباط الخيو ... لِ ضأنًا لها حالبٌ قاعدُ

***

وقد سمعنا قول بعضهم : الُحمق فى الحاكة والمعلّمين والغزّالين . قال والحاكة أقلُّ وأسقط من أن يقال لهم حمق . وكذلك الغزّالون ؛ لأنّ الأحمق هو الذى يتكلّمُ بالصواب الجيّد ثم يجىء بخطإٍ فاحش ، والحائك ليس عنده صوابٌ جيّد فى فعَالٍ ولا مَقال ، إلاّ أنْ يُجعل جَودة الحياكة من هذا الباب ، وليس هو من هذا فى شىء .

---

(١) ربيعة بن مكدم بن عامر ، أحد فرسان مضر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين . انظر أخباره فى الأغانى (١٤ : ١٢٥ — ١٣٤) .

وباب منه آخر

ويقال : فلان أحمقُ . فإذا قالوا مائِق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه ، وكذلك إذا قالوا أنْوَكُ . وكذلك إذا قالوا رقيع . ويقولون فلانٌ سليم الصّدر ، ثم يقولون عيِيٌّ ، ثم يقولون أبله . وكذلك إذا قالوا معتوهٌ ومسْلوس وأشباهَ ذلك.

قال أبو عبيدة : يقال للفارس شجاعٌ ، فإذا تقدّم [في[1]] ذلك قيل بطل ، فإذا تقدّم شيئا قيل بُهْمَة ، فإذا صار إلى * الغاية قيل أَلْيَسُ . وقال العجّاج : ١٥٢

* أَلْيَسُ عن حَوْبائِهِ سَخِيُّ[2] *

وهذا المأخَذُ يجري في الطّبقات كلِّها : من جود وبخل ، وصلاحٍ وفساد ، ونُقْصان ورُجحان . وما زلتُ أسمعُ هذا القولَ في المعلِّمين .

والمعلِّمون عندي على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامّة إلى تعليم أولاد الخاصّة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصّة إلى تعليم أولاد الملوكُ أنفسهم المرشّحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أنّ مثل عليِّ بنِ حمزة الكسائيِّ ، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قُطْرُب[3] ، وأشباهَ هؤلاء يقال لهم حَمْقى . ولا يجوز هذا القولُ على هؤلاء ولا على الطّبقة التي دونهم . فإنْ ذهبوا إلى معلّمي

---

(١) ليست في جميع النسخ .

(٢) ديوان العجاج ٧١ واللسان (ليس) . والحوباء : النفس .

(٣) سمي قطربا لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيبويه سحراً رآه على بابه ، فقال له يوما : ما أنت إلا قطرب ليل . والقطرب : دويبة تدب ولا تفتر . وأخذ عن النظام مذهب الاعتزال ، ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه في الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه ؛ لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع . وأخذ عنه ابن السكيت . وهو أول من ألف في المثلثات . توفي ببغداد سنة ٢٠٦ . معجم الأدباء ، وبغية الوعاة ، ووفيات الأعيان ، وتاريخ بغداد ١٣٨٦ .

كتائب القُرى فإنّ لكلّ قوم حاشيةً وسِفلة ، فما هم فى ذلك إلاّ كغيرهم . وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء، وفيهم الفقهاء والشُّعراء والُخطباء ، مثل الكميت بن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد[1] ، وعطاء بن أبى رَبَاح[2] ، ومثل عبد الكريم أبى أمية[3] ، وحسين المعلم[4] ، وأبى سعيدٍ المعلم .

[ومن المعلِّين الضحاك بن مزاحم[5] وأمّا معبد الجهنى[6] وعامر الشَّعبى[7] ، فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان . وكان معبدٌ يعلم سعيداً[8] . ومنهم

---

(١) هو قيس بن سعد بن دليم بن حارثة الأنصارى ، كان من النبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، وكان من دهاة العرب ، حارب فى صفين مع على ، ثم هرب من معاوية ، وتوفى فى ولاية عبد الملك بن مروان . الإصابة ٧١٧١ وتهذيب التهذيب .

(٢) هو عطاء بن أبى رباح — واسمه أسلم القرشى المكى . أدرك مائتين من الصحابة وكان معلم كتاب فقيها ثقة . ولد سنة ٢٧ وتوفى سنة ١١٤ . تهذيب التهذيب ونكت الهميان ١٩٩ وابن خلكان .

(٣) هو عبد الكريم بن أبى المخارق — واسمه قيس ويقال طارق — أبو أمية المعلم البصرى ، روى عن أنس وطاوس ونافع ، وعنه عطاء ومجاهد وأبو حنيفة . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب . وفى الأصل : «عبد الكريم بن أبى أمية» تحريف . انظر أيضاً المعارف ٢٣٨ .

(٤) هو الحسين بن ذكوان المعلم العوذى البصرى . ترجم له ابن حجر فى تهذيب التهذيب وأرخ وفاته سنة ١٤٥ . وانظر المعارف ٢٣٨ .

(٥) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالى الخراسانى ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وغيرهم ، وكان معلم كتاب ، ذكر ابن قتيبة أنه كان لا يأخذ أجراً ، واشتهر بالتفسير . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٨ ، ٢٠١ ، ٢٥٧ .

(٦) هو معبد بن خالد — أو ابن عبد الله بن عكيم ، أو ابن عبد الله بن عويمر — الجهنى القدرى . كان يجالس الحسن البصرى ، وهو أول من تكلم بالبصرة فى القدر فسلك أهل البصرة مسلكه . قتله الحجاج بن يوسف صبرا . وذلك فى سنة ٨٠ . تهذيب التهذيب . (١٠ : ٢٢٠) والسمعانى ١٤٥ والمعرف ١٩٥ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨ .

(٧) سبقت ترجمته فى ص ١٩٤ .

(٨) سعيد بن عبد الملك بن مروان ، كان يلقب بسعيد الخير ، وإليه ينسب نهر سعيد ، وهو دون الرقة من ديار مضر ، وكان موضعه غيضة ذات سباع فأقطعه إياها الوليد أخوه فحفر النهر وعمر ما هناك . المعارف ١٥٧ ، ومعجم البلدان .

أبو سعيد المؤدب[١] ، وهو غير أبي سعيد المعلم ، وكان يحدِّث عن هشام بن عروة[٢] وغيرهم . ومنهم عبد الصمد بن عبد الأعلى[٣] ، وكان معلم ولد عُتبة بن أبي سفيان . وكان إسماعيلُ بن علي[٤] ألزم بعضَ بنيه عبدَ الله بن المقفع ليعلِّمه . وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما . ومنهم محمد بن السكن[٥]] .

وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا ، من أبي الوزير وأبي عدنان المعلِّمَين . وقد قال الناس في أبي البَيداء[٦] ، وفي أبي عَبد الله الكاتب[٧] ، وفي الحجَّاج بن يوسف وأبيه ما قالوا ؛ وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أنّ الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف[٨] .

* * *

---

(١) اسمه محمد بن مسلم بن أبي الوضاح ؛ أبو سعيد المؤدب الجزري نزيل بغداد . ضمه المنصور إلى المهدى ، ثم ضم بعده إليه سفيان بن حسين ، وكان كذلك معلم موسى الهادى الخليفة قبل أن يستخلف . ومات في خلافته . تاريخ بغداد ١٣٤٦ وتهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٩ .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، ولد هو والأعمش سنة مقتل الحسين ٦١ وتوفى سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب .

(٣) عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ، كان يتهم بالزندقة ، وكان يؤدب أيضا الوليد ابن يزيد بن عبد الملك ، ويقال أنه هو الذى أفسده ، ذكر ذلك الطبرى في تاريخه . لسان الميزان (٤ : ٢١) والطبرى (٨ : ٢٨٨) .

(٤) هو إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو عم السفاح والمنصور . ولى لأبي جعفر فارس والبصرة . المعارف ١٦٣ .

(٥) محمد بن السكن مؤذن مسجد بني شقرة ، من ضعاف المحدثين . لسان الميزان (٥ : ١٨١ — ١٨٢) . هذا ، وإن هذه التكملة التي بدأت في ص ٢٥١ س ٥ لم ترد في ل ، وهي ثابتة في سائر النسخ .

(٦) أبو البيداء الرياحي ، سبقت ترجمته في ص ٦٦ .

(٧) ذكره ابن قتيبة في أسماء المعلمين ، في المعارف ٢٣٨ ، بلقب « كاتب الرسائل » .

(٨) روى هذا الشعر في المعارف ٢٣٨ — ٢٣٩ والشعراء (١ : ٣١٤) طبع الحلبي ، والكامل ٢٩٠ . قال مالك بن الريب :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده ... إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد إياد =

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول .

قالوا : أحقُّ الناس بالرّحمة عالم يجرى عليه حكمُ جاهل .

قال وكتب الحجّاج إلى المهلّب يُعجله فى حرب الأزارقة ويسمّعه(١) ، فكتب إليه المهلّب : « إنّ البلاء كلَّ البلاء أنْ يكون الرّأىُ لمن يَملِكه دون من يُبْصره » .

= زمان هو العبد المقر بذله　　يراوح غلمان القرى ويغادى

وقال آخر فيه :

أينسى كليب زمان الهزال　　وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى　　وآخر كالقمر الأزهر

(١) التسميع : أن يندد به ويشهره ويفضحه ويسمعه القبيح .

وباب آخر

قال بعض الرَّبَّانيِّين[١] من الأدباء ، وأهلِ المعرفة من البلغاء ممّن يكره التّشادُق والتعمُّق ، ويُبغض الإغراق فى القول ، والتكلُّف والاجْتلاب[٢] ، ويعرف أكثرَ أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلِّم من الفتنة بِحسنْ ١٥٣ ما يقول ، وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذى يورث الاقتدارُ من التهكُّم والتسلُّط ، والذى يمكن الحاذق المطبوع من التمويه للمعانى ، والخلابة وحسن المنطق ، فقال فى بعض مواعظه : «أُنذِرُكم حُسنَ الألفاظ ، وحلاوةَ مخارج الكلام ؛ فإنّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً ، وأعاره البليغُ مَخرجاً سهلا ، ومنحه المتكلِّم دَلًّا مُتعشَّقاً ، صار فى قلبك أحْلى ، ولصدرك أملاَ . والمعانى إذا كُسِيت الألفاظَ الكريمة ، وأُكسبت الأوصافَ الرفيعة ، تحوّلت فى العيون عن مقادير صُوَرها ، وأرْبَتْ على حقائق أقدارها ، بقَدْرِ ما زُيِّنَت ، وحَسَبِ ما زُخرِفت . فقد صارت الألفاظ فى معانى المعارض[٣] ، وصارت المعانى فى معنى الجوارى . والقلب ضعيفٌ ، وسلطانُ الهوى قوىٌّ ، ومَدخل خُدَع الشيطان خفىٌّ » .

فاذكر هذا الباب ولا تنسه ، ولا تفرِّط فيه ؛ فإنّ عمر بن الخطاب رحمه الله لم يَقُلْ للأحنف بن قيس — بعد أن احتبسه حَوْلاً مُجرَّما[٤] ؛ ليستكثر منه ؛ وليبالغ فى تصفُّح حالِه والتنقير عن شأنه — : « إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوّفَنا كلَّ منافقٍ عليم ، وقد خِفْتُ أن تكون منهم » إلاّ لما كان

(١) الربانى : العالم الراسخ فى العلم ، أو العالم العامل المعلم . ل : « الديانين » . والديان : الحاكم والقاضى . ه والتيمورية : « الربانين » تحريف . والصواب ما أثبت من ب .

(٢) الاجتلاب : أن يجتلب معانى سواه لفقره فى معانيه . ل : « الاخلاب » .

(٣) المعارض : جمع معرض ، وهو كمنبر ، ثوب تجلى فيه الجارية .

(٤) حول مجرم : تام كامل .

راعَه مِن حُسن منطقه ، ومَالَ إليه لما رأى من رِفقه وقلّة تكلُّفه ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنّ مِن البيان لسحرا» . وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ أحسَنَ فى طلب حاجة وتأتّى لها بكلامٍ وجيز ، ومنطق حسن : «هذا والله السِّحرُ الحلال» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا خِلاَبة[1]» .

فالقصدُ فى ذلك أن تجتنب السوقىّ والوحشىّ ، ولا تجعَلَ همَّك فى تهذيب الألفاظ ، وشُغلَك فى التخلُّص إلى غرائب المعانى . وفى الاقتصاد بلاغٌ ، وفى التوسُّط مجانبةٌ للوُعورة ، وخروجٌ مِن سبيلِ مَن لا يحاسب نفسه . وقد قال الشاعر :

عليكَ بأوساطِ الأمور فإنها نجاةٌ ولا تركب ذَلولاً ولا صَعْبا

وقال الآخر : ١٥٤

لا تذهبَنَّ فى الأمور فَرَطَا[2] لا تسألَنَّ إن سألتَ شططَا

وكنْ من الناس جميعاً وَسَطا

وليكن كلامُك ما بين المُقصِّر والغالى ؛ فإنك تسلم من المِحنة[3] عند العلماء ، ومن فِتنة الشيطان .

وقال أعرابىٌّ للحسن : علِّمنى ديناً وَسُوطاً ، لا ذاهباً شَطوطاً ، ولا هابطاً هَبوطاً . فقال له الحسن : لئن قلتَ ذاكَ إنّ خير الأمور أوساطُها .

وجاء فى الحديث : «خالِطوا النّاسَ وزايِلوهم» .

---

(١) الخلابة ، بالكسر : المخادعة ، وقيل الخديعة باللسان . والحديث أنه قال لرجل كان يخدع فى بيعه : «إذا بايعت فقل لا خلابة» .

(٢) الفرط ، بالتحريك : المتقدم ، رجل فرط ، وقوم فرط .

(٣) فيما عدا ل : «الهجنة» .

وقال على بن أبى طالب رحمه الله : « كن فى الناس وَسَطاً وامْشِ جانباً » .

وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته : « وخيرُ الأُمور أوساطها ، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألهى ، نفسٌ تُنْجيها ، خير من إمارة لا تُحْصيها » .

وكانوا يقولون : اكره الغلوَّ كما تكره التقصير .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « قولوا بقولكم ولا يستَحْوِذنَّ عليكم الشيطان » . وكان يقول : « وهل يكُبُّ الناسَ على مَناخِرِهم فى نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم » .

باب

من الخطب القِصار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ النُسّاك ، وتأديب من تأديب العلماء

قال رجلٌ لأبى هريرة النحوىّ : أريد أن أتعلّمَ العلم وأخافُ أن أُضِيعه . فقال : « كَفَى بترك العلمِ إضاعةً » .

وسمِع الأحنفُ رجلاً يقول : « التعلُّم فى الصِّغَر كالنَّقش فى الحجَر » ، فقال الأحنف : « الكبيرُ أكبرُ عقلاً ، ولكنه أشغَل قلباً » .

وقال أبو الدَّرداء : ما لى أرى علماءكم يذهبون وجُهّالَكم لا يتعلّمون .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ الله لا يقبض العلمَ انتزاعاً ينتزعُه من النّاس ، ولكنّه يقبض العلماء حتّى إذا لم يبق عالمٌ اتَّخذ الناسُ رؤساء جُهّالاً

١٥٥ فسُئلوا فأفتَوا بغير علمٍ ، فضلّوا وأضلّوا » .

قالوا : ولذلك قال عبدُ الله بن عباس رحمه الله ، حين دَلّى زيدَ بن ثابتٍ فى القبر ، رحمه الله : « من سَرَّه أن يرى كيفَ ذهابُ العلم فلينظر ، فهكذا ذهابُ العلم » .

وقال بعضُ الشُّعراء فى بعضِ العلماء :

أبعَدْتَ مِن يومِك الفِرارَ فما جاوَزْتَ حيثُ انتهَى بك القدَرُ[1]
لو كان يُنجِى من الرَّدَى حذرٌ نجّاكَ مِمّا أصابكَ الحذَرُ
يرحمُك الله مِن أخى ثقةٍ لم يكُ فى صفو ودِّه كدَرُ
فهكذا يَفسُد الزّمان ويَفنَى الـ ـعِلمُ منه ويَدْرُسُ الأثَرُ[2]

---

(١) الأبيات اختارها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٣٧) ونسبها لرجل من بنى أسد .
(٢) فى الحماسة : « فهكذا يذهب الزمان » .

قال : وقال قَتادة : لو كان أحدٌ مكتفياً من العلم لاكتَفَى نبيُّ الله موسى ، إذْ قال للعبد الصالح : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدا ﴾ .

أبو العبّاس التميميّ قال : قال طاوس : « الكلمة الصّالحة صَدَقَة » .

وقال ثمامة بن عبد الله بن أنس[1] ، عن أبيه ، [عن جدّه[2]] ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فضْلُ لسانِكَ تُعبِّرُ فيه عن أخيك الذى لا لِسانَ له صَدَقة[3] » .

وقال الخليل : « تكثَّرْ مِن العلم لتَعرِفَ ، وتقلَّلْ منه لتَحفَظ » .

وقال الفُضَيل[4] : « نعمت الهديّة الكلمةُ من الحِكمة يحفظها الرّجل حتى يلقيَها إلى أخيه » .

وكان يقال : يكتب الرّجلُ أحسنَ ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب .

وكان يقال : اجعل ما فى كتبك بيتَ مال ، وما فى قلبك للنَّفَقة .

وقال أعرابىّ : حَرْفٌ فى قلبك خير من عشرة فى طُومارك[5] .

وقال عمرُ بن عبد العزيز : « ما قُرِن شىء إلى شىء أفضلُ من حِلْمٍ إلى علم ، ومن عَفْوٍ إلى قُدرة » .

---

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى البصرى القاضى ، روى عن جده أنس وأبى هريرة . تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « عبد الله بن ثمامة بن أنس » تحريف . وجاء الحديث بسنده فى (١ : ٢٥٨) من الأصل . ولفظه هناك « ثمامة بن أنس » ، نسبه إلى جده .

(٢) التكملة مما سيأتى فى (١ : ٢٥٨) من الأصل .

(٣) كلمة « الذى لا لسان له » ليست فى ل . وستأتى فى (١ : ٢٥٨) من الأصل .

(٤) هو أبو على الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى ، الزاهد الخراسانى ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل إلى مكة ، ومات بها سنة ١٨٧ ، وكان فى أول أمره شاطرا ، ثم صار إلى الزهد والعبادة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٣٤) .

(٥) الطومار : الصحيفة ، قال ابن سيده : « أراه عربيا محضا ؛ لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية » . ل « تامورك » محرف .

وكان ميمون بن سِيَاه[١]، إذا جلس إلى قومٍ قال : إنّا قومٌ مُنْقَطَعٌ بنا ، فحدِّثونا أحاديث نتجمّل بها .

قال : وفَخَر سليم مولى زيادٍ ، بزيادٍ عند معاوية ، فقال معاوية : اسكت ،
١٥٦ فوالله ما أدرك صاحبُك شيئاً بسيفه إلاّ وقد أدركتُ أكثر منه بلسانى .

وضرب الحجاج أعناقَ أسْرى ، فلما قُدِّم رجلٌ لضرب عنقه قال : والله لئن كُنّا أسأنا فى الذّنب فما أحسنْتَ فى العفو ! فقال الحجّاج : أُفٍّ لهذه الجِيَف ، أما كان فيها أحدٌ يحسن مثلَ هذا الكلام ! وأمسَكَ عن القتل .

وقال بشير الرَّجّال[٢]: « إنِّى لأَجِدُ فى قلبى حَرًّا لا يُذهبه إلاّ برد العدل أو حَرُّ السِّنان » .

قال : وقدّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مَرْوانَ لتُضرب عنقُه ، ودخل على عبد الملك ابنٌ له صغيرٌ قد ضربَه المعلّم ، وهو يبكى ، فهمّ عبدُ الملك بالمعلّم ، فقال له الخارجىّ : دَعُوه يبكى فإنه أفتح لجِرمه[٣]، وأصحُّ لبَصَره ، وأذْهَب لصَوته . قال له عبدُ الملك : أمَا يشغَلُك ما أنتَ فيه عن هذا ؟ قال الخارجىّ : ما ينبغى لمسلِمٍ أن يشغَلَه عن [قول[٤]] الحقّ شىء ! فأمر بتخلية سبيله .

قال : وقال زيادٌ على المنبر : « إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يُقطَع بها ذَنَبُ عَنْزٍ مَصُورٍ[٥]، لو بلَغَتْ إمامَه سفَكَ دمه[٦] » .

---

(١) سياه ، بكسر السين وفتح الياء المخففة ، كما فى التقريب . وميمون بصرى ، كنيته أبو بحر ، روى عن أنس والحسن ، وكان يقال إنه سيد القراء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٥٤) .

(٢) فيما عدا ل : « الرحال » بالحاء المهملة .

(٣) الجرم ، بالكسر : الحلق . والخبر فى البخلاء ٦ معزو الى بعض الحكماء .

(٤) هذه مما عدا ل .

(٥) المصور : التى انقطع لبنها ؛ والمصر ، بالفتح : قلة اللبن .

(٦) وكذا جاء الخبر فى اللسان (٧ : ٢٣) . وفيما عدا ل : « سفك بها دمه » .

قال : وقال إبراهيم بن أدهم[١] : « أعربنا كلامنا فما نَلحن[٢] ، ولحنّا فى أعمالنا فما نُعْرِب حرفاً » . وأنشد :

نرقّع دُنيانا بتمزيق ديننا   فلا دينُنا يبقى ولا ما نرقّع[٣]

قال : وعزلَ عمرُ زياداً عن كتابةِ أبى موسى الأشعرى ، فى بعض قدَماتِه ، فقال له زياد : أعن عجزٍ أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدةٍ منها ، ولـكنّى أكره أن أحمِلَ على العامّة فَضْلَ عقلِك .

قال : وبلغ الحجّاجَ موتُ أسماء بنِ خارجة فقال : هل سمعتم بالذى عاشَ ما شاء ومات حين شاء !

قال : وكان يقال : « كَدَرُ الجماعة خيرٌ من صَفْو الفُرقَة » .

قال أبو الحسن : مرّ عمر بن ذر[٤] ، بعبد الله بن عَيّاش المنتوف[٥] ، وقد كان سَفِه عليه فأعرَضَ عنه ، فتعلّق بثوبه ثم قال له : « يا هَناهُ ، إنّا لم نَجِدْ لك أنْ عصيتَ الله فينا خيراً من أن نطيع الله فيك » .

وهـذا كلامٌ أخذه عُمر بن ذَرّ ، عن عمر بن الخطاب رحمه الله . قال عُمر :

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلى البلخى الزاهد ، وكان ذا ثروة عريضة ، ثم رفض الدنيا وصار إلى الزهد . توفى فى بلاد الروم سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٢٧) .

(٢) فى جميع النسخ : « فما نلحن حرفا » وكلمة « حرفا » مقحمة ، لم ترد فى رواية ابن الجوزى (٤ : ١٣١) .

(٣) البيت منسوب إلى ابن أدهم فى العقد (٢ : ١١٥) وعيون الأخبار (٢ : ٣٣٠) . وانظر محاسن البيهقى (٢ : ٤٧) والحيوان (٦ : ٥٠٦) .

(٤) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى الكوفى ، كان رأساً فى الإرجاء اختلف فى توثيقه . توفى سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب .

(٥) هو أبو الجراح عبد الله بن عياش بن عبد الله الهمدانى الكوفى ، المعروف بالمنتوف ، روى عن الشعبى وغيره ، وروى عنه الهيثم بن عدى ، وكان راوية للأخبار والآداب ، وكان ينادم المنصور ويضحكه . لسان الميزان (٣ : ٣٢٢) .

« إنّى واللهِ ما أدَع حقًّا لله لِشِكايةٍ تظهر ، ولا لضَبٍّ يُحتَمل [١] ، ولا لمحاباةِ بشَرٍ ، وإنّك واللهِ ما عاقبتَ مَن عصى الله فيكَ بمثل أنْ تُطيعَ الله فيه » .

١٥٧ قال : وكتب عمرُ بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقّاص [٢] : « يا سعدَ سعدَ بنى أُهَيْب [٣] ، إنّ الله إذا أحبَّ عبدًا حبّبه إلى خلقه ، فاعتبِرْ منزلتَك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلَمْ أنّ مالَكَ عند الله مثلُ مالِله عندك » .

قال : ومات ابنٌ لعمَرَ بنِ ذَرّ فقال : « أىْ بُنَىَّ ، شغلَنى الحزنُ لك ، عن الحزن عليك » .

وقال رجلٌ من بنى مُجاشع : جاء الحسنُ فى دم كان فينا ، فخطب [٤] فأجابه رجلٌ بأنْ قال : قد تركتُ ذلك لِله ولوجوهكم . فقال الحسن : لا تقلْ هكذا ، بل قُلْ : لِلهِ ثم لوجوهكم . وآجرَكَ الله .

قال : ومرّ رجلٌ بأبى بكر ومعه ثوبٌ ، فقال أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاكَ الله . فقال أبو بكر رضى الله عنه : لقد علمتم [٥] لو كنتم تعلمون . قل : لا ، وعافاكَ الله .

قال : وسأل عمرُ بنُ الخطّاب رجلاً عن شىء فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقِينا إنْ كُنّا لا نعلم أنّ الله أعلم . إذا سُئِل أحدُكم عن شىء لا يعلمُه فليقلْ : لا أدرى [٦] .

---

(١) الضب ، بالفتح والكسر : الغيظ والحقد . فيما عدا ل : « لغضب » .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب — ويقال وهيب — بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى ، أحد العشرة وآخرهم موتاً ، وهو كذلك أحد الستة أهل الشورى . ولاه عمر الكوفة ثم ولاه عثمان ، ثم عزله بالوليد بن عقبة . توفى بالمدينة سنة ٥٥ . الإصابة ٣١٨٧ .

(٣) ل : « وهيب » .

(٤) فيما عدا ل : « جاء الحسن يخطب فى دم فينا » .

(٥) ل : « فقال قد علمته » .

(٦) فيما عدا ل : « لا علم لى » .

وكان أبو الدَّرداء يقول : أبغضُ النَّاسِ إليَّ أنْ أظلِمَه مَنْ لا يستعين عليَّ بأحد إلاَّ بالله .

وذكر ابن ذرّ[١] الدُّنيا فقال : كأنَّهُ زادَ[٢] فى حرصكم عليها ذمُّ الله لها .

ونظر أعرابيٌّ إلى مالٍ له كثيرٍ ، من الماشية وغيرها ، فقال : « ينْعة ، ولكل ينعةٍ استحشاف[٣] » . فباع ما هُناك مِن ماله ، ثمَّ يمَّم[٤] ثغراً من ثغور المسلمين ، فلم يزلْ به حتى أتاه الموت[٥] .

قال : وتمنَّى قوم عند يَزيدَ الرَّقاشي[٦] ، فقال : أتمنى كما تمنَّيتم ؟ قالوا : تمنَّهْ . قال : « ليتَنا لم نُخْلَق ، وليتنا إذْ خُلِقْنا لم نَعصِ ، وليتنا إذ عَصَينا لم نمُتْ ، وليتنا إذْ مُتْنا لم نُبعَث ، وليتنا إذْ بُعثْنا لم نُحاسب ، وليتنا إذْ حُوسبنا لم نعذَّبْ ، وليتنا إذْ عذِّبنا لم نُخلَّد » .

وقال الحجّاج : « ليت اللهَ إذْ خلقَنا للآخرة كفانا أمْرَ الدُّنيا ، فرفَعَ عنّا الهمَّ بالمأكل والمشرب والملبَس والمنكَح . أوْ ليته إذْ أوْقعَنا فى هذه الدنيا كفانا أمْرَ الآخرة ، فرفع عنا الاهتمام بما ينجِّى مِن عذابه » .

فبلغ كلامُهما عبدَ الله بن حسنِ بن حسن ، أو عليَّ بنَ الحسين ، فقال : ما علما[٧] فى التمنِّى شيئا ، ما اختارهُ الله فهو خيرٌ[٨] .

وقال أبو الدَّرداء : مِن هوان الدُّنيا على الله أنَّه لا يُعصَى إلاَّ فيها ، ولا يُنال ما عنده إلاَّ بتركها . ١٥٨

(١) هو عمر بن ذر ، المترجم فى ص ٢٦٠ .
(٢) فيما عدا : « كأنما زادكم » .
(٣) الاستحشاف : اليبس والتقبض . ل : « استجفاف » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « لزم » .
(٥) فيما عدا ل : « حتى مات فيه » .
(٦) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٤ . (٧) ل : « ما عملا » .
(٨) كلمة « فهو » مما عدا ل .

قال شُرَيح[١] : « الحِدَّة كنايةٌ عن الجهـل » .

وقال أبو عُبيدة : « العارضة كناية عن البَذَاء »[٢] .

قال : و إذا قالوا فلانٌ مقتصدٌ فتلك كنايةٌ عن البخل ، و إذا قيـل للعامل مستَقْصٍ فذلك كنايةٌ عن الجوْر .

وقال الشاعر[٣] ، أبو تمّام الطائى :

كَذَبْتُمُ ليس يُزهَى مَن له حسبُ ... ومَن له نسبٌ عمَّن له أدبُ

إنِّى لَذُو عجبٍ منكم أردِّدهُ ... فيكم ، وفى عجبى مِن زَهوكم عجَبُ

لَجَاجـةٌ لِىَ فيكمْ ليس يشبهُها ... إلاَّ لجاجتُكمْ فى أنَّكم عَرَبُ

وقيل لأعرابيّةٍ مات ابنُها : ما أحسنَ عزاءكِ عن ابنك ! قالت : إنّ مصيبته أمَّنَتْنى من المصائب بعده .

قال : وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطُوَيسٍ المُغَنِّى[٤] : أيُّنا أسَنُّ أنا أم أنت يا طاوس[٥] ؟ قال : « بأبى وأنتَ وأمّى ، لقد شهدتُ زِفاف أمّك المبارَكة إلى أبيك الطيِّب[٦] » . فانظر إلى حِذْقه و إلى معرفته بمخارج الكلام ،

---

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندى الكوفى القاضى ، كان من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم عثمان ، وأقره على ، وكان يقول له : أنت أقضى العرب ، وولاه زياد قضاء البصرة . توفى سنة ٧٢ . الإصابة ٣٨٧٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٢٠) ، وابن خلكان .

(٢) العارضة : القدرة على الكلام . والبذاء ، كسحاب : الفحش .

(٣) فيما عدا ل : « وقال حبيب بن أوس الشاعر » .

(٤) طويس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، مولى بنى مخزوم . وطويس هذا ، هو الذى يقال فيه « أشأم من طويس » ؛ وذاك أنه — كما يقولون — ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبى بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل على . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل فى الإيقاع . عمر طويس حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك . الأغانى (٣ : ١٦٤ — ١٧٢) وثمار القلوب ١١٤ .

(٥) فيما عدا ل : « طويس » . وفى ثمار القلوب : « وكان يسمى طاوسا ، فلما تخنث سمى بطويس » .

(٦) انظر الخبر فى الحيوان (٤ : ٥٨) .

كيف لم يقل : زِفاف أمّك الطيبة إلى أبيك المبارك . وهكذا كان وجهُ الكلام فقَلَب المعنى .

قال : وقال رجلٌ من أهل الشّام : كنت فى حلقة أبى مُسْهِر[1] ، فى مسجد دمشق ، فذكرنا الكلامَ وبراعتَه ، والصَّمتَ ونبالته ، فقال : كَلاَّ إن النَّجْم ليس كالقمر ، إنك تصِفُ الصّمت بالكلام ، ولا تصف الكلامَ بالصّمت .

وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبا : يا بنىّ إذا قلّلتَ من الكلام أكثرتَ من الصّواب ، وإذا أكثرت من الكلام أقْللت من الصّواب . قال : يا أبه ، فإنْ أنا أكثرتُ وأكثرت ؟ — يعنى كلاماً وصوابا — قال : يا بُنىّ ، ما رأيتُ موعوظاً أحقّ بأن يكون واعظا منك !

قال : وقال ابن عبّاس : « لولا الوَسْواسُ ، ما باليْتُ ألاَّ أكلِّمَ النّاس » .

قال : وقال عمر بن الخطّاب رحمه الله : « ما تستبقوه[2] من الدُّنيا تجدوه فى الآخرة » .

وقال رجـلٌ للحسن : إنى أكره الموت . قال : ذاك أنّك أخّرت مالَكَ ، ولو قدّمتَه لسرّك أن تَلْحَق به .

* قال : وقال عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ[3] : « الرأى نائمٌ ، والهوى يقظان . ١٥٩
فمن هُنالك يغلبُ الهوى الرأى[4] » .

---

(١) هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الدمشقى الغسانى ، وهو أحد من أشخص من دمشق إلى المأمون فامتحنه فى خلق القرآن ، فلما دعى له بالسيف قال : مخلوق ! فأمر بإشخاصه إلى بغداد فحبس بها ومات سنة ٢١٨ . ومولده سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٤٦) وتاريخ بغداد ٥٧٥٠ .

(٢) فيما عدا ل : « ما تستبقوا » .

(٣) عامر بن الظرب العدوانى ، أحد حكام العرب فى الجاهلية ، قالوا : عمر مائتى سنة ، وفيه يقول ذو الإصبع العدوانى :

ومنا حكم يقضى   فلا ينقض ما يقضى

انظر المعمرين ٤٤ — ٥٠ وأمثال الميدانى فى : « إن العصا قرعت لذى الحلم » .

(٤) انظر الخبر فى المعمرين ٤٨ — ٤٩ .

وقال : مكتوب فى الحكمة : « اشكرْ لمن أنعمَ عليك ، وأنعِمْ على من شكر لكَ » .

وقال بعضهم[١] : « أيُّها الناس ، لا يمنعنَّكم سوء ما تعلمون منّا أن تَقبلوا أحسنَ ما تسمعُون منا » .

وقال عبدُ الملك على المنبر : « ألا تُنصفوننا يا معشرَ الرعيَّة ؟ تريدون منّا سِيرة أبى بكر وعمر ولم تَسيروا فى أنفسكم ولا فينا بِسيرة رعيّة أبى بكر وعمر ، أسأل الله أنْ يعين كُلاًّ على كُلٍّ » .

وقال رجلٌ من العرب : « أربعٌ لا يَشبَعْن من أربعة : أنثى من ذكر ، وعينٌ من نظَر ، وأرضٌ من مطر ، وأذُن من خبَر » .

قال : وقال موسى صلى الله عليه وسلم لأهله : ﴿امكُثُوا إنِّى آنَسْتُ نارًا لعَلِّى آتيكمْ مِنْها بِخبَرٍ﴾ ، فقال بعضُ المعترِضين : فقد قال : ﴿أوْ آتِيكمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ﴾ . فقال أبو عقيل[٢] : « لم يعرِفْ موقِع النّار من أبناء السَّبيل ، ومن الجائع المقرور » .

وقال لبيدُ بن ربيعة :

ومقامٍ ضَيِّقٍ فرّجْتُه ... بِبيانٍ ولِسانٍ وجَدَلْ[٣]
لو يقوم الفِيلُ أو فيّالُه ... زلّ عن مِثْلِ مقامى وزَحَلْ
ولَدَى النعمان مِنِّى موطنٌ ... بَيْنَ فاثُورِ أُفاقٍ فالدَّحَلْ[٤]

(١) فيما عدا ل زيادة « وهو أبو الدرداء » .
(٢) الراجح أنه أبو عقيل السواق . انظر الحيوان (٤ : ٢٠٦/٧ : ٢٠٤) .
(٣) الأبيات من قصيدة طويلة فى ديوانه ١١ — ١٧ طبع ١٨٨١ .
(٤) فاثور : موضع أو واد بنجد . وأفاق ، بالضم : موضع فى بلاد بنى يربوع . وأنشد ياقوت البيت فى الموضعين . والدحل : ماء بنجد .

إذْ دعَتْنِى عامِرٌ أنصرُها   فالتقى الألسُنُ كالنَّبل الدُّوَلْ[1]
فرميتُ القومَ رِشْقًا صائبًا   ليس بالعُصْلِ ولا بالمُقْتَعَلْ[2]
فانتضَلنا وابنُ سَلمى قاعِدٌ   كعَتيقِ الطَّيرِ يُغْضِى وَيُجَلْ[3]
وقبيلٌ من لُكيزٍ شاهدٌ   رهطُ مرجومٍ، ورهطُ ابن المُعَلْ[4]

وقال لبيد أيضاً[5] :

وأبيضَ يجتابُ الخُرُوقَ على الوَجى   خطيباً إذا التفَّ المجامعُ فاصلا[6]

يجتاب : يفتعل من الجَوب ، وهو أن يجوب البِلاد ، أى يدخل فيها و يقطعها . والخرُوق : جمع خَرقٍ ؛ والخَرق : الفَلاةُ الواسعة . والوجَى : الحفَا ، مقصور ١٦٠ كما ترى ؛ وأنه ليتوجَّى فى مِشيته ، وهو وَجٍ . وقال رؤبة :

* به الرَّذايا من وَجٍ ومُسْقَطِ[7] *

---

(١) النبل : السهام . والدول ، بالتحريك : المتداول .

(٢) الرشق : أن يرى الرامى بالسهام كلها . أى ليس رى بالعصل من السهام ، وهى المعوجة . والمقتعل من السهام : الذى لم يبر برياً جيداً . والبيت فى اللسان (عصل) محرف ، وفى (قتعل) على الصواب .

(٣) ابن سلمى هو النعمان بن المنذر . جاء فى الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى بنت الصائغ ، يهودى من أنباط الشام » . وجلى ببصره تجلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد . انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) والحيوان (٧ : ٤٧) .

(٤) لكيز بن أفصى بن عبد القيس . ومرجوم ، بالجيم ، اسمه شهاب بن عبد القيس . قال ابن دريد : « وإنما سمى مرجوما لأنه نافر رجلا إلى النعمان فقال له النعمان : قد رجمتك بالشرف . فسمى مرجوماً » . الاشتقاق ٢٠١ . وابن المعلى ، وهو الجارود بن المعلى ، كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول فى وفد عبد القيس الأخير سنة عشر ، وأسلم وحسن إسلامه . الإصابة ١٠٣٨ والحيوان (١ : ٣٢٧) . والبيت لم يرو فى ديوان لبيد .

(٥) ب : « وقال » فقط . ج والتيمورية : « وقال لبيد » .

(٦) ديوان لبيد ٢٦ طبع ١٨٨١ . ل : « فيصلا » تحريف . التيمورية والديوان : « فاضلا » بالمعجمة . والوجه ما أثبت من ب ، ج . وقبل البيت :

ولن يعدموا فى الحرب ليثاً مجرباً   وذا نزل عند الرزية باذلا

(٧) التفسير بعد البيت السابق إلى هنا هو من ل فقط . وهذا البيت من أرجوزة رواها أبو عمرو والأصمعى لرؤبة ، ورواها ابن الأعرابى للعجاج . ديوان رؤبة ٨٣ .

وقال أيضا لبيد[١] :

لو كان حىٌّ فى الحياة مخلَّداً   فى الدّهر أدركَهُ أبو يَكْسُومِ[٢]
والحارثان كلاهما ومحـرِّقٌ   أو تُبَّعٌ أو فارس اليحمومِ[٣]
فدعِى الملامةَ ويْبَ غيرِكِ إنّه   ليس النَّوالُ بِلوم كلِّ كريمِ
ولقد بلوتُكِ وابتليتِ خَليقتى   ولقد كفاكِ مُعلِّمى تعليمى

وله أيضا :

ذهبَ الذين يُعَاشُ فى أكنافهمْ   وبقِيتُ فى خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ
يتأكَّلون مَغَـالةً وخِيانةً   ويُعاب قائلُهم وإن لم يَشْغَبِ

الخَلَفُ : البقيّة الصالحة من ولَد الرجل وأهلِه . والخلْف ضد هذا[٤] .

وقال زيد بن جندب ، فى ذكر الشَّغْب :

ما كان أغْنَى رجالاً ضَلَّ سَعْيُهمُ   عن الجدال وأغناهم عن الشَّغَبِ[٥]

وقال آخر فى الشَّغْب :

إنى إذا عاقبتُ ذو عقـابِ   وإن تشاغِبْنى فذو شِغَابِ

---

(١) فيما عدا ل : « وقال لبيد » . وانظر ديوان لبيد ٨٣ — ٨٤ طبع ١٨٨٠ .

(٢) أبو اليكسوم : كنية أبرهة ، الملك الحبشى صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة . وفى السيرة ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ملك ابنه يكسوم بن أبرهة . وبه كان يكنى » . وانظر الحيوان (٧ : ١٠١) . وفى شرح الديوان : « أدركه ، الهاء للتخليد » .

(٣) الحارثان ، هما الحارث الأكبر والحارث الأصغر ، ملكان من ملوك الغساسنة . محرق ، هو عمرو بن هند ملك الحيرة ، لأنه حرق بنى تميم . وهو كذلك لقب للحارث الأكبر الغسانى . انظر القاموس والعمدة (٢ : ١٧٩) . وفى شرح الديوان أنه ملك من ملوك اليمن . وفارس اليحموم ، هو النعمان بن المنذر . واليحموم فرسه . انظر العمدة (٢ : ١٨٢) والخيل لابن الكلبى ٣١ ونهاية الأرب (١٠ : ٤٥) . وبدل هذا البيت وتاليه فيما عدا ل :

بكتائب خرس تعود كبشها   نطح الكباش [كأنهن] نجوم

(٤) هذا التفسير فى ل فقط .

(٥) انظر ما سبق ص ٤٢ . ل : « ضل شغبهم ... عن الخطب » .

وقال ابن أحمر بن العَمَرَّدِ[١] :

وكم حَلَّها مِن تَيِّحانٍ سَمَيْـدعٍ مُصَافِى النَدى سَاقٍ بِيَهماء مُطْعِمِ[٢]

التَّيِّحان : الذى يعرِض فى كل شىء ليُغْنى فيه . والسَّمَيْدَع : الكريمُ . والنَّدَى : السخاء . واليَهماء : الأرض التى لا يُهتدَى فيها لطريق[٣] .

طَوِى البطنِ مِتْلافٍ إذا هبّت الصَّبا على الأمرِ غَوَّاصٍ وفى الحى شَيْظَمِ[٤]

وقال آخر[٥] :

هل لامَنى قومٌ لموقفِ سائلٍ أو فى مخاصمة اللَّجُوجِ الأصيَدِ

الأصيَد : السَّيِّدُ الرَّافعُ رأسَه ، الشَّامخُ بأنفه[٦] . ١٦١

وقال فى التطبيق :

فلمَّا أنْ بدا القَعقاع لجَّتْ على شَرَكٍ تُناقِله نِقالا[٧]
تعاوَرْنَ الحديثَ وطبَّقْنَه كما طَبَّقْت بالنَّعل المِثالا

قال : وهذا التطبيق غير التطبيق الأوّل . وقال آخر[٨] :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيفَ لى بالعِلْمِ بعد تدبُّرِ الأمرِ

---

(١) هو ابن أحمر الباهلى ، واسمه عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عمرو بن عبد بن فراص . من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام ، أسلم وغزا مغازى فى الروم ، ونزل الشام ، وتوفى على عهد عثمان . الإصابة ٦٤٦٠ والخزانة (٣ : ٣٨) والمؤتلف ٣٧ .

(٢) التيحان ، بفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة والمكسورة . وكان سيبويه ينكر لغة الكسر .

(٣) هذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٤) رجل طو : خالى البطن جائع . والشيظم : الطلق الوجه الهش .

(٥) كلمة « آخر » ساقطة مما عدا ل .

(٦) هذا التفسير من ل فقط .

(٧) القعقعة : طريق يأخذ من اليمامة إلى البحرين ، كان فى الجاهلية . والشرك : الطرق التى تخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لا تخفى عليك . والمناقلة : سرعة نقل القوائم . وضمير « تناقله » للنقال ، كما فى : « فإنى أعذبه عذابا » .

(٨) هو ابن أحمر الباهلى ، كما سبق فى س ٥ .

يعنى إدبار الأمر[١] :

وقالَ المعترضُ على أصحاب الخَطابة والبلاغة :

قال لقمانُ لابنه : « أىْ بُنىّ ، إنِّى قد ندمتُ على الكلام ، ولم أندَم على السُّكوت » . وقال الشّاعر :

ما إن ندمتُ على سكوتِىَ مَرّةً ⁂ ولقد ندمتُ على الكلام مِرارا

وقال الآخَر[٢] :

خَلِّ جنبيك لرَامِ ⁂ وامضِ عنه بسلامِ
مُتْ بداء الصمتِ خير ⁂ لك مِن داء الكلامِ
إنّما المُسلِمُ مَنْ ألْـ ⁂ ـجَمَ فاهُ بلجامِ[٣]

وقال الآخر[٤] فى الاحتراس والتّحذير :

اخفِض الصّوتَ إن نطقتَ بليلٍ ⁂ والتفِتْ بالنّهار قبل الكلامِ

وقال آخَر فى مثل ذلك :

لا أسألُ النّاس عمّا فى ضمائرهم ⁂ مافى الضّمير لهم من ذاك يكفينى[٥]

وقال حَمزة بن بِيض[٦] :

لم يكن عن جِنايةٍ لحِقَتنى ⁂ لا يَسارى ولا يَمينى جَنَتْنى
بل جناها أخٌ علىّ كريمٌ ⁂ وعلى أهلها براقِشُ تجنى

---

(١) هذا الشرح من ل فقط .
(٢) هو أبو نواس ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٧) .
(٣) فى عيون الأخبار : « إنما السالم » .
(٤) هو أبان اللاحق ، كما فى الحيوان (٥ : ٢٤١) .
(٥) فيما عدا ل : « ما فى ضميرى لهم منى سيكفينى » .
(٦) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كوفى خليع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالا عظيما بلغ ألف ألف درهم . الأغانى (١٥ : ١٤ — ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و « بيض » بكسر الباء . انظر تحقيق ذلك فى شرح الحيوان (٥ : ٤٥٤) .

لأنَّ هذه الـكلبةَ ، وهى براقش ، نَبَحت غُزًّى[١] قدْ مَرُّوا من ورائهم وقد رجعوا خائبين مُخْفِقين ، فلما نبحَتْهم استدلُّوا بنباحها على أهلها واستباحوهم ، ولو سكتت كانوا قد سلموا . [فضرب ابن بِيض به المثل[٢]] .

وقال الأخطل :

تَنِقُّ بلا شىء شُيوخ مُحاربٍ   وماخِلْتُها كانت تَرِيش ولاتَبْرِى

ضفادع فى ظَلماء ليـلٍ تجاوبَتْ   فدلَّ عليهـا صوتُها حيَّةَ البحرِ[٣] ١٦٢

النقيق : صياح الضَّفادع .

وقالوا : « الصمت حُـكْمٌ وقليلٌ فاعلُه » .

وقالوا : « استـكثَرَ من الهَيبة صامت » .

وقيل لرجـل من كلب طويل الصمت : بحقٍّ ما سَمّتكمُ العربُ خُرْسَ العرب . فقال : « أسكتُ فأسلمُ ، وأسمعُ فأعلمُ » .

وكانوا يقولون : « لا تعدِلُوا بالسلامة شيئا » . ولا تسمع الناسَ يقولون : جُلِدَ فلان حين سكت ، ولا قُتِل فلانٌ حين صمت[٤] . وتسمعُهم يقولون : جُلِد فلان حين قال كذا ، وقُتل حين قال كذا وكذا .

وفى الحديث المأثور : « رحِمَ الله مَن سكت فسلِمَ ، أو قال فغنم » .

والسلامة فوق الغنيمة ؛ لأنَّ السلامة أصلٌ والغنيمةَ فرع .

---

(١) غزى : جمع غاز . فيما عدا ل : « إنما نبحت غزيا » . والغزى : جمع غاز أيضاً ، مثل ناد وندى ، وناج ونجى .

(٢) به ، أى بذلك . وهذه التكملة مما عدا ل .

(٣) البيتان فى ديوان الأخطل ١٣٢ . وانظر الحيوان (٣:٢٦٨/٤:٢٤٠/٥:٣٢٢) . وللشعر قصة فى العقد (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والـكنايات ٧٢ .

(٤) فيما عدا ل : « صمت » موضع « سكت » وبالعكس فيما بعده .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله يُبغض البليغ الذى يتخلّل بلسانه ، تخلُّلَ الباقرة بلسانها[1] » .

وقيل : « لو كان الكلامُ من فضّة ، لكان السكوت من ذهب[2] » .

قال صاحب البلاغة والخطابةِ ، وأهلُ البيانِ وحُبِّ التّبيين : إنّما عاب النبى صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثّرثارين والذى يتخلّل بلسانه تخلُّلَ الباقرةِ بلسانها ، والأعرابىَّ المتشادق ، وهو الذى يصنعُ بفكّيه و بشدقيه ما لا يستجيزه أهلُ الأدب مِن خطباء أهل المدَر . فمن تكلف ذلك منكم فهو أعْيَبُ ، والذّمُّ له ألزَم .

وقد كان الرّجلُ من العرب يقِفُ الموقفَ فيرسلُ عدّة أمثالٍ سائرة ، ولم يكن النّاسُ جميعاً ليتمثّلوا بها إلاّ لما فيها من المرفق والانتفاع[3] . ومدارُ العِلم على الشّاهِدِ والمثَل . وإنّما حثّوا على الصّمت لأنّ العامة إلى معرفة خطأ القول ، أسرعُ منهم إلى معرفة خطأ الصّمت . ومعنى الصامت فى صَمته أخْفى من معنى القائل فى قوله ؛ وإلاّ فإنّ السكوت عن قول الحقّ فى معنى النُّطق بالباطل . ولعمرى إنّ النّاس إلى الكلام[4] لأسرع ؛ لأنّ فى أصل التركيب أنّ الحاجة إلى القول والعمل أكثرُ من الحاجة إلى تركِ العمل ، والسُّكوتِ عن جميع القول . وليس الصّمتُ كلُّه أفضلَ من الكلام كلِّه ، ولا الكلام كلُّه أفضلَ من السكوت كلِّه ، بل قد علمنا أنّ عامّة الكلام أفضلُ من عامّة السكوت .
١٦٣ وقد قال الله عزّ وجل : ﴿ سَمّاعُون لِلكَذِبِ أكّالُونَ للسُّحْتِ ﴾ . فجعل سَمْعه وكَذِبه سواء . وقال الشاعر :

بنى عَدىٍّ ألا يا انْهوا سفيهَكمُ ... إنّ السّفيه إذا لم يُنْهَ مأمورُ[5]

(١) المعروف فى جمع بقر الباقر والبقير والبيقور والباقور والباقورة والبواقر .

(٢) فيما عدا ل : « إن كان الكلام ... فالسكوت » .

(٣) المرفق ، كمنبر ومجلس ومسكن : ما استعين به .

(٤) ل : « كلامهم » .

(٥) يا انهوا ، هو من حذف المنادى ، أى يا قوم انهوا . فيما عدا ل : « ألا ينهى » .

وقال آخر(١) :

فإن أنا لم آمُرْ ولم أنهَ عنكما ضَحكتُ له حتّى يلجَّ ويستشرِي

وكيف يكون الصَّمتُ أنفعَ ، والإيثارُ له أفضل(٢) ، ونفعُه لا يكاد يجاوز رأسَ صاحبه ، ونفع الكلام يعُمّ ويخُصّ ، والرُّواة لم ترْوِ(٣) سكوت الصامتين ، كما روَتْ كلامَ النّاطقين ، وبالكلام أرسَلَ الله أنبياءه لا بالصَّمت ، ومواضعُ الصَّمت المحمودة قليلة ، ومواضعُ الكلام المحمودة كثيرة ، وطولُ الصَّمت يُفسد اللِّسان(٤) .

وقال بكر بن عبد الله المزنيّ(٥) : « طول الصَّمت حُبسَة » ، كما قال عمر بن الخطاب رحمه الله : « ترْكُ الحركة عُقْلَة » .

وإذا ترك الإنسانُ القولَ ماتت خواطرُه ، وتبلّدَت نفسُه ، وفسَدَ حِسُّه . وكانوا يروُّون صِبيانَهم الأرجاز ، ويعلّمونهم المُناقلات ، ويأمرونهم برَفْع الصَّوت وتحقيق الإعراب ؛ لأنَّ ذلك يفتق اللَّهاةَ ، ويفتح الجِرْم(٦) .

واللِّسان إذا أكثرت تقليبه رقَّ ولانَ ، وإذا أقللت تقليبَه وأطلْتَ إسكانَه جسأ وغلظ(٧) .

وقال عَبايةُ الجُعْفيّ(٨) : « لولا الدُّرْبة وسُوء العادة لأمرتُ فتياننا(٩) أن يماريَ بعضُهم بعضاً » .

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . انظر الحيوان (١ : ١٤) وأمالي المرتضى (٢ : ٦٠) وثعلب ٧ من المخطوطة .

(٢) ل : « ولا يقال له أفضل تحريف .

(٣) فيما عدا التيمورية : « لم يرووا » .

(٤) فيما عدا ل : « البيان » .

(٥) تقدمت ترجمته في ص ١٠٠ .

(٦) الجرم ، بالكسر : الحلق .

(٧) ل : « إسكانه » بالتاء . جسأ : يبس وصلب .

(٨) أورد له في الحيوان (٥ : ١٩٠) : « ما سرني بنصيبي من الذل حمر النعم » .

(٩) ل : « فتياني » .

وأيةُ جارحةٍ منعتَها الحركةَ ، ولم تمرِّنْها على الاعتمال ، أصابَها من التعقُّد على حسب ذلك المَنْع . ولِمَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنّابغة الجعدى : « لا يَفْضُض اللهُ فاكَ » ؟ ولِمَ قال لكعب بن مالك : « ما نَسِيَ اللهُ لكَ مقالكَ ذلك[1] » ؟ ولِمَ قال لهيذان بن شيخ[2] : « رُبَّ خطيبٍ من عَبْس » ؟ ولِمَ قال لحسان : « اُهجُ الغطاريف مِن بنى عبد مناف[3] ، واللهِ لشِعْرُك أشدُّ عليهم من وَقع السِّهام ، فى غَبَش الظَّلام[4] » ؟

وما نشكُّ أنّه عليه السلام قد نَهَى عن المِراء ، وعن التزيُّد والتكلُّف ، وعن كلِّ ما ضارَعَ الرِّياء والسُّمعة ، والنَّفْج والبَذَخ[5] ، وعن التَّهاتر والتَّشاغُب ، وعن المماتنة والمغالبة[6] . فأمّا نَفْسُ البيان ، فكيف يَنْهَى عنه .

وأبينُ الكلام كلامُ الله ، وهو الذى مدَحَ التَّبيين وأهلَ التَّفصيل[7] . وفى ١٦٤
هذا كفايةٌ إن شاء الله .

قال دغفَل بن حنظلة : إنّ للعلم أربعة[8] : آفة ، ونكداً ، وإضاعة ، واستجاعة . فآفته النِّسيان ، ونكده الكذِب ، وإضاعته وَضْعُه فى غير موضعه ، واستجاعته أنّك لا تشبع منه .

وإنّما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثرِ العلماء ، ولخُرْق سياسة أكثر الرُّواة ؛ لأنّ الرُّواة إذا شغَلوا عقولهم بالازدياد والجمع ، عن تحفُّظ ما قد حصّلوه ،

---

(١) الكلمة الأخيرة ليست فى ل .

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٩٠٢٧ برسم « هيدان بن سنح العبسى » . وأورد له هذا الخبر الذى رواه الجاحظ ثم قال : « ولم يتحرر لى ضبط والده » .

(٣) الغطريف : السيد الشريف . فى الأصول « هيج » تحريف . وفى العمدة (١ : ١٢) : « اهجهم — يعنى قريشا » .

(٤) الغبش : شدة الظلمة . ل والعمدة : « غلس الظلام » . وهى ظلمة آخر الليل .

(٥) النفج ، بالفتح ، والبذخ بالتحريك ، هما بمعنى الكبر .

(٦) المماتنة : المعارضة فى الجدل والخصومة .

(٧) فيما عدا ل : « التفضيل » بالضاد المعجمة ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « أربعا » . وانظر الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ .

وتدبُّر ما قد دوَّنوه ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى النقصان ، وذلك الرِّبح سبباً للخُسران . وجاء فى الحديث : « منهومانِ لا يشبعان : منهومٌ فى العلم ، ومنهومٌ فى المال » .

وقالوا : علِّمْ عِلمَك ، وتعلَّمْ علم غيرِك ، فإذا أنت قد علِمْتَ ما جهلت ، وحفِظت ما علِمْت .

وقال الخليل بن أحمد : اجعَلْ تعلمك دراسةً لعلمك ، واجعل مناظرةَ المتعلِّمِ تنبيهاً على ما ليس عندك .

وقال بعضهم — وأظنُّه بكرَ بنَ عبدِ الله المُزَنِىّ — : لا تكُدُّوا هذه القلوبَ ولا تُهملوها ؛ فخَيْرُ الفِكْر ما كان عَقِبَ الجَمام[1] ، ومن أكره بصرَهُ عَشِىَ . وعاوِدُوا الفِكرَة[2] عند نبوات القلوب ، واشحَذُوها بالمذاكرة ، ولا تيأسُوا من إصابة الحكمة إذا امتُحِنْتم ببعض الاستغلاق ، فإنَّ مَن أدام قرع الباب وَلَج .

وقال الشّاعر :

إذا المرء أعيَتْه السِّيادةُ ناشئاً ... فمطلبها كهلاً عليه شديدُ[3]

وقال الأحنف : « السُّؤْدُد مع السَّواد » . وتقول الحكماء : « مَن لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها » . وأنشد قول الشاعر[4] :

ودون النَّدَى فى كل قلبٍ ثنيَّةٌ ... لها مَصْعَدٌ حزن ومنحدَر سهلُ[5]
ووَدَّ الفتى فى كلِّ نَيلٍ يُنيلُه ... إذا ما انقضى ، لو أنَّ نائلَهُ جَزْلُ

(١) فيما عدا ل : « تخير الكلام » . والجمام ، كسحاب : الراحة .
(٢) فيما عدا ل : « الفكرة » . (٣) فيما عدا ل : « أعيته المروءة » .
(٤) فيما عدا ل : « وأنشد » فقط . وانظر الحيوان (٢ : ٩٥) .
(٥) ل : « ودون العلى » . وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الحيوان .

وقال الهذلىّ[١] :

وإنّ سيادةَ الأقوامِ فاعلَمْ ... لها صَعْداءُ مطلبُها طويلُ[٢]

أترجُو أن تسود ولا تُعَنَّى ... وكيف يسود ذُو الدَّعَة البخيلُ[٣]

١٦٥ • صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عُمَر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : « ما رأيتُ عُقولَ النّاس إلاّ وقد كادَ يتقاربُ بعضُها من بعض[٤] ، إلاّ ما كان من الحجّاج وإياس بن معاوية ، فإنّ عقولهما كانت ترَجُحُ على عقول الناس » .

أبو الحسن قال : سمعت أبا الصُّغْدِىّ[٥] الحارثىّ يقول : كان الحجّاج أحمقَ ، بنى مدينة واسط فى بادية النَّبَط ثم حماهُمْ دخُولَها[٦] ؛ فلمّا مات دَلَفُوا إليها من قريب .

وسمعتُ قَحْطَبة الخُشَنىّ[٧] يقول : كان أهلُ البصرة لا يشكون أنّه لم يكُنْ بالبصرة رجلٌ أعقل من عُبَيد الله بن الحسن[٨] ، وعُبيد الله بن سالم .

وقال معاوية لعمرو بن العاصى : إنّ أهل العراق قد قَرَنُوا بك رجلاً طويلَ اللّسان ، قصيرَ الرأى ، فأجِدِ الحزَّ وطَبِّق المَفصِلَ ، وإيّاك أن تلقاهُ برأيك كلّه .

---

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلى المعروف بالأعلم . انظر ديوان الهذليين ٦٠ — ٦١ لسخة الشنقيطى ، وشرح الهذليين السكرى ٦٣ — ٦٤ .

(٢) وكذا روى فى شعر الهذليين وعيون الأخبار (١ : ٢٦٦) . ورواه فى الحيوان (٢ : ٩٥/ ٣ : ٨٠) برواية : « وإن سياسة » وكذا فى اللسان (صعد) . والصعداء : الأكمة يشتد صعودها على الراق .

(٣) فيما عدا ل : « ولن تعنى » تحريف . وهذا البيت لم يرو فى ديوان الهذليين .

(٤) فيما عدا ل : « إلا قريباً بعضها من بعض » وهو ما سبق فى س ١٠٠ س ١ .

(٥) ب والتيمورية : « الصغرى » ج « الصفرى » وأثبت ما فى ل . وسيعيد الجاحظ هذا الخبر فى (٢ : ٣٠٦) من أرقام الأصل .

(٦) سيأتى : « ثم قال لهم لا تدخلوها » وهو رواية ما عدا ل .

(٧) الخشنى : نسبة إلى خشين بن نمر بن وبرة بن تغلب . فيما عدا ل : « الجشمى » .

(٨) تقدمت ترجمته فى س ١٢٠ . ل : « عبد الله » تحريف .

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن

الموجز المحذوف ، القليل الفضول

قال الشّاعر[1] :

لها بَشَرٌ مثلُ الحرير ومنطقٌ   رقيقُ الحواشى لا هُراءٌ ولا نَزْرُ[2]

وقال ابن أحمر :

تَضَعُ الحـديثَ على مواضِعِه   وكلامُها مِن بعـدِهِ نَزْرُ

وقال الآخر :

حديث كطعم الشُّهدِ حلو صدورُه   وأعجـازُه الخُطبان دونَ المَحارِمِ[3]

وقال بشار بن برد :

أُنُسٌ غرائرُ ما هممْن بريبـةٍ   كظِباء مكّةَ صيدُهنَّ حـرامُ
يُحسَبْنَ من أُنس الحديثِ زوانياً   ويصدُّهُنَّ عن الخنا الإسـلامُ

ولبشّار أيضا :

فنعمْنا والعينُ حَىٌّ كَمَيْتٍ   بحديثٍ كنشوةِ الخَنْدريسِ

ولبشّار أيضا :

وكأنَّ رَفْضَ حـديثِها   قِطَعُ الرِّياض كُسِينَ زَهْرا[4]
وتخالُ ما جَمعت عليـه ثيابُهـا ذهباً وعِطرا
وكأنَّ تحتَ لسانِهـا   هاروتَ ينفِثُ فيه سِحرا

---

(١) هو ذو الرمة . ديوانه ٢١٢ وأمالى القالى (١ : ١٥٤) .

(٢) فى الديوان : « دقيق الحواشى » . وفى الأمالى وما عدال : « رخيم الحواشى » .

(٣) الخطبان ، بالضم : نبت شديد المرارة .

(٤) أنشده فى اللسان (رفض) على أن الرفض بمعنى الجانب . وفى أمالى القالى (١ : ٨٤) : « وكأن رصف » .

ولبشّار العُقيليّ :

وفتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها   بحديثٍ كلذّة النَّشوانِ

وقال الأخطل :

فأشرَبْنَ خمساً ثم أصبحن غُدوةً   يُخبِّرْن أخبارا ألذَّ من الخمرِ[1]

وقال بشّار :

وبِكْرٍ كنُوّارِ الرِّياض حديثُها   تَرُوق بوجهٍ واضحٍ وقَوامِ

وقال بشّار :

وحديثٌ كأنّه قِطَعُ الرو   ضِ وفيه الصّفراء والحمراء

وأخبرنا عامر بن صالح أن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[2] كتب إلى امرأته ، وعنده إخوان له ، بهذه الأبيات :

إنّ عندى أبقاكِ ربُّكِ ضيفاً   واجباً حقُّهم كُهولاً ومُرْدَا

طرَقُوا جارَكِ الذى كان قِدْماً   لا يَرَى مِن كرامة الضَّيف بُدَّا

فلديه أضيافُه قد قَرَاهُمْ   وهُمُ يشربون تمرًا وزُبْدَا

فلهذا جرى الحديثُ ولكنْ   قد جعلنا بعضَ الفُكاهة جِدًّا[3]

وأنشد الهُذَلىّ :

كرُّوا الأحاديث عن ليلى إذا بَعُدَت   إنَّ الأحاديثَ عن ليلى لَتُلهِينِي

وقال الهُذَلىُّ أيضا[4] :

---

(١) ديوان الأخطل ١٣٥ .

(٢) هو ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كان أمير مكة والمدينة ، توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل : « المزاحة » ، وهذه ضبطت بالضم فى القاموس ، وبالفتح فى المصباح .

(٤) فيما عدا ل : « وقال الهذلى فى حلاوة الحديث » . والهذلى هنا هو أبو ذؤيب . انظر ديوانه ١٤٠ واللسان (طفل) .

وإنّ حديثاً منكِ لو تبذلينَهُ　　جَنَى النَّحْلِ أو ألبانُ عُوذٍ مَطَافِلِ
مطافيلَ أبْكارٍ حديثٍ نِتاجُها　　تُشَابُ بماءٍ مثلِ ماءِ المَفاصِلِ

العُوذ : جمع عائذ ، وهى الناقة إذا وضَعَتْ ، فإذا مشى ولدها فهى مُرْشِحٌ[(١)] فإذا تَبعها فهى مُتْلِيَة ؛ لأنّه يتلوها . وهى فى هذا كلّه مُطفِل . فإن كان أوّلَ ولدٍ[(٢)] ولدتْه فهى بِكْر . ماء المفاصِلِ فيه قولان : أحدهما أنّ المفاصل ما بين الجبلَين واحِدُها مَفصِل ، وإنّما أراد صفاء الماء ؛ لأنّه ينحدر عن الجبال ، لا يمرُّ بطينٍ ولا تُراب . ويقال إنّها مفاصِلُ البعير . وذكروا أنّ فيها ماءً له صفاءٌ وعُذوبة[(٣)] .

وفى الكلام الموزون يقول [عبد الله بن] معاوية بن عبد الله بن جعفر[(٤)] : ١٦٧

الزم الصَّمتَ إنّ فى الصّمت حُكْماً　　وإذا أنتَ قُلتَ قولاً فزِنْهُ

وقال أبو ذؤيب :

وسِربٍ يُطَلَّى بالعَبير كأنّهُ　　دماءُ ظباءٍ بالنُّحورِ ذبيحُ[(٥)]
بذلتُ لهنّ القولَ إنك واجدٌ　　لما شئتَ من حلو الكلام ، مليحُ[(٦)]

---

(١) يقال راشح ، ومرشح ، ومرشّح بالتشديد .

(٢) فيما عدا ل : «أول ولدها» .

(٣) انظر مثل هذا الكلام فى الحيوان (٢ : ٣٥٠ — ٣٥١) .

(٤) التكملة مما عدا ل . وعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، كان من فتيان بنى هاشم وأجوادهم وشعرائهم ، وكان يرمى بالزندقة ، خرج بالكوفة فى آخر أيام مروان ابن محمد ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله . الأغانى . (١١ : ٦٣ — ٧٤) .

(٥) أنشده فى اللسان (ذبح) وقال : « ذبيح وصف للدماء . وفيه شيئان : أحدهما وصف الدم بأنه ذبيح وإنما الذبيح صاحب الدم لا الدم . والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد . فأما وصفه الدم بالذبيح فإنه على حذف المضاف ، أى كأنّه دماء ظباء بالنحور ذبيح ظباؤه ، ثم حذف المضاف وهو الظباء ، فارتفع الضمير الذى كان مجروراً ، لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر فى ذبيح . وأما وصفه الدماء وهى جماعة بالواحد فلأن فعيلا يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة » .

(٦) ل : « لهم القول أنى واجد » صوابه من سائر النسخ والديوان ١١٧ . و « مليح » صفة « واجد » . عى أنه يجد ما يشاء من حلو الكلام ، وأنه مليح أيضاً .

السَّرب : الجماعة من النساء والبقر والطير والظِّباء . ويقال فلانٌ آمِن السَّرب ، بفتح السين ، أى آمن المسلك . ويقال فلانٌ واسع السرب[١] وخَلِيّ السرب[٢] ، أى المسالك والمَذاهب . و إنما هو مثلٌ مضروب للصَّدر والقلب . وعن الأصمعيّ : فلانٌ واسع السِّرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطىء الغضب[٣] .

وأنشد للحكم بن رَيحان ، من بنى عمرو بن كلاب :

يا أجْدَل النَّاس إن جادلتهُ جَدَلا ... وأ كثَرَ الناس إن عاتبتُه عِلَلا
كأنّما عَسَلٌ رُجْعانُ مَنْطِقِها ... إن كان رَجْعُ كلام يشبه العَسَلا[٤]

وقال القُطَامىُّ[٥] :

وفى الخدور غماماتٌ بَرَقْن لنا ... حَتّى تصيَّدْنَنا من كلِّ مُصْطَادِ
يقْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يَعلَمُه ... مَن يتّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِى[٦]
فهنَّ ينبِذْنَ من قولٍ يُصِبنَ به ... مَواقعَ الماء من ذى الغُلّةِ الصَّادِى

يَنبِذْن : يُلقِين . الغُلّة والغليل : العطش [الشَّديد[٧]] . والصادى : العطشان أيضاً ؛ والاسم الصَّدَى . وأنشد للأخطل :

شُمُسٌ إذا خَطِلَ الحديثُ أوانِسٌ ... يرقُبْن كلَّ مُجَذَّرٍ تِنْبالِ[٨]
أُنُفٌ كأنّ حديثَهنّ تنادُمٌ ... بالـكأسِ كلُّ عقيلَةٍ مِكْسالِ

---

(١) الـكلام من « السين » إلى هنا ساقط مما عدا ل .
(٢) فيما عدا ل : « وخلى السرب وواسع السرب » .
(٣) فيما عدا ل : « بطىء التأنيب » .
(٤) الرجعان ، بالضم : مصدر لرجع كالرجع والرجوع والرجعى .
(٥) ديوان القطامى ٨ .
(٦) هذا البيت فى ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ . وفى الديوان : «ولا مكتوبة» .
(٧) هذه مما عدا ل .
(٨) البيتان لم يرويا فى ديوان الأخطل . ب ، جـ : « كل مرقب » وفى التيمورية : « كل مرقب مجدر » ، كلاهما محرف ، صوابهما فى ل .

الشُّمُسُ : النَّوافِرُ[١] . والتِّنْبال : القصير[٢] . والأُنُفُ : جمع آنِفةٍ ، وهى المُنكِرة للشَّىء غير راضية[٣] . العقيلة : المصونة فى أهلها . وعقيلة كل شىء ١٦٨ خيرته[٤] . والمِكسال : ذات الكسل عن الحركة .

وقال أبو العَمَيْثَل عبد الله بن خُلَيدٍ[٥] :

لقيتُ ابنةَ السَّهمىِّ زينبَ عن عُفْرٍ ... ونحنُ حَرَامٌ مُسْىَ عاشِرَةِ العَشْرِ[٦]

وإنِّى وإيَّاها لَحَتْمٌ مبيتُنا ... جميعاً ، ومَسْرانا مُغِذٌّ وذو فَتْرِ[٧]

فكلَّمتُها ثِنتينِ كالثلج منهما ... على اللَّوح والأُخرى أحرُّ من الجمرِ

يقال : ما يلقانا إلا عن عُفْرٍ[٨] ، أى بَعدَ مُدَّة . مُسْىٌ : أى وقت المساء . يقال أغذَّ السَّيرَ ، إذا جدّ فيه وأسرع . واللَّوح بالفتح[٩] : العطش ، يقال لاحَ الرَّجُل يلُوحُ لَوْحاً ، والتاح يلتاح التياحاً ، إذا عطِش . واللَّوح بالفتح أيضاً الذى يكتب فيه . واللُّوح بالضم : الهواء ، يقال « لا أفعل ذلك ولو نَزَوتَ فى اللُّوح » أو « حتَّى تنزُوَ فى اللُّوح » .

وأنشد :

---

(١) يقال شمس ، بضمة وبضمتين أيضاً ، مفرده شموس ، بالفتح .

(٢) فيما عدا ل : « التنبال القصير ، والجنبذ مثله ، والشمس : النوافر » .

(٣) فيما عدا ل : « غير راضية عنه » . (٤) هذه مما عدا ل .

(٥) فيما عدا ل : « وقال أبو العميثل » فقط . وهو أبو العميثل عبد الله بن خليد ، مولى جعفر بن سليمان بن على بن عبدالله بن العباس . وكان كاتب طاهر وولده عبدالله بن طاهر ، وكان مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها شاعراً مجيداً . توفى سنة ٢٤٠ . ابن النديم ٧٢ — ٧٣ وابن خلكان . وفى أمالى القالى (١ : ٩٨) حيث أنشد الشعر : « عبدالله بن خالد » تحريف .

(٦) ح : « من عفر » ب والتيمورية « غفر » كلاهما محرف عما أثبت من ل والأمالى . حرام : أى محرمون . مسى عاشرة العشر ، أى عشية عرفة ، وهى الليلة العاشرة لليوم العاشر .

(٧) فى الأمالى : « وسيرانا » بدل « ومسرانا » . وفى الأمالى : « وسيرانا ، أى سيرى أنا مغذ ، أى مسرع ، وسيرها ذو فتر أى ذو فتور وسكون ؛ لأنها يرفق بها » .

(٨) فيما عدا ل : « تقول ما يلقانا فلان » . (٩) يقال أيضاً بالضم .

وإنّا لَنُجرِى بيننا حين نلتقِى   حديثاً له وشْىٌ كَحِبْرِ المَطَارِفِ[١]
حديث كطعم القَطْرِ فى المَحْلِ يُشتَفَى   به من جوًى فى داخل القلب لاطِفِ

المَحْل : الجدب ، وسنة مَحُولٌ . وأمحل البلد فهو ما حل ومُمْحل ، وزمانٌ ماحلٌ وممحل . الجوى هاهنا : شدة الحبّ حتى يمرَضَ صاحبُه . لاطِفٌ : لطيف[٢] . وأنشد للشماخ[٣] بن ضِرار الثَّعْلبىّ[٤] :

يُقِرُّ بعينى أنْ أُنبَّأَ أنّها   وإن لم أنلْها أيّمٌ لم تَزَوَّجِ[٥]
وكنتُ إذا لاقيتُها كان سرُّنا   وما بيننا مثلَ الشِّواء المُلَهْوَجِ

يريد أنّهما كانا على عجلةٍ من خَوف الرُّقباء . والمُلَهْوَجُ : المعجَّلُ الذى لم يُنتَظَرْ به النُّضج .

وقال جِرَانُ العَوْد :

فنِلنا سِقاطاً من حديث كأنّه   جَنَى النحل أو أبكارُ كَرْمٍ يُقطَّفُ
حديثاً لو أنّ البقلَ يُولَى بمثلِهِ   زَها البقلُ واخضرَّ العضاه المُصَنَّفُ[٦]

---

(١) الحبر ، بالكسر : الوشى ، عن ابن الأعرابى . وفيما عدا ل : « كوشى » . والمطارف : جمع مطرف ، كمنبر ومصحف ، وهو ثوب من خز له أعلام .

(٢) هذا التفسير فى ل فقط .

(٣) فيما عدا ل : « وقال الشماخ » . وهو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفى بن إياس بن عبد بن عثمان بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . الأغانى (٨ : ٩٧) والإصابة ٣٩١٣ والخزانة (١ : ٥٢٦) وابن سلام ٤٧ والشعر والشعراء .

(٤) الثعلبى : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما فى ترجمته . وفى جميع النسخ « التغلبى » تحريف .

(٥) أقر الله عينه وبعينه ، أى أبردها بما يفرح صاحبها ، أو أسكنها فلا تطمح إلى غير ما نال صاحبها من خير كثير . والبيتان من قصيدة له فى ديوانه ٥ — ١٧ .

(٦) البيت فى ديوانه ٢١ ، والذى قبله لم يرو فى الديوان . وبدله فيه :

ينازعننا لذاً رخيماً كأنّه   عوائر من قطر حداهن صيف

وللفرزدق :

إذاهن ساقطن الحديث كأنّه   جنى النحل أو أبكار كرم تقطف

والمصنف : الذى خرج ورقه وأخضر ، وقال السكرى : « الذى قد جف بعضه وبقى بعضه » . ل : « المضيف » ، وفيما عدا ل : « المصيف » صوابهما من الديوان .

زها : بدا زهره . العِضَاهُ : جمع عِضَةٍ ، وهى كل شجرةٍ ذات شوك ، ١٦٩
إلا القتادة فإنها لا تسمى عِضَةً .

وقال الكميت بن زيد :

وحديثهنَّ إذا التقيـ ـنَ تهانُفَ البيضِ الغرائرْ
وإذا ضحِكْنَ عن العِذا بِ لنا المُسَفَّاتِ الثَّواغِرْ[١]
كانَ التهلُّلَ بالتّبسُّـمِ لا القهاقِهُ بالقراقِرْ

التهانُف : تضاحُكٌ فى هُزُؤ . الغرائر : جمع غريرة ، وهى المرأة القليلة الخِبْرة ، الغُمْرة[٢] . والعِذاب ، يريد الثَّغر . والمُسَفّات : اللِّثات التى قد أُسِفَّت بالكُحل أو بالنَّؤُور ، وذلك أن تُغرزَ بالإبرة ويُذَرَّ عليها الكحل فيعلوها حُوّة . والتهلُّل ، يقال تهلَّل وجهُه ، إذا أشرق وأسفر . وقال الآخَر[٣] :

ولمّا تلاقَيْنا جَرى مِن عُيوننا دُموعٌ كفَفْنا غَربَها بالأصابِعِ[٤]
ونِلنا سِقاطاً من حديثٍ كأنّه جَنَى النَّحلِ ممزوجاً بماء الوقائعِ

سقاط الحديث : ما نُبِذَ منه ولُفِظ به . يقال ساقطْتُ فلانا الحديثَ سِقاطاً .
الوقائـع والوقيع : مناقع الماء فى مُتون الصُّخور ، الواحدة وقيعة[٥] .

وقال أشعث بن سُمَىّ[٦] :

هل تعرف المبدا إلى السَّنام ناطَ به سواحرُ الكلامِ
كلامُها يشفى من السَّقامِ[٧]

(١) لم أجد هذه الكلمة ولا تفسيرها فى المعاجم المتداولة . والأبيات لم ترو فى الهاشميات .
(٢) الغمر ، بتثليث الغين ، وبالتحريك : من لم يجرب الأمور .
(٣) هو ذو الرمة . ديوانه ٣٥٨ .
(٤) الغرب : كل فيضة من الدمع . وفى الديوان : « جرت من... ماءها بالأصابع » .
(٥) فيما عدا ل : « الأشعب بن سمى » .
(٦) فيما عدا ل : « كلامهن برء ذى السقام » .
(٧) لم أجد « المبدأ » . وأما السنام فذكره ياقوت ، وذكر فى القاموس أيضاً ، وهو جبل مشرف على البصرة ، وجبل بالحجاز بين ماوان والربذة .

المبدا وسَنامٌ : موضعان . ناط به : أى صار إليه[١] .

وقال الرّاجز ووصف عيونَ الظِّباء بالسِّحر وذكر قوساً[٢] فقال :

صَفْراء فَرع خَطَمُوها بوَتَرْ[٣] لَأم ٍ مُمَرٍّ مثـلِ حُلقوم النُّغَرْ

حَدَّتْ ظُبَاتِ أسهمٍ مثل الشَّرَرْ فصَرَّعْتَهنَّ بأكناف الحُفَـر[٤]

حُورُ العيونِ بابليّاتُ النَّظَرْ[٥] يَحسبُها الناظرُ من وحْش البَشَرْ[٦]

* اللأم من كلِّ شىء : الشديد . والمُمَرّ : المحكَم الفتل ، وحبلٌ مَرِيرٌ ١٧٠

مثله . النُّغَر : البلبل . والظُّبَاتُ : جمع ظُبَةٍ ، وهى حدُّ السَّيف والسِّنان وغيرهما .

وقال آخر[٧] :

وحـديثُها كالقَطْرِ يسمعُه راعِى سنِينَ تتابعَتْ جَدْبا

فأصاخَ يرجُو أن يكون حَيًا ويقول من طَمَع هَيَا رَبّا[٨]

---

(١) أصل معنى النوط التعليق . وهذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « قوسا صفراء » .

(٣) فرع : عملت من رأس القضيب وطرفه . خطم القوس : علق عليها الوتر .

(٤) أى حدت القوس ظبات هذه الأسهم وقذفتها فصرعت هذه الوحوش .

(٥) أى ذات عيون سواحر ، وبابل ينسب إليها السحر .

(٦) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « ويروى البقر » وأراها إقحاماً . كما أن التفسير التالى والبيتان بعده ساقطان مما عدا ل .

(٧) البيتان التاليان ، رواهما القالى فى أماليه (١ : ٨٤) منسوبين لأعرابى .

(٨) فى الأمالى : « من فرح » .

باب آخر من الأسجاع فى الكلام

قال عُمَر بن ذَرّ ، رحمه الله : « الله المستعانُ على ألسنةٍ تَصِف ، وقلوبٍ تَعرِف ، وأعمالٍ تُخْلِف » .

ولمّا مَدحَ عتيبةُ بن مرداسٍ عبدَ الله بنَ عبّاسٍ قال : لا أُعطى مَن يعصى الرَّحمن ، ويُطيع الشيطان ، ويقول البُهْتان .

وفى الحديث المأثور ، قال : « يقول العبدُ مالى مالى ، وإنّما لك مِن مالِك ما أكلتَ فأفنيت ، وأعطيت فأمضَيْت ، أو لبِسْتَ فأبليت » .

وقال النَّمِرُ بن تولب[1] :

أعاذلَ إن يُصبِح صداىَ بقفرةٍ   بعيـــدًا نآنى صاحبى وقريبى
ترَىْ أنَّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّهُ   وأنَّ الذى أمضيتُ كان نصيبى[2]

الصَّدَى هاهنا : طائرٌ يخرج من هامة الميت[3] إذا بَلِى ، فينعَى إليه ضَعفَ وليِّه وعَجْزه عن طلب طائلته ، وهذا كانت تقوله الجاهلية[4] ، وهو هنا مستعار ، أى إنْ أصبحتُ أنا .

ووصف أعرابىٌّ رجلاً فقال : « صغير القَدْر ، قصير الشِّبْر ، ضيِّق الصَّدر ، لئيم النَّجْر ، عظيم الكِبر ، كثير الفخر » .

الشِّبْر : قدر القامة ، تقول : كم شِبْر قميصك ، أى كم عدد أشباره[5] .

والنَّجْر : الطباع .

---

(١) انظر الأغانى (١٩ : ١٦١) وابن سلام ٦٠ .

(٢) هذه رواية ل وابن سلام . وفى الأغانى وسائر النسخ : « الذى أنفقت » .

(٣) فيما عدا ل : « من قبر الميت » .

(٤) فيما عدا ل : « كانت العرب تقوله فى الجاهلية » .

(٥) فيما عدا ل : « الشبر : القامة » لا غير .

ووصف بعضُ الخطباء رجلاً فقال : « ما رأيتُ أضربَ لمثلٍ ، ولا أركبَ لجمل ، ولا أصعَدَ فى قُللٍ منه » .

وسأل بعضُ الأمراء رسولاً قَدِم من جهة السِّند : كيف رأيتَ البلاد ؟ قال : ماؤها وَشَلٌ ، ولِصُّها بَطَلٌ ، وتمرُها دَقَلٌ[1] . إنْ كثُر الجند بها جاعوا ، وإن قلُّوا بها ضاعُوا » . الوشَل : الماء القليل[2] .

١٧١ وقيل لصعصعةَ بنِ معاوية : مِن أينَ أقبلت ؟ قال : من الفجِّ العميق . قيل : فأين تريد ؟ قال : البيتَ العتيق . قالوا : هل كان مِن مطر ؟ قال : نَعم ، حتَّى عفاَ الأثر ، وأنْضَر الشجرُ ، ودُهْدِى الحجر[3] .

واستجار عَون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، بمحمّد بن مروان بنصيبين ، وتزوّج بها امرأة ، فقال محمّد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرةالعقارب[4] قليلة الأقارب » . يريد بقوله « قليلة » كقول القائل : فلان قليلُ الحياء ، ليس يريد أن هناك[5] حياء وإنْ قلّ . يضعون قليلاً فى موضع ليس .

وولى علاء الكلابى[6] عملاً خسيساً[7] ، بعد أن كان على عمل جسيم ، فقال : « العُنوق بعد النُّوق[8] » .

---

(١) الدقل ، بالتحريك : أردأ أنواع التمر .

(٢) هذا التفسير من ل فقط .

(٣) أنضر : صار ناضرا . ويقال دهديت الحجر ودهدهته ، أى دحرجته وقذفته من أعلى إلى أسفل . وهو تصوير لاندفاع السيل . فيما عدا ل : « ودهده » .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٢٢٦/٥ : ٣٦٠) .

(٥) ب والتيمورية : « هنالك » .

(٦) ل : « وولى العلاء » فقط . وفى الحيوان (٥ : ٤٦٢) : « وقال الكلابى » .

(٧) ل : « حسناً » صوابه من سائر النسخ .

(٨) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا جمع نادر ، ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . أى كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق . انظر الحيوان والميدانى (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

قال : ونظر رجلٌ من العُبّاد إلى بابِ بعض الملوك فقال : « بابٌ جَديد ، وموتٌ عَتيد(١) ، ونَزْع شديد ، وسفَر بعيد » .

وقيل لبعض العرب . أيّ شيء تَمَنَّى ، وأيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ فقال : لواءٌ منشور ، والجلوسُ على السَّرير ، والسَّلامُ عليك أيُّها الأمير » .

وقيل لآخر ، وصلَّى ركعتينِ فأطال فيهما ، وقد كان أُمِرَ بقتله : أجزِعت من الموت ؟ فقال : إن أجزَعْ فقد أرى كفناً منشوراً ، وسَيفاً مشهوراً ، وقبراً محفوراً .

ويقال إن هذا الكلام تكلم به حُجْر بن عديّ الكنديّ عند قتله(٢) .

وقال عبدُ الملك بن مروانَ لأعرابيّ : ما أطيَبُ الطعام ؟ فقال : « بكرةٌ سَنِمةٌ ، معتبَطة غير ضَمِنة ، فى قدورٍ رَذِمةٍ ، بشفار خَذِمةٍ ، فى غداة شَبِمةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطيَبْتَ(٣) .

معتبَطة : منحورة من غير داء ؛ يقال اعتُبِط الإبلُ والغنمُ ، إذا ذُبحت من غير داء . ولهذا قيل للدم الخالص عَبيط . والعَبيط : ما ذُبح من غير عِلّة : غير ضَمِنة : غير مريضة . رذمة : سائلة من امتلائها . بِشِفارٍ خذِمة : قاطعة . غداةٌ

---

(١) عتيد : معد حاضر .

(٢) هذه العبارة من ل فقط . وحجر بن عدى بن معاوية الكندى ، صحابى جليل ، وفد على الرسول الكريم ، وشهد القادسية والجمل وصفين ، وصحب عليا فكان من شيعته . قتل بأمر معاوية سنة ٥١ أو ٥٣ . الإصابة ١٦٢٤ . وكان يعرف بحجر الخير . وأما حجر الشر فهو حجر بن يزيد بن سلمة الكندى ، وفد على الرسول . وكان مع على يوم الجمل ، ثم اتصل بمعاوية فاستعمله على أرمينية . الإصابة ١٦٢٦ . ووقعة صفين ٢٧٤ .

(٣) يقال أطاب الشىء : وجده طيباً ؛ وأطاب : قدم طعاماً طيباً . وقد وردت هذه الكلمة « أطيبت » على أصلها بدون إعلال . على أن هذه المادة قد ورد فيها بعض ما ترك على أصله ، حكى سيبويه « استطيبه » لغة فى استطابه . وأنشد فى اللسان :

* فكأنّها تفاحة مطيوبة *

وسيعاد الخبر فى ص ١٧٨ من أرقام الأصل فى هذا الجزء .

شبمة : باردة[١] . والشَّبَم : البرد .

وقالوا : « لا تغترَّ بمناصحة الأمير، إذا غشَّك الوزير » .

[وقالوا : « من صادقَ الكُتَّابَ أغنَوْه ، ومَن عاداهم أفقروه » . وقالوا : « اجعلْ قولَ الكذّابِ ريحاً ، تكن مستريحاً[٢] »] .

وقيل لعبد الصَّمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : لِمَ تُؤْثِرُ السَّجع على المنثور ، وتلزمُ نفسَكَ القَوافِيَ[٣] وإقامةَ الوزن ؟ قال : إنّ كلامي لو كنتُ لا آملُ
١٧٢ فيه إلاَّ سماعَ الشّاهد لقلّ خلافي عليك ، ولكنّي أريد الغائبَ والحاضر، والراهن والغابر ؛ فالحفظُ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشَط ؛ وهو أحقُّ بالتقييد وبقلّة التّفلُّت[٤] . وما تكلَّمَتْ به العربُ من جيِّد المنثور ، أكثرُ مما تكلمت به من جيِّد الموزون ، فلم يُحفظ من المنثور عُشرُه ، ولا ضاع من الموزون عُشره .

قالوا : فقد قيل للذى قال : يا رسول الله ، أرأيتَ مَن لا شرِب ولا أكل ، ولا صاح واستهلّ ، أليس مثلُ ذلك يُطَلّ[٥] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسَجْعٌ كسجع الجاهليّة » .

قال عبد الصَّمد : لو أن هذا المتكلِّم لم يُرد إلاَّ الإقامة لهذا الوزن ، لما كان عليه بأسٌ ، ولكنّه عسى أن يكون أراد إبطالَ حقٍّ[٦] فتشادَقَ في الكلام .

وقال غيرُ عبد الصمد : وجدْنا الشِّعرَ : من القصيد والرجز ، قد سمعه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامّةُ أصحاب رسول الله صلى الله

(١) التفسير من مبدئه إلى هنا ساقط مما عدا ل.
(٢) هذه التكملة مما عدا ل .
(٣) ل : « القول » صوابه فى سائر النسخ .
(٤) ل : « التقلب » صوابه من سائر النسخ .
(٥) يطل ، أى يهدر دمه . فيما عدا ل : « بطل » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « إبطالا لحق » .

عليه وسلم قد قالوا شعراً، قليلاً كان ذلك أم كثيراً، واستمعوا واستنشدوا. فالسجع والمزدوج دونَ القصيد والرجز، فكيف يحلُّ ما هو أكثر ويحرُم ما هو أصغر[١].

وقال غيرهما: إذا لم يَطُلْ ذلك القول، ولم تكن القوافي مطلوبةً مجتلَبة، أو ملتمَسةً متكلَّفة، وكان ذلك كقول الأعرابيّ لعامل الماء: «حُلِّئَتْ ركابى[٢]، وخُرِّقت ثيابى[٣]، وضُربت صِحابى» — حُلِّئت ركابى، أى[٤] مُنِعت إبلى من الماء والكلأ. والركاب: ما ركب من الإبل — قال: «أوَ سجعٌ أيضاً؟». قال الأعرابى: فكيف أقول؟ لأنّه لو قال حُلِّئتْ[٥] إبلى أو جمالى أو نُوق أو بُعْرانى أو صِرْمَتى، لكان لم يعبِّر عن حقِّ معناه، وإنّما حُلِّئت[٥] ركابُه، فكيف يدعُ الرِّكاب إلى غير الركاب. وكذلك قوله: وخُرِّقت ثيابى[٦]، وضربت صِحابى. لأنَّ الكلامَ إذا قلَّ وقَعَ وُقوعًا لا يجوز تغييره، وإذا طال الكلامُ وجدْتَ فى القوافى ما يكون مجتَلَباً، ومطلوبا مستكرَها.

ويُدْخَل[٧] على مَن طعن فى قوله: ﴿تبّت يَدَا أبى لَهَبٍ﴾. وزعم أنّه شعر؛ لأنه فى تقدير مستفعلن مفاعلن، وطعن فى قوله فى الحديث عنه: «هل أنت إلاَّ أصبعٌ دميتِ؟ وفى سبيل اللهِ ما لقيتِ[٨]» — فيقال له: اعلمْ أنّك لو اعترضْتَ أحاديثَ النّاس وخطبَهم ورسائلَهم، لوجَدْتَ فيها مثلَ مستفعِلن مستفعلن[٩] ١٧٣

---

(١) فيما عدا ل: «أقل».

(٢) فيما عدا ل: «حلبت» تحريف.

(٣) ب، ح: «وحرقت» صوابه فى ل والتيمورية.

(٤) هذه الكلمات الثلاث فى ل والتيمورية فقط.

(٥) ب، ح: «حلبت» تحريف.

(٦) ب: «حرفت» ح: «خرفت» صوابهما فى ل والتيمورية.

(٧) فيما عدا ل: «وفى الحديث المأثور ويدخل»، وفيه إقحام.

(٨) انظر العمدة (١: ١٢٣) فى باب الرجز والقصيد.

(٩) بدلها فيما عدا ل: «مفاعلن».

كثيراً ، ومستفعلنْ مفاعِلُن[1] . وليس أحدٌ فى الأرض يجعلُ ذلكَ المقدارَ شعراً . ولو أنّ رجُلا من الباعة صاح : مَن يشترى باذنجان ؟ لقد كان تكلّمَ بكلامٍ فى وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصِدْ إلى الشِّعر ؟ ومثلُ هذا المقدار من الوزنِ قد يتهيّأ فى جميع الكلام . وإذا جاء المقدارُ الذى يُعلم أنّه من نِتاج الشِّعر والمعرفةِ بالأوزان والقصدِ إليها ، كان ذلك شعراً . وهذا قريبٌ والجواب فيه سهلٌ ، والحمدُ لله .

وسمعتُ غلاماً لصديق لى ، وكان قد سقى بطنُه[2] ، وهو يقول لغِلمان مولاه : اذهبُوا بى إلى الطَّبيب وقولوا قد اكتوَى » . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج[3] فاعلاتن مفاعلن ، فاعلاتن مفاعلن مرّتين . وقد علمتَ أن هذا الغلام لم يَخطِرْ على باله[4] قطُّ أن يقول بيتَ شعرٍ أبداً . ومثلُ هذا كثيرٌ ، ولو تتبعته فى كلام حاشيتك وغِلمانك لوجَدْتَه .

وكانَ الذى كرّه الأسجاعَ بعينها وإن كانت دون الشعر فى التكلُّف والصنعة ، أنّ كُهّان العرب الذين كان أكثرُ الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدّعون الكِهانةَ وأنّ مع كلِّ واحدٍ منهم رَئِيًّا من الجن[5] مثل حازِى جُهينة[6] ،

---

(١) هاتان الكلمتان فى ل فقط .

(٢) يقال سقى بطنُه ، بالبناء للفاعل ، وسقى بطنه ، بالبناء للمفعول ، أى اجتمع فيه ماء أصفر .

(٣) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٤) فيما عدا ل : « لم يخطر بباله » . وهما سيان .

(٥) الرئى ، بفتح الراء وكسرها مع كسر الهمزة وتشديد الياء : هو الذى يعتاد الإنسان من الجن يحبه ويؤالفه .

(٦) الحازى : الكاهن . وفى الحيوان (٦ : ٢٠٤) : « حارثة جهينة » و « جارية جهينة » . وفى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » . وفى ثمار القلوب ٨١ : « أخارية جهينة » .

ومثل شِـــقٍّ وسَطيح[١] ، وعُزَّى سَلِمة[٢] وأشباههم ، كانوا يتكهّنون ويحكُمون بالأسجاع ؛ كقوله : « والأرض والسّماء ، والعُقابِ الصَّقعاء[٣] ، واقعةً ببقعاء[٤] ، لقد نَفَّر المجدُ بنى العُشَراء[٥] ، للمجْد والسَّناء[٦] » .

وهذا الباب كثيرٌ . ألا ترى أن ضَمْرة بنَ ضمرة ، وهَرِم بن قُطْبة ، والأقرع ابنَ حابس ، ونُفَيلَ بن عبدِ العُزَّى كانوا يحكُمون وينفِّرُون بالأسجاع . وكذلك ربيعة بن حُذَار[٧] .

قالوا : فوقع النَّهىُ فى ذلك الدّهر لقُرْب عهدهم بالجاهليّة ، ولبقيّتِها فى صدورِ كثير منهم[٨] ، فلما زالت العلّة زال التحريم .

وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكونُ فى تلك الخُطب أسجاعٌ كثيرة ، فلا ينهَوْنَهم[٩] .

وكان الفضلُ بن عيسى الرَّقاشىُّ[١٠] سجّاعاً فى قصصه . وكان عمرو بن

---

(١) شق بن أنمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٢٧٨ — ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ . وسطيح هو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جوتنجن .

(٢) سيأتى فى (١ : ٢١١) من أرقام الأصل أن اسمه سلمة بن أبى حية . وانظر الحيوان (٦ : ٢٠٤) والميدانى فى : « إلاده فلاده » ورسائل الجاحظ ١٣٠ .

(٣) الصقعاء : التى فى وسط رأسها بياض .

(٤) البقعاء : هى من الأرض المعزاء ذات الحصى الصغار .

(٥) نفرهم : حكم لهم بالغلبة على غيرهم . وبنو العشراء ، من بنى مازن بن فزارة بن ذبيان . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٧٢ .

(٦) وقعت كل هذه الكلمات المهموزة فيما عدا ل مقصورة .

(٧) حذار ، بضم الحاء وكسرها . كان ربيعة حكم بنى أسد بن خزيمة ، وقاضيا من قضاة العرب فى الجاهلية . وفيه يقول الأعشى ، كما فى اللسان :

وإذا طلبت المجد أين محله ... فاعمد لبيت ربيعة بن حذار

(٨) فيما عدا ل : « فيهم وفى صدور كثير منهم » .

(٩) فيما عدا ل : « فلم ينهوا منهم أحداً » .

(١٠) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى الواعظ البصرى ، أحد القدرية المعتزلة . تهذيب التهذيب والحيوان (٧ : ٢٠٤) .

عُبيد[١] ، وهشام بن حسّان[٢] ، وأبان بن أبى عيّاش[٣] ، يأتون مجلسه . وقال له
داود بن أبى هند[٤] : لولا أنك تفسِّر القرآنَ برأيك لأتيناك فى مجلسك . قال : ١٧٤
فهل ترانى أحرّم حلالا[٥] ، أو أُحلُّ حراما ؟ وإنّما كان يتلو الآية التى فيها ذكر الجنّة والنار ، والموت والحشر ، وأشباهُ ذلك .

وقد كان عبد الصَّمد بن الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ، وعامّة قُصّاص البصرة ، وهم أخطبُ مِن الخطباء ، يجلس إليهم عامّة الفقهاء .

وقد كان النَّهى ظاهراً عن مرثيَة أميّة بن أبى الصَّلْت لقتلى أهل بدرٍ[٦] ، كقوله :

ماذا ببدرٍ فالعَقَنْـ ـقَلِ مِن مَرازِبةٍ جَحاجِحْ
هَلاَّ بكيتِ على الكرامِ بَنى الكرامِ أولِى المَمادحْ

وروى ناسٌ شيئاً بذلك فى هِجاء الأعشى لعلقمة بن عُلاثة . فلمّا زالت العِلّة زال النَّهى .

وقال واثلةَ بنُ خليفة ، فى عبد الملك بن المهلَّب[٧] :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٣ .

(٢) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدى القردوسى — بالقاف والدال المضمومتين — البصرى ، كان من كبار الحفاظ وأعلم الناس بحديث الحسن البصرى . توفى سنة١٤٦ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٤) وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٢) والقاموس (قردس) .

(٣) هو أبو إسماعيل أبان بن أبى عياش فيروز البصرى ، روى عن أنس وسعيد بن جبير . توفى سنة ١٣٨ . تهذيب التهذيب .

(٤) هو أبو بكر داود بن أبى هند — واسم أبى هند دينار — القشيرى البصرى . روى عن أنس وعكرمة والشعبى ، وعنه شعبة والثورى ، وكان ثقة كثير الحديث . توفى سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٣٨) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢١) .

(٥) ل : « فهل أنى أحرم حلالا » تحريف .

(٦) المرثية رواها ابن هشام فى السيرة ٥٣١ — ٥٣٢ ، وقال : « تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله » .

(٧) عبد الملك بن المهلب ، من نسل المهلب بن أبى صفرة الأزدى . وفى كتاب المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . وقد أورد أبو الفرج =

لقد صبرت للذُّلِّ أعوادُ مِنبرٍ … تقوم عليها ، فى يديك قضيبُ
بكى المِنبرُ الغربىُّ إذْ قمتَ فوقَه … وكادت مساميرُ الحديدِ تذوبُ
رأيتك لمّا شِبْتَ أدركك الذى … يُصيبُ سَرَاةَ الأَسْدِ حين تشيبُ[(١)]
سفاهةُ أحلامٍ وبخلٌ بنائلٍ … وفيك لمن عاب المَزُونَ عيوبُ[(٢)]

* * *

قال : وخطب الوليدُ بن عبد الملك فقال : « أنّ أمير المؤمنين كان يقول : إنّ الحجّاج جِلدةُ ما بين عينَىّ ، ألاَ وإنّه جِلدةُ وجهى كلِّه » .

وخطب الوليد أيضاً فذكر استعماله يزيد بن أبى مسلم بعد الحجّاج ، فقال : « كنتُ[(٣)] كمن سقط منه درهمٌ فأصابَ ديناراً » .

شبيب بن شَيبة قال : حدَّثنى خالدُ بن صفوانَ قال : خطبنا يزيدُ بن المهلّب بواسط فقال : « إنّى قد أسمع قَول الرَّعاع : قد جاء مَسلمة ، وقد جاء العبّاس[(٤)] ، وقد جاء أهل الشام ، وما أهلُ الشام الاّ تسعةُ أسيافٍ ، سبعةٌ منها معى ، واثنان منها علَىّ . وأما مَسْلَمَة فجَرَادَةٌ صفراء . وأما العبّاس فنسطوس ١٧٥

= لعبد الملك بن المهلب خبرا مع الأخطل ، فى الأغانى (٧ : ١٦٩) . والأبيات التالية سيعيد الجاحظ إنشادها فى (٢ : ٥٨ ، ١٣٢) من أرقام الأصل .

(١) الأسد : لغة فى الأزد ، وهم قبيل المهلب . فيما عدا ل : « الأزد » .

(٢) المزون ، بالفتح والضم : اسم لأرض عمان وأهلها من الأزد ، رهط المهلب بن أبى صفرة ؛ وذلك أن جدهم الأعلى مازن بن الأزد . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) .

(٣) فيما عدا ل : « وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتولية يزيد بن أبى مسلم فقال: إنما مثلى ومثل يزيد بن مسلم بعد الحجاج » .

(٤) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، القائد العربى الأموى ، قال ابن قتيبة فى المعارف ١٥٧ : « وأما مسلمة فكان يكنى أبا سعيد ، ويلقب الجرادة الصفراء ؛ لصفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعا وافتتح فتوحا كثيرة فى الروم ، منها طوانة . وولى العراق أشهراً ، وله عقب كثير » . وأما العباس فهو العباس بن الوليد بن عبد الملك ، كان يسمى فارس بنى مروان ، وكانت أمه نصرانية . انظر المعارف ١٥٧ .

ابن نسطوس (١)، أتاكم فى برابرةٍ وصقالبة، وجرامقة وجَراجمة (٢)، وأقباط وأنباط، وأخلاط [من النّاس (٣)]. إنما أقبل إليكم الفلاّحون الأوباش (٤) كأشلاء اللُّجُم (٥). والله مالَقُوا قوماً قطُّ كحدِّ كم وحديدكم، وعَدِّ كم وعديدكم. أعيرونى سواعدَكم ساعةً [من نهار (٦)] تصفِقُون بها خراطيمَهم (٧)، وإنما هى غَدوةٌ أو رَوحةٌ حتى يحكمَ اللهُ بيننا وبين القوم الفاسقين (٨)».

ثم دعا بفرسٍ، فأُتِيَ بأبلق (٩)، فقال: تخليطٌ وربِّ الكعبة! ثم ركِبَ فقاتل فكاثَرَهُ الناس (١٠) فانهزم عنه أصحابه، حتَّى بقى فى إخوته وأهله، فقُتِلَ وانهزم باقى أصحابه. وفى ذلك يقول الشاعر (١١):

كلُّ القبائل بايعوكَ على الذى ... تدعو إليه طائعين وسارُوا (١٢)
حتى إذا حَمِيَ الوغَى وجعلتَهم ... نَصْبَ الأسنَّة أسلمُوك وطاروا (١٣)
إنْ يقتلوكَ فإنَّ قتلكَ لم يكنْ ... عاراً عليك وبعضُ قتلٍ عارُ (١٤)

---

(١) إشارة إلى أن أمه كانت رومية نصرانية. وفى هامش ب والتيمورية: «أى طيب ابن طيب» وليس بشىء.

(٢) فى القاموس (جرجم) أنهم قوم من العجم بالجزيرة، أو نبط الشام.

(٣) هذه مما عدا ل.

(٤) فيما عدا ل: «والأوباش». وهم الأخلاط وسفلة الناس.

(٥) اللجم: جمع لجام. وأشلاء اللجام: حدائده بلا سيور. قال كثير:

رأتنى كأشلاء اللجام وبعلها ... من القوم أبزى منحن متطامن

ب، جـ: «اللحم» التيمورية: «اللخم» صوابهما فى ل.

(٦) هذه مما عدا ل.

(٧) الصفق: الضرب؛ صفقه بالسيف إذا ضربه. والخرطوم: الأنف، أو مقدمه.

(٨) ما بعد هذه الكلمة إلى نهاية الشعر التالى ساقط مما عدا ل.

(٩) البلق من الخيل مسبوقة متخلفة. الحيوان (١ : ١٠٤/٥ : ١٦٦).

(١٠) كثره الناس: تكاثروا عليه.

(١١) هو ثابت قطنة. والوقعة التى قيل فيها هى يوم العقر. انظر الأغانى (١٣: ٦٣) وشرح شواهد المغنى ٣٣ — ٣٤.

(١٢) فى الأغانى: «تابعوك على الذى * تدعو إليه وبايعوك».

(١٣) فى الأغانى: «حمس الوغى».

(١٤) فى شواهد المغنى وهمع الهوامع (٢ : ٢٥): «ورب قتل عار».

ومدح الشاعر بشّارٌ، عُمَرَ هزارِ مَرْد[1] العَتَكىّ، بالخطب وركوبِه المنابر، بل رثاه وأبّنه فقال[2]:

ما بال عينك دمعُها مسكوبُ حُرِبَت فأنت بنومها محروبُ[3]
وكذاك مَن صَحِبَ الحوادثَ لم يزَلْ تأتى عليه سلامةٌ ونكوبُ
يا أرضُ ويحَكِ أكرِميه فإنّه لم يَبْقَ للعَتَكىّ فيكِ ضَريبُ
أبهى على خَشَبِ المنابر قائماً يوماً وأحزمُ إذْ تُشَبُّ حروبُ

* * *

وقال: كان سَوّار بن عبد الله[4]، أوّلَ تميمىٍّ خطب على مِنبر البصرة. ثم خطب عُبيد الله بن الحسن[5].

ووَلِى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاةً أمراء: بلال بن أبى بُردة، وسَوّار، وعُبَيد الله، وأحمد بن أبى رباح[6]. فكان بلالٌ قاضياً ابنَ قاضٍ.

وقال رؤبة:

١٧٦ فأنت يا ابنَ القاضيينِ قاضى[7] مُعتزمٌ على الطَّريق ماضى[8]

(١) هو عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة الصفرى المهلبى، وكانت العجم تسميه «هزار مرد» أى ألف رجل؛ إذ كان مشهوراً بالشجاعة والإقدام. ولى إمارة السند فى أيام المنصور، ثم وجهه أميراً على افريقية فدخل القيروان سنة ١٥١ وقضى على بعض أصحاب الفتنة فيها، ولكنهم تجمعوا وتكاثروا عليه وعلى جنده، فقاتلهم زمانا ثم قتل. الطبرى (٩ : ١٧٩) والأغانى (١٨ : ٩، ١٠، ٢٠).

(٢) الأبيات سيعيد الجاحظ إنشادها فى (٢ : ٥٩) من أرقام الأصل.

(٣) حربت: سلبت، كأنها حربت النوم وسلبته. فيما عدا ل: «سهرت».

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١٠٠.

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٢٠.

(٦) ب، ج: «أحمد بن رباح» التيمورية «أحمد بن رباح».

(٧) ل: «بلال يا ابن» صواب إنشاده فى الديوان ٨٢ وسائر النسخ.

(٨) فيما عدا ل: «مقترم» صوابه فى ل والديوان.

قال أبو الحسَن المدائني : كان عُبيد الله بن الحسن حيثُ وفَدَ على المهدىّ معزِّيا ومهنّئاً[١] ، أعدّ له كلامًا ، فبلغه أنّ النّاسَ قد أعجبهم كلامُه ، فقال لشبيب بن شيبة : [إنّى] والله ما ألتفِت إلى هؤلاء ، ولكن سل لى أباعبيد الله الكاتبَ عنه . فسأله فقال : ما أحْسَنَ ما تكلّم به ! عَلَى أنه أخَذَ مواعظ الحسَن ، ورسائل غيلان[٢] ، فلقّح بينهما كلاما . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عُبيد الله : لا والله إن أخطأ حرفا واحداً .

وكان محمد بن سليمان[٣] له خطبــةٌ لا يغيّرها ، وكان يقول : « إنّ الله وملائكتُه » ، فكان يرفع الملائكة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : خرِّجوا لها وجهاً . ولم يكن يدعُ الرفع .

قال : وصلّى بنا خزيمة يوم النحر ، [فخطب] ، فلم يُسْمَع من كلامه إلاّ ذِكرُ أمير المؤمنين الرشيد ، ووَلىّ عهده محمّد .

قال وكان إسحاقُ بن شِمْرٍ[٤] يُدارُ به إذا فرَع المنبر[٥] . قال الشاعر :

---

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) هو غيلان الدمشقى أبو مروان . قالوا : أول من تكلم فى القدر معبد الجهنى ، ثم غيلان بعده . أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق . المعارف ٢١٢ . وذكر ابن حجر فى لسان الميزان (٤ : ٤٢٤) أن اسمه غيلان بن مسلم ، وأنه كان من بلغاء الكتاب، وأنه آمن بنبوة الحارث الكذاب ، فأفتى الأوزاعى بقتله . وقال ابن النديم فى الفهرست ١٧١ : « وقد استقصيت خبره في مقالة المتكلمين فى أخبار المرجئة ، ولرسائله مجموع نحو ألفى ورقة » . وانظر آراءه فى الفرق بين الفرق ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) هو محمد بن سليمان بن على العباسى ، ولاه المنصور البصرة ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاه المهدى ثم عزله ، ثم أعاده الهادى وأقره الرشيد ، وكان الرشيد فى أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم ، وتوفى سنة ١٧٣ فى اليوم الذى ماتت فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ .

(٤) فيما عدا ل : « زهير بن محمد الضبى » والشعر يقتضى ما أثبت من ل .

(٥) فرع المنبر يفرعه : علاه .

أميرَ المؤمنينَ إليك نشكو ... وإن كُنّا نقولُ بغيرِ عُذْرِ [1]
غفرتَ ذنوبَنا وعفوتَ عنّا ... وليست منك أن تعفو بنُكْرِ
فإنّ المنبرَ البصريَّ يشكو ... على العِلّاتِ إسحاقَ بنَ شِمْرِ
أضَجَّ على خشَباتِ مُلْكٍ ... كمُرْكِبِ ثعلبٍ ظهرَ الهِزَبْرِ

وقال بعضُ شعراءِ العسكر، يهجو رجلاً من أهل العسكر:

ما زلتَ تركبُ كلَّ شيءٍ قائمٍ ... حتى اجترأتَ على ركوبِ المِنبرِ
ما زالَ منبرُكَ الذي دنّستَه ... بالأمسِ منك كحائضٍ لم تَطهُرِ
فلأَنظُرَنَّ إلى المنابرِ كُلِّها ... وإلى الأَسِرّةِ باحتقارِ المنظَرِ [2]

١٧٧ وقال آخر:

فما منبرٌ دنّسته يا ابنَ أفكلٍ ... بِزاكٍ ولو طهّرته بابنِ طاهرِ [3]

---

(١) فيا عدا ل: « وإن كنا قوم ». و « إن » هنا هي الثانية.

(٢) هذا البيت في ل فقط. والأسرة: جمع سرير.

(٣) أفكل: علم من أعلامهم، ومنه الأفكل، اسم الأفوه الأودي. فيا عدا ل: « باست أفكل ». والزاكي: الطاهر.

باب أسجاع

عبد الله بن المبارك ، عن بعض أشياخه ، عن الشَّعبي قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : « البرُّ ثلاثة : المنطق ، والنَّظر[(١)] ، والصَّمت . فمن كان منطقُه في غير ذكرٍ فقد لغا ، ومَن كان نظره في غير اعتبارٍ فقد سها ، ومن كان صَمْتُه في غير فكرٍ فقد لَها » .

وقال عليُّ بن أبي طالب : « أفضل العبادة الصمتُ ، وانتظارُ الفرج » .

وقال يزيد بن المهلَّب ، وهو في الحبْس : « والهفاه على طَلِبةٍ[(٢)] بمائة ألف ، وفَرَجٍ في جَبْهة أسد[(٣)] » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا تستغزروا الدُّموعَ إلاَّ بالتذكر[(٤)] » .

وقال الشاعر :

* ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكُّرِ[(٥)] *

حفص بن ميمون[(٦)] قال ، سمعت عيسى بن عمر[(٧)] يقول : سمعنا الحسن يقول : « اقدَعُوا هذه النفوس فإنها طُلَعةٌ ، واعصُوها ؛ فإنّكم إن أطعتموها

---

(١) فيما عدا ل : « والمنظر » تحريف .

(٢) الطلبة ، بكسر اللام : ما طلبته من شيء . ل : « طلية » صوابه في سائر النسخ وعيون الأخبار (١ : ٨٢) .

(٣) في عيون الأخبار : « وفرح » تحريف . وفيما عدا ل : « جبهة الأسد » .

(٤) فيما عدا ل : « استغزروا الدموع بالتذكر » .

(٥) سيأتي البيت بتمامه في الصفحة التالية .

(٦) فيما عدا ل : « حفص » فقط .

(٧) هو أبو عمر عيسى بن عمر البصري الثقفي النحوي ، أحد من روى عن الحسن البصري ، وكان أحد القراء ، إلا أن الغريب والشعر أغلب عليه . وهو شيخ سيبويه ، ويزعمون أن سيبويه أخذ كتابه « الجامع » وبسطه ، وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، وذكر سيبويه أنه صنف نيفا وسبعين مصنفاً في النحو . وكان صاحب تقعير في كلامه . توفي سنة ١٤٩ . ابن خلكان ، وياقوت ، وبغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب .

تنزِعْ بكم إلى شرٍّ غاية . وحادِثُوها بالذِّكر ، فإنّها سريعة الدُّثور » .

اقدعوا : انهوا[١] . طُلَعَةٌ : أى تَطَلَّع إلى كلّ شىء . [حادثُوا ، أى اجلُوا واشحَذُوا . و] الدُّثور : الدُّروس . يقال : دثَرَ أثرُ فلانٍ ، إذا ذهب ، كما يقال دَرَس وعفا .

قال : فحدَّثت بهذا الحديث أبا عمرو بنَ العلاء ، فتعجَّب من كلامه .

وقال الشاعر :

سمِعنَ بِهَيْجَا أوجَفَتْ فذكرْنَه ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكُّرِ

الوجيف : سير شديد ؛ يقال وجَف الفرسُ والبعير وأوجفته . ومثله الإيضاع وهو الإسراع . أراد : بهيجا أقبلَتْ مسرعة .

ومن الأسجاع قول أيُّوب بن القِرِّيَّة[٢] ، و [قد] كان دُعِىَ للكلام واحتبس القولُ عليه ؛ فقال : « قد طال السَّهَر[٣] ، وسقَط القمر ، واشتد المطر ، فماذا يُنتَظَر » . فأجابه فتًى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرَق ، وسقط الشَّفَق وكثُر اللَّثَقُ ، فلينطِق من نَطَق » .

اللَّثَق : النَّدَى والوحل .

وقال أعرابىٌّ[٤] لرجلٍ : « نحنُ واللهِ آكلُ منكم للمأدوم ، وأكسب منكم ١٨٧ للمعدوم ، وأعطى منكم للمحروم » .

ووصف أعرابىٌّ رجلا فقال : « إنّ رِفدَكَ لنجيح[٥] ، وإنَّ خَيرك لسَريح ، وإنّ مَنعك لَمُرِيح » .

---

(١) بدلها فيما عدا ل : « كفوا » .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣٠ .

(٣) فيما عدا ل : « السهر » وما أثبت من ل يوافق ما سيأتي : « قد طال الأرق » .

(٤) بهذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من القسم الأول من نسخة كوبريلى المرموز إليها بالرمز « ل » .

(٥) الرفد : العطاء . والنجيح : السريع الوشيك .

مَرِحٌ : عَجِلٌ . ومِرِح : أى مُرِيح من كدِّ الطلب .

وقال عبد الملك لأعرابى : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بَكْرَةٌ سَنِمة ، فى قُدور رَذِمةٍ ، بشفارٍ خذِمةٍ ، فى غداةٍ شَبِمةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطيبت[1] .

وسئل أعرابىٌّ[2] فقيل له : ما أشدُّ البَرد ؟ فقال : « ريحٌ جِرْبِياء[3] ، فى ظِلِّ عماء[4] ، فى غِبِّ سماء[5] » .

ودعا أعرابىٌّ فقال : « اللهم إنِّى أسألك البقاء والنَّماء ، وطيبَ الإتاء ، وحَطَّ الأعداء ، ورفعَ الأولياء » . الإتاء : الرِّزق .

قال : وقال إبراهيم النَّخَعى[6] لمنصور بن المعتمر[7] : « سَلْ مسألةَ الحَمْقى ، واحفظ حفظ الكَيْسَى[8] » .

ووصفت عَمّة حاجزٍ الأَلصِّ[9] حاجزاً ، ففضّلته وقالت : « كان حاجزٌ

---

(١) فيما عدا ل : « أطبت » . وقد سبق الخبر فى ص ٢٨٦ .

(٢) فى اللسان (جرب ٢٥٠) أن المسئول هو ابنة الخس . وفى (عمى ٣٣٤) : « والعرب تقول » .

(٣) الجربياء : ريح تهب بين الجنوب والصبا ، وقيل هى الشمال الباردة .

(٤) فى اللسان (١٩ : ٣٣٤) : « تحت ظل عماء » . والعماء : جمع عماءة ، وهى السحابة الكثيفة المطبقة .

(٥) فى غب سماء ، أى بعد أن تنقطع يوماً . والسماء : المطر .

(٦) هو إبراهيم بن يزيد النخعى المترجم فى ص ١٩٢ .

(٧) هو أبو غياث منصور بن المعتمر بن عبدالله بن ربيعة السلمى الكوفى ، روى عن إبراهيم النخعى ، والحسن البصرى ، ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الأعمش ، والثورى ، وشعبة وغيرهم ، وكان أثبت أهل الكوفة فى الحديث . توفى سنه ١٣٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٢) .

(٨) الكيسى : جمع كيس ، ويجمع الكيس أيضاً على أكياس . وإنما جمع على كيسى إجراء له مجرى ضده ، وهو أحمق وحمقى .

(٩) هو حاجز بن عوف بن الحارث ، من بنى سلامان بن مفرج . شاعر جاهلى مقل ، وهو أحد صعاليك العرب المغيرين ، ممن كانوا يسبقون الخيل عدوا على أرجلهم . انظر أخباره فى الأغانى (١٢ : ٤٧ — ٥٠) .

لا يشبَع ليلةَ يُضَاف ، ولا ينام ليلة يخاف » .

ووصف بعضهم فرساً فقال : « أقبلَ بزُبْرة الأسد ، وأدبرَ بعجُز الذّئب » .
الزُّبْرَة : مغرِز العُنق ، ويقال للشَّعر الذى بين كتفيه . وصفَه بأنّه محْطوط الكَفَل[1] .

قال : ولمَّا اجتمَع النّاسُ ، وقامت الخطباء لبيعة يزيدَ ، وأظهر قومٌ الكراهةَ قام رجلٌ مِن عذرةَ[2] يقال له يَزيد بن المقنَّع ، فاخترَطَ من سيفه شِبراً ثم قال : أميرُ المؤمنين هذا — وأشار بيده إلى معاوية — فإن مات فهذا — وأشار بيده إلى يزيد — فمن أبَى فهذا — وأشار بيده إلى سيفه . فقال له معاوية : أنت سيِّد الخطباء .

قالوا : ولمّا قامت خطباء نِزارٍ عند معاويةَ فذهبَتْ فى الخُطَب كلَّ مذهب ، قام صَبِرَةُ بن شَيْمانَ[3] ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنّا حيٌّ فَعالٍ ، ولسنا حيَّ مقالٍ ؛ ونحن نبلُغ بفَعالنا أكثَرَ من مَقالِ غيرنا[4] » .

قال : ولمّا وفَدَ الأحنفُ فى وجوه أهـل البصرة إلى عبد الله بن الزُّبير ، تكلّمَ أبو حاضرٍ الأُسَيْدِىّ[5] وكان خطيباً جميلا ، فقال له عبد الله بنُ الزُّبير : اسكُتْ ، * فوالله لوَدِدتُ أنّ لى بكلِّ عشرةٍ من أهـل العراق رجلاً من أهل ١٧٩
الشام ، صَرْفَ الدِّينار بالدرهم . قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لنا ولك مثلاً ، أفتأذَنُ فى ذِكره ؟ قال : نعم . قال : مَثلنا ومَثَلك ومثلُ أهلِ الشام ، كقول الأعشى حيثُ يقول :

---

(١) الكفل : العجز . كفل محطوط : ممدود لا مأكمة له .

(٢) من عذرة ، فى ل فقط .

(٣) هو صبرة بن شيمان بن عكيف بن كيوم الأزدى ، كان رئيس الأزد يوم الجمل ، وكذا فى حرب صفين . انظر الاشتقاق ٢٩٩ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ١٣١ .

(٤) انظر الخبر برواية أخرى فى الكامل ٥٧ ليبسك .

(٥) الأسيدى ، بضم الهمزة وفتح السين وسكون الياء : نسبة إلى أسيد بن عمرو . وأسيد ، بتشديد الياء تصغير أسود . قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٢٧ : « ومن رجالهم أبو حاضر ، واسمه صبرة بن جرير » . وفى النقائض ٧٤٩ أن اسمه « صبرة بن شريس » .

عُلِّقْتُها عرضاً وعُلِّقَتْ رَجُــلاً ... غيرى وعُلِّق أخرى غَيْرَها الرّجلُ

أحبّكَ أهلُ العراق ، وأحبّتَ أهل الشام ، وأحبَّ أهلُ الشام عبدَ الملك ابنَ مروان .

علىّ بن مجاهد[١] ، عن حُميد بن أبى البَخْترىّ[٢] قال : ذَكَرَ معاويةُ لابن الزُّبير بيعةَ يزيد ، فقال ابنُ الزبير : « إنِّى أُناديك ولا أُناجيك ، إنّ أخاكَ مَن صَدَقَك ، فانظرْ قبل أن تَقدِم ، وتفكّرْ قبل أن تندم ؛ فإنّ النّظرَ قبل التقدُّم ، والتفكرَ قبلَ التندُّم » . فضحك معاويةُ ثم قال : تعلّمتَ أبا بكرٍ السّجاعة[٣] عند الكِبَر ، انّ فى دونِ ما سجَعت به على أخيك ما يَكفيك . ثمّ أخَذَ بيده فأجلَسَهُ على السَّرير .

أخبرنا ثُمامة بن أشرس ، قال : لمّا صرفت اليَمانِية من أهل مِزّة[٤] ، الماء عن أهل دِمَشق ، ووجّهوه إلى الصحارى ، كتب إليهم أبو الهَيذام : « إلى بنى استِها أهلِ مِزّة ، لَيُمَسِّيَنى الماء أو لتُصبِّحنّكم الخيل » قال : فوافاهم الماء قبل أن يُعْتِمُوا[٥] . فقال أبو الهَيذام : « الصِّدق يُنْبِى عنك لا الوعيد » .

وحدَّثنى ثُمامة عن من قَدِم عليه من أهل دمشق[٦] قال : لما بايع الناسُ يزيدَ بنَ الوليد ، وأتاه الخبرُ عن مروانَ بنِ محمّد ببعض التلكُّؤ والتحبُّس . كتب إليه :

---

(١) أبو مجاهد على بن مجاهد بن مسلم بن رفيع الكابلى الرازى العبدى ، القاضى ، روى عن ابن إسحاق والثورى وجماعة ، وروى عنه جرير بن عبد الحميد ، وأحمد بن حنبل وغيرهما . وفى تهذيب التهذيب : « كأنّه مات سنة بضع وثمانين ، أى ومائة » .

(٢) فيما عدا ل : « البحترى » تحريف . انظر عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

(٣) هذا المصدر من السجع لم أجده فى المعاجم المتداولة ، وكأنّه نظير الكهانة والعرافة .

(٤) المزة ، بالكسر : قرية بينها وبين دمشق نصف فرسخ .

(٥) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « أى يصيرون فى وقت عتمة الليل . وعتمته : ظلامه . يقال عتم الليل يعتم ، إذا أظلم . وأعتم الناس : صاروا فى وقت العتمة » .

(٦) فيما عدا ل : « الشام » .

« بسم الله الرحمن الرحيم . مِن عبد الله أميرِ المؤمنين يزيدَ بنِ الوليد ، إلى مروانَ بن محمّد . أمّا بعد فإني أراكَ تقدِّم رجْلاً وتؤخِّر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمِدْ على أيِّهما[1] شئت . والسلام » .

وها هنا مذاهبُ تدلُّ على أصالة الرأى ، وعلى تمام النَّفْس[2] ، وعلى الصَّلاح والكمال ، لا أرى كثيراً من النّاس يقِفُون عليها .

واستعمل عبدُ الملك [بن مرْوان] نافعَ بنَ علقمة بن صفوان بن مُحرِّث خال مروان ، على مكّة ، فخَطب ذاتَ يومٍ وأبانُ بن عثمانَ بحذاء المِنبر ، فشتم طلحةَ والزُّبير ، فلمّا نَزَل قال لأبان : أرْضَيْتُك من المُدْهِنَين فى أمير المؤمنين[3] ؟ ١٨٠ قال : لا والله ولكنْ سُؤتَنى ، حَسْبى أن يكونا شرِكا فى أمرِه .

فما أدرى أيُّهما أحسنُ كلاماً : أبان بن عثمانَ هذا ، أم إسحاق بن عيسى ؛ فإنّه قال : أعِيذ عليّا بالله أن يكون قَتل عثمان ، وأعيذُ عثمان بالله أن يقتلَه علىٌّ » . فمدح عليًّا بكلام شديدٍ غير نافر ، ومقبولٍ غير وحشىّ ؛ وذَهب إلى معنى الحديث فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشدُّ أهلِ النّار عذاباً مَن قَتلَ نبيًّا أو قتلَه نبىّ » . يقول : لا يتّفق أن يقتلَه نبىٌّ بنفسه إلاّ وهو أشدُّ خلق الله معاندة وأجرؤُهم على معصية . وقال هذا : لا يجوز أنْ يقتله علىٌّ إلاّ وهو مستحقٌّ للقتل .

خطبة من خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : خطَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات : حَمِد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

أيُّها الناس ، إنّ لكم معالِمَ فانتهوا إلى معالمكم ، وإنّ لكم نهايةً فانتهوا

(١) إذا أضيفت « أى » لضمير المؤنث جاز تأنيثها وتذكيرها .

(٢) فيا عدا ل : « ومذاهب تدل على تمام النفس » .

(٣) عنى بالمدهنين طلحة والزبير . كانا يعلنان المطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان . والإدهان : المصانعة والغش والنفاق .

إلى نهايتكم . إنّ المؤمنَ بين مخافتين : بين عاجلٍ قد مَضَى لا يدرى ما اللهُ صانعٌ به ، و بين أجلٍ قد بَقِيَ لا يدرى ما اللهُ قاضٍ فيه . فليأخُذ العبدُ مِن نفسه لنفسه ، ومن دُنياه لآخرته ، ومن الشّبيبة قبل الكِبَر[١] ، ومن الحياة قبل الموت[٢] ، فوالذى نَفسُ محمّدٍ بيده ، ما بَعْدَ الموتِ من مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بعد الدُّنيا من دارٍ إلّا الجنّة أو النار » .

***

أبو الحسن المَدائنيّ قال : تكلّم عمّارُ بن ياسرٍ يوما فأوجَزَ ، فقيل له لو زِدْتَنا . فقال : أمَرَنا رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم بإطالة الصّلاة وقَصْر الخُطَب .

محمد بن إسحاق[٣] ، عن يعقوبَ بن عُتبة[٤] ، عن شيخٍ من الأنصار من بنى زُرَيق[٥] ، أنّ عمر بن الخطاب رحمه الله لما أُتِى بسَيف النُّعمانِ بن المنذر ، دعا جُبير بن مُطعِم فسلّحه إياه ، ثم قال : يا جُبير ، ممّن كان النعمان ؟ قال : من أشلاء قَنَصِ بن مَعدّ[٦] . وكان جُبيرٌ أنسبَ العرب ، وكان أخَذَ النّسبَ عن أبى بكر الصّدّيق رحمه الله . وعن جُبَير أخذ سعيد بن المسيِّب[٧] .

---

(١) الكبرة ، بالفتح : الكبر . ل فقط « الكبر » .
(٢) ل : « قبل الممات » .
(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المدنى المطلبى ، صاحب السيرة والمغازى ، وأحد الرواة عن يعقوب بن عتبة . توفى سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٦٤) وابن النديم ١٣٦ .
(٤) يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى المدنى ، روى عن عمر بن عبد العزيز ، وأبان بن عثمان ، وعروة بن الزبير وغيرهم . وروى عنه محمد بن إسحاق ، وكان له علم بالسيرة . توفى سنة ١٢٨ . تهذيب التهذيب .
(٥) بنو زريق : بطن من الخزرج ، منهم أبو جبيلة الملك الغسانى . الاشتقاق ٢٧٢ .
(٦) جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى . صحابى جليل عارف بالنسب . توفى سنة ٥٧ . الإصابة ١٠٨٧ .
(٦) أورد الخبر فى اللسان (شلا) ، وقال : « أراد أنه من بقايا أولاده » .
(٧) سبقت ترجمته فى ٢٠٢ . وفى القاموس (سيب) : « وكمحدث : والد سعيد ، ويفتح » .

١٨١ وروى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة (١) قال : قلت لسعيد بن المسيب : علِّمْنى النَّسب . قال : أنت تريد أن تُسابَّ الناس .

قال : وثلاثةٌ فى نَسَقٍ [واحدٍ] كانوا أصحابَ نسب : عمر بن الخطاب رحمه الله ، أخذ ذلك عن الخطّاب ، وكان كثيراً مايقول : سمعتُ ذلك من الخطّاب ، ولم أسمَعْ ذلك من الخطّاب . والخطابُ ابنُ نُفَيل ، ونُفَيلٌ ابنُ عبد العُزّى ، تنافَرَ إليه عبدُ المطلب وحَرب بن أُميّة ، فنَفَّر عبدَ المطلب ، أى حكم له . والمنافرة : المحاكمة .

قال : والنُّسّاب أربعة : دَغْفَل بن حنظلةَ (٢) ، وعُمَيرةُ أبو ضَمْضَم (٣) ، وصُبْح الحَنَفِى (٤) ، وابن الكَيِّس النَّمَرى (٥) .

قال الأصمعىّ : دَغفل بن حنظلة ، والنَّسّابة البكرى (٦) ، وكان نصرانيًّا . ولم يُسَمِّه .

ذكر كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك

قال : « اتَّخِذُوا كتابَ الله إماماً ، وارضَوْا به حَكَماً ، واجعلوه قائداً ؛ فإنه ناسخٌ لما قبله ، ولم ينسخه كتابٌ بعده » .

---

(١) فيما عدا ل : « عن بعض ولد طلحة » . وهو إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبدالله التيمى . روى عن عميه إسحاق وموسى ابنى طلحة ، والزهرى ، ومجاهد ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وغيرهما . توفى سنة ١٦٤ . تهذيب التهذيب .

(٢) هو دغفل بن حنظلة بن زيد الشيبانى الذهلى النسابة ، أدرك الرسول ولم يسمع منه . غرق فى يوم دولاب فى قتال الخوارج سنة سبعين . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ والميدانى (٢ : ٢٧٣) ، والمعارف ٢٣٢ .

(٣) فيما عدا ل : « عميرة أبو ضمضام » ، وفى المعارف ٢٣٣ : « عمير بن ضمضم » .

(٤) فى الحيوان (٣ : ٢١٠) : « صبح الطائى » . وفى المعارف ٢٣٣ وابن النديم ١٣٣ : « صالح الحنفى » .

(٥) هو زيد بن الكيس النمرى ، كما فى الحيوان (٣ : ٢١٠) .

(٦) ذكره ابن النديم ١٣١ وابن قتيبة فى المعارف ٢٣٣ . وذكرا أن رؤبة العجاج روى عنه أنه قال : « إن للعلم آفة وهجنة ونكدا » . انظر أيضاً ما سبق فى ٢٧٣ س ١٢ .

قال : وكان أوّلَ كلامٍ بارع سمعوه منه : « الكلامُ فيما يَعنيك خيرٌ من السكوت عما يضرُّك ، والسكوتُ عمّا لا يَعنيك خيرٌ من الكلام فيما يضرُّك » .

خَلّادُ بن يزيدَ الأرقط[1] قال : سمعتُ من يُخبرنا عن الشّعبي قال : ماسمعتُ متكلّماً على منبرٍ قطُّ تكلّمَ فأحسنَ إلاّ تمنّيت أن يسكُتَ خوفاً من أن يُسيء ، إلاّ زياداً ؛ فإنّه كان كُلّما أكثرَ كان أجودَ كلاماً .

وكان نَوفل بن مُساحِق[2] ، إذا دخل على امرأته صَمَت ، وإذا خرج من عندها تكلّم ، فرأتْهُ يوماً كذلك فقالت : أمّا عِندى فتُطرِق ، وأمّا عِند الناس فتَنطِق . قال : لأنى أدِقُّ عن جليلكِ ، وتَجلّين عن دَقيق .

قال أبو الحسن : قاد عَيّاشُ بنُ الزِّبرقان بن بدر ، إلى عبد الملك بن مروان خمسةً وعشرين فرساً ، فلمّا جلسَ لينظرُ إليها نسبَ كُلَّ فرسٍ منها إلى جميع آبائه وأمّهاته ، وحلف على كلِّ فرسٍ بيمينٍ غيرِ اليمين التى حلف بها على الفرس الآخَر ، فقال عبدُ الملك بن مروان : عَجَبى من اختلاف أيمانه أشدُّ مِن عجبى من معرفته بأنساب الخيل .

١٨٢ قال : وكان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء : القَمر ، والزِّبرقان ، والحُصين . وكانت له ثلاثُ كُنًى : أبو شَذْرة ، وأبو عَيّاش ، وأبو العبّاس . وكان عيّاشٌ ابنُه خطيباً مارداً شديد العارضة شديد الشكيمة وجيهاً ؛ وله يقول جرير :

أعَيّاشُ قد ذاقَ القُيُونُ مراقى   وأوقدت نارى فادْنُ دونَكَ فاصْطَلِ

فقال عيّاش : إنى إذًا لَمقْرُور . قالوا : فغلَب عليه .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٥٨ .

(٢) هو أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الأكبر بن مخرمة بن عبد العزى القرشى العامرى المدنى ، القاضى ، ولى قضاء المدينة . توفى سنة ٧٤ . تهذيب التهذيب والإصابة ٨١١٠ والمعارف ١٢٩ فى ترجمة معقل بن سنان .

باب

ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأبيناء وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان التَّدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعَلَ لكلِّ قبيلة منهم خطباء ، ونقسِّمَ أمورَهم باباً باباً على حِدَته ، ونقدِّمَ مَنْ قدمه الله ورسوله عليه السلام فى النَّسب ، وفضَّله فى الحسب . ولكنِّى لمَّا عجزت عن نظمه وتنضيده ، تكلَّفتُ ذِكرهم فى الجملة . والله المستعانُ ، و به التوفيق ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

كان الفضلُ بن عيسى الرَّقَاشىُّ مِن أخطب الناس ، وكان متكلِّما قاصًّا مُجيدا ، وكان يجلس إليه عَمرو بن عُبيد ، وهِشام بن حسّان[1] ، وأبان بن أبى عَيّاش[2] ، وكثيرٌ من الفقهاء . وهو رئيس الفَضْلِيّة[3] ، وإليه يُنسبون . وخطب إليه ابنَته سوادةَ بنتَ الفضْل ، سليمانُ بنُ طَرْخان التيمىُّ[4] ، فزوَّجه

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٩١ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٩١ .

(٣) الفضلية : طائفة من المعتزلة ، منسوبة إلى الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى البصرى . وهذه الطائفة غير طائفة الفضلية فى الخوارج ، المنتسبة إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ .

(٤) فى القاموس : « وطرخان ، بالفتح ، ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم للرئيس الشريف ، خراسانية » . وسليمان ، هو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمى البصرى ، ولم يكن من بنى تيم ، وإنما نزل فيهم . وهو أحد حفاظ البصرة الثلاثة ، وهم سليمان ، وعاصم الأحول ، وداود بن أبى هند . وكان من العباد النساك لا يزال هو وابنه المعتمر يدوران بالليل فى المساجد . توفى بالبصرة سنة ١٤٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٤٢) وصفة الصفوة (٣ : ٢١٨) وتهذيب التهذيب . وقد ورد اسمه فى المعارف ٢٠٩ : « سليمان ابن طهمان » تحريف .

فولدت له المعتمرَ بن سُليمان[١] . وكان سليمانُ مباينًا للفَضْل فى المقالة ، فلما ماتت سَوادةُ شهِد الجنازةَ المعتمر وأبوه ، فقدَّما الفضل .

وكان الفَضْلُ لا يركب إلَّا الحمير ، فقال له عيسى بنُ حاضر[٢] : إنّك لتُؤْثِر الحميرَ على جميع المركوب ، فلِمَ ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قلت : مثل أىِّ شىء ؟ قال : لا تَستبدِلُ بالمكان على قدر اختلاف الزمان ، ثم هى أقلُّها داءً وأيسرُها دواء ، وأسلَمُ صريعًا ، وأكثر تصريفًا ، وأسهل مرتقًى وأخفضُ مهوًى ، وأقلُّ جِماحًا ، وأشهر فارهًا ، وأقلُّ نظيرًا ، يزهى راكبُه وقد تواضَعَ بركوبه ، ويكون مقتصدا وقد أسرفَ فى ثمنه . ١٨٣

قال : ونظر يوما إلى حمارٍ فارهٍ تحت سَلْم بن قتيبة ، فقال[٣] : « قِعدةُ نبىٍّ وبِذْلة جَبّار » .

وقال عيسى بن حاضر : ذهب إلى حمار عُزير ، وإلى حمار المسيح[٤] ، و [إلى] حمار بلعم . وكان يقول : لو أراد أبو سَيّارة عُميلة بن أعْزَلَ[٥] ، أن

---

(١) هو أبو محمد المعتمر بن سليمان بن طرخان ، روى عن أبيه ، وداود بن أبى هند ، وعنه الثورى وابن المبارك وغيرهم . ولد سنة ١٠٠ وتوفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٥ — ٢٤٦) .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ . وقد ورد الخبر فى عيون الأخبار (١ : ١٦٠) مصدراً بقوله : « قال رجل للفضل الرقاشى » .

(٣) فى الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشى إلى سلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال ... » .

(٤) هو المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه . وفى الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « وأما الحمار فركب عيسى بن مريم ، وعزير وبلعم » . فيما عدا ل : « مسيح الدجال » تحريف كما رأيت .

(٥) فى ثمار القلوب ٢٩٥ : « وأبو سيارة : رجل من عدوان ، واسمه عميلة بن خالد بن أعزل . وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة » . وقال ابن دريد فى الاشتقاق ١٦٤ : « وعميلة تصغير عملة ، والعملة واليعملة الناقة الصابرة » وفى السيرة ٧٨ جوتنجن : « الإفاضة من مزدلفة كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد إسحاق ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام عميلة بن الأعزل » .

يدفَع بالموسم على فرسٍ عربىّ ، أو جَمل مَهْرِىّ لفعل ، ولكنّه ركِب عَيراً أربعين عاماً ؛ لأنّه كان يتألّه[١] . وقد ضُرِب به المَثلُ فقالوا : « أصحُّ من عَير أبى سيّارة » .

والفضلُ هو الذى يقول فى قصصه : « سَلِ الأرض فقل : مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرس أشجارَكِ ، وجَنَى ثمارَكِ . فإنْ لم تُجِبْكِ حِواراً ، أجابتك اعتباراً[٢] » .

وكان عبدُ الصمد بنُ الفَضْل أغزرَ من أبيه ، وأعجَبَ وأبْيَنَ وأخطب .

قال : وحدّثنى أبو جعفرٍ الصُّوفىُّ القاصُّ قال : تكلَّم عبدُ الصمد فى خَلْق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثةَ مجالسَ تامّة .

قال : وكان يزيدُ بن أبان ، عمُّ الفضل بن عيسى بن أبان الرَّقاشى ، من أصحاب أنَسٍ[٣] والحسن ، وكان يتكلَّم فى مجلس الحسَن ، وكان زاهداً عابداً ، وعالما فاضلا ، وكان خطيباً ، وكان قاصًّا مُجيدًا .

قال أبو عبيدة : كان أبوهم خطيباً ، وكذلك جدُّهم ، وكانوا خطباء الأكاسرة فلما سُبُوا ووُلِد لهم الأولادُ فى بلاد الإسلام وفى جزيرة العرب ، نَزَعهم ذلك العِرْق ، فقاموا فى أهل هذه اللغة كقيامهم فى أهل تلك اللُّغة . وفيهم شِعر وخُطَب . وما زالوا كذلك حتَّى أصهرَ إليهمُ الغُرَباء ففَسد ذلكَ العِرقُ ودخله الخَوَر .

ومن خطباء إيادٍ قسُّ بن ساعدة ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيته بسوق عكاظٍ على جمل أحمر وهو يقول : أيُّها الناس اجتمِعُوا

(١) التأله : التنسك والتعبد .

(٢) سبق هذا القول فى ص ٨١ .

(٣) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصارى المدنى ، خادم رسول الله ، شهد معه الحديبية والفتح وحنينا والطائف ، وهو آخر من بقى بالبصرة من الصحابة . توفى سنة ٩٥ . الإصابة ٢٧٥ وتهذيب التهذيب .

واسمَعوا[١] وعُوا . مَن عاش مات ، ومَن مات فاتَ ، وكلُّ ما هو آتٍ آت » .

وهو القائل فى هذه : « آياتٌ محكمات ، مطرٌ ونبات ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت[٢] ، ضوءٌ وظلام ، وبِرٌّ وأثام[٣] ، لباسٌ ومَركَب ، ومطعَمٌ ومشرب ،
١٨٤ ونجومٌ تمور[٤] ، وبحورٌ لا تغور ، وسقفٌ مرفوع ، ومِهادٌ موضوع ، وليلٌ داجٍ ، وسماء ذات أبراج . مالى أرى النّاسَ يموتون ولا يرجعون ، أرَضُوا فأقاموا ، أم حُبِسُوا فناموا » .

وهو القائل : « يا معشرَ إياد ، أينَ ثمودُ وعاد ، وأين الآباء والأجداد . أين المعروفُ الذى لم يُشكَر ، والظُّلم الذى لم ينكر . أقسمَ قُسٌّ قسماً بالله ، إنّ لله لَدِيناً هو أرضى من دينكم هذا » .

وأنشدوا له :

فى الذّاهبين الأوّلِيـ ... ـنَ من القرونِ لنا بصائرْ
لمّـــا رأيتُ مواردًا ... للموت ليس لها مَصادرْ
ورأيتُ قومى نحــوَها ... يَمضى الأصاغرُ والأكابرْ[٥]
لا يرجع المـاضى ولا ... يَبقَى من الباقين غابرْ
أيقنتُ أنّى لا محا ... لةَ حيثُ صارَ القومُ صائرْ

***

ومن الخطباء زيدُ بن علىّ بن الحسين . وكان خالدُ بن عبد الله[٦] أقرَّ على

(١) فيما عدا ل : « فاسمعوا » .
(٢) ما بعد هذه الكلمة إلى كلمة « مشرب » ساقط مما عدا ل .
(٣) الأثام ، كسحاب : الإثم ، أو جزاؤه .
(٤) فى اللسان : « وفى حديث قس : ونجوم تمور ، أى تذهب وتجىء » . ل : « تغور » ، وأثبت ما فى اللسان وسائر النسخ .
(٥) فيما عدا ل : « تمضى الأكابر والأصاغر » .
(٦) هو خالد بن عبد الله القسرى أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك الأموى ، قتل فى أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . انظر الطبرى (٩ : ١٧)

زيد بن عليّ ، وداودَ بن عليّ[١] ، وأيُّوب بن سلمة المخزومى ، وعَلَى محمد بن عمر ابن عليّ[٢] ، وعَلَى سعدِ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[٣] ، فسأل هشامٌ زيداً عن ذلك فقال : أحلِفُ لك . قال : وإذا حلفتَ أصدِّقُك ؟ قال زيد : اتَّقِ الله . قال : أوَمثلك يا زيد يأمُرُ مثلى بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحدَ فوق أن يُوصَى بتقوى الله ، ولا دونَ أن يُوصِىَ بتقوى الله[٤] : قال هشام : بلَغنى أنّك تُريد الخِلافة ، ولا تصلُح لها ؛ لأنّك ابنُ أمَة . قال زيد : فقد كان إسماعيل ابن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ابنَ أمةٍ ، وإسحاقُ عليه السلام ابنَ حُرّة ، فأخرجَ الله من صُلب إسماعيل خيرَ ولدِ آدم محمداً صلى الله عليه وسلم . فعندها قال له : قم . قال : إذَنْ لا ترانى إلاّ حيثُ تكره ! ولما خرج من الدار قال : « ما أحَبَّ أحدٌ الحياةَ قطُّ إلاّ ذَلَّ » . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعَنَّ هذا الكلامَ منك أحد .

وقال محمد بن عُمير[٥] : إنّ زيداً لمّا رأى الأرض قد طُبِّقت[٦] جَوْراً ، ورأى ١٨٥
قِلَّة الأعوان وتخاذُل الناس[٧] ، كانت الشّهادةُ أحبَّ المِيتات إليه[٨] .

وكان زيدٌ كثيراً ما يُنشِد :

---

(١) هو داود بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى . وهو زوج أم موسى بنت على بن الحسين . توفى وهو وال على المدينة سنة ١٣٣ لابن أخيه السفاح . تهذيب التهذيب والمعارف ٩٥ .

(٢) فيما عدا ل : « وعلى بن محمد بن عمر بن على » ، تحريف . وهو محمد بن عمر بن على بن أبى طالب الهاشمى ، روى عن عمه محمد بن الحنفية وابن عمه على بن الحسين بن على ، وروى عنه أولاده عبد الله ، وعبيد الله ، وعمر . أدرك أول خلافة بنى العباس . تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل : « وعلى بن سعد » الخ ، تحريف كسابقه ، سببه كلمة « على » . وسعد هذا ، كان قاضيا من قضاة المدينة زمن هشام . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٤ وصفة الصفوة (٢ : ٨٢) .

(٤) انظر ما سيأتى فى ص ١٩٣ من أرقام الأصل .

(٥) ذكر الجاحظ فيما مضى ص ٨٤ أنه كان غاليا من مشايخ الشيعة .

(٦) طبقت ، أى ملئت وعمت وغشيت . طبق السحاب الجو : غشاه .

(٧) فيما عدا ل : « ورأى تخاذل الناس » .

(٨) فيما عدا ل : « المنيات » ، جمع منية ، وهى الموت .

شَرَّدَهُ الخوفُ وأزرى به كذاك مَن يَكرَه حَرَّ الجِلادْ[1]
مُنْخَرِق الخُفَّين يشكو الوَجَى تَنكُبُه أطرافُ مَرْوٍ حِدادْ[2]
قد كان فى الموت له راحةٌ والموتُ حَتْمٌ فى رقاب العبادْ

قال : وكان كثيراً ما يُنشِد شعر العبسى[3] :

إنّ المحكّمَ مالم يرتقب حَسَباً أو يرهب السَّيفَ أو حدَّ القنا جَنَفا[4]
مَن عَاذَ بالسيف لاقى فُرصةً عَجَباً موتا على عَجَلٍ أو عاش منتصفا[5]

ولما بعث يوسف بن عمر[6] برأس زيد[7] ، ونصر بن خزيمة[8] ، مع

---

(١) الأبيات فى زهر الآداب (١ : ٧٢) . قال : « وقد رُويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين » . وقد سرد فى زهر الآداب طائفة كبيرة من أقواله . ل فقط : « فأزرى به » .

(٢) الوجى : الحفا . تنكبه : تصيبه وتناله . والأبيات فى الطبرى (٨ : ٤١) .

(٣) البيتان من أبيات عشرة رواها الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٨٧) .

(٤) فى الأصل : « من لم » صوابه من الحيوان . ل : « أو يجعل السيف » . جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٥) فى الحيوان : « من لاذ بالسيف » . وفى بعض نسخ الحيوان : « لاقى قرضه » . والقرض ، أصله ما يتجازى به الناس بينهم .

(٦) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم ولاه العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت علىٰ اليمن وقصد العراق ، فقتل خالداً القسرى أمير العراق قبله ، وأقام بالكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه وحبسه فى دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧ . وهو ابن ابن عم الحجاج . وفيات الأعيان .

(٧) زيد هنا ، هو زيد بن على بن الحسين بن على ، كان قد خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى ، وصلبه بالكناسة — موضع بالكوفة — عرياناً . وكان زيد يلقب بالمهدى ، فقال شاعر أموى :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهديا على الجذع يصلب

ويروى الجاحظ أن رأس زيد رئيت فى دار يوسف بن عمر ، فجاء ديك فوطئ شعره ونقره فى لحمه ليأكله . انظر الحيوان (٢ : ٢٥١) والكامل ٧١٠ ليبسك .

(٨) ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ١٦٦ أنه من أهل الكوفة ، وكان من أشجع الناس ، قتل مع زيد بن على بن الحسين بن على ، وصلب معه .

شَبّة بن عِقَالٍ ، وكلَّفَ آلَ أبي طالبٍ أن يبرءوا من زيدٍ ، ويقومَ خطباؤهم بذلك . فأوّلُ مَن قام عبدُ الله بن الحسن ، فأوجَزَ في كلامه ثم جلس ، ثم قام عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأطنب [في كلامه] ، وكان شاعراً بيِّنا ، وخطيبا لَسِناً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابنُ الطيّار[1] أخطبُ الناس ! فقيل لعبد الله بن الحسن في ذلك ، فقال : لو شئتُ أن أقولَ لقلت ، ولكن لم يكن مقامَ سُرور . فأعجبَ النّاسَ ذلك منه .

ومن أهل الدَّهاء والنَّكْراء[2] ، ومن أهل اللَّسَن واللَّقَن ، والجوابِ العجيب ، والكلام الفصيح ، والأمثال السائرة ، والمخارج العجيبة : هندُ بنتُ الخُسّ[3] ، وهي الزرقاء ، وجُمعَةُ بنتُ حابس[4] . ويقال إن حابساً من إياد .

وقال عامر بن عبد الله الفزاريّ : جُمعَ بين هندٍ وجُمعة ، فقيل لجُمعة : أيُّ الرِّجال أحبُّ إليك ؟ فقالت : الشَنِقُ الكَتَدِ[5] ، الظّاهر الجَلَد ، الشديدُ الجَذْب بالمَسَدِ . وقيل لهند : أيُّ الرِّجال أحبُّ إليك ؟ قالت : القريب الأَمَد ، الواسع البَلَد[6] ، الذى يُوفَد إليه ولا يَفِد .

---

(١) الطيار ، لقب جده جعفر . وهو جعفر بن أبي طالب ، كان قد حمل لواء المسلمين في يوم مؤتة بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه فقتل وخر شهيدا ، فيقولون إنه عوض من يديه جناحين يطير بهما في الجنة . انظر الإصابة ١١٦٢ .

(٢) النكراء : الدهاء والفطنة .

(٣) هي هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريط الإيادية ، وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتى في أمالي القالي (١ : ١٩٩ / ٢ : ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٣/٢٥٧ : ١٠٧ ، ١١٩) . وكانت ترد سوق عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) .

(٤) يقال لها أيضا « خمعة » بالخاء . وفي بلاغات النساء لطيفور ص ٥٨ أنها أخت هند ، وأن القلمس الكناني سألها في سوق عكاظ .

(٥) الشنق : الطويل . والكتد ، بالتحريك وككتف : أعلى الكتف . فيما عدا ل : « الشبق الكتد » تحريف .

(٦) البلد : الدار ، يمانية .

١٨٦ وقد سئلت * هند عن حرّ الصيف و برد الشتاء ، فقالت : « من جعل بُؤسا كأذى[١] » وقد ضُرِب بها المثل . فمن ذلك قول ليلى بنتِ النَّضْر :

وكَنْزُ بنُ جُـدْعانٍ دَلالةُ أُمِّه وكانت كبِنْتِ الخُسِّ أوهي أكبرُ

وقال ابنُ الأعرابىّ : يقال بنت الخُسّ ، و بنت الخُصّ ، و بنت الخُسْف[٢] ، وهي الزَّرقاء . وقال يونس : لا يقال إلّا بنت الأخَسّ .

وقال أبوعمرو بن العلاء : داهيتا نساء العرب هند الزرقاء ، وعنز الزرقاء ، وهي زرقاء اليمامة .

***

قال اليقطُرىّ : قيل لعبد الله بن الحسن : ما تقول فى المِراء ؟ قال : ما عسى أن أقولَ فى شىء يُفسد الصداقة القديمة ، ويحُلّ[٣] العقدةَ الوثيقة ، فإنّ أقلّ ما فيه[٤] أن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة . إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتاه السّائب بن صيفىّ فقال : أتعرفنى يا رسول الله ؟ قال : « كيف لا أعرف شريكى الذى كان لا يُشارِينى ولا يمارينى » . قال : فتحوّلْتُ إلى زيد بن على فقلت له : الصمت خيرٌ أم الكلام ؟ قال أخزَى الله المساكَتة ، فما أفسدها للبيان ، وأجلبَها للحَصَر . والله للمُماراةُ أسرَعُ فى هدم العِىّ من النّار فى يَبيس العرفج ، ومن السَّيل فى الحَدُور .

وقد عرف زيدٌ أن المماراةَ مذمومة ، ولكنه قال : المماراةُ على ما فيها أقلّ ضرراً من المساكَتة التى تورث البُلْدة[٥] ، وتحلّ العُقدة ، وتفسِد المُنّة ، وتورث

(١) الخبر برواية أخرى فى الحيوان (٥ : ١٠٥) .
(٢) وبنت الخسف ، من ل فقط .
(٣) فيما عدا ل : « ويحتل » تحريف .
(٤) التيمورية : « وإن كان فإن أقل ما فيه » ب ، حـ « وإن كان لأقل ما فيه » .
(٥) فى اللسان : « والبلدة والبلدة — أى بالضم والفتح — والبـلادة : ضد النفاذ والذكاء والمضاء فى الأمور » .

عللاً وتُولِّد أدواء أيسَرُها العِىّ . فإلى هذا المعنى ذهَب زيد .

***

ومن الخطباء : خالد بن سلمة المخزومى من قريش ، وأبو حاضر ، وسالم بن أبى حاضر ، وقد تكلَّما عند الخلفاء .

ومن خطباء بنى أسيد : الحكم بن يزيد بن عمير . وقد رأس . ومن أهل اللسن منهم والبيان : الحجّاج بن عمر بن يزيد[١] .

ومن الخطباء : سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية[٢] . قال : وقيل لسعيد بن المسيِّب: مَن أبلغ النّاس ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية وابنه ، وسعيدٌ وابنه[٣] ، وما كان ابنُ الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طَلاوة .

فمن العجب أنَّ ابنَ الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً ، وهم لا يحفظون ١٨٧
لسعيد بن العاصى وابنه من الكلام إلاَّ مالا بال له .

---

(١) فيما عدا ل : « الحجاج بن عمير بن زيد » .

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى كان ممن ندبه عثمان لكتابة القرآن ، ولى الكوفة وغزا طبرستان وجرجان ، وولى المدينة لمعاوية ، فكان يعاقب بينه وبين مروان ، وكان مشهوراً بالكرم حتى إذا سأله السائل وليس له مال حاضر كتب له بما يريد ، فلما توفى كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاها عنه ولده عمرو الأشدق . توفى فى قصره بالعقيق سنة ٥٣ . الإصابة ٣٢٦١ .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق ، الذى مضى ذكره فى ص ١٢١ . وكان يلقب بلطيم الشيطان ، وهو لقب يقال لمن به لقوة أو شتر . انظر الحيوان (٦ : ١٧٨) . وهو أحد التابعين . وهناك عمرو بن سعيد بن العاص الأكبر ، صحابى قديم . ولى الأشدق المدينة لمعاوية وليزيد ، ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق ؛ وذلك أنه كان بايع عبد الملك ابن مروان ، بشرط أن يكون هو الخليفة بعده . فلما أراد عبد الملك خلعه وأن يبايع لأولاده نفر عمرو من ذلك وخرج عليه . وقتله عبد الملك بعد أن أعطاه الأمان . وكان ذلك سنة ٧٠. تهذيب التهذيب وتاريخ الطبرى (٧ : ١٧٨ — ١٨١) والإصابة ٦٨٤٢ .

وكان سعيدٌ جواداً ، ولم ينزع قميصَه قطُّ ، وكان أسودَ نحيفاً ، وكان يقال له « عُكَّةَ العَسَل[١] » . وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فلا يَغْرُرْكَ قِلّةُ لحمِهِ تَخدَّدَ عنه اللحمُ فهو صليبُ[٢]

وكان أوّل مَن خَشَّ الإبلَ فى نفس عظم الأنف . وكان فى تدبيره اضطراب . وقال قائلٌ من أهل الكوفة :

يا ويلَنا قد ذهب الوليدُ وجاءنا مجوِّعاً سعيدُ
ينقُص مِ الصّاعِ ولا يَزيد[٣]

قال : الأمراء تتحبّب إلى الرعية بزيادة الكيل[٤] ، ولو كان المذهبُ فى الزِّيادة فى الأوزان كالمذهب فى زيادة المكاييل ما قصّرُوا ، كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب الزيادةَ فى المكاييل . ولذلك اختلفتْ أسماء المكاييل ، كالزِّيادى والفالج[٥] ، والخالدى : حتّى صِرنا إلى هذا المُلْجَم[٦] [اليوم] .

ثمّ من الخطباء : عمرو بن سعيد ، وهو الأشدق[٧] ، يقال إنّ ذلك إنما قيل لتشادُقه فى الكلام . وقال آخرون : بل كان أفقمَ مائل الذَّقَن ، ولذلك قال عبيدُ الله بن زيادٍ حين أهوى إلى عبدالله بن معاوية : يَدَكَ عنّى يا لطيم الشيطان ، ويا عاصىَ الرحمن[٨] . وقال الشّاعر :

وعمرٌو لطيم الجنّ وابنُ محمّدٍ بأسوأ هذا الأمرِ يلتبسان[٩]

---

(١) العكة ، بالضم : زق صغير .
(٢) ديوان الحطيئة ٤٢ . تخدد اللحم : هزل ونقص .
(٣) فيما عدا ل : « ينقص فى الصاع » .
(٤) فيما عدا ل : « المكاييل » .
(٥) فى اللسان (٣ : ١٧٢) : والفالج والفلج — بالكسر — مكيال ضخم معروف وقيل هو القفيز ، وأصله بالسريانية فالغاء ، فعرب . ومثله فى المعرب للجواليقى ٢٤٩ .
(٦) فيما عدا ل : « الملجم » .
(٧) مضت ترجمته فى الصفحة السابقة .
(٨) انظر الخبر فى الحيوان (٦ : ١٧٨) .
(٩) ل : « فياسوء » تحريف .

ذُكِر ذلك عن عَوانة[1] . وهذا خلاف قول الشاعر :

تشادَقَ حتى مال بالقول شِدقُه   وكلُّ خطيبٍ لا أبالَكَ أشدقُ[2]

قال: وقد كان معاويه دَعا بهِ في غِلمةٍ من قريش ، فلما استنطقَه قال: «إنّ أوّلَ كلِّ مركبٍ صعب ، وإنّ مع اليوم غداً » . وقال له : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : إنّ أبى أوصى إلىّ ولم يوصِ بى[3] . قال : وبأىِّ شىء أوصاك ؟ قال : بألاّ يفقدَ إخوانُه منــه إلاّ شَخصَه . قال : فقال معاوية عند ذلك : إنّ ابن سعيدٍ هذا لَأشدق . فهذا يدلُّ عندهم على أنّه إنما سمّى بالأشدق ١٨٨ لمكان التّشادُق .

ثم كان بعد عمرو بن سعيد ، سعيدُ بنُ عمرِو بن سعيدٍ ، وكان ناسباً خطيباً ، وأعظمَ الناس كِبرا . وقيل له عند الموت : إنّ المريض ليستريح إلى الأنين ، وإلى أن يصِفَ ما به إلى الطبيب . فقال :

أجاليدُ مِن رَيب المَنُون فلا تَرى   على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمعُ[4]

ودخَلَ على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم ، فتكلَّموا من قيام ، وتكلَّمَ وهو جالس ، فتبسّم عبد الملك وقال : لقد رجوتُ عثرتَه ، ولقد أحسَنَ حتّى خفتُ عثرتَه .

فسعيد بن عمرو بن سعيد ، خطيبٌ ابنُ خطيبِ ابنِ خطيب .

---

(١) عوانة بفتح العين ، وهو عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض ، الكلبي الكوفي الأخباري النسابة . وكان كثير الرواية عن التابعين ، وأكثر المدائني في النقل عنه ، وكان عثمانيا يضع الأخبار لبني أمية . توفي سنة ١٥٨ . لسان الميزان (٤ : ٣٨٦) وابن النديم ١٣٤ ونكت الهميان ٢٢٢ .

(٢) أنشد هذا البيت في ص ١٢١ .

(٣) الخبر في عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالي المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٤) أجاليد : جمع جمع للجلد ، وهو القوى النفس والجسد .

ومن الخطباء : سُهيل بن عمرو الأعلَم[١] أحد بنى حِسْل بن مَعِيص[٢] وكان يُكنَى أبا يزيد ، وكان عظيم القَدْر ، شريف النَّفس ، صحيحَ الإسلام . وكان عُمر قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ، انزَعْ ثنيَّتَيهِ السُّفْلَيين حتى يدلَعَ لسانهُ فلايقوم عليك خطيباً أبداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أمثِّل فيمثِّل الله بى وإنْ كنتُ نبيّاً . دعْهُ يا عمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمدُه » . فلمَّا هاج أهلُ مكّة عند الذى بلغهم مِن وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال : « أيُّها النـاس ، إنْ يكنْ محمّدٌ قد مات فالله حىٌّ لم يمت . وقد علمتم أنِّى أكثرُكمْ قَتَباً فى برٍّ ، وجاريةً فى بحر[٣] ، فأقِرُّوا أميرَكم وأنا ضامنٌ إنْ لم يَتِمَّ الأمرُ أن أردَّها عليكم » ، فسكن الناس . وهو الذى قال يوم خَرجَ آذِنُ عمر ، وبالباب عُيَينة بن حِصن[٤] ، والأقرع بن حابس ، وفلانٌ وفلان ، فقال : الآذِن : أين بلال ، أين صُهيب ، أين سَلْمان ، أين عَمّار ؟ فتمعّرت وجوهُ القوم ، فقال سهيل : لِمَ تتمعَّرُ وجوهُكم ؟ ! دُعُوا ودُعينا فأسْرَعُوا وأبطأْنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر ، لَمَا أعدَّ الله لهم فى الجنة أكثر .

ومن الخطباء : عبد الله بن عروة بن الزّبير . قالوا : وكان خالد بن صفوانَ يشبَّه به . وماعلمتُ أنّه كان فى الخطباء أحدٌ كان أجودَ خُطَبا من خالدبن صفوان

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٨٠ . ل : « الأشرم » وما أثبت من سائر النسخ هو المطابق لما فى الإصابة ٣٥٦٦ . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، وقد كان كذلك . أما الأشرم فهو المشروم الأنف .

(٢) كذا . والمعروف أن حسلا ومعيصا أخوان أبوهما عامر بن لؤى . انظر المعارف ٣٢ ومختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ص ٣١ .

(٣) القتب : رحل صغير على قدر السنام . عنى كثرة إبله وسفنه فى التجارة .

(٤) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وكان اسمه حذيفة فلقب عيينة ، لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه . شهد حنينا والطائف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ٦١٤٦ .

١٨٩ وشيب بن شيبة ، للذى يحفظه الناس ويدورُ على ألسنتهم مِن كلامهما . وما أعلم أنّ أحداً ولّد لهما حرفاً واحدا .

ومن النسّابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذِر : الحنَتَفُ بن يزيد[١] ابن جَعْوَنةَ . وهو الذى تعرّضَ له دَغْفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر[٢] بالبصرة ، فقال له متى عهدُكَ بسَجَاحِ أمِّ صادر[٣] ؟ فقال : « مالى بها عهدٌ منذُ أضَلّت أمّ حِلْسٍ » ، وهي بعض أمّهات دَغْفل . فقال له : نَشَدْتُك بالله ، أنحن كُنّا لكم أكثرَ غزواً فى الجاهلية أم أنتم لنا ؟ قال : بل أنتم[٤] فلم تُفلحوا ولم تُنجحوا ، غزانا فارسُكم وسيّدُكم وابنُ سيّدكم ، فهزمْناه مرّةً وأسرناه مرّة ، وأخذْنا فى فدائه خِدر أمه . وغزانا أكثرُكم غزوًا ، وأنبهُكم فى ذلك ذكرا ، فأعرَجْناه ثم أرْجلناه . فقال ابن عامر : أسألكما بالله لَمّا كففتُما .

وكان عبد الله بن عامر ، ومُصعَب بن الزّبير ، يُحِبّان أن يَعرِفا حالات الناس ، فكانا يُغرِيان بين الوجوه و بين العلماء ، فلاجرَم أنّهما كانا إذا سبّا أوجعا.

وكان أبو بكر رحمه الله أنسَبَ هذه الأمّة ، ثم عمر ، ثم جُبير بن مُطعِم ، ثم سعيد بن المُسيِّب ، ثمّ محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمدٌ هذا هو الذى نفَى آل عَنكثة المخزوميّين[٥] فرُفع ذلك إلى والى المدينة فجلده الحدّ . وكان ينشد :

---

(١) فيما عدا ل : « بن زيد » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ابن خال عثمان بن عفان . كان شجاعا جوادا ميمونا ، ولاه عثمان البصرة وضم إليه فارس فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وغيرها . وولاه معاوية البصرة . توفى سنة ٥٩ قبل وفاة معاوية بسنة . الإصابة ٦١٧٥ والمعارف ١٤٠ والجهشيارى ١٤٨ .

(٣) هى سجاح بنت الحارث التميمية ، من بنى يربوع ، وكان يقال لها أم صادر ، وتزوجها مسيلمة المتنبىء ، ثم من بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ، ذكر ذلك صاحب التاريخ المظفرى . المعارف ١٧٨ والإصابة ٦٠٧ من قسم النساء .

(٤) ل : « قال بل أنتم لنا قال » .

(٥) نفاهم : أى نفى نسبتهم إلى مخزوم ، جعل أباهم مولى لهبيرة بن أبى وهب .

وَيَرْبوعُ بن عَنكَثَةَ ابنُ أرضٍ   وأعتقَهُ هُبَيرةُ بعد حينِ[١]

يعنى هُبيرةَ بن أبى وهبٍ المخزومىّ[٢] .

ومن النَّسابين العلماء : عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرَّأى والدَّهاء ، وكان ذا منزلةٍ من الحجّاج بن يوسفَ . وعمرُ ابن عبد الرحمن خامسُ خمسةٍ فى الشّرف . وكان هو الساعى بين الأسْدِ وتميمٍ فى الصُّلح .

ومن بنى حُرقوص : شُعبة بن القَلْعَمِ ، وكان ذا لسانٍ وجوابٍ وعارضة ، وكان وَصّافا فصيحاً ، و بنوه عبد الله ، وعُمر ، وخالد كلُّهم كانوا فى هذه الصِّفة ، غير أنّ خالداً كان قد جمع مع اللَّسن والعلم ، الحلاوةَ والظَّرف[٣] . وكان الحجّاجُ ابن يوسف لا يَصبِر عنه .

ومن بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم[٤] ، أبو بكر بن الحكم ، كان ناسباً راوية
١٩٠ شاعرا ، وكان أحْلَى النّاس لسانا ، وأحسنَهم منطقا ، وأكثرَهم تصرُّفا . وهو الذى يقول له رؤبة :

لقد خشيتُ أن تكون ساحرا   راويةً مَرًّا ومرًّا شاعرًا[٥]

ومنهم مُغَلَّلُ بن خالد ، أحد بنى أنمار بن الهُجَيم ، وكان نسّابة علاّمة ،

---

(١) ابن أرض ، أى غريب . انظر المقاييس (١ : ٨١) .

(٢) فى الاشتقاق ٩٥ : « ومن فرسانهم هبيرة بن أبى وهب ، وكان زوج أم هانئ بنت أبى طالب ، فأسلمت وثبت هو على الشرك » .

(٣) فيما عدا ل : « مع بلاغة اللسان العلم والحلاوة والظرف » .

(٤) أسيد هنا : تصغير أسود فى لغة بنى تميم ، وسائر العرب يقولون فى تصغيره أسيود . انظر الاشتقاق ١٢٧ .

(٥) المر ، بالفتح : جمع مرة . ومثله قول ذى الرمة :

لا بل هو الشوق من دار تخونها   مرا سحاب ومرا بارح ترب

راوية صَدُوقا مقلَّدا[1] . وذُكِر للمنتجِع بن نبهانَ فقال : كان لا يُجارَى ولا يمارَى .

ومنهم من بنى العَنْبر ، ثم من بنى عمرو بن جُندب : أبو الخنساء عبّاد ابن كسيب[2] ، وكان شاعراً علاّمة ، وراويةً نسّابة ، وكانت له حُرْمَةٌ بأبى جعفر المنصور .

ومنهم : عمرو بن خَوْلة ، كان ناسباً خطيبا ، وراوية فصيحا ، من ولد سَعيد ابن العاصى . والذى أتى سعيد بن المسيّب ليعلّمه النّسب هو إسحاق بن يحيى ابن طلحة .

وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسباً عالما ، ضربه إبراهيم بن هشام المخزومىُّ والى المدينة حتّى مات ، لبعض القول . وكان مصعبُ بن عبد الله بن ثابت[3] ناسبا عالما ، ومن ولده الزُّبيرىّ[4] عامل الرّشيد على المدينة واليمن .

ومنهم ثم من قريش : محمد بن حفص[5] ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر . وابنه عبيد الله ، كان يجرى مجراه ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن بنى خُزَاعىَّ بن مازن[6] : أبو عمرو وأبو سفيان ، ابنا العلاء بن عمّار ابن العُريان . فأمّا أبو عمرو فكان أعلَمَ الناس بأمور العرب ، مع صِحّة سماعٍ وصِدق

---

(١) المقلد ، أصله فى الخيل : السابق يقلد شيئاً ليعرف أنه قد سبق .

(٢) أبو الخنساء عباد بن كسيب ، من بنى عمرو بن جندب ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٧٣ وقال : « وكان راوية للشعر عالماً بأخبار العرب » .

(٣) هو أبو عبد الله مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدى قالوا : كان أوجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً وبيانا . توفى سنة ٢٣٦ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٠٩٦ .

(٤) اسمه عبد الله بن مصعب ، كما فى تاريخ الطبرى (١٠ : ١١٢) .

(٥) فيما عدا ل : « محمد بن جعفر بن حفص » وكلمة « جعفر » مقحمة . انظر ترجمة ولده عبيد الله فيما مضى ص ١٠٢ .

(٦) هم بنو خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. انظر الاشتقاق ١٢٤ — ١٢٥ . فيما عدا ل « خزاعة » تحريف .

لسان . حدَّثني الأصمعيُّ قال : جلستُ إلى أبي عمرٍو عشرَ حججٍ ماسمعتُه يحتجُّ ببيتٍ إسلاميّ . قال : وقال مرّةً : « لقد كَثُرَ هذا المحدَث وحَسُن حتّى لقد هَممت أن آمرَ فتياننا بروايته » . يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وحدَّثني أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعلَمَ النّاس بالغريب[1] والعربيّة ، وبالقرآن[2] والشِّعر ، وبأيام العرب وأيّام الناس . وكانت دارُه خلفَ دار جعفر بن سليمان[3] . قال : وكانت كُتبه التي كَتَبَ عن العرب الفصحاء ، قد ملأَتْ بيتاً له إلى قريبٍ من السقف ، ثم إنّه تقرّأ[4] فأحرقها كُلَّها ، فلمّا رجع بَعدُ إلى علمه الأوّل لم يكن عنده إلاّ ماحفِظه بقلبه . * وكانت عامّةُ أخباره عن أعرابٍ قد أدركوا الجاهلية[5] . ١٩١

وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :

ما زلت أفتحُ أبواباً وأغلقها حتّى أتيتُ أبا عمرِو بنَ عمّارِ

قال : فإذا كان الفرزدق وهو راويةُ النّاس وشاعرُهم وصاحبُ أخبارهم ، يقول فيه مثلَ هذا القول ، فهو الذي لا يُشَكُّ في خطابته وبلاغته .

وقال يونس : لولا شِعر الفرزدق لذهب نِصفُ أخبار الناس .

وقال في أبي عمرٍو مكّيُّ بن سَوادة[6] :

الجامعُ العــلمِ ننساه ويحفظه والصادقُ القولِ إنْ أندادُه كذَبُوا

وكان أبو سفيانَ بنُ العلاء ناسباً ، وكلاهما كُنا هُما أسماؤهما . وكذلك أبو عمرو ابن العلاء بن لَبيد ، وأبو سفيان بن العلاء بن لَبيد التغلبيّ ، خليفة عيسى بن شَبيبٍ المازنيّ على شُرَط البصرة .

---

(١) فيما عدا ل : « بالعرب » . (٢) فيما عدا ل : « وبالقراءة » .

(٣) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٤ .

(٤) تقرأ تقرؤا ، أي تنسك . وفي ترجمته عند ابن خلكان : « ثم إنه تقرأ ، أي تنسك »

(٥) ولد أبو عمرو بن العلاء سنة ٧٠ وتوفي سنة أربع أو ست أو سبع أو تسع وخمسين ومائة . ياقوت وابن خلكان وبغية الوعاة . (٦) سبقت ترجمته في ص ٣ .

وكان عَقيلُ بن أبى طالبٍ ناسباً عالماً بالأمّهات ، بيِّن اللسان سَديدَ الجواب[١] ، لا يقوم له أحد .

وكان أبو الجهم بن حُذيفة العدوىّ[٢] ناسباً شديد العارضة ، كثير الذِّكر للأمّهات بالمثَالب .

ومن[٣] رؤساء النسَّابين : دَغْفَل بن حنظلة ، أحد بنى عمرو بن شيبان ، لم يدرِكِ الناس مثلَه لساناً وعِلماً وحِفظا . ومن هذه الطبقة زيد بن الكَيِّس النَّمرىُّ .

ومن نسّابى كلبٍ : محمّد بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ، وشَرقىُّ ابن القُطامى . وكان أعلامَهم فى العلم ومَن ضُرِب به المثَل ، حمّادَ بن بشر . وقال سِماكٌ العِكرِى[٤] :

فسائلْ دَغفلاً وأخا هلال ... وحمّاداً يُنَبّئوك اليقينا[٥]

وقد ذكرنا دَغْفلا . وأخو هلال هو زيد بن الكَيِّس . وبنو هلالٍ حىٌّ من النَّمر بن قاسط .

وقال مِسكين بن أُنيف الدّارِمىّ[٦] فى ذلك :

وعند الكَيِّس النَّمرِىّ علمٌ ... ولو أمسى بمُنخرَق الشَّمالِ

وقال ثابتُ قطنة :

فما العِضانِ لو سُئِلا جميعا ... أخو بكر وزيدُ بنى هلالِ[٧] ١٩٢

---

(١) فى جميع النسخ : « شديد الجواب » وإنما هو من السداد والإصابة .

(٢) أبو الجهم ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٢ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ﺣ والتيمورية ، وزيدت فى ب .

(٤) ﺣ : « العكلى » مع أثر تصحيح . ب والتيمورية : « العكرى » .

(٥) ل : « وأبا هلال » تحريف . يقال فلان أخو القوم ، أى هو منهم .

(٦) مسكين ، لقب له ، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . شاعر شجاع من أهل العراق ، كان معاصراً للفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦٧) والأغانى (١٨ : ٦٨ — ٧٢)

(٧) العض ، بالكسر : الداهية من الرجال ؛ ومنه قول القطامى :

أحاديث من أنباء عاد وجرهم ... يثورها العضان زيد ودغفل

ولا الكلبيُّ حمّادُ بن بِشرٍ ولا من فادَ فى الزمن الخوالى[١]

وقال زيادٌ الأعجم :

بل لو سألتَ أخا ربيعة دَغفلا لوجدت فى شَيبانَ نسبة دَغفلِ

إن الأحابِنَ والذين يَلُونهم شرُّ الأنام ونَسلُ عبدٍ أغرَلِ[٢]

يهجو فيها بنى الحَبْناء .

ومنهم أبو إياس النصرى[٣] . وكان أنسبَ الناس ، وهو الذى قال : كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دُوادٍ الإيادىّ ، وعدِىّ بن زيدٍ العِبادىّ .

وكان أبو نوفل بن أبى عقرب[٤] ، علاّمةً ناسبا خطيبا فصيحا ، وهو رجلٌ من كنانة أحد بنى عُرَيج[٥] .

ومن بنى كنانةَ ثم من بنى لَيث ، ثم من بنى الشُّدَّاخ[٦] : يزيد بن بكر ابن دأب . وكان يزيدُ عالماً ناسبا ، وراويةً شاعرا . وهو القائل :

الله يعلم فى علىٍّ علمَه وكذاك علمُ الله فى عثمانِ

(١) فاد يفيد فيدا : هلك .

(٢) الأحابن أراد بهم بنى الحبناء . والأغرل : الأقلف . فيما عدال : « عبدالأعزل » تحريف .

(٣) فيما عدال : « إياس النصرى » .

(٤) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢١٩) بلفظ « ابن أبى العقرب الليثى » . كما ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٣١ بنسبة « العريجى » . وفى تهذيب التهذيب : « أبو نوفل بن أبى عقرب البكرى الكندى العريجى قيل اسمه مسلم بن أبى عقرب ، وقيل عمرو بن مسلم بن أبى عقرب ، وقيل معاوية بن أبى عقرب . روى عن أبيه أوجده أبى عقرب ، وعائشة وأسماء بنتى أبى بكر الصديق ، وعمرو بن العاص والعبادلة الأربعة . . . وسماه شعبة معاوية بن عمرو قال : كنت آتيه أنا وأبو عمرو بن العلاء فأسأله عن الفقه ويسأله أبو عمرو عن العربية » . وانظر الإصابة ٧٦٦ من باب الكنى .

(٥) فى المعارف ٣١ : « ومنهم بنو عريج ، وهم قليل ، وأبو نوفل بن أبى عقرب العريجى منهم » .

(٦) الشداخ ، بتثليث الشين وتشديد الدال ، من ليث بن كنانة ، واسمه يعمر بن عوف ابن كعب . قالوا : سمى بذلك لأنه أصلح بين قريش وخزاعة فى الحرب التى كانت بينهم فقال : « شدخت الدماء تحت قدمى » . انظر الاشتقاق ١٠٦ والقاموس واللسان (شدخ) .

وولدَ يزيدُ يحيى وعيسى . فعيسى هو الذى يُعرَف فى العامّة بابن دأبٍ ، وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وكان صاحبَ رسائلَ وخطبٍ ، وكان يُجيدُهما جِدًّا[١] .

ومن آل دأبٍ : حذيفة ابن دأبٍ ، وكان عالماً ناسباً . وفى آل دأبٍ علمٌ بالنَّسب والخبر .

وكان أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان ، خطيباً عالما ، وكان قد جمع شِدّةَ العقل وصواب الرأى وجودةَ اللسان ، وقولَ الشّعرِ والظَّرفَ . وهو يُعَدّ في هذه الأصناف ، وفى الشِّيعة ، وفى العُرْجان ، وفى المفاليج . وعلى كلٍّ شىء من هذا شاهدٌ سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالَى .

وقال الُخسُّ لابنته هند : أريد شراء فحلٍ لإبلى . قالت إن اشتريتَه فاشترِه أسجحَ الخدين ، غائر العينين ، أرقبَ ، أحزَم ، أعكَى ، أكْوَم . إن عُصِىَ غَشَم ، وإن أُطيع تجرْثَم » .

وهي التى قالت لمّا قيل لها : « ما حملكِ على أنْ زنيتِ بعبدك ؟ قالت : « طول السَّواد ، وقرب الوِساد » . ١٩٣

والسَّواد : السِّرار . أسجَح : سَهْلٌ واسع . يقال : « ملكتَ فأسجِح » . أرقَب : غليظ الرّقبة . أحْزَم : منتفخُ المَحْزِم . أعكى : العُكْوة مَغرِز الوركين فى المؤخّر ، تصفه بشِدّة الوركين . إن عُصىَ غَشَم : إنْ عصته النّاقةُ غصبها نفسَها . تجرثَم : أى بَقِى ، مأخوذٌ من الجرثومة ، وهي الطين والتّرابُ يُجْمَع

---

(١) وكان عيسى يضع الحديث والشعر وأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر   وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان صاحب حظوة عند الهادى ، وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحى . تاريخ بغداد ٨٤٥ ، ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) .

حول النخلة ، ليقوِّيَهـا . تصفه بالصَّبْر والقوّة على الضِّراب . أكوَم : عظيم السنام[١] .

قالوا : وعاتب هشامُ بن عبد الملك زيدَ بن على ، فقال له : بلغنى عنك شىءٌ . قال : يا أمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفتَ لى أصدِّقك ؟ قال : نَعم ، إنّ الله لم يرفَع أحداً فوقَ ألاّ يَرضى به ، ولم يَضع أحداً دون ألاّ يُرضى منه به[٢] .

وكان زِياد بن ظَبْيانَ التيمىّ العائشىّ خطيباً ، فدخل عليه ابنه عبيد الله[٣] وهو يَكيدُ بنفْسه ، فقال له : ألا أُوصِى بك الأمير[٤] . قال : لا . قال : ولِمَ ؟ قال : إذا لم يكن للحىّ إلا وصيّة الميِّت فالحىّ هو الميِّت .

وكان عُبيد الله أفتكَ النّاس ، وأخطبَ الناس . وهو الذى أتى باب مالك ابن مِسْمَع[٥] ومعه نارٌ ، ليحرِّق عليه دارَه ، وقد كان نابه أمرٌ فلم يرسلْ إليه قبلَ الناس ؛ فأشرف عليه مالك فقال : مهلا يا أبا مطر ، فوالله إنّ فى كنانتى

---

(١) بعد هذا فيما عدا ل : « وقال الشاعر فى السواد :

وبفهم قول الحكل لو أن ذرة ... تساود أخرى لم يفته سوادها

يقال فى لسان فلان حكلة ، إذا كان شديد الحبسة مع لثغ » .

(٢) سبق الخبر برواية أخرى فى ص ٣١٠ .

(٣) كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاتكا من الشجعان ، وكان مقربا من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك . الطبرى (٧ : ١٨٦) . وذكره النويرى فى نهاية الأرب (٩: ٢١٦) هو وعبيد الله بن زياد بن أبيه . وقال : « وخبرهما يشبه مسائل الدور ؛ فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار ، والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان » .

(٤) فيما عدا ل : « الأمير زيادا » وكلمة « زيادا » مقحمة . والخبر فى الحيوان (٢ : ٩٥ — ٩٦) وعيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٥) مالك بن مسمع بن شيبان ، من بكر بن وائل . قال رجل لعبد الملك : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فيم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السودد . وهلك فى أول خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة . المعارف ١٨٤ والإصابة ٨٣٥٣ والحيوان (١ : ٢٧٠) .

سَهمٌ أنابه أوثقُ منّى بك . قال : وإنّك لتعُدُّني فى كنانتك ، فواللهِ لو قمت فيها لطُلْتها ، ولو قعدتُ فيها لخرقتُها . قال [مالك] : مهلاً ، أكثرَ الله فى العشيرة مِثلَك ! قال : لقد سألْتَ الله شططاً !

ودخل عُبيد الله على عبد الملك بن مروان ، بعد أن أتاه برأسِ مصعبِ ابن الزُّبير ، ومعه ناسٌ مِن وجوه بكر بن وائل ، فأراد أن يقعُدَ معه على سريره فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعُمون أنك لا تُشبِه أباك ؟ قال : والله لأَنا أشبَهُ بأبى من اللّيل بالليل ، والغرابِ بالغراب ، والماء بالماء ، ولكن إنْ شئتَ أنبأتُك بمن لا يُشْبه أباه . قال : ومن ذاك ؟ قال : مَن لم يولد لِتَمام ، ولم تُنضِجه الأرحام ، ومَن لم يشْبه الأخوالَ والأعمام . قال : ومَن ذاك ؟ قال : ابنُ عمِّى سُويد بن منجوف (١) . قال عبد الملك : أوَ كذلك أنت يا سُويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده أقبلَ عليه سويدٌ فقال : وَرِيَت بك زنادى (٢) ! والله ١٩٤ ما يسرُّنى أنّك كنت نقصتَه حرفاً واحداً مما قلتَ له وأنَّ لى حُمْرَ النَّعَم (٣) . قال : وأنا والله ما يسرُّنى بحلمك اليومَ عنّى سُودُ النَّعَم (٤) .

قال : وأتى عُبيد الله ، عتّابَ بنَ ورقاء ، وعتابٌ على أصبهان ، فأعطاه عشرين ألفَ درهم ، فقال : والله ما أحسنْتَ فأحمدَك ، ولا أسأتَ فأذمَّك ، وإنك لأقربُ البعداء ، وأبعد القُرَباء .

قال : وقال أشيَمُ بن شقيق بن ثور ، لعُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : ما أنت قائلٌ لربِّك وقد حملتَ رأس مصعبِ بن الزُّبير إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال :

---

(١) سويد بن منجوف بن ثور السدوسى كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة ، وأحد من هجاهم الأخطل . الحيوان (٥ : ١٦٢) والاشتقاق ٢١٢ والأغانى (٧ : ١٧٤) .

(٢) فى اللسان : «وتقول لمن أنجدك وأعانك : ورت بك زنادى» ، ويقال وريت أيضا والزناد : جمع زند ، وهو ما تورى به النار .

(٣) العرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها .

(٤) انظر لقوة السود من الحيوان كتاب الحيوان (١ : ٢٦٢ / ٢ : ٧٩) .

اسكُت ، فأنتَ يوم القيامة أخطبُ من صعصعة بن صُوحان إذا تكلّمت الخوارج.

فما ظنُّكَ ببلاغةِ رجلٍ عبيدُ الله بن زيادٍ يضرِب به المثل !

وإنما أردنا بهذا الحديث خاصّةً ، الدلالةَ على تقديم صعصعة بن صُوحان فى الخطب . وأدلُّ(١) من كلِّ دلالةٍ استنطاق عليِّ بن أبى طالب رضى الله عنه له(٢) .

وكان عُثمان بن عُروة(٣) أخطبَ الناس ، وهو الذى قال : « الشكر وإنْ قلّ ، ثمنٌ لكلِّ نوالٍ وإن جلّ » .

وكان ثابتُ بن عبد الله بن الزبير ، مِن أبْيَنِ الناس ، ولم يكن خطيبا .

وكان قَسامة بن زُهَير(٤) أحد بنى رِزام بن مازن(٥) ، مع نُسْكه وزُهده ومنطقه ، مِن أبْيَنِ النّاس ، وكان يُعدَل بعامرِ بن عبد قيسٍ(٦) فى زهده ومنطقه . وهو الذى قال : « روِّحوا هذه القلوب تَعِ الذِّكْر » . وهو الذى قال : « يا معشرَ الناس ، إنّ كلامَكم أكثرُ من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصَّمت ، وعلى الصواب بالفكر » . وهو الذى كان رسولَ عُمرَ فى البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبى بَكْرة(٧) .

(١) فيما عدا ل : « وأولى » .

(٢) انظر ماسبق فى ص ٢٠٢ .

(٣) هو عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام ، كان من خطباء الناس وعلمائهم ، ومن وجوه قريش وساداتهم ، وأمه عمة عبد الملك بن مروان . توفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٤٥ .

(٥) فى هامش ل : « خ : دارم بن مالك » . وقسامة مازنى .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٨٣ .

(٧) أبوبكرة ، هو نفيع بن الحارث ، أسلم ومات فى خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، وذلك أنه لما طال حصار الطائف قال رسول الله : « أيما عبد تدلى إلى فهو حر » فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ وابن خلكان فى ترجمة (يزيد بن ربيعة) . والمغيرة ، هو الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة . وكان قد اتهم بامرأة من بنى هلال يقال لها أم جميل ، فشهد عليه أبو بكرة ، وشبل بن معبد ، ونافع بن كلدة وزياد . انظر تاريخ الطبرى (٤ : ٢٠٦ — ٢٠٨) فى حوادث سنة ١٧ .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعرا ، وفصيحا جامعا ، وجيِّدَ الرَّأيِ كثيرَ الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النُّجوم والطِّبِّ والكيمياء .

ومن خطباء قريش : خالد بن سلمة المخزومى[1] وهو ذو الشَّفة . وقال الشّاعر في ذلك :

فما كانَ قائلَهم دَغْفَلٌ ولا الحَيقُطانُ ولا ذو الشَّفَهْ

ومن خُطباء العرب عُطارِد بن حاجب بن زُرارة ، وهو كان الخطيبَ عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، *وقال [فيه] الفرزدق بن غالب : ١٩٥

ومِنّا خطيب لا يُعابُ وحاملٌ أغرُّ إذا التفّت عليه المجامع[2]

ومن الخطباء : عون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود[3] ، وكان مع ذلك راويةً ناسبا شاعرا ، ولما رجع عن قول المُرجئة[4] إلى قول الشيعة قال :

وأولُ ما نفارِق غيرَ شكٍّ نُفارِق ما يقول المرجِئونا[5]

وقالوا مؤمنٌ من أهل جَور وليس المؤمنون بجائرينا[6]

---

(١) خالد بن سلمة المخزومى ، وكان يسمى ذا الضرس ، وذا الشفة . قتل مع يزيد بن عمر ابن هبيرة سنة ١٣٢ . انظر الحيوان (٧ : ٧١) .

(٢) الحامل : الذى يحمل عن القوم الحمالة ، وهى الدية والغرامة . يعنى الفرزدق به أباه غالب بن صعصعة . وفيه يقول :

دعوا غالبا عند الحمالة والقرى وأين ابنـه الشاق عما تمائمه

وكان الفرزدق نفسه حمالا ، قال جرير فى رثائه له (ديوانه ٥٣٥) :

رزئنا بحمال الديات ابن غالب وحامى تميم عرضها والبراجم

(٣) هو أبو عبدالله عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد ، وعتبة هذا ، هو أخو عبد الله بن مسعود . قال ابن سعد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة رحل إليه عون ، وعمر بن ذر ، وموسى بن أبى كثير . فناظروه فى الإرجاء ، فزعموا أنه وافقهم . توفى بين ١١٠ — ١٢٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٥٥) والمعارف ١١٠ .

(٤) المرجئة : طائفة ترجئ العمل عن الإيمان ، أى تؤخره ، وترى أن الإيمان لا يضر معه معصية . انظر الملل (١ : ١٨٦) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٣١ والفرق بين الفرق ١٩٠ وطبقات ابن سعد (٧ : ٢١٤) .

(٥) فى التهذيب حيث روى هذا البيت وحده : « لأول ما نفارق » .

(٦) فى المعارف حيث روى الأبيات الثلاثة : « وليس المؤمنون بحاربونا » .

وقالوا مؤمن دمُه حلالٌ   وقد حَرُمت دماء المؤمنينا

وكان حين هربَ إلى محمدَ بن مروان[١] فى فَلّ[٢] ابنِ الأشعث[٣] ألزمه ابنَه يؤدِّبه ويقوّمه ، فقال له يوما : كيف ترى ابنَ أخيك ؟ قال : « ألزمْتنى رجُلاً إن غبتُ عنه عتَب ، وإنْ أتيتُه حُجِبَ ، وإن عاتبتُه غضب » . ثم لزم عمرَ بنَ عبد العزيز ، وكان ذا منزلةٍ منه . قالوا : وله يقول جرير :

يأيُّها الرَّجلُ المرخِى عمامتَه   هـذا زمانُك إنِّى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا إن كنتَ لاقِيَهُ   أنِّى لدَى الباب كالمصفود فى قَرَنِ[٤]
وقد رآكَ وُفودُ الخافقَينِ معاً   ومُذْ وَلِيتَ أمورَ النَّاس لم ترَنى[٥]

***

وكان الجارود بن أبى سبرة[٦] ، ويكنى أبا نوفل ، من أبْينَ النّاس وأحسنِهم

---

(١) هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان أشد بنى مروان ، وهو قتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير بدير الجاثليق ، بين الشام والكوفة ، وكان على الجزيرة . وابنه مروان بن محمد آخر من ولى الخلافة من بنى أمية . المعارف ١٥٥ .

(٢) الفل: بقية الجيش المنهزم . ل : « قتل » ـ والتيمورية: « فك » والصواب ما أثبت من ب مع أثر تصحيح فيها .

(٣) هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج من سجستان إلى العراق سنة ٨١ . ولما دخل البصرة فى تلك السنة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرائها وكهولها ، وكان بينه وبين الحجاج وقعات منها الأهواز ، والزاوية ، ودير الجماجم ، ومسكن ، ودجيل . وقد قتل عبد الرحمن نفسه ، بأن ألقى بها من فوق قصر . الطبرى (٨ : ٧ — ٤٢) والمعارف ١٥٦ .

(٤) المصفود : المشدود بالصفاد ، وهو ما يوثق به الأسير من قيد وغل . فيما عدا ل : « كالمشدود » ، وما أثبت من ل يطابق رواية الديوان ٥٨٨ . والقرن : الحبل يقرن به البعيران . وفى اللسان (قرن) :

أبلغ أبا مسمع إن كنت لاقيه   أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن

(٥) الخافقان : الشرق والغرب . وبدله فى الديوان :

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة   قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

(٦) هو الجارود بن أبى سبرة سالم بن سلمة الهذلى البصرى ، روى عن أبى ، وطلحة بن عبيد الله ، وأنس ، وروى عنه قتادة وثابت البنانى . توفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب .

حديثاً ، وكان راويةً علاّمةً ، شاعراً مُفْلِقا ، وكان من رجال الشّيعة . ولما استنطقَه الحجّاجُ قال : ما ظننتُ أنّ بالعراق مثلَ هـذا . وكان يقول : ما أمكننى والٍ قطُّ من إذنه إلاّ غلبتُ عليه ، ما خلا هذا اليهوديَّ — يعنى بلالَ بن أبى بُردة[1] — وكان عليه متحامِلاً ، فلما بلغه أنّه دُهِقَ حتى دُقَّت ساقه[2] ، وجُعِل الوتَر فى خُصيتيه أنشأ يقول :

لقد قرّ عَينِى أنّ ساقَيه دُقّتَا   وأنّ قُوى الأوتار فى البيضة اليسرى ١٩٦
بَخِلْتَ وراجعتَ الخيانةَ والخنا   فيَسَّرك الله المقدَّسُ للعُسْرَى
فما جِذْعٍ سَوء خرّبَ السُّوسُ جوفَه   يُعالجه النّجّار يُبرى كما تُبرى

وإنّما ذكر الخصية اليسرى لأنّ العامّة تقول : إنّ الولد منها يكون[3] .

***

ومن الخطباء الذين لا يُضاهَون ولا يُجارَون : عبد الله بن عبّاس . قالوا : خطبَنا بمكّة ، وعثمانُ محاصَرٌ ، خُطبةً لو شهِدَتْها التُّركُ والدَّيلمُ لأسلمَتا .

وذكره حسّانُ بن ثابت فقال :

إذا قال لم يتركْ مقالاً لقائلٍ   بملتَقَطاتٍ لا تَرى بينها فَضْلا
كَفَى وشفَى ما فى النفوس ولم يَدَعْ   لذى إرْبةٍ فى القولِ جِدًّا ولا هزْلا
سموتَ إلى العَلْيا بغير مَشقّةٍ   فنلتَ ذُراها لا دَنِيًّا ولا وَغْلاَ

---

(١) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله ، كان بلال أمير البصرة وقاضيها ، روى ابن الأنبارى أنه مات فى حبس يوسف بن عمر وأنه قتله دهاؤه ، قال للسجان : أعلم يوسف أنى قد مت ولك ما يغنيك ، فأعلمه فقال : أرنيه ميتا ، فجاء السجان فألقى عليه شيئا غمه حتى مات . توفى سنه نيف وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب والمعارف ١٧٤ .

(٢) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، وهو ضرب من العذاب ، يقال له بالفارسية « اشكنجه » . اللسان ومعجم استينجاس ٦٦ .

(٣) انظر الحيوان (١ : ١٢٣) .

وقال الحسنُ : كان عبدُ الله بنُ عبّاسٍ أوّلَ من عَرّفَ[1] بالبصرة ، صعِد المنبر فقرأ البقَرة وآل عمران ، ففسّرهما حرفاً حرفا ؛ وكان والله مِثَجًّا يَسيل غَرْبًا[2] ، وكان يسمَّى البَحر وحَبر قُرَيش . وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهمّ فقِّهْه فى الدِّين ، وعلِّمْه التأويل » . وقال عمر : « غُصْ غَوّاصُ » . ونظر إليه يتكلم فقال :

* شِنْشِنَةٌ أعرِفها من أخزمِ *

الشعر لأبى أخزَمَ الطائى ، وهو جد أبى حاتم طيِّئْ أو جدُّ جدّه ، وكان له ابنٌ يقال له أخزَم ، فمات وترك بنِينَ فتوثّبُوا يوماً على جدّهم أبى أخزمَ فأدمَوْه ، فقال :

إنّ بَنِيَّ رَمّلونى بالدّمِ[3] شِنْشِنة أعرِفُها من أخْزمِ

أى إنّهم أشبَهوا أباهم فى طبيعته وخُلقه . وأحسبه كان به عاقًّا . هكذا ذكر ابنُ الكلبىّ . والشِّنْشِنة مثل الطبيعة والسجيّة .

فأراد عمرُ رحمه الله إنّى أعرف فيك مَشابهَ من أبيك ، فى رأيه وعقله .

ويقال إنّه لم يكن لقرشىّ مثلُ رأى العبّاس . ١٩٧

ومن خُطباء بنى هاشم أيضاً : داود بن علىّ[4] ، ويكنَى أبا سليمان ، وكان أنطقَ النّاسِ وأجودَهم ارتجالا واقتضاباً للقول ، ويقال إنّه لم يتقدّم فى تحبير خطبةٍ قطُّ . وله كلامٌ كثير معروف محفوظ ، فمن ذلك خطبته على أهل مكّة :

---

(١) كذا ضبطت هذه الكلمة فى ل ، ب . والتعريف هنا بمعنى التعليم .

(٢) سبق الخبر فى ص ٨٥ .

(٣) رمله بالدم : لطخه وضرجه . حـ والتيمورية : « زملونى » تحريف . انظر اللسان (رمل ٣١٤) . وفى أمثال الميدانى : « ضرجونى » قال : « ويروى رملونى ، وهو مثل ضرجونى » .

(٤) هو داود بن على بن عبد الله بن العباس . قال ابن قتيبة فى المعارف ١٦٣ عند ذكر عمومة أبى العباس السفاح : « فأما داود فكان خطيبا جيلا ، يكنى أبا سليمان ، وولى مكة والمدينة لأبى العباس ، وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر . ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وله عقب » .

« شكراً شكراً . أمَا والله ما خرجْنا لنحتفِر فيكم نهراً ، ولا لنبنى قصراً[١] . أظَنّ عدوُّ الله أنْ لن نظفر به أنْ أُرْخِى له فى زِمَامِه ، حتّى عثَر فى فضل خِطامِه . فالآن عاد الأمر فى نِصابه ، وطلَعت الشّمسُ من مطلِعها ؛ والآنَ أخَذَ القوسَ باريها ، وعادت النَّبلُ إلى النَّزَعة[٢] ، ورجع الحقُّ إلى مستقرِّه ، فى أهل بيت نبيِّكم : أهلِ بيت الرّأفة والرحمة » .

ومن خطباء بنى هاشم : عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد :

« أى بُنَىَّ ، إنى مؤدٍّ إليك حقّ الله فى تأديبك ، فأدِّ إلىَّ حقّ الله فى حسن الاستماع . أى بُنَىَّ ، كُفَّ الأذى ، وارفُض البَذَا ، واستعِنْ على الكلام بطُول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسُك فيها إلى القول ؛ فإنّ للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصّواب . واحذَرْ مَشورةَ الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر مشورةَ العاقل إذا كان غاشًّا ، أن يُوَرِّطَاك بمشورتهما ، فيسبقَ إليك مَكرُ العاقل ، وغَرارة الجاهل » .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استثقل سهلَ بن هارون ، فدخل عليه سهلٌ يوما والنّاسُ عندَه على منازلهم ، فتكلّم المأمونُ بكلامٍ فذهَبَ فيه كلَّ مذهب ، فلمّا فرغ المأمونُ من كلامه أقبل سهلُ بن هارونَ على ذلك الجمعِ فقال:

« مالَكُمْ تسمعون ولا تَعُون ، وتشاهدون ولا تَفْهَمُون[٣] ، وتنظرون ولا تُبصِرون . والله إنّه لَيفعلُ ويقول فى اليوم القصير مثلَ ما فعل بنو مروان

(١) فيما عدا ل : « فيكم قصرا » .
(٢) كلمة « والآن» فى ل فقط . النزعة : الرماة واحدهم نازع .
(٣) بعدها فيما عدا ل : « وتفهمون ولا تتعجبون » وأراها مقحمة .

وقالوا فى الدّهر الطويل . عَرَبُكم كعجمهم ، وعجمكمُ كعَبيدهم[1] ، ولكن كيفَ يعرف الدّواء مَن لايشعر بالدّاء » .

قال : فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرّأى الأوّل .

ومن خطباء بنى هاشم [ثمّ] من ولد جعفر بن سليمان[2] : سليمان بن جعفر والى مَكّة . قال المكىّ : سمعتُ مشايخنا من أهل مكّة يقولون : إنّه لم يَرِدْ عليهم أميرٌ منذُ عقَلوا الكلام إلاّ وسليمانُ أبيَنُ منه قاعداً ، وأخطَبُ منه قائما .

١٩٨ وكان داودُ بن جعفرٍ إذا خطبَ اسحنفرَ فلم يردَّه شىء[3] ، وكان فى لسانه شبيهٌ بالرُّتّة[4] .

وكان أيّوبُ[5] فوقَ داودَ[6] فى الكلام والبيان ، ولم تكن له مقاماتُ داودَ فى الخُطَب .

وقال إسحاق بن عيسى[7] لداودَ بنِ جعفر : بلغنى أنّ معاوية قال للنخّار ابن أوس : ابغِنِى محدِّثا[8] ؟ قال : ومعى يا أمير المؤمنينَ تريد محدِّثا ، قال : نعم ، أستريح منك إليه ، [ومنه إليك] ، وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتُك فى حالٍ من الحالات أوفقَ لى من كلامك .

---

(١) ل : « عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم » .

(٢) جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، ويكنى أبا عبد الله . انظر ٣٢١.

(٣) اسحنفر الخطيب : اتسع فى كلامه ومضى .

(٤) الرتة ، كقوة : العجمة والحكلة فى الكلام .

(٥) هو أيوب بن جعفر ، سبقت ترجمته فى ٩١ ، ١٠٦ .

(٦) ل : « قرن داود » لعلها « فويق داود » .

(٧) إسحاق بن عيسى بن أبى جعفر المنصور . وقد سبق فى ٣٠٢ . فيما عدا ل : « عيسى ابن إسحاق » تحريف .

(٨) يقال ابغنى ، بهمزة الوصل من الثلاثى ، أى اطلبه لى ، ومثله ابغ لى . ويقال أيضا « أبغنى » بالقطع من الرباعى ، أى أعنى على بغائه واطلبه معى .

وكان إسماعيل بن جعفر ، من أرقّ[١] الناس لسانًا ، وأحسنِهم بيانا .

ومن خطباء بنى هاشم : جعفر بن حسن بن الحسن بن على ، وكان أحَدَ من ينازع زيداً فى الوصيّة ، فكان النّاس يجتمعون ليسمعوا مجاوباتِهما فقط .

وجماعةٌ من ولد العبّاس فى عصرٍ واحد ، لم يكن لهم نُظَراء فى أصالة الرأى وفى الكمال والجلالة ، وفى العلم بقريشٍ والدّولة ، وبرجال الدّعوة ، مع البيان العجيب ، والغور البَعيد ، والنفوس الشريفة ، والأقدار الرفيعة ؛ وكانوا فوقَ الخطباء ، وفوق أصحاب الأخبار ؛ وكانوا يَجِلُّون عن هذه الأسماء إلا أن يَصِفَ الواصفُ بعضَهم ببعضِ ذلك .

منهم عبد الملك بن صالح[٢] . قال : وسأله الرّشيدُ وسليمانُ بن أبى جعفرٍ وعيسى بن جعفرٍ شاهدان ، فقال له : كيف رأيتَ أرضَ كذا وكذا ؟ قال : « مَسافِي رِيح ، ومنابت شِيح » . قال : فأرضَ كذا وكذا . قال : « هِضابٌ حُمْر ، وبِراث عُفْر » . قال : حتّى أتى على جميع ما أراد . قال : فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغى لنا أن نَرضى لأنفسنا بالدُّون من الكلام .

الهَضْبة : الجبل يَنبسط على الأرض ، وجمعها هَضْبٌ[٣] . والبِراثُ : الأماكن اللَّيِّنة السهلة ، واحدها بَرْثٌ . وقوله عُفرٌ ، أى حمرتُها كحمرة التّراب . والظبى الأعفر : الأحمر ؛ لأنّ حمرتَه كذلك . والعَفَر والعَفْر التُّراب ؛ ومنه قيل : ضربه حتّى عفّره ، أى ألحقه بالتُّراب .

---

(١) فيما عدا ل : « أدق » بالدال .

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس ، ولى الموصل للهادى سنة ١٦٧ وعزله الرشيد ١٧١ ثم ولاه المدينة وبلغه أنه يطلب الخلافة فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ . ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ فأقام بالرقة إلى أن توفى سنة ١٩٦ . فوات الوفيات (٢ : ١٢) وتاريخ الطبرى فى السنوات المذكورة .

(٣) فيما عدا ل : « هضاب » وكلاهما جمع هضبة .

ومن هؤلاء عبد الله بن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر . هؤلاء كانوا أعلمَ بقريشٍ وبالدّولة وبرجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

١٩٩ وكان إبراهيم بن السِّنْدِيِّ[1] يحدّثني عن هؤلاء بشيء هو خلافُ ما في كتب الهيثم بن عديّ وابنِ الكلبيّ . وإذا سمعته علمتَ أنّه ليس من المؤلَّف المزوَّر[2] .

وكان عبد الله بن عليّ ، وداود بن عليّ يُعْدَلان بأُمّةٍ من الأمم .

ومن مواليهم : إبراهيم ونصر ابنا السّنديّ .

فأمّا نصرٌ فكان صاحبَ أخبارٍ وأحاديث ، وكان لا يعدو حديثَ ابنِ الكلبيّ والهيثمِ بن عدي .

وأمّا إبراهيم فإنّه كان رجلاً لا نظير له : كان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان نحويّا عَروضيّا ، وحافظا للحديث ، راويةً للشعر شاعرا ، وكان فخمَ الألفاظ شريفَ المعاني ، وكان كاتب القلَم كاتب العمَل ، وكان يتكلم بلسانِ رؤبة[3] ، ويعمل في الخَراج بعمل زَاذَانَ فَرُّوخَ الأعور[4] ، وكان منجّما طبيباً وكان من رؤساء المتكلّمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدّعوة ؛ وكان أحفظَ الناس لما سَمِع ، وأقلَّهم نوماً وأصبرَهم على السّهر .

---

(١) سبقت ترجمته في ص ١٤١ .

(٢) زور الكلام : قومه وأتقنه قبل أن يتكلم به .

(٣) فيما عدا ل : « بكلام رؤبة » .

(٤) زاذان فروخ ، كان دهقانا من الدهاقين القائمين على أمر الخراج في أيام عبيد الله بن زياد حين ولايته البصرة . انظر الطبري (٧ : ٢٩) . ويبدو أنه امتد به الأمر في ذلك إلى زمان الحجاج . الطبري (٧ : ٢٧١) ، وانظر كذلك (٦ : ٦٧) .

ومن خطباء تميم : جَحْدَب[١] . وكان خطيبا راوية ، وكان قضى على جريرٍ فى بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبَح الإلٰه ولا يقبّح غـــيرَه ... بَظْراً تَفَلَّق عن مفارق جَحْدَبِ

وهو الذى كان لقيه خالدُ بن سلمة المخزومىّ الخطيب النابه ، فقال : والله ما أنتَ من حنظلةَ الأكرمِين ، ولا سعدِ الأكثرين ، ولا عمرٍو الأشدِّين ، ومافى تميمٍ خيرٌ بعد هؤلاء . فقال له جحدب : والله إنّك لمن قريش ، وما أنت من بيتها ولا نُبُوَّتِها ، ولا من شُوارها وخلافتها ، ولا من أهل سِداتها وسِقايتها .

وهو شبيهٌ بما قال خالدُ بن صفوان ، للعبدرىّ[٢] ؛ فإنه قال له : «هَشَمتك هاشم ، وأمّتك أُميّة ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عَبد دارها ، ومنتهى عارِها ، تفتح لها الأبواب إذا أقبلَتْ ، وتُغلقها إذا أدبرت » .

* * *

ومِن ولَد المنذر : عبدُ الله بن شُبرُمة بن طُفيل[٣] بن هُبيرة بن المنذر . وكان فقيهاً عالما قاضياً ، وكان راويةً شاعرا ، وكان خطيباً ناسبا ، وكان لاجتماع هـذه الخِصَال فيه يُشَبَّه بعامرٍ الشّعبىّ ، وكان يُكْنى أبا شُبرُمة . وقال يحيى بن نوفلٍ[٤] فيه :

---

(١) جحدب ، ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١١٥ . وقال : « وكان لجحدب بالكوفة قدر » وذكر أنه كان شاعراً ، هو والتيم السرندى ، وعلقة ، كانوا يجتمعون على هجاء جرير ، فهجاهم هو جميا بقوله :

عض السرندى على تفليل ناجذه ... من أم علقة بظراً غمه الشعر
وعض علقة لا يألو بعرعرة ... من بظر أم السرندى وهو منتصر

(٢) العبدرى : رجل منسوب إلى عبد الدار بن قصى .

(٣) تقدمت ترجمته فى ٩٨ . وفى نسبه خلاف .

(٤) يحيي بن نوفل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، ذكره الجاحظ فى مواضع كثيرة من الحيوان والبيان .

لما سألتُ النّاسَ أين المكرُمَهْ والعِـــزُّ والجُرْثومةُ المُقدَّمه[١]

وأين فاروقُ الأمورِ المحكَمَهْ[٢] تتابعَ النّاسُ على ابن شُــبرُمَه

وابن شُبرمة الذى يقول فى ابن أبى ليلى[٣] :

وكيف تُرجَّى لفصــل القضاء ولم تُصِبِ الُحكم فى نفســكا[٤]

وتزعُمُ أنّك لابن الُجلاحِ وهيهات دعواكَ مِن أصلكا[٥]

قال : وقال رجلٌ من فقهاء المدينَة : مِن عندنا خرجَ العلم . قال : فقال ابن شبرمة نَعم ثم لم يَرجعْ إليكم .

قال : وقال عيسى بن موسى[٦] : دُلُّونى على رجلٍ أُولِّيه مكانَ كذا وكذا. فقال ابن شبرمة : أصلح الله الأمير ، هل لك فى رجلٍ إنْ دعوتموه أجابكم ، وإن تركتموه لم يأتِكم ؛ ليس بالُملحِّ طلباً ، ولا بِالمُمعِن هربا[٧] ؟

وسُئِل عن رجلٍ ، فقال : إنَّ له شرَفاً و بيتا وقَدَما[٨] . فنظروا فإذا هو ساقط من السَّفلة . فقيل له فى ذلك ، فقال : ما كذبتُ ، شرفه أُذُناه ، وقدمُه التى يمشى عليها ، ولابدَّ من أن يكون له بيتٌ يأوى إليه .

---

(١) الجرثومة : الأصل . والرجز فى الحيوان (٣ : ٤٩٤) بدون نسبة .

(٢) الفاروق : الذى يفرق ويفصل . ب فقط : « فارق » .

(٣) ابن أبى ليلى ، هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، واسم أبى ليلى يسار . ولى محمد القضاء لبنى أمية ثم لبنى العباس ، وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى فى المعارف ٢١٧ .

(٤) البيتان فى المعارف ٢١٦ .

(٥) ابن الجلاح ، هو أحيحة بن الجلاح . وفى المعارف : « وهو من ولد أحيحة بن الجلاح وكان ابن شبرمة القاضى وغيره يدفعونه عن ذلك » .

(٦) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد ولاة العباسيين وقوادهم ، وموسى أبوه هو أخو السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٧) ل : « بالممتنع هربا » صوابه فى سائر النسخ .

(٨) القدم : التقدم والمنزلة الرفيعة .

قال أبو إسحاق[١] : قد لعمرى كَذَب[٢] ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعضُ من أراد تزويج حُرمتـه عن رجل ، فقال : « هو يبيع الدّوابّ » . فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبتُ ؛ لأنّ السنّور دابّة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ، هذا مثل قول القائل حين سُئِل عن رجلٍ فى تزويج امرأة فقال : « رزين المجلس ، نافذ الطّعنة » . فحسِبوه سيّداً فارسا ، فنظروا فوجدوه خَيّاطا ! فسئل عن ذلك فقال : ما كذبت ؛ إنّه لطويل الجلوس ، جيِّد الطعن بالإبرة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ؛ لأنه قد غرّهم منه .

وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يُسْلِفه مالاً عظيما ، فقال : « هو يملك مالاً ما كان يبيعـه بمائة ألف ومائة ألف » ، فلمّا بايعه الرجل وجده مُعْدِما ضعيف الحيلة ، فلما قيل له فى ذلك * قال : ما كذبت ؛ لأنه يملك عينيه وأذنيه ٢٠١ وأنفه وشفتيه ويديه[٣] . حتى عدّ جميع أعضائه وجوارحه .

ومَن قال للمستشير هـذا القولَ فقد غرّه ، وذلك مالا يحلُّ فى دين ، ولا يحسُن فى حُرِّيّة[٤] . وهـذا القول معصيةٌ لله ؛ والمعصيةُ لا تكون صِدقا . وأدنَى منازلِ هـذا الخبرِ أن لا يُسمَّى صدقا ، فأمّا التسمية له بالكذب فإن فيها كلاماً يطول .

* * *

---

(١) أبو إسحاق ، هو إبراهيم بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ وأحد رءوس المعتزلة ، وإليه تنسب الفرقة النظامية . توفى فى خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر آراءه فى الملل (١ : ٦٧) والمواقف ٦٢١ والفرق بين الفرق ١١٣ .

(٢) فيما عدا ل : « بل كذبت » موضع : « قد لعمرى كذب » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل .

(٤) فيما عدا ل : « الحرية » .

ومن الخطباء المشهورين فى العوامّ ، والمقدَّمين فى الخواص : خالد بن صفوان الأهتمى[١] ، زعموا جميعاً أنه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين[٢] ، وكان من سُمّارِه وأهل المنزلة عنده ، ففخر عليه ناسٌ من بَلْحارِثِ بن كعب ، وأكثروا فى القول ، فقال أبو العباس : لِمَ لا تتكلَّم يا خالد ؟ فقال : أخوال أمير المؤمنين وأهلُه[٣] . قال : فأنتم أعمامُ أمير المؤمنين وعصبَتُه فقُلْ[٤] . قال خالد : « وما عَسى أن أقولَ لقومٍ كانوا بين ناسِجِ بُردٍ ، ودابغ جِلدٍ ، وسائِسِ قرد ، وراكب عَرْدٍ[٥] ؛ دلَّ عليهم هُدهدٌ ، وغرّقتهم فأرة ، وملَكتهم امرأة » . فلئن كان خالدٌ قد فكَّر وتدبَّر هذا الكلامَ إنّه للرّاوية الحافظ ، والمؤلِّف المُجيد . ولئن كان هذا شيئاً حَضَرَه حين حُرِّكَ وبُسِط فمالَهُ نظيرٌ فى الدنيا .

فتأمَّلْ هذا الكلامَ فإنك ستجده مليحاً مقبولا ، وعظيمَ القَدْر جليلا . ولو خَطب اليمانيُّ بلسان سحبانِ وائل حَولاً كَرِيتا[٦] ، ثمّ صُكّ بهذه الفقرة ما قامت له قائمة .

وكان أذكَرَ النّاسِ لأوّل كلامه ، وأحفظَهم لكلِّ شىء سَلَفَ من منطقه .

وقال مكّىُّ بنُ سَوادةَ[٧] فى صفته له :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٤ . ونسبته إلى جده « الأهتم » .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية ، المتوفى سنة ١٣٦ وله ثلاث وثلاثون سنة . وفى المعارف ١٧٧ فى ترجمة خالد بن صفوان أنه عمر إلى أن حادث أبا العباس . وانظر الحيوان (٢ : ١٧٠) .

(٣) ذلك أن أم السفاح ، واسمها ريطة ، من بنى الحارث بن كعب . انظر التنبيه والإشراف ٢٩١ . فيما عدا ل : « وعصبته » ، تحريف ؛ إذ عصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه .

(٤) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل .

(٥) العرد ، بالفتح : الحمار ، ذكره فى القاموس ولم يرد فى اللسان . والخبر فى الحيوان (٦ : ١٥٢) وذكر فيه أن الخليفة هو المهدى . والمهدى هو ابن أبى جعفر المنصور أخى السفاح ، وكنية المهدى « أبو عبد الله » . وما فى معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) يطابق ما فى البيان . وذكر ياقوت أن اليمانى الذى فخر على خالد هو إبراهيم بن مخرمة .

(٦) حول كريت : تام .　　(٧) سبقت ترجمته فى ص ٣ .

عليمٌ بتنزيل الكلام ملقَّنٌ ذكورٌ لما سَدَّاه أوّلَ أوّلا[١]

يبذّ قَرِيعَ القوم فى كلِّ محفلٍ وإن كان سحبانَ الخطيبَ ودَغفلا[٢]

ترى خُطباء النّاس يوم ارتجاله كأنَّهم الكِرْوان عايَنَّ أجْدَلا

الكِرْوان : جمع كَرَوان ، وهو ذكر الحبارَى . والأجدل : الصَّقر .

وكان يعارض شَبيب بنَ شَيبة ؛ لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصِّناعة ، فذكر شبيبٌ مرّةً عنده فقال : « ليس له صديقٌ فى السِّرّ ، ولا عدوٌّ فى العلانية[٣] » . وهذا[٤] كلامٌ ليس يعرِف قدْرَه إلاّ الرّاسخون فى هذه الصناعة . ٢٠٢

وكان خالدٌ جميلا ولم يكُنْ بالطَّويل ، فقالت له امرأتُه[٥] : إنّك لجميلٌ يا أباصفوان . قال : وكيف تقولين هذا ومافىَّ عَمود الجمال ولارداؤُه ولا بُرنُسه . فقيل له : ما عَمود الجمال ؟ فقال : الطُّول ، ولستُ بطويل ؛ ورداؤه البياض ، ولست بأبيض ؛ وبرنسه سواد الشَّعر ، وأنا أشمط ؛ ولكن قُولى : إنّك لمليح ظريف .

وخالدٌ يعد فى الصُّلْعان . ولكلام خالدٍ كتابٌ يدور فى أيدى الورّاقين[٦] .

***

وكان الأزهر بن عبد الحارث بن ضِرار بن عمرٍو الضبىّ[٧] ، عالما ناسبا .

---

(١) سداه ، أى نسجه . وفى اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قيل سدى بينهم » .

(٢) يبذ : يغلب ويسبق . والقريع : السيد والرئيس .

(٣) الخبر فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) .

(٤) ل والتيمورية : « وها هنا » .

(٥) فيما عدا ل : « امرأة » .

(٦) للمدائنى كتاب فى خالد بن صفوان ، ولعبد العزيز الجلودى كتاب فى أخبار خالد ابن صفوان . انظر ابن النديم ١٥١ ، ١٦٧ .

(٧) سبقت ترجمة جده ضرار بن عمرو فى ص ٢١ .

ومن خطباء بنى ضَبّة : حنظلة بن ضرار[١] ، وقد أدرك الإسلام وطال عُمره حتّى أدركَ يومَ الجمل ، وقيل له : ما بَقِى منك ؟ قال : « أذكر القديم وأنسَى الحديث ، وآرَقُ بالّليل ، وأنامُ وسْطَ القوم » .

ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم : مَنْجُور بن غَيْلان بن خَرَشَةَ[٢] ، وكان مقدَّما فى المنطق ، وهو الذى كتب إلى الحجاج : « إنّهم قد عَرَضوا علىَّ الذّهبَ والفِضّة ، فما ترى أن آخُذَ ؟» قال :«أرى أن تأخذ الذّهَب». فذهب عنه هاربا ثم قتله بَعدُ وذكره القُلَاخُ بن حَزنٍ المِنْقرِى[٣] فقال :

أمثالُ منجورٍ قليلٌ ومِثلُه فَتى الصِّدق إن صَفّقته كلَّ مَصْفَقِ[٤]
وما كنتُ أشرِيه بدُنْيا عريضةٍ ولا بابنِ خال بين غربٍ ومشرقِ[٥]
إذا قال بَذَّ القائلين مقالُهُ ويأخُذُ من أكفائِهِ بالمُخَنَّقِ

***

ومن الخطباء الخوارج ، قَطَرِىُّ بنُ الفُجاءَةِ[٦] ، وله خطبةٌ طويلة

---

(١) ترجم له ابن حجر فى الإصابة ٢٠٠٣ ونقل بعض كلام الجاحظ .

(٢) فى القاموس (نجر) : « ومنجور بن غيلان مهجو جرير » . انظر ديوان جرير ٢٣٢ . وذكره الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٢١٠) فى العلماء بالنسب . وذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١٢٠ ، كما ذكر أباه غيلان بن خرشة الذى يقول فيه : « كان سيد بنى ضبة بالبصرة » .

(٣) فى الاشتقاق ١٥٣ : « والقلاخ من القلخ ، وهو أن يردد الفحل صوته فى جوفه » وهو القلاخ بن حزن بن جناب بن جندل بن منقر ، وهو معدود من الرجاز . انظر المؤتلف ١٦٨ والاشتقاق ١٥٣ .

(٤) هو من قولهم صفقت الريح الشىء وصفقته ، بالتخفيف والتشديد ، إذا قلبته يمينا وشمالا .

(٥) أشريه ، أى أبيعه ، والشراء من الأضداد .

(٦) قطرى بن الفجاءة ، واسم الفجاءة جعونة بن مازن المازنى . كان قطرى زعيما من الخوارج ، خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولى العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير . وكانت ولاية مصعب سنة ٦٦ فبقى قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش وهو يستظهر عليهم . وقطرى ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى بلده ، وهو بين البحرين وعمان . وفيات الأعيان .

مشهورة[١] ، وكلامٌ كثير محفوظ ، وكانت له كنيتان : كنية فى السِّلم ، وهى أبو محمد ؛ وكنيةٌ فى الحرب ، وهى أبو نعامة .

وكانت كنية عامر بن الطُّفَيل فى الحرب غير كُنيته فى السلم : كان يكنى فى الحرب بأبى عقيل ، وفى السِّلم بأبى علىّ .

وكان يَزيد بن مَزْيد[٢] يُكنَى فى السِّلم بأبى خالد ، وفى الحرب بأبى الزُّبير .

وقال مُسلم بن الوليد الأنصارىّ :

لولا سيوفُ أبى الزبير وخيلُه ... نشرَ الوليد بسيفه الضَّحّا كا[٣]

٢٠٣ وفيه يقول :

لولا يزيدُ وأيامٌ له سلفت ... عاشَ الوليد مع العاوين أعواما[٤]
سَلّ الخليفةُ سيفاً من بنى مَطَرٍ ... يَمضِى فيَخترق الأجسامَ والهاما[٥]
إذا الخلافةُ عُدّت كنتَ أنتَ لها ... عِزًّا وكان بنو العباس حُكّاما

ألا تراه قد ذكَرَ قتْلَ الوليد .

وقد كان خالدُ بن يزيد[٦] اكتَنى بها فى الحرب ، فى بعض أيّامه بمصر .

---

(١) ستأتى خطبته فى (١ : ٣١٠) من أرقام الأصل .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر الشيبانى ، وهو ابن أخى معن بن زائدة . أمير شجاع ، ندبه هارون لقتال الوليد بن طريف الشيبانى الشارى الخارجى ، فقتله وعاد إلى أرمينية حيث كان واليا عليها . توفى سنة ١٨٠ . ابن خلكان .

(٣) الوليد هو الوليد بن طريف الشارى . خرج على الرشيد سنة ١٧٨ وقتله يزيد ابن مزيد سنة ١٧٩ . والضحاك ، هنا ، هو الضحاك بن قيس الشيبانى ، أحد زعماء الخوارج الشجعان ، سار إلى العراق واستولى على الكوفة سنة ١٢٧ وبلغ جيشه مائة وعشرين ألفا وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصليا خلفه . انظر ما سيأتى فى كلام الجاحظ . وقتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨ . الطبرى (٩ : ٥٧ — ٧٧) .

(٤) فيما عدا ل : « ومقدار له سبب » وهى رواية ابن خلكان (٢ : ٢٨٤) . فيما عدا ل : « مع الغاوين » ولعل صوابهما « مع العامين » كما هو عند ابن خلكان ؛ فإن الوليد ظل عامين محاربا ، كما سبق القول .

(٥) فيما عدا ل : « يخترق الأرواح » .

(٦) يعنى خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى .

وهذا البابُ مستقصًى مع غيره فى أبواب الكُنَى والأسماء ، وهو واردٌ عليكم إن شاء الله .

ومن خطباء الخوارج ابن صُدَيقة[١] ، وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صُدَيقة ، وكان صُفْرِيًّا[٢] ، وكان خطيباً ناسبا ، ويَشُوب ذلك[٣] ببعض الظَّرف والهَزل .

ومن علماء الخوارج : شُبَيل بن عَزْرَةَ الضُّبَعى[٤] ، صاحب الغريب . وكان راويةً خطيبا ، وشاعرا ناسبا ، وكان سبعين سنةً رافِضيًا ثم انتقل خارجيًا صُفْرِيًّا .

ومن علماء الخوارج : الضَّحاك بن قيس الشَّيبانى ، ويكنى أبا سعيد ، وهو الذى مَلكَ العراق ، وسار فى خمسين ألفاً ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصَلَّيا خلفه . وقال شاعرهم[٥] :

أَلم تَرَ أَنَّ الله أظهــر دينه   وَصَلَّت قريشٌ خَلف بكر بن وائل

* * *

---

(١) كذا ضبط فى الأصل ، وهو ل .

(٢) الصفرية : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيادية أيضا ، وقولهم كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم وهم يرون ذلك . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٨٣) والفرق ٧٠ والسمعانى ٣٥٤ والمواقف ٦٣٠ ومفاتيح العلوم ١٩ والكامل ٦٠٤ ليبسك .

(٣) فيما عدا ل : « ويشوبه » .

(٤) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٣ : « شبيل » بن عزرة العلامة ، كان فصيحا عالما شريفا ، مات بالبصرة ، وأدرك دولة بنى العباس ، وكان يرى رأى الخوارج » . وذكره فى الفهرست ٦٨ قال : « من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وهو صاحب قصيدة الغريب ، وكان أولا رافضيا نحو سبعين ، ثم انتقل إلى الشراة وقال :

برئت من الروافض فى القيامه   وفى دار المقامة والسلامه » .

وشبيل بهيئة التصغير ، وعزرة بفتح العين . انظر تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب .

(٥) هو شبيل بن عزرة الضبعى . الطبرى (٩ : ٦٤) .

وكان ابن عطاء الليثي يسامر الرشيد ، وكان صاحبَ أخبار وأسمار[١] وعلمٍ بالأنساب ، وكان أظرَف الناس وأحلاهم .

وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز[٢] ، راويةً ناسبا عالما بالعربيّة فصيحا .

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر[٣] مِن أبيَن النّاس وأفصحِهم . وكان مَسلَمةُ بنُ عبد الملك[٤] يقول : إنّى لأُنحِّى كَورَ العِمامة عن أُذُنِىَ لأسمعَ كلام عبدِ الأعلى .

وكانوا يقولون : أشبه قريشٍ نَغمَةً وجهارة بعمرو بن سعيد[٥] ، عبدُ الأعلى ابن عبد الله بن عامر[٦] .

قال : وقال بعضُ الأمراء — وأظنُّه بلالَ بنَ أبى بُردة — لأبى نوفلٍ الجارودِ بن أبى سَبْرة[٧] : ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عِندَه ؟ قال : يشاهدنا بأحسن استماع ، وأطيَب حديث[٨]، ثم يأتى الطبّاخ فيمثُل بين يدَيه[٩] * فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندى لونٌ كذا وجدىٌ كذا ، ودَجاجةٌ كذا ، ٢٠٤ ومن الحلواء كذا . قال : ولِمَ يَسألُ عن ذلك ؟ قال : ليقصُرَ كلُّ رجلٍ عمّا لا يشتهى ، حتّى يأتيَه ما يشتهى . ثمّ يأتون بالخُوان فيتضايق ونَتّسع ، ويقصُر

---

(١) أصل السمر الحديث ليلا ، ولكنه يراد به فى مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين فى الفهرست (المقالة الثامنة) . وانظر الحيوان (٣ : ٢١٢) .

(٢) سبقت ترجمة والده فى ٣١٨ .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ، أبو عبد الرحمن البصرى . وكان مشهورا بالجود . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٩٢ .

(٥) مضت ترجمته فى ص ٣١٤ .

(٦) هذه الفقرة من ل فقط .

(٧) ترجم فى ص ٣٢٩ .

(٨) فيما عدا ل : « وأحسن حديث » .

(٩) فيما عدا ل : « بين عينيه » .

ونجتهد ، فإذا شبعنا خَوَّى تخوية الظَّليم (١) ، ثم أقبَلَ يأكل أكلَ الجائع المقرور .

قال : والجارود هو الذى قال : « سوء الخُلُق يُفسِد العمل ، كما يفسد الخَلُّ العسل » . وهو الذى قال : « عليكم بالمِرْبَد (٢) ؛ فإنه يطرد الفِكَرَ ، ويجلو البصَر ، ويجلب الخَبَر ، ويجمع بين ربيعة ومُضَر » .

قال : وصعد عثمانُ المنبرَ فأُرتِجَ عليه ، فقال : « إنّ أبا بكرٍ وعُمر كانا يُعِدّان لهذا المقامِ مقالا ، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوَجُ منكم إلى إمامٍ خطيب ، وستأتيكم الخُطَب على وجهها وتعلمون إن شاء الله » .

قال : وشخص يزيدُ بن عُمَرَ بنِ هبيرةَ إلى هشام بن عبد الملك فتكلم ، فقال هشام : ما مات مَن خَلَّف هذا . فقال الأبرش الكلبىّ (٣) : ليس هناكِ ، أمَا تراه يَرشَح جبينُه لِضِيق صدرِه ! قال يزيد : ما لذلك رَشَح ولكنْ لجلوسك فى هذا الموضع .

وكان الأبرشُ ثَلاَّبة نسَّابة ، وكان مصاحباً لهشامِ بن عبد الملك ، فلمَّا أفضت إليه الخلافةُ سجَدَ وسجد مَن كان عنده من جُلسائه ، والأبرش شاهدٌ لم يسجُد . فقال له : ما منعك أن تسجُدَ يا أبرش ؟ قال : ولِمَ أسجُدُ وأنت اليومَ معى ماشياً ، وغداً فوق طائرا . قال : فإن طرتُ بك معى ؟ قال : أتراك فاعلا ؟ قال : نَعم . قال : الآنَ طاب السُّجود (٤) .

قال : ودخل يزيدُ بن عمر (٥) على المنصور وهو يومئذ أميرٌ ، فقال : « يأيُّها

---

(١) الظليم : ذكر النعام . والتخوية: أن يفرج ما بين عضديه وجنبيه . وهى من الطائر أن يرسل جناحيه .

(٢) المربد : سوق من أسواق العرب ، بالقرب من البصرة .

(٣) اسمه الأبرش بن حسان ، كما سيأتى فى (٢ : ١٦) من أرقام الأصل . وكان ذا منزلة عند هشام . يروى أبو الفرج فى (٢ : ١١٧) أنه حج مع هشام فكان عديله فى محمله .

(٤) فيما عدا ل : « فالآن » .

(٥) هو يزيد بن عمر بن هبيرة المترجم فى ١٩٩ .

الأمير، إنّ عهدَ الله لا يُنكَث، وعَقدَه لا يُحلّ، وأنّ إمارتكم بكرٌ فأذيقوا الناسَ حلاوتَها، وجنِّبوهم مرارتَها».

قال سهلُ بن هارون: دخل قُطربٌ النحويُّ على المخلوع[١] فقال: يا أمير المؤمنين، كانت عِدَتُك أرفعَ من جائزتك ـ وهو يتبسّم ـ قال سهل: فاغتاظ الفضلُ بن الربيع، فقلت له: إن هذا من الحَصَر والضَّعف، وليس من الجَلَد والقوة. أما تراه يَفتِل أصابعَه، ويرشَح جبينُه.

قال: وقال عبدُالملك لخالد بن سلَمة المخزوميّ[٢]: مَن أخطبُ الناس؟ قال أنا.

قال: ثمّ من؟ قال: سيّد جُذَام — يعنى رَوح بن زِنباع[٣] — قال: ثم من؟ ٢٠٥
قال أُخَيفِش ثَقيف — يعنى الحجّاج — قال: ثم من؟ قال: أمير المؤمنين.
قال: ويحكَ، جعلتَنى رابع أربعةٍ. قال: نَعَم، هو ما سمعت.

ومن خطباء الخوارج وعُلمائهم ورؤسائهم فى الفُتيا، وشعرائهم، و[رؤساء] قَعَدِهم[٤]: عِمران بن حِطّان[٥]. ومن علمائهم وشعرائهم وخُطبائهم حَبيبُ بنُ خُدْرَةَ الهلالىّ[٦]، وعداده فى بنى شيبان.

---

(١) المخلوع، هو الخليفة محمد الأمين بن هارون. انظر خبر خلعه فى حوادث ١٩٦ من الطبرى وغيره من التواريخ.

(٢) سبقت ترجمته فى ٣٢٨.

(٣) كان أحد ولاة فلسطين أيام يزيد بن معاوية. الأغانى (١٧ : ١١١). وذكر الجاحظ فى الحيوان (١ : ٢٢٦) أن عبد الملك زوجه أم جعفر بنت النعمان بن بشير.

(٤) القعد: الخوارج الذين يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس، قال أبو نواس فى الخمر:

فكأنّى وما أحسن منها ... قعدى يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح إلى الحـ ... ـرب فأوصى المطيق ألا يقيما

(٥) ترجم فى ص ٤١.

(٦) ل: «بن جدرة» تصحيف، صوابه بالخاء المعجمة المضمومة. وفى القاموس: «وحبيب بن خدرة تابعى محدث».

ومِمّن كان يرى رأى الخوارج : أبو عبيدة النحوىّ ، مَعْمَر بن المثنَّى ، مولى تيم بن مُرّة . [و] لم يكن فى الأرض خارجىٌّ ولا جَماعىٌّ أعلم بجميع العلم منه .

ومِمّن كان يرى رأىَ الخوارج : الهيثم بن عدىّ الطائىّ ثم البحترىّ[(١)] .

ومِمّن كان يرى رأى الخوارج شُعيب بن رِئاب الحنفى ؛ أبو بكّار ، صاحب أحمد بن أبى خالد ، ومحمد بن حسان السَّكْسَكىّ[(٢)] .

ومن الخوارج مِن علمائهم ورؤسائهم : مسلم بن كُورِين[(٣)] ، وكنيته أبو عبيدة وكان إباضيًّا ، ومن علماء الصُّفْرية .

ومِمّن كان مَقنعاً فى الأخبار لأصحاب الخوارج والجماعة جميعاً : مُلَيل[(٤)] ، وأظنُّه من بنى تغلب[(٥)] . ومن أهل هذه الصفة أصفر بن عبد الرحمن[(٦)] ، من أخوال طَوق بن مالك .

ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم : المُقَعطل[(٧)] ، قاضى عسكر الأزارقة ، أيام قَطَرىّ .

ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم : عُبَيدة بن هلال اليشكرى[(٨)] .

---

(١) ترجم فى ص ٥٦ . وهو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر ابن عدى بن خالد بن خيثم بن أبى حارثة بن جدى بن تدول بن (بحتر) بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة ، وهو طيء .

(٢) نسبة إلى سكسك بن أشرس ، وهو أبو السكاسك من اليمن .

(٣) فيما عدا ل : « كرزين » تحريف ، وكورين بضم الكاف . انظر تاج العروس (كور) . وسيأتى فى (٢ : ٢٣٥) من أرقام الأصل أن مسلم بن كورين كان مولى لعروة ابن أذينة .

(٤) سيأتى فى (٢ : ٢٣٥) : « ومن علمائهم مليل وأصفر ابنا عبد الرحمن » .

(٥) التيمورية : « ثعلب » ب ، حـ : « ثعلبة » مع أثر تصحيح فيهما .

(٦) انظر الحاشية رقم ٤ هذه الصفحة . (٧) تقدم ذكره فى ص ٣٨ .

(٨) فى الفرق بين الفرق ٦٦ : « وكان عبيدة بن هلال اليشكرى قد فارق قطريا وانحاز إلى قومس ، فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه » . وفى الاشتقاق ٢٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفجاءة ، ثم ولى بعده أمر الخوارج . وهو الذى يقول فى حصارهم لما حاصرهم سفيان بن الأبرد الكلبى بالرى :

إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا ... تساوك هزلى مخهن قليل » .

وانظر ما مضى فى ص ٥٥ .

وكان فى بنى السَّمِين[1] من بنى شيبان[2] ، خطباء العرب ، وكان ذلك فيهم فاشياً ؛ ولذلك قال الأخطل :

فأينَ السَّمينُ لا يقومُ خطيبُها　　وأين ابن ذى الجَدَّينِ لا يتكلَّمُ[3]

وقال سُحَيم بن حفص[4] : كان يزيد بن عبد الله بن رؤَيم[5] الشيبانىّ مِن أخطب الناس ، خطب عند يزيد بن الوليد ، فأمَرَ للناس بعطاءين .

ومن الخطباء مَعبد بن طَوقٍ العنبرىّ ، دخل على بعض الأمراء فتكلَّمَ وهو قائمٌ فأحسن ، فلمَّا جلس تتعتَعَ فى كلامه[6] فقال له : ماأظرفَكَ قائماً ، وأموَقَكَ قاعدا ! قال : إنى إذا قمت جَدَدت ، وإذا قعدتُ هَزَلت . قال : ما أحسَنَ ما خرجتَ منها .

ومن خطباء عبد القيس مَصقلة بن رقَبة ، [ورقبة[7]] بن مَصقلة ، وكَرِب ٢٠٦
ابن رقبة .

والعرب تذكر مِن خطب العرب : «العجوز» وهي خطبةٌ لآلِ رَقَبة ، ومَتَى تكلَّموا فلا بدَّ لهم منها أو من بعضها . و « العذراء » وهى خطبة قيس بن خارجة لأنّه كان أبا عُذْرِها . و «الشَّوهاء» ، وهى خطبة سحبانِ وائل ، وقيل لها ذلك من حسنها ، وذلك أنّه خَطَب بها عند معاوية فلم ينشد شاعرٌ ولم يَخطُبْ خطيبٌ

---

(١) فى القاموس (سمن) : « وكأمير لقب عبد الله بن عمرو بن ثعلبة ؛ لأنه كان بين أخ وعم وعدد كثير » .

(٢) فيما عدا ل : « ومن بنى شيبان » .

(٣) ذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى ، سمى بذلك لأنه كان أسر أسيراً له فداء كثير . وابنه هو بسطام بن قيس المترجم فى ص ٣١ . انظر جنى الجنتين ١٥٧ .

(٤) ترجم فى ص ٤٠ .　　(٥) فيما عدا ل : « رؤبة » .

(٦) تتعتع : تردد من حصر أوعى . فيما عدا ل : تلهيع » أى أفرط .

(٧) التكملة مما سبق فى ص ٩٧ . وكلمة « بن مصقلة » من ل فقط . ولرقبة بن مصقلة أخبار متفرقة فى الكتاب .

وكان ابن عَمّار الطائىُّ[1] خطيبَ مَذحِج كلِّها ، فبلغ النّعمانَ حسنُ حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين ، أحمر الجِلد ، أحمر الشَّعَر ، وكان شديد العَربدة قَتّالاً للندماء ، فنهاه أبو قُرْدُودةَ الطائىُّ عن منادمته ، فلما قتله رثاه فقال :

إنِّى نهيتُ ابنَ عمَّـــارٍ وقلتُ له ... لا تأمَنَنْ أحمَرَ العينينِ والشَّعَرَه[2]
إنَّ الملوكَ مَتَى تنزِلْ بساحَتِهِمْ ... تَطِرْ بنارِكَ مِن نيرانهم شَرَرَه
ياجفنةً كإزاء الحَوْضِ قد هدَموا ... ومنطِقًا مثلَ وشى اليَمْنة الحِبَرَه

قال الأصمعىّ : وهو كقوله:

ومنطِقٍ خُرِّقَ بالعَوَاســـلِ[3] ... لَذٍّ كوَشى اليَمْنةِ المَرَاحِـــلِ[4]

***

قال[5] : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَو بنَ الأهتم عن الزِّبْرقان ابن بدر ، فقال : « إنّه لمانعٌ لحَوْزته ، مطاعٌ فى أَدْنَيْهِ » . قال الزِّبْرقان : إنّه يا رسول الله لَيعلمُ منِّى أكثَرَ مما قال ، ولكنه حَسَدنى شرَفِى ، فقصَّرَ بى . قال عَمْرو : «هو والله زَمِرُ المروءةَ ، ضيِّق العَطَن ، لئيم الخال» . فنظر النبى صلّى الله عليه وسلم فى عينيه فقال : « يا رسول الله ؛ رضيتُ فقلتُ أحسَنَ ما علمت ، وغضِبْتُ فقلتُ أقبحَ ماعلمت ، وما كَذَبْتُ فى الأولى ولقد صدقْتُ فى الآخِرة » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ من البيان لسحراً » .

***

(١) هو عمرو بن عمار الطائى المترجم فى ٢٢٢ .
(٢) الأبيات سبقت فى ٢٢٣ .
(٣) منطق ، أى صاحب منطق . والعواسل : الرماح اللدنة .
(٤) المراحل : التى نقش فيها تصاوير الرحال ، جمع مرحل ، بالتشديد .
(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى ٥٣ .

[قال] : وتكلَّمَ رجلٌ فى حاجة عنـد عمر بن عبد العزيز ، وكانت حاجتُه فى قضائها مشقّة ، فتكلَّمَ الرّجلُ بكلامٍ رقيق موجَز ، وتأتَّى لها ، فقال عُمر والله إنّ هذا لَلسّحرُ الحلال .

***

ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو بكرِ بنُ عبد الله بن محمد بن أبى سَبْرة(١) ، وكان القاضىَ قَبْلَ أبى يوسف .

ومن أصحاب الأخبار : أبو هُنَيدة وأبو نَعَامَة ، العَدَويّان . ٢٠٧

ومن الخطباء : أيُّوب بن القِرِّيَّةِ(٢) ، وهو الذى لما دخل على الحجاج قال له : ما أعددت لهذا الموقف قال : « ثلاثة حروف(٣) ، كأنَّهنّ ركبٌ وقوف : دُنيا وآخرةٌ ومعروف » ثم قال له فى بعض القول : « أقِلْنى عثرتى ، وأسغِنى رِيقى(٤) ؛ فإنه لا بُدّ للجواد من كَبوة ، وللسَّيف من نَبْوة ، وللحليم مِن هفوة » . قال : كَلاّ والله حتى أورِدَكَ نارَ جهنّم . ألستَ القائل بِرُسْتَقاباذ(٥) : تغدَّوْا الجَدْىَ قبل أن يتعشّا كم ؟

قال : ومن خطباء غطفان فى الجاهليّـة : خُوَيلِد بن عَمرٍو ، والعُشَراء(٦)

---

(١) أبو بكر هذا أحد من سمى بكنيته . وذكر ابن حجر فى التهذيب (١٢ : ٢٧) أن اسمه عبد الله ، أو محمد . وجده أبو سبرة صحابى شهد بدرا وكان أبو بكر يفتى بالمدينة ، ثم كتب إليـه فقدم بغداد فولى قضاء موسى الهادى بن المهدى وهو ولى عهد . ومات ببغداد سـنة ١٦٢ وهو ابن ستين فى خلافة المهدى ، فلما مات استقضى أبو يوسف مكانه . انظر التهذيب والمعارف ٢١٤ ، ٢٥٩ وتاريخ بغداد ٧٦٩٧ .

(٢) ترجمته مضت فى ص ٢٠ .

(٣) ل ، ب : « صروف » صوابها ما أثبت من حـ والتيمورية . وقد سبق الخبر فى ص ١١٢ .

(٤) أسغنى ريقى ، أى أمهلنى ولا تعجلنى . ل ، حـ : « واسقنى » تحريف .

(٥) يقال أيضا « رستقباذ » وهى من أرض دستوا بفارس .

(٦) فى الاشتقاق ١٧٢ : «ومن بنى مازن بن فزارة بنو العشراء» . ب : «القشراء» ل : « العشر » ، وأثبت ما فى حـ والتيمورية .

ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيّ بن مازن بن فزارة . وخويلدٌ خطيبُ يوم الفِجار .

ومن أصحاب الأخبار [والنسب والخطب] وأهل البيان : الوَضّاح بن خَيْثَمة ومن أصحاب الأخبار والنَّسبِ والخُطب والحُكم[1] عند أصحاب النُّفُورات[2] بنو الكَوّاء ، وإيّاهم يعنى مسكين بن أُنَيفٍ الدارميّ ، حين ذكر أهل هذه الطبَقة فقال :

كِلانا شاعرٌ من حَيِّ صِدقٍ ... ولكنّ الرّحَى فوقَ الثِّفالِ[3]
وحَكِّمْ دَغْفَلاً وارحلْ إليهِ ... ولا تَرِحِ المطىَّ من الكَلالِ
[تعال إلى بنى الكَوّاء يقضوا ... بِعِلْمِهِمِ بأنساب الرِّجال]
هُمُ إلى ابن مَذعور شِهاب ... يُنَبِّى بالسَّوافل والعَوالِى[4]
وعند الكَيِّسِ النمرى علمٌ ... ولو أضحى بمنخرَق الشَّمالِ[5]

ومن الخطباء القدماء : كعبُ بن لُؤَيّ ، وكان يخطب على العرب عامّة ، ويحضُّ كنانةَ على البرّ ، فلما مات أكبرُوا موتَه ، فلم تزل كنانةُ تؤرِّخ بموت كعب بن لُؤيّ إلى عام الفيل .

* * *

ومن الخطباء العلماء الأبيناء ، الذين جَرَوا من الخِطابة على أعْراقٍ قديمة[6] : شبيب بن شيبة ، وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور ، وقد كان

---

(١) فيما عدا ل : « والحكام » .

(٢) النفورة : الحكومة . وفى اللسان : « ونافر الرجل منافرة ونفارا : حاكمه . واستعمل منه النفورة كالحكومة . قال ابن هرمة :

يبرقن فوق رواق أبيض ماجد ... يدعى ليوم نفورة ومعاقل » .

(٣) الثفال ، بالكسر : ما وقيت به الرحى من الأرض .

(٤) فيما عدا ل : « تعال إلى » . (٥) سبق البيت فى ص ٣٢٢ .

(٦) انظر ما سيأتى فى ص ٢٠٩ من أرقام الأصل .

المنصور أقام صالحاً فتكلَّمَ ؛ فقال شبيب : « ما رأيتُ كاليوم أبْيَنَ بياناً ، ولا أجودَ لساناً ، ولا أربطَ جَناناً ، ولا أبلَّ ريقاً ، ولا أحسن طريقاً ، ولا أغمضَ عُروقاً(١) من صالح . وحُقَّ لمن كان أميرُ المؤمنين أباه ، والمهديُّ أخاه، أن يكون ٢٠٨
كما قال زهير(٢) :

يطلُب شأو امرأينِ قدَّما حسنا ... نالا المُلوكَ وبَذَّا هذه السُّوَقا(٣)
هو الجوادُ فإن يلحقْ بشأوِهما ... على تكاليفه فمثلُه لحِقا(٤)
أو يَسبِقاه على ما كان من مَهَلٍ ... فمثلُ ما قدَّماَ مِن صالح سَبقا(٥) »

قال : وخرج شبيبٌ من دار الخليفة(٦) يوماً فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجياً والخارجَ راضياً .

قال : وقال خالد بن صفوان : « اتَّقُوا مجانيقَ(٧) الضُّعفاء » ، يريد الدعاء .

قال : وقال شبيب بن شيبة : « اطلب الأدب فإنّه دليلٌ على المروءة ، وزيادةٌ في العقل ، وصاحبٌ في الغُربة ، وصِلَةٌ في المجلس » .

وقال شبيبٌ للمهديِّ يوماً : « أراكَ اللهُ في بَنِيكَ ما أرى أباكَ فيك ، وأرى اللهُ بنيكَ فيك ما أراكَ في أبيك » .

---

(١) أغمض ، من الغموض ، وهو الغؤور .
(٢) في مدح هرم . والأبيات في ديوان زهير ٥١ .
(٣) الشأو : السبق . بذا : غلبا . والسوق : جمع سوقة ، وهم أوساط الناس ، أو ما بين الملوك والأوساط .
(٤) في شرح ثعلب : تكاليفه : شدته ، الواحدة تكلفة . وفي اللسان : « وهي الكلف والتكاليف ، واحدتها تكلفة » . ومما هو جدير بالذكر أن الكوفيين يطردون زيادة الياء في هذا الجمع وحذفها .
(٥) المهل : التقدم . يقول : هو معذور إن سبقاه لأنهما أخذا مهلة قبله فتقدماه . والألف في « سبق » للإطلاق ، أي مثل فعلهما سبق .
(٦) في عيون الأخبار (١ : ٩١) : « دار الخلافة » .
(٧) المجانيق : جمع منجنيق ، وهي من آلات الرمي في القتال .

وقال أبو الحسن : قال زيد بن عليّ بن الحسين : « اطلُبْ ما يَعنيك واترُكْ ما لا يعنيك ؛ فإنّ فى ترك ما لا يعنيك دَرَكاً لما يَعنيك ، وإنما تَقْدم على ما قدَّمت ، ولست تَقدَم على ما أخَّرت . فآثِرْ ما تلقاه غداً ، على ما لا تراه أبداً » .

أبو الحسن ، عن إبراهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان : «ما الإنسان لولا اللِّسان إلاّ صورةٌ ممثّلة(١) ، أو بهيمة مهملة » .

أبو الحسن قال : كان أبو بكرٍ خطيبا ، وكان عمر خطيبا ، وكان عثمانُ خطيبا وكان عليٌّ أخطبَهم(٢) . وكان من الخطباء : معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وسليمان(٣) ، ويزيد بن الوليد ، والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء هاشم : زيد بن على ، وعبد الله بن الحسن ، وعبد الله بن معاوية ، خطباء لا يُجارَوْنَ . ومن خطباء النُّسّاك والعُبّاد : الحسن ابن أبى الحسن البصرىّ ، ومطرف بن عبد الله الحَرَشى(٤) ، ومُوَرِّق العجلى(٥) وبكر بن عبد الله المزنىّ(٦) ، ومحمد بن واسع الأزدىّ(٧) ، ويزيد بن أبان

(١) ل فقط : « مهملة » . وقد سبق الخبر فى ١٧٠ .

(٢) فيما عدا ل : « خطيباً » . (٣) ل : « ومروان بن سليمان » .

(٤) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير البصرى ، المترجم فى ١٠٣ . وقال السمعانى فى الأنساب ١٦٣ : « هذه النسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس . وأكثرهم نزل البصرة ، ومنها تفرقت إلى البلاد . وفى الأزد الحريش بن خزيمة بن الحجر بن عمران . قاله ابن حبيب . والمشهور بهذه النسبة مطرف بن عبد الله الحرشى » .

(٥) هو مورق بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة — بن مشمرج — بكسر الراء — بن عبد الله العجلى ، أبو المعتمر البصرى ، ثقة عابد من كبار الثالثة . مات بعد المائة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧٣) . ويحرف هذا الاسم فيجعل « مؤرق » بالهمز . انظر القاموس (ورق) .

(٦) ترجم فى ص ١٠٠ .

(٧) هو أبو بكر أو أبو عبد الله محمد بن واسع بن جابر الأزدى البصرى ، روى عن أنس ومطرف والأعمش وغيرهم . وكان أحد النساك العباد الزهاد . توفى هو ومالك بن دينار سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٩ وصفة الصفوة (٣ : ١٩٠) .

الرَّقاشى[١] ومالك بن دينار السّامىّ[٢] .

وليس الأمر كما قال ؛ فى هؤلاء القاصُّ المُجيدُ ، والواعظ البليغ ، وذو المنطق ٢٠٩ الوجيز . فأمّا الخطب فإنّا لا نعرف أحدا يتقدّم الحسنَ البصرىَّ فيها . وهؤلاء وإن لم يُسَمَّوْا خطباء فإنّ الخطيب لم يكن يشُقُّ غُبارهم .

أبو الحسن قال : حدَّثنى أبو سليمان الحِميرىّ قال : كان هشام بن عبد الملك يقول : إنّى لأستصفِقُ العمامةُ الرقيقة تكون على أذُنى إذا كان عندى عبد الأعلى ابن عبد الله[٣] ؛ مخافةَ أن يسقُطَ عنى من حديثه شىء .

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غَطَفَان : أبو البِلاد[٤] ، كان راويةً ناسبا ومنهم هاشم بن عبد الأعلى الفَزَارىّ . ومن الخطباء حفص بن معاوية الغَلاَبى[٥]، وكان خطيباً ، وهو الذى قال حين أشركَ سليمانُ بن علىّ بينه و بين مولى له على دار القتَبِ : « أشركتَ بينى و بين غير الكُفِىّ ، وولَّيتنى غير السنىّ » .

ومن بنى هلال بن عامر : زُرْعة بن ضَمْرة ، وهو الذى قيل فيه : « لولا غلوٌّ فيه ما كان كلامه إلاّ الذّهب » . وقام عند معاويةَ بالشّام خطيباً فقال معاوية : يا أهل الشام ، هذا خالى فائتونى بخالٍ مثلِه . وكان ابنُه النُّعمان بن زُرعة ابن ضَمرة ، مِن أخطب الناس ، وهو أحدُ مَن كان تخلّصَ من الحجاج من قَلٍّ

(١) ترجم فى ص ٢٠٤ .

(٢) إنما قيل له السامى لأنه كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤى ، كما سبق فى ترجمته ص ١٢٠ .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٣٤٤ س ٥ — ٧ .

(٤) فى المعارف ٢٣٥ : « أبو البلاد الكوفى ، كان من أروى أهل الكوفة وأعلمهم . وكان أعمى جيد اللسان ، وهو مولى لعبد الله بن غطفان ، وكان فى زمن جرير والفرزدق » . وأبو البلاد هذا غير أبى البلاد الطهوي ، أحد شعراء بنى طهية ، وهو المعروف أيضا بأبى الغول الطهوى ، انظر المؤتلف ١٦٣ وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١٤) .

(٥) الغلابى : نسبة إلى أهل بيت بالبصرة يعرفون ببنى غلاب ، وغلاب على وزن فعال مثل حذام ، من بنى نصر بن معاوية . الاشتقاق ١٧٨ .

ابن الأشعث[١] بالكلام اللطيف .

وقال سُحيم بن حفص[٢] : ومن الخطباء عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالىّ تكلم هو وعبد الله بن الأهتم ، عند عُمر بن هبيرة ، ففضَّل عاصماً عليه . قال سحيم : فقال قائل يومئذ : الخلُّ حامضٌ ما لم يكنْ ماء .

ومن خطباء بنى تميم : عمرو بن الأهتم[١] ، كان يُدْعى «المُكحَّل» لجماله . وهو الذى قيل فيه : إنّما شعره حُلَلٌ مُنَشَّرَة بين أيدى الملوك ، تأخذ منه ماشاءت . ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطبُ منه .

ومن بنى مِنقر : عبد الله بن الأهتم ، وكان خطيباً ذا مقاماتٍ ووِفادات .

ومن الخطباء صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، وكان خطيباً رئيساً ، وابنه خالد بن صفوان ، وقد وفَدَ إلى هشام ، وكان من سُمّار أبى العبّاس .

ومنهم عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وقد ولِىَ خُراسانَ ووفد على الخلفاء ، وخطب عند الملوك . ومن ولده شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وعبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وخاقان بن الأهتم هو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم .

٢١٠ ومن خطبائهم : محمد الأحول بن خاقانْ ،وكان خطيب بنى تميم ، وقد رأيتُه وسمعت كلامه .

ومن خطبائهم : مَعْمرُ بن خاقان ، وقد وَفَد .

ومن خطبائهم . مؤمّل بن خاقان . وقال أبو الزُّبير الثّقفى : ما رأيتُ خطيباً من خطباء الأمْصار أشبَهَ بخطباء البادية ، من المؤمّل بن خاقان .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٢٩ س ٢ .

(٢) ترجم فى ص ٤٠ .

(٣) سبقت ترجمته فى ١٠ ، ٥٣ .

ومن خطبائهم : خاقان بن المؤمَّل بن خاقان . وكان صَبَاح بن خاقانَ[1] ، ذا علمٍ و بيانٍ ومعرفة ، وشدّة عارضة ، وكثرة رواية ، مع سخاه واحتمالٍ وصبر على الحقّ ، ونصرةٍ للصَّديق ، وقيامٍ بحقّ الجار .

ومن بنى مِنقر : الحكَمَ بن النَّضر ، وهو أبو العلاء المِنقرىّ ، وكان يصرِّف لسانَه حيث شاء ، بجهارةٍ واقتدار .

ومن خطباء بنى صَرِيم بن الحارث : الخزْرَجُ بن الصَّدَى .

ومن خطباء بنى تميم ثم من مُقاعِس : عُمارة بن أبى سليمان . ومن ولد مالك ابن سعد[2] : عبدُ الله وجبر[3] ابنا حبيب[4] ، كانا ناسبين عالمين أديبين ديِّنين . ومن ولد مالك بن سعد[5] : عبد الله والعبّاس ابنا رُؤْبة ، وكان العبّاس علاّمةً عالما ، ناسبا راوية ، وكان عبدُ الله أرجزَ الناس وأفصحَهم ، وكان يكني أبا الشَّعثاء ، وهو العجّاج[6] .

ومن أصحاب الأخبار والنسب : أبو بكرٍ الصِّدّيق ، رحمة الله عليه ، ثم جُبير بن مُطعِم ، ثم سعيد بن المسيِّب، ثم قَتادة ، وعبيدُ الله بن عبد الله بن عتبةَ المسعودىّ[7]

(١) فى القاموس (صبح) : « وكسحاب ابن الهذيل أخو زفر الفقيه ، وابن خاقان ، كريم » .

(٢) هو مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفى ب : « سعيد » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « بن عبد الله » وكذلك «خير» . وقد صحت فى ح وجعلت « جبر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٥) فيما عدا ل : « بن سعيد » تحريف .

(٦) العجاج هذا والد رؤبة بن العجاج ، كلاهما راجز مجيد عارف باللغة وحشيها وغريبها وكان رؤبة أكثر شعرا من أبيه العجاج بن رؤبة وأفصح منه . خزانة الأدب (١ : ٤٣) والمؤتلف والشعر والشعراء .

(٧) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلى المدنى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، روى عن أبيه ، وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة ، وعنه أخوه عون والزهرى وأبو الزناد وغيرهم ، وهو معلم عمر بن عبد العزيز . وكان عالماً ناسكا ، وأضر رحمه الله بأخرة . توفى سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٥٧) ونكت الهميان ١٩٧ — ١٩٨ والأغانى (٨ : ٩٤ — ٩٥) .

الذى قال فى كلمةٍ له فى عمر بن عبد العزيز ، وعبـــد الله بن عمرو بن عثمانَ ابن عفّان[١] :

مُسّا تُرابَ الأرضِ منــه خُلقتما   وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ[٢]
ولا تأنفا أن ترجِعا فتُسلِّما   فما حُشِىَ الإنسانُ شرًّا من الكِبْرِ
فلو شئتُ أدلَى فيكما غيرُ واحدٍ   عَلانيةً أو قال عندى فى سِرِّ
فإن أنا لم آمُرْ ولم أنهَ عنكما   ضحكتُ له حتَّى يَلِجَّ ويَستشرِى[٣]

وهو الذى قيل له كيف تقول الشِّعر مع النُّسك والفِقه ؟ فقال : « إنَّ المصدورَ لا يملك أن ينفُثَ[٤] » .

٢١١ وقد ذكرَ المصدورَ أبو زُبيدٍ الطائىّ فى صفة الأسد فقال :

للصَّدر منه عويلٌ فيه حَشرجَةٌ   كأنَّما هو من أحشاء مصدورِ

ومن خطباء هذيل : أبو المليح الهُذَلىّ أسامةُ بن عمير[٥] ، ومنهم أبو بكر الهُذَلى[٦] ، كان خطيبًا قاصًا ، وعالما بيِّنا ، وعالمًا بالأخبار والآثار . وهو الذى لما فاخر أهلَ الكوفة قال : « لنا السَّاج والعاج ، والدِّيباج والخَراجُ ، والنهر العجَّاج » .

---

(١) انظر القصة فى أمالى ثعلب ٧ من المخطوطة والمرتضى (٢ : ٦٠) وجمع الجواهر للحصرى ص ٣ .

(٢) كذا بالجرم فى أوله فى ل . وفيما عداها : « فسا » . وانظر الحيوان (١ : ١٤ — ١٥) .

(٣) ذكر فى الأغانى (١٣ : ١٠) أن العتابى سرق هذا المعنى فى قوله :

ومن دعا الناس إلى ذمه   ذموه بالحق وبالباطل

(٤) ويروى : « لابد للمصدور أن ينفث » . نكت الهميان .

(٥) ذكره فى التهذيب (١٢ : ٢٤٦) فى باب الكنى وقال : اسمه عامر أو زيد ابن سامة .

(٦) ذكره الجاحظ فيما سيأتى ص ٣٦٨ . وقال : « وهو عبد الله بن سلمى » وذكره فى التهذيب (١٢ : ٤٥) فى باب الكنى ، وأن اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، أو روح . روى عن الحسن وابن سيرين وأبى المليح الهذلى وغيرهم ، وعنه ابن جريج وابن عياش . وكان من العلماء بأيام الناس . توفى سنة ١٦٧ .

باب

من أسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا : أكهن العرب وأسجعهم سَلِمة بن أبي حَيَّة ، وهو الذي يقال له عُزّى سَلِمَة(١) . ومنهم من خطباء عُمان : مُرّة بن فَهْمٍ التَّليد ، وهو الخطيب الذي أوفده المهلَّب إلى الحجاج .

ومن العتيك : بُسْر(٢) بن المغيرة بن أبي صُفرة ، وهو الذي قال لبني المهلَّب « يا بني عمّى ، إنّى والله قد قصّرت عن شَكاة العاتب ، وجاوزت شَكاة المستعتب ، حتَّى كأنّى لستُ موصولا ولا محروما ، فعُدُّونى امرأً خفتم لسانَه ، أو رجوتم شُكرَه . وإنّى وإن قلتُ هذا فلَمّا أبلانى اللهُ بكم أعظمُ مما أبلاكم بى » .

ومن خطباء اليمن ثم من حِمير : الصباح بن شُفَيّ الحميرىّ ، كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار : قيس بن شمّاس(٣) . ومنهم ثابت بن قيس ابن شمّاس(٣) خطيبُ النبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم رَوْح بن زِنْبَاع(٤) ، وهو الذي لما همّ به معاوية قال : « لا تُشمِتَنَّ بى عَدُوًّا أنت وقَمته(٥) ، ولا تسوءَنَّ فىّ صديقاً أنت سررته ، ولا تَهدِمنَّ مِنّى ركنا أنت بنيته . هلاَّ أتى حلمُك وإحسانُك على جهلى وإساءتى » .

---

(١) كذا ورد بضبطه فى ل . وفى ب والتيمورية : « غزى سلمة » .

(٢) كذا ورد مضبوطا فى ل . وفيما سواها : « بشر » .

(٣) فيما عدا ل : « الشماس » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٣٤٦ .

(٥) الوقم : الإذلال والقهر والرد أقبح الرد .

ومن خطبائهم الأسود بن كعب، الكذّابُ العنسِىّ[1]. وكان طُليحة[2] خطيباً وشاعراً وسجّاعا كاهنا ناسباً. وكان مُسيلِمَة الكذّاب[3] بعيداً من ذلك كلّه.

٢١٢ وثابت بن قيسْ بن شَمّاس هو الذى قال لعامر[4]، حين قال: «أمَا والله لئن تعرّضْتَ لعَنّى وفنّى، وذَكاء سِنّى[5]، لتولّيَنَّ عنّى» فقال له ثابت: «أمَا والله لئن تعرّضْتَ لسِبابى، وشَبَا أنيابى[6]، وسرعةِ جوابى، لتَكرَهَنّ

---

(١) هو الأسود بن كعب بن غوث، من بنى عنس بن مالك. تنبأ باليمن. الاشتقاق ٢٤٨. وذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٤٠ أن الأسود لقب له، واسمه عبهلة بن كعب ابن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج، وأنه كان يدعى «ذا الحمار» لحمار كان معه قد راضه وعلمه، يقول له اجث، فيجثو. قتله قيس بن مكشوح المرادى سنة ١١ من الهجرة. وانظر الطبرى (٣: ٢١٣ — ٢٢٠).

(٢) هو طليحة بن خويلد الأسدى، تنبأ فى خلافة أبى بكر فى بنى أسد بن خزيمة. وعاضده عيينة بن حصن الفزارى، فوجه أبو بكر إليه خالد بن الوليد، فهزمه وفض جموعه وأسر عيينة. وذلك فى سنة ١١ من الهجرة. وقد أسلم طليحة بعد ذلك، واستشهد بنهاوند سنة ٢١. الإصابة ٤٢٨٣ والتنبيه والإشراف.

(٣) هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفى، من أهل اليمامة، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة، وصنع أسجاعا، عارض فيها القرآن بزعمه. منها قوله: «والشمس وضحاها، فى ضوئها ومجلاها، والليل إذا عداها، يطلبها ليغشاها، فأدركها حتى أتاها، وأطفأ نورها ومحاها». وقوله: «يا ضفدع نقى نقى كم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشرب تمنعين». وكان قد قوى أمره فى اليمامة وظهر جدا بعد وفاة الرسول، فأرسل أبو بكر إليه خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة. وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل. انظر المعارف ١٧٨ والطبرى (٣: ٢٤٣ — ٢٥١) والتنبيه والإشراف ٢٤٧ والسيرة ٩٤٦.

(٤) هو عامر بن عبد قيس، المترجم فى ٨٣، الذى قال: «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان». وانظر ٢٣٧ س ١، ٣٢٧ س ١٠، ٣٦٣ س ٣.

(٥) ذكاء السن: تمامه بانتهاء الشباب، ومنه قول الحجاج: «فررت عن ذكاء».

(٦) شبا الأنياب: حدها.

جَنابى » قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يكفيك اللهُ وابنا قَيْلة[١] » .

لِعَنّى : أى لما يعِنُّ لى ويعرِض . فنّى : مذهبى فى الفنّ .

وأخذتُ هذا الحديثَ من رجلٍ يضع الأخبارَ فأنا أتّهمه[٢] .

ومن خطباء الأنصار : بشر بن عمرو بن محصَن ، وهو أبو عَمرة الخطيب .

ومن خطباء الأنصار : سعد بن الربيع[٣] ، وهو الذى اعترضت ابنته[٤] النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : ابنةُ الخطيب النَّقيب الشهيد : سعد بن الربيع . ومنهم خالُ حسّان بن ثابت ، وفيه يقول حسّان :

إن خالى خطيب جابِيَة الجَو لانِ عند النُّعمان حين يقومُ[٥]

وإياه يعنى حسّانُ بقوله :

رُبَّ خالٍ لىَ لو أبصَرْتَه سَبِطِ المِشيةِ فى اليومِ الخَصِر[٦]

ومنهم من الرُّواة والنَّسابين والعلماء : شَرْقىُّ بن القطامىّ[٧] الكلبىّ ، ومحمد

---

(١) فى هامش التيمورية : « ابنا قيلة هما الأوس والخزرج ، وهم الأنصار ، وكانوا أشجع الناس . قال عبد الله بن عباس : ماسلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة » . وفى اللسان : « اسم أم لهم قديمة ، وهى قيلة بنت كاهل » .

(٢) فى هامش التيمورية : « يشير إلى أن الراوى لهذا الحديث غير موثوق به لا سيما فى عطف ابنا قيلة على لفظة الجلالة ما لا يخفى » .

(٣) هو سعد بن الربيع بن عمرو الأنصارى الخزرجى ، آخى الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، واستشهد يوم أحد . الإصابة ٣١٤٧ .

(٤) هى أم سعد بنت سعد . انظر الإصابة ١٢٨٧ قسم النساء .

(٥) جابيه الجولان ، من أعمال دمشق .

(٦) رواية الديوان ٢٠٤ : «سبط الكفين» . وقبله :

سألت حسان من أخواله إنما يسأل بالشىء الغمر

قلت أخوالى بنو كعب إذا أسلم الأبطال عورات الدبر

(٧) الشرقىّ لقب له ، واسمه الوليد بن الحصين ، كان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم إليه المهدى ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٨ وابن النديم ١١٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ — ١٤٣) . والقطامى لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال بفتح القاف وضمها ، مأخوذ من القطامى بفتح القاف وضمها ، وهو الصقر . والقطامى شاعر ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ — ١٦٧ . وهو غير القطامى التغلبى ، الشاعر المشهور ، واسمه عمير ابن شييم .

ابن السّائِب الـكلبيّ[١] ، وعبد الله بن عَيّاش الهَمْدانى[٢] ، وهشام بن محمد ابن السائب الـكلبي[٣] ، والهيثم بن عدىّ الطائىّ[٤] ، وأبو روق الهَمْدانىّ واسمه عطيّة بن الحارث[٥] ؛ وأبو مِخْنفٍ لوط بن يحيى الأزدىّ[٦] ، ومحمد بن عُمَرَ الأسلمىّ الواقدىّ[٧] ، وعَوانَةُ الـكلبيّ[٨] ، وابن أبِي عُيينة المُهَلّبيّ[٩] ، والخليل بن أحمد الفَراهيدىّ[١٠] ، وخلفُ بن حَيّانَ الأحمرُ الأشعرىّ[١١] .

قالوا : ومِنّا فى الجاهلية عُبيدُ بن شَرِيَّةَ[١٢] ، ومنّا شِقُّ بن الصَّعب ، ومنّا ربيع بن ربيعة السَّطيحُ الذّئبيّ[١٣] ،

---

(١) ترجم فى ١٤٢ . (٢) ترجم فى ٢٦٠ .

(٣) ذكره ابن النديم فى الفهرست وساق ثبت مصنفاته الـكثيرة فى ١٤٠ — ١٤٣ وهو صاحب الجمهرة فى النسب ، وذكر ابن خلـكان أنه توفى سنة ٢٠٤ . وانظر تاريخ بغداد ٧٣٨٦ .

(٤) ترجم فى ٦ .

(٥) أبوروق عطية بن الحارث الهمدانى الـكوفى ، روى عن أنس وعكرمة والشعبى ، وروى عنه الثورى وعمارة . تهذيب التهذيب .

(٦) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى الغامدى ، شيخ من أصحاب الأخبار بالـكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفى ، ومجالد . وروى عنه المدائنى وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان (٤ : ٢٩٢) وابن النديم ١٣٦ .

(٧) ترجم فى ٣٧ . ل : « محمد بن عمرو » تحريف . انظر أيضاً تهذيب التهذيب (٩ : ٣٦٣) .

(٨) ترجم فى ٣١٦ . (٩) ترجم فى ٥٠ .

(١٠) الفراهيدى : نسبة إلى فرهود ، بالضم ، وهم حى من يحمد ، وهم بطن من الأزد .

(١١) ترجم فى ١٢٩ .

(١٢) عبيد ، بهيئة التصغير ، كما ضبط فى الأصل وهو ل ، وكما يفهم من سياق ابن حجر فى الإصابة ٦٣٩١ . وشرية قال ابن حجر : « بمعجمة وزن عطية » . وقال ياقوت فى إرشاد الأريب (١٢ : ٧٢) : « عبيد بن سرية ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شرية » . وهو أحد معمرى العرب ، أدرك الإسلام فأسلم وقدم على معاوية وجرى بينهما حديث طويل طريف ، أورده ياقوت والسجستانى فى المعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب فى التاريخ من المسلمين . الفهرست ١٣٢ .

(١٣) سبقت ترجمة شق وسطيح فى ص ٢٩٠ .

ومنّا المأمور الحارثىّ (١) ، والدّيّان بن عبد المدان ، الشّريفان الكاهنان . ومنهم عمرو بن حنظلة بن نَهْدٍ الحَكَمَ ، وله يقول القائل :

عمرو بن حنظلة بن نَهْدْ مِن خيرِ نَاسٍ فى مَعَدّ

ومنهم أبو السَّطَّاح اللخمىّ (٢) ، وجمع معاوية بينه و بين دَغفَل بن حنظلة البكرىّ . ومنهم أبو الكَبَاس الكندىّ (٣) . ومنهم أظفَرُ بن مِخْوسٍ ٢١٣ الكندىّ (٤) . وكانا ناسبين عالمين .

ومن أصحاب الأخبار والآثار عبد الله بن عقبة بن لَهِيعة (٥) ويكنى أبا عبد الرحمن.

ومن القدماء فى الحكمة والرِّئاسة والخطابة عُبَيد بن شَرِيَّة الجرهمى . وأُسْقُفُّ نجران ، وأُكَيْدِرُ صاحب دُومة الجَنْدل ، وأُفَيْعَى نجران ، وذَرِب بن حَوْط ، وعُلَيم بن جناب (٦) ، وعمرو بن ربيعة — وهو لُحَىّ (٧) — بن حارثة بن عمرو مُزَيقِياء . وجَذيمة بن مالكٍ الأبرش (٨) ، وهو أوّل من أسرج الشَّمَع ورَمَى بالمَنْجَنيق .

(١) المأمور الحارثى ، اختلف فى اسمه ، فقيل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٦٩ : « وكان من فرسان مذحج ، وكانت فى أمره تقدم وتأخر » . وقيل هو معاوية بن الحارث . الأمالى (٣ : ١٤٩) . وقيل هو المأمور بن تبراء . معجم المرزبانى ٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . القالى (٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، كما فى النقائض ٦٠٠ . وله خبر فى يوم الكلاب الثانى . الأغانى (١٥ : ٧٠) والنقائض ١٤٩ .

(٢) فيما عدا ل : « أبو الشطاح » بالشين المعجمة .

(٣) فيما عدا ل : « الكناس » .

(٤) فيما عدا ل : « ومنهم أبو مخوس الكندى » .

(٥) كذا فى ل ، وفيما عداها : « عبد الله بن عتبة بن لهيعة » وكلاهما خطأ ، وصواب اسمه « عبد الله بن لهيعة بن عقبة » وابن لهيعة محدث جليل ، وقاض فقيه ، روى عن الأعرج وعطاء وابن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه الثورى وشعبة والأوزاعى . تهذيب التهذيب .

(٦) هو عليم ، بهيئة التصغير ، ابن جناب بن هبل ، الاشتقاق ٣١٦ .

(٧) لحى هو لقب ربيعة ، كما فى الاشتقاق ٢٧٦ . وقال : « ومن بنى عمرو بن لحى تفرقت خزاعة » . وفى العرب « عمرو بن لحى » آخر ، هو عمرو بن لحى بن قمعة بن الياس ابن مضر . انظر السيرة ٥٠ — ٥١ . وفى هذا الأخير ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار » .

(٨) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد ، ملك الحيرة . والأبرش لقب جذيمة ، ويقال له أيضا « الوضاح » . العمدة (٢ : ١٧٨) .

باب

ذكر النُّسَّاك والزهاد من أهل البيان

عامر بن عبد قيس[١]، وصِلَةُ بن أشْيَم[٢]، وعثمان بن أدهم، وصفوان بن مُحرِز[٣] والأسود بن كلثوم[٤]، والربيع بن خُثَيم[٥]، وعَمْرو بن عُتْبة بن فرقد[٦]، وهَرِمُ بن حيّان[٧]، ومورِّق العجلى، وبكر بن عبد الله المُزَنىّ، ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير الحَرَشى[٨].

---

(١) ترجم فى ٨٢ .

(٢) هو أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوي الناسك ، زوج معاذة العدوية الناسكة ، لقى جماعة من الصحابة وأسند عن ابن عباس وغيره ، وقتل شهيداً فى غزاة فى أول إمرة الحجاج على العراق سنة ٧٥ . واجتمعت النساء عند معاذة للتعزية فقالت : مرحباً ، إن كنتن جئتن لتهنئتى فرحبا بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن . صفة الصفوة (٣ : ١٣٩) والإصابة ٤١٢٧ .

(٣) صفوان بن محرز بن زياد المازنى ، أسند عن ابن عمر ، وأبى موسى ، وابن مسعود . وعنه عاصم وقتادة وغيرهم . توفى بالبصرة سنة ٧٤ فى ولاية بشر بن مروان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٤٩) .

(٤) ذكره ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣ : ٢١٢) فى الطبقة الثالثة من أهل البصرة . .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بتقديم الثاء على الياء ، ابن عائذ بن عبد الله الثورى الكوفى ثقة عابد من كبار التابعين . قال له ابن مسعود : « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . توفى سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣١) وابن النديم ٢٦٠ .

(٦) فيما عدا ل : « عمر » تحريف . وهو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمى الكوفى . روى عن ابن مسعود وسبيعة الأسلمية كتابة . قتل فى تستر فى خلافة عثمان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٧) .

(٧) هرم بن حيان العبدى ، أحد عمال عمر ، وبعثه عثمان بن أبى العاص إلى قلعة بجرة فافتتحها عنوة سنة ٢٦ . الإصابة ٤٩٤٧ وصفة الصفوة (٣ : ١٣٧) .

(٨) ترجم مورق فى س ٣٥٣ ، وبكر فى س ١٠٠ ، ومطرف فى س ١٠٣ .

و بعد هؤلاء : مالك بن دينار[١] ، وحبيب أبو محمد[٢] ، ويَزيدُ الرَّقاشىّ ، وصالح المُرّىّ[٣] ، وأبو حازمٍ الأعرج[٤] ، وزياد مولى عَيّاش بن أبى ربيعة[٥] ، وعبد الواحد بن زيد[٦] ، وحيّان أبو الأسود ، ودَهْثَم أبو العلاء .

ومن النساء : رابعة القيسية[٧] ، ومُعاذَةُ العدوية[٨] امرأةُ صِلة بنِ أشيم ،

---

(١) ترجم فى ١٢٠ .

(٢) هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمى ، أو الفارسى ، البصرى ، أحد الزهاد المشهورين روى عن الحسن وابن سيرين وبكر بن عبد الله ، وعنه سليمان التيمى وحماد بن سلمة . قال المعتمر عن أبيه سليمان : « ما رأيت أحدا قط أزهد من مالك بن دينار ، ولا رأيت أحداً قط أخشع من محمد بن واسع ، ولا رأيت أحدا قط أصدق يقينا من حبيب أبى محمد » . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٦) . وقد ذكر خطأً فى الفهرست ٢٦٠ باسم « محمد بن حبيب الفارسى » .

(٣) ترجم يزيد بن أبان الرقاشى فى ٢٠٤ ، وصالح بن بشير المرى فى ١١٣ .

(٤) هو أبو حازم سلمة بن دينار ، الأعرج الأفزر التمار المدنى القاص ، مولى الأسود بن سفيان المخزومى ، وكان ثقة كثير الحديث . توفى بعد سنة ١٤٠ فى خلافة المنصور . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٨) .

(٥) الصواب أنه مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة القرشى . وزياد ، هو زياد ابن أبى زياد ميسرة ، وكان عبدا ، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيره ويكرمه ، وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه . توفى سنة ١٣٥ . صفة الصفوة (٢ : ٥٩) وتهذيب التهذيب .

(٦) كان عبد الواحد بن زيد من الزهاد البكائين ، وكان يحضر مجالس مالك بن دينار ، قال ابن الجوزى : أسند عن الحسن البصرى وأسلم الكوفى . صفة الصفوة (٣ : ٢٤٠) . وفى لسان الميزان (٤ : ٨٠) أنه كان متهماً فى حفظه كثير الوهم . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٦٠ فى جماعة العباد والزهاد .

(٧) هى أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية ، وهى تعد أشهر الزاهدات المتعبدات ؛ كانت تقول إذا وثبت من مرقدها : « يا نفس كم تنامين ، وإلى كم تنامين . يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » . انظر لسائر أقوالها صفة الصفوة (٤ : ١٧) . وذكر ابن خلكان أن وفاتها كانت فى سنة ١٣٥ ، وقبرها بظاهر القدس ، على رأس جبل يسمى جبل الطور .

(٨) هى أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية ، زوج صلة بن أشيم المترجم فى ٣٦٣ . روت عن عائشة وعلى ، وعنها قتادة والحسن وأيوب وعاصم الأحول وغيرهم . يقال إنها لم تتوسد فراشاً بعد أبى الصهباء حتى ماتت . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور » . تهذيب التهذيب (١٢ : ٤٥٢) وصفة الصفوة (٤ : ١٣) .

وأمُّ الدرداء[١] .

ومن نساء الخوارج : البَلْجاء[٢] ، وغَزَالة[٣] ، وقَطامِ ، وحَمَادة[٤] ، وكُحَيْلة .

ومن نساء الغالية : ليلى الناعطيّة[٥] ، والصَّدوف ، وهِند .

وممن كان من النُسَّاك ممن أدركناه : أبو الوليد ، وهو الحكم الكِنديّ ؛ ومحمد بن محمد الحراويّ[٦] .

ومن القدماء ممَّن كان يُذكر بالقَدْر والرِّياسة ، والبيان والخطابة ، والحكمة والدَّهاء والنَّكراء : لقمان بن عاد ، ولُقيم بن لقمان ، ومُجاشع بن دارم ، وسَليط بن كعب بن يَربوع ، سمَّوه بذلك لسلاطة لسانه . وقال جرير :

* إنّ سَليطاً كاسمه سليطُ[٧] *

ولؤى بن غالب ، وقُسّ بن ساعدة ، وقُصَىّ بن كلاب .

ومن الخطباء البلغاء والحُكّام الرؤساء : أكثم بن صَيْفىّ ، وربيعة بن حُذار ، وهرم بن قطبة ، وعامر بن الظَّرِب ، ولبيد بن ربيعة ، وكان من الشُّعراء .

---

(١) أم الدرداء ، هي زوج أبي الدرداء الصحابي ، واختلف علماء التراجم في أم الدرداء ، فبعضهم يجعلهما : شخصين أم الدرداء الكبرى ، وأم الدرداء الكبرى ، وكلاهما زوج لأبي الدرداء . وبعضهم يقول : هما واحدة ، ويختلفون في ذلك اختلافاً . انظر الإصابة ٣٨٤ من قسم النساء وتهذيب التهذيب (١٢ : ٤٦٥) وصفة الصفوة (٤ : ٢٦٦) حيث يرجح ابن الجوزي أن العابدة هي الصغرى ، واسمها هجيمة بنت حي ، واسم الكبرى خيرة بنت أبي حدرد .

(٢) لعلها « الشجاء » . انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨ — ٥٨٩) .

(٣) هي غزالة الشيبانية ، زوج شبيب بن يزيد الخارجي الشيباني ، وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم . وكان الحجاج في بعض حروبه قد هرب منها ، فعيره أسامة بن سفيان البجلي بقوله :

أسد على وفي الحروب نعامة ربداء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الضحى بل كان قلبك في جناحي طائر

وتقدمت ترجمة يزيد في ص ١٢٨ . وفي الحيوان (٥ : ٥٩٠) أن خالد بن عتاب قتلها .

(٤) هي حمادة الصفرية ، ذكرها الجاحظ في الحيوان (٥ : ٢٩٠) .

(٥) ترجمت في ص ٣٠ . في الأصول : « الناعطية » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الحراني » .

(٧) في الديوان ٣٣٢ : وقال لبني سليط :

إن سليطا كاسمها سليط لولا بنو عمرو وعمرو عيط
قلت ديافيون أو نبيط

كِلابٌ[١]، وكُلَيب، وهاشمٌ الأوقص، وأبو هاشم الصوفيّ[٢]، وصالح بن عبد الجليل.

ومن القدماء العلماء بالنّسب وبالعرب: الخَطَفى جدّ جرير بن عطيّة بن الخَطَفى وهو حُذَيفة بن بدر بن سَلَمة بن عَوف بن كليب بن يربوع. وإنّما سُمّى الخَطَفى لأبياتٍ قالها، وهى:

يرفعْنَ بالليل إذا ما أسدَفا أعناقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفا
وعَنَقًا باقى الرسيم خَيطَفَا

العَنَق: [ضربٌ] من السير، [وهو] المسْبَطِرّ؛ فإذا ارتفع عن العَنق قليلاً فهو التزَيُّد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذَّمِيل. والرَّسيمُ فوق الذَّمِيل. والخَيطَفُ: السريع، أى يَخطِف كما يخطف البرقُ. وخيطف من الخَطف والياء فى خيطف زائدة، كما قالوا رجل صَيْرَفٌ من الصرف، ورجل جَيْدَرٌ من الجَدَرِ وهو القِصَر[٣]. وأصل الخطف الأخذُ بسرعة[٤]، ثم استعير لكلّ سريع.

---

(١) هو كلاب بن جرى. ذكر فى صفة الصفوة (٣ : ٢٨٩).
(٢) أبوهاشم الصوفى الزاهد، من قدماء زهاد بغداد، جلس إليه سفيان الثورى. صفة الصفوة (٢ : ١٧٢).
(٣) فيما عدا ل: « القصير ».
(٤) فيما عدا ل: « فى سرعة ».

ذكر القُصّاص

قَصَّ الأسودُ بنُ سريع ، وهو الذى قال :

فإنْ تنجُ منها تَنج من ذى عظيمةٍ وإلاّ فإنى لا إخالُك ناجيا

وقصَّ الحسن وسعيدٌ ابنا أبى الحَسَن[1] . وكان جَعْفرُ بنُ الحسن أوّلَ مَن اتّخذ فى مسجد البصرة حلقةً وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة . وقَصَّ إبراهيم التَّيمىُّ[2] . وقص عُبيد بن عُمير الليثىّ[3] وجلس إليه عبد الله بن عُمَر . حدّثنى بذلك عَمْرو بن فائد ، بإسناد له .

ومن القُصّاص : أبو بكر الهُذَلىّ وهو عبد الله بن سُلْمىّ[4] ، وكان بيِّناً خطيبا صاحبَ أخبارٍ وآثار . وقصَّ مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير[5] فى مكان أبيه . ومن كبار القُصّاصِ ثم من هذيل : مُسلم بن جندب[6] ، وكان قاصَّ مسجد النبى

---

(١) أبو الحسن : كنية والدهما يسار . أما الحسن فهو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى ، مولى الأنصار ، ولدلسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وتوفى سنة ١١٠ . وأخوه سعيد بن يسار أكبر منه ، توفى قبله سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « ابن أبى الحسن » تحريف .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى ، تيم الرباب ، الكوفى كان من العباد ، روى عن أنس وعمر بن ميمون ، وأرسل عن عائشة ، قال الأعمش : كان إبراهيم إذا سجد تجىء العصافير فتنقر ظهره . توفى فى حبس الحجاج سنة ٩٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٠) .

(٣) فيما عدا ل : « عبيد الله بن عمير » تحريف . وهو عبيد بن عمير بن قتادة بن سعيد بن عامر بن جندع بن ليث الليثى ، أبو عاصم المكى ، قاضى أهل مكة . روى عن أبيه وعمرو وعلى وأبى هريرة وغيرهم ، وذكر العوام بن حوشب أنه رأى عبد الله بن عمر فى حلقة عبيد بن عمير يبكى . توفى سنة ٦٨ . التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١١٦) .

(٤) سبقت ترجمته فى ٣٥٧ . فيما عدا ل : « بن أبى سليمان » .

(٥) سبقت ترجمة مطرف فى ١٠٣ . ل : « وقص ابن مطرف » . وفيما عدا ل : « وقص ابنه مطرف » وكلاهما خطأ .

(٦) هو أبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلى القاضى ، كان من فصحاء الناس ، وكان معلم عمر بن عبد العزيز ، وكان يقضى بغير رزق . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وكان إمامَهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز ٢١٥
« مَن سَرّه أن يسمعَ القرآن غَضًّا فليسمع قراءة مسلم بن جندب » .

ومن القُصّاص : عبد الله بن عَرادة بن عبد الله بن الوَضِين ، وله مسجدٌ فى بنى شَيبان .

ومن القُصّاص : موسى بن سيّار الأُسوارىّ[١] ، وكان من أعاجيب الدُّنيا ، كانت فصاحتُه بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربيّة ، وكان يجلِس فى مجلسه المشهور به ، فتقعد العربُ عن يمينه ، والفُرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربيّة ، ثم يحوّل وجهَه إلى الفرس فيفسّرها لهم بالفارسيّة ، فلا يُدرى بأى لسان هو أَبيَنُ . واللُّغتانِ إذا التقتا فى اللِّسان الواحد أدخل كلٌّ واحدةٍ منهما الضَّيم على صاحبتها ، إلَّا ما ذكرنا[٢] من لسان موسى بن سيّار الأسوارىّ .

ولم يكن فى هذه الأمّة بعد أبى موسى الأشعرىّ أقرأُ فى محرابٍ من موسى بن سَيّار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ، ثم يونس النحوىّ ، ثم المعلّى . ثم قَصّ فى مسجده[٣] أبو علىّ الأُسوارىّ ، وهو عمرو بن فائد[٤] ، ستًّا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة ، فما ختَمَ القرآن حتّى مات ، لأنّه كان حافظا للسِّيَر ، ولوجوه التأويلات فكان ربَّما فسّر آيةً واحدة فى عِدّة أسابيع ، كأنّ الآية ذُكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ ممّا يجوز أن يلحق فى ذلك من الأحاديث كثيرا . وكان يقصُّ

---

(١) ترجم له فى لسان الميزان (٦ : ١٢٠) وذكر أنه كان قدريا . وذكره السمعانى فى الأنساب ٣٧ .

(٢) فيما عدا ل : « ما ذكروا » .

(٣) أى المسجد الذى كان يقص فيه موسى بن سيار .

(٤) عمرو بن فائد الأسوارى ، قال العقيلى : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعاً إلى محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ، ومات بعد المائتين بيسير . لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ — ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة بالبصرة . انظر الحيوان (٦ : ١٩١) .

فى فنونٍ من القَصَص ، و يجعل للقرآن نصيباً من ذلك . وكان يونسُ بن حبيب يسمع منه كلامَ العرب ، و يحتجُّ به . وخصالُه المحمودةُ كثيرة .

ثم قصَّ بعده القاسم بن يحيى ، وهو أبو العبّاس الضَّرير ، لم يُدرَك فى القُصّاص مثله . وكان يقُصُّ معهما و بعدهما مالك بن عبد الحميد المكفوف ، و يزعمون أنَّ أبا عليٍّ لم تُسمَع منه كلمةُ غِيبةٍ قط ، ولاعارض أحداً قطُّ من المخالفين والحُسّاد والبُغاة بشىء من المكافأة .!

فأمّا صالحٌ المُرِّىّ ، فكان يكنى أبا بِشْرٍ[1] . وكان صحيحَ الكلام رقيقَ المجلس . فذكَرَ أصحابنا أنَّ سفيان بن حبيب[2] ، لمَّا دخل البصرةَ وتوارَى عند مَرحومٍ العطّار[3] قال له مَرحوم : هل لك أن تأتِىَ قاصًّا عندنا هاهنا ، فتتفرّجَ بالخروج والنَّظر إلى النّاس ، والاستماع منه ؟ فأتاه على تكرُّهٍ ، كأنّه ظنّه ٢١٦
كبعض مَن يبلغه شأنُه ، فلمّا أتاه وسمِع منطقَه ، وسمِعَ تلاوتَه للقرآن ، وسمعه يقول حدّثنا شُعْبة عن قَتادة[4] ، وحدثنا قتادة عن الحسن ، رأى بياناً لم يحتسِبه ، ومذهباً لم يكن يظُنُّه ، فأقبل سفيانُ على مَرحومٍ فقال : ليس هذا قاصًّا ، هذا نَذير !

---

(١) فيا عدا ل : « فإنه كان » . وترجمة صالح فى ١١٣ .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن حبيب البصرى ، أحد المحدثين الثقات . توفى سنة ١٨٣ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو محمد مرحوم بن عبد العزيز بن مهران العطار الأموى البصرى . كان من الثقات العباد . توفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٤) ترجمة قتادة فى ٢٤٢ . وأما شعبة ، فهو فيما عدا ل : « سعيد » وكلاهما محتمل ؛ إذ أن قتادة روى عنه شعبة ، وسعيد ؛ وشعبة هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى الواسطى البصرى ، محدث كثير الرواية كان الشعبى يقول فيه : شعبة أمير المؤمنين فى الحديث . ويقولون إنه أول من تكلم فى الرجال . ولد سنة ٨٢ وتوفى سنة ١٦٠ . تهذيب التهذيب . وأما سعيد فهو سعيد بن أبى عروبة العدوى البصرى ، قال ابن أبى خيثمة : أثبت الناس فى قتادة سعيد بن أبى عروبة وهشام الدستوائى . توفى سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

باب

ما قيل فى المخاصر والعصى وغيرهما

كانت العرب تخطب بالمخاصر[1]، وتعتمد على الأرض بالقِسِىّ، وتشير بالعصىّ والقَنا. نَعَمْ حتّى كانت المخاصر لا تفارق أيدِىَ الملوك فى مجالسها، ولذلك قال الشاعر[2]:

فى كفِّهِ خيزُرانٌ رِيحُهُ عبِقٌ ... بكفِّ أروَعَ فى عِرنِينِه شَمَمُ
يُغضِى حَياءً ويُغضَى مِن مَهابته ... فما يكلَّمُ إلا حينَ يبتسم
إن قال قال بما يهوى جميعُهم ... وإن تكلَّمَ يوماً ساخَتِ الكَلِمُ
يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحتِه ... ركنُ الحطيمِ إذا ماجاء يستلِمُ[3]

وقال الشّاعر قولا فسّر فيه ما قلنا. قال:

مَجالسُهم خَفضُ الحديث وقولُهم ... إذاماقَضَوْا فى الأمرِ وَحْىُ المَخاصرِ

وقال الكميت [بن زيد]:

---

(١) المخاصر: جمع مخصرة، وهى ما يختصره الإنسان فيمسكه بيده، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة أو قضيب.

(٢) هو الفرزدق يقوله فى هشام بن عبد الملك، كما فى أمالى المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠). أو الحزين الكنانى فى عبد الملك بن مروان كما فى ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤). أو الفرزدق فى على بن الحسين كما فى العمدة (٢ : ١١٠) وأمالى المرتضى. أو للعين المنقرى فيه، كما فى العمدة. أو لكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على ابن الحسين، المؤتلف ١٦٩. أو لداود بن سلم فى قثم بن العباس، كما فى العمدة. وهذا مثل لمبلغ اختلاف الرواة فى نسبة الشعر. انظر الحيوان (٣ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢/٢٩٤ : ١٩٦).

(٣) زيد بعد هذا البيت فيما عدا ل:

كم هاتف لك من داع وداعية ... يدعون يا قثم الخيرات يا قثم

وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ المهذَّ ... بَ بالمؤبَّدَةِ السَّوائر(١)

بالمُـــذهَبَاتِ المُعجبَا ... تِ لمُفحَمٍ منّا وشاعر(٢)

أهلُ التَّجاوُبِ فى المحا ... فِلِ والمَقَاوِلُ بالمَخَاصِر(٣)

فهمُ كذلك فى المجا ... لِسِ والمحافِلِ والمَشاعِر(٤)

وكما قال الأنصارىُّ فى المجامِعِ حيث يقول :

٢١٧ وسارت بنا سَيّارةٌ ذاتُ سَورةٍ ... بكُوم المطايا والخيولِ الجماهرِ(٥)

يؤُمُّون مُلْكَ الشّام حتّى تمكنوا ... ملوكاً بأرضِ الشّام فوقَ المنابرِ

يُصيبون فَصْلَ القولِ فى كلِّ خطبةٍ ... إذا وَصَـــلوا أيمانَهم بالمَخاصرِ

وفى المخاصرِ والعصىِّ وفى خَدِّ وجهِ الأرض بالعِصىِّ ، قال الحطيئة :

أمْ منْ لخصمٍ مُضْجِعين قِسيّهُمْ ... صُعْرٍ خـــدودُهمُ عظامِ المَفْخَرِ

وقال لَبيد بن ربيعة فى الإشارة :

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحول كأنّها ... جِنُّ البَـدِىِّ رواسيًا أقدامُها(٦)

وقال فى خدِّ وَجه الأرض بالعصى والقسى :

نَشِينُ صِحاحَ البِيدِ كُلَّ عشيةٍ ... بعُوجِ السَّراءِ عند بابِ مُحَجَّبِ(٧)

---

(١) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك . انظر ٢٩٢ . المؤبدة : التى يبقى ذكرها على الأبد . عنى بها القصائد والمدح . ل : « بالمهذبة » وفى هامشها : « خ : بالمؤبدة » .

(٢) فى اللسان : « والمفحم : الذى لا يقول الشعر » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، وهو البين الطريف اللسان .

(٤) المشاعر : مواضع المناسك .

(٥) الكوم : جمع أكوم وكوماء ، وهو ما علا سنامه .

(٦) الغلب : الغلاظ الأعناق . تشذر : يوعد بعضهم بعضا برفع اليد . والذحول : جمع ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : موضع ، أو هو البادية . والبيت من معلقته .

(٧) فى شرح ديوانه ٤٥ : « نشين صحاح البيد ، يقول : نخط بأطراف قسينا ، كلما ذكرنا يوما نقول : وهذا ! ... بعوج السراء ، يعنى بهذه القسى . عند باب محجب ، يعنى باب الملك ، قال : وعند باب الملوك يتلاقى الناس فيتفاخرون ويخطون بقسيهم فيؤثرون فى الأرض ، فذلك شينهم صحاح البيد » . ل : « بعود السراء » .

[عوج : جمع عوجاء ، وهى هاهنا القوس . السراء : شجر يعمل منه القوس] .

وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقتسمَ النّاسُ فَضْلَ الفَخارِ أطَلْنا على الأرض مَيلَ العصا

وقال الآخر :

كَتَبَتْ لنا فى الأرض يومَ محرِّقٍ أيّامُنا فى الأرض يوماً فيصلاَ[1]

وقال لَبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

ما إنْ أهابُ إذا السُّرادِقُ غَمَّه قَرْعُ القِسِىِّ وأرْعَش الرِّعديدُ[2]

وقال مَعنُ بن أوس المزَنى[3] :

ألا مَن مُبلغٌ عنّى رسولاً عُبيدَ الله إذْ عَجِلَ الرِّسالاَ[4]

تُعاقِل دُونَنا أبناءُ ثورٍ ونحنُ الأكثرون حصًى ومالاَ[5]

إذا اجتمع القبائل جئت رِدْفاً وَراءَ الماسحين لك السِّبالاَ[6] ٢١٨

فلا تُعطَى عَصَا الخطباء فيهم وقد تُكفَى المَقادةَ والمَقالاَ[7]

فإنكمُ وتركَ بنى أبيكم وأسْرَتَكُم تجرُّون الحِبالاَ[8]

---

(١) انظر لمحرق ما مضى فى حواشى ٢٦٧ .

(٢) السرادق ، أى سرادق الملك . غمه : علاه وستره ، أى كثر فيه . ل : « عمه » وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الديوان ٢٧ طبع ١٨٨٠ .

(٣) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، له مدائح فى جماعة من الصحابة . وعمر إلى زمان ابن الزبير . وهو الذى قال له : « لعن الله ناقة حملتنى إليك » . فقال : « إن وراكبها » . وكف فى آخر عمره . الأغانى (١٠ : ١٥٦) والإصابة ٨٤٤٥ ونكت الهميان ٢٩٤ والخزانة (٣ : ٢٥٨) .

(٤) عجله : سبقه . وفى الكتاب : « أعجلتم أمر ربكم » .

(٥) تعاقل : من العقل ، وهو الدية . حصى ، أى عددا .

(٦) السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . ومسح اللحى كناية عن التهدد والتوعد ، أو هو تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة (١ : ٥٢٥) لقول الشماخ :

أتتنى سليم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها

فيما عدا ل : « أمام الماسحين » تحريف .

(٧) يقول : لست برئيس ولا خطيب . ل : « فلا يعطى عطا » صوابه فى سائر النسخ .

(٨) هذا البيت وما بعده فى ل فقط .

وودُّ كم العِدى ممّن سِواكُمْ لَكالحيران يتبع الضَّـــلالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إلى امرئٍ لا تَخَطّاهُ الرِّفاقُ ، ولا جَدْبِ الخِوَان إذا ما استُنْشِئَ المرق[(١)]

صُلْبُ الحيازِيم لاهَذْرُ الكلامِ إذا هزَّ القناةَ ولا مُستعجِلٌ زَهِق[(٢)]

وكما قال جريرٌ[(٣)] :

مَن للقَناة إذا ما عَىَّ قائلها أمْ للأعِنَةِ يا شَبَّ بن عَمّارِ[(٤)]

وقال : ومثل هذا قول أبى المجيب الرَّبعىّ[(٥)] : « ما تزال تحفَظُ أخاك حتّى يَأخذ القناةَ ، فعند ذلك يَفضَحُك أو يحمدك » . يقول : إذا قام يخطب .

وفى كتاب جبل بن يزيد[(٦)] : « احفَظْ أخاك إلاّ من نفسه » .

وقال عبدُ الله بن رُؤْبة :[(٧)] : سأل رجلٌ رؤْبةَ عن أخطبِ بنى تميم ، فقال :

---

(١) لاتخطاه الرفاق : لايتخطونه ، يقول : هو أبداً أمامهم . فيما عدا ل : « الرقاب » . ويقول : هو كثير الطعام على الخوان . الاستنشاء والاستنشاق بمعنى . يقول : هو فى وقت الأزمة والسنة حين يتشهى الناس الطعام مخصب ذو يسر وكرم . فيما عدا ل : « العرق » تحريف .

(٢) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن . هز القناة ، أى الرمح حين الخطبة . فى اللسان « وفلان زهق ، أى نزق » .

(٣) فيما عدا ل : « وقال جرير الخطفى » وهو خطأ ، إذ أن الخطفى لقب جده عوف وهو جرير بن عطية بن عوف الخطفى .

(٤) كذا فى ل ، وفيما عداها : « شيب بن عمار » وكلاهما خطأ فى الرواية ؛ إذ أن البيت من أبيات فى ديوان جرير ٢٣٦ — ٢٣٧ يرثى بها عقبة بن عمار ، أولها :

يا عقب لا عقب لى فى البيت أسمعه من للأرامل والأضياف والجار
أم من لباب إذا ما اشتد حاجبه أم من لخصم بعيد الـأو خطار
أم من يقوم بفاروق إذا اختلفت غياطل الشك من ورد وإصدار

(٥) أبو المجيب الربعى : أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابى ، انظر ابن النديم ١٠٣ .

(٦) جبل بن يزيد : كاتب عمارة بن حمزة ، وكان مترجما من معدودى البلغاء والبرعاء . وعمارة بن حمزة ، كان مولى لأبى جعفر المنصور وكاتبا له . انظر ابن النديم ١٧١ .

(٧) هو العجاج ، والد رؤبة ، والعجاج لقبه ، وكنيته أبو الشعثاء .

« خِداش بن لبيد بن بَيْبَة » يعنى البَعِيث[١] . وإنّما قيل له البعيث لقوله :

تَبَعَّثَ منى ما تَبعّثَ بعـد ما أُمِرّتْ حِبالى كُلَّ مِرّتها شَزْرا[٢]

وزعم سُحَيم بن حفص أنّه كان يقال : أخطب بنى تميم البعيثُ إذا أخذ القناة . وقال يونس : لَعمرِى لئن كان مغلَّباً فى الشّعر لقد كان غَلَبَ فى الُخطَب .

***

ومن الشعراء من يَغلِبُ شىءٌ قاله فى شعره ، على اسمه وكنيته ، فيسَمَّى به بشرٌ كثير[٣] . فمنهم البَعيث هـذا . ومنهم عوف بن حِصن[٤] بن حُذيفة بن بَدْر ، غلب عليه عُوَيفُ القوافى لقوله :

سأُكذِب مَن قد كان يزْعُم أنّنى إذا قلتُ شعراً لا أُجيدُ القوافيا

فسمى عُويف القوافِى لذلك .

ومنهم يَزيد بن ضِرار التغلبىّ ، غلب على اسمه المُزَرِّد؛ لقوله :

فقلت تَزَرَّدْها عُبيدُ فإنّنى لدُرْدِ الموالى فى السِّنين مُزَرِّدُ[٥] ٢١٩

فسمى المزرِّد[٦] .

ومنهم عَمرو بن سَعِيد بن مالك ، غلب عليه مُرَقِّشٌ؛ وذلك لقوله[٧] :

(١) ترجم فى ٢٠٤ . ونسبه فى المؤتلف ٥٦ : خداش بن بشر بن خالد بن بيبة .

(٢) أمرت شزرا : أحكم فتلها عن اليسار . وقيل سمى البعيث لقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما اسـ تمر فؤادى واستمر عزيمى

(٣) انظر ذكر من لقب ببيت شعر قاله ، فى المزهر (٢ : ٤٣٤ — ٤٤٣) . والعمدة (١ : ٢٣ — ٢٤) .

(٤) فيما عدا ل : « حصين » تحريف . انظر الاشتقاق : ١٧٣ . ونسبه فى الأغانى (١٧ : ١٠٥) : « عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن — أوابن عقبة بن عيينة بن حصن — بن حذيفة بن بدر » . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكنى الكوفة .

(٥) الدرد : جمع أدرد ودرداء ، وهو الذى ذهبت أسنانه . فى السنين : فى الجدب . وكلمة « تزرد » و «مزرد» لم يرد لهما تفسير فى المعاجم ، وهما من الزرد بمعنى الابتلاع . والبيت فى صفة زبدة ، كما فى المؤتلف ١٩٠ .

(٦) وهو أخو الشماخ بن ضرار الشاعر المعروف .

(٧) فيما عدا ل : « غلب عليه المرقش وذلك لقوله » .

الدّار قفرٌ والرسوم كما ... رَقَّشَ فى ظهرِ الأديمِ قَلَمْ[1]

فسمّى مرقّشا . ومنهم شأْس[2] بن نَهارٍ العبدىّ ، غلب عليه الممزِّق[3] لقوله :

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ ... وإلاّ فأدرِكْنى ولمّا أُمزَّقِ[4]

فسمّى الممزِّق . ومنهم جرير بن عبد المسيح الضُّبَعىّ ، غلَب عليه المتلمِّس لقوله :

فهذا أوانُ العِرضِ حَىَّ ذبابُه ... زنابيرُه والأزرقُ المُتَلمِّسُ[5]

ومنهم عمرو بن رِياح السُّلَمىّ[6] ، أبو خنساء ابنةِ عمرٍو ، غلَبَ الشّريد على اسمه لقوله[7] :

تولّى إخوتى وبَقِيتُ فردا ... وحيداً فى ديارهمُ شريدا

فسمّى الشريد . وهذا كثير .

***

---

(١) من قصيدة له فى المفضليات (٢ : ٣٧ — ٤١) .

(٢) فى الأصول : « سالم » تحريف صوابه فى ابن سلام ١٠٨ والاشتقاق ١٩٩ والمزهر (٢ : ٤٣٥) والعمدة (١ : ٢٣) وزهر الآداب (١ : ٣٦) والقاموس واللسان (مزق) والمؤتلف ١٨٥ ومعجم المرزبانى ٤٩٥ . وفى الأخير : « وقيل اسمه يزيد بن نهار » .

(٣) الممزق ، بفتح الزاى المشددة وكسرها . وهو شاعر جاهلى من بنى عبد القيس .

(٤) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ٤٧ ليبسك يقولها لعمرو بن هند حين هم بغزو عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه . انظر المؤتلف . وبهذا البيت تمثل عثمان فى رسالة بعث بها إلى على بن أبى طالب ، وذلك حين أحيط به ، قال : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبى ، وبلغ الحزام الطبيين ، وتجاوز الأمر بى قدره ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلب ، فأقبل إلى ، متى كنت أو على ، على أى أمريك أحببت

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل ... وإلا فأدركنى ولما أمزق » .

العمدة (١ : ١٧١) وابن سلام ١٠٨ وزهر الآداب (١ : ٣٦) .

(٥) العرض : واد باليمامة . حى ذبابه ، من الحياة ، والمراد هنا الانتعاش . ويروى : « جن ذبابه » . وفيما عدا ل : « طن ذبابه » . والأزرق : ضرب من الذباب .

(٦) ب فقط : « رباح » بالباء الموحدة والمعروف فى نسبة الخنساء أنها بنت عمرو بن الشريد بن رياح . الإصابة ٣٥٣ من قسم النساء والخزانة (١ : ٢٠٨) . وفى الأغانى (١٣ : ١٢٩) أنها بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح .

(٧) فيما عدا ل : « غلب عليه الشريد لقوله » .

قال : ودخل رجلٌ من قيسِ عَيلان على عبد الملك بن مروان ، فقال زُبَيرىٌّ عَميرىٌّ[١] ! والله لا يحبُّك قلبى أبدا ! فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنَّما يجزع من فقدان الحبِّ المرأة ، ولـكن عدلٌ وإنصافٌ[٢] .

وقال عمر لأبى مريم الحنفىّ[٣] ، قاتل زيد بن الخطاب : « لا يحبُّك قلبى [أبداً] حتّى تحبَّ الأرضُ الدمَ المسفوح » . وهذا مثل قول الحجّاج : « والله لأقلعنَّك قَلع الصَّمْغَة » ، لأنَّ الصمغة اليابسة إذا قُرِفَت[٤] عن الشجرة انقلعت انقلاع الجُلْبَة[٥] . والأرض لا تَنْشَفُ الدَّمَ المسفوحَ ولا تمصُّه ، فمتى جفَّ الدم وتجلَّبَ[٦] لم تره أخذ من الأرض شيئا .

* * *

ومن الخطباء : القَضبان بن القَبَعْثَرَى[٧] ، وكان محبوساً فى سجن الحجّاج ،

---

(١) ل : « عمرى » . وسيعاد الخبر فى ٢٨٨ من الأصل .

(٢) الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ١١) مع إيجاز .

(٣) هذا الصواب فى ل . وفيما عدا ل : « الحنفى السلولى » وهو خلط فى النسب . وفى الـكامل ٣٤٦ ليبسك أنه « السلولى » . وفى حواشيه : « وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله أبو مريم السلولى ، إنما هو أبو مريم الحنفى ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الـكذاب ، واسم أبى مريم إياس بن صبيح ، ثقة كوفى . واسم أبي مريم السلولى مالك بن ربيعة ، من الصحابة ، روى عنه ابنه يزيد وغيره » . والخبر أيضا فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والحيوان (٣ : ١٣٦/٤ : ٢٠١) .

(٤) قرفت : قشرت وقلعت . وفى الأصول : « فرقت » تحريف . وفى اللسان : « وقولهم تركته على مثل مقرف الصمغة ، وهو موضع القرف ، أى مقشر الصمغة » .

(٥) الجلبة بالضم : القشرة تعلو الجرح عند البرء .

(٦) المعروف فيه جلب وأجلب ، أى يبس . ل : « تجلف » ولا وجه له .

(٧) القبعثرى ، بفتحات بينها سكون العين ، أصل معناه الجمل العظيم الضخم . والقضبان هذا رجل شيبانى ، وكان من زعماء مروانية أهل العراق الذين كان عبد الملك يرعى جانبهم . انظر الطبرى (٧ : ١٨٤) . وقد أوفده الحجاج بكتاب إلى قطرى بن الفجاءة ، نصه فى الـكامل ٢١٤ ليبسك .

فدعا به يوماً ، فلما رآه قال : إنك لَسَمين ! قال : « القَيْدُ والرَّتَعة[1] ، ومَن يكن ضيفاً للأمير يَسمَن » |.

وقال يزيد بن عياض[2] : لما نَقِمَ النّاس على عثمان ، خرج يتوكّأ على
٢٢٠ مروان[3] ، وهو يقول : « لكلّ أمّةٍ آفة ، ولكلّ نِعمة عاهة ، وإنّ آفة هذه الأمّة عَيّابون طعّانون ، يُظهرون لكم ما تحبّون ، ويُسِرّون ما تكرهون ، طَغامٌ مثلُ النَّعام ، يتبعُون أوّلَ ناعق . لقد نَقِموا علىّ ما نقموه على عُمر ، ولكنْ قَمَعهم عمرُ ووَقَمهم . والله إنّى لأقربُ ناصراً وأعزّ نفرا . فَضَلَ فَضْلٌ من مالى ، فما لى لا أفعل فى الفضل ما أشاء » .

قال : ورأيتُ النّاس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر[4] ، على لسان يزيدَ ابن المهلّب[5] : « إنّا لقِينا العـدُوّ فقتلنا طائفةً وأسَرْنا طائفة ، ولحقَتْ طائفةٌ

---

(١) الرتعة ، بالفتح وبالتحريك : الاتساع فى الخصب . والخبر فى اللسان (رتع) بلفظ « الخفض والدعة ، والقيد والرتعة ، وقلة التعتعة » . وأول من قال « القيد والرقعة » هو عمرو بن الصعق ، وكانت شاكر من همدان قد أسروه ، فأحسنوا إليه ، وقد كان يوم فارق قومه نحيفا ، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا : أى عمرو ، خرجت من عندنا نحيفا وأنت اليوم بادن ! فقال : القيد والرتعة . انظر اللسان والميدانى (٢ : ٤١) .

(٢) هو أبو الحكم يزيد بن عياض بن جعدبة الليثى المدنى ، من ضعاف أهل الحديث ، توفى بالبصرة فى خلافة المهدى . تهذيب التهذيب .

(٣) مروان هذا ، هو مروان بن الحكم والد عبد الملك . ولد لسنتين خلتا من الهجرة ، وقبض رسول الله وهو ابن ثمان سنين ، وولى لعبد الله بن عامر رستاقا من أردشيرجوه ، ثم ولى البحرين لمعاوية ثم المدينة مرتين ، ثم بويع له بالخلافة ، فوليها عشرة أشهر ، ومات بالشام سنة خمس وستين .

(٤) يحيى بن يعمر التابعى ، أديب نحوى فقيه كان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علما باللغة ، سمع ابن عمر وجابرا وأبا هريرة ، وأخذ النحو عن أبى الأسود ، وولاه قتيبة بن مسلم قضاء خراسان وتوفى سنة ١٢٩ . بغية الوعاة وتهذيب التهذيب وابن الأثير .

(٥) وجه الرسالة إلى الحجاج ، كما فى اللسان (٦ : ٢٣٥) وما يفهم من السياق . ويزيد هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادها ، وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب ، وكان يكرهه لنجابته ، فأشار على عبد الملك بعزله ، فعزله ثم حبسه الحجاج وعذبه ، فهرب إلى سليمان بالشام فآواه ، وحبسه عمر بن عبد العزيز فهرب أيضا ، ولما ولى يزيد بن عبد الملك خلعه فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله . وفيات الأعيان .

بِعَراعِرِ الأَودِية وأهضام الغِيطان ، و بتنا بعُرعُرة الجبل ، و بات العدُوُّ بحضيضه » قال : فقال الحجّاج : ما يزيدُ بأبي عُذْرِ هذا الكلام [1] . فقيل له إنّ معه يحيى ابن يعمر ! فأمر بأن يحمل إليه [2] فلما أتاه قال : أين وُلدتَ ؟ قال : بالأهواز . قال : فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال : أخذتُها عن أبى .

[عراعر الأودية : أسافلها . وعراعر الجبال : أعاليها . وأهضام الغيطانِ : مداخلها . والغيطان : جمع غائط ، وهو الحائط ذو الشجر] .

ورأيتهم يديرون [3] فى كتبهم أن امرأةً خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر فانتهرها مراراً ، فقال له يحيى بن يعمر : « أإنْ سألتكَ ثمن شَكرِها وشَبْرِك ، أنشأتَ تطلُّها وتَضْهَلُها [4] » .

قالوا : الضَّهل : التَّقليل . والشَّكْر : الفرج [5] . والشَّبْر : النِّكاح [6] . وتطلُّها : تذهب بحقِّها ؛ يقال دمٌ مطلول . ويقال بئر ضَهول ، أى قليلة الماء .

قال : فإن كانوا إنَّما رووا هذا الكلامَ لأنّه يدلُّ على فصاحةٍ فقد باعده الله من صفة [البلاغة و] الفصاحة . وإن كانوا إنّما دوّنوه في الكتب ، وتذاكروه فى المجالس لأنّه غريب ، فأبياتٌ من شعر العجّاج وشعر الطِّرِمّاح وأشعارِ هُذيل ، تأتِي لهم مع حُسن الرَّصْف على أكثر من ذلك [7] . ولو خاطب قوله « أإنْ سألتكَ ثمن شكرها وشَبْرك أنشأتَ تطلُّها وتضهلها » الأصمعىَّ ،

---

(١) يقال هو أبو عذر هذا الكلام وعذرته أيضا ، أى أول من قاله ، كأنه افتضه أولا . فيما عدا ل : « بأبي عذرة »

(٢) بدلها فيما عدا ل : « لحمل إليه » .

(٣) ل : « يزيدون » تحريف .

(٤) الخبر فى اللسان (شكر ، شبر ، طلل ، ضهل) . والصناعتين ٣٠ .

(٥) فيما عدا ل : « الجماع » والصواب ما أثبت من ل .

(٦) فيما عدا ل : « البضع » وكلاهما صحيح .

(٧) فيما عدا ل : « مما ذكروا » . وما أثبت من ل يطابق ما فى الصناعتين .

لظننتُ أنّه سيجهل بعض ذلك . وهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم .

قال أبو الحسن : كان غلامٌ يقعّر فى كلامه ، فأتى أبا الأسود الدّؤلى (١) يلتمس بعضَ ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فعَل أبوك ؟ قال : « أخذته الحُمّى فطبختَه طبخاً ، وفنَخته فنْخا ، وفضخته فضخا ، فتركته فرخا »

[فنختـه : أضعفته . والفنيخ : الرخو الضعيف . وفضخته : دقّته] .

قال أبو الأسود : « فما فعلت امرأتُه التى كانت تُهارُّه وتشارُّه (٢) ، وتجارُّه (٣) وتُزارُّه » ؟ قال : « طلّقَها فتزوّجتْ غيرَه ، فرضيَتْ وحَظِيت و بظيت » .

قال أبو الأسـود : قد عرَفنا رضيت وحظيت ، فما بظيت ؟ قال : حرف من الغريب لم يبلغك . قال أبو الأسود : يا بُنى كلُّ كلمةٍ لا يعرفها عمُّك فاسترْها كما تستر السّنورُ جَعْرها (٤) . ٢٢١

تزارّه : تُعاضُّـه . والزَّرُّ : العضّ . وحَظيت : من الحُظْوَة . و بظيت : إتباعٌ لحظيت .

قال أبو الحسن : مَرّ أبو علقمة (٥) ببعض طرق البصرة ، وهاجت به مِرَّةٌ ، فوثب عليه قومٌ منهم فأقبَلوا يعضّون إبهامَه و يؤذّنون فى أذنه ، فأفلت منهم (٦) فقال : « مالـكم تتكأكأون علىّ كما تتكأكأون على ذي جِنَّةٍ (٧) ، افرنقِعوا

---

(١) فيما عدا ل : « الدئلى » ويقال فى النسبة إلى « دئل » : « دؤلى » و « دئلى » .

(٢) تهاره : تهر فى وجهه كما يهر الكلب . وتشاره : تعاديه وتخاصمه ، فيما عدا ل : « تشاره وتجاره » .

(٣) فيما عدا ل : « وتهاره » . وتجاره : تلحق به الجريرة .

(٤) فيما عدا ل : « خرءها » .

(٥) أبو علقمة النحوى النميرى . قال ياقوت : أراه من أهل واسط . وقال القفطى : قديم العهد يعرف اللغة ، كان يتقعر فى كلامه ويعتمد الحوشى من الكلام والغريب . بغية الوعاة ٣٢٥ . وإرشاد الأديب (١٢ : ٢٠٥ — ٢١٠) .

(٦) فيما عدا ل : « من أيديهم » . وانظر الخبر فى الصناعتين ٢٧ .

(٧) الجنة : الجنون . فيما عدا ل : « كأنكم تتكأكأون » .

عنّى[١] » . قال : دعُوه فإن شيطانه يتكلّم بالهندية .

قال أبو الحسن : وهاج بأبى علقمة الدم فأتَوه بحجّام ، فقال للحجّام : «أشدُد قصب المَلَازم[٢] ، وأرْهِف ظُبات المشارط ، وأسرِع الوضعَ وعجِّل النّزع ، وليكن شرطُك وخزاً ، ومصُّك نهزاً ، ولا تُكرِهنّ أبيّاً ، ولا تردّنّ أتيّا » . فوضع الحجام محاجمه فى جُونته ثم مضى[٣] .

فحديثُ أبى علقمةَ فيه غريب ، وفيه أنّه لو كان حجاماً مرّةً ما زاد على ما قال . وليس فى كلام يحيى بن يعمر شىء من الدُّنيا إلا أنّه غريب ، وهو أيضاً من الغريب بغيض .

وذكروا عن محمد بن إسحاق قال : لما جاء ابنَ الزبير وهو بمكّة قتلُ مروانَ الضّحاكَ[٤] بمرج راهط ، قام فينا خطيباً فقال : « أن ثَعلب بن ثعلب ، حَفر بالصحصحة ، فأخطأت استُه الحفرة[٥] . وا لَهفَ أمّ لم تلدنى على رَجُلٍ من محارب[٦] كان يرعى فى جبال مكّة . فيأتى بالصّربة من اللبن[٧] فيبيعها بالقُبْضة من الدقيق ، فيرى ذلك سِداداً من عيش ، ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثةَ النبوّة » .

---

(١) يروى هذا القول أيضا لعيسى بن عمر ، كما فى بغية الوعاة ٣٢٥ .

(٢) الخبر فى الصناعتين ٢٦ — ٢٧ . والملازم : جمع ملزم ، بالكسر ، وهو خشبتان مشدود أوساطهما بحديد تجعل فى طرفها قناحة فتلزم ما فيها لزوماً شديداً .

(٣) فيما عدا ل : « وانصرف » . الجونة ، بالضم : سليلة مستديرة مغشاة أدما .

(٤) الضحاك هذا هو الضحاك بن خالد الفهرى ، ولد فى زمان الرسول بعد الهجرة ، ولاه معاوية الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق . ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان فقتل بمرج راهط سنة ٦٤ . الإصابة ٤١٦٤ والطبرى (٧ : ٣٧ — ٤١).

(٥) الصحصحة والصحصح : الأرض المستوية الواسعة . والخبر فى اللسان (٣ : ٣٣٩). وقال : « وهذا مثل للعرب تضربه فيمن لم يصب موضع حاجته . يعنى أن الضحاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها » .

(٦) يعنى الضحاك بن قيس ، ينتهى نسبه إلى محارب بن فهر .

(٧) الصربة : الواحدة من الصرب ، وهو اللبن الحقين الحامض . فيما عدا ل : « بالشربة » تحريف . وهذه العبارة فى اللسان (صرب) .

وأوّلُ هذا الكلامِ مستكره ، وهو موجود فى كلّ كتاب ، وجارٍ على لسان كلّ صاحِب خبر . وقد سمعتُ لابن الزُّبير كلاماً كثيرا ليس هذا فى سبيله ، ولا يتعلّق به .

وقال أبو يعقوب الأعور[١] :

وخَلْجة ظَنٍّ يَسبِق الطّرفَ حزمُها   تُشِيف على غُنْمٍ وتُمكن من ذَحْلِ
صَدعتُ بها والقومُ فوضَى كأنّهم   بِكارةُ مِرباعٍ تُبصبِص للفَحلِ

خلجة ظنٍّ : أى جذبه ظنٍّ ، كأنّه يجذِب صوابَ الرأى جذبا . والخلج: ٢٢٢ الجذْب . تُشِيف : أى تُشرِف ؛ يقال أشافَ وأشفى بمعنى واحد ، أى أشرف . بِكارة مِرْباع : أى نوقٌ فتايا[٢] [قد أذلّت للفحل] . مرباع : أى [نوق] رئيس[٣] . والمِرباع : رُبع الغنيمة فى الجاهليّة لصاحب الجيش . وقال ابن عَنَمة[٤] :

لكَ المِرباع منها والصَّفايَا   وحُكمكَ والنَّشيطة والفُضول[٥]

وقال رجل من بنى يربوع :

إلى الله أشكو ثم أشكو إليكما   وهل تنفع الشكوى إلى مَن يَزيدُها
حرارات حُبٍّ فى الفؤاد وَعبْرةً   أظَلُّ بأطراف البنان أذودُها[٦]
يَحنُّ فؤادى من مخافةِ بينكم   حنين المُزَجَّى وجهةً لا يُريدُها

---

(١) فيما عدا ل : « الأعور السلمى » ولست منه على بينة . وقد أنشد له الجاحظ شعرا فى الحيوان (٣ : ٧٢) وذكره أيضا فى (٥ : ٣١٦) .
(٢) فتايا : جمع فتية . فيما عدا ل : « صغار » .
(٣) فى الأصول : « ربيع » وفى اللسان : « ما يأخذه الرئيس » .
(٤) هو عبد الله بن عنمة الضبى ، أحد شعراء المفضليات ، وهو مخضرم شهد القادسية ، ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٣٣٤ . وانظر الخزانة (٣ : ٥٨) .
(٥) البيت فى اللسان (ربع ، صفا ، نشط ، فضل) . وهو من أبيات ثمانية فى الحماسة (١ : ٤٢٠) .
(٦) فيما عدا ل : « حزازات » . والحزازة : وجع فى القلب من غيظ ونحوه .

وقد أحسن الآخر حيث قال :

وأ كرِم نفسى عن مَنا كحَ بَجَّةٍ ويقصُر مالى أن أنالَ الغواليا

وقال الآخر :

وإذا العبدُ أغلق البابَ دونى لم يُحرِّم علىَّ متنُ الطريقِ

وقال الخليع العُطارِدىّ[1] : كنّا بالبادية إذْ نشأ عارضٌ وما فى السماء قَزَعة معلّقة[2] ، وجاء السَّيلُ فاكتسح أبياتاً من بنى سعد ، فقلت :

فَرِحنا بوَسْمِىّ تألّقَ وَدْقُه عِشاء فأبكانا صَباحاً فأسرعا[3]
له طُلّةٌ كانَ ريِّق وَبْلِها مَجاجةُ صَيف أو دخانٌ ترَفّعا[4]
فكان على قوم سلاماً ونعمةً وألحق عاداً آخرين وتبّعا[5]

قال أبو عطاء السِّندىّ[6] ، لعُبيد الله بن العباس الكِندىّ :

وقُل لعُبيد اللهِ لو كان جعفرٌ هو الحىَّ لم يبرَحْ وأنتَ قتيلُ[7]
إلى معشرٍ أرْدَوْا أخاكَ وأكفروا أباكَ فماذا بعد ذاكَ تقولُ ٢٢٣

فقال عُبيد الله : أقول عَضّ أبو عطاء بِبَظْر أمّه . فَغُلّب عليه .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير ، فى أبى رُهْم السَّدوسىّ ، وكان يلى الأعمال لأبى جعفر :

---

(١) قال فى المؤتلف ١١٣ : « الخليع السعدى ، وهو الخليع بن زفر أحد بنى عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ويقال له الخليع العطاردى » .

(٢) القزعة ، بالتحريك : واحدة القزع ، وهو قطع السحاب .

(٣) الوسمى : مطر الربيع الأول . والودق : المطر .

(٤) الريق : أول كل شىء . ترفع : ارتفع .

(٥) ل : « سلاما وسرة » . ألحق الأخرين عادا : أهلكم .

(٦) أبو عطاء السندى ، هو أفلح بن يسار ، مولى لبنى أسد ، وشاعر من مخضرى الدولتين ، وكان من شيعة بنى أمية . توفى عقب أيام المنصور . الخزانة (٤ : ١٧٠) والشعر والشعراء والأغانى (١٦ : ٧٨ — ٨٤) .

(٧) فيما عدا ل : « وقل » بدون الخرم . كما أن هذا البيت فيما عدا ل متأخر عن لاحقه.

رأيتُ أبا رُهم يقرِّب مُنجِحاً غلامَ أبي بشرٍ ويُقصِي أبا بشرِ [١]

فقلت ليحيي كيف قرَّبَ مُنجِحا فقال : له أيرٌ يزيد على شِبرِ

***

قال أبو عثمان : وقد طعنت الشُّعوبية على أخذ العرب فى خُطَبِها المخصرةَ والقناةَ والقضيبَ ، والاتكاء والاعتماد على القَوس ، والخدَّ فى الأرض ، والإشارة بالقضيب ، بكلامٍ مستكره سنذكره فى الجزء الثانى [٢] ، إن شاء الله . ولا بد من أن نذكر فيه بعضَ كلامِ معاوية ، ويزيدَ ، وعبد الملك ، وابنِ الزبير ، وسليمانَ ، وعمرَ ابنِ عبد العزيز ، والوليدِ بن يزيدَ بنِ الوليد ؛ لأنَّ الباقين من ملوكهم لم نذكر لهم من الكلام الذى يُلحق بالخُطب ، وبصناعة المنطق ، إلاَّ اليسير . ولا بدَّ من أن نذكر فيه أقسامَ تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآنُ جميعَ الكلام الموزونِ والمنثور ، وهو منثورٌ غير مقفًى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمُه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج . ولا بدَّ من أن نذكر فيه شأنَ إسماعيل صلى الله عليه وسلم وانقلابَ لغته بعد أربعَ عشرةَ سنة ، وكيف نسِى لغتَه التى رَبِىَ فيها ، وَجَرى على أعراقها ، وكيف لفَظَ بجميع حاجاته بالعربيّة على غير تلقين ولا ترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ولا لُكْنة ولا حُبْسة ، ولا تعلَّق بلسانه شىءٌ من تلك العادة ، إن شاء الله .

ولا بد من ذكر [بعض] كلام المأمون ومذاهبه ، وبعضِ ما يحضرنى من كلام آبائه وجِلّةِ رَهطه . ولا بدّ أيضاً من ذكر مَن صعد المنبر فحَصِر أو خَلّط ، أو قال فأحسن ؛ ليكون أتمَّ للكتاب [١] إن شاء الله .

---

(١) فيما عدا ل : « ويجفو أبا بشر » .
(٢) فيما عدا ل : « الثالث » وهو خطأ .
(٣) فيما عدا ل : « ليكون الكتاب أكمل » .

ولابدّ من ذكر المنابر ولِمَ اتُّخذت ، وكيف كانت الخطباء من العرب ٢٢٤ في الجاهليّة وفي صدْر الإسلام[١] ، وهل كانت المنابرُ في أمّةٍ قطُّ غير أمّتنا ، وكيف كانت الحال في ذلك . وقد ذكرنا أنّ الأمم التي فيها الأخلاقُ والآداب والحِكمُ والعلم أربع : وهي العرب ، والهند ، وفارس ، والروم . وقال حكيم ابنُ عيّاشٍ الكلبيّ[٢] :

ألم يكُ مُلْكُ أرضِ الله طرًّا لأربعةٍ له متميّزينا
لحميرَ والنّجاشِي وابنِ كِسرى وقَيصرَ غيرَ قولِ المُمْتَرينا

فما أدري بأيّ سببٍ وَضع الحبشةَ بهذا المكان . وأما ذِكرُه لحمير فإنْ كان إنّما ذهب إلى تبّعٍ نفسِه في الملوك ، فهذا له وجه . وأما النّجاشيّ فليس هو عند الملوك في هذا المكان ، ولو كان النجاشيُّ في نفسه فوق تبّعٍ وكِسرى وقيصرَ لما كان أهلُ مملكته من الحبَش في هذا الموضع . وهو لم يفضّل النجاشيّ لمكانِ إسلامه ، يدلُّ على ذلك تفضيلُه لكسرى وقَيصر . وكان وضَعَ كلامَه على ذكر الممالك ، ثم ترك الممالكَ وأخذ في ذكر الملوك . والدّليلِ على أنّ العربَ أنطقُ ، وأن لغتَها أوسع ، وأن لفظَها أدلُّ ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثالَ التي ضُربت فيها أجود وأسير . والدّليلِ على أنّ البديهة مقصورٌ عليها ، وأنّ الارتجال والاقتضاب خاصٌّ فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي

---

(١) فيما عدا ل : « صدور الإسلام » .

(٢) هو المعروف بالأعور الكلبي . وهو شاعر مجيد كان منقطعا إلى بني أمية بدمشق ، ثم انتقل إلى الكوفة . وكان بينه وبين الكميت بن زيد مفاخرة ، وهو القائل في تعصبه لليمن على مضر :

ماسرني أن أمي من بني أسد وأن ربي نجاني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار

إرشاد الأديب (١٠ : ٢٤٧ — ٢٤٩) والأغاني (١٥ : ١٢٢ — ١٢٣) .

تسمِّيه الرُّوم والفرس شعراً . وكيف صار النَّسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم و [فى] ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم ، وهذا لا يُصاب فى العرب إلاّ القليلَ اليسير ، وكيف صارت العرب تقطِّع الألحانَ الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزونا على موزون ، والعجمُ تمطِّط الألفاظ فتقبض وتبسُط حتّى تدخل فى وزن اللحن فتضعَ موزوناً على غير موزون .

وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب العِىّ واللّحن والغلط والغَفلة ، أبوابا طريفة[١] ، ونذكرُ فيه النَّوكَى من الوُجوه ومجانينِ العرب ، ومن ضُرب به
٢٢٥ المَثل منهم ، ونوادرَ من كلامهم ، ومجانين الشعراء . ولستُ أعنى مثلَ مجنون بنى عامر ، ومجنونِ[٢] بنى جَعدة ، وإنّما أعنى مثل أبى حيّة فى أهل البادية ، ومثل جُعيفِران فى أهل الأمصار ، ومثل أريسيموس[٣] اليونانىّ .

وسنذكر أيضاً بقيةَ أسماء الخطباء والنُّسّاك وأسماء الظُّرفاء والملحاء ، إن شاء الله . وسنذكر من كلام الحجّاج وغيره ، ما أمكننا فى بقية هذا الجزء إن شاء الله .

***

قال أبو الحسن المدائنى : قال الحجّاج لأنس بن مالك ، حين دخل عليه فى شأن ابنِه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الأشعث : « لا مرحباً بكَ ولا أهلاً . لعنةُ الله عليك من شيخٍ جوّال فى الفتنة ، مرّةً مع أبى تراب ، ومرة مع

---

(١) فيما عدا ل : « ظريفة » بالمعجمة .

(٢) الحق أن هذا المجنون والذى قبله واحد . فإن المجنون العامرى هو قيس بن الملوح ابن مزاحم بن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة . انظر المؤتلف ١٨٨ حيث ساق أيضا ممن يسمى بالمجنون من الشعراء : المجنون الشريدى ، والقشيرى ، والتيمى .

(٣) فيما عدا ل : « أرسيموس » .

ابن الأشعث . واللهِ لأقلعنّك قلع الصَّمْغَة[١] ، ولأعصبنّك عَصْب السَّلَمة[٢] ، ولأجرّدنّك تجريد الضبّ[٣] » . قال أنس : من يعنى الأمير أعزّه الله[٤] ؟ قال : إيّاك أعنِي ، أصمّ الله صداك[٥] ! فكتب أنسٌ بذاك إلى عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك إلى الحجّاج :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستَفْرِمة بحبّ الزّبيب[٦] ، والله لقد هممتُ أنْ أركُلَك رَكلةً تهوِي بها إلى نار جهنّمَ[٧] . قاتلك الله أخيفشَ العينين أصكّ الرِّجْلين[٨] ، أسودَ الجاعرتين . والسلام » .

وكان الحجّاج أخيفش ، مُنسلِق الأجفان ، ولذلك قال إمام بن أقرم النميرى[٩] ، وكان الحجّاج جعله على بعض شُرط أبان بن مروان ثم حبسه ، فلما أخرج قال :

طَليقُ الله لم يَمْنُنْ عليه ... أبو داود وابنُ أبى كثيرِ

ولا الحجّاجُ عينَىْ بنتِ ماء ... تقلّب طَرْفَها حذَر الصقورِ

لأنّ طير الماء لا يكون أبداً إلا مُنْسلق الأجفان .

قال : وخطب الحجّاج يوماً فقال فى خطبته : « والله ما بقى من الدُّنيا إلا

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٧٦ .

(٢) السلم : شجر من العضاه . وإنما يعصب لتخبط أوراقه فتتناثر للماشية . انظر اللسان (عصب) حيث تفسير العبارة .

(٣) تفسيره فى اللسان (جرد) : « أى لأسلخنك سلخ الضب ؛ لأنه إذا شوى جرد من جلده » .

(٤) فيما عدا ل : « أبقاه الله » .

(٥) الصدى : رجع الصوت . وهذا كناية عن الإهلاك ، إذا مات الرجل فإنه لا يسمع صوته ولا يجاب .

(٦) فيما عدا ل وكذاك اللسان (خرم) : « بعجم الزبيب » وهو حبه . والمستفرمة : التى تجعل الدواء فى هنها ليضيق .

(٧) فيما عدا ل : « فى نار جهنم » .

(٨) الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .

(٩) فيما عدا ل : « إمام بن أرقم » .

مثلُ ما مضى ، ولهو أشبَهُ به من الماء بالماء . والله ما أُحبُّ أن ما مضى من الدنيا لى بعمامتى هذه » .

المفضّل بن محمد الضّبى قال : كتب الحجّاج إلى قتيبة بن مُسلم : أن ابعثْ إلىّ بالآدم الجَعْد[1] ، الذى يُفهمنى ويَفهم عنّى . فبعث إليه غَدّام بن شُتَيْر[2] فقال الحجّاج : لله درّه ! ما كتبتُ إليه فى أمرٍ قطُّ إلا عرف ما أريد .

٢٢٦ وقال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاجُ الحجَّ ، فخطب الناسَ فقال : « أيُّها الناس ، إنى أريد الحجّ ، وقد استخلفت عليكم ابني [محمّدًا] هذا ، وأوصيتُه فيكم بخلافِ ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأنصار . إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يُقبل من محسنهم ، ويُتجاوَزَ عن مسيئهم ، ألا وإنّى قد أوصيتُه ألاّ يَقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألاَ وإنّكم ستقولون بعدى مقالاً لا يمنعكم من إظهاره إلا مخافتى[3] . ستقولون بعدى : لا أحسَنَ الله له الصِّحابة[4] ! ألا وإنّى معجِّلٌ لكم الجواب[5] ، لا أحسن الله عليكم الخِلافة » . ثم نَزَل .

وكان يقول فى خطبته : « أيُّها الناس ، إنّ الكفَّ عن محارم الله أيسَرُ من الصَّبر على عذاب الله » .

وقال عمرو بن عُبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصيّةَ زيادٍ بيده وأمرَ النّاسَ بحفظها وتدبُّر معانيها ، وهى : « إنّ الله عز وجل جعَلَ لعباده عُقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسنٍ بنعمة الله

---

(١) الآدم : الأسود . والجعد : الخفيف ، وقيل المجتمع الشديد .
(٢) فيما عدا ل : « غدام بن شتير » .
(٣) فيما عدا ل : « مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى » .
(٤) فى القاموس : « صحبه كسمعه صحابة ويكسر » .
(٥) فيما عدا ل : « الإجابة » .

عليه ، ومسىء بخِذلان الله إيّاه . ولله النّعمةُ على المحسن ، والُحجّة على المسىء . فما أوْلَى مَن تمّت عليه النّعمة فى نفسه ، ورأى العبرة فى غيره ، أن يضع الدُّنيا بحيث وضعها الله فيعطِىَ ما عليه منها ، ولا يتكثّرَ مما ليس له فيها ؛ فإنّ الدُّنيا دارُ فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولابدَّ مِن لقاء الله عزّ وجلّ . فأُحذِّرُكم اللهَ الذى حذّركم نفسَه ، وأُوصيكم بتعجيل ما أخّرته العجَزة ، قبل أن تَصيروا إلى الدّار التى صاروا إليها ، فلا تقدروا[1] فيها على توبة ، وليست لكم منها أوْبة . وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم » .

وقد رُوى هذا الكلام عن الحجّاج ، وزيادُ أحقُّ به منه .

---

(١) فى جميع النسخ : « فلا تقدرون » .

باب

ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام

قال جرير :

تُكَلِّفُنِي رَدَّ الفوائتِ بَعد ما ... سَبقْن كَسَبق السيف ما قال عاذِلُه[1]

وقال الكُميت بن معروف[2] :

خذُوا العقلَ إنْ أعطا كمُ القومُ عقلَكُمْ ... وكونوا كمن سِيمَ الهوانَ فأربعا[3]

ولا تكثروا فيه الضِّجاجَ فإنّه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا[4] ٢٢٧

والمثل السابق[5] : « سبق السيفُ العَذَلَ[6] » .

***

ومن أهل الأدب : زكرياء بن درهم ، مولى بنى سُلَيم بن منصور ، صاحب سَعيد بن عمرو الحَرَشى[7] . وزكرياء هو الذى يقول :

---

(١) فيما عدا ل : « رد العواقب » تحريف . والقصيدة من النقائض ٦٣٩ يجيب بها الفرزدق . ورواية الديوان ٤٨٣ والنقائض :

* وما بك رد للأوابد بعد ما *

(٢) وكذا جاءت النسبة فى حماسة البحترى ١١ وشرح الحماسة للتبريزى (١: ٢٠٦ بولاق). وقيل هو للكميت بن ثعلبة . الخزانة (٤ : ٥٦٠) والمؤتلف ١٧٠ .

(٣) العقل : الدية . فيما عدا ل : « العقل قومكم » . سامه الهوان : أراده عليه . وأربع أقام فى المربع عن الارتياد والنجعة . ويروى : « فارتعا » وفسره فى الخزانة بأنه من قولهم أرتع إبله ، جعلها تأكل ما شاءت . انظر الحيوان (٣ : ٧٩) .

(٤) فيه ، أى فى الأمر . ويروى : « فيها » ، أى فى القضية . وابن دارة هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى .

(٥) فيما عدا ل : « والمثل السائر من قبل هذا » .

(٦) العذل ، بالتحريك : اسم من عذله يعذله ، إذا لامه . والمثل للحارث بن ظالم ، كان قد ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره فقال : « سبق السيف العذل » .

(٧) سعيد بن عمرو الحرشى : أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذبا الخارجى وفتك بمن معه سنة ١٠١ ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته ، فعزله وعذبه . والحرشى : نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . انظر الجهشيارى ٦١ والطبرى (٨ : ١٤٣ ، ١٦٨ – ١٧٥) والحيوان (٤ : ٣٣) .

لا تُنكِروا لسعيدٍ فضلَ نِعمته　　لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناسا

ومن أهل الأدب ممن وجَّهَهُ هشامٌ إلى الحرشىّ : الشُّرادق بن عبد الله السَّدوسىّ الفارس(١) . ولما ظفر سَلْم بن قتيبة(٢) بالأزْد ، كان من الجند فى دُور الأزد انتهابٌ و إحراق ، وآثار قبيحة ، فقام شَبيب بن شيبة إلى سَلْم بن قتيبة فقال : أيها الأمير ، إن هُرَيم بن عدىّ بن أبى طَخْمة(٣) — وكان غير منطيق — قال ليزيدَ بن عبد الملك فى شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنّا والله ما رأينا أحداً ظُلِمَ ظُلْمَك ، ولا نُصِر نصرَك ، ولا عفا عفوك(٤) . و إنا نقول أيضاً : أيُّها الأمير ، إنّا والله ما رأينا أحداً ظُلِمَ ظلمَك ، ولا نُصر نصرك . فافعل الثالثة نقُلْها .

قال الهيثم بن عدىّ : قام عبد الله بن الحجاج التَّغلبى إلى عبد الملك بن مروان ، وقد كان أراد الاتصال به ، وكان عبد الملك حَنِقا عليه ، فأقام ببابه حولاً لا يصل إليه ، ثم ثار فى وجهه فى بعض رَكَباته فقال :

أدنو لترحَمَني وترتُقَ خَلَّتى　　وأراك تدفَعُنى فأين المَدفَعُ(٥)

فقال عبد الملك : إلى النار ! فقال :

ولقد أذقْتَ بنى سعيدٍ حَرَّها　　وابنَ الزُّبير فعَرشُه متضعضعُ(٦)

فقال عبد الملك : قد كان ذلك ، وأنا أستغفر الله .

---

(١) فيما عدا ل : « الفارسى » تحريف .

(٢) ل والتيمورية : « مسلم بن قتيبة » تحريف . وترجمة سلم فى ١٧٤ .

(٣) كان هريم من فرسان بنى تميم فى الإسلام . الاشتقاق ١٤٨ . وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب . ولما كبر حول اسمه فى أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقيل له إنك لا تحسن أن تكتب . فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف . المعارف ١٨٣ — ١٨٤ .

(٤) هذه الجملة فى ل والتيمورية فقط .

(٥) « لترحمنى وترتق » كتبت فى ح والتيمورية بنقطتين من أعلى وأخريين من أسفل . وفى ب : « ليرحمنى ويرتق » .

(٦) فيما عدا ل : « فرأسه متضعضع » .

قال أبو عبيدة : كان بين الحجاج و بين العُدَيل بن الفَرْخ العجلي[١] بعضُ الأمر ، فتوعده الحجّاجُ ، فقال العُدَيل :

أُخَوَّفُ بالحجّاج حتّى كأنّما ... يحرّكُ عظمٌ فى الفؤاد مَهِيضُ
ودون يَدِ الحجاج من أنْ تنالنى ... بَساطٌ لأيدى اليَعمَلات عريضُ[٢]
٢٢٨ مهامهُ أشباهٌ كأنّ سرابَها ... مُلاءٌ بأيدى الغاسلاتِ رحيضُ[٣]

المهيض : الذى قد كُسر ثم جُبر ثم كسر . اليَعمَلات : العوامل ، والياء زائدةٌ لأنّها من عملت[٤] .

ثم ظفِر به الحجّاج فقال : إيه[٥] يا عُدَيل ، هل نجّاك بَساطُك العريض ؟ فقال : أيُّها الأمير ، أنا الذى أقول فيكم[٦] :

لو كنتُ بالعَنقاء أو بيَسُومها ... لكان لحجّاجٍ علىّ دليلُ[٧]
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه ... لكلِّ إمامٍ مصطفًى وخليلُ

---

(١) العديل ، بهيئة التصغير . والفرخ ، بالفتح ، وضبط فى الخزانة (٢ : ٣٦٨) بضم الفاء ، وأراه تحريفاً . وضبط بالفتح فى الاشتقاق ٢٠٨ . ل : « فرج » ، التيمورية « فرح » ب : « فرخ » والوجه ما أثبت من ح . والعديل شاعر إسلامى مقل فى الدولة المروانية . الخزانة والأغانى (٢٠ : ١١ — ١٩) والشعر والشعراء وحماسة ابن الشجرى ١٩٩ .

(٢) البساط ، بالفتح ، ويكسر : الأرض البسيطة الواسعة .

(٣) ملاء ، بالضم : جمع ملاءة . رحيض : مغسول .

(٤) هذا التفسير فى ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « له » .

(٦) فيما عدا ل : « فيك » .

(٧) العنقاء : أكمة فوق جبل مشرف . كذا فى القاموس ومعجم ياقوت . ويسوم : قال فى اللسان : « جبل صخره ملساء » ، وقال ياقوت : « فى بلاد هذيل . . وقيل يسوم جبل قرب مكة » . فى جميع النسخ « بأسومها » صوابه ما أثبت . ومثله قول محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى ، للحجاج حين خاف منه :

ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها ... لخلتك إلا أن تصد ترانى

انظر الكامل ٣٥٣ ليبسك . ورواية صدر بيت العديل فى المراجع المتقدمة :

* ولو كنت فى سلمى أجا وشعابها *

بنى قُبّةَ الإسلام حتّى كأنّما ... هَدى النّاسَ من بعد الضلال رسولُ

فقال له الحجاج : اربَحْ نفسَك ، واحقِن دمك ، وإيّاك وأختها ؛ فقد كان الذى بينى وبينَ قتلِك أقصرَ من إبهام الحُبارى .

قال : وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، خطيباً بالمدينة ، وكان واليَها ، ينعَى معاويةَ ويدعو إلى بيعة يزيد ، فلما رأى رَوْحُ بن زِنباع إبطاءهم قال : « أيُّها الناس ، إنّا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب ، ولكنّا ندعوكم إلى قريش ومَن جعل الله له هذا الأمرَ واختصَّه به ، وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناء الطّعن والطاعون ، وفُضالات الموت[1] ، وعندنا إن أجبتم[2] وأطعتُم من المعونة والعائدة[3] ما شئتم » . فبايع الناس .

قال : وخطب إبراهيم بن إسماعيل ، من ولد المغيرة المخزومى فقال : « أنا ابنُ الوحيد ، من شاء أجزَرَ نفسه[4] صقراً يلوذ حَمامُهُ بالعَرفجِ[5] » .

ثم قال :

استوسِقى أحمِرةَ الوَجينْ[6] ... سِمعن حِسَّ أسدٍ حَرُونْ

فهنّ يَضرِطْن ويفتَزِينْ

ثم قال : « والله إنّى لأُبغض القُرشىّ أن يكون فظًّا[7] . يا عجبًا لقومٍ يقال لهم مَن أبوكم ، فيقولون : أُمُّنا من قريش » .

---

(١) الفضالة ، بالضم : ما فضل من الشيء . فيما عدا ل : « فضلات » .

(٢) فيما عدا ل : « أحببتم » .

(٣) العائدة : النفع . فيما عدا ل : « والفائدة » .

(٤) أجزر نفسه الصقر : جعلها له جزورا . ل : « أجزرنى نفسه » ، وفيما عدا ل : « أحرز نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) اقتباس ، هو عجز بيت سبق فى ص ٤٨ . وصدره :

* وبعث من ولد الأغر معتب *

(٦) استوسقى : اجتمعى . والوجين : شط الوادى .

(٧) ل : « فضا » بالضاد المعجمة .

فتكلَّم رجلٌ من عُرْض النَّاس وهو يخطب ، فقال غيره : مَهِ[١] فإنّ الإمام يخطب. فقال : إنّما أُمِرنا بالإنصات عند قراءة القرآن ، لا عند ضُراط أحمرة الوجين .

٢٢٩ *وقال آخر : سمعت عمر بن هبيرة وهو يقول على هذه الأعواد[٢] فى دعائه : اللهم إنِّى أعوذُ بك من عدوٍّ يَسرِى ، ومن جليسٍ يُغرى ، ومن صديق يطرِى .

قال أبو الحسن : كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحرِّث ، خالُ مروان ، والياً على مكّة والمدينة ، وكان سيفَه شاهراً[٣] لا يُغمده ، و بلغه أن فتًى من بنى سهم يذكُره بكلٍّ قبيح ، فلمّا أُتِى به وأمر بضرب عنقه قال الفتى : لا تَعجَل علىّ ، ودعْني أتكلَّم . قال : أوَ بك كلام ؟ قال : نعم وأزيد ، يا نافع وَلِيت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا ، وعندك أربع عقائل من العرب ، و بنيت يا قوتةً بين الصَّفا والمروة — يعنى داره — وأنت نافعَ بنَ علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث ، أحسنُ الناس وجهاً ، وأكرمُهم حسبا ، وليس لنا من ذلك إلا التُّراب[٤] ، لم نحسدك على شىء منه ، ولم ننفَسه عليك ، فنفِستَ علينا أن نتكلَّم . قال : فتكلَّمْ حتى ينفكّ فكُّك[٥] .

علىّ بن مجاهد[٦] ، عن الجعد بن أبى الجعد ، قال : قال صَعصعة بن صُوحان : ما أعيانى جوابُ أحد ما أعيانى جوابُ عثمان ، دخلت عليه فقلت : أُخرِجْنا مِن ديارنا وأموالنا أن قلنا ربُّنا الله ! فقال : نحن الذين أُخرِجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربُّنا الله . فمنا مَن مات بأرض الحبشة ، ومنامَن مات بالمدينة .

قال : وقال الحجاج على منبره . « والله لأَلحوَنّكم لَحوَ العصا ، ولأعصِبَنّكم

---

(١) فيا عدا ل : « صه » . وكلاهما بمعنى اسكت . ينونان عند الوصل .
(٢) أى أعواد المنبر . فيا عدا : ل « على هذه الأعواد وهو يقول » .
(٣) فيا عدا ل : « وكان شاهرا سيفه » .
(٤) فيا عدا ل : « قلم » .
(٥) فيا عدا ل : « حتى ينفك فكاك » .
(٦) ترجم فى ٣٠١ .

عَصْبَ السَّلَمَة ، ولأضربنَّكم ضربَ غرائبِ الإبل . يا أهل العراق ، ويا أهل الشِّقاق والنِّفاق ، ومساوى الأخلاق ، إنِّى سمعتُ تكبيراً ليس بالتكبير الذى يُراد به اللهُ فى الترغيب ، ولكنَّه التكبير الذى يراد به الترهيب . وقد عرفتُ أنَّها عجاجةٌ تحتها قصفُ [فتنة] . أى بَنِى اللَّكيعة وعبيدَ العصا ، وأبناء الإماء ، والله لئن قرعتُ عصاً عصاً[1] لأتركنَّكم كأمسِ الدابر .

مالكُ بن دينار قال : ربَّما سمعتُ الحجّاج يخطب ، يذكُر ما صنع به أهلُ العراق وما صنعَ بهم ، فيقع فى نفسى أنَّهم يظلمونه وأنَّه صادقٌ ؛ لبيانه وحسن تخلُّصه بالحجج .

٢٣٠ قال : وقسَّم الحجاج مالا ، فأعطى منه مالكَ بنَ دينار ، وأراد أن يدفع منه إلى حبيبٍ أبى محمد[2] فأبى أن يقبل منه شيئاً ، ثم مرَّ حبيبٌ بمالك ، فإذا هو يقسِّم ذلك المال ، فقال له مالك : [أبا محمّد] لهذا قبلتُه[3] ؟ قال له حبيب دعْنى ممّا هناك ، أسألك بالله آلحجّاجُ اليومَ أحبُّ إليك أم قبلَ اليوم ؟ قال : [بل] اليوم . قال : فلا خير فى شىء حبَّب إليك الحجّاج .

ومرَّ غَيلان بن خَرَشة الضَّبى ، مع عبد الله بن عامر[4] ، على نهر أمّ عبد الله[5] ، الذى يشقُّ البصرة ، فقال عبد الله : ما أصلحَ هذا النَّهرَ لأهل هذا المِصر ! فقال غيلان : أجَلْ والله أيُّها الأمير ، يعلِّم القوم صبيانَهم فيه السِّباحة ، ويكون لسُقياهُم[6] ومَسيل مياههم ، وتأتيهم فيه مِيرتُهم . قال : ثم مرَّ غيلانُ

---

(١) هذه الكلمة الأخيرة ساقطة مما عدا ل .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣٦٤ . (٣) فيما عدا ل : « قبلناه » .

(٤) ترجمة غيلان فى ٣٤١ وعبد الله فى ٣١٨ . وكان غيلان أحد أصحاب أبى موسى الأشعرى ، ثم انتقض عليه وكان سببا فى أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعرى ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٧ .

(٥) نهر أم عبدالله ، منسوب إلى أم عبدالله بن عامر . كما فى معجم البلدان (٨ : ٣٣٦) . وفى الأصل : « نهر عبد الله » تحريف . والخبر فى الحيوان (٥ : ١٩٨) بخلاف فى اللفظ .

(٦) فى الأصل : « لشفاههم » صوابه من العمدة (١ : ١٦٥) .

يساير زياداً على ذلك النهر ، وقد كان عادى ابنَ عامر فقال زياد : ما أضرَّ هذا النهر ، بأهل هذا المصر ! قال غيلان : أجلْ والله أيُّها الأمير ، تنزُّ منه دورُهم ، وتغرَق فيه صبيانُهم ، ومن أجله يكثر بعوضُهم .

فالذين كرِهوا البيانَ إنّما كرهوا مثلَ هذا المذهب ؛ فأمّا نفسُ حسنِ البيان فليس يذمُّه إلاّ من عجَز عنه . ومن ذمَّ البيانَ مدح العِيَّ ، وكفى بهذا خبالاً[1] .

ولخالد بن صفوانَ كلامٌ فى الجُبْن المأكول ، ذهبَ فيه شبيهاً بهذا المذهب.

قال : ورجع طاوسٌ عن مجلس محمّد بن يوسف ، وهو يومئذ والى اليمن ، فقال : ما ظننت أنّ قولَ سبحان اللهِ معصيةٌ لله حتى كان اليوم . سمعتُ رجلاً أبلغ ابن يوسفَ عن رجلٍ كلاماً فقال رجل من أهل المجلس[2] : سبحان الله ! كالمستعظم لذلك الكلام . فغضب ابنُ يوسف .

قال أبو الحسن وغيره ، قالوا : دخل يزيدُ بن أبى مسلم[3] على سليمانَ بن عبد الملك ، وكان دميما ، فلما رآه قال : على رجلٍ أجرَّك رسَنَك ، وسلّطك على المسلمين ، لعنةُ الله ! قال : يا أمير المؤمنين ، [إنّك] رأيتنى والأمرُ عنّى مدبِر ، ولو رأيتَنى والأمرُ علىّ مقبلٌ لاستعظمتَ من أمرى ما استصغرت ! قال : فقال سليمان : أفترى الحجّاج بلغ قعر جهنم بعد ! قال[4] : ياأميرالمؤمنين، يجىء الحجّاج يومَ القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضاً على يمين أبيك وشمال أخيك، فضَعْه من النّار حيث شئت .

---

(١) فيا عدا ل : « وكفى بذلك جهلا وخبالا » .

(٢) فيا عدا ل : « فى المجلس »

(٣) يزيد بن أبى مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفى ، كان مولى الحجاج بن يوسف ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد فى شأنه : «مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً» . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان .

(٤) فيا عدا ل : « فقال يزيد » .

وذكر يزيد بن المهلب ، يزيدَ بن أبي مسلم ، بالعفّة عن الدينار والدِّرهم ، وهَمَّ بأن يستكفيه مُهِمًّا من أمره ، قال : فقال عمر بن عبد العزيز : أفلا أدلُّك ٢٣١ على مَن هو أزهدُ فى الدِّرهم والدينار منه ، وهو شرُّ خَلْق الله ؟ قال : من هو[1] ؟ قال : إبليس .

قال : وقال أسيلِ بن الأحنف ، للوليد بن عبد الملك قبل أن يُستخلف : أصلح الله الأمير ، إذا ظننتَ ظنًّا فلا تحقّقه ، وإذا سألتَ الرِّجالَ فسلْهم عما تعلم ، فإذا رأوا سرعةَ فهمك لما تعلم ظنُّوا ذلك بك فيما لا تعلم ، ودُسَّ مَن يسأل لك عما لا تعلم .

وكان أسيل بن الأحنف الأسديّ ، ذا بيانٍ وأدب وعقل وجاه ، وهو الذى يقول فيه الشّاعر :

[ألا أيُّها الركب المخبّون هل لكم ... بسيِّد أهلِ الشّام تُحبَوْا وتَرجعوا][2]
أُسَيلُ ذاكم لا خَفا بمكانهِ ... لعين تُرَجِّى أو لاذنٍ تسمّعُ[3]
من النّفرِ البيضِ الذين إذا انتمَوْا ... وهابَ الرِّجال حَلْقةَ الباب قعقعوا[4]
جلاَ الأذفرُ الأحوَى من المسك فَرْقَه ... وطيبُ الدِّهانِ رأسَه فهو أنزَعُ
إذا النّفَرَ السُّودُ اليمانون حاوَلُوا ... له حَوْكَ بُردَيه أرقُّوا وأوسعُوا

هذا الشّعر من أشعار الحفظ والمذاكرة .

***

(١) فيما عدا ل : « قال بلى » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل . والمخبون : الذين تخب بهم دوابهم ، تسرع . وفى النسخ الثلاث : « المخنون » تحريف . والأبيات فى الحيوان (٣ : ٤٨٦) والعقد (٣ : ٤٢٣) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى .

(٣) خفا : مقصور خفاء . فيما عدا ل : « تدجى » وضبطت هذه الكلمة فى ب بفتح التاء والدال وتشديد الجيم المفتوحة .

(٤) جعلهم غرا لقلتهم ؛ والكرام قليل . حلقة الباب ، أي باب الملك .

الهيثم [بن عدىّ] قال : قدِمَتْ وفودُ العراق على سليمان بن عبد الملك ، بعد ما استُخلِف ، فأمرهم بشَتْم الحجّاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم ، إنّ عدوَّ الله الحجاج ، كان عبداً زَبَاباً[١] ، قِنَوْراً ابن قِنَّوْر[٢] ، لا نسبَ له فى العرب . فقال سليمان : أىُّ شتمٍ هذا ؟ إنّ عدوَّ الله الحجّاجَ كتب إلىّ : « إنما أنتَ نقطةٌ من مداد ، فإن رأيتَ فىّ ما رأى أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنتُ لهما وإلاّ فأنا الحجاج وأنت النُّقطة ، فإن شئت محوتُك ، وإن شئت أثبتُّك » . فالعنُوه لعنه الله ! فأقبلَ النّاسُ يَلعنون ، فقام ابن أبى بُرْدة بن أبى موسى[٣] فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرُك[٤] عن عدُوّ الله بعلمٍ . قال : هاتِ . قال : كان عدوُّ الله يتزيّن تزيُّنَ المومِسة ، ويصعد على المنبر فيتكلّم بكلام الأخيار ، وإذا نَزَل عمِل عمل الفراعنة ، وأ كذبَ فى حديثه من الدجّال

قال سليمان لرجاء بن حَيْوة[٥] : هذا وأبيك الشّتمُ لا ما تأتى به هذه السّفلة .

وعن عَوانةَ قال : قطع ناسٌ من عمرو بن تميمٍ وحنظلَة ، عَلَى الحجاج ابن يوسف ، فكتب إليهم : ٢٣٢

مِن الحجّاج بن يوسف . أما بعد فإنكم قد استصحبتم الفتنة[٦] — وقال بعضهم

---

(١) الزباب ، بالفتح : الجاهل ؛ مأخوذ من الزباب ، وهو ضرب من الفأر أصم . ل : « زبانا » ولا وجه له .

(٢) القنور : العبد . وأنشد أبو المكارم :

أضحت حلائل قنور مجدعة ... لمصرع العبد قنور بن قنور

(٣) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى . واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله بن قيس . وكان أبو بردة وبلال ابنه قاضيين . مات بلال فى عذاب يوسف بن عمر . المعارف ١١٥ ، ١٧٤ .

(٤) فيما عدا ل : « إنا نخبرك » .

(٥) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندى الفلسطينى ، كان ثقة فاضلا كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب . وصفة الصفوة (٤ : ١٨٦) .

(٦) فيما عدا ل : « استخلصتم الفتنة » .

قد استنتجتم الفتنة[١] — فلا عَن حقّ تقاتلون ، ولا عن منكَر تنهَون ، وأيمُ الله إنى لَأهَمّ أن يكون أولَ ما يَرِدُ عليكم من قِبَلى خيلٌ تنسف الطارف والتالد ، وتُخَلِّ[٢] النساء أيامَى ، والأبناء يتامى ، [والدِّيار خراباً ، والسَّوادَ بياضاً] ، فأيّما رُفقة مَرّت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتّى تصير إلى الماء الذى يليه . تقدمةً منّى إليكم ، والسعيدُ مَن وُعِظ بغيره . والسلام .

مَسْلمة بن محارب قال : كان الحجّاج يقول : « أخطب الناس صاحب العمامة السّوداء بين أخصاص البصرة[٣] ، إذا شاء خطَب ، و إذا شاء سكت » . يعنى الحسن. فيقول : لم ينصب نفسه للخِطاب[٤] .

قال : ولمّا اجتمعت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد ، وفيهم الأحنف ، قام رجلٌ من حِمير ، فقال : إنّا لا نطيق أفواهَ الكِمال — يريد الجِمال — عليهم المقال ، وعلينا الفِعال . وقول هذا الحميرىّ : إنا لا نطيق أفواه الكِمال[٥] ، يدلُّ على تشادُق خطباء نِزار .

سفيان بن عُيينة[٦] قال : قال ابن عباس : « إذا ترَكَ العالِمُ قولَ لا أدرى أُصيبت مَقاتله » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « من قال لا أدرى فقد أحرز نصفَ العلم » . لأنّ الذى له على نفسه هذه القوّة قد دلّنا على جودة التثبّت ، وكثرة الطّلب ، وقوة المُنّة .

---

(١) هذه العبارة من ل فقط .
(٢) فيما عدا ل : « وتدع » .
(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، هو البيت من القصب .
(٤) فيما عدا ل : « يقول إنه لم ينصب نفسه للخطب » .
(٥) بدلها فيما عدا ل : « وهذا من الحميرى » فقط .
(٦) ترجم فى ١٠٤ ، ١٧٥ .

قال : وقيل لعيسى[١] بن مريم عليه السلام : من نُجالس ؟ قال : مَن يزيد فى علمكم منطقُه ، ويُذكّركم اللهَ رؤيتُه ، ويرغّبكم فى الآخرة عملُه .

قال : ومرّ المسيح صلى الله عليه وسلم بقومٍ يبكون ، فقال : ما بال هؤلاء[٢] يبكون ؟ قيل له[٣] : يخافون ذنوبَهم . قال : اتركوها يُغفرْ لكم .

الوصافى[٤] قال : دخل الهيثم بن الأسود بن العُريان[٥] ، وكان خطيبا شاعرا ، على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى قد ابيضّ منى ما كنتُ أحبّ أن يسودّ ، واسودّ منى ما كنتُ أحبّ أن يبيضّ ، واشتدّ منّى ما [كنت] أحب أن يلين ، ولانَ مني ما [كنت] أحب أن يشتد. ثم أنشد :

سوف أنبّيك بآيات الكِبَر ... نومُ العَشاء وسُعَالٌ بالسَّحَرْ
وقلّةُ النوم إذا الليل اعتكَرْ[٦] ... وقلّةُ الطُّعم[٧] إذا الزاد حَضر ٢٣٣
وسرعة الطَّرف وتحميج النَّظَرْ[٨] ... وتركى الحسناء فى قُبْل الطُّهُرْ[٩]
وحذراً أزدادُه إلى حذَرْ ... والنّاس يبلَوْن كما يبلى الشجر

---

(١) فيما عدا ل : « للمسيح » .
(٢) فيما عدا ل : « ما لهؤلاء » .
(٣) فيما عدا ل : « قالوا » .
(٤) هو أبو إسماعيل عبيد الله بن الوليد الوصافى الكوفى ، من ولد الوصاف بن عامر العجلى . روى عن محارب وطاوس وجماعة ، وعنه الثورى ووكيع وآخرون ، متهم برواية الضعيف والموضوع . الأنساب ٥٨٤ والتهذيب .
(٥) فى الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، وأنه يكنى أبا العريان . وقد ساق القصة بوجه آخر ، قال : « عاد عمرو بن حريث أبا العريان فقال : كيف تجدك » .. الخ .
(٦) اعتكر الليل : اشتد سواده .
(٧) الطعم ، بالضم : الطعام .
(٨) من مبدأ هذا البيت إلى كلمة «عبد» من ص ٢٤٢ من الأصل ساقط من التيمورية . والطرف : تحريك الجفون فى النظر ؛ والطرف أيضا : العين ، لا يجمع ولا يثنى ؛ لأنه فى الأصل مصدر . والتحميج : تصغير العين للتمكن من النظر . وفى الحيوان (٥ : ٥٠) : « وضعف فى النظر » .
(٩) قبل ، بضم القاف وإسكان الباء ، أى فى أول الطهر بعد انقطاع الدم . وفى الحديث : « طلقوا النساء فى قبل طهرهن » ، اى فى إقباله وأوله .

وقال الآخر : « مُروا الأحداث بالمِراء ، والكهولَ بالفكر » . فقال عبد الله ابن الحَسَن[1] : « المِراء رائِد الغضب ، فأخزى الله عقلاً يأتيك بالغضب[2] » .

وقالوا : أربعة تشتدُّ معا شرتهم : الرجل المتوانى ، والرجل العالم ، والفرس المَرِحُ ، والملك الشديد المملكة .

وقال غازِ أبو مجاهد ، يعارضه : أربعة تشتد مؤُونتهم : النديم المعربد ، والجليس الأحمق ، والمغنِّى التائه ، والسَّفِلةُ إذا تقرَّأ[3] .

وكان أبو شِمْرٍ الغسّانىّ يقول[4] : أقبل علىّ فلانٌ باللحظ واللفظ ، وما الكلام إلا زجرٌ أو وعيد .

قال : وقال عمير بن الحُباب[5] ، وروى ذلك عنه مِسْعَرٌ[6] : ما أغرْتُ على

---

(١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب الهاشمى ، كان من العباد ، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز . توفى سنة ١٤٥ . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « بن الحسين » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « يأتيك به الغضب » وليس بشىء .

(٣) السفلة : الأرذال ، يقال للجميع وللواحد أيضا ، يقال هو سفلة . تقرأ : تنسك . انظر ما مضى فى حواشى ص ٣٢١ . فيما عدا ل : « تقروا » صواب هذه « تقرءوا » .

(٤) فيما عدا ل : « وقال أبو شمر الغسانى » .

(٥) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حزابة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، شاعر إسلامى قتلته بنو تغلب بالحشاك ، وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت . انظر معجم المرزبانى ٢٤٥ والأغانى (١١ : ٥٥ — ٦٠) والحشاك ياقوتا فى معجم البلدان ، والميدانى فى الأمثال (٢ : ٣٦٧) . وإياه يعنى الأخطل بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر   بقتلى أصيبت من سليم وعامر

الأغانى (١١ : ٥٨) .

(٦) هو مسعر ، بكسر أوله وفتح العين ، بن كدام ، ككتاب ، بن ظهير الهلالى . أبو سلمة الكوفى ، ثقة ثبت فاضل ، توفى سنة اثنتين ، أو ثلاث ، أو خمس وخمسين بعد المائة . تهذيب التهذيب والمعارف ٢١١ والفهرست ٢٨٧ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محدثا » لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفيه يقول ابن المبارك :

من كان ملتمسا جليسا صالحا   فليأت حلقة مسعر بن كدام

حيٍّ فى الجاهلية أحزمَ امرأةً ولا أعجزَ رجلا من كلبٍ ، ولا أحزمَ رجلا ولا أعجزَ امرأة من تغلب .

قال: وقامت امرأة من تغلبَ إلى الجحّاف بن حكيم [١] حين أوقع بالبِشر ، فقتَل الرّجالَ ، و بقرَ بطون النّساء ، فقالت له [٢] : « فضَّ اللهُ فاكَ ، وأعماكَ ، وأطالَ سهادكَ ، وأقلَّ رقادكَ ؛ فوالله إنْ قتلتَ إلا نساء أسافلهنَّ دُمِىّ [٣] ، وأعاليهن ثُدِىّ » . فقال الجحاف لمن حوله : « لولا أن تلد مثلَها لخلّيتُ سبيلَها [٤] » . فبلغ ذلك الحسنَ فقال : « إنّما الجحّاف جَذوةٌ من نار جهنم » .

وكان عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ [٤] حكيما ، وكان خطيباً رئيسا ، وهو الذى قال : « يامعشر عَدْوان ، إنّ الخير أَلُوفٌ عَزُوفٌ ، ولن يُفارقَ صاحبه حتى يفارقه [٥] ، وإنّى لم أكن حكيما حتى اتّبعت الحكماء ، ولم أكنْ سيّدَكم حتّى تعبّدت لكم » .

وقال [٦] أعشى بنى شَيبان :

وما أنا فى أمرِى ولا فى خليقتى　　بمهتَضَمٍ حقّى ولا قارعٍ سِنّى [٧]

(١) الجحاف بن حكيم السلمى ، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر ، بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة (٢ : ١٦٧) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٥٥ ، ٣٦٧) .

(٢) الخبر ساقه الجاحظ فى الحيوان (١ : ٢٤) على هذا النحو . أما أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ١٢٩ — ١٣٠) والميدانى فى (١ : ٣٦٠) فيجعلان الحديث للحمراء بنت ضمرة وعمرو بن هند ، فى خبر طويل .

(٣) دمى ، بضم الدال وكسر الميم وتشديد الياء : جمع دم . قال سيبويه : « الدم أصله دمى على فعل بالتسكين ؛ لأنه يجمع على دماء ودمى ، مثل ظبى وظباء وظبى » . اللسان (١٨ : ٢٩٤) .

(٤) ترجم فى ٢٦٤ .

(٥) بعدها فى المعمرين ٤٧ : « ولن يرجع إليه حتى يأتيه » . وقد ساق السجستانى هذه الفقرات فى خطبة طويلة لعامر أوصى بها قومه . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٦٦) .

(٦) ل : « فقال » . والأبيات منسوبة إلى أعشى بنى ربيعة ، فى عيون الأخبار (١ : ٢٧٧) .

(٧) مهتضم : منتقص . وقرع السن كناية عن الندم .

ولا مُسْلِمٍ مولاىَ من شرِّ ما جَنَى ‏ ‏ ‏ ولا خائفٍ مولاى من شرِّ ما أجنى
وإنّ فؤاداً بين جنبىَّ عالمٌ ‏ ‏ ‏ بما أبصرَتْ عينى وما سمعَتْ أُذْنى ٢٣٤
وفضّلنى فى العقل والشِّعر أنّنى ‏ ‏ ‏ أقولُ بما أهوَى وأعرِف ما أعنى

قال رجل من ولد العبّاس : ليس ينبغى للقرشىِّ أن يستغرق شيئاً[1] من العلم إلّا علمَ الأخبار ، فأما غير ذلك فالنُّتَفُ والشَّدْو من القول[2] .

وقال آخر[3] :

وصافيةٍ تُغشِى العيونَ رقيقةٍ ‏ ‏ ‏ رهينةِ عامٍ فى الدِّنَان وعامِ
أدرْنا بها الكأسَ الرويّةَ بيننا[4] ‏ ‏ ‏ من اللّيل حتّى انجاب كلُّ ظلام
فما ذَرَّ قرنُ الشّمس حتّى كأنّنا ‏ ‏ ‏ من العِىِّ نحكى أحمدَ بنَ هشام[5]

ومرَّ رجل من قريش بفتًى من ولد عتّاب بن أسِيد[6] وهو يقرأ كتاب

---

(١) فيما عدا ل : « أن يستغرق فى شىء » . وما أثبت من ل يطابق ما فى إرشاد الأريب (١ : ٩٦) . وقد نسب القول فيه إلى معاوية .

(٢) الشدو : كل شىء قليل من كثير .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢٥٩ .

(٤) رواية ابن الشجرى : « موهنا » .

(٥) أحمد بن هشام هذا ، من أعيان الدولة العباسية وشعرائها . يروى أبو الفرج فى الأغانى (٥ : ٦٣) أنه وجه إلى إسحاق بزعفران ، وكتب إليه :

اشرب على الزعفران الرطب متكئا ‏ ‏ ‏ وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة ‏ ‏ ‏ كحرمة الود والأرحام والأدب

فكتب إليه إسحاق :

اذكر أبا جعفر حقا أمت به ‏ ‏ ‏ إنى وإياك مشغوفان بالأدب
وإننا قد رضعنا الكأس درتها ‏ ‏ ‏ والكأس حرمتها أولى من النسب

وفيه يقول محمد بن وهيب . الأغانى (١٧ : ١٤٢) :

إن الأمير على البرية كلها ‏ ‏ ‏ بعد الخليفة أحمد بن هشام

(٦) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، ذكره فى الاشتقاق ٤٩ ، قال : « وأسيد فعيل من قولهم أسد يأسد أسدا ، إذا صار كالأسد » . أسلم عتاب يوم فتح مكة ، ولما خرج الرسول إلى حنين استعمله على مكة وعمره نيف وعشرون سنة ، فلم يزل عليها حتى أقره أبو بكر عليها . وتوفى هو وأبو بكر فى وقت واحد . الإصابة ٥٣٨٣ والمعارف ١٣٢ ، ٣٣ .

سيبويه ، فقال : أفٍّ لكم ، علم المؤدِّبين وهمّة المحتاجين !

وقال ابن عتّاب[1] : يكون الرجل نحويًّا عَروضيًّا ، [وقسّاماً] فرْضيًّا ، وحسنَ الكتاب جيّد الحساب ، حافظاً للقرآن ، راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلِّمَ أولادنا بستّين درهما . ولو أنّ رجلا كان حسنَ البيان حسنَ التخريج للمعانى ليس عنده غيرُ ذلك لم يَرْضَ بألف درهم ؛ لأنّ النحويَّ الذى ليس عنده إمتاعٌ[2] ، كالنجّار الذى يُدعَى ليعلّق باباً[3] وهو أحذَقُ الناس ، ثمّ يفرغ من تعليقه ذلك البابَ فيقال له انصرف . وصاحبُ الإمتاع يُراد فى الحالات كلِّها .

خبّرنا عبيد الله بن زيد السُّفيانى[4] قال : عَوِّد نفسك الصبر على الجليس السَّوْء[5] ، فإنّه لا يكاد يخطئك .

سُهيل بن عبد العزيز[6] قال : من ثَقُل عليك بنفسه ، وغمّك فى سؤاله ، فأعره أذنا صمّاء ، وعينا عمياء .

سُهيل بن أبى صالح[7] عن أبيه[8] قال : كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللهم اغفر لهُ وأرِحْنا منه !

---

(١) الخبر رواه ياقوت فى مقدمة إرشاد الأريب (١ : ٩٥ — ٩٦) .

(٢) فيما عدا ل : « الذى لا متاع عنده » صوابه هذه « لا إمتاع » .

(٣) تعليق الباب : نصبه وتركيبه . اللسان (١٢ : ١٣٧) والحيوان (٣ : ٢٨٦) .

(٤) فيما عدا ل : « وقال عبد الله بن يزيد السفيانى » .

(٥) منع هذا الوصف الأخفش ، وأجازه غيره . اللسان (سوأ) .

(٦) فيما عدا ل : « سهل بن عبد العزيز » .

(٧) هو أبو زيد سهيل بن أبى صالح — واسمه ذكوان السمان الزيات — المدنى . كان ثقة كثير الحديث . توفى فى ولاية أبى جعفر . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٢٩) .

(٨) أبوه أبو صالح ذكوان السمان الزيات المدنى ، من ثقات المحدثين ، وكان من أوثق الناس فى أبى هريرة وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٣) .

وقال ابن أبى أمية[١] :

شهدتُ الرّقاشىَّ فى مجلسٍ   وكان إلىَّ بغيضاً مَقيتا
فقــال اقترِحْ يأبا جعفرٍ   فقلتُ اقترحتُ عليك السكوتا[٢] ٢٣٥

وقال ابن عباس : « العلم أكثرُ مِن أن يُحصَى ، فخذوا من كلِّ شىء بأحسنه[٣] » .

المدائنىّ عن العبّاس بن عامر ، قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة[٤] إلى عمر بن عبد العزيز أختَه فقال :

« الحمد لله ربِّ العزّة والكبرياء ، وصلَّى الله على محمّد خاتَم الأنبياء[٥] . أما بعد فقد أحسَنَ بك ظنَّا مَن أودعَكَ حرمتَه ، واختارك ولم يختَرْ عليك ، وقد زوّجْناك على ما فى كتاب الله ، إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان » .

قال : وخطب أعرابىٌّ فأعجله أمرٌ[٦] وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد ، فقال : «أما بعدُ ، بغير مَلال[٧] لذِكر الله ، ولا إيثارِ غيرِه عليه» . ثم ابتدأ القول فى حاجته .

وسأل أعرابىٌّ ناسا فقال : « جعل الله حَظَّكم فى الخير ، ولا جعل حظَّ السائل منكم عِذْرةً صادقة[٨] » .

(١) هو محمد بن أمية بن أبى أمية ، كان كاتبا شاعرا ظريفا معاصراً لأبى العتاهية ، وكان ينادم إبراهيم بن المهدى . انظر أخباره فى الأغانى (١١ : ٣٠ — ٣٥) .
(٢) فيما عدا ل : «اقترح كل ما تشتهى» . وفى البيت ما يسميه البلاغيون « المشاكلة » ، كما فى قول أبى الرقعمق :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

(٣) فيما عدا ل : « أحسنه » .
(٤) فيما عدا ل : « بن عتيبة » .
(٥) يقال خاتم الأنبياء ، بفتح التاء وكسرها ، أى آخرهم . وبهما قرئ .
(٦) فيما عدا ل : « وأعجله القول » .
(٧) فيما عدا ل : « الحمد لله غير ملال » .
(٨) العذرة ، بكسر العين ، مثل الركبة والجلسة : الاعتذار .

وكتب إبراهيم بن سَيَابة[١] إلى صديقٍ له كثير المالِ ، كثير الدَّخل ، كثير الناضّ[٢] يستسلف منه نفقة ، فكتب إليه[٣] : « العيال كثير ، والدَّخل قليل ، والدَّين ثقيل ، والمال مكذوب عليه » . فكتب إليه إبراهيم : «إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت مُلِيماً[٤] فجعلك الله معذوراً » .

وقال الشاعر :

لعل مُفيدات الزَّمان يُفدنني   بنى صامتٍ فى غير شىء يضيرها

قال : وقال أعرابىٌّ : « اللهمَّ لا تُنزلنى بماء سَوء فأكون امرأ سَوء » . وقال أعرابى : « اللهم قنى عثراتِ الكرام » .

قال : وسمع مُجاشع الرَّبعىّ رجلاً يقول : الشَّحيح أعذر من الظالم . فقال : أخزى الله شيئين خيرهما الشحّ .

قال : وأنشد[٥] أبو فروة :

إنى امتدحتُك كاذباً فأثبتَنى ،   لمّا امتدحتك ، ما يثاب الكاذبُ

وأنشدنى علىُّ بن معاذ :

ثالبَنى عمرٌو وثالبــتُه   فأثِم المثلوبُ والثّالبُ[٦]

قلتُ له خيراً وقال الخنا   كلٌّ على صاحبه كاذبُ

---

(١) سيابة ، كسحابة ، وأصل معنى السياب البلح أو البسر . وإبراهيم بن سيابة شاعر من شعراء الدولة العباسية من موالى الهاشميين ، وكان يمدح إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ويتغنيان بما بشعره ، ويرفعان من شأنه ويذكرانه للخلفاء والوزراء . الأغانى (١١ : ٥ — ٨) .

(٢) الناض والنض : الدراهم والدنانير . فيما عدا ل : « النض » .

(٣) فيما عدا ل : « إما مستلفا وإما سائلا ، فكتب إليه الرجل » .

(٤) مليم ، بضم الميم ، من قولهم ألام الرجل : أتى بما يلام عليه . فيما عدا ل : « محجوبا » .

(٥) فيما عدا ل : « وأنشدنا » .

(٦) المثالبة : مفاعلة من الثلب ، وهو شدة اللوم والأخذ باللسان .

أبو معشر[١] ، قال : لما بلغ عبدَ الله بن الزبير قتلُ عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيدٍ قام خطيباً فقال : « إنَّ أبا ذِبَّانٍ قتَل لطيمَ الشيطان[٢] . كذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بما كانوا يَكْسِبُون » . ٢٣٦

ولما جلس عثمانُ بن عفّان على المنبر قال : « يأيها النّاس ، إنّ الله قد فتح عليكم أفريقيّة ، وقد بعث إليكم ابنُ أبى سرحٍ[٣] ، عبدَ الله بن الزُّبير بالفتح[٤] . قم يا ابن الزُّبير » . قال : فقمت فخطبتُ ، فلما نزلتُ قال الزُّبير : « يأيُّها الناس ، انكِحُوا النساء على آبائهن وإخوتهن ؛ فإنّى لم أر لأبى بكر الصدّيقِ ولداً أشبه به من هذا[٥] » . وقال الخُرَيمى[٦] :

وأعددتُه ذخراً لكلّ مصيبةٍ وسَهْمُ المنايا بالذّخائر مُولَعُ[٧]

وذكر أبو العيزار[٨] جماعة من الخوارج بالأدب والخطب فقال :

---

(١) هو أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى المدنى ، مولى بنى هاشم ، سبى فى وقعة يزيد بن المهلب باليمامة والبحرين . وكان من المحدثين الأمين ، أقدمه المهدى من المدينة إلى بغداد سنة ١٦٠ فلم يزل بها حتى مات سنة ١٧٠ فى خلافة هارون . وكان من أعلم الناس بالمغازى . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٣٠٤ .

(٢) أبو ذبان : كنية عبد الملك بن مروان . انظر الحيوان (٣ : ٣٨١ ، ٣٨٢) . ولطيم الشيطان : لقب عمرو بن سعيد الأشدق . انظر حواشى ص ٣١٤ .

(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى العامرى ، وكان أخا عثمان من الرضاعة ، اشترك فى فتح مصر ، ولما عزل عثمان عمرو بن العاص سنة ٢٥ ولاها عبد الله بن سعد ، فغزا أفريقية سنة ٢٢ ، وكان فتحا من أعظم الفتوح ، ولما وقعت فتنة عثمان سنة ٣٥ لجأ إلى عسقلان ولم يبايع لأحد ، ومات بها سنة ٣٦ . وقيل : بل شهد صفين وعاش إلى ٥٧ . الإصابة ٤٧٠٢ .

(٤) فى الإصابة ٤٦٧٣ : « وشهد ابن الزبير اليرموك مع أبيه الزبير . وشهد فتح أفريقية ، وكان البشير بالفتح » .

(٥) ذلك أن أم عبد الله بن الزبير هى أسماء بنت أبى بكر .

(٦) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، المترجم فى ١١ ، ١١٥ .

(٧) انظر الحيوان (٣ : ١٤٨/٦ : ٤٢٣) والكامل ٧٠٣ ليبسك .

(٨) وكذا جاءت النسبة فى الحيوان (٦ : ٤٢٣ — ٤٢٤) لكن الشعر قد نسب فى الكامل ٧٠١ ليبسك إلى عبيدة بن هلال ، المترجم فى ٥٥ .

ومسوَّمٍ للموت يركب رَدْعَه ... بين القواضِبِ والقنا الخطَّارِ[١]
يدنو وترفعه الرِّماحُ كأنّه ... شِلوٌ تَنَشَّبَ فى مخالِبِ ضارِى
فثَوَى صَرِيعاً والرماحُ تَنُوشُه ... إنّ الشُّراةَ قصيرةُ الأعمارِ[٢]
أدباء إما جئتهم خطباء ... ضُمناء كلَّ كتيبةٍ جرّارِ[٣]

* * *

ولمّا خطَبَ سفيانُ بن الأبرد الأصمّ الكلبىّ[٤]، فبلغ فى الترهيب والترغيب المبالغَ، ورأى عُبيدة بن هلال اليشكرىّ[٥] أن ذلك قد فتّ فى أعضاد أصحابه، أنشأ يقول:

لَعمرِى لقد قام الأصمُّ بخطبةٍ ... لها فى صُدور المسلمين غليلُ
لعمرى لئن أعطيتُ سفيانَ بَيْعتى ... وفارقتُ دينى إنّنى لجهول

ولما قام أحد الخطباء الذين تكلموا عند رأس الإسكندر قال أحدهم[٦]: «الإسكندر كان أمسِ أنطقَ منه اليومَ، وهو اليومَ أوعظُ منه أمس».
فأخذه أبو العتاهية فقال[٧]:

٢٣٧ بكيتك يا علىُّ بدَرِّ عينى ... فما أغنى البكاء عليك شيّا[٨]

---

(١) ركب ردعه: خر صريعا لوجهه على دمه وعلى رأسه. والردع: الدم.
(٢) ثوى: هلك. تنوشه: تأخذه وتتناوله.
(٣) الضمناء: الكفلاء، جمع ضمين. وذكّر الوصف «جرار» كأنه ذهب بالكتيبة إلى معنى الجيش والعسكر.
(٤) سبقت ترجمته فى ص ٦١.
(٥) ضبط «عبيدة» فى الاشتقاق ٢٠٧ بضم العين، وفى الكامل ٧٠١ بالفتح، كلاهما ضبط قلم. فيما عدا ل: «عبد الله بن هلال» تحريف.
(٦) انظر ماسبق من تخريج هذا الخبر فى حواشى ص ٨١ والحيوان (٣: ٩١/٦: ٥٠٥) والأغانى (٣: ١٤٢).
(٧) فيما عدا ل: «فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال».
(٨) على هنا، هو على بن ثابت، وكان صديقا لأبى العتاهية. انظر الأغانى (٣: ١٤٢). فيما عدا ل: «فلم يغن البكاء».

طوتكَ خطوبُ دهرِكَ بعد نشرٍ كذاكَ خطوبُهُ نَشراً وطَيّا
كفى حَزَناً بدفنِكَ ثم أنى نفضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يديّا
وكانت فى حياتكَ لى عظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منكَ حيّا

***

ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت ابنها[1] إلى عامل الماء فقالت : « أما كان بطنى لك وِعاء ؟ أما كان حِجرى لك فِناء ؟ أما كان ثديى لك سِقاء ؟ » . قال ابنها : لقد أصبحتِ خطيبةً ، رضى الله عنك » . لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام المُتَخَيَّر كما يبلغ ذلك الخطيبُ بخطبته .

وقال النَّمِر بن تولب :

وقالتْ ألا فاسمع نَعِظْكَ بخطبةٍ فقلتُ سمعنا فانطقى وأصيبى[2]
فإن تنطقِى حقًّا ولستِ بأهلِه فقُبِّحتِ مِمَّـا قائلٍ وخطيبِ

قال أبو عبّاد كاتب ابنِ أبى خالد[3] : ما جلس أحدٌ قطُّ بين يدىَّ إلاَّ تمثّل لى أنى سأجلس بين يديه[4] .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ﴾ . ليس يريد بلاغة اللسان ، وإنْ كان اللسان لا يبلُغ من القلوب حيثُ يُريد إلا بالبلاغة .

قال : وكانت خُطبة قريش فى الجاهليّة — يعنى خُطبة النساء — : « باسمك اللهم ذُكِرَتْ فلانةُ وفلانٌ بها مشغوف . باسمك اللهم ، لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

---

(١) فيا عدا ل : « الأعرابية لابنها حين خاصمته » .
(٢) فيا عدا ل : « فاسمع للفظى وخطبتى » .
(٣) هو أحمد بن أبى خالد ، كما سبق فى ٣٤٧ س ٥ . والخبر رواه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ١٤٠) .
(٤) زاد فى الحيوان : « وما سرنى دهر قط إلا شغلنى عنه تذكر ما يليق بالدهور من الغير » . يليق : يعلق . والغير : الأحوال المتغيرة .

ولما مات عبد الملك بن مروان صعِد الوليدُ المنبرَ فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « لم أر مثلَها مصيبةً ، ولم أر مثلَها ثواباً : موت أمير المؤمنين ، والخلافة . إنّا لله وإنّا إليْهِ راجِعُون . والحمدُ لِلّه ربّ العالمين على النِّعمة . انهضوا فبايِعُوا على بركة الله » . فقام إليه عبدُ الله بن همّامٍ[1] فقال :

اللهُ أعطاكَ التى لا فوقَها ... وقد أراد المُلحِدون عَوْقَها
٢٣٨ عنك ويأبى الله إلاّ سَوْقَها ... إليك حتَّى قلّدوك طَوْقَها

[فبايَعَ النّاس] .

وقيل لعمرو بن العاصى[2] ، فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك ؟ قال : « أجدنى أذوب ولا أثُوب[3] ، وأجدُ نجوى أكثر من رُزْئى[4] ، فما بقاء الشَّيخ على ذلك » .

---

(١) عبد الله بن همام المرى السلولى . والسلولى نسبة إلى سلول أمهم ، وأبوهم مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . المعارف ٣٩ . وعبد الله من شعراء الدولة الأموية . وكان معاوية قد أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير ، فأبى واليها النعمان بن بشير أن ينفذ ما أمر به معاوية ، فقال عبد الله يطالب النعمان بها :

زيادتنا نعمان لا تحرمننا ... تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

الأغانى (١٤ : ١١٥ — ١١٦) . ولما تزوج مصعب بن الزبير سكينة على ألف ألف كتب عبد الله بن همام إلى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل ... وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبى حفص أقول مقالتى ... وأبث ما أبثثكم لارتاعا

فكان هذا الشعر سببا فى عزل مصعب عن البصرة . الأغانى (١٤ : ١٦٣) . وانظر الخزانة (٣ : ٦٣٩) ومعاهد التنصيص (١ : ٩٦) والشعراء لابن قتيبة .

(٢) فى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة . يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٣) .

(٣) أثوب : أرجع ، أى لا أرجع إلى صحتى ولا تحسن حالى .

(٤) رزئى ، أى ما أرزؤه من الطعام وأصيبه . والخبر فى اللسان (١ : ٧٩) .

وقيل لأعرابىّ كانت به أمراضٌ عدّة : كيف تجدُك ؟ قال : « أمّا الذى يَعْمِدُنى فحُصْر وأُسْر[١] » .

وعن مقاتل[٢] قال : سمعت يزيد بن المهلب[٣] ، يخطب بواسط ، فقال : « يا أهل العراق ، يا أهل السَّبق والسّباق ، ومكارمِ الأخلاق ، إنّ أهل الشام فى أفواههم لُقمةٌ دَسِمة ، قد زَبّبَتْ لها الأشداق[٤] ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمِراء والجِدال ، فالبَسوا لهم جُلودَ النُّمور[٥] » .

[تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف]

---

(١) عمده : أضناه وأوجعه . والحصر ، بضم وبضمتين : احتباس البطن . والأسر ، بالضم : احتباس البول . والخبر فى الحيوان (٥ : ٢٩١) واللسان (٤ : ٢٩٦) .

(٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الخراسانى صاحب التفسير ، أخذ التفسير عن الكلبى ، وكان متهماً فى الرواية . توفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة . خرج فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر بن عبد العزيز فى رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وسار إلى البصرة ، واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش اليزيدين بالعقر، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٤) زببت الأشداق : اجتمع الريق فى جوانبها وتحلب . وفى الأصول : « رتبت » تحريف .

(٥) يقال لبس لفلان جلد النمر ، إذا تنكر له وأظهر الحقد والغضب .

فهرس الأبواب (*)

—

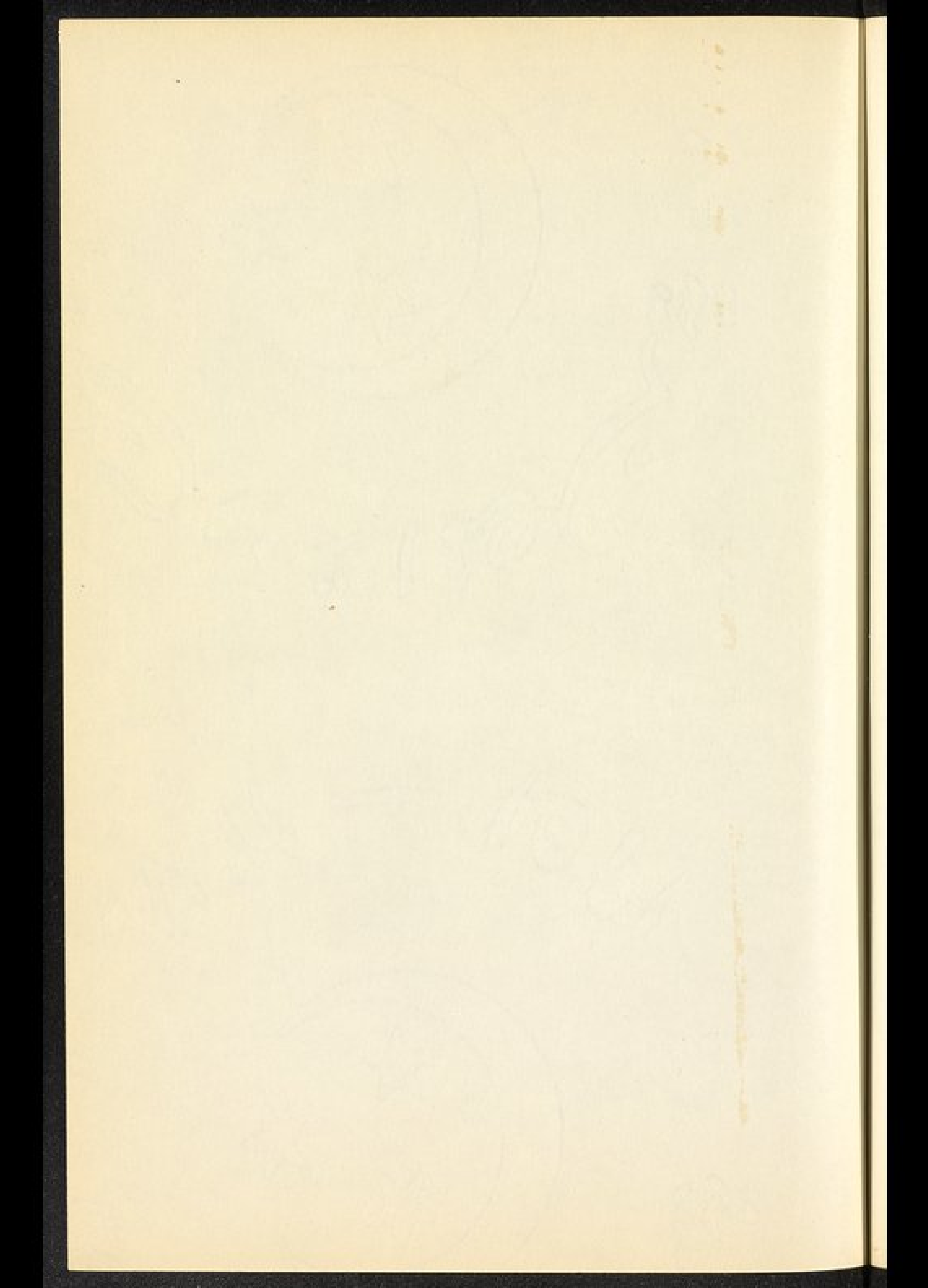
(*) هذه هى العنوانات التى وردت فى صلب الكتاب كما وضعها الجاحظ . أما تفصيل الأبواب فوضعه فى ملحقات الكتاب ، مع الفهارس العامة .

صفحة

فهرس الأعلام المترجمة

تصحيحات

ص	س	
١٥	١٣	والقين أقلها قبحا
٢١	١٤	فات غرقا
٢٤	٢٣	والأبناء
٣٨	١٠	وهم وأرق
٤٤	٩	وسمعته
٥٠	٢٠	والمؤتلف
٥٢	٢٥	فى اتخاذ
٥٥	١٦	عبيدة بن هلال
٦٥	١١	الذ * يا
٩٤	٥	المؤدد (بضم الدال الأولى)
١٢٠	١٩	وسوار ، وعبيد الله
١٢٤	٩	٧٨ بدل ٦٥
١٥٨	١٩	يزيد بن عمر بن هبيرة
١٧٤	٢٤	بن مسلم بن عمرو
١٧٤	٢٥	وأما سلم
٢٠٠	٨	الإهمال (بالرفع)
٢٠٥	٩	تكلم
٢٣٢	٧	المـ * ـك
٢٤٢	٢٧	يحذف ما بعد ١٣٩
٣٣٦	٤	الناس
٣٣٦	٧	بشوارها (مصدر شاور)
٣٦٥	١٤	وأم الدرداء الصغرى
٣٨٢	١١	قل لعبيد
٣٩٤	١١	قبلته !



مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثاني

البيان والتبيين

الجزء الثاني

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

الطبعة الأُولى

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

وهذا أول الجزء الثانى من تجزئة المصنف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله ، وصلى الله على محمد خاصّة وعلى أنبيائه عامّة .

أردْنا — أبقاكَ اللهُ — أن نبتدئ صدرَ هذا الجزء الثانى من البيان والتبيين ، بالردِّ على الشعوبيّة فى طعنهم على خطباء العرب وملوكهم ؛ إذ وصلوا أيمانَهم بالمخاصر واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القسىّ والعصىّ ، وأشاروا عند ذلك بالقُضبان والقُنِىّ[2] . وفى كلّ ذلك قد روينا الشاهدَ الصادق ، والمثلَ السائر . ولكنّا أحببْنا أن نُصيِّرَ صدرَ هذا البابِ كلاماً[3] من كلام رسول ربِّ العالمين ، والسَّلَف المتقدِّمين ، والجِلّةِ من التابعين ، الذين كانوا مصابيحَ الظلام ، وقادة [هذا] الأنام ، ومِلْحَ الأرض[4] ، وحُلِىَّ الدُّنيا ، والنّجومَ التى لا يضلُّ معها السّارى ، والمَنارَ الذى يرجع إليه الباغى ، والحِزْبَ الذى كثّر الله به القليل ، وأعزّ به الذليل ، وزاد الكثيرَ فى عدده ، والعزيزَ فى ارتفاع قدره . وهم الذين جلَوْا بكلامهم الأبصارَ الكليلة[5] ، وشحذوا بمنطقهم الأذهانَ العليلة[6] ، فنبّهوا القلوبَ من رَقدتها ، ونقلوها عن سوء عادتها ، وشفَوْها[7] من داء القسوة ،

(١) بدل هذه العبارة فى ب ، ح : « أول الثلث الثانى » ، كما أن بعدها فى ب ، ح : « قال أبو عثمان الجاحظ » .

(٢) القنى : جمع قناة ، وهو الرمح . ل : « والقسى » .

(٣) فيما عدا ل : « أن نصدر هذا الجزء بكلام » .

(٤) الملح ، بالكسر : البركة .

(٥) فيما عدا ل : « العليلة » .

(٦) فيما عدا ل : « الكليلة » .

(٧) ل : « وشفوا » .

وغباوة الغفلة ، وداوَوْا من العىّ الفاضح ، ونَهَجوا لنا الطّريقَ الواضح . ولولا الذى أمَّلتُ مِن تقديم ذلك وتعجيله ، من العملِ بالصواب ،* وجزيلِ الثّواب ، ٢٣٩ لقد كنتُ بدأتُ بالردّ عليهم ، وبكشف قِناع دعواهم[1] . على أنّا سنقول فى ذلك بعد الفراغ ممّا هو أولى بنا وأوجبُ علينا . والله الموفق ، وهو المستعان .

وعلى أنّ خطباء السّلَف الطيّب ، وأهلَ البيان من التابعين بإحسان ، ما زالوا يسمُّون الخطبةَ التى لم تبتدَأ بالتحميد ، وتُستفتَح بالتمجيد[2] : البَتراء . ويسمُّون التى لم توشَّح بالقرآن ، وتزيَّنْ بالصّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : الشَّوْهاء .

قال عِمران بن حِطّان : خطَبتُ عند زيادٍ خطبةً ظننتُ أنّى لم أقصِّرْ فيها عن غاية ، ولم أدَعْ لطاعنٍ علّة ، فمررتُ ببعض المجالس فسمعتُ شيخاً يقول : هذا الفتى أخطَبُ العربِ لو كان فى خطبته شىءٌ من القرآن .

وخطب أعرابىٌّ فلما أعجله بعضُ الأمرِ عن التّصدير بالتحميد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير ملالةٍ[4] لذكر الله ولا إيثار غيره عليه ، فإنّا نقول كذا ، ونسأل كذا » ؛ فِرارًا من أن تكون خطبتُه بتراء أو شوهاء .

وقال شَبيب بن شيبة : « الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله . أمّا بعد ، فإنّا نسأل كذا ، ونبذل كذا » .

وبنا — حفِظَكَ اللهُ — أعظمُ الحاجة إلى أن يَسلَم كتابنا هذا من النَّبْز القبيح[5]

---

(١) فيما عدا ل : « دعاويهم » .
(٢) فيما عدا ل : « لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد » .
(٣) ترجم فى (١ : ٤٠٤) .
(٤) فيما عدا ل : « ملالة » . وقد سبق الخبر فى اللسان (١ : ٤٠٤) .
(٥) النبز بالفتح : اللمز والعيب . فيما عدا ل : « البتر » .

والشَّوَه المَشِين(١) ، واللقَب المَعِيب(٢) ، بل قد يجِب(٣) أن نزيدَ فى بهائه ، ونستميلَ القلوبَ إلى اجتبائه ، إذْ كان الأملُ فيه بعيداً ، وكان معناه شريفاً ثمينا .

ثم اعلم بعـدَ ذلك أنَّ جميع خُطَبِ العرب ، من أهل المدَر والوبَر ، والبدْو والحضَر ، على ضربين : منها الطِّوال ، ومنها القصار ، ولـكلٍّ ذلك مكانٌ يليق به ، وموضعٌ يحسُن فيه . ومن الطِّوال ما يكون مستوياً فى الجودة ، ومتشاكلاً فى استواء الصَّنعة ، ومنها ذواتُ الفِقَر الحسان ، والنُّتَف الجياد . وليس فيها بعدَ ذلك شىءٌ يستحق الحفظَ ، وإنما حظُّه(٤) التخليد فى بطون الصُّحفِ ، ووجَدنا عددَ القِصار أكثر ، ورواةَ العلم إلى حفظها أسرع . وقد أعطينا كلَّ شكل من ذلك قِسطه من الاختيار ، ووفَّيناه حظَّه من التمييز ، ونرجو ألاّ نكون قصَّرْنا فى ذلك . والله الموفِّق .

* هذا سوى مارسمنا(٥) فى كتابنا هذا من مقطَّعات كلام العرب الفصحاء ٢٤٠
وجُملِ كلام الأعراب الخُلَّص ، وأهل اللَّسَن من رجالات قريش والعرب ، وأهل الخطابة من أهـل الحجاز ، ونُتفٍ من كلام النُّسَّاك ، ومواعظَ من كلام الزّهاد ، مع قلّة كلامِهم ، وشِدّة توقّيهم ، وربَّ قليلٍ يُغنى عن كثير ، كما أنّ رُبَّ كثيرٍ لا يتعلّق به صاحب القليل . بل ربَّ كلمةٍ تُغنِى عن خطبة ، وتنوب عن رسالة . بل ربَّ كنايةٍ تربى على إفصاح ، ولحظٍ يدلُّ على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيدَ الغاية ، قائماً على النِّهاية . ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظُ معناه ، وأعرب عن فَحواه ، وكان لتلك الحال وَفْقا ، ولذلك القدر لِفْقا ، وخرَج

---

(١) الشوه : القبح . وهاتان الـكلمتان من ل فقط .
(٢) فيما عدا ل : « السميج » . والسمج والسميج : القبيح .
(٣) فيما عدا ل : « نحب » .
(٤) فيما عدا ل : « حظها » .
(٥) فيما عدا ل : « رسمناه » .

من سماجة الاستكراه ، وسلِمَ من فساد التكلف ، كان قمِيناً بحُسن الموقع ، وبانتفاع المستمِع ، وأجدَرَ أنْ يمنع جانِبَه من تناوُل الطّاعنين ، ويحمىَ عِرضه من اعتراض العائبين ، وألاّ تزالَ القلوبُ به معمورةً ، والصّدورُ مأهولة . ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً فى نفسه ، متخيَّراً مِن جنسه[١] ، وكان سليماً من الفُضول ، وبريئاً من التعقيد ، حُبِّبَ إلى النُّفوس ، واتّصل بالأذهان ، والتحم بالعقول ، وهشَّت إليه الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخفَّ على ألسُن الرُّواة ، وشاع فى الآفاق ذِكرُه ، وعظُم فى الناس خَطَرُه ، وصار ذلك مادّةً للعالِم الرئيس ، ورياضة للمتعلّم الرَّيِّض . فإن أراد صاحبُ الكلام صلاحَ شأنِ العامّة ، ومصلحةَ حال الخاصّة ، وكان ممَّن يعمّ ولا يخُصّ ، وينصح ولا يغُشّ ، وكان مشغوفاً بأهل الجماعة ، شَنِفا لأهل الاختلاف والفرقة[٢] ، جُمعت له الحظوظُ من أقطارها ، وسِيقت إليه القلوبُ بأزِمّتها ، وجُمعت النفوسُ المختلفة الأهواء على محبّته ، وجُبِلت على تصويب إرادته . ومَن أعاره الله من مَعُونته[٣] نصيبا ، وأفرغ عليه من محبّته ذَنوبا[٤] ، جُلبت[٥] إليه المعانى ، وسَلِسَ له النّظام[٦] ، فكان قد أغنَى المستمعَ من كدّ التكلُّف ، وأراح قارئَ الكتاب من عِلاج التفهُّم .

ولم أجِدْ فى خُطب السلف الطيِّبِ والأعراب الأقحاحِ ، ألفاظًا مسخوطة ، ٢٤١
ولا معانىَ مدخولة ، ولا طبعاً رديئا ، ولا قولاً مستكرها ، وأكثرُ

---

(١) فيا عدا ل : «فى جنسه» .

(٢) يقال شنفه ، أبغضه ، فهو شنف .

(٣) فيا عدا ل : « معرفته » .

(٤) الذنوب ، بالفتح : الدلو الملأى .

(٥) فيا عدا ل : « حنت » بدل « جلبت » .

(٦) فيا عدا ل : « نظام اللفظ » .

ما تَجد[1] ذلك فى خطب المَوَلَّدين ، وفى خطب البلديِّين المتكلِّفين[2] ، ومن أهل الصنعة المتأدِّبين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أمْ كان من نِتاج التحْبير والتفكير[3] .

ومِن شعراء العرب مَن كان يدع القصيدةَ تمكث عنده حولاً كَريتا[4] ، وزمناً طويلا ، يردِّد فيها نظرَه ، ويُجيل فيها عقله[5] ، ويقلِّب فيها رأيَه ، اتهاماً لعقله ، وتتبُّعا على نفسه . فيجعل عقلَه[6] زماماً على رأيه ، ورأيَه عِياراً على شعره ؛ إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوّله الله تعالى من نِعمته . وكانوا يسمون تلك القصائدَ : الحوليّاتِ ، والمقلّداتِ ، والمنقّحات ، والمحكَمات ؛ ليصير قائلها فحلاً خِنذيذا ، وشاعراً مُفْلقا .

وفى بيوت الشِّعر الأمثال والأوابد ، ومنها الشَّواهد ، ومنها الشوارد .

والشعراء عندهم أربع طبقات . فأوّلهم : الفحل الخنذيذ . والخِنذيذ هو التامّ . قال الأصمعى : قال رؤبة : الفُحولَةُ هم الرواة[7] ، ودون الفحل الخِنذيذِ الشّاعرُ المُفْلِقُ ، ودونَ ذلك الشاعرُ فقط ، والرّابع الشُّعْرُور . ولذلك قال الأوّل فى هجاء بعض الشعراء :

يا رابعَ الشعراء كيف هجوتَنى   وزعمتَ أنّى مُفْحَمٌ لا أنطِقُ[8]

فجعله سُكَيتا مُخلَّفا[9] ، ومسبوقا مؤخَّرا .

---

(١) فيما عدا ل : « نجد » بالنون .
(٢) كلمة « وفى » من ل فقط .
(٣) التحبير : التحسين . فيما عدا ل : « التخير والتفكر » .
(٤) حول كريت : كامل تام .
(٥) هذه الجملة من ل فقط .
(٦) ل : « لجعل » .
(٧) فيما عدا ل : « هم الفحولة الرواة » .
(٨) وكذا رواية العمدة (١ : ٧٣) . فيما عدا ل : « فيم هجوتنى » .
(٩) السكيت : آخر خيل الحلبة ؛ وقد تخفف الكاف . ل : « خلفا » .

وسمعتُ بعض العلماء يقول : طبقات الشّعراء ثلاث : شاعر ، وشُوَيْعِر ، وشُعْرُور . [قال] : والشُّويعر مثل محمّد بن حُمران بن أبي حُمران[١] ، سمّاه بذلك امرؤ القيس بن حُجْرٍ .

ومنهم من بني ضَبّة[٢] المقوِّف ، شاعر بني حُمَيس[٣] ، وهو الشُّوَيعر . ولذلك قال العبدىّ[٤] :

ألا تَنْهى سَرَاة بني حُمَيسٍ شُوَيعِرَها فُوَيْلِيَةَ الأفاعى
قبيِّلَةٌ تَرَدَّدُ حيث شاءت كزائدةِ النّعامةِ فى الكُراعِ ٢٤٢

فُوَيلِيَة الأفاعى : دوَيْبّة سوداء فوق الخُنفَساء .

والشويعر أيضاً صفوان بن عبد[٥] ياليلَ ، من بنى سَعد بن ليث ، ويقال إنّ اسمَه ربيعة بن عثمان[٦] . وهو الذى يقول :

فسَائِلْ جعفراً وبنى أبيها بنى البَزَرَى بطِخْفة والمِلاحِ[٧]

---

(١) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٤١ وقال : « وهو ابن أخى الأسعر الجعفى ، وممن سمى محمدا فى الجاهلية ، وهو قديم . وكان امرؤ القيس بن حجر أرسل إليه فى فرس يبتاعها منه فمنعه ، فقال امرؤ القيس :

أبلغا عنى الشويعر أنى عمد عين نكبتهن حزيما

فسمى بهذا البيت الشويعر » . وانظر لمن سمى بمحمد فى الجاهلية الخزانة (٢ : ٢٣ — ٢٥) .

(٢) فيما عدا ل : « ومنهم ثم من بنى ضبة » وكلمة « ثم » مقحمة .

(٣) بنو حميس ، بضم الحاء ، من قبائل جهينة . الاشتقاق ٣٢١ .

(٤) انظر العمدة (١ : ٧٤) .

(٥) هنا ينتهى سقط التيمورية ، الذى سبق التنبيه عليه فى الجزء الأول ص ٣٩١ س ٢٣ .

(٦) نقل هذا النص فى العمدة (١ : ٧٤) عن الجاحظ . أما ياقوت فى معجم البلدان (٨ : ١٤٤) فقال : « قال الشويعر الكنانى ، واسمه ربيعة بن عثمان » .

(٧) البزرى ، كجمزى : لقب لبنى بكر بن كلاب . وتبزر الرجل ، إذا انتمى إليهم . ل : « البرزى » صوابه بتقديم الزاى كما صحح فى حـ . وفى ب والتيمورية : « البراز » تحريف . وطخفة ، بالكسر ويروى بالفتح : جبل لبنى كلاب ، ولهم عنده يوم . والملاح ، بالكسر : موضع .

وأفلتَنا أبو ليـــلى طُفَيلٌ صحيحَ الجلد من أثَر السِّلاحِ (١)

وقد زعم ناسٌ أنَّ الخنذيذ من الخيل [هو] الخصيّ . وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر :

يا ليلتي بالخَبْتِ لم أر مثلَها أمَرَّ قِرًى منها وأكثَرَ باكيَا (٢)
وأكثَرَ خِنذيذًا يجرُّ عِنانَهُ إلى الماء لم يترُكْ له السَّيفُ ساقيا (٣)

وقال بشر بن أبي خازم (٤) :

وخنذيذٍ تَرى الغُرْمُولَ منهُ كطَيِّ الزِّقِّ علَّقَهُ التِّجارُ (٥)

وأبين من ذلك قول البُرْجُميّ (٦) :

* وخناذيذ خصيةً وفُحُولَا (٧) *

ويدلُّ على ما قلنا قول القيسيّ (٨) :

---

(١) أفلته الشيء : انفلت منه . وأنشد ياقوت بين هذا البيت وسابقه :
غداة أتتهم حمر المنايا يسقن الموت بالأجل المتاح

(٢) الخبت : بلد دون الجزيرة . فيما عدا ل : « يا ليلتي يا ليت » تحريف .

(٣) يشبه هذا بيت مالك بن الريب في الخزانة (١ : ٣١٨) والأمالي (٣ : ١٣٧) :
وأشقر محبوكا يجر عنانه إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

(٤) هو بشر بن أبي خازم الأسدي ، شاعر فارس فحل جاهلي قديم . الخزانة (٢ : ٢٦٢ — ٢٦٤) والشعر والشعراء .

(٥) البيت من قصيدة في المفضليات (٢ : ١٣٨ — ١٤٥) .

(٦) نسب في الحيوان (١ : ١٣٣) إلى خفاف بن ندبة ، وندبة أمه ، واسم أبيه عمير بن الحارث . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وشهد حنينا والطائف ، وبقي إلى زمان عمر . الخزانة (٢ : ٤٧٢ — ٤٧٣) والإصابة ٣٢٦٩ ، والمؤتلف ١٠٨ . والصواب أن ينسب إلى خفاف بن عبد قيس البرجمي ، كما في اللسان (خنذ) . ونسب فيه أيضا إلى النابغة الذبياني ، وليس في ديوانه .

(٧) صدره في اللسان : * وبراذين كابيات وأتنا *

(٨) فيما عدا ل : « العبسي » تحريف . وفي الحيوان (١ : ١٣٤) : « قول بعض القيسيين من قيس بن ثعلبة » .

دعوتُ بنى سعدٍ إلىّ فشمّرتْ خناذيذُ من سعدٍ طِوالُ السّواعدِ

وكان زُهير بن أبى سُلمَى يسمّى كبارَ قصائده : الحوليّات .

وقد فسّر سُويد بن كُراعٍ العُكلىّ[1] ما قلنا ، فى قوله :

أبيتُ بأبوابِ القوافى كأنّما أُصادِى بها سِرْبًا من الوَحشِ نُزَّعا[2]
* أُكالئُها حتى أُعرِّسَ بعد ما يكون سُحَيرًا أو بُعَيدًا فأهجعا[3] ٢٤٣
عَواصِىَ إلّا ما جعلتُ أمامَها عصا مِرْبَدٍ تغشى نحورًا وأذرُعا[4]
أهبْتُ بغُرِّ الآبدات فراجعت طريقًا أملّتْه القصائدُ مَهْيَعا[5]
بعيــدةُ شأوٍ ، لا يكاد يرُدُّها لها طالبٌ حتّى يَكِلَّ ويَظلَعا[6]
إذا خِفتُ أن تُروَى علَىّ رددتُها وراءَ التّراقِى خشيةً أن تَطلّعا[7]
وجشّمنى خوفُ ابنِ عفّان رَدَّها فثقّفتُها حَولاً حَريدًا ومَرْبَعا[8]

---

(١) سويد بن كراع العكلى ، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى آخر أيام جرير والفرزدق . الأغانى (١١ : ١٢١ — ١٢٥) والشعر والشعراء .

(٢) كان من سبب هذا الشعر أنه هجا بنى عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب ولم يزل متواريا حتى كلم فيه ، فآمنه على ألا يعاود . الأغانى (١١ : ١٢٣) . والمصاداة : المداجاة والمخاتلة . والنزع ، كركع : جمع نازع ، وهو الغريب .

(٣) أكالئها : أراقبها . والتعريس : النزول فى وجه السحر .

(٤) المربد ، كمنبر : محبس الإبل . أراد عصا معترضــة على باب المربد . وانظر اللسان والمقاييس (ربد) وقد ورد فى الأول بدون نسبة . وفيهما وكذين فى الشــعر والشعراء : « جعلت وراءها » . وما هنا أوثق وأليق .

(٥) أهاب بها : دعاها . الآبدات : المتوحشات ، عنى بها القوافى الشرد . أملته : سلــكته ؛ طريق ممل : مسلوك معلوم . والمهيع : الواسع المنبسط .

(٦) أى لا يكاد يردها طالب لها . يقول : هى منطلقة لا يستطاع ردها إلا بالجهد .

(٧) تروى على : أى تروى عنى . فيا عدا ل : « تردى جلى » . وقد صححت فى حـ لجعلت « تروى على » . والترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر حيثما يترقّى النفس .

(٨) فى الأغانى : « خوف ابن عثمان » . الحريد : التام الــكامل .

وقد كان فى نفسى عليها زيادةٌ فلم أرَ إلا أنْ أطيع وأسمَعَا

***

ولا حاجةَ بنا مع هذه الفِقْرَة إلى زيادةٍ[١] فى الدّليل على ما قلنا . ولذلك قال الحطيئة : « خير الشّعر الحوليُّ المُحكَّكُ » . وقال الأصمعى[٢] : « زهير بن أبى سُلْمَى ، والحطيئةُ وأشباههما ، عبيدُ الشِّعر » . وكذلك كلُّ من جوّد فى جميع شعره ، ووقَفَ[٣] عند كلّ بيت قاله ، وأعاد فيه النّظَر حتى يُخرِجَ أبياتَ القصيدة كلَّها مستويةً فى الجودة . وكان يُقال[٤] : لولا أنّ الشّعرَ قد كان استعبَدَهم واستفرغ مجهودَهم حتّى أدخلَهم فى باب التكلُّف وأصحاب الصنعة ، ومَن يلتمِسُ قهْرَ الكلام[٥] ، واغتصابَ الألفاظ ، لذهبوا مذهبَ المطبوعين ، الذين تأتيهم المعاني سَهْواً رَهْوا[٦] ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا[٧] . وإنَّما الشِّعر المحمود كشعر النابغة الجَعْديّ ورُؤْبة . ولذلك قالوا فى شعره : مِطْرَفٌ بآلاف ، وخِمارٌ بِوَافٍ[٨] . وقد كان يخالف فى ذلك جميع الرُّواة والشعراء . وكان أبو عبيدة يقولُ ويَحكِي ذلك عن يونس[٩] .

ومَن تكسَّبَ بشعره والتمس به صِلات الأشراف والقادة ، وجوائزَ الملوك والسادة ، فى قصائد السِّماطَين ، وبالطِّوال التى تُنشَد يوم الحَفْل ، لم يجِدْ بُدًّا من صَنيع زُهير والحطيئة وأشباههما ، فإذا قالوا فى غير ذلك أخذوا عفوَ الكلام ٢٤٤

(١) فيما عدا ل : « الزيادة » .
(٢) فيما عدا ل : « وكان الأصمعى يقول » .
(٣) فيما عدا ل : « كل من يجود فى جميع شعره ويقف » .
(٤) ل : « يقول » .
(٥) فيما عدا ل : « قعر الكلام » تحريف .
(٦) السهو : السهل اللين . والرهو : السهل الدمث .
(٧) انثالت : اجتمعت وانصبت من كل وجه .
(٨) انظر ما سبق فى (١ : ٢٠٦) .
(٩) مضت ترجمته فى (١ : ١٧٤) . فيما عدا ل : « يقوله » بدل : « يقول » .

وتركوا المجهود ، ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثلَ تدبيرهم فى طِوال القصائد فى صنعة طِوَال الخُطَب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب[١] ، اقتداراً عليه ، وثقةً بحُسْن عادة الله عندهم فيه . وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأى فى معاظم التدبير ومُهِمّات الأمور ، ميّثوه فى صدورهم[٢] ، وقيّدوه على أنفسهم ، فإذا قوّمه الثِّقاف وأُدخِلَ الكِير ، وقامَ على الخَلاص ، أبرزوه مُحَكَّكاً منقّحاً ، ومُصَفًّى من الأدناس مُهذَّبا . قال الربيع بن أبى الحُقَيق[٣] لأبى ياسرٍ النَّضِيرى[٤] :

فلا تُكثِرِ النَّجوَى وأنت محاربٌ ... تُؤامِرُ فيهــا كلَّ نِكسٍ مُقَصِّرِ

وقال عبد الله بن وهب الراسبى[٥] : « إياى والرأىَ الفَطِيرَ » .

وكان يَستعيذ بالله من الرأى الدَّبَرِىّ[٦] ، الذى يكون من غير رويّة ، وكذلك الجواب الدَّبَرِىّ .

وقال سحبانُ وائلٍ : « شرُّ خليطيكَ السَّؤُوم المحزَّمُ » لأنّ السَّؤُوم لا يصبر ، وإنما التفاضل فى الصبر . والمحزَّم صَعبٌ لا يَعرفُ ما يُرَاد منه ، وليس الحزم إلّا بالتجارب ، وبأن يكون عقلُ الغريزة سُلَّما[٧] إلى عقل التجربة . ولذلك قال على ابن أبى طالب رضى الله عنه : « رأىُ الشَّيخ أحبُّ إلينا من جَلَدِ الشابّ[٨] » .

---

(١) اقتضاب الكلام : ارتجاله ؛ اقتضب : تكلم من غير تهيئة أو إعداد .

(٢) ميثه : ذلله ولينه . فيما عدا ل : « يبنوه » صواب هذه « بيتوه » . وما أثبت من ل أعلى .

(٣) ترجم فى (١ : ٢١٣) .

(٤) هو أبو ياسر بن أخطب ، أخو حيّ بن أخطب ، كلاهما كان يهوديا من أعداء المسلمين ، وكان من العلماء بالتوراة . وفيه وفى عبدالله بن صوريا ووهب بن يهودا ، نزل قوله تعالى : (ومن الذين هادوا سماعون للكذب) . انظر السيرة ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٥) ، فيما عدا ل : « وكان عبدالله بن وهب الراسبي يقول » والكلمة هناك برواية أخرى .

(٦) سائر هذه الفقرة من ل فقط .

(٧) فيما عدا ل : « ولأن عقل الغريزة سلم » .

(٨) فيما عدا ل : « أحب إلى » . وفى أمثال الميدانى : « رأى الشيخ خير من مشهد الغلام » . والجلد ، بالتحريك : القوة والشدة .

ولذلك كرِهوا ركوبَ الصَّعب حتى يَذِلّ ، والمُهرَ الأرِنَ إلا بعد رياضة[1] . ولم يحوِّلُوا المَعانيق هماليجَ إلا بعـد [طول] التَّخليع[2] ، ولم يَحلُبوا الزَّبون إلا بعدَ الإبساس[3] .

***

وسـنذكر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، ممـا لم يسبقْه إليه عربيٌّ ، ولا شاركه فيه أعجمى[4] ، ولم يُدَّعَ لأحدٍ ولاادّعاه أحد ، مما صارمستعملاً ومثلا سائراً .

فمن ذلك قوله : « ياخيلَ الله اركَبى » ، وقوله : « ماتَ حتْفَ أنفه » ، وقوله : « لا تنتطح فيه عَنْزَان » ، وقوله : « الآنَ حَمِيَ الوَطيس » .

ولمّا قال عدىُّ بنُ حاتِمٍ[5] فى قتل عثمانَ رحمه الله : «لاتَحبِقُ فيه عَنَاقٌ[6] »

٢٤٥ قال معاوية بن أبى سفيان بعد أن فُقِئت عينه وقُتِل ابنه : يا أبا طريف ، هل حبقتْ فى قتل عثمانَ عَناقٌ ؟ قال : إى والله ، والتَّيس الأكبر[7] ! فلم يصِرْ

---

(١) الأرن والأرون : النشيط . فيا عدا ل : « بعد طول الرياضة » .

(٢) المعانيق : جمع معناق ، وهى السريعة السير . والهملاج : الحسن السـير فى سرعة وبخترة . والتخليـع : مشى فيه تفكك .

(٣) الزبون : التى تضرب حالبها وتدفعـه . والإبساس : صويت للراعى تسكن به الناقة عند الحلب .

(٤) فيا عدا ل : « ولم يشاركه فيه عجمى » .

(٥) هو أبو طريف عدى بن حاتم الطائى الجواد المشهور ، أسلم سنة تسع أو عشر ، وكان نصرانيا قبل ذلك ، وشهد فتوح العراق وسكن الـكوفة ، وشهد صفين مع على . ومات بعد الستين بعد أن بلغ ١٢٠ سنة . وذكر أبوحاتم السجستانى أنه عمر ١٨٠ سنة . الإصابة ٥٤٦٧ والمعمرين ٣٦ . وفى المعارف ١٣٦ أنه شهد الجمل ففقئت عينه وقتل ابنه محمد .

(٦) حبق من باب ضرب : ضرط . والعنـاق ، كسحاب : الأنثى من أولاد المعز . يضرب المثل فى الأمر لايعبأ به ، والثأر لايدرك . ولفظه عند الميدانى : « لاتحبق فى هذا الأمر عناق حولية » . والحولية : التى أتى عليها الحول .

(٧) فيا عدا ل : « الأضخم » . وعند الميدانى : « الأعظم » .

كلامُه مَثَلاً ، وصار كلامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً[١] .

ومن ذلك قوله لأبي سفيانَ بن حرب : « كلُّ الصَّيد في جَوْف الفَرا[٢] » .

ومن ذلك قوله : « هُدْنةٌ على دَخَنٍ ، وجماعةٌ على أقذاء[٣] » ، ومن ذلك قوله : « لا يُلسع المؤمن من جُحْر مرّتين[٤] » .

ألا ترى أن الحارث بن حُدّان[٥] ، حين أُمِر بالكلام عند مقتل يزيد بن المهلب ، قال : « أيها الناس ، اتَّقوا الفِتنة ؛ فإنّها تُقْبِل بشُبْهةٍ ، وتُدْبِر ببيان ، وإنّ المؤمن لا يُلسَع من جُحرٍ مرّتين » ، فضرب بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المثلَ ، ثم قال : « اتقوا عُصَباً تأتيكم من الشّام ، كأنها دِلاءٌ قد انقطع وَذَمُها[٦] »

وقال ابن الأشعث[٧] لأصحابه ، وهو على المنبر : « قد علمنا إن كُنّا نَعْلم ، وفهِمنا إن كنّا نفهم ، إنّ المؤمن لا يُلسَع من جُحر مرّتين ، وقد والله لُسِعت بكم من جُحرٍ ثلاثَ مرّات ، وأنا أستغفِر الله من كلّ ما خالف الإيمان ، وأعتصِمُ به من كل ما قاربَ الكُفر »

***

وأنا ذاكرٌ بعد هذا فنّاً آخرَ من كلامه صلّى الله عليه وسلم ، وهو الكلام

---

(١) يعني قوله : « لا تنتطح فيه عنزان » .

(٢) قاله حين استأذن أبو سفيان عليه فحجب قليلا ثم أذن له ، فلما دخل عليه قال : « ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهتين » . فقال صلى الله عليه وسلم هذا القول يتألفه على الإسلام . والجلهة : ناحية الوادي .

(٣) يضرب لمن يضمر أذى ويظهر صفاء . والدخن ، بالتحريك : الحقد .

(٤) ويروى : « لا يلدغ » . قاله لأبي عزة الشاعر ، كان قد أسره يوم بدر ثم من عليه ، وأتاه يوم أحد فأسره ، فقال : من علي . فقال عليه السلام هذا القول .

(٥) فيما عدا ل : « بن خذان » تحريف .

(٦) الوذم : جمع وذمة ، وهو السير الذي بين آذان الدلو وعراقيها .

(٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، المترجم في (١ : ٣٢٩) .

الذى قلّ عدد حروفه وكثرتْ معانيه[١] ، وجَلّ عن الصَّنعة ، ونُزِّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد : ﴿وما أنا مِنَ المتكلِّفين[٢]﴾ . فكيف وقد عابَ التشديق ، وجانب أصحاب التقعيب[٣] ، واستعمل المبسوطَ فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهَجَر الغريبَ الوحشىَّ ، ورغب عن الهجين السُّوقى ، فلم ينطِقْ إلا عن مِيراثِ حكمةٍ ، ولم يتكلَّمْ إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة ، وشُيِّد بالتأييد ، ويُسِّرَ بالتوفيق . وهو[٤] الكلامُ الذى ألقَى اللهُ عليه المحبّةَ ، وغشّاهُ بالقَبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبَيْن حُسن الإفهام ، وقلّة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته . لم تسقط له كلمة ، ولا زَلّت به قَدَم[٥] ، ولا بارَتْ له حُجّة ، ولم يَقُم له خَصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكَلِم القِصار[٦] ، ٢٤٦
ولا يَلتمِس إسكاتَ الخَصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق ، ولا يطلب الفَلَجَ إلا بالحق[٧] ، ولا يستعين بالخِلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمِز ولا يَلمِز[٨] ، ولا يُبطِئ ولا يَعجَل ، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر[٩] . ثم لم يَسمع الناسُ بكلامٍ قطُّ أعمَّ نفعاً ، ولا أقصدَ لفظا ، ولا أعدلَ وزناً ، ولا أجملَ

---

(١) فيما عدا ل : « وكثر عدد معانيه » .
(٢) الآية ٨٦ من سورة ص ، وتلاوتها : « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين » .
(٣) التقعيب كالتقعير ، وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه . انظر ماسبق فى (١ : ١٣) .
هـ : « التقعير » وبذلك بدلت فى ب .
(٤) فيما عدا ل : « وهذا » .
(٥) فيما عدا ل : « له قدم » .
(٦) فيما عدا ل : « بالكلام القصير »
(٧) الفلج ، بالفتح وبالتحريك أيضا : الفوز والظفر ، كما فى اللسان .
(٨) الهمز : العيب فى الغيبة ؛ واللمز : العيب فى الحضرة .
(٩) حصر يحصر حصرا ، من باب تعب : عى فى كلامه .

مذهباً ، ولا أكرمَ مطلباً ، ولا أحسنَ موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنًى ، ولا أبين فى فحوى[1] ، من كلامه صلى الله عليه وسلم .

قال : ولم أرَهُم يذمُّون المتكلِّف للبلاغة فقطْ ، بل كذلك يرَون المتظرِّف والمتكلِّف للغناء . ولا يكادون يضَعون اسمَ المتكلِّف إلا فى المواضع التى يذمُّونها .

قال قيس بن الخطيم :

فما المالُ والأخـلاقُ إلاّ مُعارةٌ ... فما اسْطعْتَ من معروفِها فتزوَّدِ[2]
وإنِّى لَأَغْنَى النّاسِ عن متكلِّفٍ ... يرى النّاسَ ضُلّالاً وليس بمهتـدِ

وقال ابن قَمِيئة[3] :

وحمّـال أثقالٍ إذا هى أعرضت ... عن الأصْلِ لا يَسْطِيعها المتكلِّفُ

***

قال محمّد بن سلام : قال يونس بن حبيب : « ما جاءنا عن أحدٍ من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد جمعتُ لك فى هذا الكتاب[4] جُملاً التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار . ولعلَّ بعضَ من لم يتّسِع فى العلم ، ولم يعرفْ مقاديرَ الكلِم ، يظُنُّ أنّا قد تكلّفنا له من الامتداح والتشريف ، ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ، ولا يبلغهقدْرُه . كلاّ والذى حرّمَ التزيُّد على العلماء ، وقبّح التكلُّف عند الحكماء ، وبهرَج الكذّابين عند الفقهاء ، ما يظنُّ هذا إلا من ضلَّ سعيُه !

---

(١) فيما عدا ل : « أفصح من معناه ولا أبين فى فحواه » . والفحوى : المعنى .

(٢) البيتان من قصيدة لقيس فى ديوانه ٢٠ — ٢٢ .

(٣) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، أحد شعراء الجاهلية ، دخل مع امرئ القيس بلاد الروم فهلك فقيل له « عمرو الضائع » . المؤتلف ١٦٨ والخزانة (٢ : ٢٤٩ — ٢٥٠) والأغانى (١٦ : ١٥٨ — ١٦٠) والمعمرين ٨٩ . وفيه يقول امرؤ القيس (ابن سلام ٥٩) :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٤) فيما عدا ل : « وقد جمعنا فى هذا الكتاب » .

فمن كلامه صلى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار فقال : «أَمَا والله ٢٤٧ ماعَلِمْتُكُمْ إلا لَتَقِلُّون عند الطمع ، وتكثُرون عند الفزَع » . وقال : « الناس كلُّهم سواءٌ كأسنان المُشْط » ، و « المرء كثيرٌ بأخيه » ، و «لا خيرَ في صحبة من لا يرى لك مِثلَ ما ترى له[(١)] » . وقال الشاعر[(٢)] :

سـواءٌ كأسنانِ الحمار فلا ترى لِذِي شَيْبَةٍ منهم على ناشئٍ فَضْلا[(٣)]

وقال آخر :

شبابُهمُ وشِيبُهمُ سـواءٌ فهمْ في اللُّوم أسنانُ الحمارِ[(٤)]

وإذا حصَّلت تشبيهَ الشاعر وحقيقتَه ، وتشبيهَ النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتَه ، عرفت فضْلَ ما بين الكلامين .

وقال صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤُهم ، ويَسعَى بذِمَّتهم أدناهم[(٥)] ، [ويردُّ عليهم أقصاهم] ، وهم يدٌ على مَن سواهم[(٦)] » .

فتفهَّمْ رحمك الله ، قلّة حروفه ، وكثرةَ معانيه .

وقال عليه السلام : « اليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفلى ، وابدأ بمن تعول » . وقال : « لا تَجْنِ يمينُك على شِمالك » . وذَكَر الخيل فقال : « بطونُها كنز ، وظُهورُها حِرْزٌ » ، وقال : « خير المـال سِكّة مأبورة ، وفرسٌ مأمورة[(٧)] » .

---

(١) فيما عدا ل : « من لا يرى لك ما يرى لنفسه » .

(٢) هو كثير عزة ، كما في تهذيب الألفاظ ١٩٨ واللسان (سوى) والميداني (١ : ٣٠١) . ونسب في ثمار القلوب ٢٩٧ إلى ابن أحمر .

(٣) الرواية المشهورة ، وهي رواية الحيوان (٦ : ١٥٧) : «سواس» ، وهما بمعنى .

(٤) أنشد البيت في اللسان (سوى) وثمار القلوب ٢٩٧ .

(٥) في اللسان : «أبو عبيد : الذمة الأمان في قوله عليه السلام : ويسعى بذمتهم أدناهم» .

(٦) أي كلمتهم واحدة وأمرهم مجتمع لا يسعهم التخاذل »

(٧) فيما عدا ل : « مهرة مأمورة وسكة مأبورة » . السكة : السطر المصطف من النخل . المأبورة : المصلحة الملقحة . والمأمورة : الكثيرة النتاج والنسل ؛ من قولهم : أمر الله ماله وآمره ، أي كثره وبارك فيه . انظر مقاييس اللغة (١ : ١٣٨) .

وقال : « خير المال عينٌ ساهرة ، لعين نائمة[١] » . وقال : « نِعمتِ العَمّةُ لكم النّخلة ، تغُرس فى أرض خَوّارة، وتشرب من عين خَرّارة[٢] » . وقال : «المطعمات فى المَحْل ، الراسخات فى الوَحْلِ » . وقال : « الحُمَّى فى أصول النَّخل » . وذكر الخيل فقال : «أعرافُها دِفاؤها[٣] ، وأذنابها مَذَابُّها»، و «الخيلُ معقودٌ فى نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة» . وقال : « ليس مِنا مَن حَلَق أوصَلَق[٤] أو شَقّ » . وقال : « نهيتكم عن عُقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعٍ وهاتِ[٥] » . وقال : «الناس كالإبل المائة لا تجدُ فيها راحلة[٦] » . وقال : « ما أملَق تاجرٌ صَدوق » . وجاء فى الحديث : « ما قَلّ وكَفَى خيرٌ مما كثُرَ وألهى » . وقال : « يحمِل هذا العِلْمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُه ، ينفُون عنه تحريفَ الغالِينَ ، وانتحالَ المُبْطِلين ، ٢٤٨
وتأويلَ الجاهلين » .

وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله وسلم : « الخَير فى السّيف ، والخيرُ مع السّيف ، والخير بالسيف » . وقال « لا يُورِدنّ مُجْرِبٌ على مُصِحّ[٧] » . وقال : « لا تزالُ أمّتى صالحاً أمرُها ما لم ترَ الأمانةَ مَغنَماً والصّدقةَ مَغرَماً » . وقال : « رأسُ العقل بعد الإيمان بالله مُداراة الناس[٨] » ، و «لن يهلِكَ امرؤٌ بعد مَشورة » . وقال : «المستشار مُؤتمَن ». وقال : «المستشار

---

(١) عين ساهرة ، أى عين ماء تجرى ليلا ونهارا وصاحبها نائم .

(٢) أرض خوارة : لينة سهلة . عين خرارة : جارية لمائها خرير .

(٣) الدفاء ، بالكسر : ما يدفأ به . فيما عدا ل : « أدفاؤها » جمع دفء .

(٤) يعنى حلق الشعر عند المصيبة . والصلق : رفع الصوت فى المصائب . وسلق ، بالسين لغة فيه . والشق : شق الثياب لذلك .

(٥) فسره فى اللسان (منع) بقوله : « أي منع ماعليه إعطاؤه ، وطلب ماليس له » .

(٦) المائة صفة للإبل . ويروى : « كالإبل مائة » . والراحلة من الإبل : البعير النجيب القوى على الأسفار التام الخلق الحسن المنظر .

(٧) المجرب : صاحب الإبل الجربى . والمصح : من إبله صحيحة .

(٨) مداراة الناس : ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا .

بالخيار، إن شاء قال وإن شاء أمسَكَ » ، وقال : « رحم الله عبداً قال خيراً فغنِم أو سكت فسلِم » . وقال : «افصلوا بين حديثكم بالاستغفار » . وقال : «استعينوا على طُول المشْى بالسَّعى » .

وقال للخاتنة[1] : « يا أمّ عَطِيّة ، أشِمِّيه ولا تَنْهَكيه ؛ فإنه أسْرَى للوجه ، وأحظَى عند الزَّوج[2] » ، وقال : « لا تَجْلِسوا على ظَهر الطَّريق ، فإنْ أبَيْتُم فغُضُّوا الأبصارَ ورُدُّوا السلام ، واهْدُوا الضَّالَّ ، وأعينوا الضعيف » . وقال : « إنّ الله يرضَى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحَبْله جميعاً ولا تفرَّقوا ، وأن تُناصِحوا من وَلاّه الله أمرَكم . ويكره لكم قِيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، وإضاعةَ المال » . وقال : « يقولُ ابنُ آدمَ : مالى مالى . وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أولبست فأبليت ، أو وَهَبْتَ فأمضَيت » . وقال : « لو أنَّ لابن آدم واديَيْنِ من ذهبٍ لسألَ إليهما ثالثاً » . و « لايملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا التُّراب، ويتوبُ الله على من تاب». وقال : «إنّ الدُّنيا حُلوة خَضِرة ، وإنّ الله مستعملُكم فيها ، فناظِرٌ كيف تعملون». وقال : « إنّ أحبَّكم إلىَّ وأقربَكم منى مجلساً[3] يومَ القيامة ، أحاسِنُكم أخلاقاً ، الموطَّئُون أكنافاً ، الذين يَألَفون ويُؤلَفون. وإنّ أبغضَكم إلىّ وأبعدَكم منِّى مجلساً يومَ القيامة ، الثَّرثارونَ المتشدِّقون المتفَيْهِقون » . وقال : « إيّاىَ والتَّشادُق » . ٢٤٩ وقال : « إيّاكم وَالفُرَجَ فى الصَّلاة » ، وقال : « لا يُؤَمَّنَّ ذو سلطان فى سلطانه ولا يُجلَس على فراش تكرِمَته إلا بإذنه[4] » . وقال : « إياكم والمُشَارّة ، فإنها

---

(١) فيما عدا ل : « للختانة » . والحديث فى الحيوان (٧ : ٢٨) .

(٢) الإشمام : أن تأخذ منه قليلا . أسرى : أجلى .

(٣) يروى « مجالس » فى الموضعين .

(٤) لايؤمن ، أى لايجعلن مأموما ؛ من قولهم أمّ الإمام الناس فى الصلاة . كان إمامهم . فيما عدا ل : « يأمن » تحريف . وعنى بفراش التكرمة ما يعد من الفرش والسرر لإكرام الرجل .

تميت الغُرَّة، وتحيي العُرَّة[١] » . وقال : « لا ينبغى لِصدِّيق أن يكون لعَّانا » . وكان يقول : « أعوذُ بالله من الأيهمَيْن ، وبَوَار الأيِّم[٢] » . وكان يقول : « أعوذ بالله من دعاء لا يُسْمَع ، ومن قلب لا يَخشع ، ومِن علم لا ينفع[٣] » .

وقال له رجل : يا رسولَ الله ، أوصِنى بشىء ينفعنى الله به . قال : « أكثِرْ ذِكْرَ الموْت يُسْلِكَ عن الدُّنيا ، وعليك بالشكر ؛ فإنه يزيد فى النعمة[٤] ، وأكثر الدُّعاء ؛ فإنك لا تدرِى متى يُستَجاب لك ، وإيَّاك والبَغْى ؛ فإنّ الله قد قضَى أنه مَن بُغِى عليه لينصُرنَّه الله[٥] ، وقال : يَاأيُّها النَّاسُ إنما بَغْيُكم على أنفسكم . وإيَّاك والمكر ؛ فإنّ الله قد قضَى ألَّا يَحيق المكرُ السَّيِّئ إلا بأهْله » .

وقيل : يا رسول الله ، أىُّ الأعمالِ أفضل ؟ فقال : « اجتنابُ المحارمُ ، وألاَّ يزَالَ فُوك رَطْباً مِن ذِكر الله » .

وقيل [له] : أىُّ الأصحاب أفضل ؟ قال : « الذى إذا ذُكِرْتَ أعانك ، وإذا نُسِيت ذَكَّرَك » .

وقيل : أىُّ الناس شرٌّ ؟ قال : « العلماء إذا فسدوا » .

وقال : « دَبَّ إليكم داء الأمم مِن قَبْلِكم : الحسد والبَغْضاء . والبَغْضاء هى الحالقة ، حالقة الدِّين لا أقول حالقة الشَّعر . والذى نَفْسُ محمَّدٍ بيده لا تؤمنون حتى تَحَابُّوا . ألا أُنبِّئُكم بأمرٍ إذا فعلتموه تحابَبْتم ؟ » فقالوا : بلى يا رسول الله

---

(١) المشارة : المعاداة والمخاصمة ، مفاعلة من الشر . والعرة : القذر ، استعيرت الغرة والعرة للمحاسن والمثالب .

(٢) الأيهمان : الأعميان ، وهما السيل والحريق ، أو البعير المغتلم الهائج والسيل ؛ لأنه لا يهتدى فيهما كيف العمل . والأيم : التى لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا ، أو هى التى مات عنها الزوج .

(٣) فيما عدا ل : « وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع » .

(٤) فيما عدا ل : « فإن الشكر » .

(٥) موضع الكلام من « وإياك » إلى هنا ، فيما عدا ل ، بعد كلمة « أنفسكم » التالية ، وبذا يضطرب الكلام .

قال[١] : « أفشوا السّلام[٢] ، وصِلُوا الأرحام » .

وقال : « تَهادَوْا تَحابُّوا » .

وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوصانِي ربِّي بتسع: أوصاني بالإخلاص فى السِّرّ والعَلَانية ، وبالعَدْل فى الرِّضَى والغضَب ، وبالقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفوَ عمَّن ظلمنى ، وأُعطِىَ مَن حرمنى ، وأصِلَ مَن قطعَنى وأن يكون صمتِى فِكراً ، ونطقى ذِكْراً ، ونظَرِى عِبَرا » .

وثلاثُ كلماتٍ رُوِيت مُرسلةً ، وقد رُوِيت لأقوامٍ شتَّى ، وقد يجوز أن يكونوا حكوها ولم يُسْنِدُوها[٣] . منهـا قوله : « لو تكاشَفْتم لَمَا تدافَنْتم[٤] » . ومنها قوله : « النّاس بأزمانهم ، أشبَهُ منهم بآبائهم » . ومنها قوله : « ما هلكَ امرؤٌ عرَفَ قدره » .

وقد ذكر إسماعيل بن عيّاش[٥] ، عن عبد الله بن دينار[٦] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله كَرِه لكم العَبَثَ فى الصَّلاة ، والرَّفَثَ فى

---

(١) الكلام بعد « تحابّوا » إلى هنا من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « السلام بينكم » .

(٣) فيما عدا ل : « أن يكون إنما حكوها ولم يبتدوها » .

(٤) رواه فى اللسان (دفن) وفسر التدافن بالتكاتم . وقال : « أى لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . ورواه فى (كشف) وقال : « ابن الأثير : أى لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه »

(٥) فيما عدا ل : « وقال إسماعيل بن عياش » . وهو أبو عتبة إسماعيل بن عياش بن سلم العنسى الحمصى ، حافظ ثقة . قيل كان أهل حمص ينتقصون على بن أبى طالب ، حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش ، فحدثهم بفضائله فكفوا ، وكان قد وفد على المنصور ، فولاه خزانة الثياب . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٣٣) وتهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٣٢٧٦ .

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار العدوى المدنى ، كان من صالحى التابعين كثير الحديث . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٨) .

الصِّيام ، والضَّحِكَ عند المقابر » . وقال : « إذا أذَّنْتَ فترسَّلْ ، وإذا أقمْتَ فأَجْذِمْ[١] » .

وحدَّثنا إسماعيل بن عَيَّاش [الحمصى] ، عن الحسن بن دينار[٢] عن الخصيب ابن جحدر[٣] ، عن رجلٍ ، عن مُعاذ بن جَبَل[٤] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس مِن أخلاق المؤمن الملَقُ إلا فى طَلَب العلم » .

ومن حديث أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قيِّدوا العلمَ بالكتاب » . وقال : « يقول الله : لولا رجالٌ خُشَّع ، وصبيانٌ رُضَّع ، وبهائمُ رُتَّع ، لصَبَبتُ عليكم العذابَ صَبًّا » .

ومن حديث [عبد الله] بن المبارك[٥] يرفعه قال : « إذا سادَ القَبيلَ فاسِقُهُمْ ، وكانَ زعيمَ القومِ أرذَلُهم ، وأُكْرِمَ الرّجلُ اتِّقاء شرِّه ، فلينتظروا البلاء » .

---

(١) الإجذام : الإسراع . ل : « فأخذم » تحريف .

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن دينار البصرى . نسب إلى زوج أمه دينار ، واسم أبيه واصل . روى عن الحسن وابن سيرين وعبد الله بن دينار ، وروى عنه الثورى وأبو يوسف القاضى ، وكان يرى رأى القدرية . لسان الميزان (٢ : ٢٠٣) وتهذيب التهذيب .

(٣) الخصيب بن جحدر ، ترجم له فى لسان الميزان (٢:٣٩٨) وذكر أنه يروى عن عمرو بن دينار وأبى صالح السمان . توفى سنة ١٤٦ .

(٤) فيما عدا ل : « وهو من حديث معاذ بن جبل » . ومعاذ بن جبل صحابى جليل ، وهو أحد من جمع القرآن على عهد الرسول ، شهد بدرا وهو ابن إحدى وعشرين ، وأمره الرسول على اليمن وكتب إلى أهل اليمن : « إنى بعثت لكم خير أهلى » . وقدم من اليمن فى خلافة أبى بكر . وتوفي بالطاعون فى الشام سنة ١٧ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلى التميمى المروزى مولاهم ، كان أبوه تركيا وأمه خوارزمية ، كان من كبار الحفاظ ، بلغت كتبه التى حدث بها نحو عشرين ألفاً . جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة والزهد والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية والشجاعة والشدة فى بدنه ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه . ولد سنة ١١٨ وتوفى سنة ١٨١ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ١٠٩) وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٥٣) وتاريخ بغداد ٥٣٠٦ .

ومن أحاديث ابن أبي ذئب[١] عن المَقْبُرى[٢]، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستَحرِصون على الإمارة ، فنِعْمتِ المُرضِـعُ ، و بئست الفاطمة[٣] » .

ومن حديث عبد الملك بن عمير[٤]، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة[٥]، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان » .

ومن حديث عبد الله بن المبارك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّ قوماً ركبوا سفينةً فى البحر فاقتسموا ، فصار لـكلِّ رجلٍ موضعٌ ، فنَقَر رجلٌ موضعَه بفأس فقالوا : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنَعُ به ماشئت . فإنْ أخَذوا على يديه نجا ونجوا ، وإنْ تركوه هلك وهلـكوا » .

(١) ابن أبي ذئب ، هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب — واسمه هشام — بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشي المدنى . كان من أوثق المحدثين وأورعهم وأقومهم بالحق . وهو الذى قال المنصور : « الظلم فاش ببابك » . وقيل إن المهدى حج فدخل المسجد فلم يبق إلا من قام ، إلا ابن ذئب ، فقيل له : قم فهذا أمير المؤمنين ! فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين ! وكان يرى القدر ومالك يهجره من أجله . ولد عام الجحاف سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٨ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٧٩) وتاريخ بغداد ٧٨٧ وصفة الصفوة (٢ : ٩٨) والمعارف ٢١٢ .

(٢) فيما عدا ل : « عن المغيرة » تحريف . والمقبرى ، هو أبو سعد سعيد بن أبي سعيد — واسمه كيسان — المقبرى . نسبه إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها . روى عن أبي هريرة وعائشة ومعاوية وأنس ، وعنه مالك وابن أبي ذئب والليث بن سعد ، وقال ابن معين : أثبت الناس فى سعيد ابن أبي ذئب . توفى سنة ١٢٣ . السمعانى ٥٣٩ ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١) وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل — وهو يطابق ما فى اللسان (رضع) — : « فنعمت المرضعة » . فمن أدخل الهاء جعله نعتاً ، أى المرضعة ، ومن حذفها أراد الاسم .

(٤) ترجمة عبد الملك بن عمير فى (١ : ٥٧) .

(٥) هو أبو بحر عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفى البصرى ، وهو أول مولود ولد فى الإسلام بالبصرة فأطعم أبوه أهل البصرة جزوراً فكفتهم ، تابعى ثقة ، ولاه على بيت المال ، ثم ولاه ذاك زياد . ولد سنة ١٤ وتوفى سنة ٩٦ . تهذيب التهذيب . وقد سبقت ترجمة أبيه نفيع فى (١ : ١٧٣ ، ٣٢٧) .

وقال : « عَلِّق سوطَك حيثُ يراه أهلُك » .

ودخل السَّائب بن صَيفىّ[١] ، على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أتعرفنى ؟ فقال : « كيف لا أعرف شريكى الذى [كان] لا يُشارِينى ٢٥١ ولا يُمارِينى[٢] » .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « يُؤتَى بالوالى الذى يَجْلِدُ فوقَ ما أمرَهُ الله تعالى[٣] فيقول له الربُّ تعالى : أىْ عبدِى ، لِمَ جلدتَ فوقَ ما أمرتُكَ به؟ فيقول : ربِّ غضبتُ لغضبك . فيقول : أكان ينبغى لغضبك أن يكون أشدَّ من غضبى ؟ ! ثم يؤتى بالمقصِّر فيقول : عبدى ، لِمَ قَصَّرتَ عمّا أمرتُك به ؟ فيقول : ربِّ ، رحمتُه . فيقول : أكان ينبغى لرحمتك أن تكون أوسعَ من رحمتى ؟ ! قال : فيأمر فيهما بشىء قد ذَكَره لا أعرفه ، إلّا أنه قال : صيِّرهما إلى النار » .

وكيع[٤] قال : حدثنا عبد العزيز بن عمر[٥] ، عن قَزَعَة[٦] قال : قال لى ابنُ عمر[٧] : أودِّعك كما ودَّعنى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : « أستودِعُ

(١) السائب بن صيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، من جلة الصحابة ، كان شريك النبي صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية ، وكان فى قتال أهل الردة ، وأدرك زمان معاوية . الإصابة ٣٠٥٩ .

(٢) لا يشارى ، من الشر ، على إبدال إحدى الراءين ياء . لا يمارى : لا يخاصم فى شىء ليست له منفعة .

(٣) فيما عدا ل : « ما أمر الله به » .

(٤) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى الكوفى الحافظ العابد . أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع . ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٦ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٨٢) وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٠٢) .

(٥) هو عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، المترجم فى (١ : ٢٧٧) .

(٦) هو أبو الغادية قزعة بن يحيى البصري ، مولى زياد بن أبى سفيان ، روى عن ابن عمر وابن عمرو بن العاص وأبى هريرة ، وعنه قتادة ومجاهد وعمرو بن دينار وغيرهم . تابعى ثقة . تهذيب التهذيب .

(٧) هو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب . كان كثير الحديث شديد الورع . ولد سنة ثلاث من البعثة ، وتوفى سنة ٧٣ من الهجرة . ويقال إن الحجاج دس له السم . الإصابة ٤٨٢٥ وصفة الصفوة (١ : ٢٢٨) ووفيات الأعيان والمعارف ٨٠.

اللهَ دينَك وأمانتَك وخواتِمَ عملك[١] » .

وقال : « كلُّ أرضٍ بسَمائِها » .

وروى سعيد بن عُفَير[٢] عن ابن لَهِيعَة[٣] ، عن أشياخه ، أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى وائل بن حُجْر الحضرمىّ ولقومه : « مِن محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأقيال العباهلة من [أهل] حضرمَوت ، باقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، على التِّيعة شاةٌ ، والتِّيمة لصاحبها[٤] ، وفى السُّيوب الخُمس[٥] . لاخلاط ، ولا وِراط[٦] ، ولا شِناق ؛ ولا شِغار[٧] ، ومن أجْبَى فقد أربى[٨] . وكلُّ مُسْكِرٍ حرام » .

ومن حديث راشد بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تغالُوا بالنّساء[٩] فإنما هُنّ سُقْيا الله » . وقال : « خير نساء رَكِبْن الإبلَ صوالح

---

(١) فيا عدا ل : « خواتيم » ، وكلاهما صحيح .

(٢) هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري المصري ، قال فى تهذيب التهذيب : « وقد ينسب إلى جده » ، روى عن الليث ومالك وابن لهيعة ، وعنه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي . وكان من أعلم الناس بالأنساب والأخبار والمناقب والمثالب . وقال الحاكم : يقال إن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه ، ولد سنة ١٤٧ وتوفى سنة ٢٢٦ . انظر التهذيب وتذكرة الحفاظ (٢ : ١٠) .

(٣) هو عبد الله بن لهيعة المترجم فى (١ : ٣٦٢) .

(٤) التيعة ، بالكسر : الأربعون من الغنم . والتيمة ، بالكسر : الشاة الزائدة على الأربعين .

(٥) السيوب : جمع سيب ، يراد به المال المدفون فى الجاهلية .

(٦) الخلاط : أن يخلط رجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه ، ليمنع حق الله منها . والوراط : الخديعة والغش .

(٧) الشناق : ما بين الفريضتين من الإبل والغنم ، فما زاد على الفريضة لا يؤخذ منه شىء حتى تتم الفريضة الثانية . والشغار : أن يزوج الرجل الرجل حريمته على أن يزوجه الآخر حريمته ، ويكون مهر كل واحدة منهما بضع الأخرى ، وقد كان ذلك فى الجاهلية .

(٨) الإجباء : بيع الزرع قبل إدراكه . والإرباء من الربا .

(٩) فيا عدا ل : « فى النساء » . وفى اللسان : « لا تغالوا صدقات النساء . وفى رواية لا تغالوا صدق النساء » .

نساء قريش ، أحناهُ على ولدٍ فى صغره ، وأرعَاه على بعلٍ فى ذات يده[١] » .

مُجالِد عن الشَّعبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهمّ أذهِبْ مُلك غسّان ، وضَعْ مهور كِنْدةَ » .

والذى يدلُّك على أنّ الله عزّ وجلّ قد خصّه بالإيجاز وقلة عدد اللفظ ، مع كثرة المعانى ، قولُه صلى الله عليه وسلم : « نُصِرتُ بالصَّبا وأُعطيتُ جوامعَ الـكلم » . ومما روَوا عنه صلى الله عليه وسلم من استعمالِه الأخلاقَ الجميلة ، والأفعال الشريفة وكثرة الأمر بها ، والنّهى عما خالف عنها ، قولُه : « مَن لم يقبَلْ من ٢٥٢
من متنصّل عُذراً صادقاً كان أو كاذباً ، لم يَرِدْ على الحوض[٢] » . وقال فى آخر وصِيّته : « اتقوا الله فى الضعيفين » .

وكلّمته جاريةٌ مِن السَّبى[٣] فقال لها : مَن أنتِ ؟ فقالت : أنا بنت حاتم الجوَاد[٤] . فقال صلى الله عليه وسلم : « ارحموا عزيزاً ذلّ ، ارحموا عالِماً ضاع بين جُهّال » .

وقال : « سُرعة المشى تذْهَب ببهاء المؤمن » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأحاديث ستكثُرُ بعدى كما كثُرَت على الأنبياء[٥] مِن قَبلى ، فما جاءكم عنّى فاعرِضُوه على كتاب الله ، فما وافقَ كِتاب الله ، فهو عنّى ، قلتُه أو لم أقُلْه » .

وسُئلت عائشةُ رضى الله عنها عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «خُلُقُ القرآن» ، وتلَتْ قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

---

(١) قال ابن الأثير : إنما وحد الضمير ذهابا إلى المعنى ، تقديره أحنى من وجد أو خلق .
(٢) المتنصل : المعتذر المتبرئ من ذنبه .
(٣) فيما عدا ل : « فى السبى » .
(٤) فيما عدا ل : « بنت الرجل الجواد حاتم » .
(٥) فيما عدا ل : «ستكثر على بعدى كما كثرت عن الأنبياء » .

قال محمد بن عليّ[١] : أدَّبَ اللهُ عليه وسلم بأحسن الآداب ، فقال : ﴿ خُذِ العفوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ فلما وعى قال : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْه فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ .

حدثنا عليُّ بن مجاهد ، عَن هِشام بن عُروة[٢] ، قال : سَمِع عمر بن الخطاب رحمه الله رجلاً ينشد :

متى تأتِهِ تعشُو إلى ضوءِ نارِه تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[٣]

فقال عمر : ذاكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان الناس يستحسنون قولَ الأعشى :

تُشَبُّ لِمَقْرورَيْنِ يصطليانها وباتَ على النار النَّدى والمُحَلَّقُ[٤]

فلما قال الحطيئة البيتَ الذى كتبنا قبلَ هذا سقط بيتُ الأعشى .

٢٥٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال المسروقُ منه فى تُهَمَةِ مَن هو برىء ، حتى يكونَ أعظمَ جُرْماً من السَّارق » .

وقال أبو الحسن : أجرَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخيلَ وسَبَّق بينها[٥] ، فجاء فرسٌ له أدْهَمُ سابقاً ، فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال : « ما هو إلاّ بَحْرٌ » . فقال[٦] عمر بن الخطاب : كَذَبَ الحُطيئةُ حيث يقول :

وإنّ جيادَ الخيل لا تستفزُّنا ولا جاعلاتُ العاج فوقَ المعاصِمِ

---

(١) هو محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، والد السفاح والمنصور ، وأول من نطق بالدعوة بالعباسية . توفى سنة ١٢٥ . تهذيب التهذيب .

(٢) ترجم على فى (١ : ٣٠١) وهشام فى (١ : ٢٥٢) .

(٣) البيت للحطيئة فى ديوانه ٢٥ .

(٤) المحلق هذا ، هذا رجل من بنى بكر بن كلاب . ضبط فى اللسان بكسر اللام .

(٥) فيما عدا ل : « وسابق بينها » . (٦) فيما عدا ل : « وقال » .

وقد زعم ناسٌ من العلماء أنه لم يستفزَّه سَبْق فرسِه ، ولكنّه أراد إظهارَ حُبِّ الخيل وتعظيمِ شأنها .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأكلُ على الأرض ، ويجلس على الأرض[1] ويلبَس العَباء ، ويُجالِس المساكين ، ويمشى فى الأسواق ، ويتوسَّدُ يَدَه[2] ، ويُقِصُّ مِن نفسه ، ويَلطَعُ أصابعَه ، ولا يأكل متّكئا ، ولم يُرَ قَطُّ ضاحكاً مِلءَ فيه . وكان يقول : « إنّما أنا عبدٌ آكُل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذِراعٍ لأجبت ، ولو أُهدِىَ إلىَّ كُرَاعٌ لقبلت » . ولم يأكُلْ قطُّ وحدَه ، ولا ضَرب عبدَه ، ولا ضرب أحداً بيده إلاَّ فى سبيل ربِّه . ولو لم يكُن مِن كرم عَفوه وثَخانة حِلْمه[3] ، إلاّ ما كان منه يومَ فتح مكّة ، لقد كان ذلك مِن أكمل الكمال وأوضح البرهان[4] . وذلك أنّه حين دخل مكّة عَنْوةً وقد قَتلوا أعمامَه وبنى أعمامه ، وأولياءه وأنصاره[5] ، بعد أن حَصروه فى الشِّعاب ، وعذّبوا أصحابه بأنواع العذاب، وجرحوه فى بَدنه[6] ، وآذَوه فى نفسه ، وسفُهوا عليه ، وأجمعوا على كيده . فلمّا دخلها بغير حمدهم ، وظَهَرَ عليها على صُغْرٍ منهم[7] ، قام خطيباً فيهم ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : « أقول كما قال أخى يوسفُ : لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

وإنما نقول فى كل بابٍ بالجملة من ذلك المذهب ، وإذا عرفتم أولَ كلِّ بابٍ كنتم خُلقاء أن تعرِفوا الأواخر بالأوائل ، والمصادر بالموارد . ٢٥٤

(١) فيما عدا ل : « يجلس على الأرض ويأكل على الأرض » .
(٢) فيما عدا ل : « يده الشريفة » .
(٣) قالوا : رجل ثَخِين : حليم رزين ثقيل فى مجلسه . فيما عدا ل : « رجاحة » .
(٤) وأوضح البرهان ، من ل فقط .
(٥) فيما عدا ل : « وقادة أنصاره » .
(٦) ل : « يديه » والصواب ما أثبت من سائر النسخ .
(٧) أى غلب على مكة وهم فى ذلة . فيما عدا ل : « وظهر عليهم » .

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في الوداع[١]

قال صلى الله عليه وسلم[٢] : الحمدُ لله ، نَحْمَده ونَستعِينُه ، ونستغفرُه ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا ، ومِن سيِّئات أعمالنا . مَن يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْـلِلْ فلا هادِيَ له . وأشهَدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وحْدَه لا شريك له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . أُوصِيكم عِبادَ الله بتقوى الله ، وأحُثُّكُمْ على طاعته ، وأستفتِحُ بالذى هو خير . أمّا بعـد ، أيُّها الناس اسمَعُوا مِنِّى أُبيِّنْ لـكم ، فإنِّى لا أدرِى ، لعَلِّى لا ألقاكم بعدَ عامى هذا فى موقِفى هذا . أيُّها الناس : إنّ دماءكم وأموالَـكم عليكم حرام[٣] إلى أنْ تلقَوْا ربَّـكم ، كحُرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

ألا هل بَلَّغت ؟ اللّهم اشهَدْ[٤] !

فمَنْ كانت عِندَه أمانةٌ فليؤدِّها إلى الذى ائتمَنَه عليها . وإنَّ رِبا الجاهليّة موضوع[٥] ، وإنّ أوّل رِباً أبدأُ به رِبا عمِّى العباسِ بنِ عبـد المطّلب . وإنّ دماء الجاهليـة موضوعة ، وأوّلُ دمٍ نبدأُ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب . وإنّ مآثِرَ الجاهلية موضوعة ، غير السِّدانة[٦] والسِّقاية .

---

(١) فيما عدا ل : « ومن خطبه صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة الوداع وهى » .

(٢) هذه العبارة من ل فقط . والخطبة فى الطبرى (٣ : ١٦٨) وابن الأثير (٢ : ١٤٦) وابن أبى الحديد (١ : ٤١) والعقد وإعجاز القرآن وسيرة ابن هشام ٩٦٨ وسائر كتب السير .

(٣) فيما عدا ل : « حرام عليكم » .

(٤) فيما عدا ل : « فاشهد » فى هذا الموضع وسائر المواضع .

(٥) يقال وضعت عنه الدين والجزية ونحوهما ، إذا أسقطته .

(٦) السدانة : خدمة الكعبة . وهى بفتح السين وكسرها ، كما فى اللسان . وضبطت فى القاموس بالفتح ، وفى المصباح بالكسر . وكانت السدانة واللواء لبنى عبد الدار فى الجاهلية ، فأقرها الرسول لهم فى الإسلام . والسقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ فى الماء .

والعَمْد قوَد[1] ، وشِـبْه العَمد ما قُتل بالعصا والحجَر ، وفيه مائةُ بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهليّة .

أيُّها الناس ، إنّ الشيطان قد يَئس أن يُعبَدَ فى أرضكم هذه ، ولـكنّه قد رضى أن يُطاعَ فيما سوى ذلك ممّا تَحقِرون من أعمالـكم .

أيُّها النّاس : إنّ النّسىء[2] زيادةٌ فى الـكُفْر يُضَلُّ به الّذِينَ كَفَرُوا يحِلّونَهُ عاماً وَيحَرّمُونَهُ عاماً لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ مَا حَرّمَ اللهُ[3] فَيُحِـلّوا ما حَرّمَ الله . إنّ الزّمانَ قد استدار كهيئته يَومَ خَلقَ اللهُ السّمٰواتِ والأرض . وإنّ عِدّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنَى عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللهِ يَومَ خَلَقَ السّموات والأرْض، مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثلاثةٌ متواليات ، وواحدٌ فرد . ذو القعدة وذو الحجةوالمحرم، ٢٥٥
ورجَبٌ الذى بين جُمادى وشعبان .

ألا هَلْ بلّغْت ؟ اللّهم أشهد !

أيُّها النّاس إنّ لنسائكم عليكمْ حَقّا ، ولـكم عليهنّ حق . لـكم عليهنّ ألاّ يُوطِئْن فُرُشَـكم غيرَكم ، ولا يُدخِلْن أحداً تكرهونه بيوتَـكم إلاّ بإذنكم ، ولا يأتِين بفاحشةٍ مبيِّنةٍ ، فإنْ فعلْنَ فإنّ الله قد أذِن لـكم أن تعضُلوهن وتهجروهنّ فى المضاجع ، وتضرِبُوهنّ ضرباً غير مبرّح ، فإن انتهين وأطعنَـكم فعليكم رِزقُهنّ وكُسوتُهُنّ بالمعروف . وإنّما النساء عندكم عَوانٍ لا يملـكن لأنفسهنّ شيئا[4] ، أخذتُموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجَهُنّ بكلمة الله . فاتّقوا الله فى النّساء فاستوصوا بهنّ خيراً .

ألا هل بلّغتُ ؟ اللهم اشهد !

---

(١) أى فى القتل المتعمد القود . وهو بالتحريك : قتل القاتل بالقتيل .

(٢) كذا ورد فى جميع النسخ . ونص الآية : (إنما النسىء) .

(٣) سائر الآية من ل فقط .

(٤) العوانى : جمع عانية ، وهى الأسيرة ، أى هن عندكم بمنزلة الأسرى .

أيها الناس، إنما المؤْمِنونَ إخوَةٌ ، ولا يحِلُّ لامرئٍ مُسْلِمٍ[1] مالُ أخيه إلاّ عن طيب نفسٍ منه .

ألاَ هل بلّغت ؟ اللهم اشهد !

فلا ترجِعُنّ بعدى كُفّارا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض ، فإنّى قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لن تَضلّوا [بَعدَه] ، كتابَ الله .

ألا هل بلّغت ؟ اللهم اشهد !

أيُّها الناس ، إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد . كلُّكم لآدمَ وآدمُ مِن ترابٍ . أكرمُكم عِندَ الله أتقاكُمْ ، إنَّ الله عليم خبيرٌ . وليس لعربىٍّ على عجمىٍّ فضلٌ إلاّ بالتقوى .

ألاَ هل بلّغت ؟ اللهمّ اشهد !

قالوا : نعم . قال : فليبلِّغ الشّاهدُ الغائب .

أيُّها الناس ، إنّ الله قسَم لكلّ وارث نصيبَه من الميراث ، فلا تجوزُ وصيّةٌ لوارث ، ولا تجوز وصيّةٌ فى أكثَرَ من الثُّلث . والولَدُ للفِراش ، وللعاهرِ الحجَرُ . من ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مُواليه فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والنّاس أجمعين ، لا يُقبل مِنه صَرفٌ ولا عَدْلٌ[2] . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

وعن الحسن قال : جاء قيسُ بن عاصم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآه[3] قال : هذا سيِّد أهلِ الوبر . فقال : يا رسول الله ، خبِّرنى عن المال الذى لا يكون

---

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) أى لا يقبل منهم شىء . وأصل العدل أن يقتل الرجل بالرجل ، والصرف : أن ينصرف عن الدم إلى أخذ الدية .

(٣) فيما عدا ل : « نظر إليه » .

عليّ فيه تَبِعةٌ[1] من ضيف ضافنى ، أو عيالٍ كَثُرُوا علىّ . قال : « نعم المال الأربعون ، والأكثرُ الستّون ، وويلٌ لأصحاب الثمانين[2] إلاّ مَن أعطى ٢٥٦ فى رِسْلها ونَجْدتها[3] ، وأطرَقَ فَحْلها[4] ، وأفقرَ ظهرَها[5] ، ونحرَ سمينَها ، وأطعم القانع والمُعترّ[6] » . قال : يا رسول الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ وأحسنها ، وما يحُلُّ بالوادى الذى أكونُ فيه أكثرُ من إبلى . قال : فكيف تصنع بالطَّروقة ؟ قال : تغدو الإبل ويغدو الناس ، فمن شاء أخذ برأسِ بعيرٍ فذهب به . قال : فكيف تصنع بالإفقار[7] ؟ قال إنى لأُفقِرِ البَكْرَ الضَّرَعَ[8] ، والنّابَ المسنّة . قال : فكيف تصنعُ بالمَنيحة[9] ؟ قال : إنّى لأمنحُ فى كلّ سنةٍ مائة . قال : فأىُّ المالِ أحبُّ إليك ، أمالُك أم مالُ مولاك ؟ قال : بل مالى . قال : « فمالكَ من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت ، أو لبِستَ فأبليْتَ ، أو أعطيْتَ فأمضيت ، وما سِوى ذلك للوارث » .

وذكر أبو المقدام هشام بن زياد[10] ، عن محمّد بن كعب القُرَظىّ[11] قال :

---

(١) التبعة : ما يتبع المال من نوائب الحقوق . ل : « تبع » .

(٢) فيما عدا ل : « المئين » .

(٣) فى رسلها ، أى بطيب نفس منه ، وفى نجدتها : ألا تطيب نفسه بإعطائها ويشتد عليه . وقيل الرسل الخصب ، والنجدة والشدة .

(٤) أطرق فحله : أعاره غيره ليضرب فى إبله .

(٥) أفقر ظهرها : أعاره للركوب .

(٦) القانع : الذى يسأل . والمعتر : الذى يطيف بك يطلب ما عندك ، سألك أو سكت عن السؤال .

(٧) الإفقار فسر قريبا ، فيما عدا ل : « فى الإفقار » .

(٨) البكر : الفتى من الإبل بمنزلة الشاب من الناس . والضرع ، بالتحريك : الضعيف .

(٩) المنيحة : أن يجعل الرجل لبن شاته أو ناقته لآخر ، سنة .

(١٠) أبو المقدام هشام بن زياد بن أبى يزيد القرشى المدنى ، ضعيف لا يحتج بحديثه . تهذيب التهذيب .

(١١) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى المدنى ، كان أبوه من سبى قريظة ، كان محمد ثقة عالما كثير الحديث ورعا . توفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب والسمعانى ٤٤٨ وصفة الصفوة (٢ : ٧٥)

دخلتُ على عمرَ بنِ عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيــه ، فجعلت أُحِدُّ النظرَ
إليه ، فقال لى : يا ابنَ كعبٍ ، ما لكَ تُحِدُّ النَّظرَ إلىّ ؟ قلت : لِمَا نَحَلَ مِن
جسمك ، وتغَيَّر مِن لونك . قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثالثة فى قبرى ، وقد
سالَتْ حدَقَتاىَ على وَجنتى ، وابتَدَر فمى وأنفى صـديداً ودُودا ؛ كنتَ والله
أشدَّ نَــكَرَةً لى[1] . أعِدْ عَلَىَّ حديثاً[2] كنتَ حدَّثتَنيه عن عبد الله بن عباس .
قال : سمعتُ ابنَ عبّاسٍ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنّ لكلِّ
شىء شرفاً ، وإنّ أشرفَ المجالس ما استُقْبِل به القِبلة ، ومَن أحبَّ أن يكون
أعزَّ الناس فليتَّقِ الله . ومَن أحبَّ أن يكونَ أقوى الناس فليتوكَّل على الله .
ومن أحبَّ أن يكونَ أغنى النّاسِ فليكُنْ بما فى يَدَيِ الله أوثقَ منه بما فى
يديه[3] » . ثم قال : « ألا أنبّئكم بشِرار الناس ؟ » قالوا : بَلَى يا رسول الله .
قال : « مَن نزل وَحْدَه ، ومنع رِفدَه ، وجَلَد عبده » . ثم قال : « ألا أنبّئكم بشرٍّ
من ذلك ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « مَن لا يُقِيل عَثْرةً ، ولا يَقبل
مَعذِرةً ، ولا يَغفِر ذنباً » . ثم قال : « ألا أنبّئكم بشرٍّ من ذلك ؟ » قالوا : بلى ٢٥٧
يا رسول الله . قال : « مَن يُبغِض النّاسَ ويُبغِضونه . إنّ عيسى بنَ مريمَ
عليه السلامُ قام خطيباً فى بنى إسرائيلَ فقال : يا بنى إسرائيل ، لا تكلَّموا
بالحكمة عند الجُهّال فتَظلِموها ، ولا تَمنعوها أهلَها فتظلموهم ، ولا تكافئوا ظالماً
فيَبطُل فضلُكم . يا بنى اسرائيل ، الأمور ثلاثة : أمرٌ تبيَّنَ رُشدُه فاتّبعوه ،
وأمرٌ تبيَّنَ غَيُّه فاجتنِبوه ، وأمرٌ اختُلِف فيه فإلى الله فردُّوه »[4] .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كلُّ قومٍ على زِينةٍ من أمرِهم ، ومَفْلَحَة

---

(١) النكرة ، بالتحريك : اسم من الإنكار ، كالنفقة من الإنفاق .
(٢) فيما عدا ل : « أعده على حديثا » مع سقوط كلمة « لى » قبلها .
(٣) فيما عدا ل : « فى يد الله » و « فى يده » .
(٤) ل : « فردوه إلى الله » .

فى أنفسهم[١] ، يُزْرُون على مَن سواهم . ويُبَيِّن[٢] الحقُّ فى ذلك بالمقايَسة بالعَدل عند أُولِى الألباب من النَّاس » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن رضِى رفيقَه فليُمسكه ، ومن لم يرضَ فليَبِعْه ، فلا تعذِّبوا خَلْقَ الله » .

وقال فى آخِرِ ما أوصى به : « اتَّقوا الله فى الضعيفين[٣] » .

قال : ابن ثَوْبان[٤] عن أبيه ، عن مكحول[٥] ، عن جُبَير بن نُفَير[٦] ، عن مالك بن يَخامِر[٧] ، عن مُعاذ بن جَبَل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُمْران بيت المقدس خرابُ يثرب ، وخرابُ يثربَ خروجُ الملحمة[٨] ، وخروجُ الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتحُ القسطنطينية خروج الدجّال[٩] » . ثم ضَرَب

---

(١) مفلحة : مفعلة من الفلاح . قال الخطابى : معناه أنهم راضون بعلمهم يغتبطون به عند أنفسهم » .

(٢) فيما عدا ل : « ويتبين » .

(٣) الحديث بتمامه : « اتقوا الله فى الضعيفين : المملوك والمرأة » . وذكر السيوطى فى الجامع الصغير (١ : ٢١) أنه حديث ضعيف .

(٤) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسى الدمشقى الزاهد ، روى عن أبيه وعن الزهرى وعمرو بن دينار وطائفة ، وعنه الوليد بن مسلم ، وعلى بن ثابت الجزرى ، وعلى بن الجعد وآخرون . ولد سنة ٧٥ وتوفى سنة ١٦٥ . تاريخ بغداد ٥٣٥٦ وتهذيب التهذيب .

(٥) هو مكحول الشامى الفقيه ، أعجمى ، يقال كان اسم أبيه سهراب . تابعى ثقة ، كان يرى القدر . توفى سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) جبير بن نفير ، بالتصغير فيهما ، بن مالك بن عامر الحضرمى الحمصى ، أدرك الجاهلية وزمان الرسول ، وأسلم فى خلافة أبى بكر ، ومات سنة ٧٠ . الإصابة ١٢٧١ وتهذيب التهذيب .

(٧) مالك بن يخامر السكسكى الألهانى الحمصى ، يقال له صحبة . وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . توفى سنة ٧٢ . الإصابة ٧٦٩٥ وتهذيب التهذيب . ويخامر بفتح التحتانية والمعجمة وكسر الميم ، كما فى تقريب التهذيب . وفى الإصابة أن الياء قد تبدل همزة .

(٨) الملحمة : الوقعة العظيمة فى الفتنة .

(٩) فيما عدا ل : « قسطنطينية » بإسقاط اللام .

بيده على فخذ الذى حدَّثه أو مَنكِبه ، ثم قال : « إنّ هذا لحَقٌّ كما أنك هاهنا » . أو « كما أنك قاعد » يعنى مُعَاذاً .

صالح المُرِّىّ عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَصِّنوا أموالكم بالزَّكاة ، وداوُوا مَرضا كم بالصَّدقة ، واستقبِلوا البلاء بالدُّعاء » .

كُثَيِّر بن هشام[١] ، عن عيسى بن إبراهيم[٢] ، عن الضحَّاك[٣] ، عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « الجمعةُ حجُّ المساكين » .

قال عَوف[٤] ، عن الحسن ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اتَّقوا الله

٢٥٨ فى النِّساء فإنّهن عندكم عَوانٍ[٥] ، وإنما أخذتموهنَّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجَهُنَّ بكلمة الله » .

الواقِدىّ[٦] ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى[٧] عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله يحبُّ الجَوادَ مِن خَلْقِهِ » .

أبو عبد الرحمن الأشجعىّ[٨] ، عن يحيى بن عُبَيد الله[٩] ، عن أبيه عن

---

(١) هو أبو سهل كثير بن هشام الكلابى الرقى ، من ثقات المحدثين ، خرج إلى الحسن ابن سهل وهو بفم الصلح ، فمات هناك سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٦٩٥٥

(٢) هو عيسى بن إبراهيم بن سيار الشعيرى البركى البصرى ، روى عنه أبو داود والبخارى . توفى ٢٢٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالى . وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥١) .

(٤) هو عوف بن أبى جميلة العبدى الهجرى البصرى . واسم أبى جميلة بندويه ، ويقال بل بندويه اسم أمه واسم أبيه رزينة ، ثقة ثبت ، وكان شيعيا قدريا . توفى سنة ١٤٧ . تهذيب التهذيب .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٣٦ س ٥

(٦) هو محمد بن عمر بن واقد المترجم فى (١ : ٣٧) .

(٧) هو أبو محمد موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى المدنى ، كان فقيها محدثا ، وكان الأئمة ينكرون عليه حديثه . توفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب .

(٨) هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن عبد الرحمن الكوفى ، الحافظ الثبت ، لزم سفيان الثورى مدة فكان يقول : سمعت من سفيان ثلاثين ألف حديث . ولما مات الثورى جلس موضعه ، ثم تحول بعد ذلك إلى بغداد . توفى سنة ١٨٢ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٨٦) وتاريخ بغداد ٥٤٥٩ والسمعانى ٣٩ .

(٩) هو يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمى المدنى ، روى عن أبيه ، وعنه =

أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خلا يهودىٌّ بمسلمٍ قطُّ إلاّ همَّ بقتْله » ، ويقال « حدّثَ نفسَه بقتْله » .

أبو عاصم النَّبيل[١] ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى زياد[٢] ، عن شَهْر ابن حَوْشَب[٣] ، عن أسماء بنتِ يزيد[٤] قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن ذَبَّ عن لحم أخيه بظَهْر الغيب كان حقًّا على الله أن يحرِّمَ لحمَه على النار » .

إسماعيل بن عيّاش ، عن الحسن بن دينار ، عن الخصيب بن جحدر ، عن رجل ، عن معاذ[٥] بن [جبل ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس مِن أخلاق المؤمنِ الملَقُ إلاّ فى طلب العلم »] .

= عبد الله بن المبارك ، والفضيل بن عياض ، ويحيى القطان وآخرون ، ولم يكن بثقة فى الحديث . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « يحيى بن عبد الله » .

(١) أبو عاصم النبيل ، هو الضحاك بن مخلد الشيبانى البصرى ، كان فقيها ثقة ، كثير الحديث ، وكان فيه مزاح . ولد سنة ١٢٢ وتوفى سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٣٣) .

(٢) هو عبيد الله بن أبى زياد القداح ، أبو الحصين المكى . اختلف فى توثيقه . توفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو سعيد شهر بن حوشب الأشعرى الشامى ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، روى عنها وعن جمع من الصحابة ، وكان من القراء . وكان على بيت المال فيزعمون أنه أخذ منه خريطة فيها دراهم ، فقال فيه القطامى الكلبى ، أو سنان بن مكمل النميرى . كما فى تاريخ الطبري (٨ : ١٢٢) :

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

وقيل إن نحو هذا الخبر لا يصح . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب وثمار القلوب للثعالبى ١٣٣ .

(٤) هى الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ، وهى بنت عم معاذ بن جبل ، وكان يقال لها « خطيبة النساء » . شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها ، وعاشت بعد ذلك دهراً . الإصابة ٥٩ من قسم النساء وتهذيب التهذيب .

(٥) إسماعيل بن عياش سبقت ترجمته فى ص ٢٣ . كما سبقت ترجمة الحسن بن دينار والخصيب بن جحدر فى ص ٢٤ . والإسناد إلى هذه الكلمة ثابت فى ل أيضا ، مع قرنه بلفظ مكرر . أما باقى الإسناد والحديث فهو مما عدا ل .

وعن عبدِ ربِّه بن أعْيَنَ ، عن عبد الله بن ثُمامة بن أنَس[١] ، عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قيِّدوا العِلمَ بالكِتاب» . وقال : « فَضْلُ جاهِكَ تعودُ به على أخيك الذى لا جاهَ له صدقةٌ منك عليه ، وفضْلُ لسانِك تعبِّرُ به عن أخيك الذى لا لسان له صدقةٌ منك عليه ، وفضلُ علمِك تعُود به على أخيك الذى لا علمَ عنده صدقةٌ منك عليه[٢] ، وفَضل قُوّتك تردُّه[٣] على أخيكَ الذى لا قوّةَ له صدقةٌ منك عليه ، وإماطتُك الأذى عن الطّريق صدقةٌ منك على أهله » .

وإنّما مَدار الأمور والغاية التى يُجرى إليها ، الفهمُ ثم الإفهام ، والطّلب ثم التثبُّت .

قال عمرو بن العاص : « ثلاثةٌ لا أمَلُّهم : جليسِى ما فهِمَ عنّى ، وثوبى ما سَتَرنى[٤] ، ودابّتى ما حملَتْ رجلى » .

وذكر الشّعبىُّ ناساً فقال : «ما رأيتُ مثلَهم أشدَّ تنابُذاً فى مجلس[٥] ، ولا أحسَنَ تفهُّماً عن مُحدِّث» .

ووصف سهل بن هارون رجلا فقال : « لم أرَ أحسَنَ منه فهماً لجليل ، ولا أحسن تفهُّماً لدقيق » .

---

(١) سبقت ترجمة والده ثمامة فى (١ : ٢٥٨) . والوجه فى السند السابق فيما اتضح لنا بعد : « عبد الله بن ثمامة بن عبد الله بن أنس » ، ويبدو أنه دأب على نسبة ثمامة إلى جده أنس .

(٢) جاءت هذه الجملة فيما عدا ل بعد الجملة التالية .

(٣) فيما عدا ل : « تعود بها » .

(٤) جاءت عبارة « وثوبى ما سترنى » فيما عدا ل آخر الكلام . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) .

(٥) وكذا ورد النص فى أصل عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) . ولم أجد هذا اللفظ إلا فى أساس البلاغة : « ونبذ إلى العدو : رمى إليه بالعهد ونقضه ، ونابذه منابذة وتنابذوا » . يصفهم بانعدام الوفاء . وفى العقد (١ : ٢٥٩) : « أشد تناوبا » .

وقال سعيد بن سَلْمٍ[١] لأمير المؤمنين : « لو لم أشكر اللهَ إلاّ على حُسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين ، مِن قصدِه إلىّ بحديثه ، * وإشارتِه إلىّ بطرفه ، لقد ٢٥٩ كان ذلك مِن أعظم ما تفرضُه الشريعة ، وتوجيه الحُرّيّة » . فقال المأمون : « لأنّ أميرَ المؤمنين يجدُ عندكَ من حسن الإفهام إذا حدّثت ، وحسن التفهّم إذا حُدِّثتَ ، مالم يجِدْه عند أحدٍ فيمن مضى ، ولا يظنُّ أنه يجده فيمن بقى » .

وقال له مرّةً أخرى : « والله إنك لتستقفِى حديثى[٢] ، وتقِفُ عند مقاطِع كلامى ، وتُخبِر عنه بما كنت [قد] أغفلتُه » .

وقال أبو الحسن : قالت امرأةٌ لزوجها[٣] : مالك إذا خرجتَ إلى أصحابك تطلّقتَ وتحدّثت ، و إذا كنتَ عندى تعقّدت وأطرقت ؟ قال : « لأننى أدِقّ عن جَليلِك ، وتَجِلّين عن دقيقى[٤] » .

وقال أبو مسهر[٥] : « ما حدّثتُ رجلاً [قطّ] إلاّ أعجبَنى حُسن إصغائه ، حفِظَ عنّى أم ضيّع » .

وقال أبو عقيل بن دُرُسْتَ : « نَشاط القائل على قدر فَهم المستمع » .

وقال أبو عبّادٍ كاتب أحمد بن أبى خالد : « للقائل على السامع ثلاث : جَمْع البال ، والكتمان ، و بسطُ العُذر » .

---

(١) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، ولاه السلطان بعض الأعمال بمرو ، وقدم بغداد وحدث بها ، فروى عنه محمد بن زياد بن الأعرابى . وكان سعيد عالما بالحديث والعربية ، لكنه كان لا يبذل نفسه للناس . انظر تاريخ بغداد ٤٦٥٨ .

(٢) الاستقفاء : أن يقفو أثر الشىء .

(٣) هو نوفل بن مساحق وامرأته . وقد سبق الخبر فى (١ : ٣٠٥) .

(٤) ما أثبت من ل يطابق مامضى فى (١ : ٣٠٥) . وفيما عدا ل : « أجل عن دقيقك ، وتدقين عن جليلى » .

(٥) أبو مسهر هو عبد الأعلى بن مسهر ، وقد ترجم فى (١ : ٢٦٤) . وفيما عدا ل « أبو مسهر بن المبارك » وفيه إقحام .

وقال أبو عبّاد : « إذا أنكرَ القائلُ عَيْنَيِ المستمع[1] فليستفهِمْه عن مُنتَهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القولَ له ، فإنْ وجدَه قد أخلص له الاستماعَ أتمَّ له الحديث ، وإن كان لاهياً عنــه حرَمه حُسنَ الحديث ونفعَ المؤانسة ، وعرَّفه بفسولة الاستماع[2] ، والتقصير فى حقِّ المحدِّث » .

وأبو عبّاد هذا هو الذى قال : « ماجلس بين يدىَّ رجــلٌ قطُّ إلا تمثَّل لى أنّى سأجلس بين يديه[3] » .

وذكر رجلٌ من القرشيِّين عبدَ الملك بن مَرْوان ، وعبد الملكِ يومئذ غلام ، فقال : « إنّه لآخِذٌ بأربع ، وتاركٌ لأربع : آخذٌ بأحسن الحديث إذا حَدَّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيسر المئُونة إذا خُولف ، وبأحسن البِشْر إذا لَقِيَ . وتاركٌ لمحادثة اللئيم ، ومُنازَعَة اللَّجوج ، ومُمـاراة السَّفيه ، ومصاحَبة المأفون » .

وذمَّ بعضُ الحكماء رجُلاً فقال : « يَجْزِم قبــل أن يَعلم ، ويغضَب قبل أن يَفهم » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله فى بعض رسائله إلى قُضاته[4] : « الفَهْمَ الفهمَ فيما يتلجلج فى صدرك » .

ولا يمكنُ تمامُ الفهم إلا مع تمام فراغ البال . ٢٦٠

وقال مجنون بنى عامر :

---

(١) ل : « على عى السامع » صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الفسولة : الضعف والحمق . فيما عدا ل : « بنسولة » تحريف .

(٣) ل : « إلا مثــل لى أنى جالس بين يديه » . وما أثبت من سائر النسخ يطابق ما سلف فى (١ : ٨٤ س ١٣) .

(٤) هى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى . وسيذكر الجاحظ نصها فى الجزء الثانى . انظر (١ : ٢٦٥) من أرقام الأصل .

أتانى هواها قبل أن أعرِفَ الهوَى ... فصادَفَ قلبى فارغاً فتمكّنا [١]

وكتب مالك بن أسماء بن خارجةَ إلى أخيه عيينةَ بن أسماء بن خارجة :

أعُيَيْنَ هَلاَّ إذْ شُغِفْتَ بها ... كنتَ استعنتَ بفارغ العَقْلِ

أقبلْتَ ترجو الغَوثَ من قِبَلى ... والمستغاثُ إليـــه فى شُغْلِ

وقال صالح المُرِّىّ : « سوء الاستماع نفاق » . وقد لا يَفهم المستمع إلا بالتفهُّم، وقد يتفهَّم أيضا مَن لا يفهم . وقال الحارث بن حِلِّزة :

وحَبَسْت فيها الرَّ كبَ أحدِس فى ... كلّ الأمورِ وكنتُ ذا حَدْسِ [٢]

وقال النابغة الجعدىّ :

أَبَى لِى البلاء وأنّى امرؤٌ ... إذا ما تبيّنْتُ لم أرْتَبِ [٣]

وقال آخر [٤] :

تَحلَّمْ عن الأدنَيْنَ واستَبْقِ وُدَّهمْ ... ولن تستطيعَ الحِلمَ حتى تَحلَّمَا

والمَثَلُ السائرُ على وجه الدهر : « العِلْمُ بالتعَلُّم » .

وإذا كانت البهيمة إذا أحسَّت شيئاً [٥] من أسباب القانص ، أحَدَّتْ نظرَها ، واستَفرغتْ قواها فى الاسترواح ، وجمَعتْ بالها للتسمُّع — كان الإنسانُ العاقلُ أولى بالتثبت ، وأحَقَّ بالتعرُّف .

ولما اتَّهم قُتيبة بن مسلم [٦] ، أبا مِجْلَز لاحق بن حُميد ، ببعض الأمر ، قال له

---

(١) روايته فى الحيوان (١ : ١٦٩ / ٤ : ١٦٧) : « قلباً خالياً » .

(٢) الحدس : الظن ، وروايته فى المفضليات (١ : ١٣١) : « حَبست » .

(٣) سبق البيت والكلام عليه فى (١ : ١٠٠) .

(٤) هو حاتم الطائى . انظر ديوانه ١٠٨ من مجموع خمسة دواوين . وهو فى اللسان (حلم) بدون نسبة .

(٥) فيما عدا ل : « أحست بشىء » .

(٦) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى ، أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من قبل الحجاج بن يوسف . وابنه سلم بن قتيبة بن مسلم المترجم فى (١ : ١٧٤) . وحفيده سعيد بن سلم بن قتيبة . ولد قتيبة سنة ٤٩ وقتل سنة ٩٧ . وفيات الأعيان .

أبو مِجْلَز[١] : « أيُّها الأمير تثبَّتْ ، فإنَّ التثبُّتَ نِصف العفو » .

وقال الأحنف : « تعلَّمْتُ الحِلم من قيس بن عاصم[٢] » .

وقال فيروزُ حُصين[٣] : « كنت أختلف إلى دار الاستخراج أتعلَّمُ الصبر » .

٢٦١ وقال سهل بن هارون : « بلاغة اللسان رِفقٌ ، والعِيُّ خُرْق » . وكان كثيراً ما ينشد قول شُتَيم بن خُوَيْلِد[٤] :

ولا يشعَبُون الصَّدع بعدَ تفاقُمٍ ... وفى رِفقِ أيديكم لِذِى الصَّدْعِ شاعبُ[٥]

وقال إبراهيم الأنصارىّ ، وهو إبراهيم بن محمد المفلوج ، من ولد أبى زيد القارىء : الخلفاء والأئمة وأمراء المؤمنين ملوكٌ ، وليس كلُّ ملكٍ يكون خليفة وإماماً ، ولذلك فصَل بينهم أبو بكر رحمه الله فى خطبته ، فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبى قال : « ألا إنّ أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوكُ ! » . فرفع الناس رءوسهم ، فقال : « مالكم أيُّها الناس ، إنكم لطَعَّانون عَجِلون » . إن مِن الملوك مَن إذا مَلَكَ[٦] زهَّده الله فيما فى يديه[٧] ، ورغَّبه فيما فى يدَىْ غيره ، وانتقَصَه شِطْرَ أجله ، وأشرَبَ قلبهُ الإشفاق ، فهو يَحْسُد على القليل ، ويتسخَّط

---

(١) هو أبو مجلز لاحق بن حميد بن سعيد السدوسى البصرى وكان ممن قدم خراسان ، وولى بعض الأمر . وكان عمر بن عبد العزيز يستشيره فيمن يتولى خراسان . توفى سنة ١٠٩ (٨ : ١٣٤ ، ١٣٥) .

(٢) انظر بقية الخبر مع تفصيل فى عيون الأخبار (٣ : ٢٨٦) .

(٣) فيروز حصين بالإضافة ، مولى حصين بن مالك بن الخشخاش العنبرى . قال ابن قتيبة فى المعارف ١٤٧ : « ومن موالى آل الخشخاش فيروز ، أعظم مولى بالعراق قدراً . وقد ولى الولايات ، وخرج مع ابن الأشعث ، فقال الحجاج : من جاءنى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ! فقال فيروز : من جاءنى برأس الحجاج فله مائة ألف درهم ! فلما هزم ابن الأشعث هرب إلى خراسان ، فأخذه يزيد بن المهلب فبعث به إلى الحجاج » . وقد نكل به الحجاج تنكيلا شديداً وقتله .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٤ ، ١٨١) . وقد أنشد البيت فى الموضع الأول .

(٥) ل : « ألا تشعبون الصدع قبل تفاقم » محرف .

(٦) ل : « إن الملك إذا مات » صوابه من سائر النسخ

(٨) فيما عدا ل : « فيما عنده »

الكثير، ويسأم الرَّخاء، وتنقطع عنه لذّةُ الباءة[١]، ولا يستعمل العِبْرة، ولا يسكن إلى الثّقة. وهو كالدِّرهم القَسِّيِّ[٢]، والسَّراب الخادع، جَذِلُ الظاهر، حزينُ الباطن. فإذا وجبَتْ نفسُه، ونضَب عُمره، وضَحَا ظِلُّه[٣]، حاسبَه الله فأشدَّ حِسابَه، وأقلَّ عفوه، إلاَّ مَنْ آمَنَ بالله، وحكَمَ بكتابه، وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم. ألاَ إن الفقراء هم المرحومون[٤] ألاَ وإنكم اليومَ على خلافةِ النبوّة، ومَفْرِقِ المَحَجّة[٥]. وإنكم سترون بعدى مُلْكاً عضوضاً، ومُلْكاً عَنُوداً[٦]، وأمّةً شعاعاً، ودماً مُفاحاً[٧] فإن كانت للباطل نزوةٌ، ولأهل الحقِّ جَولةٌ، يعفو لها الأثرُ، ويموت لها البَشَرُ، وتحيا بها الفِتَنُ، وتموت لها السُّنَن[٨]، فالزموا المساجدَ، واستشيروا القُرآن، واعتصموا بالطّاعة[٩]، ولا تفارقُوا الجماعة. وليكن الإبرام بعد المشاوَرة[١٠] والصَّفْقة بعد طول التناظر. أىُّ بلادِكمْ خَرْشَنَة[١١]؟ فإنكم ٢٦٢

(١) الباءة: النكاح. ل والتيمورية: «البهاء» صوابه ما أثبت من ح، وبه صحح ما فى ب؛ إذ بها أثر تغيير.

(٢) فى القاموس (قسس): «ودرهم قسى وتخفف سينه: ردىء». وفى اللسان (قسا): «ودرهم قسى: ردىء، والجمع قسيان، مثل صبى وصبيان ... قال الأصمعى: كأنه إعراب قاشى. وقيل درهم قسى: ضرب من الزيوف أى فضته صلبة رديئة ليست بلينة». وانظر المعرب ٢٥٧. وأنشد لمزرد بن ضرار:

وما زودونى غير سحق عمامة ... وخمس مىءٍ منها قسى وزائف

(٣) ضحا ظله: برز للشمس، أراد أن ظله قد تقلص، عبارة عن الموت.

(٤) جاءت هذه الجملة فيما عدا ل بعد كلمة «عفوه» السابقة.

(٥) المحجة: الطريق.

(٦) عضوض: شديد فيه عسف وعنف. والعنود: الطاغى. العاتى: المتجبر. يقال: عنود وعنيد وعاند.

(٧) الشعاع، كسحاب: المتفرقة والمفاح: السائل المهراق.

(٨) ما بعد كلمة «البشر» من ل فقط.

(٩) فيما عدا ل: «والزموا الطاعة».

(١٠) فيما عدا ل: «التشاور».

(١١) خرشنة: بلد قرب ملطية من بلاد الروم. والمراد بها بلاد الروم. وفى الأصول: «خرسة» تحريف.

سيُفتح عليكم أقصاها كما فُتح عليكم أدناها[١] .

كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه لعمر رحمه الله حين استخلفه عند موته

إنى مستخلفُك مِن بعدى ، ومُوصِيكَ بتقوى الله . إنّ لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنّهار لا يقبله بالّليل ، و إنّه لا يَقْبَلُ نافلةً[٢] حتى تُؤَدَّى الفريضة . و إنّما ثقُلت موازينُ مَن ثقلت موازينه يومَ القيامة باتباعهم الحقَّ فى الدنيا ، وثِقَلَه عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضَع فيه إلاّ الحقّ أن يكون ثقيلا . و إنّما خَفّت موازينُ مَن خفت موازينُه يوم القيامة باتّباعهم الباطل وخِفّته عليهم فى الدنيا[٣] وحُقَّ لميزان لا يوضَع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا . إنّ الله ذَكَرَ أهلَ الجنة فذَكَرهم بأحسنِ أعمالهم ، والتجاوُزِ[٤] عن سيّئاتهم ، فإذا ذكرتُهم قلتُ : إنّى أخافُ ألاّ أكون من هؤلاء . وذَكَرَ أهل النار فذكَرهم بأسوإ أعمالهم ، ولم يذكرحسناتِهم ، فإذا ذكرتُهم قلتُ : إنّى لأرجو ألا أكون من هؤلاء . وذكَرَ آيةَ الرحمة مع آية العذاب ، ليكون العبدُ راغباً راهبا ، ولا يتمنى على الله إلا الحق ، ولا يُلقِي بيده إلى التَّهْلُكة . فإذا حفظتَ وصيّتى[٥] فلا يكوننَّ غائب أحبَّ إليك من الموت ، وهو آتيك . و إن ضيّعتَ وصيّتى ، فلا يكونَنّ غائب أبغض إليك من الموت . ولَسْتَ بمعجزِ الله[٦] .

---

(١) انظر الخطبة أو بعضها فى عيون الأخبار (٢ : ٢٣٣) وصبح الأعشى (١ : ٢١٣) وزهر الآداب (١ : ٣١) والعقد فى سرد خطب أبى بكر .

(٢) فيما عدا ل : « تقبل نافلة » .

(٣) كلمة « فى الدنيا » من ل ، وهى ساقطة من سائر النسخ .

(٤) فيما عدا ل : « وتجاوز » .

(٥) ل : « أحببت وصيتى » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) انظر الوصية فى كامل ابن الأثير عند ذكر استخلاف عمر .

وأوصى عمر الخليفة من بعده فقال

أُوصِيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأوَّلينَ خيراً : أن تعرِف لهم سابقتهم . وأُوصيك بالأنصار خيراً ؛ فاقبلْ من مُحسِنهم ، وتجاوَزْ عن مُسيئهم . وأُوصيك بأهل الأمصار خيراً ؛ فإنّهم رِدْءُ العدُوِّ[1] ، وجُبَاة الأموال والفَيْء[2] ، لا تحمِلْ فيئَهم إلاّ عن فضلٍ منهم . وأوصيكْ بأهل البادية خيراً ؛ ٢٦٣ فإنّهم أصلُ العرب ، ومادّةُ الإسلام : أنْ تأخُذَ من حواشى أموال أغنيائهم[3] ، فتُردَّ على فقرائهم . وأوصيك بأهل الذّمّة خيراً : أن تقاتِلَ مِن ورائهم ، ولا تكلّفهم فوق طاقتهم ، إذا أدَّوْا ما عليهم للمؤمنين طَوْعا أو عن يد وهم صاغِرون[4] . وأُوصِيك بتقوى الله وشدّة الحذَرِ منه ، ومخافةِ مَقْته ؛ أنْ يطّلِع منك على رِيبة . وأُوصيك أن تَخشَى الله فى الناس ولا تخشى الناس فى الله . وأوصِيك بالعدل فى الرّعية ، والتفرُّغِ لحوائجهم وثغورهم[5] . ولا تُؤْثِر غنيَّهُم على فقيرهم ، فإنّ ذلك — بإذنِ الله — سلامةٌ لقلبك ، وحَطٌّ لوِزْرك ، وخيرٌ فى عاقبة أمرك ، حتّى يفضِىَ من ذلك إلى مَن يعرف سريرتَك ، ويحول بينك وبين قلبك . وآمُرُك أن تشتدَّ فى أمور الله ، وفى حُدودِه ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدِهم ، ثم لا تأخُذَكَ فى أحدٍ الرأفة حتّى تنتهكَ منه مثل [ما انتهكَ من] حُرَمِه[6] ، واجعل النَّاس سواء عندَك ، لاتبالى علىَ مَن وجب الحق ، ولا تأخُذْكَ[7] فى الله لومة

---

(١) الرده : المعين ، أراد أنهم يعينون على العدو . وفى اللسان (ردأ) : « فإنهم رده الإسلام وجباة المال » .

(٢) الفيء : الغنيمة والخراج . فيما عدا ل : « وجباة الفيء » .

(٣) الحواشى : صغار الإبل كابن المخاض وابن اللبون ، واحدها حاشية .

(٤) عن يد : عن ذل واعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم .

(٥) الثغور : جمع ثغر ، وهو الفرجة ، والمراد بها الخلة والحاجة .

(٦) فيما عدا ل : « من حرم الله » .

(٧) فيما عدا ل : « ثم لا تأخذك » .

لأثم ، وإياكَ والأَثَرَة والمحاباة ، فيما وَلَّاك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجُورَ وتظلِمَ ، وتَحرِمَ نفسك من ذلك ما قد وسَّعه الله عليك .

وقد أصبحتَ بمنزلةٍ من منازل الدُّنيا والآخرة ، فإن اقترفت[١] لدُنياك عدلا وعِفَّة عمَّا بسط الله لك ، اقترفت به إيماناً ورضوانا ، وإن غلَبك عليه الهوى ومالت بك شهوةٌ[٢] ، اقترفتَ به سُخط الله ومعاصِيَه[٣] . وأُوصِيك ألَّا ترخِّص لنفسك ولا لغيرك فى ظُلم أهل الذِّمَّة . وقد أوصيتُك وحَضضْتك[٤] ، ونصحت لك[٥] ، أبتغى بذلك[٦] وجهَ الله والدارَ الآخرة . واخترتُ من دِلالتك ما كنتُ دالاًّ عليه نفسى وولَدى ، فإن عملتَ بالذى وعظتُك ، وانتهيتَ إلى الذى أمرتُك ، أخذتَ به نصيباً وافياً ، وحظًّا وافرا[٧] . وإنْ لم تقبَل ذلك ولم يهمَّك ، ولم تترُكْ مُعظِمات الأمور[٨] عند الذى يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه

٢٦٤ مدخولاً[٩] ، لأنّ الأهواء مشترَكة . ورأسُ كلّ خطيئة ، والدَّاعى إلى كل هَلَكة إبليسُ[١٠] ؛ وقد أضلَّ القرونَ السالفةَ قبلكَ فأوردَهم النَّار ، ولبئس الثَّمنُ أن يكونَ حظُّ امرئ موالاةَ لعدوّ الله[١١] ، والدَّاعى إلى مَعاصِيه ! ثم اركَب الحقَّ وخُضْ إليه الغَمَرات ، وكُنْ واعظاً لنفسك ، وأَنشُدُك الله لَمَا ترحَّمتَ على

---

(١) الاقتراف : الاكتساب والاقتناء .
(٢) بدلها فيما عدا ل : «وإن غلبك الهوى» بسقوط الجملة الأخيرة .
(٣) هذه الكلمة من ل فقط .
(٤) ل : «وخصصتك» . وأثبت ما فى سائر النسخ .
(٥) فيما عدا ل : «ونصحتك» .
(٦) فيما عدا ل : «فابتغ» تحريف .
(٧) فيما عدا ل «نصيبا وافرا وحظا وافيا» .
(٨) أعظم الأمر : صار عظيما ، فهو معظم فيما عدا ل : «ولم تنزل معاظم الأمور» .
(٩) المدخول : ذو الدخل ، وهو العيب والفساد .
(١٠) فيما عدا ل : «ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة» .
(١١) فيما عدا ل : «موالاة عدو الله» .

جماعة المسلمين[١] فأجْلِلْ كبيرَهم ، وارحَمْ صغيرَهم ، ووقِّرْ عالمهم . ولا تضرِبْهم فيذِلُّوا ، ولا تستأثِرْ عليهم بالفيء فتُغضِبَهم ، ولا تحرِمْهم عطاياهم عند مَحِلِّها فتُفقِرَهم[٢] ، ولا تُجَمِّرْهم في البُعوث فتقطعَ نسلَهم[٣] ، ولا تجعل المالَ دُولةً بين الأغنياء منهم[٤] ، ولا تغلِقْ بابَك دونهم فيأكلَ قويُّهم ضعيفَهم .

هذه وصيّتي إيّاك ، وأُشهِدُ اللهَ عليك ، وأقرأُ عليك السلام .

رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله

رواها ابن عُيينة[٥] ، وأبو بكر الهذليّ[٦] ومَسلمة بن مُحارب[٧] ، رووها عن قَتادة[٨] .

ورواها أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم[٩] ، عن عبيد الله بن [أبي] حُميد الهذليّ[١٠] عن أبي المليح أسامة الهُذليّ[١١] . أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعريّ :

---

(١) يقال نشدتك الله وبالله ، وناشدتك الله وبالله ، أي سألتك وأقسمت عليك . و « لما » هنا بمعنى إلا في لغة هذيل . وفي الكتاب : « إن كل نفس لما عليها حافظ » .

(٢) أي عند حلول وقتها .

(٣) تجمير الجند : أن يحبسهم في أرض العدو ويحبسهم عن العود إلى أهلهم .

(٤) دولة بين الأغنياء ، أي متداولا بينهم ، لهذا مرة ولذاك أخرى .

(٥) ابن عيينة هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي . كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين . ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٩٨ بمكة . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٤٧٦٤ وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٢) وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠) .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ٣٥٧) .

(٧) هو مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهري البصري النحوي المقرئ ، ترجم له في لسان الميزان (٦ : ٣٤) وقال : « كان صاحب فصاحة » .

(٨) هو قتادة بن دعامة المترجم في (١ : ٤٢) .

(٩) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، نزيل بغداد . محدث ثقة كثير الرواية لحديث الزهري . توفي سنة ٢٠٨ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٥٦٢ .

(١٠) في الأصل : « بن حميد » صوابه من تهذيب التهذيب ، وهو أبو الخطاب عبد الله ابن أبي حميد غالب الهذلي البصري ، روى عن أبي المليح الهذلي ، وعنه عيسى بن يونس ووكيع . وذكر أنه كان ضعيف الحديث منكره .

(١١) كلمة « الهذلي » من ل فقط . وقد سبقت ترجمة أسامة في (١ : ٣٥٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإنَّ القضاء فريضةٌ محكمَة ، وسُنّة متّبعة ، فافهَمْ إذا أُدْلِيَ إليك [١] ، فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحقٍّ لانفاذَ له . آس بين الناس فى مجلسك ووجهك [٢] ، حتّى لا يطمَعَ شريفٌ فى حَيْفك ، ولا يَخافَ ضعيفٌ من جَورك . البيِّنةُ على من ادَّعى واليمينُ على من أنكَر ، والصُّلْحُ جائزٌ بين المسلمينَ إلاّ صلحاً حَرّم حلالاً أو أحلَّ حراما . ولا يمنعنّك قضاءٌ قضيتَه بالأمس فراجعتَ فيه نفسَك ، وهُدِيت فيه لرُشْدك ، أن تَرجِعَ عنه إلى الحق [٣]

٢٦٥ فإنَّ الحق قديمٌ ، ومراجعةُ الحق خيرٌ من التَّمادِى فى الباطل . الفَهمَ الفهمَ عند ما يتلجلج فى صدرك ، مما لم يبلغْك فى كتاب الله ولا فى سنّة النبىّ صلى الله عليه وسلم . اعرِفِ الأمثالَ والأشباه ، وقِسِ الأمورَ عند ذلك ، ثم اعمِدْ إلى أحبِّها إلى الله ، وأشبَهِها بالحقّ فيما ترى . واجعلْ للمدَّعى حقًّا غائبا أو بيِّنة ، أمداً ينتهى إليه ، فإنْ أحضَر بيِّنته أخذتَ له بحقّه ، وإلاّ وجَّهتَ عليه القضاء ، فإنَّ ذلك أنفى للشكّ ، وأجلى للعَمَى ، وأبلغُ فى العُذر . المسلمون عُدولٌ بعضُهم على بعض ، إلا مجلوداً فى حدّ ، أو مجرَّبا عليه شهادةُ زورٍ ، أو ظنيناً فى وَلاء أو قرابة ، فإنَّ الله قد تولّى منكم السرائر ، ودَرأ عنكم بالبيِّنات والأَيْمان . ثمّ إياك والقلقَ والضَّجر ، والتأذِّىَ بالناس ، والتنكُّرَ للخصوم فى مواطن الحقّ ، التى يُوجب اللهُ بها الأجر ، ويُحْسِن بها الذُّخر ؛ فإنّه من يُخلِصْ نيّته فيما بينه و بين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يَكفِه الله مابينَه و بين الناس ، ومَن تزيَّنَ للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك [٤] هتَكَ اللهُ ستره ، وأبدى فعله . فما ظنُّك بثواب

(١) أدلى فلان بحجته ، إذا أرسلها وأتى بها على صحة .
(٢) آس بينهم ، أي سو بينهم ، واجعل كل واحد منهم إسوة خصمه .
(٣) كلمة « إلى الحق » من ل والكامل ٩ ليبك .
(٤) فيما عدا ل : « بما يعلم الله خلافه منه » .

غير الله فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته[١] . والسلام [عليك] .

خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه[٢]

قال أبو عبيْدة [مَعمر بن المثنى] : أول خطبة خطبها على بن أبى طالب رحمه الله[٣] أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلَّى على نبيّه[٤] :

أما بعد فلا يُرْعِيَنَّ مُرْعٍ إلا على نفسه[٥] ؛ فإنَّ مَن أرْعَى على غير نفسه شُغِل عن الجنة والنار أمامَه[٦] . ساعٍ مجتهد ينجو[٧] ، وطالبٌ يرجو ، ومقصِّرٌ فى النار . ثلاثة ، واثنان : ملَكٌ طارَ بجناحيه ، ونبىٌّ أخَذَ الله بيديه ، لا سادس[٨] . هلَكَ من ادَّعى ، وردِىَ مَن اقتحم ؛ فإنَّ اليمين والشِّمال مضَلَّة ، والوسطى الجادَّةُ[٩] ، منهجٌ عليه باقِى الكتاب والسنَّة ، وآثارُ النبوةْ . إنَّ الله ٢٦٦
داوَى هذه الأمّة بدواءين : السَّيف والسوط[١٠] ، فلا هوادةَ عند الإمام فيهما ، استتروا ببيوتكم وأصلِحوا فيما بينكم[١١] ، والتَّوبة[١٢] من ورائكم . مَن أبدى صفحتَهُ للحقّ هلَك . قد كانت لكم أمورٌ مِلتم علىَّ فيها مَيلةً لم تكونوا

---

(١) الكلام بعد كلمة « فعله » إلى هنا من ل فقط .

(٢) هذا العنوان فى ل فقط .

(٣) فى العقد : « أول خطبة خطبها فى المدينة » . وفى شرح ابن أبى الحديد (١ : ٩٠) : «ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة» . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٣٦)

(٤) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال » .

(٥) الإرعاء : المراعاة والملاحظة والإبقاء والمحافظة .

(٦) الكلام قبل « شغل » فى البيان فقط . ورواية ابن أبى الحديد وابن قتيبة : « شغل من الجنة والنار أمامه » . وانظر تفسير ابن أبى الحديد .

(٧) كلمة « ينجو » من ل فقط . وعند ابن أبى الحديد : «ساع سريع نجا ، وطالب بطىء رجا ، ومقصر فى النار هوى » .

(٨) فيما عدا ل : « بيده ولا سادس » .

(٩) جادة الطريق : مسلكه وما وضح منه .

(١٠) فى العقد وما عدا ل : « السوط والسيف » .

(١١) فيما عدا ل : « واصطلحوا » . ابن أبى الحديد (١ : ٩٢) حيث صرح بنقله عن البيان للجاحظ : « وأصلحوا ذات بينكم » .

(١٢) العقد : « فالموت » .

عندى فيها بمحمودين[١] ولامصيبين[٢] . أمَا إنِّى لو أشاء لقلت عفا الله عمّا سلف . سَبَقَ الرجلان وقامَ الثالث[٣] ، كالغُراب همّته بطنه[٤] ، يا وَيْحَه ، لو قُصَّ جناحاه وقُطِع رأسه لكان خيراً له[٥] . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإنْ عَرَفْتم فآزِروا[٦] . حقٌّ وباطل ، ولكلٍّ أهل ؛ ولئن أمِرَ الباطل لقديماً فَعَل[٧] ، ولئن قَلَّ الحق لرُبَّما ولعلّ[٨] . ما أدبَرَ شىءٌ فأقبل[٩] . ولئن رجعَتْ عليكم أمورُكم إنّكم لسُعَداء[١٠] ، وإنِّى لأخشى أن تكونوا فى فترةٍ[١١] . وما علينا إلا الاجتهاد .

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

---

(١) عند ابن أبى الحديد وما عدا ل : « قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين » . قال ابن أبى الحديد : « مراده أمر عثمان وتقديمه فى الخلافة عليه » .

(٢) هاتان الكلمتان فى ل فقط .

(٣) يعنى عثمان ، وورد فى بعض خطب على : « إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه » . انظر ابن أبى الحديد (١ : ٦٦) .

(٤) ل فقط : « همه بطنه » .

(٥) ابن أبى الحديد : « يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيراً له من أن يعيش ويدخل فيها » .

(٦) المؤازرة : المعاونة . أى إن كان منكراً فأنكروه ، وإن كان حقاً فأعينوا عليه . فيما عدا ل : « بارزوا » تحريف .

(٧) ابن أبى الحديد : « أمر الباطل : كثر . وقوله لقديما فعل ، اي لقديما فعل الباطل ذلك . ونسب الفعل إلى الباطل مجازا . ويجوز أن يكون فعل بمعنى انفعل ، كقوله :

* قد جبر الدين الإله فجبر *

أى انجبر » .

(٨) أى لئن كان الحق قليلا فربما كثر ، ولعله ينتصر أهله . عن ابن أبى الحديد .

(٩) عند ابن أبى الحديد : « وقلما أدبر شىء فأقبل . استبعد أن تقوم دولة قوم بعد زوالها عنهم » .

(١٠) ابن أبى الحديد : « أى إن ساعدنى الوقت وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله ورسوله ، وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيرة مماثلة لسيرته فى أصحابه إنكم لسعداء » .

(١١) المراد بالفترة : الأزمنة التى بين الأنبياء ، كأنه توقع أن يطرأ عليهم ما طرأ على تلك الأمم من الاضطراب وفقدان الرشد .

ألاَ إنّ أبرارَ عِترتى ، وأطايبَ أرومتى ، أحلم الناس صِغارا ، وأعلم الناس كبارا[(١)] . ألاَ و إنّا أهلُ بيت مِن علم الله عَلِمْنا ، و بحُكم الله حَكَمْنا ، ومِن قولِ صادقٍ سَمِعنا . و إن تتّبِعوا آثارَنا تهتدوا ببصائرنا ، و إن لم تفعلوا يُهلككم الله بأيدينا . معنا رايةُ الحق ، مَن تبعها لحِق ، ومَن تأخر عنها غرِق ، ألاَ و إنّ بنا تُرَدُّ دَبْرَةَ كلِّ مؤمن[(٢)] ، و بنا تُخلَع رِبقة الذّلّ من أعناقكم[(٣)] ، و بنا غُنِم[(٤)] ، و بنا فتَح الله لا بكم[(٥)] ، و بنا يَختِم لا بكم[(٦)] .

وخطبة لعلى بن أبى طالب أيضا رضى الله عنه[(٧)]

أمّا بعدُ فإنّ الدنيا قد أدبرَت وآذنت بوَداع ، و إنّ الآخرةَ قد أقبلت وأشرفت باطّلاع . و إنّ المضمار [اليومَ] والسِّباق غداً[(٨)] . ألاَ و إنّكم فى أيامِ أملٍ من ورائه أجل ، فمَن أخلَصَ فى أيام أمله قبل حضور أجله [فقد] نفعه عمله[(٩)] ، ولم يضرُرْه أمله[(١٠)] ، ومن قصّر فى أيام أمَله قبل حضور أجَله ، فقد

---

(١) وكذا عند ابن أبي الحديد . وفيما عدا ل : « وأعلمهم كبارا » .

(٢) الدبرة ، بالفتح : الهزيمة . ابن أبي الحديد : « تدرك ترة كل مؤمن » ، والترة : الثأر والوتر .

(٣) الربقة ، بالكسر : الحبل يجعل فى عنق الشاة .

(٤) هذه الجملة فى ل فقط .

(٥) فيما عدا ل . « وبنا فتح » فقط . ابن أبي الحديد : « فتح لا بكم » .

(٦) فيما عدا ل : « وبنا ختم لا بكم » . قال ابن أبي الحديد : « إشارة إلى المهدى الذى يظهر فى آخر الزمان . وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة عليها السلام . وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه . وقد صرحوا بذكره فى كتبهم » .

(٧) موضع هذه الخطبة فيما عدا ل ، فى ص ٥٦ قبل خطبة ابن مسعود .

(٨) المضمار : الزمان الذى تضمر فيه الخيل للسباق ، والموضع مضمار كذلك . وكلمة « اليوم » تكملة من نهج البلاغة وإعجاز القرآن للباقلانى ١٢١ وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٥).

(٩) التكملة من نهج البلاغة وماعدا ل .

(١٠) وكذا فى نهج البلاغة . وفيما عدا ل : « ولم يضره أمله » ، وهما وجهان جائزان فى العربية : الفك والإدغام .

خسِر عملُه، وضَرّه أملُه. ألاَ فاعملوا لله في الرَّغبة، كما تعملون له في الرَّهبة. ألاَ وإنّي لم أرَ كالجنّة نام طالبُها، ولا كالنّار نامَ هاربها[١]. ألا وإنّه من لم ينفعه الحقّ يضرّه الباطل، ومن لم يستقم به الهُدَى يجُرْ بِهِ الضّلال[٢]. ألاَ وإنّكم قد أُمِرتم بالظّعْن، ودُلِلتم على الزّاد، وإنّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتّباعُ الهوى وطُولُ الأمل. ٢٦٧

ومن خطب على أيضا رضى الله عنه

قال: أغار سُفيان بن عوف الأزديّ ثم الغامديّ على الأنبار، زمن على بن أبي طالب رضي الله عنه، وعليها حسّان — أو ابن حسّان — البكري[٣] فقتلَه، وأزال تلك الخيلَ عن مَسالحِها، فخرج على بن أبي طالب رضى الله عنه حتّى جلس على باب السُّدّة[٤]، فحمِد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه ثم قال:

أمّا بعدُ، فإنّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة[٥]. فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوبَ الذّلّ، وشمِله البلاء، ولزِمه الصَّغار، وسِيمَ الخَسفَ، ومُنِعَ النَّصَف[٦]. ألاَ وإنّي قد دعوتُكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهارا، وسِرًّا وإعلانا، وقلت لكم: اغزُوهم قبل أن يَغزوكم؛ فوالله ما غُزِيَ قومٌ قطُّ في

---

(١) ابن أبي الحديد (١ : ١٤٧) : «يقول: إن من أعجب العجائب من يوقن بالنار كيف لايهرب منها وينام. أى لا ينبغى أن ينام طالب هذه ولا الهارب من هذه».

(٢) يجر، من الجور، وهو الميل عن القصد. ل: «يجزيه» محرف.

(٣) في كامل المبرد ١٤ ليبسك وابن أبي الحديد (١ : ١٤١) حيث نقل عن الكامل «حسان بن حسان». وفيما عدا ل «وعليها ابن حسان أو حسان البكري». وذكر ابن أبي الحديد (١ : ١٤٥) أن ابن حسان هو أشرس بن حسان البكرى.

(٤) السدة: كالصفة تكون بين يدى البيت. وسدة المسجد: ما حوله من الرواق. الكامل وابن أبي الحديد: «حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض».

(٥) بعده في نهج البلاغة: «فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة؛ وجنته الوثيقة».

(٦) النصف، بالتحريك، وكذا النصفة: الإنصاف. ويقال النصف أيضاً مثلث النون.

عُقْرِ دارِهم إلا ذَلُّوا(١) فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقُل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظِهريًّا ، حتى شُنَّت عليكم الغارات . هـذا أخو غامدٍ قد وردَتْ خيلُه الأنبار ، وقتَل حسَّان — أو ابن حسَّان — البكري(٢) ، وأزال خيلكم عن مَسالحها(٣) ، وقتَل منكم رجالا صالحين(٤) . ولقد بلغني أنَّ الرَّجلَ منهم كان يدخل على المسلِمة والأخرى المعاهَدة ، فينزع حِجْلها وقُلْبَها ورعاثَها(٥) ثم انصرفوا وافرين ، ما كُلِم رَجلٌ منهم كَلْماً ، فلو أنَّ امرأً مسلما مات من بعد هذا(٦) أسفاً ، ما كان عندي به ملوما ، بل كان به عندي جديراً . فيا عجبا من جِدِّ هؤلاء القوم في باطلهم ، وفشَلِكم عن حقِّكم . فقُبْحاً لكم وترَحاً(٧) ، حين صِرتم هدفاً يُرمَى(٨) ، وفَيْئاً يُنتَهب ، يُغارُ عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزَوْن ولا تَغزُون ، ويُعصَى اللهُ وترضَون ؛ فإذا أمرتُكم بالسَّير إليهم في أيام الحرِّ ٢٦٨ قلتم : حَمارَّةُ القيظ(٩) ، أمهِلْنا ينسلخْ عنَّا الحرّ(١٠) وإذا أمرتُكم بالسَّير في البرد قلتم : أمهِلْنا ينسلخ عنا القُرُّ . كلُّ ذا فراراً من الحرِّ والقرِّ . فإذا كنتم من الحرِّ والقُرِّ تفِرُّون ، فأنتم والله من السيف أفَرّ ، يا أشباهَ الرِّجال ولا رجال ، ويا أحلامَ الأطفالِ وعقولَ ربَّاتِ الحِجَال ، وددتُ أنَّ الله قد أخرجني من بين ظَهرانَيْكم

---

(١) عقر القوم ، بالضم والفتح : محلتهم بين الدار والحوض .
(٢) نهج البلاغة والكامل : « حسان بن حسان » .
(٣) ل فقط : « خيلهم » .
(٤) هذه الجملة لم ترد في غير البيان .
(٥) الحجل : الخلخال . والقلب ، بالضم : السوار . والرعاث : جمع رعث ، بالفتح ، ورعثة بالضم والتحريك ، وهو القرط . فيما عدا ل : « فينتزع أحجالها وقلبها ورعثها » .
(٦) فيما عدا ل : « من بعدها » .
(٧) قبحه الله قبحاً : أقصاه وباعده من كل خير . يقولون قبحاً له وشقحا ، بفتح أولهما وضمه .
(٨) الكامل ونهج البلاغة وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) وما عدا ل : « غرضاً يرمى » .
(٩) حمارة القيظ بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدة حره .
(١٠) وكذا في نهج البلاغة . فيما عدا ل : « حتى ينسلخ عنا الحر » . الكامل : « أنظرنا ينصرم عنا الحر » .

وقبضَني إلى رحمته من بينكم . والله لَوَدِدْتُ أنّي لم أرَكم ، ولم أعرِفكم . معرفة والله جرّتْ ندماً . قد وَرَيْتُم صدرى غيظاً[١] ، وجرّعتمونى الموت أنفاساً[٢] ، وأفسدتُمْ علىّ رأيى بالعصيان والخِذْلان ، حتى قالت قريش : ابنُ أبى طالب شجاعٌ ولكن لا علمَ له بالحرب . لله أبوهم ، وهل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراساً أوْ أطولُ لها تجربةً منّى ؟ لقد مارستها وما بلغتُ العشرين[٣] ، فهأنذا قد نيَّفت على السّتين[٤] ولكن لا رأى لمن لا يُطاع .

قال : فقام له رجلٌ من الأزْد يقال له فلان بن عفيف ، ثم أخذ بيد ابن أخٍ له فقال : هأنذا يا أمير المؤمنين لا أملك إلا نفسى وابن أخى[٥] فأمُرْنا بأمرك[٦] فوالله لنَمْضينّ له ولو حال دون أمرك شوكُ[٧] الهَرَاس[٨] وجمرُ الغضى . فقال لهما علىّ . وأين تبلغان ما أريد ، رحمكما الله .

وخطبة له أخرى بهذا الإسناد فى شبيه بهذا المعنى

قام فيهم خطيبا فقال[٩] :

---

(١) يقال ورى القيح جوفه يريه وريا : أكله . فيما عدا ل : « وورتم صدرى غيظاً » . نهج البلاغة : « وشحنتم صدرى غيظاً » .

(٢) أنفاساً : جمع نفس ، بالتحريك ، وهو الجرعة من الماء ونحوه .

(٣) فيما عدا ل : « العشرين فيها » .

(٤) نهج البلاغة : « قد ذرفت على الستين » .

(٥) فيما عدا ل . « أنا وأخى كما قال الله : رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى » .

(٦) فيما عدا ل : « فرنا بأمرك » .

(٧) فيما عدا ل : « لنضربن دونك وإن حال دونك جر الغضى » .

(٨) الهراس ، بالفتح : شجر كثير الشوك . ب ، ح : « وشوك القتاد » . وبعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « قال : فأثنى عليهما وقال لهما خيراً وقال : أين تقعان مما أريد . ثم نزل » .

(٩) ابن أبى الحديد (١ : ١٥٢) : « وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين فى غارة الضحاك بن قيس » ، وذلك بعد الحكمين ، وقبل قتال النهروان .

أيها الناسُ المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤكم[١] . كلامكم يُوهِى الصُّمَّ الصِّلَاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدُوَّكم . تقولون فى المجالس كَيتَ وكَيتَ ، فإذا جاء القتال قلتم حِيدِى حَيَادِ[٢] . ما عَزَّت دعوةُ مَن دعاكم ، ولا استراح قلبُ من قاساكم ، أعاليلُ بأضاليل[٣] . سألتمونى التأخيرَ دِفاعَ ذى الدَّين المطُولِ[٤] .

هيهات لا يمنع الضَّيمَ الذَّليلُ ، ولا يُدرَكُ الحقُّ إلا بالجِدِّ . أىَّ دارٍ بعد داركم ٣٦٩
تَمنعون ؟ أم مع أىِّ إمامٍ بعدى تقاتلون . المغرورُ والله مَن غرَرتموه ، ومَن فاز بكم فاز بالسهم الأخيَب ، أصبحتُ والله لا أصدِّق قولكم ، ولا أطمَع فى نصركم فرَّقَ الله بينى وبينكم ، وأعقبَنِى بكم مَن هو خيرٌ لى منكم . لَوَددتُ أنَّ لى بكلِّ عشرة منكم رجلاً من بنى فِراسِ بن غَنْمٍ ، صَرْفَ الدِّينار بالدِّرهم .

خطبة عبد الله بن مسعود رحمه الله

أصدقُ الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التَّقوى ، وخير المِلل مِلّة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وأحسن السَّنَن سنّة محمد صلى الله عليه وسلم[٥] ، وشرُّ الأمور مُحدَثاتها ، وخير الأمور عزائمها . ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى . نفسٌ تُنجِيها خيرٌ من إمارة لا تُحصِيها[٦] . خيرُ الغِنى غنى النَّفس . خيرُ ما أُلقِىَ فى

(١) هنا على الالتفات . نهج البلاغة : « أهواؤهم » .

(٢) حيدى حياد : كلمة يقولها الهارب الفار . من حاد عن الشىء ، أى انحرف . وحياد كقطام .

(٣) ابن أبى الحديد : « الباء فى قوله بأضاليل متعلقة بأعاليل نفسها ، أى يتعللون بالأضاليل التى لا جدوى لها .

(٤) المطول من المطل ، وهو التسويف والمدافعة بالوعد .

(٥) بعدها فى إعجاز القرآن للباقلانى ١٢٢ : « خير الأمور أوساطها » .

(٦) فى هامش التيمورية : « معناه أن يحكم الإنسان نفسه فيردها عن الشهوة والظلم فينجيها بذلك ، خير له من أن يكون أميراً على جماعة لا يقدر أن يعدل فيهم فيوبق نفسه » .

القلب اليقين . الخمر مُجّاع الآثام[١] . النساء حُبالة الشيطان . الشبابُ شُعبة من الجنون . حبُّ الكفاية مِفتاح المَعْجَزة[٢] . من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دَبْراً[٣] . ولا يذكر الله إلا نَزْراً[٤] . أعظمُ الخطايا اللّسان الكذوب . سِباب المؤمن فِسق[٥] ، وقتاله كفر ، وأكل لحمِه معصية . من يَتَألَّ على الله يُكذِبْه[٦] ومن يَغفر يُغفَرْ له . مكتوبٌ فى ديوان المحسنين : مَن عفا عُفِى عنه ، الشقى من شَقىَ فى بطن أمه . السَّعيد مَن وُعِظ بغيره . الأمور بعواقبها . مِلَاكُ الأمر خواتمه[٧] . أحسن الهَدْى هَدْىُ الأنبياء . أقبح الضَّلالة الضلالةُ بعدَ الهدى . أشرف الموتِ الشهادة ، مَن يعرِف البلاء يصبرْ عليه . من لا يعرف البلاء يُنكره .

خطبة عتبة بن غزوان السلمى بعد فتح الأبلة

٢٧٠ حَمِدَ الله وأثنى عليه وصلَّى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أمَّا بعد فإن الدنيا قد تولت حَذَّاء مُدْبِرة[٨] ، وقد آذنت أهلها بصَرْمٍ ، وإنَّما بقى منها صُبَابةٌ كصُبابة الإناء يصطبُّها صاحبها[٩] . ألاَ وإنكم منقولون

(١) جماع كل شىء : مجتمع خلقه . وجماع جسد الإنسان رأسه . وهو بضم الجيم وتشديد الميم . والآثام : جمع إثم . وفى إعجاز القرآن : « جماع الإثم » .

(٢) المعجزة ، بالفتح : مصدر ميمي من عجز ، وفى هامش التيمورية « يريد الكفاية من العبادة : أن يستغنى الإنسان بالقليل منها عن الكثير فيؤدى ذلك إلى العجز » .

(٣) الدبر ، بالفتح والضم ، أى آخر الوقت . وفى الحديث فى علامة المنافقين : « ولا يأتون الصلاة إلا دبرا » . اللسان (٥ : ٣٥٤) .

(٤) فيما عدا ل وكذا فى إعجاز القرآن ، والعقد : (٤ : ١٣٩) طبع لجنة التأليف : « إلا هجرا » وفى هامش التيمورية : « أى لا يذكره إلا إذا حلف بيمين حانث » .

(٥) وكذا فى إعجاز القرآن . فيما عدا ل : « فسوق » .

(٦) أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلن الله فلانا النار ، ولينجحن الله سعى فلان . انظر اللسان (١٨ : ٤٣) .

(٧) فيما عدا ل وكذا إعجاز القرآن : « ملاك العمل خواتيمه » .

(٨) حذاء : سريعة الإدبار . والحذذ : السرعة والخفة . وكلمة « حذاء مدبرة » ليست فى العقد (٤ : ١٣٠) .

(٩) يقال : اصطب الصبابة وتصببها وتصابها ، أى شربها . والصبابة ، بالضم : بقية الماء واللبن ونحوها فى الإناء والسقاء .

منها إلى دارٍ لا زوال لها ، فانتقِلوا منها بخير ما يحضُركم[١] فإنه قد ذُكِرَ لنا[٢] أن الحَجَرَ يُلقَى فى النار من شَفيرها[٣] فيهوى فيها سبعين عاما[٤] لا يُدرِكُ لها قَعرا . والله لتُملأَنّ . أفعجبتم ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من الجنّة مسيرة أربعين سنة[٥] ، وليأتين عليه وقت[٦] وهو كظيظٌ بالزِّحام . ولقد رأيتنى سابعَ سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] وما لنا طعامٌ إلا ورق الشجر[٨] حتى قَرِحت أشداقنا ، فالتقطتُ بُردةً فشققتها بينى و بين سعد بن مالك[٩] فاتَّزرتُ بنصفها واتّزر بنصفها ، فما أصبح اليومَ أحدٌ منا حيًّا إلا أصبح أميراً على مصر من الإمصار.[١٠] وإنى أعوذ بالله من أن أكون فى نفسى عظيما ، وعند الله صغيرا . وإنها لم تكن نبوّة قطّ إلا تناسخَتْ حتى يكون عاقبتُها مُلْكا[١١] . وستَخبُرُون الأمراء بعدى فتعرفون وتُنكِرون[١٢] .

---

(١) فى العقد وما عدا ل : «ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن مايحضركم» .

(٢) بدله فى العقد وما عدا ل : « ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » .

(٣) فيا عدا ل : « إن الحجر الضخم يلقى فى النار » العقد : « إن الحجر الضخم يرمى به فى شفير جهنم » .

(٤) فى العقد وما عدا ل « خريفاً » . والكلام بعدها إلى «أفعجبتم» من ل فقط .

(٥) بدل هذه العبارة فيا عدا ل والعقد : « ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين مسيرة خمسمائة سنة » لكن فى العقد : « بين كل بابين منها مسيرة خمسمائة عام» .

(٦) فيا عدا ل : « ولتأتين عليه ساعة » العقد : « ولتأتين عليها ساعة ولها كظيظ بالزحام » .

(٧) فى العقد وما عدا ل : « ولقد كنت مع رسول الله سابع سبعة » .

(٨) في العقد وما عدا ل : «البشام» وهو كسحاب : شجر عطرى الرائحة يستاك به .

(٩) فى العقد وما عدا ل : « فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بينى وبينه » .

(١٠) العقد وما عدا ل : « وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر » .

(١١) بدل هذه العبارة فيا عدا ل : «وإنه لم تكن نبوة قط إلا تناسختها جبرية » .

(١٢) هذه العبارة ساقطة من العقد . وفيا عدا ل : «وستجربون» بدل «وستخبرون» .

خطبة من خطب معاوية رحمه الله[١]

رواها شُعيب بن صفوان[٢] ، وزاد فيها البقطرى[٣] وغيره . قالوا : لما حضرَتْ معـاويةَ الوفاةُ قال لمولًى له : من بالباب ؟ قال[٤] : نفرٌ من قريش يتباشرون بموتك . فقال : ويحَك، ولِمَ ؟ قال : لا أدرى . قال : فوالله ما لهمْ بعدى إلاّ الذى يسوؤُهم . وأذِنَ للنّاس فدخلوا ، فحمِد الله وأثنى عليه وأوجَزَ ثم قال :

أيها النّاس ، إنّا قد أصبحنا فى دهرٍ عَنُود[٥] ، وزمن شديد ، يُعَدُّ فيه المحسنُ مسيئا ، ويزداد فيه الظالمُ عُتُوًّا ، ولا نَنتفِـع بما علِمْناه ، ولا نسأل عمّا جهلناه ،
ولا نتخوّف قارعةً حتى تحلَّ بنا . فالناس على أربعة أصناف : مِنهم من ٢٧١
لا يمنعه الفسادَ فى الأرض إلاّ مهانةُ نفسه ، وكَلال حَدِّه ، ونضيض وَفْره[٦] . ومنهم المُصلِت لسيفه ، المُجلِب بخيله ورَجْله ، والمُعلِن بسرِّه ؛ قد أشْرَطَ لذلك نفسَه[٧] ، وأوبَق دينَه ، لِحُطام ينتهزُه ، أو مِقْنَب يقودُه ، أو مِنبر يَفْرَعُه[٨] ، ولَبِئْس المتجرُ أن تَراها[٩] لنفسك ثمنا ، ومِمّا لكَ عند الله عوضا . ومنهم مَن

---

(١) فيما عدا ل : « معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما » .

(٢) هو أبو يحيى شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفى الكوفى الكاتب ، ذكره ابن حبان فى الثقات . سكن بغداد ومات بها أيام الرشيد . تاريخ بغداد ٤٨١٣ وتهذيب التهذيب .

(٣) كذا فى ل مع ضبط الطاء بالفتح . وفيما عدا ل : « اليقطرى » .

(٤) ل : « قل لموال له من بالباب ؟ قالوا » وسائر العبارة فى ل بجمع الضمائر للموالى . وأثبت ما فى ما فى سائر النسخ والعقد (٤ : ٨٨) وإعجاز القرآن ١٢٣ وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٧) وابن أبى الحديد (١ : ١٧٢) حيث نسبت الخطبة فى الأخير إلى على بن أبى طالب .

(٥) العنود : الجائر الطاغى . ل : « عتود » تحريف .

(٦) النضيض : القليل . والوفر : المال .

(٧) أشرط نفسه للأمر : أعدها وهيأها . والإشراط : الإعلام بعلامة .

(٨) يفرعه : يعلوه .

(٩) فى الأصول والعقد وعيون الأخبار : « تراها » صوابها من إعجاز القرآن . وفى نهج البلاغة : « أن ترى الدنيا لنفسك » .

يطلب الدنيا بعملِ الآخرة ، ولا يطلب الآخرةَ بعمل الدنيا ، قد طامَنَ [مِن] شخصه ، وقارب مِنْ خطوه[١] وشمّر من ثوبه ، وزخرف نَفْسَه الأمانة[٢] ، واتّخذ سِترَ الله ذريعةً إلى المعصية[٣] . ومنهم مَن أقعدَه عن طلَب الملك ضُؤُولة نَفْسه ، وانقطاعُ من سببه[٤] ، فقصَّرت به الحالُ عن أمله ، فتحلَّى باسم القناعة ، وتزيَّنَ بلباس الزّهادة[٥] وليس من ذلك في مَراحٍ ولا مَغْدًى . وبَقِيَ رِجالٌ غَضَّ أبصارَهم ذِكْرُ المرجِع ، وأراق دموعَهم خوفُ المحشَر[٦] ، فهم بين شريد نادٍّ[٧] ، وخائفٍ منقمِع ، وساكت مكعوم[٨] ، وداعٍ مخلص ، وموجَع ثَكْلان ، قد أخملتهم التَّقِيَّةُ ، وشمِلتهم الذِّلّة ، فهم في بحرٍ أجاج ، أفواههم ضامزة[٩] ، وقلوبهم قَرِحَة ، قد وُعِظوا حتّى ملُّوا ، وقُهِروا حتّى ذَلُّوا ، وقُتلوا حتى قلُّوا . فلتكن الدنيا في عيونكم[١٠] أصغرمن حُثالة القَرَظ[١١] ، وقُراضة الجَلَمَيْن[١٢] . واتّعظوا

---

(١) ل : « في خطوه » . وأثبت ما في سائر النسخ والمصادر المتقدمة .

(٢) في العقد : « بالأمانة » .　　(٣) فيما عدا ل : « للمعصية » .

(٤) إعجاز القرآن والعقد وما عدا ل : « وانقطاع سببه » .

(٥) العقد : « وتزيا » العيون والإعجاز وما عدا ل : « الزهاد » . وفي نهج البلاغة « بلباس أهل الزهادة » .

(٦) العقد : « خوف المضجع » .

(٧) الناد : النافر الذاهب على وجهه . فيما عدا ل : « نافر » .

(٨) المكعوم : المشدود بالكعام ، وهو ككتاب : شيء يجعل على فم البعير . ل فقط : « معكوم » تحريف .

(٩) ضامزة : ساكتة . من قولهم ضمز البعير : أمسك جرته في فيه . العقد والعيون : « ضامرة » بالراء تحريف صوابه في نهج البلاغة . وفي إعجاز القرآن « دامية » .

(١٠) وكذا في الإعجاز . وفي العقد والعيون وماعدا ل : « أعينكم » .

(١١) ل : « القرط » محرف ، صوابه في العقد والعيون والإعجاز والنهج . وفيما عدا ل : « القرظة » . والقرظة : واحدة القرظ .

(١٢) الجلمان : المقص يجز به أوبار الأبل . والقراضة : ما يقع من القرض والقطع . العقد : « قرادة الجلم » تحريف . وفي سائر المصادر : « قراضة الجلم » .

بمَن كان قبلكم ، قبلَ أن يتّعظ بكم مَن يأتى بَعدكم . فارفُضوها ذَميمةً ؛ فإنّها رَفضت مَن كان أشغفَ بها منكم .

* * *

وفى هذه الخطبة أبقاك الله ضروبٌ من العجب : منها أنّ الكلام لا يشبه السببَ الذى من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أنّ هذا المذهبَ فى تصنيف الناس ، وفى الإخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التَّقيّة والخوف ، أشبه بكلام على رضى الله عنه ومعانيه وحالِه منه[1] بحال معاوية . ومنها أنّا لم نَجِدْ معاويةَ فى حالٍ من الحالات يسلُك فى كلامه مَسلكَ الزُّهّاد ، ولا يذهبُ مذاهبَ العُبّاد . وإنما نكتب لكم ونخبِرُ بما سمِعناه ، والله أعلمُ بأصحاب الأخبار ، وبكثيرٍ منهم[2] .

٢٧٢ خطبة زياد بالبصرة

وهى التى تدعى البتراء[3]

قال أبو الحسن المدائنى[4] ، وغيره ، ذكر ذلك عن مَسلمة بن محارب ، وعن أبى بكر الهذلى قالا : قدم زيادٌ البَصرة واليا لمعاوية بن أبى سفيان [وضم إليه

(١) فيما عدا ل : « ومعانيه ومحاله منه » .

(٢) وكذا قال الرضى فى نهج البلاغة معقبا على هذه الخطبة وقد نسبها إلى على ، قال : « وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى لا يشك فيه ، وأين الذهب من الرغام ، والعذب من الأجاج ، وقد دل على ذلك الدليل الخريت ، ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ، فإنه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين ، وذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال : هى بكلام على أشبه ... » إلى آخر كلامه .

(٣) انظر سبب تسميتها بالبتراء فى أوائل هذا الجزء ٦ س ٦ . وأوردها ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٤١ ، ٢٤٣) برواية أخرى وجعلها خطبتين . ونحو رواية ابن قتيبة فى نوادر القالى ١٨٥ . أما صاحب العقد فقد أوردها من رواية المدائنى موافقة ما فى البيان ، وجاء بها الطبرى فى حوادث سنة ٤٥ مقاربة لذلك .

(٤) بعدها فى ل : « وغيره » . وهى مقحمة فيما أرى وليست فى العقد .

خراسان وسجستان ، والفسقُ بالبصرة كثير فاشٍ ظاهر[١]] . قالا : فخطب خطبة بتراء ، لم يَحمَد الله فيها ، ولم يصلِّ على النبى .

وقال غيره : بل قال :

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيدَ من نِعَمه وإكرامه . اللهُمَّ كما زدتنا نِعَمًا فألهِمْنا شُكرًا .

أما بعد فإنّ الجهالةَ الجَهلاء ، والضّلالةَ العمياء، والغَىَّ الموفىَ بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام يَنْبُتُ فيها الصغير ، ولا يَنحاشُ عنها الكبير[٢] ، كأنّكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعَدّ الله مِن الثّواب الكريم لأهل طاعته ، والعذابِ الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السّرمَدِ[٣] الذى لا يزول ، أتكونون كمن طرفت عينيه الدُّنيا ، وسَدَّت مسامعَه الشهواتُ ، واختار الفانيةَ على الباقية ، ولا تذكرون أنّكم أحدثتم فى الإسلام الحَدَثَ الذى لم تُسبَقوا إليه : مِن تركِكم[٤] الضعيفَ يُقهَر ويؤخَذُ ماله ، وهذه المواخيرِ المنصوبة[٤] ، والضعيفةِ المسلوبة فى النّهار المُبْصِر ، والعددُ غير قليل . ألم تكن منهم نُهاةٌ تَمنع الغُواة عن دَلَج الليل وغارة النهار ؟! قرّبتُم القرابة ، وباعدتم الدّين ، تعتذرون بغير العُذر ، وتُغْضُون على المختلس[٥] . أليس[٦] كلُّ امرئٍ منكم يَذُبُّ عن سفيهه ، صُنْعَ[٧] مَن لا يخافُ عاقبةً ولا يرجو مَعاداً . ما أنتم بالحلماء ،

(١) التكملة من العقد وبما عدال .

(٢) انحاش عن الأمر : نفر منه . العقد والطبرى : « ولا يتحاشى » ولست أحقها.

(٣) العقد : « السرمدى » .

(٤ — ٤) العقد والطبرى : « من ترككم هذه المواخير المنصوبة » .

(٥) ل : « على الذم » وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد . وفى الطبرى : « و تغطون على المختلس » .

(٦) كلة « أليس » فى ل فقط .

(٧) فى الطبرى والعقد وما عدا ل : « صنيع »

ولقد اتبعتم السُّفهاء ، فلم يَزَلْ بهم ما يرون[١] مَن قيامكم دُونَهم حتَّى انتهكوا حُرَمَ
الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كُنُوسا فى مَكَانِسِ الرِّيَب . حَرامٌ علىَّ الطَّعامُ
والشرابُ حتى أسوّيَها بالأرض ، هَدْمًا وإحراقا . إنِّى رأيتُ آخِرَ هذا الأمرِ
٢٧٣ لا يصلُح إلاّ بما صَلَح به أوّلُه : لينٌ فى غير ضَعف ، وشدةٌ فى غيرْ عُنف[٢] .
وإنِّى أُقسِم بالله ، لآخُذَن الولىَّ بالولىِّ[٣] ، والمقيمَ بالظَّاعن ، والمقبلَ بالمدْبر ،
والمطيعَ بالعاصى ، والصَّحيحَ منكم فى نفسه بالسقيم ، حتَّى يَلقَى الرَّجُل منكم أخاه
فيقول : انْجُ سعدُ فقد هلكَ سُعَيْدٌ ، أو تستقيمَ لى قناتُكم . إنَّ كِذْبَةَ المِنبر
بلقاءُ مَشْهُورةٌ[٤] ، فإذا تعلّقتم علىَّ بكذبةٍ فقدحلّت لكم معصيتى ، وإذا سمعتموها
مِنِّى فاغتمزُوها فىَّ[٥] واعلموا أنَّ عندى أمثالَها . من نُقِبَ منكم عَلَيْهِ فأنا ضامنٌ
لما ذهبَ له[٦] . فإيّاىَ ودَلَجَ اللَّيل ؛ فإنِّى لا أُوتَى بمُدلج إلا سفكتُ دمه . وقد
أجَّلْتُكم فى ذلك بقدرِ[٧] ما يأتى الخبرُ الكُوفةَ ويرجعُ إليكم . وإياىَ ودعْوةَ
الجاهليّة[٨] ؛ فإنى لا آخُذ داعياً بها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثْتُم أحداثا لم
تكُن ، وقد أحدثْنا لكلِّ ذنبٍ عُقوبة : فمَنْ غرَّق قوما غرقناه ، ومَن أحرق
قوما أحرقناه ، ومَن نقبَ بيتا نقبنا عن قلبه ، ومَن نبش قبراً دفنّاه فيه حيًّا .
فكُفُّوا عنِّى أيديَكم وألسنتَكم ، أكْفُفْ عنكم يدى ولسانى . ولا تَظْهَرُ على

(١) العقد وما عدال : « فلم يزل بكم ما ترون » .

(٢) الطبرى : « فى غير جبرية وعنف » .

(٣) العقد فقط : « الولى بالمولى » .

(٤) الطبرى : « تبق مشهورة » .

(٥) اغتمز الشىء : استضعفه . ل : « فاعتبروها فى » . النوادر : « فاختبروها فى » .

(٦) العقد وما عدال : « منه » (٧) فيما عدال : « بمقدار » .

(٨) العقد والطبرى والعيون : « ودعوى الجاهلية » . وفى اللسان : « وفى الحديث ما بال دعوى الجاهلية . هو قولهم يالفلان . كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر الحادث الشديد . ومنه حديث زيد بن أرقم : فقال قوم : ياللأنصار . وقال قوم : ياللمهاجرين ! فقال عليه السلام : دعوها فإنها منتنة » .

أحدٍ منكم ريبةٌ بخلاف ما عليه عامّتكُم إلاّ ضربتُ عنقه . وقد كانت بينى وبين أقوامٍ إحَنٌ جعلتُها دَبْرَ أُذُنى وتحتَ قدَمِى ، فمَنْ كان منكم مُسيئا فلينزِعْ عن إساءته . إنّى والله لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السِّلُّ مِن بُغضى لم أكشِف له قِناعا ، ولم أهتِكْ له سِتراً ، حتى يُبدِىَ لى صفحتَه ، فإذا فعَلَ ذلك لم أناظِرْه . فاستأنِفوا أموركم ، وأرْعُوا على أنفسكم[1] ؛ فربَّ مَسُوءٍ بقدومنا سنسُرُّه[2] ومسرورٍ بقدومنا سنسؤوه[3] .

أيُّها الناس ، إنّا أصبحنا لكم سادة ، وعنكم ذادةً ، نَسوسُكم بسلطان الله
الذى أعطانا ، ونذودُ عنكم بفَىْء الله الذى خوّلَنا . فلنا عليكم السَّمعُ والطاعة فيما
أحبَبْنا ، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما وُلّينا . فاستوجِبُوا عدْلَنا وفيئَنا
بمناصَحتِكم لنا ، وأعلموا أنّى مهما قصّرتُ عنه فلن أقصِّر عن ثلاثٍ : لستُ
محتجباً عن طالبِ حاجةٍ منكم ولو أتانى طارقاً بلَيل ، ولا حابسًا عطاءً ورزقا ٢٧٤
عن إبّانه ، ولا مجمِّراً لكم بَعثا[4] . فادعُوا الله بالصَّلاح لأئمّتكم ؛ فإنهم
ساساتكم المؤدِّبون[5] ، وكهفُكم الذى إليه تأوُون ، ومتى يصلُحوا تَصلحوا .
ولا تُشْرِبوا قلوبَكم بُغضَهم فيشتدَّ لذلك غيظُكم ، ويطولَ له حُزنُكم ،
ولا تُدرِكوا بِهِ حاجتكم ، مع أنّه لو استُجيب لكم فيهم لكان شراً لكم .
أسأل الله أن يُعينَ كُلاًّ على كلٍّ . وإذا رأيتُمونى أُنفِذ فيكم الأمرَ فأنفِذوه على

---

(١) الإرعاء : الإبقاء والرفق . الطبرى والعقد وما عدال : « وأعينوا على أنفسكم » .
(٢) الطبرى والعقد وما عدال : « فرب مبتئس بقدومنا سيسر » .
(٣) الطبرى والعقد وما عدا ل : « سيبتئس » .
(٤) انظر ما سبق فى ص ٤٨ س ٣ .
(٥) فيا عدا ل وكذا فى سائر المصادر : « ساستكم » . وساسات : جمع ساسة ، كسادات جمع سادة .

أذلاله[١] وايمُ الله إنّ لى فيكم لَصَرعَى كثيرةً ، فليحذرْ كلُّ امرئٍ منكم أنْ يكون من صَرْعاى .

قال : فقام إليه عبدُ الله بن الأهتم[٢] فقال : أشهد أيُّها الأمير ، لقد أُوتِيتَ الحكمةَ وفَصل الخطاب . فقال له : كذبتَ ، ذلك نبيُّ الله داود .

فقام الأحنفُ بن قيس فقال[٣] : أيُّها الأمير ، إنما المرء بجدِّه ، والجوادُ بشَدِّه وقد بلَّغَك جَدُّك أيُّها الأميرُ ما تَرى ، و إنما[٤] الثناء بعد البلاء ، والحمدُ بعد العَطاء و إنا لن نُثنِيَ حتى نَبتلي . فقال له زياد : صدقت .

فقام إليه أبو بلال مِرداس بن أُدَيَّة[٥] ، وهو يهمس و يقول : أنبأنا الله بغير ما قلت ، فقال[٦] : ﴿ و إبراهيمَ الذى وَفَّى . ألاَّ تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أُخرَى . وَأَنْ لَيسَ لِلإِنْسَانِ إلاَّ ما سَعَى ﴾ . وأنتَ تزعُم أنك تأخذ البرىء بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصى ، والمقبلَ بالمدبر . فسمعه زيادٌ[٧] فقال : إنا لا نبلغُ ما نُريد فيك وفى أصحابك حَتَّى نخوض إليكمُ الباطلَ خَوْضا .

وقال الشعبي[٨] : ماسمعتُ متكلِّماً على مِنبرٍ قطُّ تكلَّمَ فأحسَنَ إلاَّ أحببتُ

---

(١) على أذلاله : على طرقه ووجوهه ، واحده ذل ، بكسر الذال ، وهو ما مهد وذلل من الطريق .

(٢) فى نوادر القالى ١٨٥ : « صفوان بن الأهتم » .

(٣) الكلام بعده إلى نهاية « ما ترى » من ل فقط . وفى النوادر : « إن الجواد بشده ، وإن السيف بحده ، وإن المرء بجده » . ونحوه فى عيون الأخبار . ولم يذكر فى العقد والطبرى .

(٤) الواو ساقطة مما عدا ل لأنها فيها أول كلام الأحنف .

(٥) هو أبو بلال مرداس بن أدية — بهيئة التصغير — أحد الخوارج . خرج فى أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامرى ، فهزم زرعة ، ثم وجه إليه عباد بن علقمة فهزمه وقتله سنة ٦١ ، وهى سنة مقتل الحسين . وقد أنشد الجاحظ له شعرا فى الحيوان (٥ : ٢٥) . وانظر الطبرى (٦ : ٢٧١) .

(٦) فيا عدا ل : « قال الله » . (٧) فيا عدا ل : « فسمعها زياد » .

(٨) بدله فيا عدا ل : « خلاد بن يزيد الأرقط قال : سمعت من يخبر أن الشعبي قال » .

أن يسكتَ خوفاً أن يسىءْ ، إلاَّ زيادًا ؛ فإنه كلَّما أ كثَرَ كان أجودَ كلاما .

أبو الحسن المدائنىّ قال : قال الحسن : أوْعَدَ عمرُ فعُوفِىَ ، وأوْعَدَ زيادٌ فابتُلِى(١) .

قال : وقال الحسن : تشبَّه زيادٌ بعُمَرَ فأفرط ، وتشبَّه الحجّاج بزيادٍ فأهلك الناس .

***

[قال أبو عثمان] : قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ٢٧٥ وخُطَبه صدراً ، وذكرْنا مِن خُطَب السلف رحمهم الله جُمَلا ، وسنذكُر من مقطَّعات الكلام ، وتجارِب البُلغاء ، ومَواعظِ النُّسّاك ، ونقصِدُ من ذلك إلى القصار دون الطِّوال ؛ ليكون ذلك أخفَّ على القارئ ، وأبعَدَ من السآمة والمَلَل(٢) . ثم نعودُ بعد ذلك إلى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله . ولا قُوّةَ إلا بالله .

قال أبو الحسن المدائنىّ : قدِم عبد الرحمن بن سليم الكلبىّ ، على المهلَّب ابن أبى صُفرة ، فى بعض أيّامه مع الأزارقة ، فرأى بنيه قد ركبوا عَن آخرهم فقال : « شَدَّ اللهُ الإسلامَ بتلاحُقِكم(٣) ، فوالله لئن لم تكونوا أسباطَ نُبُوّةٍ إنّكم لأسباط مَلْحَمة » .

وقال أبو الحسن : دخل الهُذَيل بن زُفَرَ الكلابىّ ، على يزيد بن المهلب فى حَمالات لزِمَتْه(٤) ، ونوائبَ نابَتْه ، فقال له : « أصلحك الله ، إنّه قد عظُم شأنُك ،

---

(١) ذاك أنه أصيب بالطاعون فقضى عليه . وقال عبد الله بن عمر حين بلغه مصرعه : اذهب إليك ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت . انظر الطبرى (٦ : ١٦٢) فى حوادث سنة ٥٣ .

(٢) فيما عدا ل : « والملال » .

(٣) فيما عدا ل : « أنس الله » .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وارتفَع قَدرُك أن يُستعان بك ، أو يستعانَ عليك[١] . ولست تفعل شيئاً من المعروف إلاّ وأنتَ أكبر منه[٢] . وليس العَجب من أن تَفعل ، ولكن العجبَ من أن لا تفعل » . قال يزيد : حاجَتَك . فذكرها ، فأمَرَ له بها ، وأمر له بمائة ألف ، فقال : أمّا الحَمالات فقد قبلتُها ، وأمّا المال فليس هذا موضعَه .

عيسى بن يزيد بن دأب[٣] ، عمّن حدّثه عن رجلٍ كان يجالس ابنَ عبّاس قال : قال عثمان بن أبى العاصى [الثقفى] لبنيه : « يا بَنِيّ ، إنّى قد أمجدْتُكم فى أمّهاتكم[٤] ، وأحسنت مهنة أموالكم[٥] ، وإنّى ما جلستُ فى ظِلّ رجلٍ من ثقيفٍ أشتُم عِرضَه . والنّاكح مُغترِسٌ ، فلينظرِ امرؤٌ منكم حيثُ يضع غَرسَه . والعِرق السَّوْء قلَّما يُنجِب ولو بَعد حِين » . قال : فقال ابنُ عباس : ياغلامُ ، اكتبْ لنا هذا الحديث » .

قال : ولما همّت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان : « معاشِرَ ثقيف ، لا تكونوا آخرَ العرب إسلاما ، وأوّلَهم ارتداداً » .

قال : وسمعتُ أعرابيًّا ذكر يوما قُريشا . فقال : « كَفَى بقريشٍ شرَفاً أنّهم أقربُ النّاسِ نسباً برسول الله[٦] صلى الله عليه وسلم ، وأقربُهم بيتاً من بيت الله » .

---

(١) فيما عدا ل : « قد عظم شأنك عن أن يستعان عليك » .

(٢) فيما عدا ل : « ولست تصنع » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٤) .

(٤) هو من قولهم أمجد فلانا ، إذا أعطاه ما كفى وفضل . أراد قد اخترت لكم نسباً كريماً .

(٥) المهنة ، بالفتح ، والكسر ، والتحريك ، وبفتح فكسر : الخدمة . فيما عدا ل : « وأحسنت فى مهنة أموالكم » .

(٦) ل : « من رسول الله » .

٢٧٦ الأصمعىّ قال : قيل لعَقيل بن عُلَّفة : أتهجو قومك[١] ؟ قال : الغَنم إذا لم يُصْفَر لها لم تَشْرب[٢] .

قال : وقيل لعَقِيل : لم لا تُطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعُنق » .

قال : وسأل عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه عَمرَو بن مَعدِيكرب ، عن سَعد[٣] قال : كيف أميركم ؟ قال : « خيرُ أمير . نبطىٌّ فى حُبْوَته ، عربىٌّ فى نَمِرته[٤] ، أسدٌ فى تامُورته[٥] ، يعدِل فى القضيّة ؛ ويَقسِم بالسّوِيّة ، ويَنفِر فى السَّرِيّة[٦] ، وينقُل إلينا حقنا كما تَنقُل الذَّرّة » . فقال عمر : لَشَدّ ماتقارضتما الثَّناء .

قال : ولمَّا تورَّد الحارثُ بن قيس الجَهْضَمىّ بعبيد الله بن زياد[٧] ، منزلَ مسعود بن عمرو العَتَكىّ[٨] ، عَن غير إذْن ، فأراد مسعودٌ إخراجه من منزله . فقال عُبيد الله : قد أجارَتْنى ابنةُ عمِّك عليك[٩] ، وعَقدُها العَقدُ الذى يلزمُك ،

---

(١) فيما عدا ل : « لم تهجو قومك » . (٢) ل : « لم يصفر بها »

(٣) هو سعد بن أبى وقاص . مضت ترجمته فى (١ : ٢٦١) . ولى الكوفة لعمر ، وهو الذى بناها .

(٤) فى اللسان (٧ : ٩٤) : « أعرابى فى نمرته » . والنمرة : بردة من صوف يلبسها الأعراب .

(٥) التامورة : العرين ، وهو بيت الأسد .

(٦) كذا . وفى اللسان (١٩ : ١٠٥) : « وفى حديث سعد : لا يسير بالسرية . أي لايخرج مع السرية فى الغزو » . والسرية : قطعة من الجيش نحو الأربعمائة ، سميت بذلك لأنها تسرى ليلا فى خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا ويمتنعوا .

(٧) أى مع عبيد الله بن زياد . وتورد بمعنى ورد . وفى الاشتقاق ٢٩٤ : « والحارث ابن قيس بن صهبان هذا ، هو الذى ذهب بعبيد الله بن زياد إلى مسعود حتى أجاره » .

(٨) فى الاشتقاق ٢٩٤ : « ومن رجالهم مسعود بن عمرو بن عدي بن محارب بن صنيم ابن مليح بن شرطان بن معن بن مالك ، الذى يقال له : قمر العراق . قتلته بنو تميم . كان سيد الأزد ، وهو الذى أجار عبيد الله بن زياد أيام الفتنة . أخو المهلب بن أبى صفرة لأمه » .

(٩) هى أم بسطام امرأة مسعود ، وهى بنت عمه . الطبرى (٧ : ٢٣) . وكان قد استجار بها فى فتنة البصرة وأعطاها مائة ألف درهم .

وهذا ثوبُها علىَّ ، وطعامُها فى مذاخيرى[١] ، وقد التفَّ علىَّ منزِلُكَ . وشهد له الحارث بذلك .

قال : مَرَّ الشَّعبى بناسٍ من الموالى يتذاكرون النَّحو فقال : لئن أصلحتموه إنَّكم لَأوّلُ مَن أفسده .

قال : وتكلَّمَ عبدُ الملك بن عُمير[٢] ، وأعرابىٌّ حاضر ، فقيل له : كيف ترى هذا الكلام ؟ فقال : لو كان كلامٌ يُؤْتَدَم به لكان هذا الكلام ممّا يؤتدم به[٣] .

وقال جريرٌ[٤] : « العِذْرة طرَفٌ من البُخْل[٥] » .

وقال جريرٌ[٦] : « الخَرَس خير من الخِلاَبَة » .

وقال أبو عمرو الضرير[٧] : « البَكَمُ خير من البَذَاء » .

[قال : وقدم الهيثم بن الأسود بن العُريان على عبد الملك بن مروانَ فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدُنى قد ابيضَّ منى ما كنت أحِبُّ أن يسودَّ ، واسودَّ منى ما كنتُ أحبُّ أن يبيضّ ، واشتدَّ منِّى ما كنت أحبُّ أن يَلين ، ولانَ منِّى ما كنتُ أحبُّ أن يشتدَّ . ثم أنشد :

اسمعْ أنبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ ... نومُ العشاء وسُعالٌ بالسَّحَر
وقِلَّةُ النَّوم إذا الليلُ اعتكرْ ... وقِلَّةُ الطُّعْمِ إذا الزّادُ حَضَرْ
وسُرعةُ الطّرف وتحميجُ النَّظَرْ ... وتركىَ الحَسْناء فى قُبْلِ الطُّهُرْ

(١) الطبرى : « وهذا ثوبك على ، وطعامك فى بطنى » . والمذاخير : الأعفاج والمصارين ، جمع مذخر ، والكوفيون يزيدون الياء فى مثل هذا الجمع . فيما عدا ل : « مذاخرى » .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٦) .

(٣) فيما عدا ل : « لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا » ، فقط .

(٤) فيما عدا ل : « وقال » ، فقط .

(٥) العذرة ، بالكسر : الاعتذار . (٦) فيما عدا ل : « وقال أيضاً » .

(٧) فيما عدا ل : « أبو عمر الضرير » .

وحـــذراً أزداده إلى حذرٍ والناسُ يَبلَوْنَ كما يَبْلَى الشَّجَرْ[١]]

وقال أكثم بن صَيفيّ : الـكَرم حُسن الفِطنة وحُسْنُ التغافل ، واللُّؤم سوء الفِطنة وسُوء التغافل[٢] .

وقال أكثمُ بن صَيفيّ : تباعَدُوا فى الدِّيار تقارَبُوا فى المودّة .

وقال آخر لبنيه : تباذَلُوا تحابُّوا .

قال : ودخل عيسى بن طلحة بن عُبيد الله ، على عُروة بن الزبير وقد قُطِعَت رجله ، فقال له عيسى : والله ما كنا نُعِدُّك للصِّراع ، ولقد أبقَى الله لنا أكثرَك : أبقى لنا سَمعكَ و بصرَك ، ولسانك وعقلك ، و يدَيك و إحدى رجلَيك . فقال له عروة : والله يا عيسى ما عزّانى أحدٌ بمثل ما عزَّيتنى [به] .

وكتب الحسنُ إلى عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله : « أمّا بعد فكأنك ٢٧٧ بالدُّنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تَزَلْ » .

قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « اقرءوا القرآن تُعرَفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، ولن يبلغ حق ذى حقّ أن يُطاعَ فى معصية الله ، ولن يقرِّبَ مِن أجلٍ ، ولن يُباعِدَ من رزقٍ ، أن يقوم رجلٌ بحقّ ، أو يُذكِّرَ بعظيم » .

وقال أعرابىٌّ لهشام بن عبد الملك : أتت علينا ثلاثةُ أعوامٍ : فعامٌ أكَلَ الشّحم ، وعامٌ أكَلَ اللحم ، وعامٌ انتقى العَظْمَ[٣] . وعندكم أموالٌ ، فإنْ كانت لله فادفعوها إلى عِباد الله ، و إن كانت لعباد الله فادفعوها إليهم ، و إن كانت لكم فتصدَّقوا ؛ فإن الله يجزى المتصدِّقين . فقال : هل[٤] مِن حاجة غيرِ ذلك ؟

(١) هذه التكملة التى أثبتها مما عدا ل قد سبقت فى (١ : ٣٩٩) .

(٢) حسن التغافل ، وسوء التغافل ، ساقطتان مما عدا ل .

(٣) انتقى العظم : استخرج نقيه . والنقى ، بالكسر والتحريك : المخ . وأنشد :

ولا يسرق الكلب السرو نعالنا ولا ينتقى المخ الذى فى الجماجم

(٤) فيما عدا ل : « قال فهل » .

قال : ما ضَرَبْتُ إليك أَكبادَ الإبل أُدَرِّع الهجير ، وأخُوض الدُّجى لخاصٍّ دونَ عام .

قال شَدَّاد الحارثيّ ، ويكنى أبا عبد الله[١] : قلت لأَمَة سوداء بالبادية : لِمَنْ أنتِ يا سوداء ؟ قالت : لسيِّد الحضَر يا أصلع . قال : قلت لها : أوَلستِ بسوداء ؟ قالت : أولستَ بأصلع ؟ قلتُ : ما أغضَبَك من الحق ؟ قالت : الحقُّ أغضبك ! لا تسبُبْ حتى تُرْهَب ، ولَأَنْ تتركه أمثَل .

وقال الأصمعيّ : قال عيسى بن عمر : قال ذو الرُّمّة : قاتل الله أمَة فلانٍ ما [كان] أفصَحَها[٢] ! سألتها كيف المطر عندكم ؟ فقالت : غِثنا ماشئنا .

وأنا رأيتُ عبداً أسودَ لبنى أسد[٣] ، قدِم عليهم من شِقّ اليمامة ، فبعثوه ناطُورا ، وكان وحشيًّا محرَّما[٤] ؛ لطول تعزُّبه كان فى الإبل[٥] ، وكان لا يَلقَى إلاّ الأكرَة ، فكان لا يفهم عنهم ، ولا يستطيع إفهامَهم . فلمّا رآنى سكَنَ إلى ، وسمعتُه يقول : لعَنَ الله بلاداً ليس فيها عَربُ . قاتل الله الشّاعر حيث يقول :

* حُرُّ الثَّرى مُستَعرِبُ التّرابِ *

٢٧٨ أبا عثمان ، إنّ هذا العُرَيب فى جميع الناس * كمقدار القُرحة فى جميع جِلدِ الفرس[٦] ، فلولا أنّ الله رَقّ عليهم فجعلهم فى حاشيةٍ لَطَمست هذه العُجمان آثارَهم[٧] . أتُرَى الأعيارَ إذا رأت العِتاق ، لا ترَى لها فضلا . والله ما أمر

(١) فيما عدا ل : « أبا عبيد الله » . وقد ذكر الجاحظ « شدادا » هذا فى كتاب فخر السودان ٥٤ ساسى وقال : « وكان خطيباً عالما » . ثم ساق الخبر التالى .

(٢) فى فخر السودان : « ما كان أفصحها وأبلغها » .

(٣) فيما عدا ل : « لبنى أسيد » .

(٤) محرم ، من قولهم ناقة محرمة : لم ترض ولم تذلل .

(٥) التعزب : أن يبعد بإبله فى المرعى بعيدا عن الأهل .

(٦) القرحة ، بالضم : الغرة الصغيرة فى وجه الفرس .

(٧) لم أر كلمة « العجمان » بمعنى الأعاجم فى معجم لغوى .

اللهُ نبيَّه بقتلهم إلا لِضَنَّه بهم[١] ، ولا تَرَكَ قَبولَ الجِزْيةِ منهم إلاّ تنزيهاً لهم .

وقال الأحنف بن قيس : أسرعُ النَّاس إلى الفتنة أقلُّهم حياء من الفِرَار .

قال : ولما مات أسماء بن خارجةَ[٢] ، فبلغ الحجاجَ موتُه ، قال : هل سمعتم بالذى عاش ما شاء ، ثم مات حِين شاء .

وقال سَلْمُ بن قُتيبة : رَبُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه[٣] .

أبو هلال[٤] ، عن قَتادة قال : قال أبو الأسود : إذا أردت أن تكذب صاحِبَك فلقِّنْه .

وقال أبو الأسود : إذا أردتَ أن تُعظَّمَ فمُتْ ، وإذا أردت أن تُفْحِمَ عالماً فأحضِرْهُ جاهلا .

قال : وقيل لأعرابيّ : ما يدعُوك إلى نَوْمة الضُّحَى ؟ فقال : مَبْرَدَةٌ فى الصيف ، مَسخنة فى الشّتاء .

وقال أعرابىٌّ آخر : نَومة الضحى مَجْعَرَةٌ مَجْفَرَةٌ مَبْخَرَةٌ[٥] .

وجاء فى الحديث : « الولد مَبخَلَةٌ مَجْبَنةٌ » .

---

(١) فيما عدا ل : « لضنة بهم » .

(٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزارى ، وكان من سادات العرب وأشراف أهل الكوفة ، فارساً شجاعا كريماً . مدحه أعشى همدان وعبد الله بن الزبير الأسدى . وكانت الشيعة تعده فى قتلة الحسين ، وخطب المختار بن أبى عبيد فقال : لتنزلن من السماء ، تسوقها ريح حالكة دهماء ، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء . فبلغ أسماء قول المختار فيه فقال : أوقد سجع بى أبو إسحاق ؟ لا قرار على زأر من الأسد . وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ففاته ، فأمر بهدم داره فما أقدم عليها مضرى ؛ لموضع أسماء وجلالة قدره فى قيس ، فتولت ربيعة واليمن هدمها . انظر الأغانى (١٣ : ٣٥) .

(٣) رب المعروف : نماه وزاده وأتمه وأصلحه .

(٤) هو أبو هلال محمد بن سليم الراسبي البصري . روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة وعنه ابن مهدى ووكيع وغيرهما . توفى فى خلافة المهدى سنة تسع وستين . تهذيب التهذيب .

(٥) مجعرة ، يريد ييس الطبيعة ، والجعر : ما خرج يابساً . مجفرة : مقطعة للنكاح منقصة للماء . مبخرة : من بخر الفم وتغير رائحته . والحديث روى فى اللسان (بخر ، جعر ، جفر) منسوباً إلى عمر أو على .

قال : ونظر أعرابىٌّ إلى قوم يلتمسون هلال رمضان ، فقال : أمَا والله لئن أثرْتموه لَتمسكُنَّ منه بذُنابَى عيشٍ أغبر .

وقال أسماء بنُ خارجة : إذا قَدُمت المصيبة تُركت التّعزية .

وقال : إذا قَدُم الإخاء سَمُجَ الثّناء[1] .

وقال إسحاق بن حسّان : لا تُشمِّتِ[2] الأسماء ولا الأصحابَ القدماء .

وسُئل أعرابىّ عن راعٍ له فقال : هو السّارح الآخِر ، والرّائح الباكر ، والحالب العاصر ، والحاذِف الكاسر[3] .

قال : وقال عُتبة بن أبى سفيان لعبد الصّمد مؤدِّب ولدِه :

ليكن أوّلَ ما تبدأ به من إصلاحك بَنِىَّ إصْلاحُك نفسَك ؛ فإنّ أعينهم معقودة بعينك ، فالحسَنُ عِندهم ما استحسنتَ ، والقبيحُ عندهم ما استقبحت . علِّمْهم كتابَ الله ، ولا تُكرِهْهم عليه فيَملوه ، ولا تترُكْهم منه فيهجُروه . ثم روِّهم
٢٧٩ من الشّعر أعَفَّه[4] ، ومن الحديث أشرَفه ، ولا تُخرِجْهم من عِلْمٍ إلى غيره حتى يُحْكِموه ؛ فإنّ ازدحامَ الكلام فى السّمع مَضَلّةٌ للفهم[5] . وعلِّمْهم سِيَرَ الحكماء وأخلاقَ الأدباء ، وجنِّبْهم محادثةَ النساء ، وتهدّدْهم بي ، وأدِّبْهم دُونى ، وكنْ لهم كالطَّبيب الذى لا يَعجَل بالدّواء حتى يعرف الداء ، ولا تتّكل على عُذرى ؛

---

(١) فيما عدا ل : « قبح الثناء » .

(٢) تشميت العاطس : الدعاء له بالخير . وخرجه ابن سيده بقوله : « دعا له أن لا يكون فى حال يشمت به فيها » .

(٣) سقطت الواوات مما عدا ل . والحاذف : الذى يحذف بالعصا يرى بها . وفى اللسان « الأزهرى : وقد رأيت رعيان العرب يحذفون الأرانب بعصيهم إذا عدت ودرمت بين أيديهم فربما أصابت العصا قوائمها فيصيدونها ويذبحونها » . فيما عدا ل : الحاذق » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عفه » .

(٥) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدنى بزيادتهم إياك أزدك ، وإياك أن تتكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك » .

فإني قد اتَّـكلتُ على كفايتِك[١] ، وزد في تأديبهم أزدك في برّي إن شاء الله .

***

محمد بن حرب الهلاليّ قال : كتب إبراهيم بن أبي يحيى الأسلَميّ ، إلى المهديّ يعزّيه على ابنته[٢] : أما بعد فإنّ أحقّ مَن عرَف حقّ الله عليه فيما أخذ منه ، مَن عَظّم حقّ الله عليه فيما أبقى له . واعلم أنّ الماضيَ قبلك هو الباقي لك ، وأنّ الباقيَ بعدك هو المأجورُ فيك ، وأنّ أجر الصابرين فيما يصابون به ، أعظمُ من النِّعمة عليهم فيما يُعافَوْن منه[٣] .

***

قال : وقال سهل بن هارون : التهنئة على آجِلِ الثَّواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة[٤] .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إنْ يكن ما به أُصبتَ جليلا فذَهاب العزاء فيـه أجَلُّ[٥]
كل آتٍ لاشك آتٍ وذو الجهْـ ـلِ مُعنًّى والهمُّ والحُزن فَضْلُ[٦]

وقال لقمان لابنه : يا بُنيّ إياكَ والـكسل والضَّجَر ؛ فإنك إذا كَسِلتَ لم تؤدِّ حقّاً ، وإذا ضجِرت لم تصبر على حقّ .

قال وكان يقال : أربع لا ينبغي لأحدٍ أن يأنف منهنّ وإن كان شريفا

---

(١) إلى هنا ينتهي تخالف العبارات .

(٢) ل : «عن ابنه» ، تحريف . وابنة المهدي هذه هي «البانوقة» . «وكانت سمراء حسنة فلما ماتت وذلك ببغداد ، أظهر عليها المهدي جزعا لم يسمع بمثله ، فجلس للناس يعزونه وأمر ألا يحجب عنه أحد ، فأكثر الناس في التعازي واجتهدوا في البلاغة» . انظر الطبري (١٠ : ٢١) في حوادث ١٦٩ . وقد سبق في (١ : ٦٥) لنحو هذا التعبير :

هل معين على البكا والعويل أم معز (على) المصاب الجليل

(٣) انظر هذا الخبر أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ٥٢) .

(٤) هذا الخبر في عيون الأخبار (٣ : ٥٢) .

(٥) في عيون الأخبار : « فلفقد العزاء » . وانظر الحيوان (٥ : ٥٠٥) .

(٦) فضل ، فاضل زائد .

أو أميراً : قيامُه عَن مجلسه لأبيه ، وخدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فَرَسه ، وخدمتُه العالِم[١] .

وقال بعض الحكماء : إذا رغِبت فى المكارم ، فاجتنِب المَحَارم .

وكان يقال : لا تغترّ بمودَّة الأمير ، إذا غشَّك الوزير .

وكتب بعضهم : أما بعدُ فقد كنتَ لنا كلَّك ، فاجعلْ لنا بعضَك ، ولا تَرض إلا بالكل منّا لك .

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال : اللسانُ أداةٌ يظهر بها حُسْن البيان ،
٢٨٠ وظاهرٌ يُخبِر عن ضمير ، وشاهدٌ ينبئُك عن غائب ، وحاكمٌ يُفصَل به الخطابُ وناطقٌ يُرَدُّ به الجواب ، وشافعٌ تُدرَك به الحاجة ، وواصفٌ تُعرف به الحقائق ، ومُعَزٍّ يُنفَى به الحزن ، ومؤنس يذهَب بالوَحْشة[٢] ، وواعظٌ يَنهى عن القبيح ، ومُزيِّنٌ يدعو إلى الحَسَن ، وزارعٌ يحرث المودَّة ، وحاصدٌ يستأصل الضَّغينة ، ومُلْهٍ[٣] يُونِقُ الأسماع .

وقال بعض الأوائل : إنّما الناسُ أحاديثُ ، فإن استطعتَ أن تكون أحسنَهم[٤] حديثاً فافعَلْ .

ولما وصل عبد العزيز بن زُرَارة[٥] إلى معاوية قال : يا أمير المؤمنين ، لم أزلْ

---

(١) فيما عدا ل : « العالم » .

(٢) فيما عدا ل : « تذهب به الوحشة » .

(٣) فيما عدا ل : « وملهم » تحريف .

(٤) ل : « أحسن الأحاديث » صوابه فى سائر النسخ .

(٥) ل : « عمر بن عبد العزيز بن زرارة » تحريف . وعبد العزيز هذا أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعراً فى الجزء الثالث وكذا فى الحيوان (٣ : ٨٤) ومدحه بعض الشعراء . الحيوان (٦ : ٣٢٩) . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١ : ٦٨) أنه هو الذى تكفل بدفن توبة بن الحمير فى أيام مروان بن الحكم . والخبر رواه فى عيون الأخبار (١ : ٨٢) .

أستدلُّ بالمعروف عليك ، وأمتطى النَّهار إليك[١] ؛ فإذا ألْوَى بى الليل[٢] ، فقُبِض البَصَر وعُفِّىَ الأثَر ، أقام بدنى وسافر أملى . والنَّفس تلوَّمُ[٣] ، والاجتهاد يَعذِر[٤] فإذْ قد بلغْتُك فقَطْنى .

قال : وقال لقمان لابنه : ثلاثة لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشُّجاع إلا فى الحرب ، ولا تعرِفُ أخاك إلاّ عند الحاجة إليه[٥] .

وقال أبو العتاهية :

أنتَ ما استغنيتَ عن صا ... حبِكَ الدَّهرَ أخوه
فإذا احتجت إليه ... ساعةً مجَّك فُوه

وقال علىُّ بن الحسين لابنه : يا بنىّ ، اصبر على النائبة ، ولا تتعرّض للحقوق ، ولا تُجِبْ أخاكَ إلى شىء مَضرّته[٦] عليك أعظم من منفعته له .

وقال الأحنف : مَن لم يصبر على كلمةٍ سمع كلمات .

وقال : رُبَّ غيظٍ قد تجرّعتُه مخافةَ ماهو أشدُّ منه .

وقالوا : من كثُر كلامه كثُر سقَطه ، ومن طال صمتُه كثُرت سلامته .

قال : وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دِينَه غَرَضاً للخصومات أكثر التنقُّل[٧] .

---

(١) فى عيون الأخبار : « أمتطى الليل بعد النهار ، وأسم المجاهل بالآثار » .
(٢) يقال ألوى بالشىء : ذهب به ؛ عبارة عن شدة الليل .
(٣) تلوم ، أى تتلوم بحذف إحدى التاءين . والتلوم : الانتظار والتلبث . وفى عيون الأخبار : « والنفس مستبطئة » .
(٤) عيون الأخبار : « والاجتهادُ عاذر » .
(٥) فيما عدا ل : « عند حاجتك إليه » .
(٦) المضرة : الضرر . فيما عدا ل : « ضرره » .
(٧) فيما عدا ل : « النقل » : جمع نقلة .

محمد بن حرب الهلالىّ ، عن أبى الوليد اللّيثى قال : خطب صعصعةَ بن معاوية ٢٨١ إلى عامر بن الظَّرِبِ العَدْوانى ابنته « عَمْرة » ، وهى أمّ عامر بن صعصعة فقال عامرُ بن الظَّرِب : يا صعصعة ، إنك قد أتيتنى تشترى منى كَبِدى ، وأرْحمَ ولدى عندى ، غيرَ أنّى ، أطْلَبْتُك أو رَددتك(١) ، فالحسيب كُفء الحسيب ، والزَّوج الصالح أبٌ بعد أب(٢) . قد أنكحتُك مخافةَ(٣) ألّا أجدَ مثلك أفرَّ من السّر إلى العلانية . أنصحُ ابناً ، وأودِ عُ ضعيفاً قويّا . يا معشر عَدوان : أخرجتْ من بين أظهركم كريمتُكم من غير رَغْبة ولا رَهبة . أُقسم لولا قَسْمُ الحظوظ على قدر المجْدود ، لما ترك الأوّلُ للآخر شيئاً يعيش به(٤) .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أوصيكم بأربع(٥) لو ضربتم إليها آباط الإبل كُنّ لها أهلاً : لا يرجونّ أحدٌ منكم إلا ربّه ؛ ولا يخافنّ إلا ذنبه ؛ ولا يستحيِ أحدٌ إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا إذا لم يَعلم الشىء أن يتعلَّمه . وإنّ الصّبر(٦) من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأسُ ذهب الجسد ، وكذلك إذا ذهب الصّبر ذهبَ الإيمان .

قال : ومدح علىَّ بن أبى طالب رجلٌ فأفرط(٧) فقال علىّ — وكان يتّهمه — : أنا دُونَ ما تقول ، وفوقَ ما فى نفسك » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمة كلِّ امرئٍ ما يحسن(٨) .

---

(١) « غير أنى » من ل فقط . وفيما عدا ل : « أبغيتك أو زودتك » والكلمة الأخيرة فى هذه محرفة .

(٢) أي أب ثان . (٣) فيما عدا ل : « خشية » .

(٤) انظر الحديث فى المعمرين للسجستانى ٤٩ — ٥٠ .

(٥) فيما عدا ل : « بخمس » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « واعلموا أن الصبر » .

(٧) فيما عدا ل : « وقال الأصمعى : أثنى رجل على على بن أبى طالب فأفرط » .

(٨) فيما عدا ل : « كل إنسان » .

وقال له مالكٌ الأشتر[١] : كيف وجَدَ أميرُ المؤمنين أهله[٢] ؟ فقال : كخير امرأة[٣] ، قَبَّاء جَبَّاء[٤] ! [قال] : وهل يريد الرِّجال من النساء غير ذلك . قال : لا ، حتى تُدفئَ الضَّجيع ، وتروىَ الرَّضيع .

وقف رجل على عامرٍ الشعبي فلم يدَعْ قبيحاً إلاّ رماه به ، فقال له عامر : إن كنت كاذبا فغفر الله لك ، و إنْ كنت صادقا فغفر الله لى .

وقال إبراهيم النَّخَعى لسُليمانَ الأعمشَ — وأراد أن يماشيه — : إنّ الناس إذا رأونا معا قالوا : أعمشُ وأعور ! قال : وما عليك أن يأثموا ونؤْجر ؟ قال : وما علينا أن يسلموا ونسلم !

قال أبو الحسن : كان هشام بن حسّان إذا ذكر يزيد بن المهلَّب[٥] ، قال : إن كانت السفن لتجرِى فى جُوده .

وقال : مكتوبٌ فى الحكمة : التوفيق خير قائد ، وحسن الخُلُق خير قرين ، والوُحْدة خير من جليس السَّوء[٦] . ٢٨٢

---

(١) هو المعروف بالأشتر النخعى ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة النخعى الكوفى . أدرك الجاهلية ، وكان من أصحاب على ، شهد معه الجمل وصفين وغيرهما وكان ممن ألب على عثمان وشهد حصره . وولاه على مصر بعد صرف قيس بن عبادة عنها ، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات سنة ٣٨ . ولقب بالأشتر لأن رجلا ضربه فى يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قيحا إلى عينه فشترتها . الإصابة ٨٣٣٥ ، وتهذيب التهذيب ، ومعجم المرزبانى ٣٦٢ .

(٢) فيما عدا ل : « امرأته »

(٣) ب والتيمورية واللسان (٢ : ٢٤٢) : « كالخير من امرأة » حـ : « كالخير من النساء إلا أنها » .

(٤) فى الأصل ، وهو ل : « خبا جباء » والكلمة الأولى محرفة ، صوابها من سائر النسخ واللسان ، كما أن الكلمة الأخيرة من ل واللسان فقط ، أما القباء فهى الدقيقة الخصر وقد ورد فى التيمورية بعد كلمة « قباء » : « دقيقة الخصر » . والجباء : الصغيرة الثديين .

(٥) ترجمة هشام فى (١ : ٢٩١) وزيد فى (١ : ٣٨٧ ، ٤١٠) .

(٦) فيما عدا ل : « قرين السوء » .

وقال : وكان مالك بن دينار يقول : ما أشدَّ فِطام الكبير . وكان[1] ينشد قولَ الشاعر :

وتَرُوض عِرسَك بعد ما هرِمَتْ ... ومن العناء رياضة الهَرِمِ[2]

قال صالحٌ المرّىّ : كنْ إلى الاستماع أسرعُ منك إلى القول ، ومن خطإ الكلام أشدَّ حذراً من خطإ السكوت .

وقال الحسنُ بن هانى :

خلِّ جنبيك لرامٍ ... وامضِ عنه بسلامِ
مُتْ بداء الصمت خيرٌ ... لكَ من داء الكلامِ
[إنّما السالم مَن ألْـ ... ـجَمَ فاهُ بلجامِ
ربّما استفتحتَ بالمزْ ... حِ مغاليقَ الحِمامِ]

أبو عبيدة وأبو الحسن : تكلّمَ جماعةٌ من الخطباء عند مَسلمة بنِ عبد الملك ، فأسهبوا فى القَول ، ثم اقترح المنطق منهم[3] رجل من أخريات الناس ، فجعل لا يخرُج من حسنٍ إلاّ إلى أحسَنَ منه . فقال مَسلمة : ما شبّهتُ كلامَ هذا بعقِب كلامِ هؤلاء إلاّ بسحابة لبّدت عَجاجةً[4] .

وقال أبو الحسن : علَّمَ أعرابىٌّ بنيه الخِراءة فقال : ابتَغُوا الخَلا ، وابْعُدوا عن المَلا[5] ، واعلوا الضَّرا[6] ، واستقبِلوا الرِّيح ، وأفِجُّوا إفجاجَ النَّعامة[7] ، وامتسحوا بأشْمُلِكم .

وقال أبو الحسن : لما حضرت قيسَ بن عاصمٍ الوفاةُ دعا بَنيه فقال : يا بَنىّ

---

(١) هذه الكلمة فى ل فقط . (٢) سبق الشعر والخبر فى (١ : ١٢٠) .
(٣) هذه الكلمة من ل فقط . اقترح الكلام : ارتجله ، فيما عدا ل « اقترع » تحريف .
(٤) العجاجة : واحدة العجاج ، وهو الغبار .
(٥) الخلا : مقصور الخلاء وهو المتوضأ ، والملا : الفلاة .
(٦) الضراء ، كسحاب : الأرض المستوية ، والفضاء .
(٧) الإفجاج : أن يفتح رجليه ويباعد ما بينهما ، والنعامة تفج إذا ذرقت .

احفظوا عنّى ، فلا أحَدَ أنصحُ لكم منّى . إذا متُّ فسوِّدوا كبارَكم ، ولا تسوِّدوا صغارَكم فيسفَهَ الناسُ كبارَكم وتهونوا عليهم ، وعليكم بإصلاح المال[١] ؛ فإنّه مَنْبهة للكريم ، ويُستغنَى به عن اللئيم . وإياكم ومسألة الناس ، فإنها شرُّ كسب المرء[٢] .

سئل دَغفل النّسّابة عن بنى عامر بن صعصعة ، فقال : أعناق ظِباء ، وأعجاز نساء . قيل : فتميم ؟ قال : حجرٌ أخشَنُ ، إن دنوتَ منه آذاك ، وإن تركته خلاّك[٣] قيل : فاليمن ؟ قال : سَيّدٌ وأنْوكُ .

وكانوا يقولون : لا تستشيروا معلِّما ، ولا راعىَ غنم ، ولا كثيرَ القعود مع النِّساء[٤] .

عِقَال بن شَبّة[٥] قال : كنتُ رديفاً لأبى[٦] ، فلقيه جريرٌ على بغل ، فحيّاه أبى وألطفه ، فقلت له : أبعدَ ما قال ؟ قال : يا بُنَىّ أفأوسّعُ جُرحى ؟ ٢٨٣

قال : ودعا جريرٌ رجلا من شعراء بنى كلاب إلى مهاجاته ، فقال الكلابىّ إن نسائى بإمّتِهنّ ، ولم تدَع الشُّعراء فى نسائك مترقَّعاً[٧] .

وقال جرير : أنا لا أبتدِى ولكنْ أعتدى .

وكان الحسنُ فى جِنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهَمّ الرجل بالرجوع فقال الحسن : إن كنت كلما رأيتَ قبيحا تركت له حَسَناً ، أسْرَعَ ذلك فى دينك .

---

(١) فيما عدا ل : « باستصلاح المال » .
(٢) ب : « آخرة كسب المرء » التيمورية : « أخرى » حـ : « أخرد » محرفة .
(٣) فيما عدا ل : « أعفاك » .
(٤) تقدم الخبر فى (١ : ٢٤٨) .
(٥) فيما عدا ل : « عفان بن شبة » محرف .
(٦) فيما عدا ل : كنت رديف أبى » .
(٧) الإمة ، بالكسر : الحال والشأن والطريقة . والمترقع : موضع الشتم ، قال :

وماترك الهاجون لى فى أديمكم مصحا ولكنى أرى مترقعا

قال أبو عبيدة : لقى المخبَّل القُرَيعى[١] الزِّبرقان بن بدر فقال : كيف كنت بعدى أبا شَذْرة ؟ فقال : كما يَسُرُّك مُحِيلا مجْرِبًا[٢] .

قال : وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة — يعنى رَوح بن زِنباع — طاعةَ أهل الشام ، ودَهاء أهل العراق ، وفقهَ أهل الحجاز .

وذُكر لعمر بن الخطاب إتلافُ شبابٍ من قريش أموالَهم فقال : حِرفةُ أحدِهم أشدُّ علىَّ من عَيْلته[٣] .

وقال عمر بن الخطاب : حِرفةٌ يُعاشُ فيها[٤] خير من مَسألة الناس .

وقال زياد : لو أنّ لى ألفَ ألفِ درهم ولى بعيرٌ أجرب لقمتُ عليه قيام مَن لا يملك غيره . ولو أنّ عندى عشرةَ دراهمَ لا أملك غيرها ولزِمنى حقٌّ لوضعتُها فيه .

وقال عمرو بن العاص : البِطنةُ تُذهِب الفطنة .

وقال معاوية : ما رأيت رجلا يُستَهتر بالباءة[٥] إلا تبيّنتُ ذلك فى مُنّته[٦] .

قال الأصمعى : وقال أبو سليمان الفقعسى لأعرابىٍّ من طَيِّئ[٧] : أبا مرأتك

---

(١) المخبل لقب له ، واسمه ربيع بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة القريعى السعدى ، شاعر فحل مخضرم ، وكان بينه وبين الزبرقان مهاجاة ، مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ كبير ، الأغانى (١٢ : ٣٨ — ٤٣) والخزانة (٢ : ٥٣٥) والإصابة ٢٥٧٢ والمؤتلف ١٧٧ .

(٢) أمحل الرجل : حالت إبله فلم تحمل ، وأجرب : جربت إبله .

(٣) العيلة ، بالفتح : الفقر ، أراد لعدم حرفة أحدهم والاغتمام لذلك أشد على من فقره . انظر اللسان (١٠ : ٣٨٩) .

(٤) فيما عدا ل : « بها » .

(٥) الباءة : شهوة النكاح ، يستهتر : يولع ، فيما عدا ل ، « مستهترا » .

(٦) المنة ، بالضم : القوة .

(٧) موضع كلمة « من طيء » بياض بالأصل ، وإثباتها مما عدا ل .

حَملٌ : قال : لا وذُو بيتُه فى السَّماء ، ما أدرى ، واللهِ ما لها ذَنَبٌ تشتال به ، وما آتيها إلاّ وهى ضَبِعَةٌ[1] .

قال أبو الحسن المدائنىّ : اتخذ يزيد بن المهلّب بستانًا فى داره بخراسان ، فلما وَلِى قُتيبة بن مسلمٍ [خراسانَ] جعلهُ لإبله ؛ فقال له مَرزُبان مَروان : هذا كان بستانًا ليزيد ، وقد اتّخذتَه لإبلك ! فقال قتيبة : إنّ أبى كان أُشتُربان[2] (يريد جمّالا)، وأبو يزيد كان بُستان بان[3] .

وقال الحجّاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان : لو كان رجلٌ من ذهب لكنتَه . قال : وكيف ذلك ؟ قال لم تلدنى أمَةٌ بينى و بين آدمَ ما خلا هاجَر . ٢٨٤
قال : لولا هاجَرُ لكنتَ كلبا من الكلاب .

قال : ومات ابنٌ لعبيد الله بن الحسن[4] ، فعزّاه صالحٌ المرّىّ فقال : إنّ كانت مصيبَتُك فى ابنك أحدثَتْ لك عظةً فى نفسك ، فنعم المصيبة مصيبتُك . وإن لم تكنْ أحدثَتْ لك عظةً فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظمُ من مصيبتك فى ابنك[5] .

قال : وعزّى عمرُو بن عبيدٍ أخاه فى ابنٍ مات له[6] ، فقال : ذهب أبوك

---

(١) ذو ، بمعنى الذى فى لغة طيّ ، وتشتال به ، أراد ترفعه ، يقال شالت الناقة بذنبها وأشالته ، واستشالته ، أى رفعته ليعلم أنها لاقح ، وسمع «اشتال» بمعنى شال فى قول الراجز :

* حتى إذا اشتال سهيل فى السحر *

فى اللسان (١٣ : ٣٩٩) : « اشتال هنا بمعنى شال » . على أن النص روى فى اللسان (١٠ : ٨٥) : « فتشول به » ، والضبعة : الشديدة الشهوة .

(٢) أشتربان : كلمة فارسية مكونة من كلمتين : « أشتر» بمعنى الجمل ، ومثله «شتر» بضمتين ، و « بان » بمعنى القائد والضابط والحارس . فيما عدا ل « يعنى رئيس الجمالين » وهو خطأ .

(٣) بستان بان ، أى بستانى ، بالفارسية .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٠) ، فيما عدا ل : « الحسين » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « ميتك » .

(٦) فيما عدا ل : «على ابن» ، وانظر ما سبق فى ص ٧٤ س ٢-٣ .

وهو أصلك ، وذهب ابنُك وهو فرعُك ، فما حال الباقى بعد ذَهاب أصله وفرعه .

قال : وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول : احذِفُوا الحديثَ كما يحذفه سَلْم بن قُتَيبة[١] .

قال : وقال رجلٌ من بنى تميم لصاحب له : اصحَبْ مَن يتناسى معروفَه عندك ، ويتذكّر إحسانَك إليه ، وحقوقَك عليه[٢] .

وعذَلَ عاذِلٌ شُعيبَ بن زيادٍ على شُرب النبيذ ، فقال : لا أتركُه حتّى يكونَ شرٌّ على .

وقال المأمون : اشربْه ما استبشَعْتَه ، فإذا سهُل عليك فاتركْه[٣] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كتب أحدُكم كتابًا فليتربْه[٤] فإن الترابَ مبارَك ، وهو أنجحُ للحاجة » .

ونظر صلى الله عليه وسلم إلى رجلٍ فى الشمس ، فقال : « تحوَّلْ إلى الظلّ فإنه مبارك » .

وقال المغيرة بن شعبة : لا يزالُ النّاس بخير ما تعجَّبوا من العجب .

وكان يقال : تَركُ الضّحك من العجَب ، أعجبُ من الضّحِك بغير عجب .

قال : قدم سعيد بن العاصى على معاوية فقال : كيف تركتَ أبا عبد الملك[٥] ؟

---

(١) مضى الخبر وترجمة سلم فى (١ : ١٧٤) . وفى جميع النسخ : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « ويتذكر حقوقك عليه » .

(٣) فيما عدا ل : « حتى إذا سهل » .

(٤) فيما عدا ل : « إذا كتب أحدكم فليترب كتابه » .

(٥) أبو عبد الملك ، هو مروان بن الحكم بن أبى العاص القرشى الأموى ، وهو ابن عثمان وكاتبه فى خلافته ، وقد كان من أسباب قتل عثمان ، وشهد الجمل مع عائشة ، وصفين مع معاوية ثم ولى إمرة المدينة لمعاوية ، ولم يزل بها إلى أن أخرجهم ابن الزبير فى أوائل إمرة يزيد بن معاوية وكان ذلك من أسباب وقعة الحرة ، وبقى بالشام إلى أن مات معاوية بن يزيد بن معاوية ، فبايعه أهل الشام ، ثم كانت الوقعة بينه وبين الضحاك بن قيس أحد أمراء ابن الزبير ، فانتصر مروان وقتل الضحاك واستوثق له ملك الشام ، انظر الإصابة ٨٣١٢ والتواريخ .

فقال : منفِّذاً لأمرك ، ضابطاً لعملك . فقال له معاوية : إنَّما هو كصاحب الخُبزة كُفِيَ إنضاجَها فأ كَلَها . فقال سعيد : كلا إنّه بينَ قومٍ يتهادَون فيما بينهم كلاماً كوقع النَّبل ، سهمًا لك وسَهمًا عليك . قال : فما باعَدَ بينه و بينك ؟ فقال : خِفتُه على شرَفى ، وخافنى على مثله . قال : فأىُّ شىء كان له عندك فى ذلك ؟ فقال : أسوءه حاضراً وأسُرُّه غائباً . قال : يا أبا عثمان : ترَكْتَنا فى هذه الحروب ٢٨٥ قال : نعم : تحملتُ الثِّقْل وكُفِيتُ الحزمَ ، وكنتُ قريباً لو دُعيتُ لأجبت ، ولو أُمِرْتُ لأطعت . قال معاوية : يا أهل الشام : هؤلاء قومى وهذا كلامهم .

قال . وكان الحجاج يستثقل زيادَ بن عمرو العَتَكىَّ[١] ، فلما أثنَى الوفدُ على الحجَّاج عند عبد الملك[٢] ، والحجاجُ حاضِرٌ ، قال زيادٌ : «يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ الحجَّاج سيفُك الذى لا ينبو ، وسهمُك الذى لا يَطيش ، وخادمُك الذى لا تأخذُه لومةُ لائم » . فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفَّ عليه منه[٣] .

وقال شَبيب بن شيبة لسَلْم بن قتيبة[٤] : والله ما أدرى أىُّ يوميك أشرفُ : أيومُ ظفرِك أم يوم عفوك .

قال : وقال غلامٌ لأبيه — وقد قال له : لست لى ابنا — : والله لَأَنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشدُّ تحصيناً لأمّى من أبيك لأمّك .

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبـد الله بن جعفرٍ ذى الجَناحين إلى رجل من إخوانه :

---

(١) هو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى الأزدى ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٨٤ « ومنهم زياد بن عمرو ، رأس الأسد بعد مسعود » : والأسد ، بسكون السين لغة فى الأزد . والخبر رواه المبرد فى الكامل ٥٢٣ .

(٢) ل : «فلما أتى عبد الملك فى الوفد » صوابه فى سائر النسخ ، وفى الكامل : « فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك»

(٣) فيما عدا ل : « أخف على قلبه منه » .

(٤) جاء فى النسخ محرفا « لسلم بن قتيبة » وانظر ص ١٧٤ من الجزء الأول .

« أما بعد فقد عاقنى الشكُّ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك . ابتدأتَنى بلطف مَن غير خِبْرة ، ثم أعقبتنى جفاء عن غير ذنب[١] ، فأطمعَنى أوّلُك فى إخائك ، وأيأسَنِى آخرُك مِن وفائك . فلا أنا فى اليوم مُجمِعٌ لك اطّراحا ، ولا أنا فى غدٍ وانتظاره منك على ثقة . فسبحان مَن لو شاء كَشَف بإيضاحِ الرأى فى أمرك عن عزيمةٍ فيك[٢] ، فأقمْنا على ائتلاف ، أوافترقنا على اختلاف . والسلام .

* * *

وكتب إلى أبى مسلم [صاحب الدّعوة] أيضًا ، من الحبس[٣] :

« من الأسير فى يديه ، بلا ذنبٍ إليه ، ولا خلافٍ عليه . أمّا بعد فآتاكَ الله حِفظَ الوصيّة ، ومَنحكَ نصيحة الرعيّة ، وألهمكَ عدلَ القضيّة ؛ فإنك مستودَعُ ودائع ، ومَولى صنائع ، فاحفظ ودائعَك بحسن صنائعك ، فالودائع عاريّة والصنائع مرعيّة ، وما النِّعمُ عليك وعلينا فيك بمنزورٍ نداها[٤] ، ولا بمبلوغ مَداها . فنبّه للتفكُّر[٥] قلبك ، واتّق الله ربّك ، وأعطِ مِن نفسك لِمَن هو تحتَك ما تحبُّ أن يعطيك مَن هو فوقَك : من العدل والرأفة ، والأمن من المخافة

٢٨٦ فقد أنعم الله عليك بأنْ فوّض أمرَنا إليك ؛ فاعرفْ لنا لِينَ شكر المودّة ، واغتفارَ

(١) فيما عدا ل : « من » بدل « عن » فى الموضعين .

(٢) فيما عدا ل : « عن عزيمة الشك فيك » .

(٣) كان عبد الله بن معاوية قد خرج بالكوفة فى أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحى الجبل ثم إلى خراسان ، وكان يطمع فى نصرة أبى مسلم ، فأخذه أبو مسلم وحبسه وجعل عليه عينا يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنه يقول : ليس فى الأرض أحمق منكم يأهل خراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم ، من غير أن تراجعوه فى شىء ، أوتسألوه عنه . والله ما رضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام . ثم كتب إليه عبدالله هذه الرسالة المشهورة ، فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا . ثم أمضى تدبيره فى قتله ووجه برأسه إلى ابن ضبارة ، فحمله إلى مروان . الأغانى (١١ : ٦٨ ، ٧١) حيث ورد فى الموضع الأخير بعض هذه الرسالة .

(٤) المنزور : القليل . والندى : الخير .

(٥) فيما عدا ل : « للتفكير » .

مسّ الشـدّة ، والرّضا بما رضيت ، والقناعةَ بما هويت ، فإنّ علينا من سَهَك الحديد وثِقَله[1] أذًى شـديدا ، مع معالجة الأغلال ، وقلّة رحمة العُمّال ، الذين تَسهيلُهم الغِلظة ، وتيسـيرُهم الفَظاظة ، و إيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم إلينا الهموم ، وزيارتهم الحراسة ، و بِشارتهم الإياسة[2] . فإليكَ بعد الله نرفع كُربة الشكوى ، ونشكو شِـدّة البلوى ، فمتى تَمِلْ إلينا طرْفا ، وتُولِنا منك عطفا ، تجدْ عندنا نُصحًا صريحًا ، ووُدًّا صحيحًا ، لايُضيع مثـلُك مثلَه ، ولا ينفِى مثـلُك أهلَه ، فارْعَ حُرمةَ مَن أدركتَ بحرمته ، واعرف حُجّة من فَلَجت بحجّته ؛ فإنّ الناس مِن حوضك رِواء ، ونحن منه ظِماء ، يمشون فى الأبراد ، ونحن نرسُف فى الأقياد[3] ، بعد الخير والسَّـعة ، والخفض والدَّعَة . والله المستعان ، وعليه التُّكلان ، صَريخ الأخيار[4] ، ومُنجى الأبرار . النّاسُ من دَولتكَ[5] فى رخاء ، ونحن منهـا فى بلاء ، حين أمِنَ الخائفون ، ورجَع الهـاربون . رزقنا الله منك التحنُّن ، وظاهرَ علينا منك التمـنُّن ؛ فإنّك أمينٌ مُستودَع ، ورائدٌ مصطنَع . والسّلامُ ورحمة الله[6] .

* * *

قال هشام بن الـكلبيّ ، قال : حدّثنى خالد بن سعيد ، عن أبيـه قال :

---

(١) السهك : رائحة الصدأ . فيما عدا ل : « سمك » .

(٢) لم أجد سندا لهذه الـكلمة إلا هـذه الرسالة ، ومفهومها اليأس . والمذكور فى المعاجم « اليآسة » . ومما هو جدير بالذكر أن هذه المادة كثيرا ما تتعرض للقلب ، يقال يئس وأيس .

(٣) الأقياد : جمع قيد . فيما عدا ل : « ونحن نحجل » .

(٤) الصريخ : المغيث ، وهو أيضا المستغيث ، من الأضداد .

(٥) فيما عدا ل : « من دولتنا » تحريف .

(٦) لم يذكر فى هذه العبارة كلمة « عليك » .

شَكت بنو تغلبَ السَّنَةَ إلى معاوية ، فقال : كيف تشكون الحاجةَ مع ارتجاع البِكارة ، واجتلاب المِهارة[١] ؟ !

* * *

ابن الكلبى قال : كتب معاوية إلى قَيس بن سعد ، وهو والى مصرَ لعلىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه[٢] :

أمّا بعدُ فإنّما أنت يهودىٌّ ابنُ يهودى . إنْ ظفِر أحبُّ الفريقين إليك عزَلك واستبدلَ بك ، وإن ظفِر أبغضُهما إليك قَتلك ونكَّل بك . وقد كان أبوك وتَّر قوسه ورمى غيرَ غرضِه[٣] ، فأكثَرَ الحزَّ وأخطأ المَفصِل ، فخذَلَه قومُه ، وأدركه يومُه ، ثم مات طريداً بحَوْران[٤] . والسلام .

فكتب إليه قيس بن سعد :

أما بعدُ فإنّك وَثَنٌ ابن وَثَنٍ[٥] ، دخلتَ فى الإسلام كَرْها ، وخرجت
مِنه طوْعا ، لم يَقدُم إيمانُك ولم يحدُث نفاقُك . وقد كان أبى رحمه الله وتَّر قوسه
ورمى غرضَه ، فشغَب عليه مَن لم يَبلغْ كعبَه ، ولم يشُقّ غبارَه . ونحن بحمد ٢٨٧
الله أنصارُ الدين الذى خرجتَ منه ، وأعداء الدين الذى دخلتَ فيه . والسلام .

* * *

قال أبو عبيدة ، وأبو اليقظان ، وأبو الحسن : قدِم وفدُ العِراق على معاوية ،

---

(١) البِكارة ، بالكسر : جمع بكر بالفتح ، وهو الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس . والمهارة ، بالكسر : جمع مهر بالضم ، وهو أول ما ينتج من الخيل . والخبر فى اللسان (٩ : ٤٧٦) . والارتجاع : أن يقدم الرجل المصر بإبله فيبيعها ثم يشترى بثمنها مثلها أو غيرها . أى تجلبون أولاد الخيل فتبيعونها وترتجعون بأثمانها البكارة للقنية . فى النسخ جميعها : « واختلاف المهارة » صوابه من اللسان .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥١) .

(٣) ل : « عن غرضه » صوابه فى سائر النسخ .

(٤) حوران ، بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٥) فيما عدا ل : « فإنما أنت » .

وفيهم الأحنف ، فخرج الآذِن فقال : إنّ أمير المؤمنين يعزم عليكم ألّا يتكلم أحدٌ إلّا لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمةُ أمير المؤمنين لأخبرتُه أنّ دافّةً دفّت[1] ، ونازلةً نزلت ، ونائبة نابت[2] ، ونابتةً نبتت[3] ، كلُّهم به حاجةٌ[4] إلى معروف أمير المؤمنين وبِرّه .

قال : حسبُك يا أبا بحر ، قد كَفيت الشّاهد والغائب .

وقال غيلان بن خرشة للأحنف : ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلّدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، وركِبوا الخيل ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال غيلان : وما حمية الأوغاد ؟ قال : أنْ يعدُّوا التّواهُب فيما بينهم ضَيما .

وقال عمر : العمائم تيجان العرب .

وقال : وقيل لأعرابيّ : مالَكَ لا تضعُ العمامة عن رأسك[5] ؟ قال : إنّ شيئا فيه السمعُ والبصر لحقيق بالصّون .

وقال عليُّ بن أبى طالب رضى الله عنه : جمال الرجل فى عِمّته[6] ، وجمالُ المرأة فى خُفِّها .

وقال الأحنف : استجيدوا النِّعال فإنّها خلاخيل الرّجال .

قال : وقد جرى ذِكرُ رجلٍ عند الأحنف فاغتابوه فقال : ما لكم وما له ؟ يأكل رزقَه ، ويكفى قِرْنَه ، وتحمل الأرض ثِقْلَه .

---

(١) يقال دفت دافة ، أى أتى قوم من أهل البادية قد أقحمتهم السنة .

(٢) النائبة : الأضياف ينوبون القوم وينزلون بهم .

(٣) أى نشأ فيهم صغار لحقوا بالكبار وصاروا زيادة فى العدد . اللسان (٢ : ٢ ٤٠) حيث ورد النص . وانظر أيضا (دفف) .

(٤) فيما عدا ل : « بهم » . الإفراد للفظ ، والجمع للمعنى .

(٥) ل : « من رأسك » .

(٦) فيما عدا ل : « كمته » . والكمة ، بالضم : القلنسوة .

مَسلمة بن محارب قال : قال زياد لحُرَقَة بنتِ النعمان(١) : ما كانت لذة أبيكِ ؟ قالت : إدمانُ الشراب ، ومحادَثة الرجال .

قال : وقال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفارِه ، وتبطَّنَّا الحسناء ، ولبسنا اللّيِّن حتى استخشنّاه ، وأكلنا الطيِّب حتى أجَمْناه(٢) . فما أنا اليوم إلى شيء أحوجَ منِّي إلى جليسٍ يضَعُ عنى مَئُونة التحفُّظ .

وأشاروا على عُبيد الله بن زياد بالحُقْنة ، فتفحَّشَها ، فقالوا : إنّما يتولاّها منك الطّبيب . فقال : أنا بالصاحب آنَس .

وقال معاوية بن أبي سفيان للنّخّار بن أوس العُذرىّ : ابْغِنِي محدِّثا . فقال
٢٨٨ أومعى يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم أستريح منك إليه ، ومنه إليك(٣) .

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله لأبى مريم الحَنَفىّ : والله لا أحبُّك حتى تحب الأرضُ الدمَ المسفوح : قال : فتمنعنى لذلك حقا ؟ قال : لا . قال : فَلا ضَيْر ، إنّما يأسَف على الحبِّ النِّساء(٤) .

وقال عمرُ لرجلٍ همَّ بطلاق امرأته ، فقال له لِمَ تطلِّقها ؟ قال : لا أحبُّها فقال عمر : أو كلُّ البيوت بُنِيت على الحب ؟ فأين الرعاية والتذمم .

قال : وأُتى عبدُ الملك بن مروان برجل فقال : زُبيرىٌّ عميرىٌّ ، والله لا يحبك قلبى أبدا . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يبكى على الحب المرأة ، ولكن عدلٌ وإنصاف(٥) .

---

(١) حرقة ، بضم الحاء المهملة وفتح الراء ، كما ضبطت فى اللسان والقاموس . ل : « لحرقة » تحريف .

(٢) أجم الطعام وغيره يأجمه : كرهه ومله . وبابه ضرب وتعب .

(٣) سبق الخبر فى (١ : ٣٣٣) .

(٤) انظر الخبر وتخريجه فى (١ : ٣٧٦) .

(٥) انظر (١ : ٣٧٦) وعيون الأخبار (٣ : ١١) .

عبد الله بن المبارك ، عن هشام بن عروة ، قال : نازع مروان ، ابن الزبير عند معاوية ، فرأى ابن الزُّبير مَيَلان معاوية[١] مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين : إن لك علينا حقاً وطاعة ، و إن لك سِطَةً[٢] وحُرْمةً فينا ، فأطع الله نُطعْك ، فإنّه لا طاعة لك علينا إلا فى حقّ الله . ولا تُطرِقْ إطراق الأُفْعُوان فى أصول السَّخْبَر[٣] .

أبو عبيدة ، قال : قيل لشيخ مَرّة : ما بقى منك ؟ قال : يسبقنى مَن بين يدىّ ، ويلحقنى مَن خلفى ، وأنْسَى الحديث ، وأذكر القديم ، وأنعس فى المَلاَء وأسهر فى الخلاء ، و إذا قمتُ قَرُبت الأرضُ منّى ، و إذا قعدتُ تباعَدت عنّى .

الأصمعى قال : قلت لأعرابى معه قُطَيعة شاه[٤] : لمن هذه ؟ قال: هى لله عندى .

ولما قَتل عبدُ الملك بن مروانَ مُصعبًا ودخل الكوفة ، قال : للهيثم بن الأسود النّخعى : كيف رأيتَ اللهَ صَنَع ؟ قال : قد صنَعَ خيرا ، فخفِّفِ الوطأة ؛ وأقِلَّ التّثريب[٥] .

وقال ابن عباس : إذا تَرك العالم قول لا أدرى فقد أُصِيبتْ مَقاتِلُه[٦] .

قال : وكانوا يستحسنون[٧] ألا يُجيبوا فى كلّ ما سُئلوا عنه .

---

(١) الميلان : الميل . فيما عدا ل : « أن ضلع معاوية » .

(٢) يقال وسط قومه فى الحسب يسطهم وساطة وسطة ، كعدة ، إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا . فيما عدا ل : « بسطة » تحريف .

(٣) السخبر : شجر تألفه الحيات . ل : « الشجر » صواب نصه من سائر النسخ واللسان (سخبر) .

(٤) أى قطعة صغيرة من الشاء ، طائفة منها . فيما عدا ل : « ضاجعة من شاء » . والضاجعة : الغنم الكثيرة .

(٥) التثريب : التقريع والاستقصاء فى اللوم ، والإفساد والتخليط .

(٦) كلمة « فقد » سقطت مما عدا ل ، مطابقة لما مضى فى (١ : ٣٩٨) .

(٧) فيما عدا ل : « يستحبون » .

قال : وقال عمرُ بن عبد العزيز[1] : من قال عند ما لا يدرِى لا يدرى فقد أحرَزَ نصف العلم .

وقال ابن عبّاس : إنّ لكلّ داخلٍ دَهشةً ، فآنِسوهُ بالتحيّة .

٢٨٩ قالوا : واعتذر رجلٌ إلى مسلم بن قتيبة فقال مسلم : لا يَدْعُونّك أمرٌ قد تخلّصت منه ، إلى الدُّخول فى أمرٍ لعلّك لا تخلُص منه .

قال : وكان يقال : دعوا المعاذر فإن أكثرها مَفاجر .

قال : وقال إبراهيم النَّخعىّ لعبد الله بن عون[2] : تجنَّب الاعتذار ، فإنّ الاعتذار يخالطُه الكذب .

واعتذر رجلٌ إلى أحمدَ بنِ أبى خالد فقال لأبى عبّاد : ما تقول فى هذا ؟ قال يُوهَبُ جُرْمه ، ويُضرَب لعُذره أربعمائة .

وقد قال الأول : عذره أعظم من ذنبه .

قال : وقيل لابن عباس : ولد عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رحمه الله فسُمِّىَ باسمه . فقال ابن عباس : أىُّ حقٍّ رُفع ، وأىُّ باطل وُضِع !

وقال عَبْدُ الله بن جعفر[3] لابنته : يا بنية ، إيّاكِ والغَيرة فإنّها مفتاحُ الطلاق ، وإياكِ والمعاتبة فإنّها تورث البِغْضة[4] وعليكِ بالزّينة والطِّيب ، واعلمى

---

(١) ل : « ابن عمر بن عبد العزيز » فيما عدا ل : « ابن عمر » فقط . والصواب ما أثبت مطابقا ما سبق فى (١ : ٣٩٨ س ١٥) .

(٢) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى البصرى ، روى عن ثمامة ، وأنس بن سيرين وإبراهيم النخعى والحسن والشعبى ، وعنه الأعمش والثورى وابن المبارك . ثقة ثبت ورع كثير الحديث . ولد سنة ٦٦ وتوفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٢٨) . فيما عدا ل : « لعبد الله بن عوف » تحريف .

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، كان من أجواد العرب ، ولد بالحبشة وتوفى بالأبواء سنة تسعين . المعارف ٨٩ . ل : « عبد الله » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « الضغينة » .

أنّ أزْيَنَ الزِّينة الكُحل ، وأطيبَ الطِّيب الماء .

قال : ولمّا نازع ابنُ الزبير مروانَ عند معاوية قال ابنُ الزُّبير : يا معاوية : لا تَدَعْ مروانَ يرمى جماهير قريشٍ بمَشاقِصِه ، ويضربُ صَفَاهم بمِعْوَلِه[١] ، فلولا مكانُكَ لكان أخفَّ على رقابنا من فَرَاشَةٍ ، وأقلّ فى أنفسنا من خَشَاشَةٍ[٢] . ولئن مُلِّكَ أعِنَّةَ خيلٍ تنقاد له ليَرْكبَنّ منك طَبَقًا تخافه[٣] . قال معاوية : إن يطلبْ هذا الأمرَ فقد يطمعُ فيه مَن هو دونَه ، وإن يتركْه فإنّما يتركُه لمن هو فوقه . وما أراكم بمنتهين حتّى يبعثَ الله إليكم مَن لا يعطِف عليكم بقرابةٍ ، ولا يذْكُركم عند مُلمّةٍ ، يَسومُكم خَسفا ، ويُوردكم تلَفًا ! فقال ابن الزُّبير : إذاً والله نُطْلِقَ عِقال الحرب بكتائبَ تمور كرِجل الجراد[٤] ، حافَتُها الأسَل[٥] ، لها دَوِىٌّ كدَوِىِّ الرِّيح ، تتبع غِطْريفا من قريشٍ لم تكن أُمُّه براعية ثَلّةٍ[٦] . فقال معاوية : أنا ابنُ هند ، إنْ أطلقتُ عِقال الحرب أكلَتْ ذِروة السَّنام[٧] ، وشربَتْ عُنفُوانَ المَكْرَع[٨] ، وليس للآكل إلاّ الفِلْذةُ ، ولا للشارب إلا الرَّنْق[٩] .

---

(١) المشاقص : جمع مشقص ، كمنبر ، وهو النصل العريض ، أو سهم فيه ذلك . والصفا : جمع الصفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم . فيما عدا ل : « يضرب صفاتهم بمعاوله » .

(٢) الخشاشة : واحدة الخشاش ، بكسر الخاء وفتحها ، وهى حشرات الأرض وهوامها .

(٣) فى اللسان (١٢ : ٨١) : « تنقاد له فى عثمان » . ليركبن طبقا ، أى ليركبن منك مركبا صعبا وحالا لا يمكن تلافيها .

(٤) الرجل ، بالكسر : الجراد الكثير .

(٥) الأسل : الرماح . فيما عدا ل : « حافاتها الأسل » .

(٦) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم .

(٧) فيما عدا ل : « أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام » .

(٨) عنفوان المكرع ، أى أوله .

(٩) الرنق ، بالفتح ، والتحريك ، وبفتح فكسر : الكدر .

بكر بن الأسود[١] قال : قال الحسن بن علىّ لحبيب بن مَسْلَمة[٢] رُبَّ
٢٩٠ مَسِيرٍ لك فى غير طاعةِ الله . فقال : أمّا مسيرى إلى أبيك فلا . قال : بَلَى ، ولكنّك أطعت معاويةَ على دنيا قليلة ، فلعمرى لئن قام بك فى دنياك ، لقد قَعَدَ بك فى دينك . ولو أنّك إذْ فعلت شرًّا قلتَ خيرا ، كنت كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ ، ولكنّك كما قال جلّ وعز : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون ﴾ .

قال أبو الحسن : سمعتُ أعرابيًّا فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر ، سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول : أمّا بعد فإنّا أبناءُ سبيل ، وأنضاء طريق ، وفَلُّ سنة ، فتصدّقُوا علينا ؛ فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غِنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت . أمَا والله إنّا لَنقومُ هذا المقام وفى الصّدر حَزازة ، وفى القلب غُصّةٌ .

وقال الأحنف بخراسان : يابنى تميم ، تحابُّوا تجتمعْ كلمتُكُم ، وتباذلوا تعتدلْ أموالكم ، وابدءوا بجهاد بُطونكم وفروجكم يصلُحْ لكم دينكم ، ولا تَغُلُّوا يسلَمْ لكم جهادُكم .

ومن كلام الأحنف السّائرِ فى أيدى الناس : الزم الصّحةَ يلزمْك العمل .

وسئل خالد بن صفوان عن الكوفة والبصرة فقال[٣] : « نحنُ منابتُنا قصَب ، وأنهارنا عَجَب ، وسماؤنا رُطَب ، وأرضنا ذهب » . وقال الأحنف : « نحن أبعَدُ منكم سَرِيّة ، وأعظم منكم بَحْرِيّة ، وأكثر منكم ذُرّيّة ، وأغذَى

(١) بكر بن الأسود ، ويقال ابن أبى الأسود ، أبو عبيدة الناجى ، أحد الزهاد ، وكان رأسا فى القدر ، روى عن الحسن . لسان الميزان .

(٢) هو أبو عبد الرحمن حبيب بن مسلمة بن مالك القرشى المكى ، وكان يسمى « حبيب الروم » لمجاهدتهم أو لكثرة دخوله عليهم . مختلف فى صحبته . مات فى خلافة معاوية سنة ٤٢ . تهذيب التهذيب والإصابة ١٥٩٥ .

(٣) فيما عدا ل : « وقال خالد بن صفوان وسئل عن الكوفة والبصرة » .

منكم بَرِيَّةً[١] » . وقال أبو بكر الهذلي : « نحن أكثرُ منكم ساجاً وعاجا ، وديباجا وخراجا ، ونهرا ثَجّاجا[٢] » .

وكتب صاحبٌ لأبي بكر الهذليّ إلى رجل يعزّيه عن أخيه : « أوصيك بتقوى الله وحدَه ؛ فإنّه خَلقك وحده ، ويبعثُك يومَ القيامة وحدَه . والعجَبُ كيف يعزّى ميِّتٌ مَيْتاً عن مَيْت . والسلام » .

وقال رجل لابن عَيّاشٍ[٣] رحمه الله : أيّما أحبُّ إليك : رجلٌ قليل الذنوب قليل العمل ، أو رجلٌ كثير الذُّنوب كثير العمل ؟ فقال : ما أعدِلُ بالسّلامة شيئاً .

وقال آخر : حماقة صاحبي أشدُّ ضرراً عليّ منها عليه .

شُعبَةُ أبو بسطام[٤] قال : قال عبد الرحمن بن أبي لَيلَى : لا أُمارى أخى ، فإمّا أنْ أُكذِبَه ، وإمّا أن أُغضِبه .

وقالوا : أخذ رجلٌ على ابن أبي ليلى كلِمَةً[٥] ، فقال له ابنُ أبي ليلىٰ : ٢٩١
أهْدِ إلينا من هذا ما شئت[٦] .

ولما مات ابنُ أبي ليلى ، وعمرُو بن عُبيد ، رحمها الله تعالى ، قال أبو جعفر المنصور : ما بقى أحدٌ يُستَحَى منه .

ولمّا مات عبدُ الله بن عامر[٧] قال معاوية : رحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نُفاخِرُ ؟

---

(١) أعذى ، من العذاة ، وهى الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت .

(٢) سبق الخبر بلفظ آخر فى (١ : ٣٥٧) .

(٣) فيما عدا ل : « لابن عباس » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) فيما عدا ل : « قال وأخذ على ابن أبى ليلى رجل من جلسائه » .

(٦) فى حواشى التيمورية : « أى نبهنا عليه . وهذا من الإنصاف أن ينبه الرجل على خطائه فيرضى » .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٨) .

مَسلمة بن محارب[١] قال : قال زياد : ما قرأتُ كتابَ رجلٍ قطُّ إلا عرفتُ فيه عقلَه .

أبو معشر[٢] قال : لما بلغ عبدَ الله بن الزُّبير قتلُ عبد الملك بن مروان عمرَو ابنَ سعيد الأشدق ، قام خطيبا . فقال : إن أبا الذِّبَّان قَتَل لطيم الشيطان ، ﴿ كَذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . ولما جاءه قتلُ أخيه مُصْعَب ، قام خطيباً بعد خُطبته الأولى . فقال : إنّ مُصعبا قدّم أيرَه وأخّر خيرَه ، وتشاغَلَ بنكاح فلانة وفلانة ، وترَكَ حلْبة أهلِ الشام حتّى غشيَتْه فى داره . ولئن هَلَكَ مصعبٌ إنّ فى آل الزُّبير منه خلَفًا .

قالوا[٣] : ولما قدِم ابنُ الزُّبير بفتح أفريقيّة ، أمَرَه عثمانُ فقام خطيباً ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان : أيُّها الناس أنكِحوا النِّساء على آبائهنّ وإخوتهنّ ؛ فإنّى لم أرَ فى ولد أبى بكر الصديق أشبَهَ به من هذا .

وسمع عمر بن الخطاب رحمه الله أعرابيّا يقول : اللهمَّ اغفر لأمّ أوْفَى . قال : ومَن أمّ أوفى ؟ قال : امرأتى ، وإنّها لحمقاء مِرْغامَةٌ[٤] ، أكول قامّةٌ[٥] ، لا تَبقَى لها خامّةٌ[٦] ، غير أنّها حسناء فلا تُفرَكُ ، وأمُّ غِلمان فلا تُترَكُ .

قالوا : ودفعُوا إلى أعرابيّة عِلكًا[٧] لتمضَغه ، فلم تفعلْ ، فقيل لها فى ذلك فقالت : ما فيه إلا تعبُ الأضراس ، وخَيْبة الحنجرة .

---

(١) ترجمته فى ص ٤٨ من هذا الجزء .
(٢) ترجم فى (١ : ٤٠٦) حيث ورد الخبر التالى .
(٣) سبق الخبر فى (١ : ٤٠٦) .
(٤) المرغامة : المبغضة لبعلها . والخبر فى اللسان (١٥ : ١٣٨) .
(٥) قم ما على المائدة : أكله فلم يدع منه شيئاً .
(٦) الخام : ما تغير ريحه من لحم أو لبن ونحوهما . يقال خم وأخم أيضا . والكلمة محرفة فى النسخ وصوابها من اللسان ، فنى ل : «جامة» وفيما عدا ل : «حامة» .
(٧) العلك ، بالكسر : ضرب من صمغ الشجر كاللبان ، يمضغ فلا يماع .

وكان أبو مسلمٍ استشارَ مالك بن الهيثم ، حِينَ وردَ عليه كتابُ المنصور فى القُدوم عليه ، فلم يُشرِ عليه فى ذلك ، فلما قُتل أبو مسلم أذكره ذلك ، فقال ابنُ الهيثم : إنّ أخاك إبراهيم الإمامَ حدّث عن أبيه محمد بن على أنه قال : لا يزال الرّجل يُزَادُ فى رأيه ما نصح لمن استشاره ، وكنتُ له يومئذ كذلك ، وأنا لك اليوم كذلك .

وقال الحسن : التّقدير نصف الكسب ، والتودُّد نصف العقل ، وحُسن طلب الحاجة نصف العلم .

قال : وقال رَجل لعمرو بن عُبيد : إنّى لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : أسمعتنى أذكر[1] فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال : إيّاهم فارحَمْ . ٢٩٢

ومدح نُصَيب أبو الحجناء عبدَ الله بنَ جعفر ، فأجزَلَ له من كلِّ صِنف . فقيل [له] : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ قال : أمَا والله لئن كان جلدُه أسودَ إنّ ثناءه لأبيض[2] ، وأن شِعرَهُ لعربىّ ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وإنّما أخذَ رواحلَ تُنضَى ، وثياباً تَبلَى ، ومالاً يفنَى ؛ وأعطى مديحاً يُروَى ، وثناءً يبقى .

ووقف أعرابىٌّ فى بعض المواسم . فقال : اللهم إنّ لك علىّ حقوقاً فتصدّق بها علىّ ، وللنّاس قبلى تَبِعاتٍ فتحمّلْها عنى ، وقد أوجبتَ لكلِّ ضيف قِرَى وأنا ضيفُك ، فاجعل قِرَاىَ فى هذه اللّيلة الجنّة .

ووقف أعرابيٌّ يسألُ قوماً فقالوا له : عليك بالصَّيارفة . فقال : هناكَ والله قَرَارَةُ اللؤم .

---

(١) فيما عدا ل : « أفتسمعنى أقول » .

(٢) الثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم .

وقال مَسلمة : ثلاثةٌ لا أعذِرهم : رجلٌ أحفى شاربَه ثم أعفاه[1] ، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ، ورجلٌ كان عنده سراريُّ فتزوّجَ حُرّة .

أبو إسحاق قال : قال حذيفة : كُن فى الفتنة كابنِ لَبُون ، لا ظَهرَ فيُرْكب ، ولا لبنَ فيُحلَب .

وقال الشّاعر وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا :

ألم تَرَ أنّ النّاب تُحلَبُ علبةً ... ويُترَكُ ثِلْبٌ لا ضِرَابٌ ولا ظَهرُ[2]

عُتبة بن هارون قال : قلت لرؤبة : كيف خلّفتَ ما وراءك ؟ قال : التراب يابس ، والمرعى عابس .

وقال معاوية لعبد الله بن عباس : إنّى لأعلم أنّك واعظ نفسه ، ولكنّ المصدور إذا لم ينفُث جَوِىَ .

وقيل لعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النُّسُك والفضل والفقه ؟ فقال : « لا بد للمصدور من أن ينفث[3] » .

قال أبو الذّيّال شُوَيسٌ[4] : « أنا والله العربىُّ ، لا أرقّع الجُرُبّان ،

(١) إحفاء الشارب : أن يبالغ فى قصه . وإعفاؤه : إطالته وتوفيره . فيما عدا ل : « أحفى شعره » . وفى الحديث أنه أمر أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى .

(٢) الثلب ، بالكسر : الجمل الذى انكسرت أنيابه من الهرم .

(٣) سبق الخبر فى (١ : ٣٥٧) .

(٤) ل : « قال أبو الذيال قال شريس » وفيما عدا ل : « قال أبو الذيال قال شويس » وكلاهما خطأ ؛ فإن « شويسا » بالواو ، هو أبو الذيال عينه ، كما فى تنبيه البكرى على الأمالى ١٢٤ ؛ فإنه أورد نص القالى فى الأمالى (٢ : ٢٤٧) وقال : « وهذا الكلام لأبى الذيال شويس الأعرابى العدوى » . وفى الإصابة ٣٩٨٣ أنه « شويس بن حباش العدوى » . والنص عند البكري : قال : أنا ابن التارغ ، أنا والله العربى المحض ، لا أرقع الجربان ، ولا ألبس التبان ولا أحسن الرطانة ، وإنى لأرسب من رصاصة ، وما قرقنى إلا الكرم » . قال البكرى : « قوله أنا ابن التارغ ، يعنى أنه ولد سنة الهجرة » . والجربان : جيب القميص . والتبان : السراويل الصغير مقدار الشبر . نفى عن نفسه لبس العجم ، ولبس الملاحين . والعرب إنما كانت تلبس الإزار والرداء . وقوله « ما قرقنى إلا الكرم » قال أبو عبيد : « يعنى أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا فى أهله فجاء ولده ضاويا » . وفى اللسان (قرقم) : « أى إنى جئت ضاويا لكرم آبائى وسخائهم بطعامهم عن بطونهم » .

ولا ألبس التُّبَّان ، ولا أُحسن الرِّطانة ، ولأنا أرْسَى من حَجرٍ ، وما قرقَنى إلاّ الكرم » .

أبو الحسن وغيره قال : قال عَمرو بن عتبة بن أبى سفيان ، للوليد بن يزيد ابن عبد الملك ، وهو بالبَخراء[١] من أرض حِمص : يا أمير المؤمنين ، إنّك لَتستنطقنى بالأُنْسِ بك ، وأكفُّ عن ذلك بالهيبة لك ، وأراك تأمَن أشياء ٢٩٣
أخافها عليك ، أفأسكتُ مطيعاً ، أم أقولُ مشفقا ؟ قال : كلُّ ذلك مقبولٌ منك ، ولله فينا علمُ غيبٍ نحن صائرون إليه ، وتَعُود فتقول[٢] . قال : فقُتِل بعد أيّام .

وكان أيّوب السَّختيانىّ يقول : لا يَعرف الرّجلُ خطأَ معلّمه حتّى يسمع الاختلاف .

وقال بعضُهم[٣] : كنت أجالس ابنَ صُعَيْرٍ فى النَّسب[٤] ، فجلست إليه يوماً فسألتُه عن شىء من الفقه ، فقال : ألك بهذا من حاجة ؟ عليك بذلك — وأشار إلى سعيد بن المسيّب[٥] — فجلستُ إليه لا أظُنُّ أنّ عالِماً غيرُه . ثم تحوّلت إلى عُروة[٦] ، ففتقت به ثَبَجَ بحرٍ[٧] .

قال : وقلت لعثمان البَزّىّ[٨] : دُلّنى على باب الفقه . قال : اسمع الاختلاف .

(١) فى معجم ما استعجم : « البخراء : أرض بالشام ، سميت بذلك لعفونة فى تربتها ونتنها » .

(٢) فيما عدا ل : « وتعود فتقول » .

(٣) هو الزهرى ، كما فى اللسان (ثبج) .

(٤) أى فى تعلم النسب .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٢) .

(٦) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدى . روى عن أبيه وأخيه عبد الله ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وخالته عائشة ، وعلى وغيرهم . وكان ثقة كثير الحديث فقيها . ولد فى آخر خلافة عمر سنة ٢٣ وتوفى سنة ٩٤ وهى سنة الفقهاء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٧) .

(٧) ثبج البحر والليل : معظمه .

(٨) مضت ترجمته فى (١ : ٢٢) . ل : « المزى » صوابه فى سائر النسخ .

وقيل لأعرابى : عند مَن تحبُّ أن يكون طعامُك ؟ قال : عنـد أمّ صبيٍّ راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبيرٍ جائع ، أو ذى رحم قاطعٍ .

وقال بعضهم : إذا اتّسعت المقدرة نقصت الشهوة . قال : قلت له[١] : فمن أسوأُ النّاس حالاً ؟ قال : مَن اتسعت معرفتُه ، و بعُدت همّته ، وقويت شهوتُه ، وضاقت مقدرتُه .

وذُكر عند عائشة رحمها الله الشرفُ فقالت : كلُّ شرفٍ دُونه لُؤمٌ فاللُّؤمُ أولى به ، وكلّ لؤم دونه شرفٌ فالشّرفُ أولى به .

ودخل رجلٌ على أبى جعفر ، فقال له : اتّق الله . فأنكر وجهَه . فقـال : يا أمير المؤمنين ، عليكم نزلَتْ ، ولـكمْ قيلت ، و إليكم رُدَّت .

وقال رجلٌ عند مَسلمة : ما استرحْنَا مِن حائك كِندةَ حتّى جاءنا هـذا المَزُونىّ[٢] ! فقال له مسلمة : لَمتقول هذا لرجلٍ سار إليه فريقَا قريش ؟ يعنى نفسه والعباسَ بنَ الوليد . إنّ يزيدَ[٣] حاولَ عظيماً ، ومات كريما .

عبدُ الله بن الحسن قال : قال علىّ بن أبى طالب رحمه الله : خُصِصْنَا بخمسٍ : فصاحةٍ ، وصباحةٍ ، وسماحةٍ ، ونجدةٍ ، وحُظوةٍ — يعنى عند النّساء .

علىّ بن مجاهد ، عن هشام بن عروة[٤] ، عن أبيه ، عن عائشـة قالت : جُبِلتِ القلوبُ قلوبُ الناس[٥] على حُبِّ مَن أحسَنَ إليها ، و بُغض من أساء إليها .

---

(١) هذه الـكلمة من ل فقط .

(٢) المزونى : نسبة إلى المزون ، بالفتح ، وهى أرض عمان . وفى حواشى التيمورية : « يعنى بحائك كندة عبد الرحمن بن الأشعث ؛ لأنه خرج علىّ عبد الملك ، ومن أجله كان يوم دير الجماجم ، ولم يكن حائكا ولـكنه كان من اليمن ، وكان النسج الرفيع باليمن . والمزونى هو يزيد بن المهلب ، وكان أيضا قد خرج على عبد الملك إلى أن ظفر به مسلمة » .

(٣) ب ، حـ : « ويزيد بن المهلب » . التيمورية : « والعباس بن الوليد بن يزيد بن المهلب » . والعبارة الأخيرة محرفة .

(٤) هو هشام بن عروة بن الزبير المترجم فى (١ : ٢٥٢) .

(٥) هاتان الـكلمتان من ل فقط .

وقال الأصمعيّ : كُتِبَ كتابُ حكمةٍ فبقيتْ منه بقيّة فقالوا : ما نكتب ؟ قال : اكتبوا : « يُسْأَل عن كلّ صناعةٍ أهلُها » . ٢٩٤

وقال شَبيب بن شيبةَ للمهديّ : إنّ الله لم يرضَ أن يجعلك دونَ أحدٍ من خلقه ، فلا ترضَ لنفسك أن يكون أحدٌ أخوفَ لله منك .

وقال يحيى بن أكثم : «سِياسة القضاء أشدُّ من القضاء» . وقال : «إنّ من إهانة العلم أن تجارِيَ فيه كلَّ من جارَاك» .

قال : وحمَّل رقبةُ بن مَصْقَلة من خراسان رجلاً إلى أمّه خمسمائةِ درهم ، فأبى الرجل أن يدفعَها إليها حتّى تكون معها البيّنةُ على أنها أمّه ، فقالت لخادمٍ لها : اذهبي حتى تأتينا ببعض مَن يعرفُنا ، فلما أتاها الرجل برزَت فقالت : الحمد لله ، وأشكو إلى الله الذى أبرزَنى وشهّر بالفاقة أهلى . فلمّا سمع الرجلُ كلامها قال : أشهد أنكِ أمّه ، فرُدِّى الخادمَ ولا حاجة بنا إلى أنْ تجيئى بالبينة[1] .

قالوا : كان الحسن يقول فى خُطبة النكاح ، بعد حَمْد الله والثناء عليه : « أمّا بعدُ فإنّ الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المُنقطعة ، والأنسابَ المتفرقة ، وجعل ذلك فى سنّةٍ من دينه ، ومِنهاج واضحٍ من أمره ، وقد خطب إليكم فلانٌ ، وعليه من الله نِعمة » .

عامر بن سعد[2] قال : سمعت الزُّبيرَ[3] يعزّى عبدَ الرحمن[4] على بعض

---

(١) فيما عدا ل : « أن تجىء البينة » .

(٢) هو عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهرى ، أحد ثقات الحديث من التابعين المدنيين توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو الصحابى الجليل الزبير بن العوام الأسدى ، حوارى رسول الله ، وابن عمته ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، والستة أصحاب الشورى . قتله عمرو بن جرموز منصرفه من الجمل سنة ٣٦ . الإصابة ٢٧٨٣ .

(٤) هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف ، أحد العشرة والستة . وكان ممن حرم على نفسه الخمر فى الجاهلية . توفى سنة ٣١ وصلى عليه عثمان ، وقيل صلى عليه الزبير . الإصابة ٥١٧١ .

نسائه ، فقال وهو قائمٌ على قبرها : لا يَصْفَرْ رَبْعُكِ[١] ، ولا يوحِشْ بيتُك ، ولا يَضِع أجرُكِ . رحم الله مُتوفَّاك ، وأحسَنَ الخلافةَ عليك .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : خيرُ صناعات العرب أبياتٌ يقدِّمها الرَّجلُ بين يدى حاجته ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف اللَّئيم .

وقال : وَلِمَ مُصعب بن الزُّبير على طول خطبته عشيَّة عرفة فقال : أنا قائمٌ وهم جلوس ، وأتكلَّم وهم سكوت ، ويضجرون !

وقال موسى بن يحيى : كان يحيى بن خالد يقول : ثلاثة أشياء تدلُّ على عقول أربابها : الكتاب يدلُّ على مقدار عقل كاتبه ، والرَّسولُ على مقدار عقل مُرسِله ، والهديَّةُ على مقدار عقل مهديها .

وذكر أعرابى أميراً فقال : يقضى بالعَشْوة[٢] ، ويطيل النَّشوة ، ويقبل الرِّشوة . ٢٩٥

وقال يزيد بن الوليد : إنَّ النَّشوة تحلُّ العُقدة ، وتُطلق الحُبْوة . وقال : إيّاكم والغِناء ، فإنّه مفتاح الزِّنَى .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : إذا توجَّه أحدكم فى وجهٍ ثلاثَ مرّات فلم يصبْ خيراً فليدَعْه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا تكوننَّ كمن يعجز عن شكر ما أُوتى ، ويبتغى الزِّيادةَ فيما بقى ، ينهَى ولا ينتهى ، ويأمر الناس بما لا يأتِى ؛ يحبُّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويُبغض المُسيئين وهو منهم ؛ يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ولا يدَعُها فى طول حياته .

---

(١) الربع : المنزل ، وقيل المنزل فى الربيع خاصة . صفر يصفر ، من باب تعب : خلا .

(٢) العشوة ، بتثليث العين : الأمر الملتبس .

وقال أعرابىّ : خرجتُ حين انحدرَتْ أيدى النُّجومِ وشالت أرجلُها ، فلم أزَلْ أصدع الليل حتى انصدع الفجر .

قال : وسألتُ أعرابيًّا عن مسافةِ ما بين بلدين فقال : عُمرُ ليلةٍ ، وأديمُ يومٍ . وقال آخر : سواد ليلةٍ ، و بَياض يومٍ .

وقال بعض الحكماء : لا يضرك حبُّ امرأةٍ لا تعرفها .

وقال رجلٌ لأبى الدَّرداء : فلان يُقرئك السَّلام . فقال : هديّة حسنة ، ومَحمَل خفيف .

وسرق مُزَبِّد[1] نافجةَ مِسك فقيل له : إنّ كلَّ مَن غلَّ يأتى يوم القيامة بما غلَّ[2] يحمله فى عنقه ، فقال : إذاً والله أحملُها طيِّبةَ الريح ، خفيفةَ المحمَل .

قيل : ومِن أبخل البُخل تَركُ السَّلام .

قال ابن عُمر : لَعمرِى إنّى لأرى حقَّ رجْعِ جواب الكتاب كردِّ السَّلام .

وجاء رجلٌ إلى سَلْمان[3] فقال : يا أبا عبد الله ، فلان يقرئك السلام . فقال : أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانةً فى عنقك .

---

(١) مزبد المدينى ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة ، ويقع التحريف فى اسمه كثيرا فيقال « مزيد » بالياء المثناة التحتية . وفى تاج العروس (٢ : ٣٦١) : « ومزبد كمحدث : اسم رجل ، صاحب النوادر . وضبطه عبد الغنى وابن ما كولا كمعظم . وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربى . ووجد بخط الذهبى سا كن الزاى مكسور الموحدة » . وقد رجعت إلى المشتبه الذهبى ص ٤٧٥ فوجدت فيه : « وبزاى وبموحدة مكسورة : مزبد صاحب النوادر » . فى ضبطه أقوال ثلاثة . وله حديث فى ثمار القلوب ٣٧٢ والحيوان (٥ : ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣) . وقال التوحيدى فى شأن الجاحظ « وإن هزل زاد على مزبد » . انظر المقابسات ٥٥ .

(٢) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٣) فيما عدا ل : « سليمان » تحريف . والخبر رواه ابن الجوزى فى ترجمة سلمان الفارسى . انظر صفة الصفوة (١ : ٢١٨ س ١٣ — ١٥) ونصه : « عن أبى قلابة أن رجلا دخل على سلمان وهو يعجن فقال : ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم فى عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين . ثم قال : فلان يقرئك السلام . قال : متى قدمت ؟ قال : منذ كذا وكذا . فقال : أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها » . وكنية سلمان أبو عبد الله ، ويقال له =

وقال مثنى بن زهير لرجل : احتفظ بكتابى هذا حتى توصله إلى أهلى ؛ فمن العجب أنّ الكتاب ملقًّى ، وأنّ السكرانَ موقًّى .

وكان عبد الملك بن الحجاج يقول : لأنا لِلعاقِلِ المُدْبِرِ أرجى من الأحمق المُقْبل .

وقال : إيّاك ومصاحبةَ الأحمق ؛ فإنّه ربما أراد أن ينفعك فضرّك .

وكتب الحجاج إلى عامل له بفارس : «ابعث إلىّ بعسلٍ من عَسَلِ خُلاّر[1] من النَّحل الأبكار ، من الدَّسْتَفْشَار[2] ، الذى لم تمسَّه النار » .

وقال الشاعر :

٢٩٦ وما المرء إلا حيثُ يجعـل نفسَه ... ففى صالح الأخلاق نفسَك فاجْعلِ[3]

قال : ونظر أبو الحارث جُمَّين[4] ، إلى بِرذَون يُستقى عليه الماء فقال :

* وما المرء إلا حيث يجعل نفسه *

لو أن هذا البِرذون هملَجَ ما صُنِعَ به هذا .

عمرو بن هُدَّاب قال : قال سَلْمُ بن قتيبة : رَبُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه .

وقال محمّد بن واسع : « الإبقاء على العمل أشدُّ من العمل » .

وقال يحيى بن أكثم : « سياسةَ القضاء أشدُّ من القضاء » .

= سلمان ابن الإسلام ، وسلمان الخير . وأصله من رامهرمز وقيل من أصبهان ، سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه من اليهود ، ثم إنه كوتب فأعانه النبي صلى الله عليه وسلم فى كتابته. أسلم مقدم النبي المدينة ، وشهد الخندق وما بعدها . وولاه عمر المدائن . انظر الإصابه . ٣٣٥ .

(١) خلار ، كرمان : موضع يكثر به العسل الجيد . والخبر فى اللسان (خلر) .

(٢) الدستفشار : لفظ فارسى معناه المعصور باليد ، مركب من « دست » بمعنى يد ، و « أفشار » بمعنى معصور . انظر الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٦٤ .

(٣) ل فقط : « فافعل » .

(٤) أبو الحارث جمين ، أو جميز ، أحد أصحاب الفكاهة من معاصرى الجاحظ ، ودعبل ابن على ، وابن سيابة . انظر بعض أخباره فى الأغانى (١ : ١١/٣٧ : ١٧/٦ : ٤٤) وجمع الجواهر للحصرى ٦٣ ، ٦٤ . وصاحب القاموس يرى أن لفظ « جمين » خطأ ، والصواب « جميز » . وقال فى مادة (جمن) : « ضبطه المحدثون بالنون ، والصواب بالزاى المعجمة . أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا ... قد أوتى الحكمة والميزا » .

وقال محمد بن محمد الخمراني[1] : «من التوقِّي تركُ الإفراط في التوقي» .

وقال أبو قُرَّة : «الجوع للحِمْية أشدُّ من العلة» .

وقال الجمّاز : «الحمية إحدى العلّتين» . وقال العتبى[2] : «مَن احتمى فهو على يقينٍ مِن تعجيل المكروه ، وفي شكّ مما يأمُل من دوام الصحّة» .

وذكر أعرابيٌّ رجلا فقال : مُحمَّى المُعافَى ، حَنُوطُ المُبتَلى[3] .

وقال عمر[4] : اعتبر عزمَه بحِمْيَته ، وحزْمَه بمتاعِ بيته .

وقال[5] : أمرانِ لا ينفكان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدّة الاعتذار .

وقيل لرجلٍ من الحكماء : ما جُمّاعُ البلاغة ؟ قال : معرفة السّليم من المعتلّ ، وفصل ما بين المُضمّن والمُطلَق ، وفرقِ ما بين المشترَك والمفرد ، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيّد .

وقال سهل بن هارون في صدر كتابٍ له : «وَجَبَ[6] على كلّ ذي مقالةٍ أنْ يبتدئْ بالحمد لله قبل استفتاحها ، كما بُدئْ بالنّعمة قبل استحقاقها» .

وقال أبو البِلاد[7] :

وإنّا وجَدنا النّاس عُودَين طيِّباً ... وعُودًا خبيثاً لا يَبِضُّ على العَصْرِ[8]

تَزِينُ الفتى أخلاقُه وتَشِينُه ... وتُذكَرُ أخلاقُ الفتى وهو لا يدرى

وقال آخر في هذا المعنى :

سابِقْ إلى الخيرات أهل العلا ... فإنّما النّاسُ أحاديثُ ٢٩٧

كلُّ امرئٍ في شأنه كادحٌ ... فوارثٌ منهمْ وموروثُ

---

(١) انظر ما سبق في (١ : ٢٦٥ س ٥) .
(٢) فيا عدا ل : «القمى» .
(٣) فيا عدا ل : «حمى المبتلى حنوط المعافى» .
(٤) هذه الكلمة من ل فقط .
(٥) فيا عدا ل : «وقالوا» .
(٦) فيا عدا ل : «واجب» .
(٧) سبقت ترجمته في (١ : ٣٥٤) .
(٨) لا يبض : لا يخرج منه ماء .

ولما قال حَمَلُ بن بدر ، لبنى عبس ، والأسنَّةُ فى ظهورهم ، والبوارقُ فوق رءوسهم : « تُؤدِّى السَّبَق[١] ، ونَدِى الصِّبْيان وتُخْلُون سِربَنا ، وتسودون العرب » انتهره حذيفةُ فقال : إيّاكَ والكلامَ المأثور !

وقال الشاعر :

اليوم خمرٌ ويبدو فى غدٍ خبرٌ ... والدّهرُ من بين إنعامٍ وإبآسِ[٢]

قال: وقال أعرابىّ : « إنّ المسافرَ ومتاعَهُ لعلى قلتٍ[٣] إلاّ ما وَقَى الله » .

وقالوا : السَّفَر قطعة من العذاب ، وصاحبُ السَّوء قطعةٌ من النار .

قال : وجلس معاوية بالكوفة يُبايع الناس على البراءة مِن علىّ رحمه الله ، فجاءه رجلٌ من بنى تميم ، فأراده على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين : نُطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت إلى المغيرة فقال : إن هذا رجلٌ ، فاستوصِ به خيراً .

وقال الشاعر[٤] :

قالت أُمامةُ يومَ بُرْقةِ واصلٍ ... يا ابن الغَدير لقد جعلتَ تَغيَّرُ

أصبحتَ بعد زمانك الماضى الذى ... ذهبَتْ شبيبتُه وغصنُك أخضرُ

شيخاً دِعامتُك العصا ومشيَّماً ... لا تبتغى خبراً ولا تُستخبَرُ

قالوا : وكان شُريحٌ فى الفتنة يستَخبِرُ ولا يُخبِر . وكان الرّبيع بن خُثَيم لا يُخبِر ولا يَستخبِر . وكان مطرِّف بن عبد الله يَستخبِر ويُخبِر . قالوا : فينبغى أن يكون أعقلهم .

---

(١) السبق ، بالتحريك : الخطر يوضع بين أهل السباق . وقد قال حمل هذا القول فى يوم الهباءة . انظر الحيوان (٣ : ١١٧/٥ : ٢٩٤) . ومعجم البلدان ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٥٢) والعمدة (٢ : ١٦١) والميدانى (٢ : ٢٦٣) والخزانة (١ : ٣٠٣/٣ : ٣٥٨/٤ : ٥٨٥) .

(٢) سبق البيت فى (١ : ١٧٧) .

(٣) القلت ، بالتحريك : الهلاك . والخبر فى اللسان (قلت) . ل فقط « على قلت » .

(٤) هو حسان بن الغدير : انظر خبر الشعر واختلاف الرواية فى الأمالى (٣ : ٨٩) .

قال أبو عبيدة : كان ابن سيرينَ لا يَستخبر ولا يُخبِر ، وأنا أخبر وأستخبر .

وقال أبو عمرو بن العلاء لأهل الكوفة : لكم حَذْلَقةُ النَّبطِ وصَلَفُهم[1] ، ولنا دهاء فارسَ وأحلامُها .

وأنشدوا للحارث بن حلِّزة اليشكرى :

لا أعرِفنْكَ إن أرسلتُ قافيةً   تُلقِى المَعاذِيرَ إن لم تنفع العِذَرُ[2]
إنّ السّعيدَ له فى غيره عظَةٌ   وفى التّجارب تحكيمٌ ومُعْتَبَرُ ٢٩٨

ومعنى المعاذير هنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن : ﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ . والمعاذير هاهنا : السُّتُور[3] .

وقال : أراد رجلٌ الحجّ فسلّمَ على شُعبة بن الحجّاج[4] فقال له : أمَا إنّكَ إن لم تعُدّ الحِلم ذُلاًّ ، ولا السّفَهَ أنفًا ، سلِمَ لك حَجُّك .

وقالوا : وكان علىٌّ رضى الله عنه بالكوفة قد مَنَعَ النّاسَ من القُعود على ظهر الطريق ، فكلّموه فى ذلك فقال : أدعُكم على شريطة . قالوا : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : غَضُّ الأبصار ، وردُّ السلام ، و إرشاد الضالّ . قالوا : قد قبِلنا . فترَكهم .

وكان نوفلُ بن أبى عقرب ، لا يقعد على باب داره[5] ، وكان عامراً بالمارّة

---

(١) الحذلقة : التظرف والتكيس . ل : «وسلفهم» . التيمورية : «وصلقهم» صوابهما فى ب ، جـ . وفى اللسان : «الصلف مجاوزة القدر فى الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا» . وفيه : «رجل حذلق : كثير الكلام صلف» .
(٢) المعاذير : الحجج . والعذر : جمع عذرة ، بالكسر ، وهى العذر .
(٣) هى الستور بلغة أهل اليمن ، واحدها معذار .
(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .
(٥) فيما عدا ل : «لا يجلس إلا على باب داره» تحريف .

فقيل له : إنّ فى ذلك نَشْرَةً[١] ، وصَرْفَ النفوس عن الأمانى ، واعتباراً لمن اعتبَر ، وعظةً لمن فكّر . فقال : إنّ لذلك حقوقا يعجِز عنها ابنُ خَيْثمة[٢] . قالوا : وما هى ؟ قالوا : غضّ البصر ، وردُّ التحيّة ، وإرشاد الضالّ ، وضَمُّ اللُّقَطَة ، والتعرُّض لطُلاَّب الحوائج ، والنّهىُ عن المنكر . والشُّغْلُ بفضول النظر ، الداعيةِ إلى فضول القول والعمل ، عادةٌ إن قطعتَها اشتدّت وَحشتك لها ، وإنْ وصلتَها قطعتْك عن أمورٍ هى أولى بك منها .

وقال الفضيل بن عياض[٣] ، لسفيانَ الثورىّ : دُلَّنى على جليسٍ أجلس[٤] إليه . فقال : هيهاتَ ، تلك ضالّةٌ لا توجَد .

وقيل لبعض العلماء : أىّ الأمور أمتع ؟ فقال : مجالسةُ الحكماء ومذاكرةُ العلماء .

وقيل لعبد الرحمن بن أبى بَكْرة : أىّ الأمور أمتع ؟ فقال : الأمانىّ .

وقال رجاء بن حَيْوَة : لعبد الملك بن مروان ، فى أسارى ابنِ الأشعث : إنّ الله قد أعطاك ما تحبّ من الظّفَر ، فأعطِ اللهَ ما يحبّ من العفو .

وقال هُرَيم بن عدىّ بن أبي طَحْمة[٥] ، ليزيد بن عبد الملك بعد ظفره بيزيدَ بنِ المهلَّب : ما رأينا أحداً ظُلِم ظُلْمَك ، ولا نُصر نصرَك ، ولا عفا عفوك .

وذمّ رجلٌ رجلاً فقال : سيّئُ الروِيّة ، قليل التّقيّة ، كثيرُ السِّعاية ، ٢٩٩
قليل النّكاية .

---

(١) النشرة بالفتح : النسيم الذى يحيي الحيوان . انظر اللسان (٧ : ٦٥) .

(٢) هو الصحابى الجليل سعد بن خيثمة بن الحارث ، أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر . شهد العقبة الأخيرة مع السبعين . ولما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى بدر قال له أبوه خيثمة : إنه لا بد لأحدنا أن يقيم ، فآثرنى بالخروج وأقم مع نسائك . فأبى سعد وقال : لو كان غير الجنة آثرتك بها ، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا . فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر . صفة الصفوة (١ : ١٨٦) والإصابة ٣١٤٢ .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٨) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية . ب ، ج : « أطمئن » .

(٥) مضت ترجمته فى (١ : ٣٩٠) حيث سبق الخبر التالى .

قال : وقال معاويةُ لمعاوية بن حُدَيج الكندىّ[1] : ما جرّأك على قتل قريش ؟ قال : ما أنصفتمونا ، تقتلون حلماءنا وتلوموننا على قتل سفهائكم .

وهو الذى قال لأمّ الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نكحتِ فما استكرمت ، وولدت فما أنجبت .

أبو بكر بن مَسلمة ، عن أبى إسحاق القيسىّ قال : لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان قال : « مَن كان فى يديه شىء من مال عبد الله بن خازم[2] فلينبذه ، وإن كان فى يَدِه فليلفظه ، وإن كان فى صدره فلينفُثْه » . فعجِبَ الناسُ من حسن ما قسّم وفصّل . قال : ثم غَبَر بعد ذلك عيالُ عبد الله بن خازم وما بخراسان أحسنُ حالاً منهم .

عَنْبَسة القطّان قال : شهدت الحسنَ وقال له رجلٌ : بلغنا أنك تقول : لو كان علىٌّ بالمدينة يأكل من حَشَفها لكان خيراً له مما صنع . فقال له الحسن : يا لُكَع ، أمَا والله لقد فقدتموه سهماً من مَرامى الله ، غيرَ سؤوم لأمر الله ، ولا سَرُوقةٍ لمال الله ، أعطَى القرآنَ عزائمه فيما عليه وَلَهُ ، فأحَلَّ حلالَه ، وحَرّم حرامَه ، حتى أورده ذلك رِياضاً مونقةً ، وحدائق مُغْدِقة . ذلك علىُّ بن أبى طالبٍ يا لُكَع[3] .

---

(١) هو معاوية بن حديج التجيبى الكندى . ذكره ابن سعد فى تسمية من نزل بمصر من الصحابة . شهد فتح مصر ، وكان الوافد على عمر بفتح الإسكندرية ، وولى الإمرة على غزو المغرب مرارا ، آخرها سنة خمسين . توفى سنة ٥٢ . الإصابة ٨٠٥٧ وتهذيب التهذيب . وفى الاشتقاق ٢٢١ : « ومنهم معاوية بن حديج الذى قتل محمد بن أبى بكر الصديق » .

(٢) خازم ، بالخاء المعجمة . وفى النسخ « حازم » تحريف . وهو عبد الله بن خازم ابن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، كان من أشجع الناس ، ولى خراسان لبنى أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه خازم بطاعته فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهلها فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . انظر الطبرى فى حوادث هذه السنة وتهذيب التهذيب والإصابة ٤٦٣٢ .

(٣) فيما عدا ل : « ذاك ابن أبى طالب يا لكع » .

يزيد بن عقال : قال سمعت عبدَ الملك بن صالح يوصى ابنَه وهو أميرُ سريّة ونحن ببلاد الروم ، فقال له : أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيِّس ، الذى إن وجد ربحاً تجرَ ، وإلاّ احتفَظَ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تُحرِز السلامة[1] . وكن من احتيالك على عدوِّك أشدَّ خوفاً من احتيال عدوِّك عليك .

وقال بعض الحكماء : لا تصطنعوا إلى ثلاثة : اللئيم فإنّه بمنزلة الأرض السَّبِخة ، والفاحش فإنّه يرى أنّ الذى صنعتَ إليه إنما هو لمخافة فحشِه ، والأحمق فإنّه لا يعرف قدْرَ ما أسديتَ إليه . وإذا اصطنعت إلى الكرام فازدرع المعروف ، واحصُد الشُّكر .

وقالوا : واضع المعروف فى غير أهله كالمُسْرِج فى الشّمس ، والزارعِ فى السَّبَخ .

ومثله البيت السائر فى الناس :

٣٠٠ ومَن يَصْنَع المعروفَ فى غير أهله ... يُلاقِ الذى لاقى مُجيرَ أمِّ عامرِ[2]

وقالوا : من لم يعرف سوءَ ما يُولِى لم يعرف حُسْن ما يولَى .

وقال الإيادىّ[3] صاحب الصّرح ، الذى اتّخذ سُلَّما لمناجاة الرَّبّ ، وهو القائل[4] : « مرضعةٌ وفاطمة . القطيعة والفجيعة ، وصِلَة الرَّحم وحُسن الكَلِم . زعَم ربُّكم ليجزِيَنّ بالخير ثوابا ، وبالشرّ عقابا . وإنّ مَن فى الأرض عَبيدٌ لمن فى

---

(١) فيما عدا ا : « تحوز السلامة » .

(٢) البيت لبعض الأعراب . انظر خبر الشعر فى أمثال الميدانى (٢ : ٨١) عند قولهم « كمجير أم عامر » ، وحياة الحيوان للدميرى فى رسم (ضبع) .

(٣) هو وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨١) . وانظر الحيوان (٦ : ١٥١) . كان قد ولى أمر البيت بعد جرهم ، فبنى صرحا بأسفل مكة وجعل فى الصرح سلما ، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجى الله ، وينطق بكثير من الخبر .

(٤) فيما عدا ل : « وهو الذى كان يقول » .

السماء . هلكت جَرهم وربلت إياد(١) ، وكذلك الصَّلاحُ والفَساد . من رَشَد فاتّبعوه ، ومن غَوَى فارفُضوه . كلُّ شاةٍ معلَّقةٌ برجلها » .

وإيّاه يعنى الشاعر(٢) بقوله :

ونحنُ إيادٌ عبيد الإلٰهِ ورهطُ مُناجيهِ فى السُّلَّمِ
ونحنُ وُلاةُ حِجابِ العتيق زمانَ الرُّعاف على جُرْهُمِ

***

تعزيةُ امرأة للمنصور على أبى العبّاس مَقدَمَه من مكة . قالت : أعظمَ الله أجْرَكَ ، فلا مصيبةَ أجلُّ من مصيبتك ، ولا عِوَضَ أعظمُ من خِلافتك .

وقال عثمان بن خُرَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام فى إجلابهم مع عبد الله بن علىّ [عمّه] : يا أمير المؤمنين : لقد أُعطِيتَ فشَكرت ، وأُبتُليت فصَبرْت ، وقَدَرت فغفرت(٣) .

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوُز فَضل ، والمتفضّل قد تجاوز حدّ المُنصِف . فنحن نُعيذ أمير المؤمنين بالله أن يَرضى لنفسه بأوكسِ النّصيبَين ، دون أن يَبلغ أرفعَ الدَّرجتين .

وقال آخر : من انتقمَ فقد شفى غيظَ نفسِه ، وأخَذَ أقصى حقِّه . وإذا انتقمتَ فقد انتصفتَ(٤) ، وإذا عفوت فقد تفضّلتَ(٥) . ومَن أخَذَ حقَّه وشفى غيظه لم يَجب شكرُه ، ولم يُذكَر فى العالَمين فضلُه . وكَظْم الغيظ حِلم ، والحِلم صَبر ، والتشفّى طَرَفٌ من العجز ، ومن رَضِى ألاّ يكون بينَ حالِه وبين حال الظّالم إلاّ سترٌ رقيق ، وحجابٌ ضعيف ، فلم يجزم فى تفضيل الحلم ، وفى الاستيثاق من ° ترك ٣٠١

(١) ربل القوم : كثروا ، أو كثر أولادهم وأموالهم .
(٢) هو بشير بن الحجير الإيادى ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨٩) .
(٣) فيما عدا ل : « فعفوت » . (٤) فيما عدا ل : « انتقصت » .
(٥) فيما عدا ل : « وإذا عفوت تطولت » .

دواعى الظُّلم . ولم تَرَ أهلَ النُّهى والمنسوبين إلى الحِجا والتُّقى ، مَدَحوا الحكماء بشدة العقاب ؛ وقد ذكروهم بحُسن الصَّفح ، وكثرة الاغتفار ، وشدّة التغافُل . وبعد فالمُعاقِب مستعدٌّ لعداوة أولياء المذنِب ، والعافى مُستدْعٍ لشكرهم ، آمِنٌ من مكافأتهم أيّام قدرتهم ، ولأن يُثنَى عليك باتِّساع الصدر ، خيرٌ من أن يُثنى عليك بضِيق الصّدر . على أنّ إقالتك عثرةَ عبادِ الله موجبٌ لإقالتك عثرتَك من ربِّ عباد الله ، وعفوُكَ عنهم موصولٌ بعفو الله عنك ، وعقابُك لهم موصولٌ بعقاب الله لك .

وقالوا :[١] الموتُ الفادحُ ، خيرٌ من اليأس الفاضح .

وقال آخر : لا أقلَّ من الرجاء . فقال آخر : بل اليأس المريح .

وقال عبد الله بن وهبٍ الراسبى[٢] : ازدحام الجواب مَضَلّةٌ للصّواب ، وليس الرّأىُ بالارتجال ، ولا الحزمُ بالاقتضاب ، فلا تدعُوَنّك السّلامةُ من خطاء موبِقٍ ، أو غنيمةٍ نلتها من صوابٍ نادر ، إلى معاودته ، والتماس الأرباح مِن قِبله . إنّ الرأىَ ليس بُنهبَى ، وخَميرُ الرّأى خيرٌ من فطيره . وربَّ شىء غابُّهُ خيرٌ من طرِيِّه ، وتأخيرُه خيرٌ من تقديمه .

ولما قُدِم بعبد الجبّار بن عبد الرحمن ، إلى المنصور ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ قِتلةً كريمةً . قال : وراءك تركتَها[٣] ، يا ابنَ اللَّخناء .

ولما احتالَ أبو الأزهر المهلّبُ بن عَبَيْثَر المَهْرىّ ، لعبد الحميد بن ربعىّ بن مَعْدان[٤] ، وأسلمَه إلى حُمَيد بن قَحْطَبة ، وأسلمَه حُميد إلى المنصور ، فلمّا صار إلى المنصور قال : لا عُذْرَ فأعتذرَ وقد أحاط بى الذّنب ، وأنت أولى بما ترى . قال : لستُ أقتلُ أحداً من آل قحطبة ، بل أهَبُ مسيئَهم لمحسنهم ، وغادرهم

---

(١) فيا عدا ل : « وقال » . (٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٥) .

(٣) فيا عدا ل : « تركتها وراءك » .

(٤) فيا عدا ل : « معداق » تحريف .

لوفيِّهم . قال : إن لم يكن فىَّ مصطنعٌ فلا حاجة بي إلى الجاه[١] . ولستُ أرضى أن أكونَ طليقَ شفيعٍ وعتيقَ ابنِ عَمٍّ . قال : اخرُج ، فإنّك جاهل ، أنتَ عتيقُهم ما حييت .

قال زيادُ بن ظَبْيان التيمىّ ، لابنه عُبيد الله بن زيادٍ ، وزياد يومئذ يَكيدُ
٣٠٢ بنفسه ، وعُبيدُ الله غلام : ألا أوصى بك الأميرَ زيادا ؟ قال : لا . قال : ولِمَ ؟
قال : إذا لم تَكنْ للحى إلاّ وصيّة الميّت فالحىُّ هو الميّت[٢] .

ودخل عمرُو بن سعيدٍ الأشدق بعد موت أبيه على معاوية ، وعمرُو يومئذ غلام ، فقال له معاوية : إلى مَن أوصى بك أبوكَ [يا غلام] ؟ قال: إنّ أبى أوصى إلىّ ولم يوصِ بى . قال : و بأىِّ شىء أوصاك . قال : أوصانى ألا يفقِد إخوانه منه إلاّ وجهَه . قال معاويةُ لأصحابه : إن ابن سعيدٍ هذا لأشدق[٣] .

ولما داهَنَ سفيانُ بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، فى شأن إبراهيم بن عبد الله وصار سفيانُ إلى المنصور ، أمر الرَّبيعُ بخلع سوادَه . ووقف به على رءوس اليمانِيَة فى المقصورة فى [يوم] الجمعة، ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين : قد علمتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسن بلائى عنده ، والذى حاول من الفتنة والغَدْر ، والبغى وشقِّ العصا ، ومعاونة الأعداء ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يهَبَ مسيئكم لمحسنكم ، وغادرَكم لوفيّكم .

وقال يونس بن حبيب : الفحم يأتيه دون ما يرضى ، و يطلب فوق ما يقوى .

وذكَرَ بعضُ الحكماء أعاجيبَ البحر وتزيُّدَ البحريِّين[٤] فقال : البحر كثير العجائب ، وأهله أصحاب زوائد ، فأفسدُوا بقليل الكذب كثير الصِّدق ، وأدخلوا

---

(١) فيما عدا ل : « فلا حاجة لى فى الحياة » .
(٢) سبق الخبر فى (١ : ٣٢٥) .
(٣) سبق هذا الخبر فى (١ : ٣١٦) .
(٤) انظر لتزيد البحريين ، الحيوان (٢ : ٥١٥/٦ : ١٩) .

ما لا يكون فى باب ما قد يكون ، فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب الأحاديث سُلَّمًا إلى ادّعاء المحال .

وقال بعض العرب : « حدِّث عن البحر ولا حَرَجَ ، وحدِّثْ عن بنى إسرائيل ولا حرج ، وحدث عن مَعْنٍ[1] ولا حرَج » .

وجاء فى الحديث : « كفى بالمرء حِرصاً ركوبُه البحر » .

وكتب عمرُو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، يصف له البحر فقال : « يا أمير المؤمنين ، البحر خلقٌ عظيم ، يركبُه خَلْقٌ صغير ، دُودٌ على عود » .

وقال الحسن رحمه الله : إملاء الخير خيرٌ من الصمت ، والصّمتُ خير من إملاء الشرّ » .

وقال بعضهم : مُرُوا الأحداث بالمِراء ، والكهول بالفِكر ، والشيوخَ بالصَّمْت .

عبد الله بن شداد[2] : « أرى داعىَ الموت لا يُقلِع[3] ، وأرى مَن مضى
لا يَرجع . لا تزهدَنّ فى معروف ؛ فإنّ الدّهر ذُو صروف . وكم [من] راغبٍ
٣٠٣ قد كان مرغوباً إليه ، وطالبٍ أصبح مطلوبًا إليه . والزّمانُ ذو ألوان ، ومَن

---

(١) هو معن بن زائدة الشيبانى أحد أجواد العرب وفرسانهم ، وكان فى أيام بنى أمية متنقلا فى الولايات ، ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبى جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا ، فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن فى شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان إذ كان واليا عليها سنة اثنتين أو ثمان وخمسين مائة . ورثاه مروان بن أبى حفصة بمرثية هى من عيون الشعر العربى . تاريخ بغداد ٧١٢٧ والأغانى فى غير ما موضع ، ووفيات الأعيان .

(٢) هو عبد الله بن شداد بن الهادى الليثى المدنى ، وهو من كبار التابعين وثقاتهم . شهد مع على يوم النهروان ، وخرج مع القراء أيام ابن الأشعث على الحجاج بعد أن كان من أخص الناس بالحجاج ، فقتل يوم دجيل سنة ٨١ . وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه ولد على عهد الرسول . تهذيب التهذيب ، والأغانى (١٠ : ٥ ١) .

(٣) هذه الوصية أوصى بها ولده محمداً حين حضرته الوفاة . وقد رواها القالى مطولة مسهبة فى الأمالى (٢ : ٢٠٢ — ٢٠٤) .

يصحب الزّمانَ يرى الهوان . وإن غُلِبتَ يومًا على المال فلا تُغلَبنَّ على الحيلة على حال . وكُنْ أحسَنَ ما تكون فى الظّاهر حالا ، أقلَّ ما تكون فى الباطن مالا » .

وقيل لقيس بن عاصم : بمَ سدت قومك ؟ قال : ببذل النّدى ، وكفّ الأذى ، ونصر المولَى .

وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : مَن طال أمدُه ، وكثُر ولَدُه ، وقلّ عددُه[١] ، وذهب جلَده ، ذهب شبابُه .

وقال زياد : لا يُعدِمنّك[٢] من الجاهل كثرةُ الالتفات ، وسرعةُ الجواب .

وقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم[٣] : لولا ثلاثٌ ماباليت متى متّ : تزاحُفُ الأحرارِ إلى طعامى ، وبذلُ الأشرافِ وجوهَهم إلىّ فى أمرٍ أجد السّبيل إليه ، وقولُ المنادى بالصلاة : أيُّها الأمير[٤] .

وقال ابن الأشعث[٥] : لولا أربعُ خصالٍ ما أعطيتُ بشَريًّا[٦] طاعة : لو ماتت أم عِمران — يعنى أمّه — ولو شاب رأسى ، ولو قرأتُ القرآن ، ولو لم يكن رأسي صغيراً .

---

(١) فى اللسان (٤ : ٢٧٥) . « قالت امرأة ورأت رجلا كانت عهدته شابا جلدا : أين شبابك وجلدك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر ولده ، ورق عدده ، ذهب جلده » . ثم قال : « رق عدده » ، أى سنوه التى بعدها ذهب أكثر سنه ، وقل ما بقى ، فكان عدده رقيقاً » . فيما عدا ل : « ودف عدده » تحريف .

(٢) يقال أعدمنى الشىء ، إذا لم أجده .

(٣) هو عبد الرحمن بن أم الحكم بنت أبى سفيان ، نسب إلى أمه . وأبوه هو عبد الله ابن أبى عقيل بن ربيعة بن الحارث . ولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة ٥٧ فأساء السيرة ، فعزله وولاه مصر بعد أخيه عتبة بن أبى سفيان ، فلما كان على مرحلتين خرج إليه معاوية ابن حديج فمنعه من دخول مصر ، فرجع وولاه معاوية الجزيرة فكان بها إلى أن مات معاوية . انظر الإصابة ٦٢١٨ والأغانى (١٣ : ٣٢) .

(٤) فيما عدا ل : « الصلاة » .

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . والخبر فى الحيوان (٥ : ١٩٤) .

(٦) فى الحيوان « عربياً » .

وقال معاوية : أُعِنتُ على عليٍّ بثلاث خصال : كان رجلا يظهر سرّه ، وكنت كَتُومًا لسرّى . وكان فى أخبث جندٍ وأشدّه خلافًا ، وكنت فى أطوع جندٍ وأقلّه خلافا . وخلا بأصحاب الجمَل فقلت إنْ ظفر بهم اعتددت بهم عليه وَهْنًا فى دينه ، وإن ظفروا به كانوا أهوَنَ علىّ شوكةً منه . وكنتُ أحبَّ إلى قريشٍ منه . فكم شئتَ من جامعٍ إلىّ ومفرِّقٍ عنه .

جهم بن حسّان السّليطىّ قال : قال رجلٌ للأحنف : دُلّنى على حمدٍ بلا مرزِئةٍ (١) . قال : الخُلق السَّجيح ، والكفُّ عن القبيح . ثمّ اعلموا أنّ أدْوَى الدّاء اللسانُ البذىء ، والخُلُق الرّدىء .

وقال محمّد بن حرب الهلالىّ : قال بعض الحكماء : لا يكونَنّ منكم المحدِّث لا يُنصَتُ له ، ولا الدّاخلُ فى سرّ اثنين لم يُدخلاه فيه ، ولا الآتى الدّعوةَ لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقّه ، ولا الطّالبُ الفضلَ من أيدى اللّئام ، ولا المتعرّض للخير من عند عدوّه ، ولا المتحمّق فى الدّالّة .

---

(١) يقال مارزأه رزءا ومرزئة ، أى ما أصاب منه ولا نقصه شيئا .

بابٌ

من مزدوج الكلام

قالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم في معاوية : «اللهم علِّمه الكِتاب والحِساب وقِهِ العذاب» .

وقال رجلٌ من بني أسد : مات لشيخٍ منا ابنٌ ، فاشتدَّ جزعُه عليه ، فقام إليه شيخٌ منا فقال : اصبرْ أبا أُمامة ؛ فإنه فَرَطٌ افترطْتَه ، وخيرٌ قدمته ، وذُخر أحرزْتَه . فقال مجيبًا له : ولدٌ دَفنتُه ، وثُكلٌ تعجّلتُه ، وغيبٌ وُعِدتُه . والله لئن لم أجزَعْ من النّقص لا أفرحْ بالتّزيّد[1] .

الأصمعيّ قال : قال ابن أُقيصر[2] : خير الخيل الذى إذا استدبرتَه جَنَأ[3] ، وإذا استقبلتَه أقعى ، وإذا استعرضتَه استوى ، وإذا مشى رَدَى ، وإذا ردَى دحَا[4] .

ونظر ابن أُقيصِر[5] إلى خيل عبد الرحمن بن أمّ الحكم[6] ، فأشار إلى فرسٍ منها فقال : تجيء هذه سابقة ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : رأيتُها مشت

---

(١) فيما عدا ل : « بالمزيد » .

(٢) ابن أقيصر : رجل بصير بالخيل ، كما فى اللسان (٦ : ٤١٦) . وفى (١١ : ٢٠٣) أنه أحد بنى أسد بن خزيمة . فيما عدا ل : « ابن قصير » تحريف . وانظر بعض أخبار ابن أقيصر فى أمالى القالى (٢ : ٢٥١) وأمالى ثعلب .

(٣) جنأ : أكب . وفى أمالى القالى : « ويستحب من الفرس أن يكون إذا استدبرته كالمنكب » . ل : « جبا » وفيما عدا ل : « جبا » مع تشديد الباء ، كلاهما محرف عما أثبت من أمالى القالى حيث أورد الخبر .

(٤) القالى : « الرديان أن يرجم الأرض رجماً بين المشى الشديد والعدو ، وإذا رى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض قيل مر يدحو دحوا » .

(٥) فيما عدا ل : « ابن قصير » تحريف .

(٦) ترجم فى ص ١١٤ .

فـكَتَفَت [١] وخَبَّت فوجَفَت [٢] ، وعَدَت فنَسفَت [٣] .

وذكرت أعرابية [٤] زوجها فقالت ذهب ذَفَرُه [٥] ، وأقبـل بَخَرُه ، وفَتَرَ ذَكَرُه .

وكان مالك بن الأخطل سمع [٦] شعر جرير والفرزدق ، فقيل : جرير [٧] يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ، فأيُّهما أشعر [٨] ؟ فقال : الذى يغرف من بحرٍ أشعرُهما .

* * *

قد ذكرنا من مقطَّعات الـكلام وقِصار الأحاديث ، بقدر ما أسقطنا به مَؤونة الُخطب الطِّوال . وسنذكر من الخطب المسندة إلى أربابها مقداراً لا يَستفرغ مجهودَ من قرأها ، ثمّ نعود بعد ذلك إلى ما قصُرَ منها وخَفَّ ، وإلى أبوابٍ قد تَدخل فى هذه الجملة وإن لم تكن مثل هذه بأعيانها . والله الموفِّق .

أبو الحسن ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن خَرَّبوذَ البكرى [٩] ، عن خالد بن صفوان ، قال : دخل عبد الله بنُ عبدالله بن الأهتم [١٠] ، على عمر بن عبد العزيز مع

---

(١) كتفت : ارتفعت فروع أكتافها فى المشى . والخبر فى اللسان (كتف) وأمالى القالى (٢ : ٢٥١) .

(٢) الوجيف : ضرب من السير فيه بعض السرعة .

(٣) النسوف من الخيل : الواسع الخطو .

(٤) فيما عدا ل : « امرأة » .

(٥) الذفر : شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن . فيما عدا ل : « زفره » محرف .

(٦) فيما عدا ل : « وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه يسمع » .

(٧) فيما عدا ل « فسأله أبوه عنهما فقال » .

(٨) هاتان الـكلمتان من ل فقط .

(٩) ابن خربوذ ، بفتح الخاء والراء المشددة وضم الباء وفى آخره ذال معجمة ، هو معروف بن خربوذ المكى مولى عثمان ، ذكر فى ثقات أهل الحديث . تهذيب التهذيب والقاموس فى فصل الخاء من باب الذال . ل : « خربود » وفيما عدا ل : « خربوز » كلاهما محرف .

(١٠) عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، هو عم خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، المترجم فى ص ٢٤ . فيما عدا ل : « عبد الله بن الأهتم » تحريف .

العامّة ، فلم يُفجأ عمر إلاّ وهو ماثلُ بين يديه يتكلّم ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال [١] :

أما بعد فإنّ الله خلق الخلقَ غنياً عن طاعتهم ، آمِناً لمعصيتهم ، والناسُ يومئذ فى المنازل والرّأى مختلفون ، والعرب ْ بشرّ تلك المنازل ، أهلُ الوبر وأهل ٣٠٥ المدر ، تُحتاز [٢] دونَهم طيّباتُ الدنيا ورَفاغة عَيْشِها [٣] ، ميّتهم فى النار وحَيّهم أعمى . مع ما لا يُحصى من المرغوب عنه ، والمزهودِ فيه . فلمّا أراد الله أن ينشر فيهم رحمتَه ، ويُسبغَ عليهم نعمته [٤] ، بعث إليهم رسولاً منهم عزيزاً عليه ما عَنِتُوا ، حريصاً عليهم ، بالمؤمنين رءوفاً رحيما [٥] ، فلم يمنعهم ذلك مِن أن جرحوه فى جسمه ، ولقّبوه فى اسمه ، ومعه كتابٌ من الله ناطقٌ ، و برهانٌ من الله صادق [٦] ، لا يُرحَل إلا بأمره ، ولا يُنزَل إلاّ بإذنه . واضطرّوه إلى بطن غارٍ ، فلما أمر بالعزم [٧] أسفرَ لأمر الله لونه ، فأفلجَ الله حُجّتَه ، وأعلى كلمته وأظهرَ دعوتَه ، ففارق الدنيا نقيًّا تقيًّا ، مباركا مرضيا [٨] . صلى الله عليه وسلم .

ثم قام بعده أبو بكرٍ رحمه الله ، فسلكَ سُنّتَه ، وأخذ بسبيله ، وارتدّت العرب ، فلم يَقبَل منهم بعد رسول الله إلاّ الذى كان قابلاً منهم ، فانتضَى السُّيوفَ من أغمادها ، وأوقد النِّيران من شُعَلها ، ثمّ ركب بأهل الحقّ أهلَ الباطل ، فلم يبرحْ يُفصِّل أوصالَهم ، ويسقى الأرضَ دماءهم ، حتّى أدخلَهم

(١) الخطبة التالية فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٠٩ ولابن الجوزى ١٣٦ والعقد (٤ : ٩٣) طبع لجنة التأليف .

(٢) فيما عدا ل « تحتاز » وفى ل « يختار » ووجهه ما أثبت من سيرة عمر .

(٣) الرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب .

(٤) هذه الجملة فى ل فقط .

(٥) فيما عدا ل « عزيزا عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

(٦) فيما عدا ل : « ومعه كتاب من الله فقط » .

(٧) ب ، ج : « بالغرامة » تحريف ، التيمورية : « بالعزمة » . وفى العقد « بالعزيمة » .

(٨) هاتان الكلمتان من ل فقط .

فى الذى خرجُوا عنه ، وقرَّرهم بالذى نفَروا منه . وقد كان أصاب من مال الله بَكراً يرتوى عليه ، وحَبَشيّةً تُرضع وَلداً له ، فرأى ذلك غُصّةً عند مَوته[1] فى حلقه ، فأدّى ذلك إلى الخليفة مِن بعده ، و برِئَ إليهم[2] منه ، وفارَق الدّنيا نقيّا تقيًا ، على مِنهاج صاحبه ، رحمه الله .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رحمه الله ، فمصّر الأمصار ، وَخَلَط الشّدَّةَ باللِّين ، فحسَرَ عن ذراعيه ، وشمّر عن ساقيه ، وأعدّ للأمور أقرانَها[3] ، وللحرب آلتَها ، فلمّا أصابه فتى المغيرة بن شعبة[4] ، أمر ابنَ عبّاس أنْ يسأل الناس هل يُثبِتون قاتلَهُ ، فلما قيل له : فَتَى المغيرة . استهلّ بحمد الله ألاّ يكون أصابه ذو حَقّ فى الفيء فيستحلّ دمه بما استحلّ من حَقّه . وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفا ، فكَسَر رباعَه[5] ، وكرِه بها كفالة أهله وولدِه ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق [الدُّنيا] نقيّا تقياً ، على مِنهاج صاحبيه ، رحمه الله .

ثمّ إنا والله ما اجتمعنا بعد إلاّ على ظُلَّع[6] ، ثم إنّك يا عُمرُ ابنُ الدُّنيا ،
٣٠٦ ولدتكْ ملوكها ، وألقمتك ثديَها ، وليتَكَ وضَعتَها حيث وضعَها الله[7] ، فالحمدُ لله

---

(١) ل فقط : « عند فوته » .
(٢) ل فقط : « إليه » .
(٣) أقرانها ، أى أسبابها التى تقاد بها ، جمع قرن بالتحريك ، وهو الحبل يجمع به بعيران .
(٤) هو أبو لؤلؤة فيروز النصرانى ، طعن عمر وهو يتأهب لصلاة الصبح بخنجر فقتله ، فتوفى لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ . وكان من قبل قد شكا إلى عمر ثقل ما كان يؤدى إلى مولاه المغيرة من خراج ، فلم يشكه ، فترصد له فقتله ، ولما أحيط به وعلم أنه مأخوذ طعن نفسه . انظر مقتل عمر فى الطبرى والعقد وغيرهما .
(٥) الرباع : جمع ربع ، وهو المنزل . وكسرها : باعها ربعا ربعا . وفى اللسان (٦ : ٤٥٧) : « كسر الرجل ، إذا باع متاعه ثوبا ثوبا » .
(٦) ظلع : جمع ظالع ، أراد به المتهم المائل عن الحق . والظلع : الغمز فى المشى والعرج. وفى العقد : « على ضلع أعوج » .
(٧) فيما عدا ل : « ألقاها الله » .

الذى جَلا بك حَوْبَتَها[١] ، وكشف بك كُرْبَتَها . امض ولا تلتفتْ فإنه لا يُغنى عن الحقِّ شيئا[٢] . أقول قولى هذا وأستغفِر الله لى ولكم ، وللمؤمنين والمؤمنات .

قال : ولمّا أن قال : « ثمّ إنّا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظُلَعٍ » سكت الناس كلُّهم إلاّ هشاما ، فإنّه قال له : كذبت .

خطبة عمر بن عبد العزيز رحمه الله

أبو الحسن قال : حدّثنا المغيرة بن مطرّف ، عن شعيب بن صفوان ، عن أبيه قال : خطب عمر بن عبد العزيز بِخُناصرة[٣] خطبةً لم يَخطُبْ بعدها غيرَها حتّى مات رحمه الله . فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيّه ثم قال[٤] :

أيُّها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عبثا ولم تُترَكوا سُدًى ، وإنّ لكم معادًا يحكم الله بينكم فيه ، فخابَ وخَسِر مَن خرج من رحمة الله التى وسعَتْ كلَّ شىء ، وحُرِم الجنّةَ التى عرضُها السّموات والأرض . واعلموا أنّ الأمان غدًا لمن خاف الله اليوم[٥] ، وباع قليلاً بكثير ، وفانيًا بباق . ألا ترَون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها مِن بَعدكم الباقون كذلك حتى ترُدُّوا إلى خير الوارثين . ثم أنتم فى كلّ يوم تُشيّعونَ غادياً ورائحا إلى الله ، قد قَضى نحبَه وبلغَ أجلَه ، ثم تغيّبونه فى صَدْعٍ من الأرض ، ثم تَدَعونه غير مُوسَّد ولا مُمهَّد ، قد خلَع

---

(١) الحوبة ، بالفتح : الهم والغم . ل : « جونتها » فيما عدا ل : « جوبتها » . تحريف . وفى سائر المراجع المتقدمة : « حوبتنا » و « كربتنا » .

(٢) فيما عدا ل : « من الحق شيئا » .

(٣) خناصرة : بلدة بالشام من أعمال حلب .

(٤) انظر الخطبة فى العقد (٤ : ٩٥ طبع لجنة التأليف) والطبرى (٨ : ١٤) وابن أبى الحديد (١ : ٤٨٠) وعيون الأخبار (٢ : ١٤٦) والأغانى (٨ : ١٥٢) وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ٢٢٢ وابن عبد الحكم ٤١ ، ١٣٦ .

(٥) فيما عدا ل : « لمن خاف ربه اليوم » .

الأسبابَ ، وفارَق الأحباب ، و باشر التراب[1] ، وواجَه الحِساب ، غنياً عما تَرَك ، فقيرا إلى ما قدّم ، وأيمُ اللهِ إنّى لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلمُ عند أحدٍ منكم من الذُّنوب أكثَرَ مما عندى . فاستغفروا الله لى ولكم . وما تبلغُنا حاجةٌ يتّسع لها ما عِندنا إلاّ سدَدناها . وما أحدٌ منكم إلاّ ودِدْت أنّ يده مع يدى ، ولُحْمَتى الذين يلوننى[2] ، حتى يستوىَ عيشُنا وعيشُكم . وايمُ اللهِ إنّى لو أردت غير هذا من عيشٍ أو غَضارة[3] ، لكان اللّسان منى ناطقا ذَلُولاً ، عالما بأسبابه . لكنه مضى

٣٠٧ من الله كتاب ناطق ، وسُنّة عادِلَة دلَّ فيهما على طاعته ، ونهى فيهما عن معصيته .

ثم بكى رحمه الله فتلقَّى دموعَ عينيه بطرَف ردائه ، ثم نزل ، فلم يُرَ على تلك الأعواد حتَّى قبضه الله إلى رحمته .

وخطبة أخرى ذهب عنى إسنادها[4]

أما بعد : فإنّك ناشئُ فتنةٍ[5] وقائدُ ضلالةٍ ، قد طال جُثومها ، واشتدّت غُمومُها ، وتلونت مصايد عدوّ الله فيها[6] ، وقد نصَب الشَّرَك لأهل الغفلة عما فى عواقبها . فلن يَهُدَّ عمودَها ، ولن ينزِعَ أوتادَها إلا الذى بيده مُلك الأشياء[7] ، وهو الله الرحمن الرحيم . ألاَ وإنّ لِلّهِ بقايا من عباده لم يتحيَّروا فى ظُلمتها ، ولم

---

(١) هذه الجملة من ل فقط :

(٢) اللحمة ، بالضم : القرابة . فيا عدا ل : « ويحمى » تحريف .

(٣) الغضارة ، بالفتح : النعمة ، والخصب ، والسعة .

(٤) عثرت على إسنادها فى العقد (٤ : ١٤٨ طبع لجنة التأليف) ، وهى لأبى حمزة الخارجى الشارى .

(٥) فى العقد : « فى ناشئ فتنة » .

(٦) ل : « مصائب » وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد . وفى بعض أصول العقد : « وتلوت » .

(٧) فيا عدا ل : « تلك الأشياء » .

يُشايعوا أهلَها على شبهتها، مصابيح النور فى أفواههم تَزْهَر[١] ،وأفواهُهم[٢] بحجج الكتاب تنطق . ركبوا نَهْجَ السَّبيل ، وقاموا على العَلَمِ الأعظم ، فهم خُصَماء الشيطان الرجيم ، وبهم يُصلِح اللهُ البلاد ، ويدفع عن العباد . فطوبَى لهم وللمستصبِحِين بنُورهم . أسأل الله أن يجعلنا منهم .

خطبة أبى حمزة الخارجى

دخل أبو حمزة الخارجى[٣] مكّة — وهو أحد نُسّاك الإباضيّة وخطبائهم ، واسمه يحيى بن المختار — فصعد مِنبرها[٤] متوكِّئاً على قوسٍ له عربيّة ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال[٥] :

أيُّها الناس ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخّر ولا يتقدّم إلا بإذنِ الله وأمرِه ووحْيِه ، أنزَلَ الله له كتاباً بَيّن له فيه ما يأتى وما يتّقى ، ولم يك فى شكٍّ من دينه ، ولا فى شبهةٍ من أمره ، ثمّ قبضه الله وقد علَّم المسلمين معالمَ دينِهم ، وولّى أبا بكر صَلاتَهم ، فولّاه المسلمون أمرَ دنياهم حين ولّاه رسول الله أمرَ دينِهم ، فقاتَلَ أهل الرِّدّة ، وعَمِل بالكتاب والسنّة ، فمضَى لسبيلِه رحمةُ الله عليه .

---

(١) تزهر : تضىء . وفى العقد وما عداه : « تزهو » وليس بشىء .

(٢) فى العقد وما عداه : « وألسنتهم » .

(٣) خرج أبو حمزة سنة ١٢٩ من قبل عبد الله بن يحيى ، مظهرا للخلاف على مروان ابن محمد ، ودخل مكة فى موسم الحج بغير قتال ، وفى سنة ١٣٠ دخل المدينة فهرب منها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام ، ثم سار أبو حمزة وأصحابه إلى مروان فلقيهم خيل مروان بوادى القرى فأوقعوا بهم ، فرجعوا منهزمين إلى المدينة فلقيهم أهل المدينة فقتلوهم وذلك سنة ١٣٠ . انظر الطبرى .

(٤) ذكر أبو الفرج فى الأغانى أن هذه الخطبة إنما كانت بالمدينة .

(٥) انظر الخطبة فى العقد (٤ : ١٤٤ لجنة التأليف) والأغانى (٢٠ : ١٠٥) وابن أبى الحديد (١ : ٤٥٩) .

ثم وَلِيَ عمر بن الخطاب رحمه الله ، فسار بسيرة صاحبه ، وعمِل بالكتاب
والسنّة ، وجَبى الفَىء ، وفرَضَ الأعطية ، وجمع النّاسَ فى شهر رمضان ، وجلد ٣٠٨
فى الخمر ثمانين ، وغزَا العَدوّ فى بلادهم ، ومضى لسبيله رحمةُ الله عليه .

ثم وَلى عثمانُ بن عفان فسار سِتَّ سنينَ بسيرة صاحبيه ، وكان دونهما ، ثم سار فى الستّ الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثم مضي لسبيله .

ثم ولى علىّ بن أبى طالب ، فلم يبلُغْ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مَنارا ، ثم مضى لسبيله .

ثم ولى معاوية بن أبى سفيان لَعينُ رسول الله وابنُ لعينه ، فاتَّخذ عباد الله خَوَلاً ، ومال الله دُوَلاً ، ودينَه دَغَلاً ، ثمّ مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله .

ثم ولى يزيدُ بن معاوية ، يزيدُ الخمور ويزيدُ القرودِ[1] ، ويزيدُ الفهود ، الفاسق فى بطنه ، المأبونُ فى فرْجه ، فعليه لعنة الله وملائكته[2] .

ثم اقتصّهم خليفةً خليفة ، فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ، ولم يذكره . ثم قال :

ثم وَلى يزيدُ بن عبد الملك ، الفاسقُ فى دينه ، المأبونُ فى فرجه ، الذى لم يُؤْنس منه رُشْد ، وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى : ﴿ فإنْ آنَسْتُمْ مِنْهم رُشْداً فَادْفَعُوا إليهمْ أمْوَالَهمْ ﴾ . فأمْرُ أمّةِ محمد عليه السلام أعظم . يأكل الحرامَ ويشرب الخمر ، ويلبس الحُلّة قُوِّمت بألف دينار ، قد ضُربت فيها الأبشار[3] ، وهُتِكت فيها الأستار ، وأُخِذت من غير حِلّها . حَبابة عن يمينه[4] . وسَلاّمة عن

(١) انظر الحيوان (٤ : ٦٦) .

(٢) هذه الجملة من ل فقط : وقد أسقط صاحب العقد من هذه الخطبة ما كان فيها من طعنه على الخلفاء ، كما صرح بذلك .

(٣) البشرة : ظاهر الجلد ، جمعها بشر ، وجمع بشر أبشار ، كشجرة وشجر وأشجار .

(٤) حبابة من مولدات المدينة كانت حلوة جميلة ظريفة ، حسنة الغناء ، طيبة الصوت ، ضاربة بالعود . اشتراها يزيد بن عبدالملك بأربعة آلاف دينار ، وكانت تسمى العالية فسماها حبابة . الأغانى (١٣ : ١٤٨ – ١٥٩) .

يساره[١] تغنّيانه ، حتّى إذا أخذ الشرابُ منه كلَّ مأخذ قدَّ ثوبَه ، ثم التفت إلى إحداهما [فقال] : ألا أطير ألا أطير ! نعم فطِرْ إلى لعنة الله ، وحريقِ ناره ، وأليمِ عذابه .

وأمّا بنو أميّة ففِرقةُ ضلالةٍ ، بطشهم بطشُ جبريّة ، يأخذون بالظِّنَّة ، ويقضون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، ويحكمون بالشّفاعة ، ويأخذون الفريضةَ من غير موضعها ، ويضعونها فى غير أهلها ، وقد بيّنَ اللهُ أهلَها فجعلهم ثمانية أصناف ، فقال : ﴿ إنّما الصَّدَقاتُ لِلفُقَراء والمَساكِينِ والعامِلينَ عَليْها والمُؤلَّفَةِ قُلوبُهُمْ وفى الرِّقابِ والغارِمينَ وفى سَبِيلِ اللهِ وابنِ السَّبِيل ﴾ . فأقبل صنفٌ تاسعٌ ليس منها فأخذها كلها . تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله .

وأمّا هذه الشِّيَعُ فشِيَعٌ ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنوا الفِرية على الله ، لم يفارقوا الناس ببصرٍ نافذٍ فى الدين ، ولا بعلمٍ نافذٍ[٢] فى القرآن ، ينقمون ٣٠٩
المعصيةَ على أهلها ، ويعملون إذا وُلُّوا بها . يُصِرُّون على الفتنة ، ولا يعرفون المخرج منها ، جُفاةٌ عن القرآن ، أتباعُ كُهّانٍ ، يؤمّلون الدُّوَل فى بعث الموتى ، ويعتقدون الرَّجعة إلى الدُّنيا ، قلّدوا دينَهم رجلاً لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنّى يُؤفكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

ياأهل الحجاز ، أتعيّرونني بأصحابي وتزعمون أنّهم شباب ؟! وهل كان أصحابُ

---

(١) وسلامة هذه هى سلامة القس ، مولدة من مولدات المدينة أيضا ، أخذت عن معبد وابن عائشة فمهرت . وسميت سلامة القس لأن رجلا كان يعرف بعبد الرحمن بن أبى عمار الجشمى من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، شغف بها وشهر فغلب عليها لقبه . اشتراها يزيد بن عبد الملك . وكانت سلامة أحسن من حبابة غناء ، وحبابة أحسن منها وجها ، وكانت سلامة تقول الشعر وحبابة تتعاطاه فلا تحسن . الأغانى (٨ : ٥ — ١٢) .

(٢) فيا عدا ل : « نافذ » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً . أما والله إنى لعالمٌ بتتايعكم⁽¹⁾ فيما يضرُّكم فى مَعادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركتُ الأخْذَ فوق أيديكم . شبابٌ والله مُكتهِلون فى شبابهم ، غضيضةٌ عن الشرّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادةٍ وأطلاحُ سَهَر⁽²⁾ ، ينظر اللهُ إليهم فى جوف الليل منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلَّما مرَّ أحدُهم بآيةٍ من ذكر الجنّة بكى شوقاً إليها ، وإذا مرّ بآية من ذكر النار شهق شَهْقةً كأنَّ زفير جهنّم بين أذنيه . موصولٌ كلالُهم بكلالهم : كَلالُ الليـل بكلال النهار . قد أكلت الأرضُ رُكبَهم وأيديَهم ، وأنوفَهم وجباهَهم ، واسـتقلّوا ذلك فى جنب الله ، حتّى إذا رأوا السهامَ قد فُوِّقت⁽³⁾ ، والرِّماح قد أُشرِعَت ، والسيوفَ قد انتُضيَتْ ، ورَعَدت الـكتيبةُ بصواعق الموت وبرقت ، استخفُّوا بوعيد الـكتيبة لوعْد الله⁽4⁾ ، ومضى الشابُّ منهم قُدُمًا حتّى اختلفت رِجلاهُ على عنق فرسه ، وتخضَّبت بالدّماء محاسنُ وجهه فأسرعَتْ إليه سـباعُ الأرض ، وانحطّت عليه طيرُ السَّماء ، فـكم من عينٍ فى منقارِ طائرٍ⁽5⁾ طالما بكى صاحبُها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كفٍّ زالت عن مِعْصَمِها طالما اعتمد عليها صاحبُها فى جوف الليل بالسُّجود لله . آه آه آه (ثلاثا⁽6⁾) . ثم بكى ونَزَل .

---

(١) التتايع : التهافت والوقوع فى الشر ، يقال تتابعوا فى الخير وتتايعوا فى الشر . وفى النسخ « بتتابعكم » والوجه ما أثبت .

(٢) أطلاح : جمع طلح ، بالـكسر ، وهو المعي .

(٣) فوقت : جعلت لها الأفواق . والفوق ، بالضم : موضع الوتر من السهم .

(٤) فى الأصل : « لوعيد الله » صوابه من العقد .

(٥) فيما عدا ل : « فى مناقير طير » .

(٦) فيما عدا ل : « أوه أوه أوه » فقط .

خطبة قطرى بن الفجاءة

صعِد قطريُّ بن الفُجاءة[١] مِنبر الأزارقة — وهو أحد بنى مازن بن عمرو ابن تميم — فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه ثم قال[٢] : ٣١٠

أمّا بعدُ فإنى أُحذِّرُكم الدُّنيا فإنّها حُلوةٌ خَضِرة ، حُفّتْ بالشّهوات ، وراقت بالقليل ، وتحبّبت بالعاجلة وحُلّيت بالآمال ، وتزيّنت بالغُرور ، لا تدوم حَبْرتُها[٣] ولا تُؤمَن فجعتُها ، غَرّارة ضَرّارة ، خوّانةٌ غدّارة ، حائلة زائلة ، نافدة بائدة ، أكّالة غوّالة، بدلة[٤] نقّالة ، لاتعدو إذا هى تناهت إلى أمنيّةِ أهل الرّغبة فيها ، والرّضا عنها ، أن تكون كما قال الله : ﴿ كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاه مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوه الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ . مع أنّ امرأً لم يكن منها فى حَبْرة إلا أعقبته بعدها عبْرة ، ولم يَلْقَ من سَرّائها بطناً إلا منحته من ضَرّائها ظهرا ، ولم تَطُلَّه غَبْيَةُ رخاء[٥] إلا هَطَلتْ[٦] عليه

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤١) .

(٢) الخطبة فى العقد (٤ : ١٤١) . وصبح الأعشى (١ : ٢٢٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٥٠) ونهاية الأرب (٧ : ٢٥٠) . وقد رويت فى نهج البلاغة بشرح ابن الحديد (٢ : ٢٣٨ — ٢٤٠) منسوبة إلى على بن أبى طالب . وقال فى (٢ : ٢٤٢) : « هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ، ورواها لقطرى بن الفجاءة . والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها فى كتاب الموفق لأبى عبد الله المرزبانى مروية لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهى بكلام أمير المؤمنين أشبه . وليس يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقى قطرى أكثرهم » .

(٣) الحبرة ، بالفتح : السرور والنعمة وسعة العيش .

(٤) بدلة ، أريد بها كثيرة التبديل ، أما ضبطها فلا أحقه لأنى لم أهتد إليها فى معجم من المعاجم المتداولة ، فقد تكون « بدلة » كفرحة و « بدلة » كضحكة . وفيما عدا ل : « بذلة » ولا وجه لها .

(٥) طل : أصابه الطل ، وهو مطر خفيف . والغبية ، بالفتح : الدفعة من المطر . فيما عدا ل : « غيثة » تحريف .

(٦) ل ، ح : « أهطلت » صوابه فى ب والتيمورية .

مُزنة بَلاء ، وحَرًى إذا أضحت[1] له منتصرةً أن تُمسِيَ له خاذلة متنكِّرة ، وإنْ جانبٌ منها اعذَوذَب واحلَوْلَى ، أمَرَّ عليه منها جانب وأوبى[2] ، وإن آتت امرأً من غَضَارتها ورفاهتها نِعَماً ، أرهقته من نوائبها نِقَما ، ولم يُمسِ امرؤٌ منها فى جَناحِ أمنٍ إلاّ أصبح منها على قوادِم خوف ، غرّارة غَرورٌ ما فيها ، فانية فانٍ مَن عليها[3] ، لاخير فى شىء من زادها إلا التقوى . مَن أقلَّ منها استكثر مما يؤمنُه ، ومَن استكثر منها استكثر مما يُوبِقُه ويطيل حَزَنَه ، ويُبكى عينَه .

كم واثقٍ بها قد فجَعَته ، وذى طُمأنينةٍ إليها قد صرعَته ، وذى اختيالٍ فيها قد خدعته . وكم من ذى أبَّهةٍ فيها قد صيّرته حقيراً ، وذى نخوةٍ قد ردَّته ذليلا ، ومِن ذى تاجٍ قد كبَّته لليدين والفم . سلطانُها دُوَل ، وعيشُها رَنَقٌ ، وعذبُها أُجَاجٌ ، وحُلوها صَبِر ، وغذاؤها سِمَام ، وأسبابُها رِمام[4] . قِطافها سَلَعٌ[5] ، حيُّها بعرَض موتٍ ، وصحيحها بعرَض سُقْم ، ومَنيعها بعرَض اهتضام . مليكها مسلوب ، وعزيزُها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب[6] . مع أنَّ وراء ذلك سَكرات الموت ، وهَولَ المُطَّلَع[7] ، والوقوف بين يَدى الحكمِ العَدْل ؛ ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى[8] ﴾ . أَلستمْ فى مساكِنِ مَن كان أطولَ منكم أعماراً ، وأوضح ٣١١

(١) فيما عدا ل . « أصبحت » .
(٢) أوبى : صار فيه الوباء والوخم . ل : « أوى » تحريف .
(٣) العقد وما عدا ل : « فان ما عليها » .
(٤) الأسباب : جمع سبب ، وهو الحبل . والرمام : جمع رمة بالضم ، وهى قطعة بالية . عنى أنه لا يركن إليها .
(٥) السلع ، بالتحريك : نبات مر سام .
(٦) محروب : مسلوب .
(٧) المطلع : موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار ، يريد به الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت .
(٨) من الآية ٣١ فى سورة النجم .

آثارا[١] ، وأعدَّ عديدا ، وأكثفَ جُنودا ، وأعند عُنُودا[٢] ، تعبّدُوا الدّنيا أىَّ تعبد ، وآثروها أىَّ إيثار ، وظَعَنوا عنها بالكَره والصَّغار ، فهل بَلَغَكم أنّ الدنيا سمحت لهم[٣] نَفْسا بِفِدْيَة ، أو أغنَتْ عنهم فيما قد أهلكتهم بخَطْب[٤] ، بل قد أرهقَتهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعفّرتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكّرَها لمن دان لها[٥] وآثرَها ، وأخلد إليها ، حين ظَعَنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المُسنَد[٦] . هل زوّدتهم إلاّ الشقاء ، وأحلّتهم إلا الضَّنْك ، ونوّرَت لهم إلا الظُّلمة ، أو أعقبتهم إلاّ الندامة . فهذه تُؤْثرون ، أم عليها تحرِصون ، أم إليها تطمئنون . يقول الله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحياةَ الدُّنيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعمالَهم فِيها وهم فيها لا يُبْخَسُون . أولئك الَّذين لَيْسَ لهم فى الآخِرَة إلاَّ النَّار وَحبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلون[٧] ﴾ . فبئست الدارُ لمن أقامَ فيها . فاعملُوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابُدّ ، فإنما هى كما وصفها الله باللعب واللهو ؛ قال الله : ﴿ أتبْنُون بِكُلِّ ريع آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون ﴾ . وذكر الذين قالوا مَن أشدُّ منا قوّة[٨] .

ثم قال : حُمِلوا إلى قبورهم فلا يُدعَون رُكبانا ، وأُنزلوا فيها فلا يُدعَون ضِيفانا ، وجُعِل لهم من الضَّريح أجنانٌ[٩] ، ومن التُّراب أكفان ، ومن الرُّفات

---

(١) فيما عدا ل : « وأوضح منكم آثارا » .

(٢) عند عندا ، بالفتح ، وعنودا ، بالضم : عتا وطغا وتجاوز قدره .

(٣) ابن أبى الحديد « سخت لهم » .

(٤) الخطب : الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم .

(٥) دان لها : خضع وذل . فيما عدا ل : « زان لها » تحريف .

(٦) المسند : الدهر ، يقال لا آتيه يد المسند ، أى أبدا .

(٧) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة هود .

(٨) ابن أبى الحديد : « واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة . حملوا إلى قبورهم » . ونحوه فى العقد .

(٩) الأجنان : جمع جَنَن ، بالتحريك ، وهو القبر .

جيران ، فهم جيرةٌ لا يجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضَيما ، إن أخصبوا لم يَفرحوا ،
وإن أقحطوا لم يَقنَطوا ، جميعٌ[1] وهم آحاد ، وجيرةٌ وهم أبعاد ؛ متناءون لا يُزارون
ولا يَزُورون ، حلماء قد ذهبت أضغانُهم ، وجُهلاء قد ماتت أحقادهم[2] ، لا يُخشى
فَجْعُهم ، ولا يُرجَى دفعُهم ، وكما قال جلّ وعزّ : ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ
مِنْ بَعْدِهِمْ إلاَّ قليلاً وكُنَّا نحنُ الوارثين[3] ﴾ . استبدَلُوا بظهر الأرض بطناً ،
وبالسَّعةِ ضِيقاً ، وبالأهل غُربةً ، وبالنُّور ظلمة ، فجاءوها كما فارقوها : حُفاةً عُراةً
فُرادَى ، غير أنّهم ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى خلود الأبد . يقول الله :
﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ . فاحذروا ماحذّركم
٣١٢ الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله . عَصَمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقَنا
وإياكم أداء حقِّه[4] .

خطبة محمد بن سليمان[5] يوم الجمعة

وكان لا يغيّرها

الحمد لله . أحمدُه وأستعينه وأستغفره ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأبرأ من الحول والقوة إليه[6] . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسوله ، أرسله بالهُدى ودينِ الحقّ ليظهرَه على الدّين كلّه ولو كَرِه المشركون . مَن يعتصمْ بالله ورسولِه فقد اعتصم بالعُروة الوثقى ، وسُعِد فى الآخرة والأولى . ومَن يَعصِ اللهَ ورسولَه فقد ضَلّ ضلالاً بعيداً ، وخَسِرَ خُسرانا مبينا .

---

(١) العقد وما عدا ل : « جمع » . (٢) ل : « وذهلاء » تحريف .

(٣) ل : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وتلك مسا كنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا » . وهو خلط بين آيتين .

(٤) زاد فى العقد : « ثم نزل » .

(٥) سبقت ترجمته والإشارة إلى خطبته فى (١ : ٢٩٥) .

(٦) هذه الجملة من ل فقط .

أسأل اللهَ أن يجعلَنا وإيّاكم ممّن يطيعُه ويطيع رسولَه صلى الله عليه وسلم ، ويتّبع رضوانَه ، ويتجنّب سُخطه ، فإنّما نحن به وله . أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحثّكم على طاعة الله ، وأرضَى لكم ما عِند الله ؛ فإنّ تقوى اللهِ أفضلُ ما تحاثّ الناسُ عليه ، وتداعَوا إليه ، وتواصَوا به . فاتّقوا الله ما استطعتم ، ولا تموتُنَّ إلاّ وأنتمْ مُسْلِمُون .

خطبة عبيد الله بن زياد

صعد المنبر بعد موت يزيدَ بنِ معاوية ، حيثُ بلغه أنّ سلمة بن ذؤيب الرِّياحيّ[1] قد جمع الجموع يريد خَلْعَهُ ، فقال :

يا أهل البصرة انسُبوني[2] ، فوالله ما مُهاجَرُ أبي إلاّ إليكم ، ولا مَولِدي إلاّ فيكم ، وما أنا إلا رجلٌ منكم . والله لقد وَلِيَكُم أبي وما مُقاتِلَتُكم إلاّ أربعون ألفاً ، فبلغ بها ثمانين ألفاً . وما ذرّيّتُكم إلاّ ثمانون ألفا ، وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف . وأنتم أوسعُ النّاسِ بلاداً ، وأكثرُه جوَاداً[3] ، وأبعدهُ مَقاداً ، وأغنَى النّاس عن الناس . انظرُوا رَجُلاً تُوَلُّونه أمرَكم ، يكُفّ سفهاءكم ، ويَجْبِي لكم فيئكم ، ويَقسِمه بينَكم[4] ، فإنّما أنا رجلٌ منكم . ٣١٣

فلما أبوا غيرَه قال : إنّي أخاف أن يكون الذي يدعوكم إلى تأميري حَداثةُ عهدِكم بأسرى .

(١) ل : « سلمة بن أبي ذؤيب » صوابه من الطبري (٧ : ٢٠) وما عدا ل . وهو سلمة بن ذؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة . فيما عدا ل « الرياضي » تحريف .

(٢) ل : « أتسبوني » صوابه في الطبري وما عدا ل . وجاء نظير هذا في خطبة قتيبة ابن مسلم : « انسبوني تجدوني عراقي الأم » . الطبري ٨ : ١٠٥) .

(٣) فيما عدا ل : « جنودا » .

(٤) فيما عدا ل : « ويقسمه فيما بينكم » .

خطبة معاوية رحمه الله

الهيثم بن عدىّ ، عن أبى بكر بن عيّاش ، عن أشياخه قال : لما حضرت معاويةَ الوفاة ويزيدُ غائب ، دعا معاويةُ مُسْلِم بن عُقبةَ المُرّىّ ، والضّحّاك بن قيس الفهرى ، وقال[١] :

أبلغا عنّى يزيدَ وقولا له : انظرْ إلى أهل الحجاز فهم أصلُك وعشيرتُك[٢] ، فمن أتاك منهم فأكرمْه ، ومن قعدَ منهم[٣] عنكَ فتعهّدْه . وانظرْ إلى[٣] أهلِ العراق ، فإنْ سألوكَ عزلَ عاملٍ فى كلّ يوم[٤] فاعزِلْه عنهم ؛ فإنّ عزْلَ عاملٍ فى كلّ يومٍ أهونُ عليك من سَلّ مائة ألفِ سيفٍ ثمّ لا تدرى عَلامَ أنت عليه منهم . ثم انظرْ إلى أهل الشّام فاجعلهُم الشّعارَ دون الدّثار[٥] ، فإنْ رابَكَ من عدوّك رَيبٌ فارمِهِ بهم ، فإن أظفرَكَ الله بهم فارددْ أهلَ الشام إلى بلادهم ، ولا يقيموا فى غير ديارهم[٦] ، فيتأدّبوا بغير أدبهم . لستُ أخافُ عليك غير عبد الله بن عُمر ، وعبدَ الله بنَ الزّبير ، والحسينَ بنَ علىّ ، فأمّا عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقَذه الورع[٧] . وأمّا الحسين ، فإنّى أرجو أن يكفيَكَه الله بمَنْ قتل أباه ، وخذَل أخاه . وأمّا ابنُ الزّبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ[٨] .

وفى غير هذه الرواية : « فإن ظفرت بابن الزبير فقطّعه إرْبا إرْبا » .

***

(١) الخطبة فى العقد (٤ : ٨٧) .

(٢) فى العقد وما عدا ل : « عترتك » . وعترة الرجل : رهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من العقد وما عدا ل .

(٤) فى كل يوم ، من ل فقط .

(٥) الشعار : ما ولى شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب . والدثار : الثوب يكون فوق الشعار .

(٦) فى العقد وعدا ل : فى « غير بلادهم » .

(٧) وقذه الورع ، أى كسره وأثخنه وبلغ منه مبلغا .

(٨) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . والضب : ذو الحقد .

فمات معاوية فقام الضحّاك بنُ قيس خطيبا ، فقال : إنّ أمير المؤمنين معاويةَ كان أنفَ العرب ، وهذه أكفانُه ونحن مُدْرِجُوه فيها ، ومُخَلُّون بينه وبين ربّه ، فمن أراد حضورَه بعد الظهر فليحضُرْه » . فصلّى عليه الضحّاك بن قيس ، ثم قَدِمَ يزيدُ ولده ، فلم يُقدِمْ أحدٌ على تعزيته حتّى دخل عليه عبدُ الله بن همّامٍ السَّلولى[1] فأنشأ يقول :

اصبرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ ... واشكرْ حِباءَ الذى بالمُلْك حاباكا[2]
لا رُزْءَ أصبحَ فى الأقوام قد علِموا ... كما رُزِئتَ ولا عُقْبَى كعُقْباكا
أصبحتَ راعِىَ أهلِ الدِّينِ كلِّهم ... فأنت ترعاهمُ واللهُ يرعاكا
وفى معاويةَ الباقى لنا خَلَفٌ ... إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعْ بمَنْعاكا

فافتتح الخطباء بعد ذلك بالكلام .

خطبة قتيبة بن مسلم[3]

قام بخراسان خطيبا حين خَلَعَ[4] فقال :

أتدرون من تُبايِعون ؟ إنّما تبايعون يزيدَ بن ثَرْوان — يعنى هَبَنَّقَةَ القيسىَّ[5] — كأنّى بأميرٍ من حاءٍ وحَكَمٍ[6] ، قد أتاكم يحكُمُ فى أموالكم وفُروجكم وأبشارِكم .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٤٠٩) .
(٢) فى العقد : « ذا مقة » . والمقة : الحب .
(٣) سبقت ترجمته فى هذا الجزء ص ٤٢ . زيد فيما عدا ل : « الباهلى » .
(٤) فى حواشى التيمورية : « يعنى حين خلع سليمان بن عبد الملك ودعا لنفسه بعد موت عمر بن عبد العزيز » . وفى العقد (٤ : ١٢٥) : « حين خلع سليمان بن عبد الملك » . وانظر خبر الخلع فى الطبرى (٨ : ١٠٣ — ١١٢) حيث انتهى الأمر بقتل قتيبة سنة ٩٦ . والخطبة وردت فى الطبرى (٨ : ١٠٥) مختلطة بالخطبة التى بعدها .
(٥) هو أبو نافع يزيد بن ثروان الملقب بذى الودعات ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ، كان يضرب به المثل فى الحمق . وكان يحسن إلى السمان من إبله ويهمل المهازيل ، ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهانه . انظر الميدانى فى (أحمق من هبنقة) .
(٦) حاء : حى من مذحج . انظر اللسان (٢٠ : ٣٣٤) ومقاييس اللغة (٢ : ٢٦) =

ثم قال : الأعراب وما الأعرابُ ، فلعنة الله على الأعراب . جمعْتُكم ، كما يجتمعُ قَزَعُ الخريف[١] ، من منابت الشِّيح والقَيصوم ، ومنابت القِلقِل[٢] ، وجزيرة أبركاوان[٣] تركبون البقَر ، وتأكلون القَضْبَ[٤] ، فحملتكم على الخيل ، وألبستكم السلاح ، حتّى منعَ اللهُ بكم البلاد ، وأفاء بكم الفَيْء .

قالوا : مُرْنا بأمرك . قال : غُرُّوا غيرى .

وخطب مرة أخرى

فقال[٥] : يا أهلَ العراق ، ألستُ أعلمَ النّاسِ بكم . أمّا هـذا الحيُّ من [أهل[٦]] العالية فنَعَمُ الصَّدَقةِ[٧] . وأمّا هـذا الحيُّ من بكر بن وائل فعِلْجةٌ بظْراء لا تَمنعُ رِجلَيها . وأمّا هذا الحيُّ من عبد القيس فما ضَرَبَ العيرُ[٨] بذنبه . وأمّا هـذا الحيُّ من الأزد ، فعُلوجُ خَلْقِ اللهِ وأنباطُه . وايمُ اللهِ لو ملكتُ أمرَ

= وحكم كذلك : حى من اليمن . هما جميعاً من سعد العشيرة بن مذحج . انظر نهاية الأرب (٢ : ٣٠١) حيث ورد الاسم الأول محرفا برسم « جا » .

(١) القزع : قطع من السحاب رقاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة . والخريف أول الشتاء يكون السحاب فيه متفرقا غير متراكم . انظر اللسان (قزع) حيث فسر قول على : « كما يجتمع قزع الخريف » . فيما عدا ل « كما يجتمع » .

(٢) القلقل ، بكسر القافين : شجر له حب عظام يؤكل . ل : « القلقل » تحريف .

(٣) الذى فى معجم البلدان : « بركاوان : ناحية بفارس » . وجاء فى تاريخ ابن الأثير (٣ : ١٧) : « وقيل أن عثمان بن أبى العاصى أرسل أخاه الحكم من البحرين فى ألفين إلى فارس ، ففتح جزيرة بركاوان فى طريقه » . وفى الطبرى : « تركبون البقر والحمر فى جزيرة ابن كاوان » .

(٤) القضب : الرطبة ، وهو ما أكل من النبات المقتضب غضا . فيما عدا ل : « الغضب »

(٥) الخطبة فى العقد (٤ : ١٢٦) .

(٦) من العقد وما عدا ل .

(٧) فى هامش التيمورية وب : « يعنى أنهم من قبائل شتى كنعم الصدقة وليسوا بعشيرة ولهم جرأة » .

(٨) العير : الحمار . كنى عن جاعرتيه ، وهما موضع الرقمتين من است الحمار . وصفهم بالمهانة والضعة .

النّاس لنقشْتُ أيديَهم (١) . وأمّا هذا الحىُّ من تميم فإنّهم كانوا يُسمُّون الغَدرَ فى الجاهلية : « كَيْسان » (٢) . قال النمر بن تولب يهجو تميما :

إذا ما دعَوا كيسانَ كان كهولُهم إلى الغَدر أدنَى من شبابِهم المُرْدِ

وخطب مرة أخرى ٦١٥

فقال (٣) : يا أهل خُراسان ، قد جرّبتم الوُلاةَ قبلى . أتاكم أُميّة (٤) فكان كاسمه أُميّةَ الرأى وأُميّةَ الدّين (٥) ، فكتب إلى خليفته : إنّ خراجَ خراسانَ وسجستان لو كان فى مِطبَخه (٦) لم يَكفِه ، ثم أتاكم بعده أبو سعيد — يعنى المهلّب (٧) — فدوّخَ بكم ثلاثا (٨) ، لاتدرُون أفى طاعةٍ أنتم أم فى معصيةٍ . ثم لم يجْبِ فيئاً ولم يَنكِ عدوّا (٩) . ثم أتاكم بنوه بعدَه مثلَ أطباء الكَلْبةِ ، منهم ابن الدّحمة (١٠)

(١) أى لو وسمت أيديهم بالنار . وفى هامش ب : « هذه إشارة لفعل الحجاج ؛ لأنه كان قد وسم فى أيديهم بالنار » .

(٢) مابعد هذه الكلمة وضع فى ب تعليقاً على كلمة « كيسان » .

(٣) الخطبة فى العقد (٤ : ١٢٦) والطبرى (٨ : ١٠٥) . وقد مزج الطبرى بين هذه الخطبة وسابقتها .

(٤) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العاص ، كان عاملا لعبد الملك بن مروان على خراسان ، ثم عزله سنة ٧٨ وجمع سلطانه للحجاج . الطبرى (٧ : ٢٨٠) .

(٥) الأمية : تصغير الأمة المملوكة .

(٦) فيما عدا ل : « مطبخته » . ونص فى المعاجم على أنه « المطابخ » بكسر الميم .

(٧) هو المهلب بن أبى صفرة ، ولى خراسان من قبل الحجاج بعد أمية . الطبرى (٧ : ٢٨٠) .

(٨) ل والتيمورية : « بلايا » وفى ب ، حـ : « البلا » . محرفان عما أثبت . وفى الطبرى : « فدوم بكم ثلاث سنين » . والتدويم : الدوران .

(٩) نكى العدو ينكيه : أصاب منه . الطبرى : « لم ينكأ » يقال أيضاً نكأت العدو أنكؤهم ، لغة فى نكيتهم .

(١٠) فى العقد : « دحمة » . وقال معقباً : «ابن دحمة ، يريد يزيد بن المهلب» . وفى اللسان (دحم) : « قال أبو النجم :

* لم يقض أن يملكنا ابن الدحمه *

حرك احتياجا — أى للضرورة — يعنى يزيد بن المهلب » . وقد ولى الحجاج يزيد هذا خراسان بعد موت المهلب سنة ٨٣ ثم عزله الحجاج عن خراسان سنة ٨٤ ، وولاها أخاه المفضل ابن المهلب . الطبرى (٨ : ٢٠ ، ٤٢) .

حِصانٌ يضرِب فى عانةٍ(١) ، ولقـد كان أبُوه يخافه على أُمّهات أولاده ، ثمّ أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، وأمَّن لـكم السُّبُل ، حتى إن الظَّعينة لتَخرُج من مَرْوَ إلى سَمَرْقَند فى غير جَوَازٍ(٢) .

خطبة الأحنف بن قيس

قال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه(٣) :

يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخوانُنـا فى الدِّين ، وشُركاؤنا فى الصِّهر ، وأشِقّاؤنا فى النَّسب ، وجيرانُنا فى الدّار ، ويدُنا على العدُوّ . والله لَأَزْدُ البصرة أحبُّ إلينا من تميم الـكوفة ، ولأزْد الـكوفة أحبُّ إلينا من تميم الشام . فإن استَشْرَى شنآنُكم(٤) ، وأبَى حَسَك صُـدُورِكم(٥) ، ففى أموالنا وأحلامنا سعةٌ لنا ولـكم .

خطبة جامع المحاربىّ

ومن محاربٍ جامع ، وكان شيخاً صالحا ، خطيباً لَسِنا ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينةَ واسط : « بنيتَها فى غير بلدك ، وأورثْتَها غيرَ ولدِك . وكذلك مَن قَطَعه العُجْب عن الاستشارة ، والاستبداد عن الاستخارة » .

---

(١) العانة : القطيع من حمر الوحش . الطبرى : « يزيد خل تبارى إليه النساء » .
(٢) وكذا فى الطبرى . والجواز : الولاية . اللسان (جوز ١٩٢) . ب والتيمورية : « جوان » تحريف .
(٣) الخطبة فى العقد (٤ : ١٣٤) والطبرى (٧ : ٣٢) .
(٤) الشنآن : العداوة والبغض . استشرى : عظم وتفاقم . فيما عدا ل « استشرف » تحريف
(٥) حسك الصدر : حقد العداوة ، كما فى اللسان (حسك) . فى العقد وما عدا ل : « حسك صدوركم » .

وشكا الحجاج سُوء طاعةِ أهل العراق وتَنَقَّم مذهبَهم ، وتسخَّطَ طريقتَهم ، فقال جامع[١] :

أمَا إنَّهم لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنّهم ما شَنِفوك لنَسَبك[٢] ، ولا لبلدك ، ولا لذاتِ نَفْسك ، فدَعْ ما يُبعِدهم منك ، إلى مايقرِّبُهم إليك ، والتمس العافيةَ ٣١٦ ممّن دونَك [تُعْطَها ممّن فوقك[٣]] ، وليكن إيقاعُك بَعْدَ وعيدِك ، ووعيدُك بعد وعدك .

فقال الحجاج : إنّي والله ما أرى أن أردَّ بني اللَّكيعةِ إلى طاعتي إلاّ بالسيف . فقال : أيُّها الأمير ، إنَّ السَّيفَ إذا لاقَى السَّيفَ ذهب الخِيار . فقال الحجاج : الخيار يومئذٍ لله . فقال : أجل ، ولكن لا تَدرِي لمن يجعلُه الله . فغضب الحجاج فقال : يا هَناه[٤] ، إنّك من مُحارب . فقال جامع :

وللحرب سُمِّينا وكُنَّا مُحارباً إذا ما القَنَا أمسى مِن الطَّعن أحمرا

والبيت للخُضْرى[٥] .

فقال الحجّاج . والله لقد هممتُ أن أخلَعَ لسانَك فأضربَ به وجهك . قال جامع : إنْ صدَقْناكَ أغضَبْناك ، و إن غَشَشناكَ أغضبنا الله . فغضَبُ الأميرِ أهوَنُ علينا من غضب الله . قال : أجَلْ . وسَكَنَ وشُغِل الحجّاجُ ببعض الأمر ، وانسلَّ

---

(١) الخطبة فى العقد (٣ : ٤/١٧٩ : ١١٤) وزهر الآداب (٤ : ٤٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢١٢) .

(٢) شنفه : أبغضه . وفى العقد والعيون : «شنئوك» ، يقال شنأه وشنئه : أبغضه .

(٣) التكملة من المصادر المتقدمة وما عدا ل .

(٤) الهن : كلمة يكنى بها عن الإنسان ، تقول : يا هن أقبل . وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل يا هناه بضم الهاء ، على تقدير أنها آخر الاسم ، وبكسرها لالتقاء الساكنين . اللسان (هنا) .

(٥) هو الحكم بن معمر الخضرى . والخضر ولد مالك بن طريف ، وكان بينه وبين ابن ميادة مهاجاة . الأغانى (٢ : ٩٤) .

جامعٌ فمرّ بين صُفُوفِ خيل الشام ، حتّى جاوزهم إلى خيل العراق . وكان الحجّاج لا يَخلِطهُم ، فأبصر كَبْكَبَةً فيها جماعةٌ كثيرة من بَكر العراق ، وقيسِ العراق ، وتميم العراق ، وأزد العراق ، فلمّا رأوْه اشرأبّوا إليه ، و بلغَهم خروجُه فقالوا له : ماعندك ؟ دافعَ اللهُ لنا عن نفسك . فقال : ويحكم عُمّوه بالخَلْع كما يعُمّكم بالعداوة ، ودعُوا التّعادى ما عاداكم ، فإذا ظفِرتم به تراجعتم وتعاقبتم . أيُّها التّميمى ، هو أعدى لك من الأزدىّ ، وأيُّها القيسىّ ، هو أعدى لك من التّغلبىّ . وهل ظفِر بمن ناوأه منكم إلاّ بمن بقى معه منكم .

وهرب جامعٌ من فوره ذلك إلى الشّام فاستجار بزُفَر بن الحارث .

٣١٧ وخطب الحجاج

فقال[١] : اللهم أرِنى الهُدَى هُدًى فأتّبِعَه ، وأرِنى الغَىَّ غيًّا فأجتنبَه[٢] ، ولا تَكِلْنى إلى نفسى ، فأضلَّ ضلالاً بعيدا . والله ما أُحِبُّ أنَّ مامضى من الدُّنيا بعمامتى هذه ، ولَمَا بَقِي منها أشبهُ بما مضَى من الماء بالماء .

وخطبة له أيضا

الهيثم قال : أنبأنى ابنُ عَيّاش ، عن أبيه قال : خرج الحجّاج يوماً من القصر بالكوفة ، فسمِع تكبيراً فى السوق ، فراعه ذلك ، فصعِد المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلَّى على نبيّه ثم قال[٣] :

يا أهل العراق ، يا أهل الشّقاق والنّفاق ، ومساوِى الأخلاق ، وبَنى

---

(١) الخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) .

(٢) فى العقد وما عدا ل بتقديم هذه الجملة على سابقتها .

(٣) الخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) وابن أبى الحديد (١ : ١١٤) والطبرى (٧ : ٢١٢) وإعجاز القرآن ١٢٤ .

الأَكيمةِ ، وعبيدَ العصا ، وأولادَ الإماء ، والفَقْع بالقَرْقَرِ [١] . إنّى سمِعتُ تكبيراً لا يُراد به الله ، وإنما يُراد الشيطان . وإنَّما مَثَلى ومَثَلكم ما قال عمرو بن بَرَّاقة الهَمْدَانيّ [٢] :

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنى غزوتُهم ... فهل أنا فى ذا يالَ هَمْدانَ ظالمُ
مَتى تجمَعِ القلبَ الذكىَّ وصارماً ... وأنفاً حَمِيًّا تجتنبْك المظالمُ

أمَا والله لا تقرَعُ عصاً عَصاً إلاّ جعلتُها كأمْسِ الدَّابر .

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم [٣]

خطب أهل العراق بعد دَيْر الجماجم [٥] فقال :

يا أهل العراق ، إنّ الشيطان ، قد استبطنكم فخالَطَ اللحمَ والدّمَ ، والعصَبَ والمسامِعَ ، والأطراف والأعضاء ، والشَّغاف ، ثمَّ أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ ، ثم ارتفع فعَشّش ، ثم باض وفرّخ ، فحَشا كم نِفاقاً ، وأشعرَكُم خِلافا ، واتّخذتموه دليلاً تتّبعونه ، وقائدا تُطيعونه ، ومُؤامَراً تستشيرونه . فكيف تنفعكمْ تجربةٌ ، وتعِظُكم وقعة ، أو يحجِزُكم إسلام ، أو ينفعُكم بيان . ألستم أصحابى بالأهواز ، حيثُ رُمتمُ المَكْر ، وسعيتم بالغَدْر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أنّ الله يخذُل

---

(١) الفقع : كمأة بيض رخوة . والقرقر : الأرض المنخفضة .

(٢) عمرو بن براقة أو ابن براق كما ذكر صاحب الأغانى (٢١ : ١١٣) . وهو أحد عدائى العرب ، ذكره تأبط شرا فى قصيدته الأولى من المفضليات :

ليلة صاحوا وأغروا بى سراعهم ... بالعيكتين لدى معدى ابن براق

فيما عدا ل : « برق » وهو الأصح .

(٣) موضع هذه الخطبة فيما عدا ل بعد كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة فى ص ٣٢١ من الأصل .

(٤) كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، بقرب الكوفة ، وفيها هزم ابن الأشعث سنة ٨٣ . الطبرى (٨ : ٢١) . والخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) وابن أبى الحديد (١ : ١١٤) ونهاية الأرب (٧ : ٢٤٥) .

دينَه وخِلافتَه ، وأنا أرميكم بطَرْفى ، وأنتم تَسَلَّلون لِواذاً[١] ، وتنهزمون سِراعاً . ثمّ يومُ الزّاوية وما يوم الزّاوية[٢] ، به كان فشَلُكم[٣] وتنازُعكم وتخاذُلكم ،
٣١٨ وبراءةُ اللهِ منكم ، ونكوصُ[٤] وليِّكم عنكم ، إذ ولَّيتم كالإبل الشَّوارِدِ إلى أوطانها ، النَّوازعِ إلى أعطانها ، لا يَسألُ المرءُ عن أخيه ، ولا يُلوِى الشّيخُ على بنيه ، حين عَضَّكم السِّلاح ، ووَقَصَتْكم الرِّماح[٥] . ثم يومُ دَيرِ الجماجم ، وما يومُ دير الجماجم ، به كانت المعاركُ[٦] والملاحم ، بضَربٍ يُزيل الهامَ من مَقيلِه ، ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليله[٧] .

يا أهلَ العراقِ ، الكَفَراتِ بعد الفَجَرات[٨] ، والغَدَراتِ بعد الخَتَرات ، والنَّزوةَ بعد النَّزَوات ! إنْ بعثتُكم إلى ثُغوركم غَلَلْتُمْ وخُنْتُم[٩] ، وإن أمِنتم أرْجَفتُم ، وإن خِفتم نافقتُم . لا تَذكُرون حسنةً ، ولا تشكرون نِعمة . هل استخفَّكم ناكثٌ ، أو استغواكم غاوٍ ، أو استفزَّكم عاصٍ[١٠] ، أو استنصرَكم ظالم ، أو استعضدكم خالعٌ إلّا تبِعتموه وآويتُموه ، ونصرتُموه ورجَّبتموه[١١] .

يا أهلَ العراق ، هل شَغَبَ شاغبٌ ، أو نَعَبَ ناعب ، أو زفَرَ زافرٌ إلّا كنتم

---

(١) فيما عدا ل : « تتسللون » .

(٢) الزاوية : موضع قرب البصرة ، كانت به وقعة مشهورة بن الحجاج وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين ، وذلك سنة ٨٢ . الطبرى (٨ : ١٢) .

(٣) فيما عدا ل : « بها كان فشلكم » .

(٤) ل : « ونصوص » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وقصمتكم » . والقصم والوقص : الكسر .

(٦) فيما عد ل: « بها كانت المعارك » .

(٧) اقتبس هذا من رجز لعمار بن ياسر فى وقعة صفين ٣٧٦ — ٣٨٧ .

(٨) فى سائر المصادر : « والكفرات بعد الفجرات » بالعطف .

(٩) غل غلولا : خان .

(١٠) ب ، حـ : « أو استنفركم عاص » .

(١١) الترجيب : التعظيم . ل : « ربيتموه » .

أتباعَه وأنصارَه . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظُ ؟ ألم تَزجرْكم الوقائع ؟! ثم التفتَ إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام إنّما أنا لكم كالظّليم الرامِحِ عن فراخه[1] ، ينفى عنها المدَر ، ويُباعِد عنها الحجر ، ويُكنّها من المطر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرُسها من الذِّئاب . يا أهلَ الشام ، أنتم الجُنّة والرِّداء ، وأنتم العُدّة والحِذاء .

***

وقال رجلٌ لحذيفة[2] : أخشى أن أكون منافقاً . فقال : لو كنتَ منافقا لم تخْشَ ذلك .

وقال آخر : اعلم أنّ المصيبة واحدةٌ إن صبرت ، وإن لم تصبر فهما مصيبتان . فمصيبتُك بأجرك ، أعظمُ من مصيبتك بميّتك .

وقال صالح بن عبد القُدّوس :

إن يكن ما به أُصِبْتَ جليلاً فذَهابُ العزاء فيه أجلّ[3]

وقال آخر : تعزَّ عن الشىء إذا مُنِعتَه ، لقلّة ما يصحبُك إذا أُعطِيتَه ؛ وما خَفّف الحساب وقلّله ، خيرٌ مما كثّره وثقّله .

قال : وحدثنا أبو بكر الهُذلى — واسمه سُلْمِيٌّ[4] — قال : إذا جَمع الطّعامُ أربعاً فقد كمل وطاب : إذا كان حلالاً ، وكثُرت الأيدى عليه ، وسُمّى اللهُ تعالى فى أوّله ، وحُمِد فى آخره .

---

(١) الظليم : ذكر النعام . الرامح : المدافع . وفى اللسان (٣ : ٢٨٧) : « والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع » . وانظر هذه القطعة من الخطبة فى الحيوان (٦ : ٣٥٣) .

(٢) هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان ، أحد الصحابة الأجلاء ، استعمله عمر على المدائن . ومات سنة ٣٦ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٤٩) .

(٣) سبق البيت فى ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .

٣١٩ خطبة كلثوم بن عمرو[1]

أما بعدُ فإنّه لا يُخبِر عن فَضْل المرء أصدَقُ مِن تزكيه نفسه ، ولا يعبِّر عنه فى تزكيةِ أصحابه أصدَقُ من اعتماده برغبته ، وائتمانِه إيّاهم على حرمته .

خطبة يزيد بن الوليد

قالوا[2] : ولمّا قتَل يزيدُ بن الوليد ابنَ عمِّه الوليدَ بنَ يزيدَ بنِ عبد الملك[3] ، قام خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

والله يأيها الناس[4] ، ما خَرَجْتُ أشَراً ولا بَطَراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً فى الملك ، وما بِىَ إطراء نفسى ، وإنِّى لظَلومٌ لها ، ولقد خَسِرتُ إن لم يرحمْنى ربِّى ، ويغفرْلى ذنبى[5] ، ولكنِّى خرجتُ غضَباً لله ولدينه ، وداعياً إلى الله وسُنّة نبيّه ، لمّا هُدِمَت معالمُ الهُدى ، وأُطفِئ نُور التُّقى[6] ، وظهرَ الجبّار العنيد ، وكثُرَتْ حولَه الحِزَق والجُنود[7] ، المستحلُّ لكلِّ حُرْمة ، والراكبُ لكلِّ بِدعة . مع أنه والله ما كان يؤمنُ بيوم الحساب ، ولا يصدِّق بالثواب والعِقاب . وإنّه لابنُ عمِّى فى النَّسب ، وكُفْئِى فى الحسَب . فلمّا رأيتُ ذلك استخرتُ الله فى أمره ، وسألتُه أن لا يكِلَنى إلى نفسى ، ودعوت إلى ذلك مَن

(١) هو العتابى ، الذى مضت ترجمته فى (١ . ٢٢١) . وفى جميع النسخ : « عمرو بن كلثوم » تحريف .

(٢) الخطبة فى النقد (٤ : ٩٥) والفخرى ١٢٠ وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٨) .

(٣) قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وولى الخلافة بعده . الطبرى (٩ : ٢) .

(٤) فيما عدا ل : « أيها الناس والله » .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) فيما عدا ل : « التقوى » .

(٧) وهذه الجملة من ل فقط . والحزق : الجماعات : جمع حزقة ، بالكسر .

أجابنى من أهل وِلايتى ، حتى أراح الله منه العباد ، وطَهَّرَ منه البلاد ، بحول الله وقُوّته ، لا بحولى وقوّتى .

أيها الناس ، إنّ لكم علىَّ ألاّ أضعَ حَجَرا على حجرٍ ، ولا لَبِنةً على لَبِنةٍ ، ولا أكْرِى نهرا[1] ، ولا أكنِزُ مالاً ، ولا أعطِيه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقُلَ مالاً من بلدٍ إلى بلد حتى أسُدَّ فقر ذلك البلد وخَصاصةَ أهْلِه ، بما يغنيهم ، فإنْ فَضَلَ شىء[2] نقلتُه إلى البلد الذى يليه ، ممّن هو أحوجُ إليه منه . ولا أُجَمِّرَكم فى ثُغورِكم[3] فأفتِنَكم وأفتنَ أهالِيَكم ، ولا أُغلق بابى دونَكم فيأكلَ قويُّكم ضعيفَكم ، ولا أحملَ على أهلِ جِزْيتكم ما أُجْليهم به عن بلادهم ، وأقطعُ نسلَهم . ولكم عندى أعطِياتُكم فى كلِّ سنةٍ ، وأرزاقكم فى كلِّ شهرٍ ، حتى تَستدِرَّ ٣٢٠ المعيشة بين المسلمين ، فيكونَ أقصاهم كأدناهم . فإنْ أنا وفَيْتُ فعليكم السَّمعُ والطاعة ، وحسن المُوازرة والمكانفة[4] ، وإن أنا لم أوفِ لكم[5] فلكم أن تخلعونى ، إلاّ أنْ تستَتِيبونى ، فإنْ أنا تُبْتُ قبلتم منّى ، وإن عرَفتم أحداً يقوم مَقامى ممّن يُعرَف بالصّلاح ، يعطيكم من نفسه مثلَ الذى أعطيكم ، فأردْتم أنْ تبايعوه فأنا أوّلُ من يبايِعُه ، ويدخلُ فى طاعته[6] .

أيُّها الناس : لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق . أقول ذلك[7] وأستغفر الله لى ولكم .

فلما بويع مَروان [بن محمد] نبشَه وصلبَه . وكانوا يقرءون فى الكتب :

---

(١) كرى النهر : احتفره .
(٢) فيما عدا ل : « فإن فضل فضل » .
(٣) جر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفلهم .
(٤) المكانفة : المعاونة . (٥) فيما عدا ل : « أف لكم » .
(٦) فيما عدا ل : « من بايعه ودخل فى طاعته » .
(٧) فيما عدا ل : « أقول قولى هذا » .

« يا مُبذِّر الكنوز ، ويا سَجَّاداً بالأسحار ، كانت ولايتُك لهم رحمة ، وعليهم حُجة ، أخذوك فصلَبُوك » .

خطبة يوسف بن عمر

قام خطيباً يوسف بن عمر[١] فقال[٢] :

اتَّقوا اللهَ عبادَ الله ، فكم مِن مؤمِّلٍ أملاً لايبلغُه ، وجامِعٍ مالاً لايأكله ، ومانعٍ ماسوف[٣] يتركُه ، ولعلَّهُ مِن باطلٍ جَمَعه ، ومِن حقٍّ مَنَعه ، أصابَهُ حراماً ، وأورثَه عَدوًّا ، فاحتمل إصْرَه[٤] ، وباء بِوزره ، وورَد على ربِّه آسفاً لاهفاً ، قد خسر الدُّنيا والآخرة ، ذلك هو الخُسران المبين .

كلام هلال بن وكيع[٥] وزيد بن جبلة[٦] والأحنف بن قيس عند عمر

بشَّار بن عبد الحميد ، عن أبي ريحانة[٧] قال : وفد هِلال بن وكيع ، والأحنف بن قيس ، وزَيد بن جَبَلة على عمر رحمه الله ، فقال هلالُ بن وكيع :

---

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣١١) ، وهو ابن ابن عم الحجاج .

(٢) الخطبة في العقد (٤ : ١٣٤) ونهاية الأرب (٧ : ٢٥٥) .

(٣) فيما عدا ل : « مما سوف » .

(٤) الإصر ، بالكسر : الذنب ، وعقوبة الذنب .

(٥) هلال بن وكيع ، اختلف في صحبته . وقتل يوم الجمل . الإصابة ٩٠٥٣ .

(٦) ذكره في الإصابة ٢٩٩٠ باسم « زيد بن حيلة » بالياء ، ثم قال : « ويقال بجيم وموحدة ، ويقال زيد بن رؤاس التيمي » . وكان شريفا ، وكان الأحنف يقول فيه : طالما خرقنا النعال إلى زيد نتعلم منه المروءة — يعني في الجاهلية . وله ذكر في وقعة صفين ٢٧ . وذكر ابن عساكر أنه وفد على معاوية .

(٧) هو أبو ريحانة شمعون — ويقال سمعون — بن زيد بن خنافة الأزدي حليف الأنصار ، له صحبة وشهد فتح دمشق ، وكان مرابطا بعسقلان . قالوا : وهو أول من طوى الطومار وكتب فيه مدرجا مقلوبا . الإصابة ٣٩١٦ وتهذيب التهذيب .

يا أمير المؤمنين ، إنّا لُبابُ مَن خلفَنا من قومنا ، وغُرَّةُ مَن وراءنا من أهل مصرِنا ، وإنّك إنْ تصرِفْنا بالزيادة فى أعطياتنا ، والفرائضِ لعيالاتنا ، يزدْ ذلك الشَّريفَ منا تأميلاً ، وتكنْ لذوى الأحساب أباً وَصُولا . وإنّا إنْ نكن مع ما نَمُتُّ به من فضائلك ، وندلى به مِنْ أسبابك[1] ، كالجُدِّ لا يَحُلّ ولا يُرحَل[2] ، نرجِعْ بأنفٍ مَصلومة ، وجُدودٍ عاثرة . فمحْ من أهالينا[3] بسَجْلٍ من سِجالك * المُتْرَعة . ٣٢١

وقام زيدُ بن جبلة فقال : يا أمير المؤمنين ، سَوِّدِ الشَّريفَ وأكرِمِ الحسيب ، وازرَعْ عندنا من أياديك ما تسدُّ به الخَصاصَة ، وتَطرُد به الفاقة[4] ، فإنّا بقُفٍّ من الأرض[5] ، يابسِ الأكناف ، مقشعِرِّ الذِّروة ، لا شجرَ فيه ولا زَرْع . وإنّا مِن العرب اليومَ إذْ أتيناك ، بمرأًى ومَسمَع .

وقام الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين إنّ مفاتح الخير بيد الله ، والحرصَ قائِد الحِرمان . فاتّقِ الله فيما لا يُغنى عنك يَوم القيامة قِيلاً ولا قالا ، واجعَلْ بينك وبين رعيّتك من [العدلِ] والإنصافِ سبباً[6] يكفيك وِفادة الوفود ، واستماحةَ المُمتاح ؛ فإنّ كلَّ امرئٍ [إنّما] يجمع فى وعائه ، إلا الأقلَّ ممّن [عسى أن] تقتحمه الأعيُن ، وتخونَهم الألسن ، فلا يُوفَد إليك يا أمير المؤمنين[7] .

---

(١) ل : « من فضائله » و « من أسبابه » .

(٢) الجد ، بالضم : البئر القليلة الماء ، والماء يكون فى طرف الفلاة . عنى أنه ليس بموضع حلول وارتحال ، لقلة جدواه .

(٣) المبح : العطاء . فيما عدا ل : « فمحنا وأهالينا » .

(٤) فيما عدا ل : « نسد » و « ونطرد » بالنون .

(٥) القف ، بالضم : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٦) فيما عدا ل : « شيئا » .

(٧) بعد هذه ، فيما عدا ل ، خطبة الحجاج بعد دير الجماجم التى مضت فى ص ١٣٨ .

خطبة زياد

وخطب زياد فقال :

استوصوا بثلاثةٍ خيرا : الشريف ، والعالم ، والشيخ . فوالله لا يأتينى شريفٌ بوضيع استخَفَّ به إلاّ انتقمتُ له منه ، ولا يأتينى شيخٌ بشابٍ استخَفَّ به إلا أوجعتهُ ضربا ، ولا يأتينى عالمٌ بجاهل استخفَّ به إلاّ نكّلتُ به[١] .

***

علىّ بن سليم ، قال : قال حاتمُ طيّ لعدىٍّ ابنه : أىْ بُنىّ ، إن رأيتَ أنّ الشرَّ يترُكُك إن تركته فاتركه .

وقال عدى بن حاتم لابنٍ له : قم بالباب فامنعْ مَن لا تعرف ، وأْذَنْ لمن تعرف . فقال : لا والله ، لا يكونَنّ أوّلَ شىء وَلِيته من أمْر الدنيا منعُ قومٍ من طعام[٢] .

وقال مدينىٌّ لعبد الملك بن مروان ، ودخل عليه بنوه : أراكَ الله فى بنيك ما أرى أباكَ فيك ، وأرى بنيكَ فيك ما أراكَ فى أبيك .

وقال بعض الأعراب وهو يرقِّص بعضَ أولاد الخلافة ويقول :

إنّا لنرجُوكَ لتِيكَ تِيكَا ... لمـــا نرجِّيك ونجتبيكا

هى التى نأمُل أن تأتيكا ... وأن يرَى ذاكَ أبوكَ فيكا

* كما رأى جَدُّك فى أبيكا[٣] *

***

(١) هنا فيما عدا ل موضع جملة : « فوالله لا يأتينى شريف .. » الخ .

(٢) فيما عدا ل : « من طعامك » .

(٣) هذا الخبر من ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ .

وقال ابن شُبرُمة(١) : ذهب العلم إلاّ عِبارات فى أوعية سوء(٢) . ٣٢٢

الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عيّاش ، عن أبيه(٣) قال : خرج الحجّاج إلى القاوسان(٤) فإذا هو بأعرابىّ فى زرع فقال له : ممّن أنت ؟ فقال : من أهل عُمان . قال : فمن أىّ القبائل ؟ قال : من الأزد . قال : كيف عِلمُك بالزرع ؟ قال : إنّى لأعلم من ذلك علماً . قال : فأى الزرع خيرٌ ؟ قال : ما غَلُظ قصبُه ، واعتمّ نبتُه ، وعظُمت حبّته ، وطالت سنبلتُه . قال : فأىّ العِنب خير ؟ قال : ما غَلُظ عموده ، واخضرّ عوده ، وعظم عُنقوده . قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غَلُظ لحاؤه ، ودقّ نواه ، ورقّ سَحاه(٥) .

---

(١) هو عبد الله بن شبرمة ، تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٨) .

(٢) كذا ورد فى جميع النسخ . والصواب : «غبرات» . والغبرة ، بضم الغين وتشديد الباء : البقية من كل شىء ، وكذلك الغبرة بالضم وتسكين الباء . وجاءت على الصواب الذى أشرت إليه فى جامع بيان العلم لابن عبد البر (١ : ١٣٥) .

(٣) ابن عياش ، هو عبد الله بن عياش ، المترجم فى (١ : ٢٦٠) . ل : «ابن عباس عن أبيه» تحريف .

(٤) فيما عدا ل : «الفارسان» .

(٥) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى القشرة .

باب

من اللغز فى الجواب

قالوا : كان الحطيئة يرعَى غنماً له ، وفى يده عصا ، فمرّ به رجلٌ فقال : يا راعىَ الغنم ما عندك ؟ قال : عجراء من سَلَمٍ [1] . يعنى عَصَاهُ . قال : إنّى ضيف . فقال الحطيئة : للضِّيفان أعددتُها .

قال ابنُ سليم [2] : قال قيس بن سعد [3] : اللهم ارزقْنى حمداً ومجداً ، فإنه لا حَمد إلاّ بِفَعال ، ولا مجدَ إلاّ بمال .

وقال خالد بن الوليد لأهل الحِيرة : أخرِجُوا إلىّ رَجلاً من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور . فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حَيّان [4] بن بُقَيلة [5] الغسّانى ، وهو الذى بنى القَصر [6] ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة فقال له خالد : مِن أين أقصى أثرِك ؟ قال : مِن صُلب أبى ، قال : فمن أينَ خرجت قال : مِن بطن أمّى . قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض . قال : فيم أنت ؟ قال : فى ثيابى . قال : ما سنُّك ؟ قال : عَظمٌ . قال : أتعقِل ، لاعَقَلتَ ؟ قال : إى

---

(١) العجراء : الكثيرة العجر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر .

(٢) هو على بن سليم ، سبق قريبا فى ص ١٤٥ س ٦ .

(٣) فيما عدا ل : « إن قيس بن سعد بن عبادة قال » .

(٤) فيما عدا ل : « حبان » صوابه فى ل والمعمرين ٣٧ . وأدرك عبد المسيح الإسلام ولم يسلم ، وكان نصرانيا . انظر أمالى المرتضى (١ : ١٨٨) .

(٥) فى الأصل « نفيلة » ، صوابه من المعمرين . قال السجستانى : « وخرج بقيلة فى ثوبين أخضرين ، فقال له إنسان ! ما أنت إلا بقيلة . فسمى « بقيلة » لذلك ، واسمه ثعلبة بن سنين . وانظر أمالى المرتضى (١ : ١٨٨) .

(٦) هو قصر بنى بقيلة ، كما ذكر المرتضى ، بناه بالحيرة . وأنشد السجستانى والمرتضى له :

لقد بنيت للحدثان قصراً ... لو ان المرء تنفعه الحصون

رفيع الرأس أقعس مشمخرا ... لأنواع الرياح به حنين

والله وأُقَيِّد . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال : كم أتى عليك من الدهر ؟ فقال : لو أتى علىّ شىء لقتلنى . قال : ما تزيدنى مسألتك إلا عُمًّى[1] ؟ قال ما أجبتُك إلّا عن مسألتك . قال : أعربٌ أنتم أم نَبط ؟ قال : عربٌ استنبطنا ، ونبط استعربنا . قال : أ فحربٌ أنتم أم سَلم ؟ قال : سَلم . قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : ٣٢٣
بنيناها للسَّفيه حتَّى يأتى الحليمُ[2] فينهاه . قال : كم أتت عليك سنة ؟ قال : خمسون وثلثمائة . قال : فما أدركتَ ؟ قال : أدركتُ سفنَ البحر تُرفَأُ إلينا فى هذا الجُرُف ، ورأيت المرأة من أهل الحِيرة تأخذ مِكتَلها على رأسها ، ولا تتزوَّدُ إلاّ رغيفاً واحداً فلا تزال فى قُرًى مُخصِبة متواترةٍ حتَّى تَرِد الشام ، ثم قد أصبحتْ خراباً يَباباً ، وذلك دأبُ الله فى العباد والبلاد .

قال : وأتى أزهَرَ بن عبد الحارث رجلٌ من بنى يربوع ، فقال : ألا أدخل . قال : وراءَك أوسَعُ لك . قال : قد أحرقت الشَّمس رجلىَّ[3] . قال : بُلْ عليهما [تبرُدا] . فقال : يا آل يربوع ! قال : ذليلاً دعوت . يا بنى دُرَيْص[4] ، أطعمتكم عاماً أوّلَ جُلَّةً[5] ، فأكلتم جُلَّتكم ، وأغرتم على جُلَّةِ الضِّيفان .

وقال الحجّاج لرجلٍ من الخوارج : أجَمعت القرآن ؟ قال : أمُفَرَّقاً[6] كان فأجمعَه . قال : أتقرؤه ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر إليه . قال : أفتحفظُه ؟ قال : أخشِيتُ فِراره فأحفظه . قال : ما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال :

---

(١) العمى : الأمر الملتبس . ل : « عمى » ما عدا ل « غما » . والوجه ما أثبت .
(٢) فيما عدا ل : « حتى يأتى » .
(٣) فيما عدا ل : « إن الشمس أحرقت رجلى » .
(٤) دريص : مصغر درص ، بالكسر ، وهو ولد اليربوع ، ويقال أيضا لولد الفأر والقنفذ والهرة والكلبة والذئبة ونحوها . وفيما عدا ل : « حريص » تحريف .
(٥) الجلة ، بالضم : وعاء من خوص يوضع فيه التمر ويكنز .
(٦) فيما عدا ل : « أمفترقا » .

لعنَه الله ولعنَكَ معه . قال : إنّك مقتول فكيف تلقَى الله ؟ قال : ألقى الله بعملِي وتلقاه أنت بدمي[1] .

وقال لقمان لابنه وهو يعظُه : يا بُنَيّ ، ازحَم العلماء برُكبتيك ، ولا تجادلهم فيمقُتوك ، وخُذْ من الدُّنيا بلاغَك ، وأبْقِ[2] فُضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدُّنيا كلَّ الرفض فتكون عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كَلاًّ ، وصمْ صوماً يكسِرُ شهوتك ، ولا تصمْ صوماً يضرُّ بصلاتك ، فإنّ الصلاةَ أفضل من الصوم ، وكُن كالأب لليتيم ، وكالزَّوج للأرمَلة ، ولا تحابِ القريب ، ولا تجالس السَّفيه ، ولا تخالِطْ ذا الوجهين ألبتّة .

وسمع الأحنفُ رجلاً يُطرى يزيد عند معاوية ، فلما خَرج من عنده استحْنفَرَ في ذمِّهما[3] ، فقال له الأحنف : مَهْ ؛ فإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً .

٣٢٤ وقال سعيد بن أبي العَرُوبة[4] : لَأنْ يكونَ لي نصفُ وجهٍ ونصفُ لسان ، على ما فيهما من قُبح المنظر وعَجز المَخْبَر ، أحبُّ إليَّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين ، وذا قولين مختلفين .

وقال أيوب السَّختياني[5] : التّام ذو الوجهين أحسنَ الاستماع ، وخالفَ في الإبلاغ .

* * *

(١) فيما عدا ل : « ألقاه بعملي وتلقاه بدمي » .
(٢) فيما عدا ل : « وأنفق » .
(٣) استحنفر الرجل في منطقه : مضى ولم يتلبث .
(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٣٦٩) .
(٥) هو أيوب بن أبي تميمة السختياني المترجم في (١ : ١٩٢) . والسختياني ، بفتح السين المهملة وكسرها ، نسبة إلى عمل السختيان وبيعها ، وهي الجلود الضانية . انظر السمعاني ٢٩٢ والقاموس (سخت) . و « سختيان » لفظة فارسية . معجم استينجاس ٦٦١ .

حفص بن صالح الأزدى[١] عن عامر الشّعبى ، قال : كتب عمر إلى معاوية[٢] :

« أمّا بعد فإنّى كتبتُ إليك بكتابٍ فى القَضاء لم آلُكَ فيه ونفسى خيراً . ألزَمْ خمسَ خصالٍ يسلمْ لك دينُك ، وتأخذْ فيه بأفضل حظّك : إذا تقدَّم إليك خَصمان فعليك بالبيّنة العادلة ، أو اليمين القاطعة . وأدْنِ الضعيف حتّى يشتدَّ قلبُه وينبسط لسانه . وتعهّد الغريبَ ؛ فإنّك إن لم تتعهّدْه ترك حقَّه ، ورجَع إلى أهله ؛ وإنما ضيّع حقَّه من لم يرفُقْ به . وآسِ بينهم فى لحظك وطرفك . وعليك بالصُّلح بين الناس ما لم يَستبِنْ لك فَصل القضاء » .

أبو يوسف ، عن العَرزمىّ[٣] ، عمّن حدثه عن شُرَيح ، أنَّ عمر بن الخطاب رحمه الله كتب إليه :

« لا تُشَارِ ولا تُمَارِ ولا تُضَارّ[٤] ، ولا تَبِعْ ولا تَبْتَع فى مجلس القضاء ، ولا تقضِ بين اثنين وأنت غضبان » .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علمُ ما كان قبله ، ونزاهةٌ عن الطمَع ، وحِلْم عن الخصم ، واقتداءٌ بالأئمّة ، ومشاورة أهل الرأى .

---

(١) فيما عدا ل : « الأذرى » ، وهذه نسبة إلى « أذربيجان » .

(٢) عند ابن أبى الحديد (٣ : ١١٩) أن الكتاب وجهه عمر إلى أبى موسى الأشعرى وهو بالبصرة .

(٣) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن سليمان العرزمى الكوفى ، روى عن عطاء ومكحول ، وقتادة . وعنه شعبة ، والثورى ، وشريك وغيرهم . توفى سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب والسمعانى ٣٨٧ .

(٤) ولا تضار ، من ل فقط . على أن مأخذ هذا الكلام من الحديث : « فكان خير شريك لا يشارى ولا يمارى ولا يدارى » . فلعل « لا تضار » محرفة عن « لا تدار » . وفى اللسان (١٩ : ١٥٩) : « لا يدارى ، أى لا يدفع ذا الحق عن حقه » .

محمد بن حرب الهلالى قال[١] : لما وَلّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد[٢] خُراسان ، قال له :

« إن أباكَ كَفَى أخاهُ عظيما ، وقد استكفَيتك صغيراً . فلا تتّكلَنَّ على عُذرٍ منِّى لك ، فقد اتّكلتُ على كفايةٍ منك . وإيّاكَ منِّى قبل أنْ أقول إيّاى منك ؛ فإنّ الظنَّ إذا أخلَفَ منِّى فيك أخلَفَ منك فىَّ[٣] . وأنت فى أدنى حَظِّك فاطلب أقصاه . وقد أتعَبَكَ أبوك ، فلا تُريحنَّ نفسَك . وكنْ لنفسك تكنْ لك ، واذكرْ فى يومك أحاديثَ غَدِك ، تَسْعَد إنْ شاء الله .

ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الأشداق

٣٢٥ قال المازنىّ[٤] :

مَن كان يعلم أن بِشراً مُلصَقٌ ... فالله يَجزيه وربك أعلمُ[٥]
يُنبيك ناظرُه وقلّةُ لحمه ... وتشادُقٌ فيه ولونٌ أسحمُ
إنّ الصّريحَ المحضَ فيه دلالةٌ ... والعرقُ منكشِفٌ لمن يتوسّمُ
أمّا لسانُك واحتباؤُك قاعداً ... فزُرارة العُدُسىّ عندك أعجمُ[٦]

---

(١) بدله فيما عدا ل : « قال الهلالى » .

(٢) هو سلم بن زياد بن أبى سفيان ، أحد أسماء الأمويين وولاتهم . ولاه يزيد خراسان وسجستان سنة ٦١ . ولما مات وخرج عبد الله بن الزبير يطلب لنفسه الخلافة ، قبض عليه وحبسه وطالبه بالمال ، ودخل عليه الفرزدق فى محبسه يشكو قلة المال ، ويطلب مهراً لزوجه النوار فأمر له بعشرين ألفا . وفيه يقول ابن عرادة :

عتبت على سلم فلما هجرته ... وخالطت أقواما بكيت على سلم

المعارف ١٠٢ ، والأغانى فى غير ما موضع ، والطبرى (٦ : ٦١) .

(٣) فيما عدا ل : « إذا أخلف منك أخلف منى فيك » .

(٤) فى الحيوان (٥ : ١٦٩) : « ومدح المزق ، أبو عباد بن المزق ، بشر بن أبى عمر ، فقال » . وأنشد الأبيات الخمسة .

(٥) الملصق : الدعى فى القوم وليس منهم بنسب .

(٦) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ساقيه وظهره بعمامة ونحوها ، وكذلك كان يفعل الأشراف . وزرارة بن عدس ، بضمتين ، جد جاهلى ، بنوه بطن من بنى دارم . وكان حكيما =

إنى لأرجو أن يكون مقالهم   زُوراً وشانئك الحسودُ المرغَمُ

وفى مثل ذلك يقول مَوْرَقٌ العبدىّ :

قد عَلِم الغربىّ والمُشرِّقُ   أنّك فى القوم صميمٌ مُلصَقُ[1]

عُودَاك نبعٌ وهشيمٌ بَرْوَقٌ[2]   وأنت جَدبٌ وربيعٌ مُغْدِق

وأنت ليــلٌ ونهار مُشْرِقُ   لولا عجوز قَحمــةٌ ودَرْدَقُ[3]

وصاحبٌ جَمٌّ الحديثِ مُونِقُ   كيف القواتُ والطَّلوبُ مَوْرَقُ

شيخٌ مَغيظٌ وسِنَانٌ يَبْرُقُ   وحَنْجَرٌ رَحبٌ وصَوتٌ مِصْلَقُ

وشِدقُ ضرغامٍ ونابٌ يحرُقُ[4]   وشاعرٌ باقى الوُسـوم مُمْلِقُ[5]

= من قضاة تميم . وهو والد لقيط بن زرارة . والأعجم : الذى لا يكاد يبين . جعله أفصح من زرارة .

(١) جعله مخلطا ، وقد جمع بين العتق والهجنة .

(٢) البروق : نبت ضعيف له ثمر حب أسود صغار ، يضرب به المثل فى الضعف فيقال « أضعف من بروقة » .

(٣) القحمة : الكبيرة المسنة . ل : « رحة » تحريف . والدردق ، بفتح الدالين : الصبيان الصغار .

(٤) حريق الناب : صريفه ، وهو صوت احتكاكه بآخر ، يكون ذلك فى الغيظ والغضب ، يقال حرق ناب البعير ، وحرق البعير نابه .

(٥) عنى بالوسوم آثار هجوه فى الناس .

باب

فى صفة الرائد للغيث ، وفى نعته للأرض

قال أبو المجيب[١] : وصف رائدٌ أرضا جَدْبةً فقال : « اغبرّت جادَّتها ، ودُرِّعَ مَرتَعُها[٢] ، وقَضِمَ شجرُها[٣] ، ورقَّت كرِشُها ، وخَوِر عظمها[٤] ، والتقى سَرْحاها[٥] ، وتميَّزَ أهلُها ، ودخل قلوبَهم الوَهَل ، وأموالَهم الهزل[٦] » .

الجادّة والحَرَجة والمَجَبَّةُ معناه كلُّه : وسط الطريق ومُعظَمُه ومَنهجُه[٧] .

٣٢٦ والتقى سَرحاها ، يقول : إذا أكل كلُّ سارحٍ ما يليه التقيا عند الماء ، وإذا لم يكن للجمال مَرْعى إلّا الشّجر وحده رقّت أكراشُه . وقوله تميَّزَ أهلها ، تفرّقوا فى طلب الكلأ . ومرتعٌ مُدرَّع[٨] ، إذا كان بعيدا من الماء . ومرتعٌ قاصِرٌ ، للقريب ، ويقولون ماء مُطِلبٌ وماء مُطْنِبٌ[٩] ، إذا ألجأهم إلى طلبه من بُعده .

***

ووصف أعرابيٌّ أرضاً أحْمَدها فقال : « خَلَع شِيحُها ، وأبقل رِمثُها ، وخَضَبَ

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٣) . والخبر التالى فى مجالس ثعلب (١ : ٣٦٠) .

(٢) فيما عدا ل : « ذرع » بالذال المعجمة ، تحريف .

(٣) كذا ضبط فى اللسان (سرح) حيث روى بعض الخبر . وهو من القضم ، وأصله تفلل الأسنان وتكسرها .

(٤) يقال خور خورا ، كتعب تعبا : ضعف وانكسر .

(٥) السرح ، بالفتح : المال الراعى .

(٦) الهزل ، بالفتح والضم : الهزال ، وهو نقيض السمن .

(٧) بدل هذا فيما عدا ل : « قال : الجادة الطريق إلى الماء . والجمع جواد » . والحرجة تقال بالحاء والجيم ، وبجيمين ، وبخاء معجمة وجيم . انظر اللسان (جرج ، حرج ، خرج) .

(٨) فيما عدا ل : « مذرع » تحريف .

(٩) فى الأصل ، وهو ل : « مطلوب » تحريف ، صوابه مما عدا ل .

عَرفجُها ، واتّسق نبتُهـا ، واخضَرّت قُريانُها[١] ، وأخْوَصَت بُطنانُها[٢] ، واستَحْلَستْ آكامُها[٣] ، واعتمّ نبت جرائيمها[٤] ، وأجْرَتْ بَقْلَتُها[٥] وذُرْقَتُها وخُبّازتُها[٦] ، واحورّت خواصِرِ إبلِها ، وشَكِرت حَلوبَتُها ، وسَمِنَت قَتُوبَتُها[٧] ، وعَمِدَ ثَرَاها ، وعَقِدت تَنَاهِيها ، وأماهَتْ ثِمادُها[٨] ، ووثِقَ النّاس بصائرتها[٩] » .

قال : يقال : خَلَع الشّيحُ ، إذا أوْرَقَ . والخالع من العِضَاه : الذى لا يسقط ورقه أبداً كالسِّدر ، فإنّه لا يتجرّد ، وكلُّ شجرٍ له شوكٌ فهو عِضَاهٌ ، والواحد عِضَةٌ ، إلاّ القَتَادَ . ولا يُغبِلُ إلاّ الأرطى . وأخْوَصَتْ بُطنانها ، إذا نَبَتَ فيه قُضبانٌ دِقاقٌ ، وخَضَب عَرْفَجُها ، يقول : اسودّ . [وأخْوصَ الشّجر ، وهو الذى لا شوك له . ومن العضاه قشره وقِصَدُه . فإذا يبست فهى عُود] . واتّسق نبتُها ، أى تنامّ . وأجْرَت بَقْلَتُها ، أى نبَت فيها مثل الجِراء . والعُلّفة : ثمرة الطّلْح ، والُحبلَة للسَّلَم[١٠] . واحورّت خواصر إبلها ، يقول : استرخت عن كثرة الرّعى[١١] . وشكِرَت حَلوبَتها[١٢] ، يقول غَزُرت[١٣] ، يقال : شَكِرَت الإبل والغنم ، إذا تملّأت

---

(١) القريان ، بالضم : جمع قرى ، على فعيل ، وهو مجرى الماء فى الروض .
(٢) البطنان ، بالضم : جمع بطن ، وهو ما غمض من الأرض واطمأن .
(٣) استحلست : اخضرت واستوى نباتها .
(٤) اعتمّ النبت : التف . الجراثيم : أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة ، من تراب وطين .
(٥) ل : « أجلت » تحريف .
(٦) الذرقة : نبت مثل الـكرات الجبلى . والخبازة : واحدة الخباز ، وهو بقل معروف عريض الورق . وأجرت : ظهرت جراؤها ، وهى ثمارها .
(٧) الحلوبة : الناقة تحلب . والقتوبة : الناقة يوضع عليها القتب .
(٨) الثماد : الحفر يكون فيها ماء قليل . أماهت : كثر ماؤها .
(٩) فيما عدا ل : « بصائرها » . تحريف . انظر اللسان (٦ : ١٤٨) .
(١٠) أتى بذكر العلفة والحبلة سوقاً لبيان أنواع من الثمار . ل : « والحلبة » تحريف .
(١١) بدلها فيما عدا ل : « تشد أحناؤها على خواصرها حتى لا تحبط . والحبط : انتفاخ بطنها من مرعى ترعاه . وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم : أيضر الغبط ؟ قال : نعم ، كما يضر الحبط » . وفيه تحريف . انظر اللسان (غبط) ورسالة الحور العين ٧ .
(١٢) هذه الـكلمة من ل فقط .
(١٣) التفسير بعد هذه الـكلمة إلى « وقوله عمد ثراها » من ل فقط .

من الربيع ، وهى إبلٌ شَكَارَى ، ويقال ضَرّةٌ شَكْرَى ، إذا امتلأتْ من اللبن ، والضَّرّة : أصل الضَّرع . وقوله : عَمِد ثَرَاها ، وذلك إذا قبضتَ منه على شىء فتعقّد ، واجتمع من نُدُوّته . يقال عَمِدَ الثرى يَعْمَدُ عَمَداً ، وهو ثرًى عَمِدٌ .[فالعَمَد : أن يجاوزَ الثَّرى المنكِب ، وهو أن يقيس الماء بالمرفق فيقول : بلغت وضح الكفّ ، ثم الرُّسغ ، ثم العظمة ، ثم المرفق ، ثم يَنصُف العضُد ، ثم يبلغ المنكب . فإذا بلغ المَنْكِب قيل عَمِد الثَّرى . فيقال إن ذلك حَيَا سنينَ]. والتَّنَاهى ، واحدتها تَنْهِيَةٌ ، وهى مستقَرّ السَّيلِ وحيث ينتهى الماء . وعَقَدُها : أن يَمُرّ السَّيلُ مُقبلاً حتى إذا انتهى منتهاه دار بالأباطح ، حتَّى يلتقى طرفا السَّيل . والصائرة : الكلأ والماء .

***

٣٢٧ قالوا : قاتل الحجّاجُ ابنَ الأشعث فى المِرْبَد ، فخطب ابنُ الأشعث فقال : « أيُّها النّاس ، إنّه لم يبقَ من عُدوّكم إلاّ كما يبقى من ذنب الوزَغة ، تضرب بِهِ يميناً و شِمالا ، فما تَلبثُ أن تموت» .

فمرّ به رجلٌ من بنى قُشَير فقال : قَبَح الله هـذا ورأيَهُ ، يأمر أصحابَه بقلّة الاحتراس من عدوّهم ، ويَعِدهم الأضاليل ، ويمنِّيهم الأباطيل .

وناسٌ كثيرٌ يرَون أنّ الأشعث هو المحسن دون القُشيرىّ .

***

وقال بشّار :

وحَمدٍ كعَصْبِ البُرْدِ حَمّلت صاحبى إلى مَلِكٍ للصّـالحات قَرِينِ[1]

وقال أيضا :

وبِكرٍ كنُوّار الرِّياض حديثُها يروق بوجـهٍ واضحٍ وقَوامِ

***

(١) العصب : ضرب من برود اليمن . أضاف الصفة إلى الموصوف .

أبو الحسن قال : كان معاويةُ يأذن للأحنف أوّلَ من يأذَن له ، فأذِن لهُ يوماً ، ثم أذِن لمحمّد بن الأشعث حتّى جلس بين معاوية والأحنف ، فقال له معاوية : لقد أحسَسْتَ من نفسك ذُلاًّ . إنّي لم آذَنْ له قبلك إلاّ ليكون إليّ فى المجلس دونك ، وإنّا كما نملك أمورَكم كذلك نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يُراد بكم ؛ فإنّه أبقى لنعمتكم ، وأحسنُ لأدبكم » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأُصَيلٍ الخُزاعى[١] : « يا أُصَيل ، كيف تركت مكّة ؟ » . قال : « تركتُها قد أحْجَن ثُمامُها ، وأمْشَرَ سَلَمها ، وأعذَقَ إذخِرُها[٢] » . فقال عليه السلام : « دَعِ القلوب تَقِرّ » .

وسأل أبو زيادٍ الكلابىُّ الصَّقيلَ العُقَيْلىَّ ، حين قدم من البادية ، عن طريقه ، قال : انصرفتُ من الحج فأصعدْتَ إلى الرَّبذة[٣] فى مَقاطِ الحَرَّةِ[٤] ، ووجدت صِلالاً من الرَّبيع[٥] ، من خَضيمةِ حَمْضٍ ، وصِليانٍ ، وقَرْمَلٍ[٦] ، حتّى لو شئتُ لأنخت إبلى فى أذراء القَفْعاء[٧] ، فلم أزلْ فى مَرْعًى لا أخِسُّ[٨] منه شيئاً حتّى بلغتُ أهلى .

---

(١) هو أصيل بن سفيان — وقيل ابن عبد الله — الهذلى ، وقيل الغفارى ، وقيل الخزاعى . وأصيل ، بالتصغير . وفى الإصابة : « قدم أصيل الخزاعى على رسول الله من مكة قبل أن يضرب الحجاب على أزواج رسول الله فقالت له عائشة : كيف تركت مكة ؟ قال : اخضرت أجنابها ، وابيضت بطحاؤها ، وأعذق إذخرها ، وأمشر سلمها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبك يا أصيل لا تحزنا » .

(٢) أحجن ، أى بدا ورقه . وأمشر : خرج ورقه واكتسى به . أعذق : صار له عذوق وشعب ، وقيل أزهر . والحديث فى اللسان (مشر ، عذق ، حجن) .

(٣) الربذة ، بالتحريك : قرية قرب المدينة .

(٤) مقاط الحرة : منقطعها . وأراد بالحرة حرة المدينة .

(٥) الصلال : جمع صلة ، بالفتح ، وهى القطعة المتفرقة من العشب .

(٦) الخضيمة : النبت إذ كان رطبا أخضر . فيما عدا ل : « خضمة » تحريف .

(٧) ل : « لأنخت » صوابه فى سائر النسخ . والأذراء : جمع ذرى بالفتح والقصر ، وهو كل ما استترت به . فيما عدا ل : « أذن » تحريف . والقفعاء ، بتقديم القاف : حشيشة خوارة . وفى النسخ : « الفقعاء » بتقديم الفاء ، تحريف . كنى عن ارتفاع العشب .

(٨) أخس الشىء : وجده خسيسا . فيما عدا ل : « أحسن » تحريف .

وقال سَلاّم الكلابىّ : رأيتُ ببطن فَلْجٍ منظراً من الكلأ لا أنساه ، وجدت الصَّفْرَاء والخزامَى تضرب بان نحورَ الإبل ، تحتهما قَفْعاء[١] وحُرْبث[٢] قد أطاعَ ، وأمسَكَ بأفواه المال — أى لا تقدر أن ترفع رءوسها — وتركت الحُوران نافعةً فى الأجارع[٣] » .

٣٢٨ وذمَّ أرضًا فقال : « وجدنا أرضًا ماحلةً مثل جلدِ الأجرب ، تصأى حَيَّاتها[٤] ، ولا يسكُت ذئبها ، ولا يقيِّد راكبُها » .

وقال النَّضر : قلت لأبى الخُضَير[٥] : ما أعجبُ ما رأيت من الخِصب ؟ قال : كنت أشرب رثيئة تجرُّها الشَّفتان جرًّا[٦] ، وقارصا قُمارِصا[٧] إذا تجشأت جدع أنفِى ، ورأيتُ الكَمْأة تدوسها الإبل بمناسمها ، والوضر يشمُّه الكلبُ فيَعْطِسُ .

وقال الأصمعى : قال المنتجع بن نبهان : قال رجل من أهل البادية : كنت أرى الكلب يمرُّ بخَصَفة عليها الخُلاصة[٨] فيشمُّها ويمضى عنها .

محمد بن كُنَاسة ، قال : أخبرنى بعضُ فصحاء أعرابِ طيئ قال : بعثَ

---

(١) ل : « لحتهما » . وفى النسخ « فقعاء » صوابه بتقديم القاف .

(٢) الحربث ، بضم الحاء والباء . فيما عدا ل : « حريث » تحريف .

(٣) الحوران ، بالضم : جمع حوار بالضم والكسر ، وهى ولد الناقة من حيث يوضع إلى أن يفصل فيسمى فصيلا . ويجمع الحوار أيضا على أحورة وحيران . نافعة : راوية ؛ يقال نقع أى روى . والأجارع : جمع أجرع ، وهو الرملة السهلة .

(٤) صأى يصأى : صاح . فيما عدا ل : « تصىء » ، وهى صحيحة ، يقال صاء يصىء : صاح .

(٥) ل : « لأبى الحصير » .

(٦) الرثيئة : اللبن الحامض يحلب عليه فيختر .

(٧) القارص : اللبن يحذى اللسان ، والقمارص مثله ، وفيه إتباع وإشباع . فيما عدا ل : « ممارصا » تحريف .

(٨) الخصفة ، بالتحريك : وعاء من الخوص يكنز فيه التمر ، وهو جلة التمر . والخلاصة بالضم والكسر : السمن الخالص .

قومٌ رائداً فقالوا : ماوراءك ؟ قال : عُشب وتَعاشيب ، وكَمْأة متفرِّقة شيبٌ ، تقلعُها بأخفافها النِّيب[١] » . فقالوا له : لم تصنع شيئاً . هذا كذب . فأرسلوا آخرَ فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عشب ثأدٌ مأدٌ[٢] ، مَولِيٌّ عَهْد[٣] ، متدارك جَعد[٤] ، كأفخاذ نساء بنى سعد ، تشبع منه الناب وهى تَعُدْ[٥] » .

قال : لأنَّ النبْت إذا كان قليلاً وقفت عليه الإبل ، وإذا كان كثيراً أمكنها الأكلُ وهى تعدُو .

قال : وبعث رجلٌ أولادَه يرتادون فى خِصْب ، فقال أحدهم : « رأيت [بقلاً و] ماء غَيلاً ، يسيل سيلاً ، وخُوصة تَميل مَيْلا[٦] ، يحسَبُها الرّائد ليلا » . وقال الثانى : « رأيت ديمةً على ديمةٍ ، فى عِهادٍ غير قديمة[٧] ، وكلأً تشبع منه النّاب قبل القَطيمة[٨] » .

وقال أبو مُجيب : قيل لأوفَى بن عُبَيد : ايتِ واديَ كذا وكذا فارتَدْه لنا . فقال : « وجدت به خُشْباً هَرْمَى[٩] ، وعُشْباً شَرْمًا[١٠] » .

---

(١) الشيب : البيض . والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

(٢) الثأد : الندى . والمأد : اللين الناعم .

(٣) العهد : مطر بعد مطر ، والمولى : الذى سقاه الولى ، وهو المطر بعد مطر .

(٤) الجعد : المجتمع بعضه إلى بعض .

(٥) تعد ، أى تعدو ، حذف الواو للسجع ، والنحاة يأبون حذف الواو والياء من آخر الفعل إلا ما كان فى فاصلة من القرآن أو قافية من الشعر . قال الله : « والليل إذا يسر » وأجاز الفراء الحذف فى سعة الكلام لكثرة ما ورد من ذلك . ومنه : « ذلك ما كنا نبغ » . همع الهوامع (٢ : ٢٠٦) .

(٦) الخوصه من نبات الصيف : ما نبت على أرومة .

(٧) العهاد : الحديثة من الأمطار ، جمع عهد . وانظر مجالس ثعلب (١ : ٣٤٣) والمخصص (٩ : ١٢٢) واللسان (٤ : ٣٠٨) .

(٨) فى جميع النسخ : « العظيمة » تحريف ، صوابه فى المصادر المتقدمة . والناب : المسنة من النوق . وفى اللسان : « فسره ثعلب فقال : معناه هذا النبت قد علا وطال فلا تدركه الصغيرة لطوله ، ويبقى منه أسافله فتناله الصغيرة » .

(٩) الخشب ، بالضم وبضمتين وبالتحريك : جمع خشبة . والهرمى : جمع هرم .

(١٠) رسمت فى النسخ : « شرى » وإنما هى مفرد منصوب . انظر اللسان (شرم ٢١٤) حيث أورد النص .

قال : والهَرْمِى : الذى ليس له دُخان إذا أُوقد ، من يبسه وقِدمه . والشرْم(١) : العُشب الضخم . يقال : هذا عُشْب شَرْمٌ .

وقال هَرِم بن زيد الكلبى : إذا أحْيَا النّاسُ قيل : «قد أكلات الأرض ، واحرَنْفَشت العنزُ لأختها ، ولحِسَ الكلبُ الوَضَر» .

٣٢٩ قال : واحرِنفاش العنز : أن ينتفش شعرُها ، وتَنصِب رَوْقَيها فى أحد شِقَّيْها لتنطح صاحبتَها ، وإنما ذلك من الأشَر ، حين ازدُهيت وأعجبتها نفسُها(٢) . ولحِسَ الكلبُ الوضر ، [لِمَا يُفضِلون منه] ؛ لأنهم فى الجدب لا يدَعون للكلب شيئاً يلحَسُه .

وقال أبو مجيب : إذا أجدب الرّائد ، قال : « وجدت أرضاً أرْمَى ، وأرضاً عَشْمَى » .

فأمّا العَشْمَى : فالتى يُرَى فيها الشّجر الأعشَم ، وإنّما يَعْشَم من الهَبْوة . ويقال للشّيخ إنّما هو عَشَمَةٌ ؛ لاستِشنان جلده ، وجُفوف رأسه ، وثُلوب جسمِه(٣) .

فأما الأرْمَى فالتى قد أُرمت ، فليس فيها أصلُ شجَر .

قال أبو عبيدة : قال بعضُ الأعراب : « تركت جُرَادَ(٤) كأنها نعامةٌ بارِكة(٥) » . يريد التفاف نبتها . وهى من بلاد بنى تميم(٦) .

---

(١) فيما عدا ل . « والشرى » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « حين ازدهت وأعجبتها أنفسها » .

(٣) الكلام بعد « عشمة » إلى هنا من ل فقط . وفى اللسان : « ثلب جلده ثلبا إذا تقبض » .

(٤) جراد ، بالضم بوزن غراب ، كما نص ياقوت فى معجم البلدان . وقال : « ماء فى ديار بنى تميم » . وأورد الخبر . وبعدها فيما عدا ل : « عراد » وهذه كلمة مقحمة . والخبر فى اللسان (جرد) كذلك .

(٥) فى معجم البلدان : « جاثمة » .

(٦) فيما عدا ل : « من نبت بلاد بنى تميم » وكلمة « نبت » مقحمة .

وقيل لأعرابىّ : ما وراءك ؟ قال : « خَلّفتُ أرضاً تتظالم مِعْزاها[1] ». يقول : سمنت وأشِرت فتظالمت .

وتقول العرب : « ليس أظلمُ من حيّـةٍ » وتقول : « هو أظلم من وَرَلٍ » و « أظلم من ذئب » ، كما تقول : « أغدر من ذئب » ، وكما يقولون : « أكسب من ذئب » . قال الأسدىّ[2] :

لعمرُكَ لو أنّى أخاصمُ حَيّةً ... إلى فقعسٍ ما أنصفتنىَ فَقعسُ[3]
إذا قلتُ ماتَ الدّاءُ بينى و بينهم ... أتى حاطبٌ منهم لآخر يَقبِسُ[4]
فما لكم طُلْساً إلىّ كأنكم ... ذئابُ الغَضى والذّئب بالليل أطلسُ[5]

وقال الفزارىّ[6] :

ولو أخاصمُ أفعَى نابُها لثقٌ ... أو الأساودَ من صُمّ الأهاضيب[7]
أوْ لو أخاصمُ ذئبا فى أكيلتِهِ ... لجاءنى جمعُهم يسعى مع الذّيبِ[8]

يقول : بلغ مِن ظُلم قومنا لنا ، أنّا لو خاصمنا الذئابَ والحيّاتِ ، و بهما يضربون المثل فى الظلم ، لقضَوا لها علينا .

وقالت العرب « إذا شبِعت الدّقيقة لَحِست الجليلة » * هذا فى قلّة العُشْب ، ٣٣٠
و إنّما تلحسه النّاقة لقلّته وقِصَره .

---

(١) فيما عدا ل : « تظالم معزاها » .
(٢) هو مضرس بن لقيط الأسدى ، كما فى الحيوان (٤ : ١٥١) . ونسبه البحترى فى حماسته ٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) .
(٣) هو فقعس بن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .
(٤) فى الحيوان : « سعى حاطب » .
(٥) الطلس : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد .
(٦) فى الحيوان (٤ : ١٥١) : « وقال حريز بن نشبه العدوى ، لبنى جعفر بن كلاب » .
(٧) لثق : مبتل بما ينطف من السم .
(٨) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه .

وحدَّثنى[1] أبو زيادٍ الكلابىّ قال : بعث قومٌ رائداً لهم بعد سِنِينَ تتابعت عليهم ، فلما رجَع إليهم قالوا له : ما وراءك ؟ قال : « رأيت بَقلاً يَشبع منه الجملُ البَرُوك ، وتَشكَّتْ منه النِّساء ، وهَمَّ الرَّجل بأخيه »[2] .

أمّا قوله : « الجمل البَروك » فيقول : لو قام قائماً لم يتمكّن منه لقِصَرِه . وأما قوله « وتشكّت منه النِّساء » فإنه مأخوذ من الشَّكوة[3] ، وجمع الشكوة شِكاء ، والشَّكوة : مَسْك السَّخلةِ ما دامت تَرْضع . والشِّكاء أصغر من الوِطَاب . يقول : لم يكثر اللبن بعدُ فيُمخَضَ فى الوِطاب . وقوله : « وهمَّ الرجل بأخيه » أى همَّ أن يدعوه إلى منزله كما كانوا يصنعون فى أيام الخِصب . وقال غيره : الخِصب يدعو إلى طلب الطوائل ، وغزْو الجيران ، و إلى أن يأكل القوىُّ مَن هو أضعفُ منه .

وقالوا فى الكلإ : كلأٌ تشبع منه الإبل مُعقَلة ، وكلأٌ حابِس فيه كمرْسِل . يقول : مِن كثرته سواء عليك أحبستَها أم أرسلتَها .

ويقولون : « كلأٌ تَيجَعُ منه كبدُ المُصرِم[4] » .

وأنشد الباهلىّ :

ثم مُطِرْنا مطـــرةً رويَّةْ فنبتَ البقــلُ وَلاَ رَعِيَّــهْ[5]

وأنشد الأصمعىّ :

---

(١) فيها عدا ل : « وحدثنا » .

(٢) انظر الخبر فى مجالس ثعلب (١ : ٣٥١ — ٣٥٢) .

(٣) ما بعد هذه إلى « ترضع » من ل فقط .

(٤) المصرم : القليل المال ، أصرم إصراما ، إذا ساءت حاله . تيجع : يلحقها الوجع ، تقال بفتح التاء وكسرها أيضا . كما يقال توجع وتاجع . ل : « تنجع » وفيها عدا ل « يتجمع » صوابهما ما أثبت من اللسان (صرم ٢٣١) . قال : « أى إنه كثير فإذا رآه القليل المال تأسف ألا تكون له إبل كثيرة يرعيها فيه » .

(٥) الرعية : الماشية الراعية . والبيتان فى اللسان (رعى) .

فجُنِّبَت الجيوشَ أبا زُنَيْبٍ وجادَ على مسارحك السَّحابُ[١]

يجوز أن يكون دعا عليه، ويجوز أن يكون دعَا له[٢]. وقال الآخر:

أمرعت الأرضُ، لو أنّ مالاَ لو أنَّ نوقًا لك أو جِمالاَ!

أو ثَلَّةً من غَنَمٍ إمَّا لا[٣]

وقال ابنُ الأعرابىّ: سأل الحَجّاج رجُلاً قدِم من الحجاز عن المطر، فقال: «تتابعت علينا الأسميةُ[٤] حتى منَعتِ السُّفَّارَ[٥]، وتَظَالمت المِعزَى[٦]، واحتُلِبَت الدِرَّةُ بالجِرّة[٧]».

٣٣١ لقيط، قال: دخل رجلٌ على الحجاج فسأله عن المطر، فقال: ما أصابنى من مطر، ولـكنِّى سمعتُ رائداً يقول: «هلمّ أُظْعِنْكم إلى مَحَلَّةٍ تَطفأ فيها النِّيران، وتتنافس فيها المِعزى، وتبقى بها الجِرَّة حتَّى تنزل الدِّرَّة».

أبو زيد، قال: تخاصَمت امرأتانِ إلى ابنة الخُسِّ فى مراعِى أبوَيْهما، فقالت

---

(١) البيت فى اللسان (زنب) ومعانى الشعر للأشنانداني ١٠٨ والعمدة (٢ : ١٥٢). وفى اللسان أن «زنيب» تصغير زيغب بعد الترخيم. وروايته في العمدة: «تجنبك الجيوش أبا خبيب».

(٢) فيما عدا ل: «دعاء» فى الموضعين. وفى العمدة: «إن دعا له فإنما أراد أن يعافى من الجيوش، وأن يجوده السحاب فتخصب أرضه. وإن دعا عليه قال: لا بقى لك خير تطمع فيه الجيوش، فهى تتجنب ديارك لعلمهم بقلة الخير عندك، ويدعو على محلته بأن تدرسها الأمطار. وقال غيره: معناه جاد على محلتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك، فذلك أشد لهمك وغمك».

(٣) أى إما لا يكن لك نوق أو جمال.

(٤) الأسمية: جمع سماء، وهو المطر.

(٥) السفار: جمع سافر، وهو المسافر. وليس للسافر فعل. والسفار، وردت هكذا فى الأصل واللسان (٥ : ٢٠٠) والمخصص (١٠ : ١٨٢). وفى مجالس ثعلب (١ : ٣٣٩) وصفة السحاب ص ٣٧ ليدن: «فقيت الشفار»، وقال ابن دريد: «قوله غيبت الشفار، يريد أخصبت الناس ولم يذبحوا الغنم والإبل».

(٦) انظر ما سبق فى ص ١٦٠ س ١. فيما عدا ل: «وظالمت» تحريف.

(٧) فى اللسان فقط: «واجتلبت» بالجيم. وقال: «اجتلاب الدرة بالجرة: أن المواشى تتملأ ثم تبرك أو تربض، فلا تزال تجتر إلى حين الحلب».

الأولى : إبلُ أبى ترعى الإسليح[١] . فقالت ابنة الخُسّ : رِغوةٌ وصَريح ، وسَنامٌ إطريح[٢] . وقالت الأخرى : مَرعى إبل أبى الخَلَّة . قالت ابنة الخُسّ : سريعة الدِّرَّة والجِرَّة .

وقال الأحوص بن جعفر[٣] بعد ما كان كِبر وعمى ، و بنوهُ يَسُوقون به : أىّ شىء ترتعى الإبل ؟ فقالوا : الثُّمام والضَّعَة[٤] ، ثم إنَّها عادت فارتعت بمكان آخر ، فقال : أىّ شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : العِضَاهُ والقِضَةُ[٥] . قال : عُود ، عُودٌ[٦] شِبْعٌ بعيدٌ . وقال : سُوقوا . حتّى إذا بلغوا بلدًا آخَر قال : أىّ شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : نَصِيًّا وَصِلِّيَانًا . قال : مَكفِتَةٌ لرُغَاها[٧] ، مَطْوَلَةٌ لذُراها ، ارْعَوا واشبعوا . ثمّ سألهم فقال : أىّ شىء ترتعى الإبل ؟ فقالوا : الرِّمْث . قال : خُلِقَت منه وخُلق منها .

قال أبو صاعد الكلابىّ : وزعم النّاس أنّ أوّل ما خُلقت الإبل خُلقت من الرِّمْث . وعلامة ذلك أنك لا ترى دابّةً تريده إلاّ الإبل .

قال : وقيل لرُؤْبة: ما وراءك ؟ قال : الثّرى يابس ، والمرعى عابس .

---

(١) الإسليح : بقلة من أحرار البقول تنبت فى الشتاء ، تسلح الإبل إذا استكثرت منها .

(٢) الخبر إلى هنا فى اللسان (سلح ، طرح) مع بعض نقص . والإطريح : الذى طال ثم مال فى أحد شقيه .

(٣) الأحوص ، بالحاء المهملة . وفى الاشتقاق ١٨٠ : « ومنهم — أى من بنى جعفر بن كلاب — الأحوص بن جعفر بن كلاب ، كان سيدا ، وهو الذى هجاه الأعشى فقال :

أتانى وعيد الحوص من آل جعفر فياعبد عمرو لو نهيت الأحاوصا

والحوص : ضيق العين » . فيما عدا ل : « الأخوص » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عرف الثمام والضعة » . والضعة : شجر ضعيف مثل الثمام . وقد اضطرب اللغويون فى اشتقاقه من وضع أو ضعو .

(٥) القضة ، بكسر القاف وتخفيف الضاد : نبتة سهلية . ومادتها (قضى) . ل : « العضة » تحريف ، فإن هذه واحدة العضاه .

(٦) فيما عدا ل : « عود عويد » .

(٧) مكفتة لرغاها ، أى تمنعها من الرغاء . فيما عدا ل : « مكفية لرعائها » تحريف .

قال : وقالت امرأةٌ من الأعراب : أصبحنا ما ترقُد لنا فرس ، ولا ينام لنا حَرَسٌ .

قالوا : كان أبو المجيب كثيراً ما يقول : لا أرى امرأةً تَصْبر عينيها[١] ، ولا شريفاً يهنَأُ بعيراً[٢] ، ولا امرأةً تلبس نِطَاقَ يَمْنَةٍ[٣] .

وخَطَب بلالُ بن أبي بُردة بالبصرة ، فعَرف أنّهم قد استحسنوا كلامه ، فقال : « أيُّها الناس لا يمنعنّكم سوء ما تعلمون مِنّا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منّا » .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما قومٌ أشبهَ بالسلف من الأعراب ، لولا جفاء فيهم .

وقال غيلان أبو مروان[٤] : إذا أردتَ أن تتعلّم الدعاء ، فاسمع دعاء الأعراب .

وقال رجل من بني سُلَيم ، وسأله الحجاج عن المطر فقال ؟ أصابتْنا سحائبُ ثلاث : سحابةٌ بحَوْران[٥] بقَطرٍ صِغار وقطرٍ كبار ، فكان الصِّغار للكبار ٣٣٢
لُحْمةً . ثم أصابتْنا الثانية بسُواء[٦] فلبدت الدِّماث[٧] ، ودَحَضت العَزاز[٨] وصَدَعت الكَمأةَ عن أماكنها . ثم أصابتنا الثالثة بالقَرْيتين[٩] فملأت

(١) تصبر عينيها : تحبسهما عن النظر واختلاسه .
(٢) هنأ البعير ، طلاه بالهناء ، وهو بالكسر : القطران .
(٣) اليمنة ، بالضم والفتح : ضرب من برود اليمن . والنطاق : شبه إزار فيه تكة .
(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٢٩٥) .
(٥) حوران ، بالفتح : ماء بنجد . قال نصر : أظنه بين اليمامة ومكة . وهي غير حوران التي من أعمال دمشق .
(٦) سواء ، بالضم : واد بالحجاز .
(٧) الدماث : السهول من الأرض ، واحدها دمث ، بالفتح
(٨) العزاز ، كسحاب : ما غلظ من الأرض وأسرع سيل مطره . دحضته : جعلته مزلقة . فيما عدا ل : « رحضت » تحريف .
(٩) القريتان : هما قرية عبد الله بن عامر بن كريز ، وجعفر بن سليمان ، قريتان من النباج ، في طريق مكة من البصرة .

الإخاذ(١) ، وأفعمتْ كلَّ واد ، وأقبلْنا فى ماه يجرُّ الضبُعَ ويستخرجُها من وجارها(٢) .

وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مروان وسأله عن المطر فقال : ظَهَر الإعصار ، وكثُر الغُبار ، وأ ُكِل ما أشرف من الجَنْبة(٣) ، وأيقنَّا أنه عامُ سَنَةٍ .

* * *

قال أبو الحسن عتّابٌ(٤) : عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر(٥) ، أنّ الإسكندر كان لا يدخل مدينةً إلا هدمها ، وقتل أهلها ، حتّى مرَّ بمدينةٍ كان مؤدِّبُه فيها ، فخرج إليه ، فألطفه الإسكندرُ وأعظمه ، فقال له : « أيُّها الملك ، إنّ أحقّ مَن زيّن لك أمرَك وآتاك على كلِّ ما هَوِيت لأنا ، وإنّ أهلَ هذه المدينة قد طمِعوا فيك لمكانى منك ، وأحِبُّ أن تشفِّعَنى فيهم وأنْ تخالِفَنى فى كلِّ ما سألتك لهم » . فأعطاه الإسكندرُ من ذلك ما لا يقدر على الرُّجوع عنه . فلما توثَّق منه قال : « فإنّ حاجتى أن تَدخلها وتخرِّبَها وتقتلَ أهلها » . فقال الإسكندر : ليس إلى ذلك سبيلٌ ، ولا بدَّ من مخالفتك .

* * *

وقال علىُّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه : « أفضلُ العبادة الصَّمتُ ، وانتظارُ الفرج » .

---

(١) الإخاذ ، بالكسر : جمع إخذ وإخذة ، وهو ما حفرته كهيئة الحوض . وفى النسخ : « الأحاذ » ، تحريف .

(٢) الوجار ، بفتح الواو وكسرها : جحر الضبع .

(٣) الجنبة ، بالفتح : ما فوق البقل ودون الشجر .

(٤) هو أبو الحسن عتاب بن بشير الجزرى ، ذكره ابن حبان فى ثقات أهل الحديث . توفى سنة ١٩٠ . تهذيب التهذيب .

(٥) هو أبو عتبة الشامى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، روى عن مكحول والزهرى وعطاء وغيرهم . نزل البصرة ثم تحول إلى دمشق . توفى سنة ١٥٤ . تهذيب التهذيب .

وقال يزيد بن المهلَّب ، وقد طال عليه حَبْسُ الحجّاج : والهَفاه عَلَى فَرَجٍ فى جَبهة أسد ، وطَلِبَة[١] بمائة ألف .

وقال الأصمعىّ : دخل دُرُسْت بن رِباط الفُقَيمىّ ، على بلال بن أبى بُردة وهو فى الحبس ، فعلم بلالٌ أنّه شامتٌ به ، فقال بلال : ما يسرّنى بنصيبى من المكروه حُمْرُ النَّعَم[٢] . فقال دُرُسْت : فقد أكثر الله لك منه .

قال الهيثم بن عدىّ : كان سَجّان يوسفَ بن عمر يرفع إلى يوسف بن عمر
أسماء الموتى ، فقال له عبد الله بن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى : اقبض هذه
العشرة الآلاف الدّرهم ، وارفَع اسمى فى الموتى . قال : فرفع اسمَه فى الموتى فقال له
يوسف بنُ عمر : ويحك جئنى به . فرجع إليه فأعلمه فقال له : ويحك ، اتق الله ٣٣٣
فىّ ؛ [فإنى أخاف القتل . قال : وأنا أيضاً أخاف ما تخاف . ثم] قال : قتلك
أهونُ علىّ من قتلى ، ولا بدّ من قتلك . فوضع على وجهه مِخَدَّةً فذهبت نَفْسُه
مع المال .

وأمّا عبد الله بن المقفّع فإنّ صاحب الاستخراج لما ألحّ عليه فى العذاب[٣] ،

---

(١) ل والتيمورية : « وطلية » ، وضبطت فى ل بفتح الطاء وكسر اللام وتشديد الياء . وإنما هى « الطلبة » كما فى ب ، ح .

(٢) النعم ، أكثر ما يطلق على الإبل . وفى اللسان (٥ : ٢٨٨) : « والعرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها . ومنه قول بعضهم : ما أحب أن لى بمعاريض الكلم حمر النعم » . ومن ذلك قول رسول الله : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم » إشارة إلى حلف الفضول . انظر السيرة ٨٦ جوتنجن ، والحيوان (٥ : ١٩٠) وما سبق فى (١ : ٣٢٦) .

(٣) صاحب الاستخراج هو الموكل باستصفاء أموال من اتهم باختلاس مال الدولة من الوزراء والكتاب والولاة وجباة الخراج . وكان يستخدم كل ما لديه من وسائل التعذيب والإرهاق ليستخرج هذه الأموال . وكان من سبب غضب المنصور على ابن المقفع أن عبدالله ابن على كان قد لجأ إلى سليمان بن على عامل المنصور على البصرة ، فكتب إليه فى طلبه ، فأنكر أن يكون عنده ، ثم طلب الأمان ، وكان الذى تولى كتاب الأمان ابن المقفع ، فأغلظ فيه العهود والمواثيق ، فكان مما فيه : « فإن أنا فعلت أو دسست فالمسلمون براء من بيعتى ، وفى حل من الأيمان والعهود التى أخذتها عليهم » . فلما وقف أبو جعفر على هذا قال : من كتبه ؟ فقيل =

قال لصاحب الاستخراج : أعندك مال وأنا أُرْبِحُك ربحاً ترضاه ؟ وقد عرَفتَ وفائى وسخائى وكتمانى للسِّرّ ، فعَيِّنِّى مقدار هذا النَّجْم[١] . فأجابه إلى ذلك ، فلما صار له مالٌ ترفَّقَ به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتْوَى مالُه[٢] .

وقال رجل لعمرو الغزال : مررت بك البارحةَ وأنت تقرأ . فقال : لو أخبرتنى أىَّ آية كنت فيها لأخبرتُك كم بَقِى من اللَّيل .

وسمع مُؤَرِّجٌ البصرى[٣] رجلا يقول : أمير المؤمنين يرُدُّ علَى المظلوم . فرجَع إلى مصحفه فردَّ على براءةَ : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وكان عبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه يعطَش ، وقيل له : إن شربت الماء مِتَّ . فأقبل ذاتَ يومٍ بعض العُوَّد[٤] ، فقال : كيف حالُ أمير المؤمنين ؟ فقال : أنا صالحٌ والحمد لله . ثم أنشأ يقول :

ومستخبِرٍ عنّا يريد بنا الرّدى ومستخبِراتٍ والدّموع سواجمُ[٥]

ويلكم اسقونى [ماء] وإن[٦] كان فيه تلَفُ نفسى . فشرب ثم مات .

وكان حبيب بن مسلمة الفِهرى[٧] رجلا غَزّاء للترك ، فخرج ذاتَ مرّةٍ إلى

= ابن المقفع ، فكان ذلك سببا للغضب عليه . انظر تاريخ اليعقوبى (٣ : ١٠٤) والطبرى (٩ : ١٨٢) .

(١) عينى ، أى أعطنى . وفى اللسان (١٧ : ١٨٣) : وما عيننى بشىء ، أى ما أعطانى شيئا » . والنجم ، أراد به الوظيفة ، يقال نجمت المال : أديته نجوماً عند انقضاء كل شهر .

(٢) توى يتوى توى : هلك .

(٣) هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى البصرى ، كان من أعيان أصحاب الخليل وأبى زيد . يقال إن الأصمعى كان يحفظ ثلث اللغة ، والخليل يحفظ ثلثها ، ومؤرج يحفظ الثلثين . نزهة الألباء ، وإرشاد الأريب ، وبغية الوعاة .

(٤) العود : جمع عائد . فيما عدا ل : « العواد » كلاهما صحيح . ويقال فى جمع عائد أيضا « عود » بفتح العين وسكون الواو .

(٥) فيما عدا ل : « والعيون سواجم » .

(٦) فيما عدا ل : « ولو » .

(٧) ترجم فى ص ٩٣ من هذا الجزء .

بعض غَزَواته ، فقالت له امرأته : أين موعدُك ؟ قال : سُرادقُ الطّاغية أو الجنة إن شاء الله . قالت : إنّي لأرجو أن أسبِقَك إلى أحد الموضعين كنت فيه[١] . فجاء فوجدها فى سُرادق الطّاغية تقاتل التُّرْك .

ولمّا مدح الكميتُ بن زيدٍ الأسدىُّ مَخْلَدَ بن يزيد بن المهلّب ، فقال له ابنُ بِيض[٢] : إنّك يا أبا المستهِل[٣] ، لكجالبِ التمر إلى هَجَر ! قال : نعم ، ولكنّ تمرَنا أجودُ من تمركم[٤] .

وكان السّيِّد الحِميرىُّ[٥] مُولَعاً بالشّراب ، فمدح أميراً من أمراء الأهواز[٦] ، ثم صار إليه بمديحِه له ، فلم يصِلْ إليه . وأَغبّ الشّرابَ ، فلما كان ذاتَ يومٍ شرِب ثم وصل إليه ، فجلس من بُعدٍ ، فقرّبه وشمَّ منه رائحةَ الشّراب[٧] . فقال : ما كنتُ أظنُّ أبا هاشمٍ يفعل هذا ، ولكنْ يُحتَمَل لمادِح رسول الله صلى الله ٣٣٤
عليه وسلم أكثرُ من هذا — يُمازحه — ثم قال : ياجاريةُ هلُمِّي الدواة . ثم كتب إلى بعض وكلائه : ادفع إلى أبى هاشم مائتى دَورق مَيْبَخْتَجا[٨] . فقال

(١) فيا عدا ل : « أى الموضعين كنت به » .
(٢) هو حمزة بن بيض ، ترجم فى (١ : ٢٦٩) .
(٣) أبو المستهل : كنية الكميت بن زيد . انظر معجم المرزبانى ٣٤٨ .
(٤) مما هو جدير بالذكر أن أبا الفرج فى الأغانى (١٥ : ١٥) قد روى خبرا نقيض هذا ، فيه مدح حمزة بن بيض ، مخلد بن يزيد ، فحسده الكميت وقال له : يا حمزة ، أنت كمن يهدي التمر إلى هجر !
(٥) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وقد عرف بتشيعه ، وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية . وفيه يقول الأصمعى : « والله لولا ما فى شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد » . عاش إلى خلافة هارون ومات فى أيامه . الأغانى (٧ : ٢ — ٢٣) .
(٦) هو أبو بجير بن سماك الأسدى . الأغانى (٧ : ٢٢) .
(٧) فيا عدا ل : « ريح الشراب » .
(٨) كلمة فارسية مركبة من « مَىْ » بمعنى النبيذ ، كما ذكر أبو الفرج فى (٧ : ٢٢) حيث أورد القصة . و « بختج » هى « بُخْتَه » الفارسية ، بمعنى مطبوخ . والعرب يبدلون الهاء فى آخر الكلمات الفارسية جيما . فيا عدا ل : « مينختجا » تحريف .

السَّيِّد : لقد كنت أُرَى الأميرَ أبلغ ما هو[١] . قال : وأيَّ شيء رأيتَ من العِيِّ ؟ قال : جَمْعُك بين حرفين وأنت تجتزِى بأحدهما ، امْحُ هذه الحبيثة[٢] « مُخْتَجاً » ودع « مَيّاً » على حالها . ففعل ، وحَمَل الكتاب فأخذها عبيطا[٣] .

عبد الله بن فائد[٤] قال : قالت امرأة الحُضَين بن المنذر للحضَين[٥] : كيف سُدْتَ قومَك وأنت بخيل وأنت دَميم ؟ قال : لأنّى سديد الرَّأى ، شديد الإقدام .

قال : وقال مَسلمة بنُ عبد الملك لهشام بن عبد الملك : كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيلٌ وأنت جَبان ؟ قال : لأنّى حليمٌ وأنّى عفيف .

***

قال زَبّانُ[٦] :

إنّ بنى بدرٍ يَرَاعٌ جُوفُ[٧] ... كلُّ خطيبٍ منهم مؤُوفُ[٨]
أهوجُ لا ينفعه التثقيفُ

وقال لبيد بن ربيعة :

---

(١) فيما عدا ل : « أظن الأمير أبلغ مما هو » . وفى الأغانى : « ليس هذا من البلاغة . قال : وما هى ؟ قال : البلاغة أن تأتى من الكلام بما يحتاج إليه وتدع ما يستغنى عنه » .

(٢) التيمورية : « الجبشة » ب ، حـ : « الحيشة » محرفان عما أثبت من ل .

(٣) أى نبيذا عبيطا لم يطبخ ولم ينضج ، يقال لحم ودم عبيط ، أى طرى لم ينضج . فيما عدا ل : « عبيطا » بالغين المعجمة، تحريف .

(٤) له رواية فى الحيوان (١ : ٦/٣٠١ : ٢١٠) .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، أحد بنى رقاش ، فارس شاعر ، وكان معه راية على ، يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . وفيه يقول على :

لمن راية سوداء يخفق ظلها ... إذا قيل قدمها حضين تقدما

وكان حضين من كبار التابعين ، مات على رأس المائة . المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٩٥) والخزانة (٢ : ٨٩ — ٩٠) والقاموس (حضن) . وفى الأصول : « الحصين » بالصاد المهملة ، تحريف .

(٦) زبان بن سيار الفزارى ، سبقت ترجمته فى (١ : ٤) .

(٧) اليراع : القصب ، واحدته يراعة . جوف : جمع أجوف وجوفاء .

(٨) مؤوف : به آفة .

وأبيضَ يجتابُ الخُروقَ على الوَجَى   خطيباً إذا التفَّ المجامعُ فاصِلا[١]

وقال[٢] فى تفضيل العلم والخَطابة ، وفى مدح الإنصاف ، وذم الشَّغَب :

ولقد بلوتُكِ وابتليتِ خليقتى   ولقد كفاكِ مُعلِّمى تعليمى

وقال لبيد :

ذهبَ الذين يُعاش فى أكنافهم   وبقيتُ فى خَلْف كجلد الأجربِ
يتأكّلون مَـــــغالةً وخيانة   ويُعابُ قائلُهم وإن لم يَشْغَبِ[٣]

وقال زيد بن جُندب :

ما كان أغنى رجالاً ضلّ سعيُهُم   عن الجدال وأغناهم عن الخُطَبِ[٤]

وقال لَقيطُ بن زرارة :

إنى إذا عاقبتُ ذو عقابِ   وإنْ تشاغِبْنى فذو شِغابِ[٥]

* وقال ابنُ أحمر : ٣٣٥

وكم حلّهـــا من تَيِّحانٍ سَمَيْدَعٍ   مُصافِى الندى ساقٍ بيهماء مُطْعِمِ[٦]
طَوِى البطنِ مِتلافٍ إذا هبّتِ الصَّبا   على الأمرغوّاصٍ وفى الحىِّ شيظمِ

وقال آخر :

وأغرَّ منخرقِ القميص سَميدعٍ   يدعو ليغـــزوَ ظالماً فيُجابُ[٧]

---

(١) يجتاب . يقطع . والخروق : جمع خرق ، وهو الفلاة تتخرق فيها الرياح . على الوجى أى مع وجى ناقته . والوجى : الحفا . ل : « فيصلا » تحريف ؛ فإن البيت من قصيدة فى ديوانه ١٧ — ٢٧ قافيتها مؤسسة ، أولها :

كبيشة حلت بعد عهدك عاقلا   وكانت له خبلا على النأى خابلا

(٢) أى لبيد . والبيت التالى سبق مع أبيات له فى (١ : ٢٦٧) .

(٣) البيتان سبقا فى (١ : ٢٦٧) .

(٤) انظر ما تقدم من رواية هذا البيت فى (٢ : ٤٢ ، ٢٦٧) .

(٥) سبق الرجز فى (١ : ٢٦٧) بدون نسبة .

(٦) فيما عدا ل : « سار بيهماء » ، تحريف . والبيتان سبقا فى (١ : ٢٦٨) .

(٧) السميدع : الشجاع . يمدحه بأنه قادر على الظلم .

قد مَدّ أرسانَ الجياد من الوجَى　　فكأنّما أرسانُها أطنابُ[(١)]

وقال آخر :

كريمٌ يغضّ الطَّرْفَ عند حَيائه　　ويدنُو وأطرافُ الرماحِ دَوانِ[(٢)]

وكالسَّيف إن لا يَنْتَه لانَ متنُه　　وحدّاه إن خاشنته خَشِــنانِ

وقال آخر :

يقطِّع طَــرفَه عنّى سويدٌ　　ولم أذكر بسيِّئة سُوَيدا[(٣)]

توقَّ حِدادَ شوكِ الأرض تسلَمْ　　وغيرَ الأسدِ فاتّخذنَّ صيدَا

[وقال آخر :

لا تحسَبنَّ الموتَ موتَ البِلى　　فإنّما الموتُ سؤالُ الرِّجالْ

كلاهما موتٌ ولكن ذا　　أشدُّ مِن ذاك لذلّ السؤالْ[(٤)]

وللحسين بن مُطَير :

رأت رجلاً أودى بوافِرِ لحمه　　طِلابُ المعالى وا كتسابُ المكارمِ

خفيفَ الحشَا ضَرْبًا كأنَّ ثيابَه　　على قاطعٍ من جوهر الهند صارمِ[(٥)]

فقلت لها لا تعجَبنَّ فإنّنى　　أرى سِمَنَ الفتيان إحدى المشاتمِ]

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا رأى عبدَ الله بن عبّاسٍ يقول فى الأمر يَعرِض من جِلّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « غُصْ غوّاصُ » .

وقال ابن أحمر :

هل لامنى قومٌ لموقف سائلٍ　　أو فى مخاصمة اللَّجوجِ الأصيدِ[(٦)]

---

(١) الرسن : ما يوضع على مرسن الفرس ، وهو أنفه . والطنب : الحبل .

(٢) عند حيائه ، أى عند ما يستوجب الحياء . وفى الحماسة (٢ : ٢٧٩) : « فضل حيائه » . فيما عدا ل : « خيانة » تحريف .

(٣) يقطع نظره لشدة عداوته .

(٤) البيتان فى الحيوان (٣ : ١٣١) مع تعليق للجاحظ .

(٥) الضرب : الرجل الخفيف اللحم . جوهر الهند ، أى حديد الهند .

(٦) سبق هذا البيت فى (١ : ٢٦٨) .

وقال لَبيدُ بن ربيعة فى التطبيق على قوله :

يا هَرِمَ بنَ الأكرمين مَنْصِبا   إنّك قد أُوتيتَ حُكْما مُعجِبا
فطبِّقِ المَفصِلَ واغنَمْ طيِّبا

وقال آخر :

فلما أنْ بَدَا القعقاع لجَّت   على شَرَكٍ تُناقِلُه نِقالا
تعاوَرْنَ الحديثَ وطبَّقْنه   كما طبَّقتَ بالنعل المِثالا[1]

* وقال ابن أحمر : ٣٣٦

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف لى   بالعلم بعد تدبُّرِ الأمرِ[2]

وقال :

لَيستْ بشوشاةِ الحديث ولا   فتُقٍ مغالبةٍ على الأمرِ[3]

وقال :

تضعُ الحديثَ على مواضعه   وكلامُها من بعدِه نَزْرُ[4]

وقال :

وخَصمٍ مُضِلٍّ فى الضِّجاج تركتُه   وقد كان ذا شَغْبٍ فولّى مُواتيا[5]

وذكر علىُّ بن أبى طالبٍ ، رحمه الله ، أكتلَ بن شَمّاخٍ العُكْلىَّ[6] ، فقال : «الصَّبِيح الفصيح[7] » . وهو أولُ مَن اتّخذ بيت مالٍ لنفسه فى داره .

---

(١) سبقا فى (١ : ٢٦٨) . أراد كما طبقت النعل بالمثال ، فقلب الكلام .

(٢) سبق فى (١ : ٥ ، ٢٦٨) .

(٣) الشوشاة : الخفيفة السريعة . والفتق ، بضمتين : المتفتقة بالكلام . والبيت فى اللسان (فتق) مع نسبته إلى ابن أحمر أيضا .

(٤) سبق فى (١ : ٢٧٦) .

(٥) فيما عدا ل : « مواتبا » تحريف .

(٦) هو أكتل بن شماخ بن زيد بن شداد العكلى ، شهد الجسر مع أبى عبيدة ، وأسر يومئذ مهدشاه وضرب عنقه ، وشهد القادسية . الإصابة ٤٨١ .

(٧) فى الإصابة : « كان على بن أبى طالب إذا نظر إلى أكتل قال : من أحب أن ينظر إلى الصبيح الفصيح فلينظر إلى أكتل » .

عبد الله بن المبارَك ، عن مَعْمَر[١] عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيكون بعدى أمراء يُعطَوْن الحكمةَ على منابرهم وقلوبُهم أنتنُ من الجِيَف » .

جعفر بن سليمان الضُّبَعىّ[٢] ، عن مالك بن دينار ، قال : غدوت إلى الجمعة ، فجلست قريباً من المِنبر ، فصعِد الحجّاج المنبر ، ثم قال : امرأً زوّر عمله ، امرأً حاسبَ نفسه ، امرأً فكّر فيما يقرؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه ، امرأً كان عند قلبه زاجرا ، وعند همّه ذاكرا ، امرأً أخذ بعنان قلبه[٣] كما يأخذ الرّجُل بخطام جمله ، فإنْ قادَه إلى طاعة الله تبِعه[٤] وإن قادهُ إلى معصية الله كفَّه[٥] .

وبعث عدىُّ بن أرطاة إلى المهالبةِ أبا المليحِ الهُذلىّ ، وعبد الله بن عبد الله ابن الأهتم والحسنَ البصرىّ ، فتكلم الحسنُ فقال عبد الله : والله ما تمنّيتُ كلاماً قطُّ أحفظُه إلاّ كلامَ الحسن يومئذ .

قال : وتنقّصَ ابنٌ لعبد الله بن عروة بن الزبير عليًّا رحمه الله ، فقال له أبوه : والله ما بنَى الناسُ شيئاً قطُّ إلاّ هدَمه الدِّين ، ولا بَنَى الدِّين شيئا فاستطاعت الدُّنيا هدمَه ، ألم تر إلى علىّ كيف تُظهِر[٦] بنُو مروان من عيبه وذمّه ؟ والله لكأنّما يأخذونَ بناصيته رفعاً إلى السماء . وما ترَى ما يندُبون به

(١) هو معمر بن راشد الأزدى الحدانى البصرى ، وكان يروى عن قتادة عن الحسن البصرى . وقال : « طلبت العلم سنة مات الحسن » . توفى فى رمضان سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٧٨) .

(٢) هو أبو سليمان جعفر بن سليمان الضبعى البصرى ، روى عن مالك بن دينار وابن جريج وعطاء بن السائب . وكان من المتشيعين . توفى سنة ١٧٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) ل : « عمله » . (٤) فيما عدا ل : « قبله وتبعه » .

(٥) الخطبة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٥١) والعقد (٤ : ١١٧) وابن أبى الحديد (١ : ١٥٠) . وأولها فيما عدا عيون الأخبار : « امرؤ » بالرفع .

(٦) فيما عدا ل : « يظهر » . وفى القرآن الكريم : (إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل) .

موتاهم من التأبين والمديح ؟ والله لكأنما يكشفون عن الجِيَف .

أبو الحسن قال : قال عبد الله بن الحسن ، لابنه محمد ، حين أراد الاستخفاء[١] :

٣٣٧ « أى بُنَىّ ، إنى مؤدٍ إليك حقّ الله فى حُسن تأديبك ، فأدِّ إلىّ حق الله فى حسن الاستماع . أىْ بُنَىّ ، كفَّ الأذى ، وارفض البَذَا ، واستَعِنْ على الكلام[٢] بطُول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى القول ؛ فإن للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها خطاؤه ، ولا ينفع صوابُه . احذَرْ مشورةَ الجاهل وإنْ كان ناصحاً ، كما تحذر مشورةَ العاقل إذا كان غاشًّا ، فإنه يوشك أن يورّطاك بمشورتهما ، فيسبقَ إليك مكرُ العاقل وتوريط الجاهل » .

وكان يقال : من لانت كلمته وجبت محبته ، ومن طال صمتُه اجتلب من الهيبة ما ينفعُه ، ومن الوحشة ما لا يضرُّه .

---

(١) انظر ما سبق فى (١ : ٣٢٢) .

(٢) فيما عدا ل : « واستغن عن الكلام » تحريف ، صوابه فى ل .

باب

أن يقول كلُّ إنسان على قَدْر خُلُقه وطبعه

قال قُتيبة بن مسلم ، لحُضَين بن المنذر(١) : ما السّرور ؟ قال : امرأةٌ حسناء ، ودارٌ قوراء(٢) ، وفرسٌ مرتبَطٌ بالفِناء .

وقيل لِضرار بن الحصين(٣) : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلوسٌ على السرير ، والسلامُ عليك أيُّها الأمير .

وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ قال :

كلَّ الكرامةِ نلتُها   إلاّ التحيّةَ بالسّلامْ

وقيل لعبد الله بن الأهتم : ما السرور ؟ قال : رفع الأولياء ، وحطُّ الأعداء ، وطولُ البقاء ، مع القدرة والنماء(٤) .

وقيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيعٌ جائزٌ(٥) ، وأمرٌ نافذ .

أبو الحسن المدائنى قال : قيل لإنسان بَحْرِيّ : أيَّ شيء تمنَّى ؟ قال : شربةً من ماء القِنْطاس(٦) ، والنومَ فى ظلّ الشراع ، وريحًا دُنْبَدَاد(٧) .

وقيل لطفيلى : كم اثنين فى اثنين(٨) ؟ قال : أربعة أرغفة .

وقال الفلاّس القاصّ : كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ ثلاثمائة وستّين درهماً .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٩ . ل : « لحصين » . ماعدال : « للحصين » محرفتان .
(٢) دارقوراء : واسعة الجوف .
(٣) سبق الخبر بدون نسبة فى (١ : ٢٨٦) .
(٤) فيما عدا ل : « مع القدرة على النماء » تحريف .
(٥) جائز ، أى يجوز وينفذ .
(٦) قنطاس السفينة : حوضها الذى يجتمع فيه نشافة الماء .
(٧) كلمة فارسية معناها « الريح التى تهب من خلف » ، كما كتب فى حاشية التيمورية . مركبة من : « دُنْبَه » بمعنى الذيل . و « داد » بمعنى المعطى .
(٨) فيما عدا ل : « اثنتين فى اثنتين » ، تحريف .

وقلت لملّاحٍ لى ، وذلك بعد العصر فى رمضان : انظر كم بينَ عين الشمس و بين موضع غُروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مُرْدِيَّيْنِ ونصف .

وقال آخر : وقع علينا اللُّصوص ، فأوّلُ رجلٍ داخلٍ دخل علينا السفينة كان فى طول هـذا « المُردِىّ »[١] ، وكانت فخذُه أغلظَ من هذا السُّكّان ، واسودَّ ٣٣٨ صاحبُ السَّفينة حتّى صار أشدَّ سواداً من هذا القِير .

وأردتُ الصّعودَ مرّةً فى بعض القناطر ، وشيخٌ ملّاح جالس ، وكان يومَ مَطَرٍ وزَلَق ، فزَلِقَ حمارِى فكاد يُلقينى لجَنْبى ، لـكنّه تماسَكَ فأقعى على عَجُزه ، فقال الشيخ الملّاح : لا إله إلاّ الله ، ما أحسَنَ ما جلس على كَوْثَلِهِ[٢] .

ومررت بتَلّ طينٍ أحمرَ ومعى أبو الحَسَن النَّخّاس[٣] ، فلما نظر إلى الطِّين قال : أىُّ أوارِىَّ[٤] تجىء من هذا الطِّين .

ومررنا بالخُلد[٥] بعد خرابه ، فقال : أىُّ إصطبلات تجىء فى هذا الموضع .

وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال : طهارة البدن ، والفعلُ الحسَن .

وقيل لمحمد بن عمران : ما المروءة ؟ قال : أن لا تعمل فى السرّ شيئاً تستحى منه فى العلاَنِيَة .

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العِفّة والحِرْفة .

وقال طلحة بن عُبيد الله : المروءة الظاهرةُ الثّياب الطّاهرة .

---

(١) المردى ، بضم الميم وتشديد الياء : خشبة يدفع بها الملاح السفينة . وقد وضعت بعض المعاجم هذه الـكلمة فى (ردى) وحقها (مرد) . وقد قالوا : إن المرد دفع الملاح السفينة بالمردى .

(٢) الـكوثل : مؤخر السفينة ، أو سكانها . وقد تشدد اللام .

(٣) فيما عدا ل : « أبو الحسين النحاس » ، تحريف . والنخاس : بائع الدواب .

(٤) الأوارى : مواضع علف الدواب ، واحدها آرىّ . وفيما عدا ل : « اداری » ، تحريف .

(٥) الخلد ، بالضم : قصر بناه المنصور ببغداد . معجم البلدان .

وقيل لأبى هريرة : ما المروءة ؟ فقال : تقوى الله ، وإصلاحُ الصَّنيعة ، والغَداء والعَشاء بالأفنية .

ونظر بكر بن الأشعر ، وكان سَجّانا ، مرّةً إلى سُور دار بَجَالَة بن عبدة ، فقال : لا إله إلا الله ، أىُّ سجنٍ يجىء من هذا .

وقال إنسانٌ صيرفىّ : باعنى إنسانٌ[١] عشرين جَريباً ، ودانِقَين ونصفاً ذهبا .

قال : ونظر عثمان بن عفّان رحمه الله إلى عِيرٍ مُقْبِلَةٍ ، فقال لأبى ذَرّ : ما كنت تحبُّ أن تَحمِل هذه ؟ قال أبو ذَرّ : رجالاً مثلَ عُمَر[٢] .

وقيل للزُّهرىّ[٣] : ما الزُّهد فى الدنيا[٤] ؟ فقال : أمَا إنه ليس بشَعَثٍ فى اللِّمّة ، ولا قشفِ الهيئة ، ولكنّه ظَلْفُ النّفس عن الشَّهوة[٥] .

وقيل له أيضاً : ما الزُّهد فى الدُّنيا ؟ قال : ألاّ يغلبَ الحرام صبرَك ، ولا الحلالُ شُكرَك .

قالوا : ومرّ المسيح عليه السلام بحَلَق بنى إسرائيل ، فشتَموه ، فكلّما قالوا شرًّا قال المسيح صلى الله عليه وسلم خيراً ، فقال له شمعون الصَّفىّ[٦] : أكلّما قالوا شرًّا قلت لهم خيراً ؟ قال المسيح : « كلُّ امرئٍ يعطِى ممّا عندَه » .

وقال بعضهم : قيل لامرئ القيس بن حُجْر : ما أطيبُ عيشِ الدُّنيا ؟ قال : بيضاء رُعبُوبَة[٧] ، بالطِّيب مشبوبة[٨] ، بالشَّحم مكروبة[٩] . ٣٣٩

---

(١) فيما عدا ل : « فلان » .
(٢) فيما عدا ل : « رجالا لا مثل عمرى » تحريف .
(٣) ل : « للزبير » تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ١٨٨ .
(٤) الكلام بعد هذه إلى « ما الزهد » فى الفقرة التالية ، من ل فقط .
(٥) ظلف نفسه عن الشىء ظلفا ، بالفتح : منعها عنه .
(٦) ل : « سمعون الصفاء » .
(٧) الرعبوبة : البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة .
(٨) مشبوبة : قد ظهر حسنها ، وأشرق لونها .
(٩) المكروبة : المفتولة المشدودة .

وسئل عن ذلك الأعشى فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صَوب غادية[١] .

وقيل مثل ذلك [لطرَفَة] فقال : مَطعمٌ شهيّ ، وملبَس دَفِيّ ، ومركَبٌ وطيّ .

قال : وكان محمّد بن راشـدٍ البجليّ[٢] ، يتغدّى و بين يديه شَبُّوطة[٣] ، وخيّاطٌ يقطع له ثيابًا ، ورآه يلحَظُ الشَّبُّوطة ، فقال : قد زعمتَ أن الثوبَ يحتاج إلى خِرقة ، فكم مقدارها ؟ قال : ذراعٌ فى عرض الشَّبُّوطة .

ودخل آخَرُ على رجلٍ يأكل أُتْرُجّةً بعسَل ، فأراد أن يقول : السلام عليكم ، فقال : عَسَليكم .

ودخلت جاريةٌ روميّةٌ على راشـد البَتّىّ[٤] ، لتسأل عن مولاتها[٥] ، فبصُرَت بحمارٍ قد أدلى ، فقالت : قالت مولاتى : كيف أيرِ حماركم ؟ — فيما زعم أبو الحسن المدائنى .

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

وإذا أظهرتَ أمراً حسَـنًا ... فليكن أحسَنَ منه ماتُسِرْ[٦]

فمُسِرُّ الخير موســومٌ به ... ومُسِرُّ الشرّ موسومٌ بشَرْ

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

---

(١) الصوب : المطر : والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

(٢) محمد بن راشد البجلى الخناق ، ذكر الجاحظ في الحيوان (١ : ١١٥) أنه كانت له بنت ذات لحية وافرة . وفى الحيوان (٤ : ٢٦٦) أن بجيلة يكثر فيها الخناقون . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (٥ : ٥٨) أنه كان من أصدقاء إسحاق الموصلى ، وروى له أخبارا .

(٣) الشبوطة : واحدة الشبوط ، وهو ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، لين المس .

(٤) البتى : نسبة إلى البت ، بفتح الباء ، وهى قرية من أعمال بغداد ، كما ذكر ياقوت . وقال السمعانى فى الأنساب ٦٥ : « موضع أظن بنواحى البصرة » . فيما عدا ل : « البستى » .

(٥) فيما عدا ل : « لتسأل به عن مولاتها » . وكلمة « به » مقحمة .

(٦) تسر ، من الأسرار . فيما عدا ل : « يسر » بالبناء للمفعول .

أرى النّاسَ يبنُون الحصونَ وإنّما غوابرُ آجالِ الرّجالِ حُصونُها[١]
وإنّ من الأعمال دُونًا وصالحا فصالحُها يبقى ويَهـلِكُ دُونُها

وأنشد ابنُ الأعرابي :

حَسْبُ الفتى مِن عيشه زادٌ يبلّغُه المَحَـلاّ
خـبزٌ وماء بارد والظّلُّ حين يريد ظِلاّ

وقال بعضُ الأعراب :

وما العيش إلا شَـبعةٌ وتشرُّقٌ وتمرٌ كأخفاف الرِّباع وماءُ[٢]

٣٤٠ * محمّد بن حرب الهلالىّ قال : قلت لأعرابى : إنّى لك لَوادٌّ . قال : وإنّ لك من صدرى لَرَائدًا[٣] .

قال : وأتيت أعرابيًا فى أهله مُسلّمًا عليه ، فلم أجدْه ، فقالت لى امرأته : عَشّر اللهُ خُطاك . أى جعلها عَشرة أمثالها .

قالوا : وكان سَلْم بن قتيبة[٤] يقول : لم يضيّع امرؤٌ صوابَ القول حتّى يضيّع صواب العمل .

أبو الحسن قال : قال الحجّاج لمعلّم ولده : علّمْ ولَدِى السِّباحةَ قبل الكتابة ، فإنّهم يصيبون مَن يكتب عنهم ولا يُصيبون من يَسْبَح عنهم .

أبو عقيل بن دُرُسْت قال : رأيت أبا هاشمٍ الصوفىَّ مقبِلاً من جهة النّهر ، فقلت : فى أىّ شيء كنتَ اليوم ؟ قال : فى تعلُّم ما ليس يُنسَى ، وليس لشىء من الحيوان عنه غِنًى . قال : قلت وما ذاكَ ؟ قال : السِّباحة .

---

(١) الغوابر : البقايا . فيما عدا ل : « غوائر » .

(٢) التشرق : الجلوس للشمس . الأخفاف : جمع خف . والرباع : جمع ربع ، بضم ففتح ، وهو الفصيل يولد فى الربيع .

(٣) فيما عدا ل : « من قلبى » ، وقد فهم الأعرابى أنه عنى الوادى ، على حين أنه أراد المودة .

(٤) فيما عدا ل : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

حدّثنا عليُّ بن محمدٍ[1] وغيره ، قال : كتب عُمر بن الخطّاب إلى ساكنى الأمصار : « أمّا بعد فعلّموا أولادَكم العَوْم والفُروسيّة[2] ، وروّوهم ما سارَ من المَثَل ، وحَسُن من الشِّعر » .

وقال ابنُ التَّوْأم : علِّم ابنَك الحسابَ قبلَ الكتاب ؛ فإنّ الحسابَ أكسبُ من الكِتاب ، ومؤونةُ تعلّمه أيسر ، ووجوهُ منافعه أكثر .

وكان يقال : لا تعلّموا بناتِكم الكتاب ، ولا تروُّوهن الشعر ، وعلّموهن [القرآن ، و] من القرآن سُورةَ النور .

وقال آخر : بنو فلان يعجبُهم أن يكون فى نسائهم إباضيّات ، ويُؤخَذْن بحفظ سورة النُّور .

وكان ابنُ التوأم يقول : من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء ، أن يعلِّمُوهم الكتاب والحساب والسِّباحة .

خطب رجلٌ امرأةً أعرابيّة فقالت [له] : سَلْ عنّى بنى فلان و بنى فلان وبنى فلان[3] ، فعَدّتْ قبائلَ ، فقال لها : وما عِلْمهم بك ؟ قالت : فى كلِّهم قد نكَحْت . قال أُراكِ جَلْنفعةً قد خزَّمتْك الخزائم[4] . قالت : لا ، ولكنّى جوّالة بالرَّحْل عَنْتَرِيس[5] .

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى ، صاحب الأخبار والتصانيف الكثيرة . المتوفى سنة ٢١٥ . ابن النديم ١٤٧ — ١٥٢ ولسان الميزان (٤ : ٢٥٣) .

(٢) فيما عدا ل : « السباحة والفروسية » . وانظر الخبر فى الكامل ١٥٠ ليبسك .

(٣) فى اللسان (جلفع) : « إن سألت عنى بنى فلان أنبئت عنى بما يسرك ، وبنو فلان ينبئونك بما يزيدك فى رغبة ، وعند بنى فلان منى خبر » .

(٤) الجلنفعة : المسنة . والخزائم : جمع خزامة ، بالكسر ، وهو ما يجعل فى أنوف الإبل . وهذه كناية عن الإذلال والتسخير . انظر أساس البلاغة (خزم) .

(٥) تعنى أنها فتية ذات شدة ، كالناقة العنتريس ، وهى الصلبة الوثيقة الشديدة . فيما عدا ل : « شمريس » تحريف .

وقال الفرزدق لامرأته النَّوَار[١] : كيف رأيتِ جريرا ؟ قالت : رأيتُكَ ظلمتَه أوّلاً ثم شَغَرْتَ بِرِجلك آخرا[٢] . قال : أنا [إنيه[٣]] ؟ قالت : نعم ، أمَا إنّه قد غَلَبك فى حُلوه ، وشارَكَكَ فى مُرّه .

٣٤١ قال : وتغدَّى صَعصعة بن صُوحانَ عند معاوية يوماً ، فتناوَلَ من بين يدَىْ معاويةَ شيئا ، فقال : يا ابنَ صُوحان ، لقد انتجعتَ من بعيد ! فقال : « مَن أجدَبَ انتجع » .

وبَصُر الفرزدقُ بجريرٍ مُحْرِما فقال : والله لأُفسِدنَّ على ابن المَراغة حَجَّه . ثم جاءه مستقبِلاً له ، فجَهَرَه بِمِشقَص كان معه[٤] ، ثم قال :

إنّكَ لاقٍ بالمَشاعر من مِنًى فَخاراً فخبِّرنى بمن أنتَ فاخرُ

فقال جرير : لبيك اللهم لبيك . [ولم يُجِبْه[٥]] .

قال : وأُدخِل مالكُ بن أسماء سجنَ الكوفة ، فجلس إلى رجلٍ من بنى مُرّة ، فاتّكأ المُرّىّ عليه يحدّثه حتّى أكثَر وغَمَّه ، ثم قال : هل تدرى كم قَتَلْنا منكم فى الجاهليّة ؟ قال مالكٌ : أمّا فى الجاهليّة فلا ، ولكنّى أعرف مَن قتلتُم منّا فى الإسلام . قال المُرّىّ : ومَن قتلنا منكم فى الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلْتَنى غمّاً !

قال : ودخل رجلٌ من محاربِ قيسٍ على عبد الله بن يزيد[٦] الهلالىّ ، وهو

(١) فيما عدا ل : « نوار » . وإثبات اللام وحذفها فى مثل هذه الأعلام جائز .
(٢) هو من قولهم : بلدة شاغرة برجلها ، إذا لم تمتنع من غارة أحد .
(٣) فى الأصل ، وهو هنا ما عدا ل : « انى » ، والصواب ما أثبت . وفى اللسان (١٨ : ٥٢) : « وحكى سيبويه أنه قيل لأعرابى سكن البلد : أتخرج إذا أخصبت البادية فقال : أنا إنيه ، يعنى : أتقولون لى هذا القول وأنا معروف بهذا الفعل » .
(٤) المشقص : سهم فيه نصل عريض . جهره : راعه وجبأه . ل : « فجهزه » .
(٥) فى الأغانى (٧ : ٤٨) أنهما التقيا بمنى . وعقب على الخبر بقوله : « قال إسحاق فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه » .
(٦) ب فقط : « زيد » .

عاملٌ على أرْمِينِيَة ، وقد بات فى موضع قريبٍ منه غديرٌ[١] فيه ضفادع ، فقال عبدُ الله للمحاربىّ : ما تركَتْنا أشياخُ محاربٍ ننام [فى] هذه الليلة ؛ لشدّة أصواتها . فقال المحاربىّ : أصلحَ الله الأمير ، إنّها أضلّت بُرقُعًا لها ، فهى فى بُغائه[٢] . أراد الهلالىُّ قولَ الأخطل :

تَنِقُّ بلا شىء شُيوخُ محاربٍ ... وما خِلْتُها كانت تَريش ولا تَبْرى
ضفادعُ فى ظلماء ليلٍ تجاوبت ... فدلَّ عليها صوتُها حَيَّةَ البحرِ[٣]

وأراد المحاربىُّ قول الشاعر :

لكلّ هلالىّ من اللُّؤم بُرقعٌ ... ولابنِ هلالٍ بُرْقُعٌ وقميصُ

وقال العُتْبِىّ[٤] :

رأيْنَ الغوانِى الشّيبَ لاحَ بعارضِى ... فأعرضْنَ عنّى بالخُدود النواضِرِ[٥]
وكُنّ إذا أبصَرْنَنى أو سمِعنَ بى ... سعَيْنَ فرقّعن الكُوَى بالمحاجرِ[٦]
لئنْ حُجِّبت عنّى نواظِرُ أعينٍ ... رَمَيْنَ بأحداق المَها والجآذرِ ٣٤٢
فإنّىَ من قومٍ كرامٍ أصولُهم ... لأقدامهم صِيغَتْ رءوس المنابرِ

---

(١) فيما عدا ل : « فى موضع غدير قريب منه » .
(٢) البغاء ، بالضم : الطلب .
(٣) ديوان الأخطل ١٣٢ والحيوان (٣ : ٢٦٨/٤ : ٢٤٠/٥ : ٥٣٢) .
(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان العتبى البصرى . كان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وكان العتبى شاعرا ولم يكن أبوه كذلك . ذكره ابن النديم فى الكتاب المترسلين . وذكر ابن قتيبة أن الأغلب عليه الأخبار ، وأكثر أخباره عن بنى أمية . وكان مستهترا بالشراب ويقول الشعر فى عتبة ، فقيل إن نسبته إليها ، وقيل إلى جده عتبة . وتوفى سنة ٢٢٨ . الفهرست ١٧٩ ، وابن خلكان ، والمعارف ٢٣٤ .
(٥) البيت من شواهد العربية فى إلحاق علامة الجمع بالفعل . انظر سر العربية ٣٣٩ .
(٦) الكوى : جمع كوة بالفتح وقد تضم ، وهو الخرق فى الحائط والثقب فى البيت . وأنشده فى اللسان (رقع) منسوبا إلى عمر بن أبى ربيعة ، مسبوقا بقوله : « وكل ما سددت من خلة فقد رقعته ورقعته » . وعقب عليه بقوله : « وأراه على المثل » ، أى المجاز والاستعارة . والمحاجر : جمع محجر ، كمجلس ومنبر : ما دار بالعين وبدا من البرقع . والبيت محرف فى وفيات الأعيان .

خلائفُ فى الإسلام ، فى الشِّرك قادةٌ   بهم وإليهمْ فَخرُ كلِّ مُفاخرِ

وقال لبيد :

والشّـــاعرون النّاطِقون أراهم   سلكُوا طريق مُرقِّشٍ ومُهلهِلِ[(١)]

وقال آخر :

أم مَن لباب إذا ما اشتدَّ حاجبُه   أم من لخصمٍ بعيدِ الغَور مغوارِ

وقال حاجب بن دينار المازنىّ[(٢)] :

ونحن بنو الفَحْـل الذى سال بولُه   بكلِّ بـــلادٍ لا يبولُ بها فحلُ

أبَى النّاسُ والأقلام أن يَحسُبُوهمُ   إذا حُصِّل الأجناسُ أو يُحسبَ الرَّملُ[(٣)]

فإنْ غَضِبوا سَدُّوا المشارِقَ ، منهمُ   ملوكٌ وحكامٌ كلامهم فَصلُ[(٤)]

وقال أعرابىٌّ من بنى حَنيفة ، وهو يمزَح :

مَرّ الجرادُ على زرعى فقلت له   الزَمْ طريقَك لا تُولَع بإفسادِ

فقال منهم خطيبٌ فوق سُنبلةٍ   إنّا على سفر لا بُدَّ من زادِ

وقال آخر يهجو بعضَ الخطَباء :

يُمان ولا يَمُون وكان شيخاً   شديد اللَّقمِ هِلقاماً خطيبا[(٥)]

وذهب إلى قول الأحوص :

---

(١) وكذا ورد إنشاده فى الديوان ٣٤ طبع ١٨٨١ . وفيما عدا ل : « إذا هم » .

(٢) ورد اسمه فى ل محرفا « حاجب بن ذبيان » . وكذا ورد اسمه فى الأغانى (١٣ : ٤٨) حيث ذكر له أخبارا مع يزيد بن المهلب وثابت قطنة ، وذكر أن ثابت قطنة لقب حاجبا « حاجب الفيل » . وانظر أمالى المرتضى (٤ : ٢١) والحيوان (١ : ١٩١) .

(٣) فيما عدا ل : « الأخماس » تحريف . عنى كثرة عديدهم .

(٤) فيما عدا ل : « شدوا المشارق » تحريف . أراد : ثاروا بجموعهم التى تملأ الأرض وتحجب ضوء الشمس بما تثير من الرهج والغبار .

(٥) مانه يمونه : كفله وقام بكفايته وأنفق عليه . واللقم : سرعة الأكل . والهلقام : الواسع الشدقين الكثير الأكل . فيما عدا ل : « صلقاما » . وأصل الصلقام : الضخم من الإبل .

ذَهَبَ الذين أحبُّهم فَرَطاً   وبقيتُ كالمقمورِ فى خَلَفِ(١)
من كلِّ مَطوىٍّ على حَنَقٍ   متضجِّعٍ يُكفَى ولا يَكفِى(٢)

* وقال الحسن بن هانئ* : ٣٤٣

إذا نابَهَ أمرٌ فإمّا كفيتَه   وإمّا عليه بالكَفِىِّ تُشِيرُ(٣)

وقال آخر :

ذَرِينى فلا أعيا بما حلَّ ساحتى   أسُودُ فأكفِى أو أطيعُ المسوَّدا(٤)

وأما قول بشّار :

وفى العبرَاتِ الغُرِّ صبرٌ على النّدَى   أولئك حَىٌّ من خُزَيمةَ أغلبُ(٥)
وألأم من يَمشى ضُبيعـةُ ، إنّهم   زعانفُ لم يَخطُب إليهم مُحجَّبُ(٦)

وكذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

ما ضرَّ غانى نِزارٍ أن تُفارقه   كلبٌ وجَرمٌ إذا أبناؤه اتّفقوا(٧)
قالت قُضاعةُ إنّا من ذَوِى يَمَنٍ   الله يعلـم ، مابَرُّوا ولا صدقوا
يزداد لَحمُ المَنَاقِ فى منازلنـا   طيباً إذا عزَّ فى أعدائنا المرَقُ(٨)
وما خَطبنا إلى قوم بَنَـاتِهمُ   إلاّ بأرْعَنَ فى حافاتِهِ الحَرَقُ(٩)

---

(١) فرطا : متقدمين سابقين . والمقمور : المغلوب فى القمار .
(٢) فيا عدا ل : « على عنق » تحريف . والمتضجع : المتقعد الذى لا يقوم بالأمر .
(٣) الكفى : الكافى . والبيت من قصيدة أبى نواس المشهورة ، التى مطلعها :
أجارة بيتنـا أبوك غيور   وميسور ما يرجى لديك يسير
(٤) فيا عدا ل : « لا أعيا » :
(٥) العبرات : قبائل عبر أو عبرة ، ولم أهتد إلى تعيينها لكثرتها . أغلب : غليظ الرقبة ؛ حى أغلب : ذو سيادة ، وهم يصفون السادة بالغلب ، وهو بالتحريك : غلظ الرقبة . قال :
* بيض مرازبة غلب جحاجحة *
(٦) الزعانف : الأحياء القليلة فى الأحياء الكثيرة . المحجب : الملك ذو الحجاب .
(٧) الغانى : المقيم ، من قولهم غنى بالمكان : أقام . فيا عدا ل : « غازى » تحريف .
(٨) المناق : جمع منقية ، كمحسنة ، وهى الناقة ذات الشحم . عز : قل .
(٩) الأرعن : الجيش العظيم ، له فضول كرعان الجبال ، أى أنوفها . والحرق ، بالتحريك : النار .

قوله خَطَبْنا : من الخِطْبَـة هاهنا ؛ وهو فى الشِّعر الأول من الخِطْبَة أيضاً .

وقال بلعاء بن قيس :

أبَيْتُ لنفسى الخَسفَ لمّا رَضُوا به ... وولَّيتهم شتْمى وما كنتُ مُفْحَمَا[1]

وقال بلعاء بن قيس[2] لسُراقةَ بن مالك بن جُعْشُم[3] :

ألا أبلغْ سُراقَةَ : يا ابنَ مالٍ ... فبئس مَقالةُ الرّجلِ الخطيبِ[4]

أترجو أن تؤوبَ بظُعْن ليثٍ ... فهذا حينُ تُبصِرُ من قريبِ[5]

وقال منصورٌ الضّبِّىّ :

ليت الفتى مجـرداً مِنّا مكانَهُمُ ... وليتَهم من وراء الأخضر الجارى

قد قام سيِّدُهم عِمرانُ يخطُبهم ... ما كان للخـــير عمرانٌ بأمّارِ

***

قال : وتقول العرب : « الخَلّةُ تَدْعُو إلى السَّلَّة[6] » . وكانوا إذا أسَروا

٣٤٤ أسيراً قال المادح : « أسَرَه فى مُزاحَفَة ، ولم يأسِرْه فى سَلّةٍ » . وفى الحديث :

(١) البيت وما قبله من عبارة الإنشاد ، ساقط من ب .

(٢) هو أبو مساحق بلعاء بن قيس اليعمرى ، كان رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن قال فى كل فن أشعارا جيادا . المؤتلف ١٠٦ . ومات قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار . انظر العقد (يوم الحريرة) .

(٣) سراقة هـذا ، هو الذى حاول إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم فى هجرته الى المدينة . وقد أسلم عام الفتح . ولما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، دعا سراقة فألبسه إياها وقال له : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابى ! مات سراقة فى خلافة عثمان سنة ٢٤ . الإصابة ٣١٠٩ .

(٤) مال : ترخيم مالك . يا ابن مال ، أي قل يا ابن مالك .

(٥) ليث ، هى القبيلة . والظعن ، بالضم وتقال أيضا بضمتين : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . كنى بذلك عن سبى نسائهم .

(٦) ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ٣٧٣ . قال : « منصور بن المسجاح — وقيل مسحاج — بن سباع الضبى . جاهلى » .

(٦) أى الحاجة تدفع إلى السرقة .

« لا إسلالَ ولا إغلال[1] » . وفى المثل : « الحاجة تفتح بابَ المعرفة » .

ونذكر هنا أبياتَ شعرٍ تصلح للرواية والمذاكرة

قال سُويدُ المراثِدِ الحارثى[2] أو غيره[3] :

بنى عمِّنا لا تذكُرُوا الشِّعرَ بعدما ... دفنتم بصحراء الغُمَيمِ القوافيا[4]
فلسْنا كمن كنتمْ تُصِيبون سَلّةً ... فنقْبَلَ عَقْلاً أو نحكِّمَ قاضيا[5]
ولكنَّ حُكمَ السّيفِ فيكمْ مُسلَّطٌ ... فنرضَى إذا ما أصبحَ السّيفُ راضيا
وقد ساءنى ما جرَّتِ الحربُ بيننا ... بنى عمِّنا لو كان أمراً مُدانيا[6]
فإن قلتم إنّا ظَلَمْنا فإنّكم ... بدأتم ولكنّا أسأْنا التَّقاضيا[7]

وقال ضابئُ بن الحارث[8] :

ورُبَّ أمورٍ لا تضيرُكَ ضَيرةً ... وللقلب من مَخْشاتِهنَّ وجيبُ[9]

---

(١) هذا من كتاب صلح الحديبية حين وادع أهل مكة . الإسلال : الرشوة والسرقة . والإغلال : الخيانة . انظر مقاييس اللغة (٣ : ٥٩) .

(٢) سويد المراثد ، ذكر التبريزى فى شرح الحماسة (٢ : ٣٢٠) أن المراثد : جمع مرثد ، وهو مصدر رثدت المتاع بعضه فوق بعض ، أى نضدته . ويقال له أيضا « سويد المراثى » .

(٣) الأبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣١) للشميذر الحارثى . وذكر التبريزى فى الكلام على هذه الأبيات أنها لسويد بن صميع المرثدى ، من بنى الحارث ، وكان أخوه قتل غيلة فقتل قاتل أخيه نهارا فى بعض الأسواق من الحضر . فهذا قول ثالث فى اسم سويد .

(٤) فى الحماسة وعيون الأخبار (١ : ٧٧) : « بصحراء الغمير » بالراء .

(٥) العقل : الدية . فى الحماسة وعيون الأخبار : « فنقبل ضيما » .

(٦) أمر مدان : مقارب . أى لو كان الأمر الذى أدى إلى الحرب مقاربا هينا لساءنى ذلك ، ولكنه أمر شديد يستوجب الحرب . ل : « وقد سرنى » صوابه فى الحماسة وسائر النسخ . والبيت لم يروه ابن قتيبة .

(٧) هذا البيت مقدم على البيت الذى قبله فيما عدا ل .

(٨) هو ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمى ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وجنى جناية فى زمن عثمان فحبسه ، فجاء ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه ، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه فكسر ضلعين من أضلاعه . الإصابة ٤٢٠٠ والخزانة (٤ : ٨٠) والحيوان (١ : ٣٦٩) .

(٩) المخشاة : الخشية والخوف . والوجيب : الاضطراب والخفقان .

وقال حارثةُ بن بدر[1] :

وقلْ للفـــؤادِ إن نزا بكَ نزوةً   من الرَّوْعِ أفرِخْ أكثرُ الرَّوْعِ باطِلُه[2]

وقال لَبيد بن ربيعة :

واكذِبِ النّفسَ إذا حدّثْتَها   إنَّ صدْقَ النّفسِ يُزْرِي بالأمَلْ[3]

وقال حبيب بن أوس[4] :

وطولُ مُقامِ المرء في الحيِّ مُخْلِقٌ   لِديباجتَيْهِ فاغتربْ تتجدَّدِ[5]

فإنِّي رأيتُ الشَّمسَ زِيدتْ مَحبّةً   إلى النّاس إذ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ[6]

٣٤٥ * وقال غيره :

هو الشَّمس إلا أنَّ للشّمس غَيبةً   وهـذا الفتى الجَرمىُّ ليس يَغِيبُ

يروح ويغـدُو ما يُفَتِّرُ ساعةً   وإن قيل ناءٍ فهو منكَ قريبُ[7]

وقال آخر :

خلافاً لقـــولِي من فَيَالةِ رأيه   كما قِيل قبلَ اليوم : خالفْ لتُذكَرَا[8]

وقال حارثةُ بن بدر :

---

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، الغدانى . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم . وله أخبار فى الفتوح . وذكر المبرد فى الكامل أنه غرق ، فى ولاية عبد الله بن الحارث على العراق ، وذلك سنة ٦٤ . الإصابة ١٩٣٣ .

(٢) البيت من أبيات فى الحيوان (٣ : ٧٧) وأمالى المرتضى (٢ : ٤٧) .

(٣) ديوان لبيد ١٢ طبع ١٨٨١ .

(٤) فيما عدا ل : « وقال الشاعر ، وهو حبيب بن أوس » .

(٥) أراد بالديباجتين الديباجة .

(٦) فيما عدا ل : « أن ليست » . وهى رواية الديوان ١٠١ .

(٧) فيما عدا ل : « ليس يفتر » .

(٨) أنشده فى الحيوان (٧ : ٨٤) . الفيالة ، بالفتح : ضعف الرأى . فيما عدا ل : « فتذكرا » . وانظر المثل عند الميدانى (١ : ٢١٣) .

إذا ماتَ سِرٌّ بنى تميم على الحَدَثانِ لو يَلْقَون مِثْلى
عـدُوٌّ عدوِّهم أبدا عـدُوِّى كذلك شِكلهم أبدا وشِكْلى

وهو شبيهٌ بقول الأعشى :

عُلّقتُها عَرَضـا وعلِقَتْ رجـلاً غيرى وعُلّق أخرى غيرَها الرّجُل(١)

***

وقال عمرو لمعاوية : « من أصبر الناس » . قال : « من كان رأيه رادًّا لهواه » .

واختلفوا بحضرة الزُّهْرىّ فى معنى قول القائل : فلان زاهد . فقال الزُّهرى : « الزاهد الذى لا يغلب الحرامُ صَبْرَه ، ولا الحلالُ شُـكْرَه » .

وقال ابن هبيرة وهو يؤدّب بعض بنيه : لا تكونَنّ أوّلَ مشيرٍ ، وإيّاك والرّأى الفَطير ، وتجنَّب ارتجالَ الـكلام ، ولا تُشِرْ على مستبِدٍّ ولا على وَغدٍ ، ولا على متلوِّن ولا على لَجوج ، وخَفِ الله فى موافقةِ هوى المستشير ؛ فإنّ التماسَ موافقته لؤمٌ ، وسوء الاستماع منه خِيانه .

وقالوا(٢) : من كثر كلامه كثُر سَقَطُه ، ومن ساء خُلقُه قلّ صديقُه .

وقال عُمر للأحنف : من كثر ضحِكه قلّت هَيْبته ، ومن أكثر من شىءٍ(٣) عُرِف به ، ومن كَثُرَ مِزَاحه كثُر سَقُطه ، ومن كثر سَقَطُه قلّ ورعُه ، ومن(٤) قلّ ورعُه ذهب حياؤُه ، ومن ذهب حياؤُه ماتَ قلبُه .

وقال المهلَّب لبنيه : يا بَنِيّ تباذَلُوا تحابُّوا ؛ فإنّ بنى الأمّ يختلفون ، فـكيف بنو العَلاّت(٥) . إنّ البِرّ يَنسأ فى الأجَل ، ويزيد فى العـدد ، وإن القطيعة

---

(١) ديوان الأعشى ٤٣ .
(٢) فيما عدا ل : « وقال » .
(٣ — ٤) الكلام بين هذين الرقمين ساقط من ب .
(٥) بنو العلات : بنو رجل واحد من أمهات شتى . والعلة : الضرة .

٣٤٦ * تُورِثُ القِلّةَ ، وتُعْقِب النّار بعد الذِّلّة . واتّقوا زَلّة اللسان ؛ فإنّ الرَّجُل تزِلُّ رجله فينتعش[١] ، ويزِلُّ لسانُه فيهلِك . وعليكم فى الحرب بالمكيدة ؛ فإنّها أبلغ من النَّجدة[٢] ؛ فإنّ القتالَ إذا وقعَ وقع القضاء ، فإن ظَفِر فقد سَعِد ، وإن ظُفِر به لم يقولوا فرّط .

ولقى الحسينُ رضى الله عنه الفرزدقَ فسأله عن النّاس فقال : القلوبُ معك ، والسّيوفُ عليك ، والنّصر فى السماء .

وقال بعضهم : حُجب أعرابىٌّ عن باب السلطان فقال :

أُهِينُ لهمْ نفسى لأُكرِمَها بهم ولا يكرِمُ النفس الذى لا يهينُها

وقال جرير :

قومٌ إذا حضر المُلوكَ وُفودُهم نُتِفت شواربهمْ على الأبواب[٣]

وقال آخر :

نَهيت جَميعَ الحَضْر عندَ كرخُطّةٍ يدبّرها فى رأيه ابنُ هشامِ
فلما وردتُ البابَ أيقنْتُ أنّنا على اللهِ والسُّلطانِ غيرُ كرامِ

وقال آخر :

وافَى الوفودُ فوافى من بنى حَمَلٍ بَكرُ الحَمَالةِ قانِى السِّنّ عُرْزوم[٥]

---

(١) انتعش العاثر : نهض من عثرته .
(٢) النجدة هنا : الشجاعة والشدة .
(٣) من قصيدة له فى ديوانه ٥٥ — ٥٧ يهجو بها التيم .
(٤) الحضر ، بالفتح : أهل الحضر . قال زهير :
دع ذا وعد القول فى هرم خير الكهول وسيد الحضر
(٥) لم أجد لهذا البيت مرجعا . والعرزوم ، لم يذكر فى المعاجم ، وبدله العرزم ، بالفتح والعرزام ، بالكسر ، وهو القوى الشديد من كل شىء . وقد وقع بعد هذا البيت اضطراب فيما عدا نسخة ل فقدم بعض صفحات الأصل وأخر بعضها . وقد اعتمدت ترتيب الكلام فى النسخة ل لتساوقه والتئامه .

وقال الحُصَين بن المنذر(١) :

وكلُّ خفيف السَّاق يسعى مشمِّراً   إذا فتح البوَّاب بابك إصْبَعا(٢)
ونحن الجُلوسُ الماكثون توقُّراً   حياءً إلى أن يُفتحَ البابُ أجمعا

وقال آخر :

ونَفْسَك أكرِمْها فإنّك إن تَهُنْ   عليك فلن تلقى لها الدّهرَ مُكرِما(٣)

اعتذر ابنُ عونٍ(٤) إلى ابراهيمَ النَّخَعى فقال له : اُسكت معذورا ؛ فإن الاعتذارَ يخالطه الكذب(٥) .

أبو عمرو الزَّعفرانى قال : كان عَمرو بن عُبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحدٌ من حَشَمه فى ذلك اليوم شيئًا إلا قالَ : لا . فقال له عمرو : أقِلَّ من قولِ لا ؛ فإنّه ليس فى الجنة ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سُئِل ما يَجِدُ ٣٤٧ أعطى ، وإذا سئل مالا يَجد قال : « يَصنعُ اللهُ »(٦) .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : أكثِروا لهُنَّ من قولِ « لا » ؛ فإن قول « نعم » يضرِّيهنَّ على المسألة(٧) . وإنّما خصَّ عُمَر بذلك النِّساء .

وقال بعضهم : ذمَّ رجلٌ الدُّنيا عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال علىٌّ :

« الدُّنيا دارُ صدقٍ لمن صَدَقها ، ودارُ نجاةٍ لمن فَهِم عنها ، ودار غِنًى لمن تزوَّد منها ، ومَهبطُ وَحْى الله ، ومُصلَّى ملائكته ، ومَسجد أنبيائه ، ومَتجرُ أوليائه . رَبِحُوا فيها الرَّحمة ، واكتسبوا فيها الجنّة . فمن ذا الذى يذمُّها وقد آذنت ببَيْنها ،

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٩ .
(٢) ل : « الشان » محرف .
(٣) البيت بدون نسبة أيضا فى حماسة البحترى ٢٤٧ .
(٤) هو عبد الله بن عون ، تقدمت ترجمته فى ص ٩١ من هذا الجزء .
(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى ص ٩١ .
(٦) روى ابن قتيبة هذا الخبر والحديث ، فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) .
(٧) المسألة : السؤال . ل : « يضربهن عن المسألة » تحريف .

ونادت بفراقها ، وشبّهت بسرورها السّرور ، و ببلائها البلاء ، ترغيباً وترهيباً . فيأيّها الذامُّ للدُّنيا ، المعلّلُ نفسه ، متى خدعتك الدنيا بما استذمّت إليك[١] ؟ بمصارع آبائك فى البِلَى ، أم بمضاجع أمّهاتك فى الثرى ؟! كم مرّضت بيديك ، وكم علّلت بكفّيك ، تطلب له الشّفاء ، وتستوصِف له الأطبّاء ، غداةَ لا يُغنى عنه دواؤك[٢] ، ولا ينفعه بكاؤك[٣] ، ولا تُنجيه شفقتُك ، ولا تشفع فيه طَلِبتُك » .

وقال عمر ، رحمه الله : « ما بال أحدكم ثانِيَ وِسادِه عند امرأةٍ مُغزِيَةٍ مُغيبة[٤] ؟ إن المرأةَ لحمٌ على وَضَمٍ[٥] إلا ما ذُبَّ عنه » .

***

وقال بعضهم : مات ابن لبعض العظماء فعزّاه بعضهم فقال : عِش أيها الملك العظيمُ سعيداً ، ولا أراك الله بَعدَ مصيبتك ما ينسيكَها .

وقال : لمّا توفّى معاويةُ وجلس ابنُه يزيد[٦] ، دخل عليه عطاء بن أبى صيفيّ الثّقفى ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أصبحتَ قد رُزِيت خليفةَ الله ، وأُعطِيتَ خلافةَ الله ، وقد قضَى معاويةُ نَحْبَه ، فغفر الله ذنبه ، وقد أُعطِيتَ بعده الرّياسة ووَلِيتَ السّياسة ، فاحتَسِبْ عند الله أعظمَ الرزيّة ، واشكُرْه على أفضل العطيّة » .

ولما تُوفّى عبدُ الملك وجلس ابنُه الوليد ، دخَلَ عليه النّاس وهم لا يدرون : أيهنّئونه أم يعزّونه ؟ فأقبل غَيلانُ بن سَلَمة الثّقفىُّ فسلّمَ عليه ، ثم قال :

---

(١) استذم إليه : فعل ما يذمه عليه . فيما عدا ل : « أم متى استذمت إليك » .
(٢) ل : « عنك دواؤك » .
(٣) الجملتان التاليتان من ل فقط .
(٤) كلمة « مغزية » من ل فقط . يقال أغزت المرأة فهى مغزية ، إذا خرج زوجها للغزو . والخبر مروى فى اللسان (غزا) . وأما المغيبة ، بضم الميم وكسر الغين ، فهى التى غاب عنها بعلها .
(٥) الوضم : ما يوضع عليه اللحم يوقى به من الأرض . أى هن من الضعف مثل ذلك اللحم لا يمتنع من أحد ، إلا أن يذب عنه ويدفع . وانظر اللسان (وضم) .
(٦) فيما عدا ل : « جلس ابنه يزيد ودخل » .

« يا أمير المؤمنين ، أصبحتَ قد رُزِيتَ خير الآباء ، وسُمِّيتَ بخير الأسماء ، وأُعطيت أفضلَ الأشياء ، فعظَّمَ الله لك على الرزيّة الصَّبْر ، وأعطاك فى ذلك ٣٤٨ نوافلَ الأجر ، وأعانك على حُسن الوِلاية والشكر . ثم قضَى لعبد الملك بخير القضيَّة ، وأنزله بأفضل المنازل المرضِيَّة ، وأعانك مِن بعده على الرعيّة » . فقال له الوليد : من أنت ؟ فانتَسَبَ له . قال : فى كم أنت ؟ قال : فى مائة دينار . فألحقه بأهل الشَّرف .

ولما تُوُفِّى المنصور دخل ابنُ عُتْبَة مع الخطباء على المهدىّ ، فسلّم ثم قال : آجرَ اللهُ أميرَ المؤمنين على أمير المؤمنين قبلَه ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلَّفه له أميرُ المؤمنين بعدَه ؛ فلا مصيبةَ أعظَمُ مِن فقْد أميرِ المؤمنين ، ولا عُقبى أفضلُ من وِراثة مَقامِ أمير المؤمنين . فاْقبَلْ ياأمير المؤمنين من الله أفضلَ العطيّة ، واحتسِبْ عنده أعظَمَ الرزيّة .

وكتب مَيمون بن مِهْران[1] إلى عمرَ بنِ عبد العزيز ، يعزِّيه عن ابنِه عبد الملك ، فكتب إليه عمر : « كتبتَ إلىَّ تُعزِّيني عن ابنى عبدِ الملك ، وهو أمرٌ لم أزَلْ أنتظرُه ، فلمّا وقعَ لم أُنكِرْه » .

وقال الشاعر[2] :

تعزَّيْتُ عن أوفَى بغَيلانَ بعدَه ... عزاءً وجَفْنُ العين بالماء مُترَعُ[3]

(١) هو أبو أيوب ميمون بن مهران الجزرى الرق ، نشأ بالكوفة ثم نزل الرقة ، وكان مولى مكاتبا لبنى نصر بن معاوية ثم عتق ، وكان على خراج الجزيرة وقضائها لعمر بن عبد العزيز . وكان بزازا فكان يجلس فى حانوته ويتولى الخراج ، وكان عمر يقول فيه : « إذا ذهب هذا وضربُه صار الناس من بعده رجراجة » . الرجراجة ، بالكسر : الرعاع والرذال . توفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، والمعارف ١٩٨ ، وصفة الصفوة (٤ : ١٦٦) .

(٢) الشعر نسبه الجاحظ فى الحيوان (٧ : ١٦٤) إلى أخت ذى الرمة ، وفى (٦ : ٥٠٦) إلى أخى ذى الرمة . وذكر فى الحماسة (١ : ٣٢٨) أنه هشام بن عقبة يرثى أخويه ، أوفى وذا الرمة . والتحقيق أنه لمسعود أخى ذى الرمة يرثى ذا الرمة وابن عمه أوفى ابن دلهم . انظر الأغانى (١٦ : ١٠٧) والشعراء لابن قتيبة .

(٣) غيلان هو اسم ذى الرمة ، وأوفى هو ابن عمه .

ولم تُنسِنِى أوفَى المصيباتُ بعدَه ولكنّ نَكْءَ القَرح بالقَرح أوجَعُ

وقال متمّم :

قَعيدَكِ ألاّ تُسمِعينى مَلامةً ولا تَنكَئى قَرْحَ الفؤاد فيِيجَعا(١)

وقال آخر(٢) :

قليلُ التَّشكِّى للمصيباتِ ذاكرٌ مِن اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غدِ

وقالوا : « أشدُّ من الموت ما يُتمنَّى له الموت » .

قال الفرزدق وهو يصف طعنة :

يودُّ لك الأدنَوْن لو مُتَّ قَبلَها يرون بها شرًّا عليك مِن القَتْلِ

وقال : وقيل للأحنف : ما بلغ من حزمك ؟ قال : لا أُلِى ما كُفِيت ، ولا أُضيِع ما وَليتُ .

وقال آخر : لاتقيموا ببلادٍ ليس فيها نهر جارٍ ، وسوقٌ قائمة ، وقاضٍ عَدْلٌ .

وقالوا : لا تُبنى المدن إلا على الماء والمرعَى والمُحتَطَب(٣) .

وقال مالك بن دينار(٤) : لربما رأيتُ الحجّاج يتكلّمُ على منبره ، ويَذكُرُ
حُسنَ صنيعِه إلى أهل العراق ، وسُوءَ صنيعهم إليه ، حتّى إنّه ليُخيَّل إلى السامع ٣٤٩
أنّه صادقٌ مظلوم .

أبو عبد الله الثّقفىّ ، عن عمّه قال : سمعت الحسن يقول : لقد وقَذَتْنى كلمةٌ سمعتُها من الحَجّاج . قلتُ : وإنّ كلامَ الحجّاج ليَقِذُك ؟ قال : نعم ، سمعته

---

(١) البيت فى الخزانة (١ : ٢٣٤) . وقصيدة متمم فى المفضليات (٢ : ٦٥ — ٧٠) . وقعيدك ، أى قعيدك الله ، هو من أيمان العرب ، كقولهم : نشدتك الله . نكأ القرحة : قشرها . وييجع ، بكسر الياء : لغة فى يوجع . انظر حواشى ص ١٦١ .

(٢) هو دريد بن الصمة . انظر الحماسة (١ : ٣٣٩) . وقصيدة البيت فى الأصمعيات ٢٣ — ٢٤ ليبسك .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٩٩) .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٠) .

يقول على هذه الأعواد[١] : إنّ امرأ ذهبت ساعةٌ من عمره فى غير ما خلِق له ، لَخليقٌ أن تُطولَ عليها حسرتُه .

وقال بعضهم : ما وجدتُ[٢] أحداً أبلغَ فى خيرٍ وشرٍّ من صاحب عبد الله بن سَلِمَة[٣] .

قال : دخل الزِّبرقانُ بن بدرٍ على زيادٍ وقد كُفَّ بصره ، فسلَّم تسليما جافياً ، فأدناه زيادٌ فأجلسه معه ، وقال : يا أباعَيّاش ، القومُ يضحكون من جفائك ! قال : وإنْ ضحكوا فوالله إنْ منهم رجلٌ إلا يوُدّه[٤] أنّى أبوه دون أبيه لِغَيَّةٍ أو لِرَشْدةٍ[٥] .

قال : ونظر هشامُ بن عبد الملك إلى قبر عثمان بن حيان المُرّى[٦] فقال : جُثوةٌ من جُثَى النار[٧] .

قالوا : وكان يقال : صاحب السّوء قطعةٌ من النار . والسَّفرُ قِطعةٌ من العذاب .

وقال بعضهم[٨] : عذابان لا يكترِثُ لهما الرَّجل[٩] : السَّفرَ الطويل ، والبِناء الكثير .

---

(١) فيما عدا ل : « على هذه الأعواد يقول » .

(٢) فيما عدا ل : « وقال بعضهم : كان يقال ما وجدنا » .

(٣) ل : « سلم » تحريف . وهو عبد الله بن سلمة المرادى الكوفى . فى الطبقة الأولى من فقهاء الكوفة بعد الصحابة . روى عن عمر وعلى وابن مسعود . وقال النسائى : لا أعلم أحدا روى عنه غير عمرو بن مرة . فالمراد من «صاحب عبد الله بن سلمة » هو عمرو بن مرة المرادى الكوفى . انظر ترجمة كل منهما فى تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدا ل : « يود » .

(٥) لغية ، بفتح الغين وكسرها ، أى لزنية ، وهو نقيض قولك لرشدة .

(٦) عثمان بن حيان المرى ، كان والياً على المدينة سنة ٩٤ من قبل الوليد بن عبد الملك ثم عزله سليمان سنة ٩٦ . الطبرى (٨ : ٩٢ ، ١٠٢) .

(٧) الجثوة ، مثلثة الجيم : الحجارة المجموعة .

(٨) فيما عدا ل : « قال آخر وكان يقال » .

(٩) فيما عدا ل : « الداخل فيهما » .

وقال رجلٌ من أهل المدينة : مَن ثَقُل على صديقه خَفَّ على عدوِّه ، ومَن أسرَعَ إلى النَّاس بما يكرهون قالوا فيه بِمَا لا يعلمون .

وقال سهل بن هارون : ثلاثة يعودون إلى أجَنّ المجانين ، و إن كانوا أعقلَ العقلاء : الغضبان ، والغَيْران ، والسَّكران . فقال له أبو عَبْدان الشاعر المخلَّع (١) : ما تقول فى المُنعِظ ؟ فضحك حتَّى اسلَنْقَى (٢) ، ثم قال :

ما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو ... بصاحبك الذى لا تَصبَحينَا

وقال أبو الدَّرداء : « أقربُ ما يكونُ العبدُ مِن غضب الله إذا غضب » .

وقال : قال إياس (٣) : البُخْل قَيد ، والغَضَبُ جنون ، والسُّكْر مفتاح الشّرّ .

وقال بعض البُخَلاء : ما نَصَب الناس لشىء نَصْبَهم لنا (٤) ، هَبْهم يُلزِموننا الذّمَّ فيما بيننا و بينهم ، مالهم يُلزِموننا التّقصير فيما بيننا و بين أنفسنا .

٣٥٠ قال : وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن لأبيه : ما شعر كُثَيِّر عندى كما يصفُ النّاس (٥) . فقال له أبوه : إنك لم تَضَع كُثَيِّراً بهذا ، إنّما تضَع بهذا نَفْسَك .

قال : وأنشد رجل عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، قولَ طرَفة :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عِيشة الفتَى ... وجدِّك لم أحفِلْ متى قام عُوَّدِى

فقال عمر : « لولا أنْ أسيرَ فى سبيل الله ، وأضَعَ جَبهتى لله ، وأجالِسَ أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمرِ ، لم أبالِ أن أكُونَ قد مِتُّ » .

---

(١) فيما عدا ل : « المخلع الشاعر » .
(٢) فيما عدا ل : « استلقى » .
(٣) ل : « قال إبليس » ، ما عدا ل : « قال ناس » ولعل وجهه ما أثبت .
(٤) نصب فلان لفلان نصبا ، إذا قصد له وعاداه وتجرد له .
(٥) فيما عدا ل : « كما يصفه الناس » .

وقال عامر بن عبد قيس[١] : «ما آسَى من العراق إلاّ على ثلاث : على ظَمَإ الهواجر ، وتَجاوُبِ المؤذِّنين ، و إخوانٍ لى منهم الأسود بن كلثوم[٢] » .

وقال آخر : « ما آسَى من البَصْرة إلا على ثلاث : رُطَب السُّكَّر ، وليل الحَزِيز[٣] ، وحديث أبى بكر[٤] » .

وقال سَهل بن هارون :

تكنَّفنى همّانِ قد كَسَفا بالى ... وقد تركا قلبى مَحَلّةَ بَلْبالِ
هما أذْرَيا دمعى ولم تُذرِ عبرتى ... ربيبةُ خِدرٍ ذاتِ سِمْطٍ وخلخال[٥]
ولكنّنى أبكى بعينٍ سَخينةٍ ... على جَلَل تبكى له عينُ أمثالى
فِراقُ خليلٍ ، أو شَجًى يستشِفُّنى ... لخَلّةِ مَرْءٍ لا يقومُ لها مالِى[٦]
فوَاكبِدِى حَتَّى متَى القلبُ موجَعٌ ... بفقدِ حبيبٍ أو تعذُّرِ إفضالِ
وما العيشُ إلّا أن تَطُول بنائلٍ ... وإلاّ لِقاءُ الخِلِّ ذى الُخلُق العالى

وقال آخَر :

لولا ثلاثٌ هُنّ عيشُ الدَّهرِ ... الماءُ والنّومُ وأُمُّ عمرو
* لَمَا خشِيتُ مِن مضيق القَبْرِ *

قال : وقال الأحنف : أربعٌ من كُنّ فيه كان كامِلاً ، ومن تعلّق بخَصلةٍ

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٣) . (٢) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) الحزيز ، بزاءين معجمتين : موضع بالبصرة ، كما فى معجم البلدان وهامش التيمورية . وفى معجم ما استعجم : « هو الموضع الذى بين العقيق وأعلى المربد بالبصرة » . فيما عدا ل : « الحزير » تحريف .

(٤) هو أبو بكر الهذلى البصرى الخطيب القاص . سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٧) . ل : « ابن أبى بكرة » تحريف .

(٥) هذا البيت والبيت قبله من ل فقط .

(٦) الخلة ، بالفتح : الحاجة . فيما عدا ل : « لخلة أمر » تحريف .

منهنّ كان مِن صالحى قومه : دِينٌ يُرشِدُه ، أو عَقلٌ يُسدِّدُه ، أو حسبٌ يصونه ، أو حياء يَقْناه[١] .

٣٥١ وقال : المؤمن بين أربع : مؤمنٌ يحسده ، ومنافق يُبغضه ، وكافر يجاهده ، وشيطان يفتِنه . وأربع ليس أقلُّ منهن : اليقين ، والعدل ، ودرهمٌ حلال ، وأخٌ فى الله .

وقال الحسن بن علىّ : مَن أتانا لم يَعْدَم خصلةً من أربع : آيةٌ محكمة ، وقضيّةٌ عادلة ، وأخا مستفاداً ، ومجالسةَ العلماء[١] .

وقالوا : مَن أُعطِىَ أربعاً لم يُمنَعْ أربعا : مَن أُعطِىَ الشُّكرَ لم يُمنَع المزيد ، ومن أُعطى التوبةَ لم يُمنع القَبول ، ومَن أُعطِىَ الاستخارة لم يُمنع الخِيرَة ، ومَن أُعطِىَ المشورةَ لم يَعْدَم الصَّواب[٢] .

وقال أبو ذَرّ الغِفارى : كان الناس ورقاً لا شوكَ فيه ، فصاروا شوكاً لا ورق فيه .

وقالوا : تعامَلَ النّاس بالدِّين حتّى ذهبَ الدِّين ، وبالحياء حتّى ذهب الحياء ، وبالمروءة حتّى ذهبت المروءة ، وقد صاروا إلى الرَّغبة والرهبة ، وأَخْر بهما أن يذهبا .

وقال بعضهم : دعَا رجلٌ علىَّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه إلى طعام ، فقال : نأتيك على أن لا تتكلّفَ لنا ما ليس عندك ، ولا تدّخر عنّا ما عِندَك[٣] .

وقال آخر : كان شيخٌ يأتى ابنَ المقفع ، فألحّ عليه يسأله الغَداء عنده وفى ذلك يقول : إنّك تظنُّ أنّى أتكلّف لك شيئاً ؟ والله لا أُقدِّم إليك إلاّ ما عندى . فلما أتاه إذَا ليس عنده[٤] إلاّ كِسرةٌ يابسة ومِلحٌ جَرِيش . ووقف سائلٌ

(١) فيما عدا ل : «أو» بدل الواو فى المواضع الثلاثة . قنى الحياء ، كرضى ورمى : لزمه .
(٢) فيما عدا ل : «لم يمنع الصواب» .   (٣) هذه الجملة من ل فقط .
(٤) فيما عدا ل : «ليس فى منزله» .

بالباب فقال له : بُورِكَ فيك ! فلمّا لم يذهب قال : والله لئن خرجْتُ إليك لأدُقَّنَّ ساقيك . فقال ابن المقفع للسّائل : إنّك لو تعرِفُ مِن صدق وعيده مثلَ الذى أعرِفُ مِن صدق وَعْده لم تُرَادّه كلمةً ، ولم تَقِفْ طَرْفة .

قال : وكان يقال : أوّل العلم الصّمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحِفْظ ، والرابع العمل به ، والخامس نَشْره .

وقال آخر : كان يقال : لا وَحْشة أو حَشُ من عُجبٍ ، ولا ظَهيرَ أعون من مشورة ، ولا فقرَ أشدُّ من عدم العقل .

وقال مُوَرِّقٌ العِجْلى[1] : ضاحكٌ معترِفٌ بذنبه ، خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربّه .

وقال : خير من العُجب بالطّاعة ، ألاّ تأتى بالطاعة[2] .

وقال شَبيبٌ لأبى جعفر : إنّ الله لم يجعل فوقَكَ أحداً ، فلا تجعلنّ فوق ٣٥٢
شُكرك شكراً .

وقال آخَر لأبى جعفرٍ فى أوّلِ رَكْبةٍ ركبها : إن الله قَدْ رأى ألاّ يجعلَ أحداً فوقك[3] ، فَرَ نفسَك أهلاً أن لا يكونَ أحدٌ أطوعَ لله منك .

وسَفِهَ رجلٌ على ابنٍ له فقال له ابنُه : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشدُّ تحصيناً لأمى من أبيك لأمّك .

وقال عمرو بن عُبيد لأبى جعفر : إنّ الله قد وَهَب لك الدُّنيا بأسْرِها ، فاشتَرِ نفسك[4] منه ببعضها .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٣) .

(٢) فيما عدا ل : « ألا يأتى » . وفى ل : « خ : بطاعة » إشارة إلى نسخة . وهى رواية ما عدا ل .

(٣) ل : « قدر ألا يجعل فوقك أحداً » .

(٤) فيما عدا ل : « فاشتر لنفسك » .

وقال الأحنف : ثلاثة لا أناةَ فيهن عندى . قيل : وماهنَّ يا أبا بحر ؟ قال : المبادرة بالعمل الصالح ، وإخراجُ ميّتك ، وأن تنكح الكفءَ أيِّمك .

وكان يقال : الأفعى تحكّكُ فى ناحيةِ بيتى أحبُّ إلىَّ من أيِّم رددتُ عنها كُفئاً .

وكان يقال : ما بَعد الصَّواب إلا الخطأ ، وما بعد منعهنَّ من الأكفاء إلاَّ بذلُهن للسَّفلة والغَوغاء .

وكان يقال : لا تطلُبوا الحاجة إلى [ثلاثة : إلى] كذوب ؛ فإنه يُقرِّبُها وإن كانت بعيدة ، ويباعدها وإن كانت قريبة . ولا إلى أحمق ؛ فإنّه يريد أن ينفعك فيضرُّك . ولا إلى رجلٍ له إلى صاحب الحاجة حاجة ؛ فإنّه يجعل حاجتَك وِقايةً لحاجته .

وكان الأحنف بن قيس يقول : لا مُروءة لكَذُوب ، ولا سُؤدد لبخيل ، ولا ورَعَ لسيِّئ الخلق .

وقال الشَّعبى : عليك بالصِّدق حيثُ تُرى أنّه يضرُّك ؛ فإنّه ينفعك . واجتنب الكذب فى موضعٍ ترى أنّه ينفعُك ؛ فإنّه يضرك .

وقالوا : لا تصرِفْ حاجتك إلى مَن مَعيشته من رءوس المكاييل[١] ، وألسنة الموازين .

وقالوا : تفرَّدَ الله عزَّ وجل بالكمال ، ولم يبرَّئْ أحداً من النُّقصان .

قالوا : وقال عامر بن الظَّرِب العَدْوانى[٢] : « يا مَعْشَر عَدْوان ، إنّ الخيرَ ألوفٌ عَزوف ، ولن يُفارِق صاحبَه حتّى يفارقَه . وإنِّى لم أكنْ حليماً حتى اتبعت الحلماء ، ولم أكن سيِّدَكم حتّى تعبَّدْتُ لكم » .

(١) ل : « المكاتل » ولكنها لا تساوق النص . والمكاتل : جمع مكتل ، وهو شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا .

(٢) سبق بعض الخطبة التالية والإشارة إلى مراجعها فى (١ : ٤٠١) .

وقال الأحنف : « لَأَنْ أُدْعَى مِن بعيد ، أحبُّ إليَّ من أن أُقصَى من قريب » .

وكان يقال : إيّاكَ وصدرَ المجلس وإنْ صَدَّرَك صاحبُه ؛ فإنّه مجلسُ ٣٥٣ قُلْعَةٍ[1] .

قال : وقال زيادٌ : ما أتيت مجلساً قطُّ إلاّ تركتُ منه مالو أخذتُه كان لى . وتَرْكُ ما لى ، أحبُّ إليَّ مِن أخْذِ ما ليس لى .

وقال الأحنف : ما كشَّفتُ أحداً عن حالى عنده إلاّ وجدتُها دونَ ما كنتُ أظنُّ .

قال : وأثنَى رجلٌ على علىِّ بن أبى طالب فأفرَط ، وكان علىٌّ له متَّهِما ، فقال : أنا دون ما تقول ، وفوقَ مافى نفسِك .

قال : وكان يقال : خمس خصال تكونُ فى الجاهل : الغضَب فى غير غضب ، والكلام فى غير نَفْع ، والعطيّة فى غير موضع ، والثّقةُ بكلِّ أحد ، وألاّ يعرفَ صديقَه من عدوّه .

وأثنى أعرابىٌّ على رجل فقال : إنّ خَيرَك لسريع ، وإنّ مَنْعك لمُرِيح ، وإنّ رِفدك لربيح[2] .

وقال سَعيد بن سَلْم[3] كنت والياً بأرمينِيَة ، فغبَر أبو دُهْمان الغَلاَّبى[4]

---

(١) القلعة ، بالضم : التحول والانتقال .

(٢) سبق هذا الكلام فى (١ : ١٩٨) .

(٣) فيما عدا ل : « مسلم » ، تحريف . وقد سبقت ترجمة سعيد فى ص ٤٠ .

(٤) غير : بقى ومكث . وأبو دهمان الغلابى : شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتى بنى أمية وبنى هاشم . ومدح المهدى . وكان طيبا ظريفا مليح النادرة . وهو القائل لما ضرب المهدى أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة :

لولا الذى أحدث الخليفة فى الـ ... عشاق من ضربهم إذا عشقوا
لبحت باسم الذى أحب ولكـ ... نى امرؤ قد ثنانى الفرق

الأغانى (١٩ : ١٥١) . و « دهمان » بضم الدال . وفى النسخ : « زهمان » ، محرف . والغلابى بتشديد اللام كما فى السمعانى . فيما عدا ل : « العلانى » تحريف . وانظر الحيوان (٧ : ٢٣٧) .

على بابي أيّاما ، فلما وصل إلىّ مَثَلَ بين يدىَّ قائمًا بين السِّماطَين وقال :

« والله إنى لأعرِفُ أقوامًا لو علموا أنّ سَفَّ التُّرابِ يقيم من أَوَد أصلابهم لجعلوه مُسْكةً لأرماقِهم[1] ؛ إيثارًا للتنزُّه عَن عيشٍ رقيق الحواشى[2] . أمَا والله إنّى لَبعيدُ الوَثْبة ، بطىء العَطفة[3] . وإنّه والله ما يَثْنِينى عليك إلاّ مِثلُ ما يصرِفُنى عنك . ولأَنْ أكون مُقِلاًّ مقرَّبًا أحبُّ إلىَّ مِن أن أكون مُكْثِرًا مُبعَدا . والله ما نسأل عملاً لا نَضْبِطه ، ولا مالاً إلاّ ونحن أكثرُ منه . وهذا الأمرُ الذى صار إليك وفى يديك ، قد كان فى يَدَىْ غيرِك ، فأمْسَوا والله حديثًا ، إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ . فتحبَّبْ إلى عباد الله بحُسْنِ البِشْر ، ولِين الجانب ؛ فإنّ حبَّ عبادِ الله موصولٌ بحبِّ الله ، وبُغضَهم موصولٌ ببُغض الله ؛ لأنّهم شهداء الله على خَلْقه ، ورُقَباؤه على من عاج عن سبيله[4] » .

ودخل عُتْبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عَلَى خالد ابن عبد الله القَسرىّ بعد حجابٍ شديد ، وكان عُتبةُ سخيًّا ، فقال خالدٌ يعرّض به : إنّ هاهنا رجالاً يدَّانُون فى أموالهم ، فإذا فَنِيت ادّانوا فى أعراضهم . فعلم القُرَشىُّ[5] أنّه يعرِّض به ، فقال القرشى[6] : أصلَحَ اللهُ الأمير ، إنّ رجالاً من الرِّجال تكون أموالُهم أكثرَ من مُرُوءاتهم ، فأولئك تَبقَى لهم أموالُهم ، ورجالاً
٣٥٤ تكون مروءاتُهم أكثرَ من أموالهم ، فإذا نَفِدَتْ ادَّانُوا على سَعةِ ما عندَ الله !

فخجل خالدٌ وقال : إنّك لَمِنهم ما علمت !

---

(١) الأرماق : جمع رمق ، بالتحريك ، وهو بقية الحياة . فيما عدا ل : « لازما فيهم » ، تحريف .

(٢) التنزه : الابتعاد . (٣) العطفة : الرجعة .

(٤) عاج : رجع . فيما عدا ل : « اعوج عن سبيله » .

(٥) القرشى ، هو عتبة بن عمر ، فإنه مخزوى ، ومخزوم من قريش ، هو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب . ج والتيمورية : « القسرى » تحريف . وفى ب : « عتبة » مع أثر تصحيح .

(٦) هذه الكلمة فى ل فقط .

قال : وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز[1] : هلاّ أجبت أمير المؤمنين إذ سألك عن مالك ؟ فقال : إنه كان لايعدو إحدى حالتين[2] : إن استكثره حسدنى ، وإن استقله حقرنى .

أبو الحسن قال : وعظَ عُروةُ[3] بنيه فقال : « تعلَّمُوا العلم فإنكم إن تكونوا صغارَ قومٍ فعسى أن تكونوا كبارَ قومٍ [آخرين] » . ثم قال : « النّاس بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم . وإذا رأيتم من رَجُل خَلّةً[4] فاحْذروه ، واعلموا أنّ عنده لها أخَوات » .

قال : وقال رجلٌ لرجلٍ[5] : هب لى دُرَيهماً . قال : أتصغّره ، لقد صغَّرتَ عظيما ! الدّرهم عُشر العَشَرة ، والعَشَرة عُشْر المائة ، والمائة عُشر الألف ، والألف عُشر الدِّية .

قال الأصمعىّ : خرجَتْ بالدّارمىّ[6] قُرحةٌ فى جوفه ، فبزَق بَزقةً خضراء ،

(١) عبد الله هذا هو والد خالد بن عبد الله بن يزيد القسرى ، المترجم فى (١ : ٣٠٩) . والخبر بتمامه فى الكامل ١١٩ ليبسك : « وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك يوما : ما مالك ؟ فقال : شيئان لا عيلة على معهما : الرضا عن الله ، والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بمقدار مالك ؟! فقال : لم يعد أن يكون قليلا فيحقرنى ، أو كثيرا فيحسدنى » . فيما عدا ل : « بن كوز » تحريف ، انظر ضبط نسبه فى ترجمة ابن خلكان لخالد بن عبد الله القسرى .

(٢) كان لا يعدو إحدى حالتين ، من ل فقط .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام .

(٤) الخلة ، بالفتح : الخصلة . أراد خلة مستهجنة .

(٥) المسئول خالد بن صفوان ، كما فى كتاب البخلاء ١٢٦ . قال : سأل خالد بن صفوان رجل فأعطاه درهما ، فاستقله السائل ، فقال : يا أحمق إن الدرهم عشر العشرة » الخ .

(٦) اسمه سعيد الدارمى ، كما ذكر أبو الفرج فى الأغانى (٢ : ١٧٥) ، حيث ساق الخبر التالى . وهو أحد شعراء أهل مكة وظرفائهم وأصحاب الغناء . كان فى أيام عمر بن عبد العزيز . وهو الذى روج لصديقه التاجر الكوفى تجارته فى الخمر السود ، بما أشاع من غنائه وقوله :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ... ماذا صنعتِ براهب متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى وقفت له بباب المسجد

قالوا : فلم تبق فى المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود ، حتى نفد ما كان مع التاجر منها .

فقيل له : قد بَرَأتْ ، إذ قد برقْتَها خضراء[١] . قال : والله لو لم تبق فى الدُّنيا زمرُّدةٌ خضراء إلاّ برقتها لما نجوتُ[٢] .

مرّ الوليد بنُ عبدِ الملك بمعلّم صِبيان فرأى جاريةً فقال : ويْلكَ مالهذه الجارية ؟ فقال : أعلّمُها القرآن . قال : فليكن الذى يعلّمُها أصغرَ منها .

إسحاق بن أيُّوب قال : هرب الوليدُ بن عبد الملك من الطّاعون ، فقال له رجلٌ : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ . قال : ذلك القليلَ نُريد .

وهرب رجلٌ من الطّاعون إلى النَّجَف ، أيّام شُرَيح[٣] . فكتب إليه شُريح : « أمّا بعد فإنّ الفِرار لن يُبعِدَ أجلا ، ولن يكثّر رزقا ، وإن المُقامَ لن يقرّب أجلا ، ولن يقلّل رزقا . وإنّ مَنْ بالنَّجَف[٤] مِن ذى قُدرةٍ لقريب » .

قالوا : ودخل على الوليد فتًى من بنى مخزوم ، فقال له : زوّجْنى ابنتَك . فقال له : هل قرأت القرآن ؟ قال : لا . قال : أدْنُوه منّى . فأدنوه فضرَب عمامته بقضيبٍ كان فى يده ، وقرَعَ رأسه به قرَعات ، ثمّ قال لرجل : ضُمَّه إليك فإذا قرأ القرآنَ زوّجْناه[٥] .

ولما استعمل يزيدَ بن أبى مسلم[٦] بعد الحجّاج قال : أنا كمن سَقط عنه[٧] درهمٌ فأصابَ دينارا .

---

(١) فى الأغانى : « فقال له : أبشر ، قد اخضرت القرحة وعوفيت » .
(٢) فيما عدا ل : « مانجوت » .
(٣) شريح بن الحارث القاضى المشهور ، ترجم فى (١ : ٢٦٣) .
(٤) ل : « وإن النجف » .
(٥) كلمة « القرآن » من ل فقط .
(٦) انظر ترجمة يزيد بن أبى مسلم فى (١ : ٣٩٥) .
(٧) فيما عدا ل : « منه » .

وقال[١] ليزيدَ بن أبي مُسْلم : قال أبِي للحجّاج[٢] : إنّما أنت جلدةُ ما بين عينَيّ[٣] ! وقال الوليد : يا يزيد[٤] ، وأنا أقول : أنت جلدةُ وجهي كلِّه . ٣٥٥

ومع هذا إنّه صعِد المنبر فقال : عليٌّ بن أبي طالبٍ لُصٌّ ابنُ لُصٍّ ، صُبَّ عليه شُؤبوبُ عذاب . فقال أعرابيٌّ كان تحتَ المنبر : ما يقول أميرُكم هذا ؟ !

وفي قوله لُصٌّ ابنُ لُصٍّ أعجوبتان : إحداهما رَمْيُه عليَّ بن أبي طالب أنّه لِصٌّ ، والأخرى أنّه بلغ مِن جهله مالم يجهله أحد ، أنّه ضمّ اللام من لِصٍّ .

بَكر بن عبد العزيز الدِّمشقيّ[٥] ، قال : سمعت الوليدَ بن عبد الملك على المنبر ، حين وليَ الخلافة ، وهو يقول : « إذا حَدّثتُكم فكذَبْتكم فلا طاعةَ لي عليكم ، وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعةَ لي عليكم ، وإذا أغزيْتكم فجمَّرتكم فلا طاعة لي عليكم[٦] » . فيقول مثلَ هذا الكلام ثمّ يقول لأبيه : « يا أمير المؤمنين ، قُتِلَ أبي فُدَيك[٧] » . وقال مرّة [أخرى] : « ياغلامُ رُدَّ الفَرَسانِ الصّادّان عن المَيدان » .

---

(١) وقال ، أي الوليد . انظر ما سيأتي في ص ٣٥٦ من الأصل ، وفي النسخ : « وقيل » تحريف .

(٢) أبي ، أي عبد الملك . ل : « قال لك الحجاج » تحريف .

(٣) يقال هو جلدة ما بين العينين ، أو ما بين العين والأنف ، أي هو مثلها في مكان العزة والقرب . وقال عبد الله بن عمر ، وكان يلام في شدة حبه لابنه سالم :

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر اللسان (حوز ٢٠٩ ، سلم ١٩١) ، وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٧٠ .

(٤) قال الوليد يا يزيد ، من ل فقط .

(٥) ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧ : ١٣٣) نسخة المكتبة التيمورية ، وذكر أنه روى عن أبيه عبد العزيز ، وعمه عبد الغفار بن إسماعيل ، وروى عنه عبد الرحمن بن يحيى .

(٦) الكلمتان الأخيرتان ساقطتان من ح . أغزيتكم : أخرجتكم للغزو . وتجمير الجيش : حبسه في أرض العدو ، ومنعه من الرجوع .

(٧) فيما عدا ل : « اقتل أبي فديك » . وأبو فديك الخارجي ، هو عبد الله بن ثور ابن سلمة ، من بني سعد بن قيس ، من بكر بن وائل . المعارف ١٨٥ . وكان خروجه على عبد الملك في سنة ٧٢ ، الطبري (٧ : ١٩٤) وقد وجه إليه عبد الملك أمية بن عبد الله =

قال : وقال عبد الملك : أضَرَّ بالوليد حبُّنا له ، فلم نوجِّهْه إلى البادية .

قال : ولَحَن الوليدُ على المنبر فقال الكَرَوَّس : لا والله إن رأيتُه على هذه الأعواد قطُّ فأمكننى أن أملأ عينى منه ، مِن كثرته فى عينى ، وجَلالته فى نفسى[1] . فإذا لَحَن هذا اللَّحنَ الفاحشَ صار عندى كبعض أعوانه .

وصلَّى يوماً الغداةَ فقرأ السُّورة التى تُذكَر فيها الحاقّة فقال : « ياليتُها كانت القاضِيَة » فبلغَتْ عمرَ بنَ عبدِ العزيز فقال : أمَا إنّه إنْ كان قالها إنّه لَأحَدُ الأحَدِين[2] .

قالوا : وكان الوليد ومحمد ، ابنا عبد الملك ، لحّانَين ، ولم يكن فى ولده أفصحُ من هشامٍ ومَسْلَمَة .

قال : وقال صاحب الحديث الأوّل[3] : أخبرنى أبى ، عن إسحاق ابن قَبيصة[4] قال : كانت كتبُ الوليد تأتينا ملحونة ، وكذلك كتُبُ محمدّ ، فقلت لمولَى محمَّد : ما بالُ كتُبِكم تأتينا ملحونة وأنتم أهلُ الخلافة ؟! فأخبره المولَى بقولى ، فإذا كتابٌ قد وَرَد علىَّ : « أمّا بعدُ فقد أخبرنى فلانٌ عما قلتَ ، وما أحسبك تشكُّ أنّ قريشاً أفصح من الأشعرِين[5] . والسّلام » .

= ابن خالد ، فهزمه أبو فديك وفضحه وأخذ أثقاله وحرمه ، ثم وجه إليه عمر بن عبيد الله بن معمر ، فلقى أبا فديك بالبحرين ، فقتل أبا فديك واستنقذ منه حرم أمية بن عبد الله سنة ٧٤ . اليعقوبى (٣ : ١٨) والطبرى (٧ : ٢٠٥) .

(١) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٢) يقال هو أحد الأحدين ، وواحد الآحاد ، أى إنه واحد لا مثل له . اللسان (وحد ٤٦٦) .

(٣) هذه الكلمة من ل فقط ، يعنى بذلك بكر بن عبد العزيز الدمشقى .

(٤) فيما عدا ل : « قصبية » تحريف . وهو إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى الشامى . أحد ثقات المحدثين ، وكان ممن غزا مع معاوية ، وكان على ديوان الزمنى فى أيام الوليد ، ثم صار عاملا لهشام بن عبد الملك على الأردن . تهذيب التهذيب .

(٥) يقال الأشعرون بحذف ياء النسب ، كما يقال يمانون . ل : « الأشعريين » ، والأشعر أبو قبيلة من اليمن ، وهو أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ومن بنى صَرِيم : الصُّدَىُّ بن الخَلَق ، وفَدَ به الحجّاج على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من بنى صَرِيم . قال : ما اسمُك ؟ قال : الصُّدَىُّ بن الخَلَق . قال : دُعًّا فى عنقه[١] ! خارجىٌّ خبيث .

٣٥٦ هـذا يدلُّ على أنّ عامّةَ بنى صَرِيم كانوا خوارج ، وكان منهم البُرَكُ الصَّريمى[٢] ، واسمُه الحجّاج ، وهو الذى ضَرَب معاويةَ بالسيف ، وله حديث. والخَزْرج بن الصُّدَىّ بن الخَلَق ، كان خطيباً . وقال الشّاعر فى بنى صَرِيم :

أُصَلِّى حيثُ تدرِكُنى صلاتى ... وليس الدِّينُ دِينَ صَرِيمِ[٣]

قياماً يطعنون على مَعَــدٍّ ... وكلُّهمُ على دِينِ الخَطِيمِ

والخَطِيم باهلىٌّ[٤] .

قال الأصمعىُّ وأبو الحسن : دخل على الوليد بن عبد الملك شيخانِ ، فقال أحدُهما : نَجِدُكَ تملك عشرين سنة . وقال الآخر : كذبتَ بل نجده يملك ستّين سنة[٥] . قال : فقال الوليد : ما الذى قال هذا لائطٌ بصَفَرِى[٦] ، ولا ما قال هذا يغُرُّ مثلى .

(١) الدع : الدفع العنيف . وضبط فى ب « دعا » على المصدرية .

(٢) هو الحجاج بن عبد الله الصريمى ، كان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمرو بن العاص فى ليلة ، ثانيهم عبد الرحمن بن ملجم الذى تكفل بقتل على ، وثالثهم عمرو ابن بكر التميمى الذى نصب نفسه لعمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصليا ، فأصاب مأكمه ، وقبض عليه فقال لمعاوية : إن عندى خبرا أسرك به ، فإن أخبرتك فنافعى ذلك عندك ؟ قال : نعم . قال : إن أخا لى قتل عليا فى مثل هذه الليلة . قال : فلعله لم يقدر على ذلك . قال : بلى ، إن عليا يخرج ليس معه من يحرسه . فأمر به معاوية فقتل . الطبرى (٦ : ٨٦) وكتب التاريخ فى حوادث سنة ٤٠ .

(٣) فيما عدا ل : « وبئس الدين » .

(٤) فى الاشتقاق ١٦٧ : « ومن رجالهم الخطيم ، كان أول خارجى فى زمن عبد الله ابن عامر » . وكان ذلك سنة ٤١ كما ذكر الطبرى وابن الأثير . وسماه الطبرى وابن الأثير يزيد ابن مالك . قال : ابن الأثير : « وإنما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه » ، وقد خرج الخطيم مرة أخرى سنة ٤٦ وقتل فى تلك السنة بأمر زياد .

(٥) فيما عدا ل : « بل نجدك تملك ستين سنة » .

(٦) الصفر ، بالتحريك : الروع ولب القلب : لائط : عالق لازق .

والله لأجمعنّ المالَ جمع من يعيش أبداً ، ولأفرّقنّه تفريقَ مَن يموت غداً .

وخطب الوليد فقال : إنّ أمير المؤمنين عبدَ الملك كان يقول : إنّ الحجاج جلدةُ ما بين عينَيَّ ؛ ألاَ وإنّه جلدة وجهى كلّه[1] .

آخر الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين ، ويتلوه فى النصف الثانى : « باب اللحن : حدثنا غنام أبو على عن الأعمش عن عمارة بن عمير . الحمد لله وحده وصلى الله على محمد النبى وعلى آله » .

وافق الفراغ من كتابته يوم الجمعة تاسع ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى ، حامداً لله على نعمه وعونه ، ومصلياً على نبيه محمد وآله ومسلماً[2] .

---

(١) انظر ما سبق فى ٢٠٤ .

(٢) هذه خاتمة نسخة الأصل ، وهى ل . أما خاتمة ب ، جـ والتيمورية فهى : « تم الجزء الأول من البيان والتبيين » .

الجزء الثانى

من كتاب البيان والتبيين

تصنيف

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى

باب اللحن

حدَّثنا عَثَّامُ أبو على[١] عن الأعمش ، عن عُمارة بن عُمَير[٢] ، قال : كان [أبو] معمر[٣] يحدِّثنا فيلحن ، يتْبع ما سَمِع .

أبو الحسن قال : أوفد زيادٌ عبيدَ الله بنَ زيادٍ إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : «إنَّ ابنَك كما وصفت ، ولكنْ قوِّمْ من لسانه» . وكانت فى عُبيد الله لُكنةٌ ؛ لأنه كان نشأ بالأساورة[٤] مع أُمّه «مَرجانة» ، وكان زيادٌ قد زوَّجها من شِيرَوَيه الأُسوارىّ[٥] . وكان قال مرّة : «افتحوا سيوفكم[٦]» ، يريد سُلُّوا سيوفكم ، فقال يزيد بن مفرِّغ[٧] :

---

(١) هو أبو على عَثَّام بن على بن هجير الكوفى ، روى عن الأعمش وهشام بن عروة والثورى ، وكان من ثقات أهل الحديث ، توفى سنة ١٩٥ . تهذيب التهذيب . ل : «غنام أبو على» ، وفيها عدا ل : «عثام أبو يحيى» كلاهما محرف عما أثبت .

(٢) هو عمارة بن عمير التيمى الكوفى . روى عن جماعة منهم أبو معمر عبد الله بن سخبرة الأزدى ، توفى سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو معمر عبد الله بن سخبرة الأزدى الكوفى . روى عن عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وعنه عمارة بن عمير ، ومجاهد وإبراهيم النخعى . توفى فى ولاية عبيد الله بن زياد . تهذيب التهذيب .

(٤) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما ، كالأحامرة بالكوفة .

(٥) زاد ابن قتيبة فى المعارف ١٥١ : «ودفع إليها عبيد الله» .

(٦) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٧ : ٦٦) أن الذى قال هذه الكلمة هو عباد ابن زياد ، أخو عبيد الله بن زياد . قال : «وكان عباد فى حروبه ذات ليلة نائما فى عسكره ، فصاحت بنات آوى ، فثارت الكلاب ونفر بعض الدواب ، ففزع عباد وظنها كبسة من العدو ، فركب فرسه ودهش فقال : افتحوا سيفى» .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٤٣) .

ويومَ فتحتَ سيفَك مِن بعيدٍ   أضَعتَ وكلُّ أمرِك للضَّياعِ

ولما كلمه سُويد بن مَنجوف(١) فى الهَشْهاث بن ثَور(٢) ، وقال له : يا ابن البَضْراء(٣) ! قال له سُويد : كذبتْ [على(٤)] نساء بنى سَدُوس . قال : اجلس على استِ الأرض . قال سويد : ما كنت أحسَب أنّ للأرض استاً !

قالوا : وقال بِشْر بن مروان(٥) ، وعنده عُمَر بن عبد العزيز ، لغلامٍ له : ادْعُ لى صالحا . فقال الغلام : يا صالحًا . فقال له بشر : ألقِ منها ألِفْ . قال له عُمَر : وَأنت فزِدْ فى ألِفِك ألِفا(٦) .

وزعم يزيدُ مولى ابن عون ، قال : كان رجلٌ بالبصرة له جاريةٌ تسمَّى ظَمياء ، فكان إذا دعاها قال : يا ضَمياء ، [بالضاد] . فقال ابنُ المقفَّع : قل : يا ظَمياء . فناداها : يا ضَمياء . فلمّا غيّر عليه ابنُ المقفع مرّتين أو ثلاثاً قال له : هى جاريتى أو جاريتك ؟

قال نصر بن سيار(٧) : لا تُسمِّ غلامَك إلا باسم يخِفُّ على لسانك .

وكان محمّد بن الجهم ولِّى المكّىّ(٨) صاحب النَّظّام ، مَوضِعاً من [مواضع]

---

(١) سبقت ترجمة سويد بن منجوف السدوسى فى (١ : ٣٢٦) .

(٢) ل : « والمثهات بن ثور » ، وفى الاشتقاق ٣٢٧ : « المثهات أحد رجال بنى تميم » .

(٣) البضراء : الطويلة البضر ، والبضر ، بفتح الباء وسكون الضاد : لغة فى البظر ، وهى هنة بين الإسكتين . فيما عدا ل : « البظراء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل والتيمورية ، وجاءت فى ب مع علامة الحاق ، وهى فى صلب حـ .

(٥) هو أبو مروان بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس . وكان أخوه عبد الملك بن مروان قد ولاه على الكوفة ، ثم ضم إليه البصرة بعد عزله خالد ابن عبد الله القسرى ، فشخص إليها وشرب الأذريطوس ، ومات بها بعد قليل . وهو أول أمير مات بالبصرة . المعارف ١٥٥ والطبرى (٧ : ٢٠٦ — ٢٠٧) .

(٦) الخبر برواية أخرى فى العقد (٢ : ٤٨٠) .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥٨) .

(٨) أورد له الجاحظ أخباراً كثيرة فى الحيوان ولم يصرح باسمه .

كَسكر ، وكان المكّىُّ لا يحسن أن يسمّى ذلك المكان ولا يتهجّاه ، ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك الموضع شَانَمَثْنَا[١] .

وقيل لأبى حنيفة : ما تقول فى رجلٍ أخذ صخرةً فضرب بها رأس رجلٍ فقتله ، أتُقيدُه به ؟ قال : لا ولو ضَرَب رأسَه بأبا قُبيس[٢] .

* وقال يوسف بن خالد السَّمْتىّ[٣] ، لعمرو بن عُبيد : ما تقول فى دَجاجة ٣
ذُبحت من قفائها ؟ قال له عَمرو : أحْسِنْ . قال : مِن قفاؤُها . قال : أحسِنْ . قال : من قفاءها . قال عمرو : ما عنّاك بهذا ؟ قُلْ : مِن قَفاها واسترِحْ[٤] .

قال : وسمعت من يوسف بن خالد يقول : [لا] حَتّى يشِجَّهُ ، بكسر الشين . يريد : حتّى يشُجَّه ، بضم .

وكان يوسف يقول : هذا أحمرُ من هذا . يريد : هذا أشدُّ حمرة من هذا .

وقال بِشْرُ المريسىّ[٥] : « قضَى الله لكم الحوائجَ على أحسن الوجوه وأهنَؤُها » ، فقال قاسمٌ التمّار : هذا على قوله :

---

(١) فيما عدا ل : « شاءمثنا » .

(٢) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة . وانظر الخبر فى العقد (٢ : ٤٨٢) .

(٣) ذكره الجاحظ فى الحيوان (١ : ٩٢) . فيما عدا ل : « التيمى » تحريف . ونسبته إلى « السمت » أى الهيئة ، كما فى الأنساب وتهذيب التهذيب . وهو أبو خالد يوسف ابن خالد بن عمير السمتى الليثى ، وكان له بصر بالرأى والفتوى ، وهو أول من جلب رأى أبى حنيفة إلى البصرة ، كما أنه أول من وضع كتابا فى الشروط ، وهذا العلم يتناول أدب القضاء والشروط والمواثيق . وكان أحد رجال الجهمية . توفى سنة ١٩٠ . تهذيب التهذيب ، والسمعانى ٣٠٦ ، وكشف الظنون (علم الشروط والسجلات) .

(٤) هذه الكلمة مما عدا ل . وهى فى ل كلمة مطموسة لم يظهر منها إلا آخرها وهو قاف مكسورة وعين .

(٥) اختلف فى ضبطه ، فذكر السمعانى أنه « المَرِيسى » بفتح الميم وكسر الراء ، نسبة إلى مريس : قرية بمصر . وكذلك ذكر ابن حجر فى لسان الميزان ، ثم قال : « وضبطها الصغانى بتثقيل الراء » . وذكر ياقوت أنه « المرّيسى » بفتح الميم وتشديد الراء المكسورة : نسبة إلى قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد تسمى مريسة . أما صاحب القاموس فقد قال : « ومريسة كسكينة : قرية منها بشر بن غياث المريسى » . قال ياقوت : « وببغداد درب يعرف بدرب المريسى ينسب إليه » . وهو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبى كريمة المريسى ، تفقه على =

إنَّ سُليمَى واللهُ يكلؤُها ضَنَّتْ بشَىءٍ ما كان يرزؤُها

فصار احتجاجُ قاسمٍ أطيَبَ من لحن بِشر[١] .

وقال مُسلِم بن سَلاَّم[٢] : حدَّثنى أبان بن عثمان[٣] قال كان زيادٌ النَّبطىّ أخو حسّان النبطىّ ، شديدَ اللُّكنة ، وكان نحويًّا . قال : وكان بخيلاً . ودعا غلامَه ثلاثاً فلما أجابه قال : فَمِنْ لَدُنْ دأَوْتُكَ إلى أنْ قلت لَبَّى[٤] ما كنت تضْنَأ ؟ يريد : مِن لدُنْ دعَوتُكَ إلى أنْ أجبتَنى ما كنت تصنع .

قال : وكانت أمُّ نوحٍ وبلالٍ ابنى جريرٍ أعجميّة ، فقالا لها : تكلَّمى إذا كان عندنا رجال . فقالت يوما : يا نُوح ، جُرْذان دخَل فى عِجَان أمّك ؟ وكان الجرُذ أكل من عجينها .

قال أبو الحسن : أهدى إلى فيلٍ مولى زياد حمارُ وحش ، فقال لزياد : أهْدَوْا لنا هِمارَ وهْش . قال : أىَّ شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا إلينا أيراً — يريد عيراً — قال زياد : الثَّانى شرٌّ من الأول[٥] .

وقال يحيى بن نوفل[٦] :

=أبى يوسف ، وكان أحد دعاة الجهمية ، وأبوه كان يهوديا قصاراً صباغا . قال العجلى : رأيته مرة واحدة ، شيخاً قصيراً دميم المنظر ، وسخ الثياب ، وافر الشعر أشبه شىء باليهود . وكان يقول بخلق القرآن . وإليه تنسب فرقة المريسية . توفى سنة ٢١٨ . تاريخ بغداد ٣٥١٦ والسمعانى ٥٢٣ ولسان الميزان (٢ : ٢٩ — ٣١) .

(١) القصة رواها الخطيب فى تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) ، وكذا رويت فى عيون الأخبار (٢ : ١٥٧ — ١٥٨) والعقد (٢ : ٤٨٢) .

(٢) هو أبو عبد الله مسلم بن سلام الحنفى ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٣) أبو سعيد — ويقال أبو عبد الله — أبان بن عثمان بن عفان الأموى . ثقة من كبار التابعين . توفى سنة ١٠٥ . تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدا ل : « دأوتك فقلت لي لى أن أجبتنى » .

(٥) فى الحيوان (٧ : ٢٣٤) : « فقال زياد : الأول أمثل » . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٩) : « الأول خير » .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٣٦) .

إنْ يكُ زيدٌ فصيحَ اللسانِ   خطيبا فإنَّ استَهُ تَلحن

عليكَ بسُكٍّ ورُمَّانةٍ   وملحٍ يُدَقُّ ولا يُطحنُ[(١)]

وحِلْتيتِ كِرْمانَ والنَّانخاه   وشمعٍ يُسخَّن فى مُدْهُنِ[(٢)]

وهذا الشعر فى بعض معانيه يشبه قول ابن مُناذر[(٣)] :

إذا أنتَ تعلَّقتَ   بحبلٍ من أبى الصَّلْتِ ٤

تعلَّقْتَ بحبـلٍ وا   هِنِ القُوَّةِ مُنْبَتِّ

فخُذْ من شِعر كَيسانٍ   ومن أظفار سُبُّخْتٍ[(٤)]

ألم يبلغْكَ تَساكى   لدى المَلاَّمة البِرْتِ[(٥)]

وقال المرء ماسَرْجُو   يهداء المرء من تحتِ[(٦)]

وقال البَرْدُخْت[(٧)] :

---

(١) السك ، بالضم : ضرب من الطيب يركب من مسك ورامك .

(٢) كرمان ، بالفتح وقد يكسر : إقليم بين فارس وسجستان . والنانخاه : أو النانخواه حب فى حجم الخردل قوى الرائحة والحرافة ، يسمى الكمون الملوكى ، وأهل مصر يسمونه « نخوة هندية » . ل : « والنابخات » وما عدا ل : « ونانخاة » صوابهما ما أثبت . وانظر تذكرة داود ومعجم استينجاس ١٣٨١ . وفى هذا البيت إقواء .

(٣) هو محمد بن مناذر ، المترجم فى (١ : ١٨) .

(٤) كيسان ، هو والد أبى الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ، فكيسان لقب أبيه أحمد ، وكان كيسان معاصرا لخلف الأحمر . ابن النديم ٧٤ . وابنه أبو الحسن ابن كيسان ممن أخذ عن المبرد وثعلب . توفى سنة ٢٩٩ . نزهة الألباء وابن النديم ١٢٠ . وسبخت ، بضم السين والباء المشددة : لقب أبى عبيدة . انظر اللسان . والرواية المشهورة : « من سلح كيسان » . انظر مجالس ثعلب ١٧٨ من المخطوطة .

(٥) البرت ، بتثليث الباء : الرجل الدليل الماهر . وهذا البيت فى ل مقدم على سابقه .

(٦) ماسرجويه ، أو ماسرجيس متطبب البصرة ، اليهودى السريانى : أحد الأطباء الناقلين من السريانى إلى العربى . ابن النديم ٤١٣ . وذكر ابن أبى أصيبعة (١ : ١٦٣) أنه كان فى أيام بنى أمية ، وتوفى فى الدولة المروانية .

(٧) اسمه على بن خالد الضبى العكلى . قال ياقوت : « صحراء البردخت هى محلة بالكوفة نسبت إلى البردخت » . وذكر ابن قتيبة فى الشعر والشعراء أنه جاء إلى جرير فقال له : أتهاجينى ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : البردخت ؛ قال : وما البردخت ؟ قال : البردخت : الفارغ =

لقد كان فى عينَيك يا حفصُ شاغلٌ وأنفٍ كثِيل العَوْد عمّا تتبّعُ[1]
تَتبّع لحناً فى كلامٍ مُرقّش وخَلْقُك مبنىٌّ على اللحن أجمعُ
فعينُك إقواءٌ وأنفك مُكفَأٌ ووجهك إيطاءٌ فأنت مُرقَّعُ[2]

وقال المَيْسانىُّ فى هجائه أهل المدينة :

ولحنُكمُ بتقعــيرٍ ومَدٍّ وألأمُ من يدِبُّ على العَفارِ[3]

علىّ بن معاذٍ قال : كتبتُ إلى فتًى كتابا ، فأجابنى فإذا عُنوان كتابه[4] : « إلى ذلك الذى كَتَب إلىّ » .

وقرأت على عنـوان كتابٍ إلى أبى أميّةَ الشمرىّ : « لأبى أميّة لِلموتِ أنا قبلَه »[5] .

وكتب ابن المراكبى[6] إلى بعض ملوك بغداد : « جُعِلتُ فِداكَ برحمتِه » .

وقال إبراهيم بن سَيَابة[7] : أنا لا أقول مِتُّ قبلَك ؛ لأنّى إذا [قلتُ[8]] متُّ قبلَك مات هو بعدى ، ولكن أقول مِتّ بَدَلك .

= بالفارسية . قال : ما كنت لأشغل نفسى بفراغك ! وأنشد له هذا الشعر فى ترجمته . وكذلك أنشده صاحب الوساطة ١٥ وذكر أنه قاله لبعض النحويين . وفى العقد (٢ : ٤٨١) أن حفصاً كان من المتفصحين ، وكان به اختلاف فى عينيه ، وتشويه فى وجهه .

(١) الثيل ، بالكسر : القضيب . والعود ، بالفتح : الجمل المسن .

(٢) الإقواء : اختلاف حركة الروى . والإكفاء : اختلاف حرف الروى . والإيطاء : تكرار القافية باللفظ والمعنى . ما عدا ل : « الرقع » . وفى العقد : « فما فيك مرقع » .

(٣) فيما عدا ل : « بتقصير ومد » . والعفار ، أراد به العفر ، وهو التراب ؛ ولم يذكر فى المعاجم . وفى اللسان (٦ : ٢٦٧) : « وحكى ابن الأعرابى : عليه العفار والدبار وسوء الدار . ولم يفسره » .

(٤) فيما عدا ل : « عنوان الكتاب » .

(٥) فيما عدا ل : « كتاب لأبى أمية الشمرى للموت أنا قبله » .

(٦) فيما عدا ل : « ابن المرادى » .

(٧) ترجم فى (١ : ٤٠٥) . ماعدا ل : « بن سيار » . وإبراهيم بن سيار ، هو النظام .

(٨) بها يلتئم الكلام .

وكتب عِقَالُ بن شَبَّة بن عِقَالٍ ، إلى المسيَّب بن زهير[١] :

للأمير المُسَيَّب بن زهير   من عقَالِ بن شبَّة بن عقَالِ

ولما كتب بشير بن عُبيد الله على خاتَمه : « بشير بن عُبيد الله بالرحمن لايُشرِكُ[٢] » ، وقرأه أبوه على خاتمه[٣] قال : « هذا أقبح من الشِّرك » .

وقال عبد الملك بن مروان : اللَّحن هُجْنَةٌ على الشَّريف ، والعُجْب آفة الرَّأى[٤] . وكان يقال : اللَّحن فى المنطق أقبح من آثار الجُدَرِىّ فى الوجه[٥] .

وقال يحيى بنُ نوفل ، فى خالد بن عبد الله القَسرِىّ :

وألحنُ الناسِ كلِّ الناس قاطبةً   وكان يولعُ بالتشديق فى الخطب[٦]

وزعم المدائنىُّ أن خالد بن عبد الله قال : « إن كنتم رجبيُّون فإنا رمضانيُّون » . ولولا أن تلك العجائب قد صحّت عن الوليد[٧] ما جوّزتُ هذا على خالد .

قال : وكتب الحُصين بن أبى الحُرّ[٨] إلى عُمر كتاباً ، فلحن فى حرفٍ

---

(١) فى النسخ هنا : «زهير بن المسيب» تحريف . وقد ذكر الطبرى فى (٩ : ١٧٨) أنه كان من ولاة السند فى أيام المنصور . وانظر (٩ : ١٨٣) .

(٢) ل : « لا تشرك » .

(٣) ل : « وقرأ أبوه هذا البيت على خاتمه » تحريف .

(٤) كلام عبد الملك هذا ساقه صاحب العقد فى (٢ : ٤٧٩) بلفظ : « الإعراب جمال للوضيع ، واللحن هجنة على الشريف » .

(٥) فى العقد (٢ : ٤٧٨) : « وقال عبد الملك بن مروان : اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب ، والجدرى فى الوجه » . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٥٨) : « وقال مسلمة ابن عبد الملك : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه . وقال عبد الملك : اللحن أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس » .

(٦) سبق البيت مع قرين له فى (١ : ١٢٢) .

(٧) الوليد بن عبد الملك . ماعدا ل : « قد صحت على الوليد » .

(٨) فى الأصل : «الحصين بن الحر» وما عدا ل : « بن حر » كلاهما محرف عما أثبت . وأبو الحر : كنية والده مالك وهو أبو القلوس الحصين بن أبى الحر مالك بن الخشخاش التميمى العنبرى البصرى . كان عاملا لعمر على ميسان ، وبقى حتى أدرك الحجاج فأتى به فهم بقتله ، ثم خلاه وحبسه حتى مات . تهذيب التهذيب .

منه ، فكتب إليه عمر : أن قنِّعْ كاتبك سوطا [١] .

وبلغنى عن كُثَيِّر بن أحمد بن زُهير بن كثير بن سيَّار [٢] أنه كان ينشد بيت أبى دُلَفَ [٣] :

أَلبِسِينِى الدِّرعَ قد طا ... ل عن الحَرْب جَمَامِى

فسألتُه عن ذلك فحلف أنَّه إنّما قال :

أَلبسينى الدِّرع قد طا ... ل عن الحرب جُمامى [٤]

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولَتَعرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ القَوْل ﴾ . واللحن فى هذا الموضع غير اللَّحن فى ذلك .

وكان سليمان بن عبد الملك يقول : المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث [٥] يفخِّم اللحن كما يفخِّم نافع بن جُبَير [٦] الإعراب .

قال الشاعر فى نحو ذلك :

لَعمرى لقد قَعَّبْتَ حين لقيتَنا ... وأنت بتقعيب الكلام جديرُ

---

(١) أى اضربه سوطا . والخبر فى اللسان (قنع ١٧٥) .

(٢) فيما عدا ل : « بن زهير بن سيار » .

(٣) هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلى ، أحد قواد المأمون ثم المعتصم وكان كريماً سرياً ممدحاً شجاعاً ذا وقائع مشهورة ، وصنائع منثورة . وله صنعة فى الغناء . وله من الكتب : كتاب البزاة والصيد ، وكتاب السلاح ، وكتاب سياسة الملوك ، وغير ذلك . قال ابن خلكان : « وله أيضاً أشعار حسنة ، ولولا خوف التطويل لذكرت بعضها » . توفى سنة ٢٢٥ ببغداد . ابن خلكان وتاريخ بغداد ٦٨٦٩ . وقد أنشد الخطيب بعض أشعاره .

(٤) كذا ورد فى ل مضبوطا بضم الجيم . يريد أنه سجل على نفسه اللحن إذ ضم الجيم وحقها الفتح . والجمام ، بالفتح : الراحة . ماعدا ل : « جامى » .

(٥) هو أبو هاشم — ويقال أبو هشام — المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومى . كان أحد الأجواد . توفى بالمدينة فى ولاية هشام بن عبد الملك . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو عبد الله نافع بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف النوفلى ، مدنى تابعى ثقة ، كان يحج ماشياً وناقته تقاد . وكان فصيحاً عظيم النخوة جهير الكلام . توفى سنة ٩٩ . تهذيب التهذيب .

وقال خلفٌ الأحمرُ :

وفَرَقَعهـــنّ بتعقيبه كفرقعة الرَّعدِ بين السَّحابِ[١]

* وقال الأصمعيّ : خاصمَ عيسى بن عُمر النحويّ الثقفيّ رجلا إلى بلال بن ٦ أبى بُردة ، فجعل عيسى يتتبّع الإعراب[٢] ، وجعـل الرجلُ ينظر إليه ، فقال له بلال : لأن يذهب بعضُ حقّ هذا أحبُّ إليـه من تَركِ الإعراب ، فلا تتشاغَلْ به واقصِد لحجّتك .

وقدَّمَ رجلٌ من النحويِّين رجلاً إلى السلطان فى دَيْنٍ له عليه فقال : أصلح الله الأمير ، لى عليه درهمان . فقال خصمه : لا والله أيُّها الأمير إنها لثلاثة دراهم ، ولـكن لظهور الإعراب تركَ من حقّه دِرْهماً .

قال : خاصم رجلٌ إلى الشَّعبى أو إلى شُريح رجلاً فقال : إنّ هذا باعنى غلاماً فصيحاً صَبيحاً . قال : هذا محمد بن عمير[٣] بن عُطارد بن حاجب [ابن زُرارة] .

قال : مرّ ماسَرْجُويَه الطبيب ، بمجدّ مُعاذ بن سعيد بن حُميد الحِميَريّ ، فقال : يا ماسَرْجُويه ، إنى أجد فى حلق بَحَحًا ، قال : إنه عملُ بُلْغُمٍ[٤] . فلما جازَه قال : أنا أُحْسِنُ أن أقول بَلغَمٌ ، ولـكنه كلّمنى بالعربيّة فكلّمتُه بالعربيّة .

وروَى أبو الحسن أنّ الحجاج كان يقرأ : إنّا من المجرمون منتقمون[٥] .

---

(١) ورد بعده فيما عدا ل إنشاد سبق فى س ٢١٥ وهو : وقال الميسانى :
ولحنكم بتقعيب ومد والأم من يدب على الغفار

(٢) فيما عدا ل : « يشبع الإعراب » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « عمر » .

(٤) كذا ورد فى ل مضبوطا بضم الباء والغين ، فهو إما تندر منه ، وإما ظن منه أن هذه لغة أفصح من فتح الباء والغين .

(٥) فيما عدا ل : « المنتقمون » .

وقد زَعم رؤبةُ بن العجّاج وأبو عمرو بن العلاء ، أنهما لم يريا قَرَويَّيْنِ أفصحَ من الحسن والحجّاج .

وغَلِط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله : ص والقرآنُ . والحرف الآخر : ما تنزلَتْ به الشّياطُون .

أبو الحسن قال : كان سابقٌ الأعمى يقرأ : الخالقُ البارئُ المُصوَّرُ . فكان ابنُ جابان إذا لقيه قال : يا سابق ، ما فعل الحرف الذى تُشرك بالله فيه ؟

قال : وقرأ ولا تَنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا . قال ابن جابان : وإن آمنوا أيضاً لم نَنْكِحْهم[1] .

وقال مَسلمة بن عبد الملك : إنى لأحبُّ أن أسأل هذا الشيخ — يعنى عمرو ابن مسلم — فما يمنعُنى منه إلاّ لحنُه .

قال : وكان أيوب السّختيانى يقول : تعلّموا النّحو ، فإنه جمالٌ للوضيع وتركُه هُجنة للشّريف[2] .

وقال عمر رضى الله عنه : تعلّموا النّحو كما تتعلّمون السُّنن والفرائض .

وقال رجلٌ للحسن : يا أبى سعيد[3] . فقال : أكَسْبُ الدّوانيق[4] شغَلك عن أن تقول يا أبا سعيد ؟

قالوا : وأوّلُ لحنٍ سُمِع بالبادية : هذه عصاتى . وأولُ لحنٍ سُمع بالعراق : حَىَّ عَلَى الفلاَح[5] . ٧

---

(١) فى حاشية التيمورية : « قوله وإن آمنوا أيضاً لم ننكحهم ، لأنه فى القراءة : ولا تنكحوا ، بضم التاء . يقال نكحت المرأة وأنكحتها غيرى . وفسره المفسرون على معنى ولا تنكحوا المشركين بناتكم . فلما قرأ هذا بالفتح التبس فيه المذكر بالمؤنث ، فجاوبه ابن جابان على ذلك » .

(٢) انظر ما سبق فى الحاشية رقم ٤ ص ٢١٦ .

(٣) فى العقد (٢ : ٤٨٠) : « يا أبوسعيد » .

(٤) الدانق ، بفتح النون وكسرها : سدس الدرهم والدينار ، يجمع دوانق ودوانيق ، الأخيرة شاذة . معرب من « دانَك » الفارسية . المعرب للجواليقى ومعجم استينجاس .

(٥) هكذا ضبط فى ح على اللحن . وضبطها الصحيح بفتح الياء المشددة .

باب

ومن اللحانين البلغاء

خالد بن عبد الله القَسْرِيُّ، وخالد بن صفوان الأهتميُّ، وعيسى بن المُدَور.

وقال بعض النُّسَّاك[1]: أعربنا في كلامنا فما نلحن، ولَحَنَّا في أعمالنا فما نُعرب.

وقال: أخبرني الرَّبيع بن عبد الرحمن السُّلَميُّ[2] قال: قلتُ لأعرابيٍّ: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذاً لرجل سَوْء. قال: قلت: أفتجرُّ فِلَسطين؟ قال: إني إذاً لقويٌّ.

وكان هُشَيم[3] يقول: حدثنا يَوْنِس[4] عن الحسن. يقولها بفتح الياء وكسر النون.

وكان عبد الأعلى بن عبد الأعلى السَّامىُّ[5] يقول: فأخَذِهِ فصرعِهِ فذبحِهِ فأكلِهِ، بكسر هذا أجمع.

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم، كما سبق في (١ : ٢٦٠). وورد الخبر بدون نسبة في عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) بلفظ: «لئن أعربنا في كلامنا حتى ما نلحن، لقد لحنا في أعمالنا حتى ما نعرب».

(٢) في الحيوان (٣ : ١٨): «الربيع» فقط. والخبر كذلك في عيون الأخبار (٢ : ١٥٧).

(٣) هو أبو معاوية هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي الواسطي، كان ورعا من كبار الحفاظ، وكان من أروى الناس عن يونس بن عبيد. ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٨٣. تذكرة الحفاظ (١ : ٢٢٩) وتاريخ بغداد ٧٤٣٦ وصفة الصفوة (٣ : ٦) والمعارف ٢٢١ وتهذيب التهذيب.

(٤) هو الحافظ أبو عبد الله يونس بن عبيد بن دينار العبدي البصري الخزاز. وكان من أثبت الناس في الحسن، وكان يقول: ما كتبت شيئاً قط. توفي سنة ١٣٩. تذكرة الحفاظ (١ : ١٣٧) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢٢) والمعارف ٢١١، وتهذيب التهذيب.

(٥) السامي: نسبة إلى بني سامة بن لؤي. ل: «الشامي» تحريف. وهو أبو محمد =

وكان مهدىّ بن هُلَيل[1] يقول : حدثنا هشامٌ[2] ، مجزومةً ، ثم يقولُ ابن ويجزمه ؛ ثم يقول حسّانْ ويجزمه ؛ لأنّه حين لم يكن نحويًّا رأى السلامةَ فى الوقف .

وأمّا خالد بن الحارث[3] ، و بشر بن المفضَّل[4] الفقيهان ، فإنّهما كانا لا يلحنان .

وممّن كان لا يلحن البتّة حتّى كأنّ لسانَه لسانُ أعرابىّ فصيح : أبو زيد النحوىّ ، وأبو سعيد المُعَلِّم[5] .

وقال خَلَفٌ[6] : قلت لأعرابىّ : أُلقِى عليك بيتاً ؟ قال : علَى نفسك فأَلْقِ[7] !

وقال أبو الفَضْل العنبرى[8] لعلىّ بن بشير[9] إنى التقطت كتابا من الطريق فأُنبئتُ أن فيه شعراً أفتريده حتّى آتيكَ به ؟ قال : نعمْ ، إنْ كان مقيّداً . قال : والله ما أدرى أمُقَيَّدٌ هو أم مغلول .

الأصمعىّ قال : قيل لأعرابى : أتهمز الرُّمْح ؟ قال : نعم . قيل له : فقلها مهموزة[10] .

= عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن محمد القرشى البصرى السامى ، بصرى ثقة ، وكان ممن يرى القدر . توفى سنة ١٩٨ . تهذيب التهذيب .

(١) فيما عدا ل : « بن مهلهل » . ولم أعثر له على ترجمة .

(٢) هشام بن حسان البصرى ، المترجم فى (١ : ٢٩١) .

(٣) هو أبو عثمان خالد بن الحارث بن عبيد بن سليمان الهجيمى البصرى ، كان من عقلاء الناس ودهاتهم ، وكان يقال له « خالد الصدق » . ولد سنة ١٢٠ وتوفى سنة ١٨٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) هو أبو إسماعيل بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشى . قال ابن حنبل : كان إليه المنتهى فى التثبت بالبصرة . توفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٥) انظر (١ : ٢٥٢ س ١) .

(٦) خلف الأحمر ، المترجم فى (١ : ١٢٩) .

(٧) ما عدا ل : « فألقه » .

(٨) انظر ما مضى فى (١ : ١٦٣ — ١٦٤) . وهذا الاسم يرد أحيانا بلفظ « أبو المفضل » . انظر الحيوان (٣ : ٥٠٨/٥ : ٢٨٣ ، ٢٨٤) .

(٩) ل : « بن بشر » .

(١٠) يقال همزت الحرف فانهمز ، أى ضغطته .

فقالها مهموزة . قيل له : أتهمز التُّرْسَ ؟ قال : نعم . فلم يَدَعْ سيفاً ولا تُرساً إلاّ هَمَزه . فقال [له] أخوه وهو يهزأ به : دعُوا أخى فإنّه يهمز السِّلاحَ أجمع .

وقال بعضهم[(١)] : ارتفع إلى زيادٍ رجلٌ وأخوه فى ميراث ، فقال : إنّ أبونا مات ، وإن أخينا وثَب على مال أبانا فأكله . فأمّا زياد فقال[(٢)] : الذى أضَعْتَ من لسانك أضرُّ عليك مما أضعت من مالك . وأمّا القاضى فقال : فلا رحم الله أباك ، ولا نتح عَظْم أخيك[(٣)] ! قُمْ فى لعنة الله !

وقال * أبو شَيبة قاضي واسط : أتيتمونا بعد أن أردنا [أن] نقُم . ٨

قد ذكرنا — أكرمك الله — فى صدْر هذا الكتاب من الجزء الأوّل وفى بعض الجزء الثانى ، كلاماً من كلام [العقلاء] البلغاء ، ومذاهبَ من مذاهب الحكماء والعلماء ، وقد روَيْنا نوادرَ من كلام الصِّبيان والمحرَّمِين من الأعراب[(٤)] ، ونوادرَ كثيرةً من كلام المجانين وأهل المِرّة من الموَسْوِسين[(٥)] ، ومن كلام أهل الغفلةِ من النَّوْكَى ، وأصحاب التكلّف من الحمقى ، فجعلنا بعضَها فى باب الاتّعاظ والاعتبار ، وبعضَها فى باب الهَزْل والفكاهة[(٦)] . ولكلّ جنسٍ من هذا موضعٌ يصلح له . ولا بد لمن استكدّه[(٧)] الجِدُّ من الاستراحة إلى بعض الهزل .

---

(١) الخبر أيضاً فى عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) ونزهة الألباء ١٢

(٢) وكذا فى التيمورية ، وهو الوجه . وبدله فى ح و ب مع أثر تبديل فى الأخيرة : « فقال زياد » .

(٣) النتح ، أراد به الإخراج ، كما ينتح الجلد العرق . ماعدا ل : « تنح » ولا وجه له .

(٤) المحرم ، من قولهم ناقة محرمة : لم ترض ولم تذلل . وفى حاشية التيمورية : « المحرم : الذى لم يرض ولم يؤدب ، كما قيل ناقة محرمة ، وهى التى لم ترض » .

(٥) المرة ، بالكسر : خلط من أخلاط البدن الأربعة ، وهى الدم ، والبلغم ، والمرة الصفراء ، والمرة السوداء . وإذا غلبت المرة السوداء على شخص ، اختلط عقله وسمى ممروراً .

(٦) ب ، ح : « فجعلنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة » تحريف .

(٧) استكده : أجهده وأتعبه ، وأصل استكده طلب منه الكد .

قال أبو عبيدة : أرسَل ابنٌ لعجل بن لُجَيم [١] فرساً له فى حَلْبَةٍ ، فجاء سابقاً ، فقال لأبيه : يا أبَه ، بأىِّ شىء أسمّيه ؟ فقال : افقأْ إحدى عينيه ، وسمِّهِ الأعور .

وشعراء مُضَر يُحَمِّقُون رجالَ الأزد و يستخفُّون أحلامهم ، قال عمر بن لَجَأ :

تصطكُّ ألْحِيها على دِلاَئها   تلاطُمَ الأزدِ على عطائها

وقال بشّار :

وكأنّ غَلْىَ دِنانِهم فى دُورهم   لَغَطُ العَتيكِ على خِوَان زِيادِ

وقال الرّاجز :

لَبّيْكَ بى أرْفَلُ فى بِجَادِى [٢]   حازِمَ حَقْوَىَّ وصدرِىَ بَادِ [٣]

أفرّجُ الظَّلماء عن سوادِى [٤]   أقْوَى لشَوْلٍ بكَرتْ صَوادِ [٥]

كأنّما أصـــواتُها بالوادى   أصواتُ حِجٍّ من عُمَانَ غادِ [٦]

وقال الآخر فى نحوه :

فإذا سمعتَ هـديلَهنّ حسبتَه   لَغَطَ المَقاوِلِ فى بُيُوتِ هَدَادِ [٧]

و بسبب هذا [٨] يُدْخِلُونَ فى المنى قبائلَ اليمـانيَة . وقال ابنُ أحمر :

---

(١) عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٤٣) .

(٢) كلمة « بى » مبيض لها فى الأصل . البجاد بالكسر : كساء مخطط .

(٣) الحقو ، بالفتح والكسر : الكشح ، وقيل معقد الإزار .

(٤) سواد الإنسان : شخصه . ما عدا ل : « سواد » تحريف .

(٥) يقول : هو ذو قوة عليها فى الرحلة . ل : « أقرى » وليس بشىء .

(٦) أنشده فى اللسان (حج) مع سابقه وقال : « هكذا أنشده ابن دريد بكسر الحاء » . والحج : الحجاج .

(٧) المقاول : جمع مقول ، بالكسر ، وهو الملك من ملوك حمير . وهداد ، كسحاب : حى من اليمن . فى اللسان (١٥ : ٤٣) : « قال ابن برى : وقد جاء الحمام مؤنثاً فى بيت زعم الجوهرى أنه يصف حماما ، وهو قوله :

فإذا دخلت سمعت فيها رجة   لغط المقاول فى بيوت هداد » .

(٨) ل : « وبسبب الأزد » ، تحريف .

إخالُها سمِعت عَزْفًا فتحسبُه   إهابةَ القَسْرِ ليلاً حين تَنْتَشِرُ(١)

• وقال الكميت : ٩

كأنَّ الغُطامِطَ من غَلْيِها   أراجيزُ أَسْلَمَ تهجو غِفَارَا(٢)

لجعل الأراجيز، التى شبّهها فى لغطها والتفافها بصوت غليان القدْر، لأَسْلَمَ دُونَ غِفَار .

(١) العزف : صوت فى الرمل لا يدرى ماهو . والإهابة : الدعاء والصياح ، وأصلها الصوت بالإبل ودعاؤها . والقسر : بطن من بجيلة فى اليمن ، إليهم ينسب خالد بن عبد الله . وفى هامش التيمورية : « القسر قبيلة من اليمنية » . وأنشده فى اللسان (قسر) . وقال : « والقسر : اسم رجل قيل هو راعى ابن أحمر » . وروايته هناك :

أظنها سمعت عزفاً فتحسبه   إشاعة القسر ليلا حين ينتشر

(٢) الغطامط ، بالضم : صوت الغليان . أسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة . وللبيت قصة فى الأغانى (١ : ١٣٤) .

باب النَّوْكَى

قال : ومن النَّوْكَى مالكُ بن زيد مناةَ [بن تميم] ، الذى لما أُدخِل على امرأته فرأت ما رأت من الجَفَاء والجَهْل(١) ، وجَلَسَ فى ناحية منقبضاً مشتمِلا ، قالت : ضع عُلْبَتَك . قال : يدى أحفظُ لها . قالت : فاخلعْ نعليك . قال : رجلاى أحفَظُ لها . قالت له : فَضَعْ شَمْلَتَك . قال : ظهرِى أولى بها . فلمّا رأت ذلك قامت فجلست إلى جنبه(٢) . فلمّا شمّ ريحَ الطِّيب وثبَ عليها .

ومن المجانينِ والمُوسوِسين والنَّوكَى : ابن قَنَانٍ(٣) ، وصَبَّاح المُوَسْوِس ، ودِيسيموس اليونانىّ(٤) ، وأبو حَيَّةَ النُّمَيْرى(٥) ، وأبو يَس الحاسب(٦) ، وجُعيفران الشاعر(٧) ، وجَرَنْفَش(٨) . ومنهم سارية الليل . ومنهم رَيْطَة بنت كعب بن سعد ابن تَيْم بن مُرّة(٩) ، وهى التى نقَضت غزْلَها أنكاثا ، فضرب الله تعالى بها

---

(١) ل : « والجهد » تحريف .

(٢) ما عدا ل : « إلى جانبه » .

(٣) فى اللسان (قنن) : « وابن قنان : رجل من الأعراب » . ما عدا ل « ابن فنان » تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ٢٤٦ .

(٤) ل : « ريسموس » ما عدا ل : « ريسموس » صوابه بالدال ، كما فى الحيوان (١ : ٢٨٩) .

(٥) اسمه الهيثم بن ربيع ، شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيهما ، وكان أهوج جباناً بخيلا كذاباً ، معروفاً بذلك أجمع . الأغانى (١٥ : ٦١ — ٦٢) والخزانة (٣ : ١٥٤) .

(٦) انظر ترجمته فى حواشى الحيوان (٦ : ٢٤٩) .

(٧) هو جعيفران بن على بن أصفر بن السرى بن عبد الرحمن الأبناوى ، مولده ومنشؤه ببغداد ، وكان يتشيع ، وكان ممن مدح أبا دلف العجلى ، وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط فى أكثر أوقاته ، وله شعر يفند فيه من ادعى اختلاطه وجنونه . انظر الأغانى (١٨ : ٦١ — ٦٥) .

(٨) مأخوذ من قولهم رجل جرنفش ، وهو العظيم البطن أو الجنبين ، أو قولهم رجل جرنفش اللحية : عظيمها ضخمها .

(٩) فيما عدا ل : « تيم بن مرة » تحريف ، صوابه فى الاشتقاق ٥٩ وتفسير أبى حيان (٥ : ٥٢١) ، حيث ذكر فى الأخير أن لقب ريطة هو « الجعراء » .

المَثَل[١]، وهى التى قيل لها : « خرقاء وجدت صُوفا » .

ومنهم دُغَةُ[٢] ، وجَهِيزَةُ[٣] وشَوْلَةُ[٤] ، ودُرَّاعَةُ القَدِيد المَعْدِيَّة[٥] .

ولكلٍّ واحدٍ من هؤلاء قصّة سنذكرها فى موضعها ، إن شاء الله .

فأمّا ديسيموس[٦] فكان مِن مُوسوِسى اليونانيّين ، قال له قائل : ما بال ديسيموس يعلِّم الناسَ الشِّعر ولا يستطيع قولَه ؟ قال : مَثَلُه مَثَل المِسَنّ الذى يَشْحَذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ وهو يأكل فى السُّوق فقال : ما بال ديسيموس يأكل فى السّوق ؟ فقال : إذا جاع في السّوق أكلَ فى السُّوق .

---

(١) فى قوله تعالى فى سورة النحل : (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) . وذكر أبو حيان أنها كانت تغزل هى وجواريها من الغداة إلى الظهر ، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن .

(٢) دغة ، بضم الدال وفتح الين ، وأصل معنى الدغة الفراشة ، أو دويبة . وهذا لقب لها ، واسمها مارية بنت معنج — أو مغنج ، أو منعج — وهذا لقب ربيعة بن عجل . ومن حمقها أنها نظرت إلى يافوخ ولدها يضطرب ، وكان قليل النوم كثير البكاء ، فقالت لضرتها : أعطينى سكينا . فناولتها وهى لا تعلم ما انطوت عليه ، فمضت وشقت به يافوخ ولدها فأخرجت دماغه ، فلحقتها الضرة فقالت : ما الذى تصنعين ؟ فقالت : أخرجت هذه المدة من رأسه ليأخذه النوم ، فقد نام الآن . الميدانى فى (أحمق من دغة) .

(٣) قال ابن السكيت : هى أم شبيب الحرورى . ومن حمقها أنها لما حملت شبيبا فأثقلت قالت لأحمائها : إن فى بطنى شيئاً ينقر . فنشرن عنها هذه الكلمة لحمقت . وقيل هى أمة حمقاء ، وكان قوم قد اجتمعوا يخطبون فى صلح بين حيين قتل أحدهما من الآخر قتيلا ، ويسألون أن يرضوا بالدية . فبينا هم فى ذلك إذ أقبلت جهيزة فقالت : إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله . فقالوا : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . وضرب ذلك مثلا لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتى بها . الميدانى فى (أحمق من جهيزة) و (قطعت جهيزة قول كل خطيب) .

(٤) فى اللسان : « ابن السكيت : من أمثالهم فى الذى ينصح القوم : أنت شولة الناصحة . قال : وكانت أمة لعدوان رعناء تنصح لمواليها فتعود نصيحتها وبالا عليهم لحمقها » .

(٥) ما عدا ل : « ذراعة المعدية » .

(٦) ل : « ربيموس » وما عدا ل : « ريسموس » فى هذا الموضع والمواضع التالية . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ .

وألحَّ عليه رجلٌ بالشَّتيمة[١] وهو ساكت ؟ فقال : أرأيتَ إن نبَحك كلبٌ أتنبحه ، وإنْ رمَحك حمار أترمَحه[٢] ؟

وكان إذا خرج [في الفجر] يريد الفرات ألقى في دُوّارة بابه حَجراً ، حتّى لا يُعانيَ دفع بابِه إذا رجَع . وكان كلّما رجع إلى بابه وجد الحجر مرفوعا والباب منصفقا ، فعلم أنّ أحداً يأخذ الحجر من مكانه ، فـكَمَن لصاحبه يوماً ، فلمّا رآه قد أخذ الحجر قال : مالك تأخذُ ما ليس لك ؟ قال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمتَ أنّه ليس لك .

وأمّا جُميفران الموسوِس الشاعر[٣] ، فشهدتُ رجلا أعطاه درهما وقال له : قل شِعْراً على الجيم . فأنشأ يقول :

عادنى الهمُّ فاعتلجْ   كلُّ همٍّ إلى فرَجْ
سَلِّ عنك الهمومَ بالـكا   س وبالرّاح تنفرجْ

وهى أبيات[٤] .

وكان يتشيّعُ ، فقال له قائل : أتشتُمُ فاطمةَ وتأخذ درهما ؟ قال : لا بل أشتم عائشة وآخذُ نصفَ درهم .

وهو الذى يقول[٥] :

ما جعفرٌ لأبيـــه   ولا له بشبيـــه
أضحى لقوم كثيرٍ   فـكلُّهم يدّعيـــهِ
فـــذا يقول بُنَيّ   وذا يخاصمُ فيـــه

---

(١) الشتيمة والمشتمة والشتم بمعنى ، وهو السب .
(٢) الخبر بتفصيل فى الحيوان (١ : ٢٩٠) .
(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٢٥ .
(٤) القصة برواية أخرى فى الأغانى (١٨ : ٦٢) .
(٥) ذكر أبو الفرج أنه اطلع يوما فى جب فرأى وجهه قد تغير ، وعفا شعره فقال . وأنشد الأبيات التالية .

والأمُّ تضحكُ منهم لعلمها بأبيـــــهِ

وهو الذى يقول فى قوم لَاَطَةٍ :

كأنّهمْ والأيور عامِدَةٌ صَياقلٌ فى جِلَابَةِ النُّصُل

وأما أبو يٰس الحاسب فإنّ عقلَه ذهب بسبب تفكُّره فى مسألة ، فلما جُنّ كان يهذى بأنّه سيصير مَلِكا وقد أُلْهِمَ ما يحدُث فى الدُّنيا من الملاحم .

وكان أبو نواس والرَّقاشىُّ يقولان على لسانه أشعاراً ، على مذاهب أشعار ابن عَقِب اللّيثى ، ويُرَوّيانها أبا يٰس ، فإذا حفظها لم يَشُكّ أنه الذى قالها . فمن تلك الأشعار قول أبى نواس :

مَنعَ النومَ ادّكارى زمنًا ذا تهاويلَ وأشـــياء نُكُرْ
واعتراكُ الرُّوم فى معمعةٍ ليس فيها لجبانٍ من مَقَرّ[1]
كائناتٌ ليس عنها مذهبٌ خطّها يُوشَع فى كُتْبِ الزُّبُرْ.[2] ١١
وعلاماتٌ ســتأتى قبلَه جَمّةٌ أوّلُها سَكْرُ النَّهَرْ.[3]
ويليهم رجــلٌ من هاشم أقنصُ النّاسِ جميعاً للحُمُرْ
يبتنى فى الصَّحن من مجلسهم للمصلِّين من الشمس سُتُرْ.[4]
ورجالا يبتنى مِطْهرةً ضخمةً فى وسطها طَسْتُ صُفُرْ[5]

(١) مقر ، بالقاف ، أى استقرار .

(٢) أراد بالكائنات الحوادث . والزبر : جمع زبور ، كرسل جمع رسول ، وهو الكتاب ، كما فى قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

وقد غلب استعماله فى صحف داود عليه السلام .

(٣) سكر النهر سكراً : سد فاه . ل : « شكر » تحريف .

(٤) الصحن : ساحة وسط الدار ونحوها . ما عدا ل : « من مسجدهم » . والستر ، بضمتين : جمع ستر ، بالكسر . وقد جرى على لغة ربيعة فى الوقوف بالسكون على المنصوب .

(٥) المطهرة ، بالكسر : البيت الذى يتطهر فيه . والطست ، بالفتح : إناء من الصفر ، مؤنث وقد يذكر . قال فى القاموس : « وحكى بالشين المعجمة » . وبهذه اللغة الأخيرة ورد فيما عدا ل : « طشت » . والصفر ، بالضم : النحاس الأصفر ، وضم الفاء للشعر .

فهُناكُمْ حين يفشُو أمرُكم   وهُناكُمْ ينزل الأمرُ النُّكُرْ
فاتْبعوه حيثُ ما صار بكم   أيُّها الناس وإن طالَ السَّفَرْ
ودَعُوا ، بالله ، أن تَهزَوْا به   لعَنَ الرَّحمنُ مَن منه سَخِرْ[١]

والبَصريُّون يزعمون أن أبا يُس كان أحسَبَ الناس .

وأما أبو حيَّة النُّميرىّ فإنه كان أجنَّ من جُعيفِران ، وكان أشعرَ الناس . وهو الذى يقول :

ألَا حىِّ أطلالَ الرُّسومِ البواليا   لبِسنَ البِلَى مما لَبِسْنَ اللَّياليا

وفى هذه القصيدة يقول :

إذا ما تقاضَى المرءَ يومٌ وليلةٌ   تقاضاه شىءٌ لا يملُّ التَّقاضيا[٢]

وهو الذى يقول :

فأرخت قِناعًا دونَه الشَّمسُ واتَّقتْ   بأحسنِ موصولينِ كفٍّ ومِعصَمِ

وحدَّثنى أبو المنجوف[٣] قال : قال أبو حيَّة : عَنَّ لى ظبىٌ فرميته ، فراغ عن سهمى ، فعارضَه واللهِ السهمُ ، ثمّ راغ فراوغَه حتّى صرعه ببعض الخَبارات[٤] .

وقال : رميتُ واللهِ ظبيةً ، فلمّا نفـذ السَّهم ذكرتُ بالظبية حبيبةً لى ، فشددتُ وراء السَّهم حتّى قبضت على قُذَذه[٥] .

---

(١) هزِئ منه وبه يهزأ ، من بابى سمع ومنع : سخر ، وقد سهل الهمزة ثم أجرى الفعل مجرى المنقوص .

(٢) هذا البيت وعبارة الإنشاد قبله من ل والتيمورية فقط .

(٣) أبو المنجوف السدوسى ، روى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٣٥ والحيوان (٦ : ٥٣) وهو أحد الأخباريين . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست باسم « المنجوف السدوسى » .

(٤) الخبار ، كسحاب : ما استرخى من الأرض وتحفر . ب ، حـ : « الجنارات » والتيمورية : « الحبارات » صوابهما ما أثبت من ل وعيون الأخبار (٢ : ٢٧) .

(٥) شددت من الشد ، وهو العدو والجرى . والقذذ : ريش السهم .

وكان يكلِّم العُمّار ، ويخبِر عن مفاوضته للجن[١] . ١٢

وأما جَرْنفَش فإنّه لما خلع الفرزدقُ لجامَ بغلته ، وأدنى رأسَها من الماء ، قال له جَرَنفش : نحِّ بَغْلَتَك[٢] حلقَ الله ساقَيك ! قال : ولِمَ عافاك الله ؟ قال : لأنّك كذوب المنجرة ، زانى الكَمَرة[٣] !

قال أبو الحسن : وبلغنى أنّ الفرزدق لما [أن] قال له الجَرَنفش ما قال نادى : يابنى سَدوس . فلما اجتمعوا إليه قال : سوِّدوا الجرنفشَ عليكم ؛ فإنّى لم أر فيكم أعقلَ منه .

ومن مجانين الكوفة : عيناوة[٤] ، وطاق البصل .

حدّثنى صديقٌ لى قال : قلت لعيناوة[٥] : أيّما أجنُّ ، أنت أو طاق البصل ؟

قال : أنا شىء وطاق البصل شىء !

ومن مجانين الكوفة بُهلول ، وكان يتشيّع ، فقال له إسحاق بن الصَّبّاح : أكثر الله فى الشّيعة مثلك . قال : بل أكثر الله فى المرجئة مثلى ، وأكثَرَ فى الشّيعة مثلك !

وكان جيِّد القفا[٦] ، فربّما مرَّ به من يحبُّ العبث فيَقفِده[٧] ، فحشا قفاه خِراء ، وجلَس على قارعة الطريق فكلَّما قَفَده إنسانٌ تركه حتّى يجوزَ ، ثم يصيح به : يا فتى ، شُمَّ يدَك ! فلم يعُدْ بعدها أحدٌ يقفده .

---

(١) العمار : جمع عامر ، وهم سكان البيت من الجن . والمفاوضة : المحادثة . ما عدا ل : « معارضته » تحريف . (٢) ل : « نعليك » وما أراها صحيحة .

(٣) المنجرة ، كذا وردت فى النسخ . وفى اللسان والقاموس أن « المنجر » : القصد . والمنجرة بكسر الميم : حجر يحمى ويسخن به الماء .

(٤) ما عدا ل : « عيناذة » (٥) ما عدا ل : « العيناذة » .

(٦) ما عدا ل : « القفاء » بالمد ، وهما لغتان . وهى مؤنثة ، وقد تذكر .

(٧) القفد : الصفع ، وبابه ضرب .

وكان يغنّي بقيراط ويسكت بدانِق (١) .

وكانت بالكوفة امرأةٌ رعناء يقال لها مُجيبة ، ففقد بُهلولاً فتًى كانت مجيبةُ أرضعته ، فقال [له بُهلول] : كيف لا تكون أرعن وقد أرضعتك مُجيبة ؟ فوالله لقد كانت تزُقُّ لى الفرخَ فأرى الرُّعونةَ فى طيرانه !

قال : وحدّثنى حُجر بن عبد الجبّار قال : مرّ مُوسى بن أبى الرَّوْقاء (٢) ، فناداه صَبّاح الموسوِس : يا ابن أبى الرَّوقاء (٣) ! أسمَنْتَ بِرذَونَك ، وأهزلت دينَك ، أمَا والله إنّ أمامَك لَعقبةً لا يجاوزُها إلا المُخِفُّ ! فحبس موسى برذونه وقال : من هذا ؟ فقيل له (٤) : هذا صَبّاحٌ الموسوِس . فقال : ما هو بموسوِس ، هذا نذير .

قال أبو الحسن : دعا بعضُ السلاطين مجنونَين ليحرِّكهما فيضحكَ ممّا يجيء منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضِب ودعا بالسيف ، فقال أحدهما لصاحبه : كنّا مجنونَين فصرنا ثلاثة !

وقال عمر بن عثمان (٥) : شيّعت عبد العزيز بن المُطّلب المخزومىّ (٦) وهو قاضى مكةَ ، إلى منزله ، وبباب المسجد مجنونةٌ تصفّق وتقول :

أرَّق عَينىَّ ضُراطُ القاضى (٧)   هذا المقيم ليس ذاك الماضى (٨)

---

(١) سبق تفسيره فى ٢١٩ . والقيراط : نصف دانق .
(٢) ما عدا ل : « أبى ردقا » . (٣) ما عدا ل : « أبى الردقا » .
(٤) ل : « قال » .
(٥) هو أبو حفص عمر بن عثمان بن عمر بن موسى التيمى المدنى ، كان من وجوه قريش وبلغائها وفصحائها وعلمائها . ولاه الرشيد القضاء بالبصرة ، فخرج حاجا وأقام بالمدينة ، فلم يزل بها حتى مات . تهذيب التهذيب .
(٦) هو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى المدنى . كان جوادا ذا معرفة بالقضاء والحكم ، ولى قضاء المدينة فى زمن المنصور ثم المهدى ، وولى قضاء مكة . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « عبد العزيز بن عبد الملك » تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « طراطر القاذى » تحريف .
(٨) هذا الشطر مما عدا ل .

فقال : يا أبا حفص ، أَتُراها تعنى قاضِيَ مكةَ ؟

قال : وتذاكروا اللَّثَغ فقال قوم : أحسَنُ اللثَغ ما كان على السِّين ، وهو أن تصير ثاء . وقال آخرون : على الرَّاء ، وهو أن تصير غيناً . فقال مجنون البَكَرات : أنا أيضاً ألثغُ ، إذا أردت أن أقول شَرِيط[1] قلت : رَشيط !

قال : وبعث عُبيد الله بن مروان ، عمُّ الوليد ، إلى الوليد بقطيفةٍ حمراء[2] ، وكتب إليه : « إنِّى بعثتُ إليك بقطيفةٍ حمراء حمراء » . فكتب إليه الوليد : « قد وصلتْ إلىَّ القطيفةُ ، وأنت ياعمِّ أحمقُ أحمق » .

وقال محمد بن بلال لوكيلِهِ دَبَّة[3] : اشترِ لى طيباً سيرافياً . قال : تريده سيرافى ، أو سيرافى سيرافى ؟

وقال محمد بن الجهم[4] للمكِّىِّ[5] : إنى أراك مستبصراً فى اعتقاد الجزء الذى لايتجزأ ، فينبغى أن يكون عندك حقًّا حقًّا . قال : أمّا أن يكون عندى حقًّا حقًّا فلا ، ولكنه عندى حقّ .

ودخل أبو طالبٍ ، صاحبُ الطَّعام ، على هاشميَّةَ جاريةِ حَمدونةَ بنتِ الرَّشيد[6] ، على أن يشترى طعاماً من طعامها فى بعض البيادر ، فقال لها : إنِّى قد رأيتُ متاعَكِ . قالت هاشميَّةُ : قل طعامَكِ . قال : وقد أدخلتُ يدى فيه ، فإذا متاعُكِ قد خَمَّ وحَمِىَ[7] وقد صار مثل الجِيفَة[8] . قالت : يا أبا طالب ، ألستَ قد قلبت الشَّمير ، فأعطنا ما شئت وإن وجدتَه فاسداً .

---

(١) ما عدا ل : « شرائط » تحريف .

(٢) القطيفة : دثار أو كساء أو فراش مخمل . والمخمل : ذو الخمل ، وهو هدب القطيفة ونحوها ، مما ينسج وتفضل له فضول ، كخمل الطنفسة .

(٣) ما عدا ل : « زبد » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٨) . (٥) تقدمت ترجمته فى ص ٢١١ .

(٦) هو الخليفة هارون الرشيد . انظر الطبرى (١٠ : ١٢١) . وانظر خبراً آخر لفاجرة تسمى « دقاق » كانت منقطعة كذلك إلى حمدونة بنت هارون الرشيد ، فى الأغانى (١١ : ٩٥) .

(٧) خم : أنتن . ل : « خم وجهى » تحريف .

(٨) ل : « الجيفة » .

ودخل أبو طالب على المأمون فقال : كان أبوكَ يا أبا [١] ، خيراً لنا منك ، وأنت يا أبا ، ليس تعدُّنا ولا تبعثُ إلينا ، ونحن يا أبا ، تُجَّارُك وجيرانُك . والمأمون فى كلّ ذلك يتبسّم .

وقيل للمثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة [٢] ، وهو على اليمامة : إنّ هاهنا مجنوناً له نوادرُ . فأتوه به ، فقال : ما هِجاء النَّشَّاش [٣] ؟ فقال : الفَلَج العادِىّ [٤] فغضب ابنُ هبيرةَ وقال : ما جئتمونى به إلاّ عمداً ، ما هذا بمجنون . والنَّشَّاش : يومٌ كان لقيس على حنيفة ، والفَلَج : يومٌ كان لحنيفة على قيس [٥] .

وأنشدوا :

ترى القومَ أسواءً إذا جلسوا معاً ... وفى القوم زَيفٌ مثلُ زيف الدَّراهمِ [٦]

وقال :

فتًى زاده عزُّ المهابة ذِلّةً ... وكلُّ عزيزٍ عنده متواضعُ

وقال :

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ فى مَهَلٍ ... وليس ينفع بعدَ الكَبْرةِ الأدبُ

إنّ الغصُونَ إذا قوّمتَها اعتدلت ... ولا تلين إذا قوّمتها الخُشُبُ [٧]

---

(١) أراد أن يكنيه فذهل عن كنيته . وكنية المأمون أبو جعفر .

(٢) سبقت ترجمة والده فى (١ : ١٩٩) .

(٣) النشاش ، كشداد : واد كثير الحمض ، كان به ذلك اليوم بين بنى عامر بن صعصعة وبنى حنيفة أهل اليمامة . ياقوت والميدانى (٢ : ٣٥٣) .

(٤) الفلج العادى ، ويقال له أيضا فلج الأفلاج : مدينة باليمامة من قرى عامر بن صعصعة . وكان به يومان : الفلج الأول لبنى عامر على بنى حنيفة ، والآخر لبنى حنيفة على بنى عامر . ياقوت والميدانى (٢ : ٢٥٢) . ما عدا ل : « القادى » تحريف . قال ياقوت : « وكان فلج هذا من مساكن عاد القديمة » . وأنشد للنحيف :

وبالفلج العادى قتلى إذا التقت ... عليها ضباع الفيل باتت وظلت

(٥) مضى فى الحاشية السابقة أنهما يومان تبودلت فيها الغلبة . ويعنى بقيس عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

(٦) أسواء : جمع سواء ، وسواء الشىء : مثله . وأنشده فى اللسان (سوا) .

(٧) ما عدا ل : « ولن تلين » .

باب فى العى

قال جعفر بن أُخت واصل : كتب رجلٌ إلى صديق له : « بلغنى أنّ فى بستانك أشياء تهمُّنى ، فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيماً [(١)] » .

وقال أبو عبد الملك ، وهو الذى كان يقال له عَناقٌ : كان عيّاش [(٢)] وثُمامةُ [(٣)] حىٌّ يعظّمنى تعظيماً ليس فى الدُّنيا مثلُه .

وقال له عيّاش بن القاسم : بأىّ شىء تزعمون أنّ أبا علىّ الأسوارىّ [(٤)] أفضلُ من سلاّمٍ أبى المنذر [(٥)] ؟ قال : [لأنّه] لما مات سلاّمٌ أبو المنذر ذهب أبو علىٍّ فى جنازته ، فلما مات أبو علىٍّ لم يَذْهب سلاّم فى جنازته .

وكان يقول : فيك عَشْرُ خصالٍ من الشرّ . فأمّا الثانية كذا ، والرابعة كذا ، وأما السابعة [كذا] ، والعاشرة كذا .

قال : وقلنا للمقعسىّ : كيف ثناؤك على حمدانَ بنِ حبيب ؟ فقال : هو والله الكذا الكذا .

وقال الخُرداذىّ : آجركم الله وأعظم أجْركم [(٦)] . فقيل له فى ذلك فقال : هذا

(١) ما عدا ل : « عظيم » .

(٢) هو عياش بن القاسم ، كما سيأتى .

(٣) ثمامة بن أشرس ، ترجم فى (١ : ١٠٥) .

(٤) هو أبو على الحسين بن على بن يزيد الأسوارى . ونسبته إلى « أسوارية » بفتح الهمزة وضمها ، وهى قرية من قرى أصبهان . ذكره أبو نعيم الأصفهانى فى أخبار أصفهان (١ : ٢٨١) والسمعانى فى الأنساب ٣٨ .

(٥) هو أبو المنذر سلام بن سليمان . وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم ٤٥ والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم فى عداد المجبرة وقال : ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدبر » . وروى له خبراً فى الإجبار ، أنه أصاب غلاما على جاريته فقال له : ما هذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوجه الجارية . ابن النديم ٢٥٦ .

(٦) ما عدا ل : « آجرك الله وعظم أجركم وأجركم » .

كما قال عثمان بن الحكم[١] : بارك الله لكم وبارك عليكم وبارك فيكم . قالوا له : ويلك : [إنّ] هذا لا يشبه ذلك .

وكتب إلى بعض الأمراء : « أبقاك الله ، وأطال بقاءك ، ومدّ في عمرك » .

وكان أبو إدريسَ السّمّان يقول : « وأنت فلا صبّحك الله [إلاّ] بالخير » .

ويقول : « وأنتم فلا حيّا الله وجهكم[٢] إلاّ بالسلام ، وأنتم فلا بيّتكم الله إلاّ بالخير » .

ومرّ ابن أبي علقمة[٣] ، فصاح به الصّبيانُ فهرب منهم ، وتلقّاه شيخٌ عليه ضفيرتان ، فقال له : ﴿ يا ذَا القَرْنَيْنِ إنّ يأجُوجَ ومَأجوجَ مُفْسِدُون في الأرض ﴾ .

وقال المهلّب لرجل من بني مِلْكان ، أحد بني عديّ : متى أنت ؟ قال : أيّامَ عُتيبةَ بنِ الحارث بن شهاب[٣] . وأقبل على رجلٍ من الأزد فقال : متى أنت ؟ فقال : أكلتُ من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَين : فقال له المهلّب : أطعمك الله لَحمك !

وأنشدني المُعيطيّ :

وأرْزَلَني طولُ النّوى دارَ غَربةٍ إذا شئتُ لاقيتُ الذي لا أشاكلُه[٤]
فحامقْتُه حتّى يقالُ سجيّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُه

قالوا : وخطب عَتّابُ بن ورقاء[٥] فحثّ على الجهاد ، فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفي ، أورد له أبو الفرج خبرين في الأغاني (٩ : ١٧/٢٣ : ١٧) كما روى له الجاحظ خبرا في الحيوان (١ : ١٠٤) .
(٢) ما عدا ل : « وأنت فلا حيا الله وجهك » .
(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٢١) .
(٤) البيتان أنشدهما ابن قتيبة في عيون الأخبار (٣ : ٢٤) . والغربة ، بالفتح : البعد .
(٥) عتاب بن ورقاء الرياحي : أحد شجعان العرب وفرسانهم ، وكان يكنى أبا ورقاء ، وكان من سادات الكوفة . وكان الفرخان صاحب الري قد ارتد ، فوجه إليه عتاب فقتله ، وولى =

كُتِبَ القتل والقتالُ علينا   وعلى الغانيات جرُّ الذُّيولِ[1]

وخَطب والِى اليمامة فقال[2] : « إن الله لا يُقارُّ عبادَه على المعاصى ، وقد أهلكَ اللهُ أمّةً عظيمة فى ناقةٍ ما كانت تساوِى مائتى درهم » ، فسمِّىَ مقومَ ناقةِ الله .

وهؤلاء الجُفاةُ والأعراب المُحرِّمون[3] ، وأصحابُ العَجْرَفيّة ، ومن قلَّ فقهُه فى الدِّين ، إذا خطبوا على المنابر فكأنهم فى طباع أولئك المجانين .

وخطب وكيعُ بن أبى سُودٍ[4] بخراسان ، فقال : « إنَّ اللهَ خلق السَّمٰوات والأرضَ فى ستّة أشهر » . فقيل له : إنها ستّة أيام . قال : وأبيكَ لقد قلتُها وإنّى لأستقلُّها !

=أصبهان أيام فتنة ابن الزبير ، ثم ولى المدائن وناحيتها ، وبعثه الحجاج فى جيش من الكوفة لقتال الأزارقة ، ثم فى جيش منهم لقتال شبيب الخارجى ، وذلك فى سنة ٧٧ ، فبيته شبيب فتفرق عنه جيشه فقتل . الطبرى (٧ : ٢٤٢) والمعارف ١٨٢ . وقيل فيه لما نعى :

وقائلة هل كان بالمصر حادث   نعم قتل عتاب من الحدثان

وابنه خالد بن عتاب له أخبار بخراسان . حواشى الاشتقاق ١٣٦ .

(١) البيت من أبيات قالها عمر بن أبى ربيعة فى شأن عمرة بنت النعمان بن بشير ، وكانت تحت المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فأخذها مصعب بعد قتله المختار ، وطلب إليها البراءة منه ، فأبت ، فحفر لها حفيرة وأقيمت فيها فقتلت ، فقال فى ذلك عمر :

إن من أعجب العجائب عندى   قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت حرة على غير جرم   إن لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا   وعلى الغانيات جر الذيول

الأغانى (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) وعيون الأخبار (٢ : ٤٩) .

(٢) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٥) .

(٣) سبق الكلام على المحرمين فى ص ٢٢٢ . ما عدا ل : « من الجفاة والأعراب المحرمين » .

(٤) هو أبو مطرف وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود الغدانى التميمى ، وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر قد ولى سجستان ، فغضب عليه وحبسه ، فاحتال لنفسه حتى أفرج عنه ، ثم تحول إلى خراسان فكان رأسا فكتب الحجاج إلى قتيبة يأمره بقتله ، وكان وكيع أبلى معه بلاء حسنا فى مغازيه معه . فعزله قتيبة عن الرآسة فقط ، فلما ملك الوليد وخلع قتيبة بايع الناس وكيعا ، فقتل قتيبة وأخذ رأسه فبعث به إلى سليمان ، ومكث وكيع غالبا على خراسان تسعة أشهر حتى وليها يزيد بن المهلب . المعارف ٨٣ . وانظر الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

وصعد المنبرَ فقال : إن ربيعةَ لم تزَلْ غضاباً على الله مذْ بعث الله نبيَّه فى مُضَر ، ألاَ وإنّ ربيعة قومٌ كُشُفٌ[١] ، فإذا رأيتموهم فاطْعنوا الخيل فى مناخرها ، فإنّ فرساً لم يطعن فى منخره إلاّ كان أشدَّ على فارسه من عدُوّه .

وضربت بنو مازن الحُتَات بن يزيدَ المُجاشعىّ[٢] ، فجاءت جماعةٌ منهم ، فيهم غالبٌ أبو الفرزدق ، فقال : يا قوم ، كونوا كما قال الله : لا يعجِز القومُ إذا تعاونوا .

وتزعم بنو تميم أن صَبِرَة بن شَيْمانَ[٣] قال فى حرب مسعودٍ[٤] والأحنف :

١٦ إنْ جاء حُتَاتٌ جئت ، وإنْ جاء الأحنف جئت ، وإن جاء جارِيَةُ[٥] جئت ، وإن جاءوا جئنا ، وإن لم يجيئوا لم نَجِئْ .

وهذا باطلٌ ، قد سمِعْنا لصَبِرَة كلاماً لا ينبغى أن يكون صاحبُ ذلك الكلام يقول هذا الكلام .

ولمّا سمِع الأحنفُ فتيانَ بنى تميم يضحكون من قول العَرَندس[٦] :

لَحَا الله قوماً شوَوْا جارَهمْ ... إذا الشّاةُ بالدِّرهمين الشَّصِبْ[٧]
أرى كلَّ قومٍ رَعَوا جارَهمْ ... وجارُ تَميم دُخَانٌ ذَهَبْ

(١) الكُشُف : جمع أكشف ، وهو الذى لا يصدق القتال ، وقيل الأكشف : الذى لا ترس معه فى الحرب ، كأنه منكشف غير مستور .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) .

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٣٠٠) .

(٤) هو مسعود بن عمرو العتكى ، المترجم فى ص ٦٨ .

(٥) هو جارية بن قدامة التيمى السعدى ، كان الأحنف بن قيس يدعوه عمه على سبيل التعظيم . الإصابة ١٤٦ . وفى النسخ : « حارثة » تحريف .

(٦) العرندس هذا هو العرندس العوذى ، من الأزد ، بصرى إسلامى . ذكر المرزبانى فى معجمه ٣٠٦ أنه يقول الشعر التالى لبنى تميم حين أحرقوا عامر بن الحضرمى . والعرندس هذا غير العرندس الكلابى .

(٧) ل : « والشاة » . وهذا العجز كتب فى هامش أصل معجم المرزبانى برواية :

* بأخدود فيه القنا والخشب *

قال : أتضحكون ؟ أمَا والله إنّ فيه لمعنَى سَوء .

قال : وكان قَبيصة[١] يقول : رأيت غُرفةً فوق البيت .

ورأى جرادًا يطير فقال : لا يَهُولنَّكم ما ترون ، فإنّ عامّتَها موتى .

وإنّه فى أوّل ما جاء الجراد قَبّل[٢] جرادةً ووضعها على عينيه ، على أنّها من الباكورة .

وهذه الأشياء ولّدها الهيثم بنُ عدىّ ، عند صنيع داود بن يزيد[٣] فى أمر تلك المرأة ما صنع[٤] .

قال أبو الحسن : وتغدَّى أبو السَّرايا[٥] عند سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذ ولىُّ عهد ، وقدّامه جَدىٌ ، فقال : كل من كُليته فإنّها تزيد فى الدماغ[٦] .

---

(١) هو قبيصة بن المهلب ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٤٥) حيث الخبر مع تاليه .

(٢) ل : « قتل »

(٣) داود بن يزيد بن حاتم المهلبي ، أحد قواد الرشيد . ل : « بن يزيد » تحريف . ولاه الرشيد السند سنة ١٨٤ ومات وهو وال عليها فى زمان المأمون سنة ٢٠٥ . انظر تاريخ الطبرى .

(٤) فى الأغانى (١٨ : ١٠٩ أن الهيثم كان تزوج امرأة من بنى الحارث بن كعب ، فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد ، فسألوه أن يفرق بينهما فقال الرشيد : أليس هو الذى يقول فيه الشاعر :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعـــل   فقدم الدال قبل العين فى النسب

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما . فأخذوه فأدخلوه دارا وضربوه بالعصى حتى طلقها . والبيت من أبيات لأبى نواس. انظرها مع خبرها فى ترجمة الهيثم بن عدى فى وفيات الأعيان .

(٥) أبو السرايا : هذا غير أبى السرايا الخارجى . وقد خرج هذا الأخير فى زمان المأمون ، واسمه السرى بن منصور ، وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود . خرج بالكوفة مع ابن طباطبا ، وكان هو القيم بأمره فى الحرب وتدبيرها وقيادة الجيش . وكان سبب الخروج ما كان من أمر صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه وتوليته ذلك الحسن بن سهل . وكان ذلك سنة ١٩٩ . وانتهت حروبه بمصرعه سنة ٢٠٠ ، حيث أمر الحسن بن سهل بضرب عنقه . انظر الطبرى فى حوادث هاتين السنتين . وقد ورد الخبر الذى رواه الجاحظ فى عيون الأخبار (٢ : ٤٧) بلفظ : « تغدى رجل عند سليمان » .

(٦) ل : « كليتيه » وأثبت ما فى سائر النسخ وعيون الأخبار . وفيما عدا ل « فإنه يزيد فى الدماغ » .

فقال : لو كان هذا هكذا ، لـكان رأسُ الأمير مثلَ رأس البغل .

وقال أبو كعبٍ : كنّا عند عيّاشِ بن القاسم ، ومعنا سَيْفُوَيه القاصّ ، فأوتينا بفالوذَجة حارّة ، فابتلَع منها سَيفويه لقمةً غِشِى عليه[1] من شدّة حرّها ، فلما أفاق قال : لقد مات لى ثلاثةُ بنينَ ما دخل جوفى عليهم من الحُرقة ما دخل جوفى من حُرقة هذه اللُّقمة !

سعيد بن أبى مالك[2] قال : جالسنى رجل ، فغَبَر[3] لا يكلّمنى ساعةً ، ثم قال : جلستَ قطُّ على رأس تَنُّورٍ فخَرِيتَ فيه آمناً مطمئنًا ؟ قال : قلت : لا قال : فإنّك لم تعرفْ شيئاً من النّعيم قطّ !

قال : وقال هشام بن عبد الملك ذاتَ يوم لجلسائه : أيُّ شىء ألذّ ؟ فقال الأبرش بن حسّان[4] : هل أصابك جَرَبٌ قط فحككته ؟ قال : مالَكَ ! أجْرَبَ الله جِلدك ، ولا فرّج [الله] عنك ! وكان آنَسَ الناس به .

***

ومن غرائب الحُمقِ : المذهب الذى ذهب إليه الكميت بن زيد ، فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول[5] :

فاعتتَبَ الشوقُ من فؤادى والشّعرُ إلى من إليه مُعتتَبُ
إلى السّراج المنيرِ أحمدَ لا تَعدِلُنى رَغبةٌ ولا رهَبُ
عنه إلى غيره ولو رفع النّاس إلىّ العيونَ وارتقبوا
وقيل أفرطتَ بل قصدتُ ولو عنّفنِى القائلون أو ثلَبوا

(١) ما عدا ل : « فغشى عليه » .
(٢) فيما عدا ل : « سعد بن مالك » .
(٣) غبر : بقى ومكث . ما عدا ل : « فقبر » تحريف .
(٤) ترجم فى (١ : ٣٤٥) .
(٥) الأبيات أنشدها فى الحيوان (٥ : ١٧٠) .

إليك يا خيرَ مَن تضمّنت الأر ضُ ولو عاب قولِي العُيَّبُ
لَجَّ بتفضيلك اللّسان ولو أُكثِر فيك الّلجاجُ واللجَبُ

فتى[1] رأى شاعراً مدح النبي صلى الله عليه وسلم فاعترض عليه واحدٌ من [جميع] أصناف الناس ، حتّى يزعمَ هو أنَّ ناساً يعيبونه و يثلبونه و يعنّفونه ؟ !

ولقد مدح النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فما زاد على قوله :

و بوركَ قَبرٌ أنتَ فيه و بوركت به وله أهـلٌ بذلك يثربُ

يعنى قبر النبي صلى الله عليه وسلم . و يثرب ، يعنى المدينة .

لقد غيّبوا بِرًّا وحزمًا ونائلاً عشيّةَ واراه الصّفيحُ المُنَصَّبُ[2]

وهذا شعر يصلُح فى عامّة الناس .

وكتب مَسلمة [بن عبد الملك] ، إلى يزيدَ بنِ المهلب : إنّك والله ما أنتَ بصاحب هذا الأمر ، صاحبُ هذا الأمرِ مغمورٌ مَوتُور وأنت مشهور غير موتور . فقال له رجلٌ من الأزد يقال له عثمانُ بن المفضّل : قدِّم ابنَك مخلداً حتّى يُقتل فتصير موتوراً[3] .

وقال : جاء ابنُ جُدَيع بن على[4] وكان ابن خالٍ ليزيد بن المهلّب ، فقال

(١) ما عدا ل : « فى » .

(٢) روى أيضا : « واراك » . والصفيح : جمع صفيحة ، وهى الحجارة العريضة . والمنصب : الذى نصب بعضه على بعض ، يعنى حجارة القبر . والبيتان فى الحيوان (٥ : ١٧١) .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٤) .

(٤) جديع بن على الأزدي المعنى الكرمانى ، شيخ خراسان وفارسها ، وأحد الرؤساء الدهاة . ولد بكرمان ، وأقام بخراسان إلى أن وليها نصر بن سيار ، فخاف شر الكرمانى فحبسه ، ثم فر من السجن وأقام زمنا يؤلف الجموع سرا ، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو وفى أثناء ذلك ظهر أبو مسلم الخراسانى فاتفق معه على قتال نصر ، ثم اجتذبه نصر إليه وخادعه بطلب الصلح ، وخرج ليكتب المعاهدة ومعه مائة فارس ، فوجه إليه نصر مائة فارس فقتلوه فى الرحبة . وذلك فى سنة ١٢٩ . الطبرى (٩ : ٩١) . ل : « لجذيع » ما عدا ل : « لحديع » صوابه بالجيم والدال المهملة .

ليزيد : زوِّجْنى بعض وَلدِك . فقال له عثمان بن المفضَّل : زوِّجه ابنَك مخلداً ، فإنه إنما طلبَ بعضَ الولد ولم يستثنِ شيئاً .

١٨ ومن الحَمقَى[1] كُثيِّر عزّة . ومن حُمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان ، فمدحه بمديحٍ استجاده ، فقال له : سَلْنى حوائجك . قال : تجعلنى فى مكان ابن رُمَّانة[2] . قال : ويلك ، ذاك رجلٌ كاتب وأنت شاعر ! فلما خرج ولم ينل شيئاً قال فى ذلك :

عجبتُ لأخذى خُطّةَ الغىِّ بعد ما ... تبيَّن من عبد العزيز قَبولُها
فإنْ عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها ... وأمكننى منها إذًا لا أُقيلُها

قال أبو الحسن : قال طارق[3] : قال ابن جابان[4] : لقى رجلٌ رجلاً ومعه كلبان ، فقال له : هب لى أحدَهما . قال : أيَّهما تريد ؟ قال : الأسود . قال : الأسود أحبُّ إلىَّ من الأبيض ! قال : فهب لى الأبيض . قال : الأبيض أحبُّ إلىَّ من كِلَيهما !

قال : وقال رجلٌ لرجل : بكم تبيع الشاة ؟ قال : أخذتُها بستّة ، وهى خيرٌ من سبعة ، وقد أُعطيتُ بها ثمانية ، فإنْ كانت حاجتُك بتسعة فزِنْ عشرة .

قال أبو الحسن : قال طارقُ بن المبارك : دخل رجلٌ على بلال فكساه ثوبين ، فقال : كسانى الأمير ثوبين ، فاتَّزرتُ بالآخَر ، وارتديتُ بالآخَرِ .

قال : ومرِض فتًى عندنا فقال له عمُّه : أىَّ شىء تشتهى ؟ قال : رأسَ كبشين . قال : لا يكون ! قال : فرأسَىْ كبش !

---

(١) ما عدا ل : « الحمقاء » تحريف . (٢) ما عدا ل : « ابن زمانة » بالزاى .
(٣) هو طارق بن المبارك ، كما سيأتى .
(٤) ل : « جلبان » وانظر ما مضى فى ص ٢١٩ س ٦ .

طارق قال : وقع بين جارٍ لنا وجارٍ له يُكنَى أبا عيسى ، كلامٌ ، فقال : اللهمّ خُذْ منّى لأبى عيسى . قيل(١) : أتدعو الله على نفسك ؟ قال : فخُذْ لأبى عيسى منّى !

أبو زكريّا العَجْلانىّ ، قال : دخل عمرو بن سعيدٍ(٢) على معاوية وهو ثقيل ، فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحتُ صالحاً . قال : أصبحَتْ عينُك غائرة ، ولونُك كاسفاً ، وأنفُك ذابلاً ، فاعهد عَهْدَك ولا تُخْدَعَنّ عن نفسك .

قال : وقال عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيانَ التيمىّ : يرحم الله عمر بن الخطاب ، كان يقول : اللهمّ إنى أعوذ بك من الزّانيات ، وأبناء الزانيات ! فقال عُبيد الله ابن زياد بن أبيه : يرحم(٣) الله عمرُ كان يقول : لم يُقِمْ جنينٌ فى بطن حمقاء ١٩ تسعة أشهرٍ إلّا خرج مائقا !

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقولون : « كونوا بُلْهاً كالحمام(٤) » .

وقال آخر : حماقة صاحبى أشدُّ ضررًا علىّ منها عليه(٥) .

وقالوا : شَرَدَ بعيرٌ لهبنّقة القيسىّ(٦) — وبجنونه يُضرب المثل — فقال : مَن جاء به فله بعيران . فقيل له : أتجعل فى بعير بعيرين ؟ فقال : إنّكم لا تعرفون فُرحة الوِجدان(٧) . واسمه يزيدُ بن ثَرْوان ، وكنيته أبو نافع .

---

(١) ما عدا ل : « قالوا » .

(٢) عمرو بن سعيد الأشدق ، المترجم فى (١ : ٣١٤) .

(٣) ما عدا ل : « رحم » .

(٤) انظر الخبر وتحقيقه ما كتبت فى حواشى الحيوان (٣ : ٨٩) .

(٥) ما عدا ل : « حماقة صاحبى على أشد ضررا منها عليه » .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ١٣٢ .

(٧) الفرحة ، بالضم ، ويفتح : المسرة .

وقال الشّاعر :

عِشْ بجَدٍّ ولا يضُرَّكَ نُوكٌ   إنّما عيشُ مَن تَرَى بالجُدُودِ
عش بجَدٍّ وكن هَبنّقةَ القَيْـ   ـسِيَّ نَوكًا أو شَيبةَ بنَ الوليدِ[1]

وهَبنّقةُ هو يزيد بن ثَرْوان ، أحد بنى قيس بن ثعلبة .

* * *

ولما خَلَع قتيبةُ بن مسلم سليمان بن عبد الملك بخراسان[2] ، قام خطيبا فقال : « يا أهل خراسان ، أتدرون مَن وليُّكم ؟ إنّما وليُّكم يزيد بن ثروان » . كناية[3] عن هَبنّقة . وذلك أنّ هبنّقة كان يحسِن إلى السِّمان ويَدَع المهازيل ، ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهان[4] . وكذلك كان سليمانُ يعطى الأغنياء ولا يعطى الفقراء ، ويقول : أُصلِح ما أصلح الله ، وأُفسد ما أفسَدَ الله .

وقال الفرزدق : ما عييتُ بجواب أحدٍ ما عَييت بجوابِ مجنونٍ بدَيرِ هِزْقِلَ[5] ، دخلتُ إليه فإذا هو مشدودٌ إلى أسطوانة ، فقلت : بلغنى أنّك حاسب .

---

(١) البيتان رويا فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢ — ٢٤٣) برواية « خالد بن الوليد » وهما مع قرين ثالث فى أمثال الميدانى واللسان (هبنق) :

رب ذى اربة مقل من الما   ل وذى عنجهية مجدود

ورابع فى اللسان (هبنق) ، وهو :

شيب يا شيب يا سخيف بنى القعـ   ـقاع ما أنت بالحليم الرشيد

وذكر الميدانى أن « شيبة بن الوليد » هذا رجل من رجالات العرب .

(٢) انظر لخبر الخلع ص ١٣٢ حيث ساق الجاحظ خطبة قتيبة .

(٣) ما عدا ل : « كنى به » .

(٤) ما عدا ل : « من » بدل « ما » فى الموضعين .

(٥) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ، يقال هو المراد بقوله تعالى : ﴿ أو كالذى مر على قرية ﴾ . وهو بكسر الهاء وسكون الزاى وكسر القاف ، أصله حزقيل ثم نقل الى هزقل ، كما ذكر ياقوت . وفى الأصل : « هرقل » تحريف . وجاء فى قول دعبل :

فكأنه من دير هزقل مفلت   حرد يجر سلاسل الأقياد

قال : ألقِ علىّ ما شئت . قلت : أمسك معك خمسة وجُلِدْتَها[1] . قال : نعم . قلت : وأمسِكْ أربعةً وجُلِدْتَها[1] . قال : نعم . قلت : كم معك ؟ قال : تسعة وجُلِدتها مرّتين .

وكان زُرَيْق الفَزارىّ يمرُّ باللّيل وهو شارب ، فيشْتُمُ أهلَ المجلس ، فإذا كان بالغداة عاتبوه[2] ، قال : نعم ، زَنَيْت أمهاتِكم فماذا عليكم ؟

قالوا : وخطب يوماً عَتَّاب بن ورقاء[3] فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنّما يتفاضل النّاس بأعمالهم ، وكل ماهو آتٍ قريب » . قالوا له : إنّ هذا ليس فى كتاب الله ! قال : ماظننتُ إلاّ أنّه فى كتاب الله[4] .

قال : وخطب عدىّ بن وَتّاد[5] الإيادى فقال : أقول كما قال العبدُ الصالح : ﴿ ما أُرِيكُمْ إلاّ ما أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إلاّ سَبِيلَ الرَّشاد ﴾ . قالوا [له] : ليس [هذا] من قول عبدٍ صالح ، إنّما هو من قول فرعون . قال : ومن قاله فقد أحسن!

وقال أعرابىّ :

خلقَ السَّماء وأهلَها فى جُمْعةٍ   وأبوكَ يمدُر حوضه فى عَامِ[6]

***

قالوا : وكان عبدُ الملك بنُ مرْوان أوّلَ خليفةٍ من بنى أميّة منع النّاسَ من الكلام عند الخلفاء ، وتقدّم فيه وتوعّد عليه ، وقال : إنّ جامعةَ عمرو بن سعيد ابن العاصِى عِندى[7] ، و إنى والله لا يقولُ أحَدٌ[8] هكذا إلاّ قلت به هكذا .

---

(١) هكذا ورد ضبطه فى ل . (٢) ما عدا ل : « فلما أن كان » .

(٣) سبقت ترجمته قريبا فى ص ٢٣٥ .

(٤) ما عدا ل : « من كتاب الله » .

(٥) كذ ورد مضبوطا فى ل . وفيما عداها « زياد » .

(٦) مدر الحوض : سد خصاص حجارته بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس .

(٧) ماعدا ل : « العاص » . والجامعة : الغل ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٨) ماعدا ل : « أحدكم » .

وفى خطبة له أخرى : إنّى والله ما أنا بالخليفة المستضعَف (وهو يعنى عثمان ابن عفّان رحمه الله) ، ولا أنا بالخليفة المُداهِن (يعنى معاوية) ، ولا أنا بالخليفة المأبون (يعنى يزيد بن معاوية) .

قال أبو إسحاق(١) : والله لولا نسبُك من هـذا المستضعف ، وسببُك من هذا المُداهِن ، لـكنتَ منها أبعد من العَيُّوق(٢) . والله ما أخذتَها من جهة الميراث ولا من جهة السّابقة ، ولامن جهة القرابة ، ولا تدّعى شُورَى ولا وصيةً .

***

قال أبو الحسن : دخل كَرْدَم السّدوسى ، على بلال [بن أبى بُردة] فدعاه إلى الغَداء فقال : قد أكلت . قال : وما أكلت ؟ قال : قليل أرز فأكثرتُ منه(٣) .

ودخـل كَردمٌ الذّراعُ أرضَ قومٍ يَذرعُها ، فلما انتهى إلى زَنَقَةٍ(٤) لم يحسن يذرّعها(٥) ، قال : هذه ليست لـكم ! قالوا : هى لنا ميراثٌ وما ينازعنا فيها إنسان قطُّ . قال : لا والله ماهى لـكم . قالوا : فحَصِّلْ لنا حسابَ ما لا تشك

(١) أى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، قال ذلك تعليقاً على ما سبق من الخطبة .

(٢) العيوق : كوكب أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن بحيال الثريا فى ناحية الشمال ، يعوق الدبران عن لقاء الثريا .

(٣) الخبر بعبارة أخرى فى عيون الأخبار (٢ : ٥٣) .

(٤) الزنقة ، بالتحريك : السكة الضيقة فيها التواء . ذكرت فى اللسان وليست فى القاموس .

(٥) التذريع : التقدير بالذراع . وقد حذف « أن » قبل الفعل ، وذلك قليل ، وقد سمع ، فقال البصريون : إنه شاذ . وذهب الكوفيون وبعض البصريين إلى القياس عليه . وأجازه الأخفش بشرط رفع الفعل . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧) والإنصاف لابن الأنبارى ٢٣٢ — ٢٣٥ والتصريح بشرح التوضيح (٢ : ٢٤٥) واللسان (ريث) والمغنى (٢ : ١٧٢) والرسالة للشافعى ١٦٧ ، ٧٣١ ، ١٧٣٢ والخزانة (٣ : ٦٢٣) . وقد ورد نحو هذا التعبير فى الحيوان (٦ : ٤٦٥) : « وإن كان لا يحسن يبنى » . وانظر كذلك (٥ : ٢٢٥) . فيما عدا ل : « لم يحسن تذريعها » .

فيـه . قال : عشرون فى عشرين مائتان ، قالوا : من أجل هذا الحساب صارت الزَّنقة ليست لنا .

قالوا : ودخل عُكابة بن نُمَيلة النُّميرىّ دارَ بلال بن أبى بردة ، فرأى ثوراً مُجلَّلاً ، فقال : ما أفرهَهُ من بَغلٍ لولا أنّ حوافره مشقوقة .

* * *

٢١ ومن النَّوكَى ، وممن ربما عدُّوه من المجانين : ابن قنَانٍ الأزدىّ [٢] ، وضَرب به المثل ابنُ ضَبٍّ العَتَكىُّ ، فى قوله لجُدَيع بن علىٍّ [٣] ، خالِ يزيدَ ابنِ المهلَّب حيث يقول :

لولا المهلَّبُ يا جُدَيْعُ ورُسْــلُهُ ... تغدُو عليك لكنت كابن قنَانِ [٤]
أنت المرَدَّد فى الجيــادِ وإنَّما ... تأتى سُكَيتاً كلَّ يوم رِهَانِ [٥]

وقال آخر يهجو امرأةً بأنها مِضياعٌ خرقاء :

وإنَّ بلائى من رَزِينــة كُلَّمَا ... رجوتُ انتعاشًا أدركتنى بِعاثِرِ [٦]
تبرِّدُ ماء الشَّنِّ فى ليلة الصَّبَا ... وتستعمل الكَرْكُورَ فى شهر ناجِرِ [٧]

---

(١) ما عدا ل : « عشرين فى عشرين مائتين » .
(٢) ما عدا ل : « ابن قنان الأذرى » . وانظر ما سبق فى س ٢٢٦ .
(٣) سبقت ترجمته فى س ٢٤٠ .
(٤) ما عدا ل : « كابن قنان » .
(٥) السكيت ، بضم ففتح ، وقد تشدد الكاف : آخر خيل الحلبة .
(٦) ما عدا ل : « من درينة » .
(٧) الشن ، بالفتح ، وبالضم : شبه دلو يتخذ من أدم يبرد فيه الماء . والكركور : واد بعيد القعر . وناجر ، من شهور الصيف . وقد أنشد هذا البيت فى اللسان (نجر) منسوبا إلى مركة الأسدى برواية :

تبرد ماء الشن فى ليلة الصبا ... وتسقيى الكركور فى حر آجر

وذكر قبله : « وشهرا ناجر وآجر أشد ما يكون من الحر . ويزعم قوم أنهما حزيران وتموز . قال : وهذا غلط ، إنما هو وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ » .

وفى خطأ العلماء

قال أبو الحسن : قال الشَّعْبِيّ : سايرت أبا سَلَمَةَ بن عبد الرحمن بن عوف[١] وكان بينى و بين أبى الزِّناد[٢] ، فقال : بينكما عالم أهل المدينة . فسألته امرأةٌ عن مسألةٍ فأخطأ فيها .

وقال طرفة يهجو قابوس بن هندٍ الملكَ :

لعمركَ إنّ قابوسَ بنَ هنـدٍ ليخلِطُ مُلكَهُ نوكٌ كثيرُ[٣]
قَسَمتَ الدَّهرَ فى زمنٍ رخىٍّ كذاك الحُكمُ يَقصِدُ أو يجورُ[٤]
لنـا يومٌ وللـكِرْوان يومٌ تطير البائساتُ وما نطيرُ[٥]
فأمّا يومُنا فنظـلُّ رَكْبًا وقوفًا ما نحـلُّ وما نَسيرُ
وأمّا يومُهنّ فيـومُ بُؤْسٍ يطارِدُهنّ بالحَدَبِ الصُّقورُ[٦]

---

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهرى المدنى . قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . كان ثقة فقيها كثير الحديث ، وكان من سادات قريش توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب (١٢ : ١١٥) .

(٢) هو أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشى المدنى ، تابعى ثقة فقيه صالح الحديث ، وكان فصيحا بصيرا بالعربية ، توفى سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) الأبيات فى ديوان طرفة ٦ — ٧ والخزانة (١ : ٤١٢) وهى من قصيدة له يهجو بها عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، وأخاه قابوس بن المنذر . وأمهما هند بنت الحارث ابن حجر الكندى .

(٤) قسمت ، التفات إلى عمرو بن هند المذكور فى الشعر قبل ، وكان له كما ذكروا يومان . فى يوم خروجه للصيد يقتل أول من يلق . وفى يوم نعيمه يقف الناس ببابه فيأذن لمن شاء منهم ، ومن لم يأذن له ظل بالباب واقفا .

(٥) الكروان ، بالكسر : جمع كروان بالتحريك ، ومثله ورشان وورشان ، وشقذان وشقذان . والبائسات يروى أيضا بالنصب بالقطع على معنى الترحم . ويروى أيضا : « ولا نطير » ، وهى رواية الديوان .

(٦) ويروى : « فيوم سوء » . والحدب ، بالتحريك : ما ارتفع من الأرض وغلظ . وفى الشعر إشارة إلى أنه كان يستعمل الصقر فى الصيد .

الفَلُوشكيّ قال : قلتُ لأعرابيّ : أيّ شيء تقرأ فى صلاتك ؟ قال : أمّ الكتاب ، ونسبة الرّبّ ، وهِجاء أبى لهب .

وكان الفَلُوشكى البكراوىّ [(١)] أجنّ الناس وأعيا الخلقِ لسانًا ، وكان شديد القِمارِ ، شديد اللعب بالوَدَع [(٢)] . قال ابنُ عمّ له : وقفت على بقيّةِ تمرٍ ٣٢
فى بَيدرٍ لى ، فأردتُ أن أعرِفهُ بالحَزْر ، ومَعَنا قومٌ يُجيدون الخَرْص [(٣)] ، وقد قالوا فيها واختلفوا ، فهجم علينا الفَلُوشكى فقلت له : كم تحزُرُ هذا التّمر ؟ قال : أنا لا أعرف الأكرَار وحسابَ القُفْزَان [(٤)] ، ولكنْ عندى مِرْجَلٌ أطبخ فيه تمرَ نبيذِى ، وهو يسع مَكّوكين [(٥)] ، وهذا التّمر يكون فيه مائتين وستّين مِرْجلا . قال : فلا واللهِ إنْ أخطأ بقفيز واحد .

قالوا : وقال المهلَّب يومًا والأزد حوله : أرأيتم قول الشاعر :

إذا غُزُر المَحَالِب أتأقتهُ ... يمجُّ على مناكِبهِ الثُّمالا [(٦)]

وإلى جنب غَيلان بن خَرَشة [(٧)] شيخٌ من الأزد ، فقال له : قل هو لَبَن الفحل [(٨)] . فقالها . فقال المهلَّب : ويلكم ، أمَا جالستم النّاس ؟!

---

(١) البكراوى : إما نسبة إلى بكراباذ ، وهى ضاحية جرجان ، ينسب إليها بكراوى وبكراباذى ، وإما نسبة إلى أبى بكرة الثقفى الصحابى ، وهو صحابى نزل البصرة . انظر السمعانى ٨٨ . ما عدا ل : « البكرادى » تحريف .

(٢) الودع بالفتح والتحريك : خرز بيض جوف فى بطونها شق كشق النواة ، وفى جوفها دويبة كالحلمة . وكانت تستعمل فى القمار . وجاء فى وصية عثمان الخياط للصوص : « والودع رأس مال كبير ، وأول متاعه الحذف بالقفف » . الحيوان (٢ : ٣٦٧) .

(٣) الخرص : الحزر ، وهو تقدير الشىء بالظن .

(٤) الأكرار : جمع كر ، بالضم ، وهو مكيال لأهل العراق ، وهو ستون قفيزاً أو أربعون أردبا . والقفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال يسع ثمانية مكاكيك .

(٥) المكوك ، كتنور : مكيال يسع صاعا ونصف ، أو هو نصف الويبة .

(٦) الغزر : جمع غزيرة . ل : « غر » ، ما عدا ل : « غرز » ، والوجه ما أثبت . أتأقته : ملأته كله . والثمال ، بالضم : رغوة اللبن .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .

(٨) كذا فهم غيلان أو أراد أن يفهم . وإنما عنى الشاعر وطب اللبن أو نحوه .

وأنشد بعضُ أصحابنا :

أَلِكْنى إلى مَولى أُكَيْمَةَ وانْهَهُ   وهل ينتهى عن أوّل الزجر أحمَقُ[(١)]

وزعم الهيثم بن عدىٍّ عن رجاله ، أن أهل يَبْرِينَ[(٢)] أخفُّ بنى تميم أحلاماً ، وأقلُّهم عقولا .

***

قال الهيثم : ومن النَّوكى : عُبيد الله بن الحُر[(٣)] ، وكنيته أبو الأشوس[(٤)] .

قال الهيثم : خطب قَبيصَة[(٥)] ، وهو خليفة أبيه على خراسان وأتاه كتابُه ، فقال : هذا كتابُ الأمير ، وهو والله أهلٌ لأن أطيعَه ، وهو أبى وأكبر منّى .

وكان فيما زعموا ابنٌ لسَعيدٍ الجوهرىّ[(٦)] يقول : صلى الله تبارك وتعالى على محمد صلّى الله عليه وسلم .

قال أبو الحسن : صعِد عدىُّ بن أرطاةَ على المنبر ، فلما رأى جماعةَ النـاس حَصِرَ فقال : الحمدُ لله الذى يُطعم هؤلاء ويسقيهم !

وصعِد رَوح بن حاتم المنبر ، فلما رآهم قد شَفَنوا أبصارهم[(٧)] ، وفتحوا أسماعَهم نحوه ، قال : « نكِّسوا رءوسكم ، وغُضُّوا أبصارَكم ؛ فإنّ المنبر مَركبٌ صعب ، وإذا يسّر الله فتح قُفلٍ تيسَّر » .

---

(١) ألِكْنى : تحمل ألوكته ، وهى الرسالة .

(٢) يبرين ، ويقال لها أبرين بالهمز : قرية كثيرة النخل بحذاء الأحساء من بلاد بنى سعد بالبحرين . وفى مقدمة معجم البكرى : « وقذفت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين . وتلك الرمال ، حتى خالطوا بنى عامر بن عبد القيس فى بلادهم قطر ، ووقعت طائفة منهم إلى عمان وصارت قبائل منهم بين أطراف البحرين إلى ما يلى البصرة ، ونزلوا هنالك إلى منازل ومناهل كانت لإياد بن نزار ، فرفضتها إياد وساروا عنها إلى العراق » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) .

(٤) ما عدا ل : « أبو الأبرش » .

(٥) قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة .

(٦) ما عدا ل : « ابن السعيد الجوهرى » .

(٧) الشفن : أن يرفع طرفه ناظرا إلى الشىء كالمتعجب . ل : « شفت » تحريف .

٢٣ قالوا : وصعد عثمان بن عفان ، رحمه الله ، المنبرَ فأُرْتج عليه فقال : «إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالاً ، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمام خطيب» .

قال : وقالوا لزيادٍ الأعجم : لِمَ لا تهجو جريرا ؟ قال : أليس الذى يقول :

كأنّ بنى طُهَيّةَ رهطَ سَلْمَى حجارة خارئٍ يرمى الكِلابَا[١]

قالوا : بلَى . قال : ليس بينى و بين هذا عمل .

قال أبو الحسن : خطب مُصعب بن حيّان أخو مقاتل بن حيان ، خطبةَ نكاح ، فحَصِرَ فقال : لقِّنُوا موتاكم قول لا إله إلا الله . فقالت أمُّ الجارية : عجّل الله موتَك ألهذا دعوناك ؟ !

وخطب أمير المؤمنين المُوَالى[٢] — وهكذا لقبه — خطبةَ نكاح ، فحَصِر فقال : اللهم إنّا نحمَدك ونستعينك ، ونشرِك بك[٣] .

وقال مولًى لخالد بن صفوان : زوِّجْنى أمَتَك فلانة . قال : قد زوّجْتُكها ، قال : أفأُدخِل الحىَّ حتّى يحضُروا الخطبة ؟ قال : أدخلْهم . فابتدأ خالد فقال : أمّا بعد فإنّ الله أجلُّ وأعزُّ من أن يُذكَر فى نكاح هذين الكلبين ، وقد زوّجتُ[٤] هذه الفاعلةَ من هذا ابنِ الفاعلةِ .

وقال إبراهيم النّخَعى لمنصور بن المعتمر : سل مسألةَ الحمقى ، واحفَظْ حِفظ الكَيْسى[٥] .

---

(١) ديوان جرير ٦٦ وما عدا ل : «يرى كلابا» . وسلمى : امرأة من طهية هى بنت عم أبى البلاد الطهوى الشاعر ، وكان قد خطبها فاعتل عليه أبوها وزوجها رجلا آخر فلما علم بذلك قصد إليها فقتلها . فعير جرير بنى طهية بذلك . وبعد البيت :

رأين سواده فدنون منه فيرميهن أخطأ أو أصابا

(٢) كذا ضبط فى ل بضم الميم .

(٣) ما عدا ل : «ولا نشرك بك» .

(٤) ما عدا ل : «زوجنا» .

(٥) ما عدا ل : «الأكياس» .

قال : ودخل كُثيِّر عزّة — وكان محمَّقاً ، ويُكنَى أبا صخر — على يزيدَ ابنِ عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين : ما يعنى الشمَّاخُ بن ضِرارٍ بقوله :

إذا الأرْطَى توسَّدَ أبرَدَيهِ خُدودُ جوازِئٍ بالرَّمل عِينِ[١]

قال يزيد : وما يضر أمير المؤمنين ألا يعرف ما عَنَى هذا الأعرابىُّ الجِلفُ ؟ فاستحمقه وأخرجه .

قالوا : وكان عامر بن كُرَيز[٢] يحمَّق . قال عَوانةُ[٣] : قال عامرٌ لأمّه : مَسِسْتُ اليومَ بُرْدَ العاص بن وائلٍ السهمى . قال : ثَكِلتك أمُّك ، رجلٌ بين عبد المطلب بن هاشم و بين عبد شمس بن عبد مناف ، يفرَحُ أن تصيب يدُه بُرْدَ رجل من بنى سهمٍ ؟

وانما حَصِر عبدُ الله بن عامر على مِنبر البصرة ، فشق ذلكَ عليه قال له زياد : أيها الأمير ، إنك إن أقمتَ عامّة مَن ترى أصابه أكثرُ مما أصابك . ٢٤

وقيل لرجل من الوجوه : قمْ فاصعد المنبر وتكلمْ . فلما صعِدَ حَصِر وقال : الحمد لله الذى يرزُق هؤلاء ! و بقى ساكتاً ، فأنزلوه .

وصعِد آخر فلما استوى قائماً وقابل بوجهه وجوهَ الناس وقعت عينُه على صَلَعة رجُل[٤] فقال : اللهم العن هذه الصَّلَعة !

وقيل لوازعٍ اليشكُرىّ : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما رأى جَمْع الناس قال : لولا أنّ امرأتى حملَتْنى على إتيان الجمعةِ اليوم ما جَمَّعتُ[٥] ، وأنا أُشهِدكم أنها [منّى] طالقٌ ثلاثا !

---

(١) ديوان الشماخ ٩٤ . الأبردان : الغداة والعشى . والجوازئ : بقر الوحش .
(٢) هو والد عبد الله بن عامر بن كريز ، المترجم فى (١ : ٣١٨) .
(٣) عوانة بن الحكم الكلبي الأخبارى ، المترجم فى (١ : ٣١٦) .
(٤) الصلعة بالتحريك ، وبالضم : موضع الصلع .
(٥) جمع الرجل ، بتشديد الميم : صلى الجمعة . وفى الحديث : «أول جمعة جمعت بالمدينة» .

ولذلك قال الشاعر :

وما ضرَّنى أن لا أقوم بخطبة ... وما رغْبتِى فى ذا الذى قال وَازِعُ

قال : ودخلتُ على أنس بن أبى شيخ[1] ، وإذا رأسه على مِرفَقَةٍ ، والحجَّام يأخذ من شعره ، فقلت له : ما يحملك على هذا ؟ قال : الكسل . قال : قلت : فإن لقمان قال لابنه : إيَّاك والكسل ، وإيَّاك والضَّجَر ؛ فإنّك إذا كَسِلتَ لم تؤدِّ حقًّا[2] ، وإذا ضجِرت لم تصبرْ على حقّ . قال : ذاك والله أنَّه لم يعرف لذّةَ الفسُولة[3] .

قال : وقيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل[4] .

وقال الآخر :

أطال الله كيس بنى رَزِين ... وحُمْقِى أنْ شَرَيتُ لهم بِدَيْنِ[5]

أأكتب إبْلَهمْ شاء وفيها ... بِرَبعِ فِصَالها بِنتَا لَبُونِ[6]

فما خُلِقوا بكَيسهم دُهاةً ... ولا مُلجاء بَعدُ فيعجبونى[7]

وذكر الآخر الكَيْس ، فى معاتبته[8] لبنى أخيه ، حين يقول :

---

(١) كان أنس بن أبى شيخ من البلغاء الفضلاء ، وكان كاتباً للبرامكة ، وقتله الرشيد على الزندقة سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة ، صبح الليلة التى قتل فيها يحيى . انظر لسان الميزان والطبرى (١٠ : ٨٥) والبداية لابن كثير (١٠ : ١٩٠ — ١٩١) .

(٢) ل : « لم ترج حقاً » .

(٣) الفسولة : الرذالة والنذالة . ما عدا ل : « الكسولة » تحريف .

(٤) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

(٥) فى البيت سناد . شرى بمعنى باع . ما عدا ل : « شربت لهم » تحريف .

(٦) الربع : الزيادة . والفصيل : ولد الناقة . وبنت اللبون : التى أتى عليها سنتان ودخلت فى الثالثة ، فصارت أمها لبونا ، أى ذات لبن ، لوضعها أخرى .

(٧) المُلجاء ، بالجيم . جمع مليج ، وهو الرجل الجليل . ل : « ملحاء » : جمع مليح .

(٨) ما عدا ل : « معاتبة » .

عفاريتاً علىّ وأكْلَ مالى ... وعجزاً عن أناسٍ آخرينا[1]
فهلاَّ غيرَ عمِّكم ظلَمتُمْ ... إذا ما كنتمُ متظلِّمينا
ولو كنتم لِكَيِّسَةٍ أكاسَتْ ... وكَيْسُ الأم أكْيَسُ للبنينا

وقال بعضهم : عيادَة النَّوكى الجلوس فوق القَدْر ، والجىء فى غير وقت .

وعاد رجلٌ رقبةَ بن الحرّ ، فنَعى رجالا اعتلُّوا من علّته ، فنعى بذلك إليه نفسه ، فقال له رقَبة ، إذا دخلتَ على المرضى فلا تَنعَ إليهم الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تَعُدْ إلينا .

وسأل معاوية ابن الكوّاء[2] عن أهل الكوفة ، فقال : أبحثُ الناس عن صغيرة ، وأتركهُ لِكبيرة .

وسئل شريكٌ[3] عن أبى حنيفة فقال : أعلم الناس بما لا يكون ، وأجهل الناس بما يكون[4] .

وسأل معاوية دَغفَلاً النسّابة عن اليمن ، فقال : سيّدٌ وأنْوك .

وذُكِرَ عُيَينة بن حِصْن[5] ، عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « الأحمق المطاع » .

---

(١) سبقت الأبيات والكلام على نسبتها إلى رافع بن هريم فى (١ : ١٨٠) .

(٢) ابن الكواء ، هو عبد الله بن عمرو ، من بنى يشكر ، كان ناسباً عالماً من شيعة على . وفيه يقول مسكين الدارى :

هلم إلى بنى الكواء تقضوا ... بحكمهم بأنساب الرجال

ابن النديم ١٣٣ والمعارف ٢٣٣ . وفى الاشتقاق ٢٠٥ : « وكان خارجياً وكان كثير المسألة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، كان يسأله تعنتاً » . وفى الأغانى (١٣ : ٥٢) أنه كان مع الشراة الذى حاربهم المهلب .

(٣) هو شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى الكوفى القاضى . ولد ببخارى سنة ٩٠ ومات سنة ١٧٧ ، وولى القضاء بواسط سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٢٢ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الحيوان (١ : ٣٤٧/٣ : ١٩) والمسئول فيه « حفص بن غياث » لا « شريك » .

(٥) ماعدا ل : « عتبة بن حصين » تحريف . والخبر رواه ابن حجر فى الإصابة ٦١٤٦ =

وجُنّ أعرابىٌّ من أعراب المِرْبَد ، ورماه الصِّبيان ، فرَجَم ، فقالوا له : أما كنت وقوراً حليما ؟ فقال : بلى بأبى أنتم وأمى ، والله ما استحققت إلا قريباً . وكان أول جنونه من عبث الناس به .

ورمى إنساناً فشجَّه ، فتعلَّق به ، وهو لايعرفه [وضمَّه إلى الوالى] فقال له الوالى : لم رميْتَ هذا وشجَجته ؟ فقال : أنا لم أرمِه ، هو دخل تحت رَمْيتى .

وكان وَكيعُ بن الدَّورقيـة(١) يحمَّق ، قال الوليد بن هشام القحذمىّ أبو عبد الرحمن(٢) ، قال : أخبرنى أبى ، قال : لمَّا قدِمَ أميَّةُ(٣) خُراسان قيـل له : لم لا تُدْخل وكيع بن الدَّورقيَّة فى صحابتك ؟ قال : هو أحمق . فركِب يوماً وسايره فقال : ما أعظم رأسَ بِرذَونك ! قال : قد كفاك الله حَمْـله . ثمّ سايره قليلا فقال : أصلحك الله ، أرأيتَ يومَ لقيتَ أبا فُديك(٤) مامنَعَك أن تكون قد قدَّمتَ رِجْلاً وأخَّرتَ رِجْلا ، وداعَسْت بالرمح حتى يفتحَ الله عليك ؟ قال : اغرُب قبَحك الله ! وأمَرَ به فنُحِّى .

وساير سعيدُ بن سَلْمٍ(٥) موسى أمير المؤمنين(٦) ، والحربةُ فى يد عبد الله بن

= عند ترجمة عيينة . وهو أبو مالك عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى . كان من المؤلفة قلوبهم ، أسلم قبل الفتح ، وشهدها وشهد حنيناً والطائف ، ثم ارتد فى عهد أبى بكر ومال إلى طلحة وبايعه ، ثم عاد إلى الإسلام . وكان فيه جفاء أهل البوادى ، جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة ، فقال : من هذه — وذلك قبل أن ينزل الحجاب — فقال : هذه عائشة . فقال : ألا أنزل لك عن خير منها ؟ ! فغضبت عائشة فقالت : من هذا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « هذا الأحمق المطاع » ، أى فى قومه . وانظر (١ : ٣١٧) .

(١) هو وكيع بن عميرة القريعى السعدى ، المعروف بابن الدورقية ، وهى أمه ، كانت من سبى دورق بلد بخوزستان ، يقال لها دورق الفرس . ووكيع هذا هو الذى تولى قتل عبد الله بن خازم السلمى الخارج على عبد الملك سنة ٧٢ . انظر الطبرى (٧ : ١٩٦) وكامل المبرد ٢٧٦ ليبسك .

(٢) ترجمة الوليد بن هشام فى (١ : ٦١ ، ٢٤٣) .

(٣) هو أمية بن عبد الله بن أسيد ، أحد ولاة خراسان .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٤ . (٥) ترجم فى ص ٤٠ .

(٦) هو موسى الهادى بن محمد المهدى ، أخو الرشيد هارون بن المهدى .

٣٦ مالك(١) ، وكانت الرِّيح تَسْفِي التُّراب الذى تثيره دابّة عبد الله بن مالك فى وجه موسى ، وعبدالله لايشعر بذلك ، وموسى يَحيد عن سَنَن التُّرابِ ، وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ موضعَ مسير موسى ، فيتكلّف أن يسير على محاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التُّراب ، فلمّا طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سَلْم فقال : ألا تَرَى ما نلقى من هذا الحائن(٢) فى مسيرنا هذا ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصَّر فى الاجتهاد ، ولكنه حُرِمَ التوفيق .

وسايَرَ البِطريق الذى خَرَج إلى المعتصم من سور عَمُّورِيَّةَ(٣) ، محمّدَ بنَ عبدالملك ، والأفْشِينَ بنَ كاوُس ، فساوم كلَّ واحدٍ منهما ببرذونه ، وذكر أنه يرغِّبهما أو يُرْبِحهما(٤) . فإذا كان هذا أدبَ البِطريق ، مع محلِّه من المُلك والمملكة ، فما ظنُّك بمن [هو] دونَه منهم !

ولما استجلس المعتصمُ بِطْريق خَرْشَنة ، تربَّع ثم مدّ رجله(٥) .

وقال زياد : ما قرأتُ مثلَ كتُبُ الرَّبيع بن زياد الحارثىّ ، ما كتَبَ إلىّ إلاّ فى اجتلاب منفعة(٦) ، أو دفع مَضَرّةٍ ، وما كان فى مَوكِبى(٧) قطُّ فتقدم عِنانُ دابّته عِنانَ دابّتى ، ولا مسّت ركبتُهُ ركبتى ، ولا شاورتُ الناسَ فى أمرٍ قطّ إلا سَبقهم إلى الرأى [فيه] .

(١) كان عبد الله بن مالك من قواد موسى الهادى ، وكان ممن طلبوا إلى الهادى أن يخلع هارون ويبايع جعفراً ابنه . وقد أوقع به الفضل بن سهل فى خطبة ذكرها الجهشيارى ، وضربه المأمون فى تهمة ساقها إليه الفضل . انظر الجهشيارى ١٧٤ ، ٣١٤ — ٣١٦ .

(٢) الحائن : الهالك . ما عدا ل : « الخائن » تحريف .

(٣) عمورية : بلد من بلاد الروم ، غزاه المعتصم سنة ٢٢٣ بسبب أسر العلوية واستصراخها ، وكان فتح عمورية من أعظم فتوح الإسلام .

(٤) ل : « وربحهما » .

(٥) ما عدا ل : « ومد رجليه » .

(٦) ما عدا ل : « اجترار منفعة » .

(٧) ل : « من مركبي » تحريف .

وكان علَى شُرَط زيادٍ ، عبدُ الله بن حصن التغلبى[١] ، صاحب مقبرة بنى حصن[٢] ، والجعد بن قيس [النَّمرىّ] صاحب طاق الجعد ، وكانا يتعاقبان مجلسَ صاحب الشُّرطة ، فإذا كان يومُ حَمْلِ الحربةِ سارا بين يديه معًا ، فجرى بينهما كلامٌ وهما يسيران بين يديه ، فكان صوتُ الجعد أرفعَ وصوتُ عبدِ الله أخفض . فقال زياد لصاحب حربته[٣] : تناولِ الحربةَ من يد الجعد ، ومُرْه بالانصراف إلى منزله .

وعدَا رجلٌ من أهل العسكر بَين يدى المأمون ، فلما انقضى كلامُه قال له بعضُ مَن يسير بقربه : يقول لك أميرالمؤمنين : اركبْ . قال : قال المأمون : لا يقال لمثل هذا اركبْ ، إنّما يقال لمثل هذا انصرفْ .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم مِن تحيّة النَّوكَى . فإذا أردتَ أن تقول : كيف أصبح الأمير فقل : صبّح الله الأمير بالكرامة والنّعمة ! وإذا أردتَ أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه فقل : أنزل الله على [٢٧] الأمير الشّفاء والرحمة ! والمسألة تُوجِب الجواب ، فإنْ لم يجبْك اشتدّ عليك ، وإن أجابك اشتدّ عليه .

وقال محمّد بن الجهم : دخلت على المأمون فقال لى : ما زال أمير المؤمنين إليك مشتاقاً ! فلم أدرِ جوابَ هذه الكلمةِ بعينها ، وأخذتُ لا أقصّر فيما قدرت عليه من الدُّعاء .

قال أبوالحسن : قال ابن جابان : قال المهدىّ : كان شبيب بن شيبة[٤] يسايرُنِى فى طريق خراسان ، فيتقدّمُنى بصدر دابّته فقال لى يوما : «ينبغى لمن سايرَ

---

(١) ما عدا ل : « ابن الحصين التغلبى » .
(٢) ما عدا ل : « بنى حصين » .
(٣) ل : « حرسه » صوابه مما عدا ل .
(٤) ترجم فى (١ : ٢٤) .

خليفةً أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفةُ أن يسأله عن شىء لا يلتفتُ إليه ، ويكونَ من ناحيةٍ إن التفت لم تستقبلْه الشّمس » . قال : فبينا نحن كذلك انتهينا إلى مَخاضَـةٍ ، فأقحمْت دابّتى ، ولم يقفْ واتّبعنى ، فملأ ثيابى ماء وطيناً . قال : فقلت : يا أبا معمر ، ليس هذا فى الـكتاب ؟

قال الهيثمُ بن عدىّ : كنت قائماً إلى جنب حُمَيد بن قَحطَبَة[1] وهو على برذون ، فتفاجّ البِرذونُ ليبول ، فقال [لى] : تنحّ لا يهرِقْ عليك البرذون الماء .

وجاء رجل إلى محمد بن حرب الهلالىّ[2] بقومٍ فقال : إنّ هؤلاء الفُسّاقَ ما زالوا فى مَسيس هذه الفاجرة . قال : ماظننت أنه بلغ من حُرمة الفواجر ماينبغى أن يُـكْنَى عن الفجور بهنّ .

وقلت لرجل من الحُسّـاب : كيف صار البِرذون المتحصِّن[3] ، على البغلة أحرصَ منه على الرَّمَـكة[4] ، والرَّمكةَ أشكل بطبعه ؟ قال : بلَغنى أنّ البغلة أطيَبُ خلوة .

وقال صـديقٌ لنا : بعث رجلٌ وكيلَه إلى رجلٍ من الوجوه يقتضيه مالا له

---

(١) كان حميد بن قحطبة من ولاة الدولة العباسية وقوادها ، ولى إمرة مصر سنة ١٤٢ ووجهه المنصور لقتال محمد بن عبد الله بن الحسن عند خروجه بالمدينة سنة ١٤٥ ، ولغزو أرمينية سنة ١٤٨ ، وكابل سنة ١٥٢ . وولاه المنصور خراسان سنة ١٥٢ ، وكان المنصور ينفس علـيه نفوذه وجاهه ، ففكر فى التخلص منه ، فـكتب له كتاباً إلى زفر بن عاصم والى حلب ، وأمره بأن يسير إليه ويسلمه الـكتاب ، وكان فيه : « إذا قدم عليك حميد فاضرب عنقه » فارتاب فى ذلك ، حتى إذا كان ببعض الطريق فض الـكتاب وعرفه ، فعـدل عن طريقه وعاد إلى العراق . وتوفى حميد وهو عامل للمهـدى على خراسان سنة ١٥٩ . الطبرى وابن الأثير فى حوادث ١٤٢ — ١٥٩ والمعارف ١٦٥ .

(٢) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٧ : ٨٨) أنه كان على شرطة محمد بن سليمان العباسى .

(٣) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وفى القاموس : « وتحصن : صار حصاناً بين التحصن » . وقد استعمل الجاحظ هذه الـكلمة فى الحيوان (٢ : ١٤١ / ٤ : ٤٠٢) .

(٤) الرمكة : الفرس والبرذونة التى تتخذ للنسل ، فارسى معرب . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .

عليه ، فرجع إليه مضروباً ، فقال : مالك ويلك[١] ؟ قال : سبّك فسببته فضربنى . قال : وبأىّ شىء سبّنى ؟ قال : هَنُ الحمار فى حِرِ أمّ مَن أرسلك . قال : دعنى من افترائه علىّ ، أنت كيف جعلتَ لأير الحمار من الحُرمة ما لم تجعله لحِرِ أمّى ؟ فهلاّ قلت أير الحمار فى هَن أمّ مَن أرسلك ؟ !

* أبو الحسن قال : كان رجلٌ من ولد عبد الرحمن بن سَمُرة[٢] ، أراد ٢٨
الوثوبَ بالشام ، فحُمِل إلى المهدىّ ، فخلّى سبيلَه وأكرمَه وقرّب مجلسَه ، فقال له يوماً : أنشدنى قصيدةَ زهير ، التى أوّلها :

لِمَن الدّيارُ بقُنّـةِ الحِجْرِ   أقوَيْنَ من حِجَجٍ ومن شَهْرِ

فأنشده فقال المهدى : ذهب والله من يقول مثل هذا . قال السَّمُرىّ : وذَهَب واللهِ مَن يقال فيه مثل هذا . فغضِب المهدىُّ واستجهلَه ونحّاه ولم يعاقبْه ، واستحمقَه الناس .

ولما دخل خالد بن طَلِيقٍ[٣] على المهدىّ مع خصومه ، أنشد قول شاعرهم :

---

(١) ما عدا ل : « ما بالك ويلك » .

(٢) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ، أحد الصحابة الذين أسلموا يوم الفتح وكان اسمه عبد كلال ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن . سكن البصرة وافتتح سجستان ، وكابل ، وغيرهما ، ورجع إلى البصرة فمات بها سنة خمسين . الإصابة ٥١٢٥ وتهذيب التهذيب .

(٣) خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين الخزاعى ، ذكر ابن النديم فى الفهرست ١٣٩ أنه كان أخباريا نسابة ، وكان معجباً تياها ، ولاه المهدى قضاء البصرة بعد أن عزل عبيد الله بن الحسن بن الحر العنبرى . وذكر أبو الفرج فى الأغانى أنه ولى قضاء البصرة على حين ولى عيسى بن سليمان الإمارة بها ، فقال ابن مناذر يهجوهما :

الحمد لله على ما أرى   خالد القاضى وعيسى أمير
لكن عيسى نوكه ساعة   ونوك هذا منجنون يدور

الأغانى (١٧ : ٢٧) . وفيه يقول ابن مناذر (الأغانى ١٧ : ٢٤) :

أصبح الحاكم بالنا   س من آل طليق
جالساً يحكم فى النا   س بحكم الجاثليق

وانظر لسان الميزان (٢ : ٣٧٩) .

إذا القرشىُّ لم يَضرِب بعرقٍ خزاعىٍّ فليس من الصميمِ

فغضب المهدىّ فقال : أحمق . فأنشد خالد فقال :

إذا كنتَ فى دارٍ فحاولت رِحلةً فدَعْها وفيها إن أردتَ مَعادُ

فسكن عند ذلك المهدىُّ .

وقال بشّار :

خليلىَّ إنّ العُسرَ سوف يفيقُ وإنّ يساراً من غدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلا كالزّمانِ إذا صحا صحوتُ وإن ماقَ الزّمان أمُوقُ

* * *

قالوا : ومن النّوكى : أبو الرّبيع العامرىّ[1] ، واسمُه عبدالله ، وكان وَلِىَ بعض منابر اليمامة . وفيه يقول الشاعر :

شهدتُ بأنّ الله حقٌّ لقاؤه وأنّ الرّبيعَ العامرىّ رَقيعُ
أقاد لنا كلباً بكلب ولم يَدَعْ دماء كلابِ المسلمين تَضيعُ

قالوا : ومن النّوكى : ربيعةُ بن عِسْلٍ[2] ، أحد بنى عمرو بن يربوع ،
وأخوه صَبِيغ بن عِسْلٍ[3] .وفد ربيعة على معاوية فقال له معاوية : ماحاجتُك ؟ ٢٩

---

(١) كذا فى النسخ ، وهو ما يقتضيه الكلام بعد ، أن اسمه « عبد الله » . لكن الشعر وما ورد فى عيون الأخبار (٢ : ٤٩) يشعر بأن اسمه « الربيع » لا « أبو الربيع » .

(٢) عسل ، بكسر العين ، كما فى الاشتقاق ١٣٩ . قال : ومنهم ربيعة أخو صبيغ ، وكان مع عائشة رضى الله عنها يوم الجمل . فأتى به علىّ أسيراً ، فمن عليه على رضى الله عنه ولحق بمعاوية » .

(٣) صبيغ ، بفتح الصاد المهملة وآخره غين معجمة . قال ابن دريد : « كان يحمق فوفد على معاوية ... ... وكان صبيغ هذا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له : خبرنى عن الذاريات ذروا . فقال : الحس عن رأسك . فإذا له ضفيرتان فقال : لو كان محلوقا ماشككت فيك . يريد أنه من الخوارج . ثم كتب إلى أمير البصرة ألا يكلموه . فلم يزل بشرّ حتى قتل فى بعض الفتن » . وقد ذكره ابن حجر فيمن له إدراك من الصحابة ٤١١٨ . فيما عدا ل : « ضبيع » تحريف .

قال : زوِّجْني ابنتَك . قال : اسقوا ابن عِسْلٍ عسَلاً . فأعاد عليه فأعاد [عليه] العسَل ثلاثاً ، فتركه وقد كاد يَنقدُّ بطنه[١] . قال : فاستعمِلْني على خراسان . قال: زيادٌ أعلمُ بثغوره . قال : فاستعمِلني على شُرطة البَصرة . قال : زيادٌ أعلم بشُرْطته[٢] . قال : فاكسُني قطيفةً ، أو قال : هَبْ لى مائة ألفِ جِذْعٍ لدارى . قال : فدارك فى البصرة أو البصرةُ فى دارك ؟ !

قال عوَانة : استعمل معاويةُ رجلاً من كلبٍ فذكر يوماً المجوس وعنده الناس ، فقال : لعَنَ اللهُ المجوسَ يَنكِحُون أمَّهاتِهم ، واللهِ لو أُعطِيتُ مائةَ ألفِ درهمٍ ما نكحتُ أمّى ! فبلغ ذلك معاويةَ فقال : قاتله الله أتَرَوْنَه لو زادوه على مائة ألفٍ فَعَل ! فعزَله .

[أبو الحسن : وفد ربيعة بن عِسْل[٣] على معاوية — وهو من بنى عمرو ابن يربوع — فقال لمعاوية : أعِنّى بعشرة آلاف جذعٍ فى بناء دارى بالبصرة . فقال له معاوية : كم دارك ؟ قال : فرسخان فى فرسخين . قال معاوية : هى فى البصرة أم البصرة فيها ؟ قال : بل هى فى البصرة . قال معاوية : فإن البصرة لا تكون هذا[٤]] .

وقال أبو الأحوص الرياحىّ[٥] :

ليس بيربوع إلى العقل حاجةٌ   سوى دَنَسٍ تسودُّ منه ثيابُها

---

(١) ينقد : ينقطع . ما عدا ل : « تنقد » تحريف . والبطن مذكر .

(٢) ما عدا ل : « أعرف بشرطته » .

(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٥٩ .

(٤) هذه مما عدا ل .

(٥) ما عدا ل : « الرياحى » تحريف . على أن النسخ جميعها اتفقت فى الخطأ فى اسم الشاعر ، فالصواب أنه « الأخوص الرياحى » . والأخوص ، بالخاء المعجمة لقب له ، واسمه زيد ابن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو شاعر إسلامى ، كما ذكر البغدادى فى الخزانة (٢ : ١٤٢ — ١٤٣) .

فكيف بنو كَى مالك إن كفرتمُ   لهم هذه أم كيف بعدُ خِطابُها ؟
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً   ولا ناعبٍ إلا ببَينٍ غُرابُها[١]

الهيثم ، عن الضَّحاك بن زِمْلٍ[٢] قال : بينا معاوية بن مروانَ[٣] واقفٌ بدمشق ينتظر عبد الملك على باب طحانٍ وحمارٌ له يدور بالرَّحى وفى عنقه جُلجل إذ قال للطحان : لِمَ جعلت فى عنق هذا الحمارِ هذا الجلجل ؟ قال : ربّما أدركتنى سآمةٌ أو نَعْسة ، فإذا لم أسمعْ صوت الجُلجلِ علمتُ أنه قد قام فصحت به . قال معاوية : أفرأيت إن قامَ ثم قال برأسه هكذا وهكذا — وجعل يحرّك رأسه يَمنةً ويسرة — ما يُدْريك أنت أنّه قائم ؟ فقال الطحّان : ومَن لى بحمارٍ يَعقِلُ مثلَ عَقْل الأمير[٤] ؟

ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لأبى امرأته : ملأتْنا ابنتُك البارحةَ
٣٠ بالدّم ! قال إنّها من نسوةٍ يَخْبأْنَ ذلك لأزواجهنّ .

وصعد يوسفُ بنُ عمرَ المِنبر ، فحمد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : قد قتل الله زيداً ونَصْرَ بن سيّار — يريد نصر بن خُزيمة .

وقال على الأُسوارىّ : عمر بن الخطّاب معلّقٌ بشعرةٍ ! قلت : وما صيّرهُ إلى ذلك ؟ قال : لِما صَنَع بنصر بن سيّار — يريد نصر بن الحجّاج بن عِلاط

أحبَّ الرشيد أن ينظر إلى أبى شُعيبٍ القَلاّل كيف يعمل القِلال ، فأدخلوه القصر وأتوْه بكلِّ ما يحتاج إليه من آلة العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرّشيد

---

(١) البيت من شواهد الرضى فى الخزانة (٢ : ١٤٠) ، وسيبويه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨) . يستشهد به على أن « ناعب » معطوف بالجر على مصلحين لتوهم دخول الباء عليه .

(٢) ب : « رمل » مع وضع ضمة على الراء . حـ : « رمل » التيمورية : « زمْل » .

(٣) هو معاوية بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك بن مروان . وهذا الخبر رواه ابن قتيبة فى المعارف ١٥٥ وعيون الأخبار (٢ : ٤٢) .

(٤) فى المعارف : «ومن له بمثل عقل الأمير» . وفى عيون الأخبار : «ومن لحمارى بمثل عقل الأمير» .

قائمٌ فوقَ رأسه ، فلما رآه نهضَ قائماً ، فقال له الرشيد : دُونَك ما دُعِيتَ له ؛ فإنِّى لم آتِكَ لتقوم إلىّ ، وإنما اتيتُك لتعملَ بين يدىّ . قال : وأنا لم آتِكَ ليَسُوء أدبى ، وإنما أتيتك لأزداد بك فى كثرة صوابى . قال له الرَّشيد : إنما تعرَّضْتَ لى حين كسدت صنعتك[1] . فقال أبو شُعيب : يا سيِّد الناس ، وما كساد عملى فى جَلالِ وجهك ؟! فضحك الرَّشيد حتَّى غطَّى وجهَه ثم قال : واللهِ ما رأيتُ أنطَقَ منه أوَّلاً ، ولا أعيا منه آخِراً ، ينبغى لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجنَّ الناس .

عبد الله بن شدَّاد[2] قال : أرى داعى الموت لا يُقلع ، وأرى مَن مضى لا يرجع ، ومَن بقِىَ فإليه ينزِع . لا تَزهدَنَّ فى معروف ، فإنَّ الدَّهرَ ذو صروف فكم من راغب[3] قد كان مرغوبا إليه ، وطالبٍ قد كان مطلوباً مالديه . والزَّمانُ ذو ألوان ، ومَن يصحبِ الزَّمانَ يرى الهوان .

الفَرج بن فَضَالةَ[4] ، عن يحيى بن سعيد[5] ، عن محمد بن على[6] ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا فعلَتْ أمّتى خمسَ عشْرَةَ خَصلةً

---

(١) ماعدا ل : « سوقك » .

(٢) سبقت ترجمته فى ١١٣ حيث سلفت الخطبة له .

(٣) ل : « كم راغبا » .

(٤) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخى ، روى عن يحيى بن سعيد ، ومسافر ، وهشام ابن عروة ، وروى عنه ابنه محمد ، وشعبة ، ووكيع ، والنضر بن شميل وغيرهم . سكن بغداد وكان على بيت المال بها . ولمولده سنة ٨٨ حديث فى تاريخ بغداد ٦٨٥٦ ، ومات ببغداد سنة ١٧٦ . وانظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦٠) .

(٥) هو أبوسعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمروالأنصارى المدينى ، سمع أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وغيرهما ، وروى عنه مالك بن أنس وابن جريج ، وشعبة . وهو تابعى ثقة فقيه ، ولى القضاء بالأنبار وبغداد فى عهد المنصور . وتوفى سنة ١٤٤ . تاريخ بغداد ٧٤٤٦ وتهذيب التهذيب .

(٦) هو محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى ، أبو جعفر الباقر . وهو من التابعين فقهاء أهل المدينة . ولد سنة ٥٦ وتوفى سنة ١٢٨ . تهذيب التهذيب .

حلَّ بها البلاء : إذا أكلوا الأموال دُوَلاً ، واتَّخذوا الأمانة مَغنماً ، والزَّكاة مَغرَماً ، وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أُمَّه ، وبرَّ صديقَه وجفا أخاه ، وارتفعت الأصواتُ فى المساجد ، وأُكرِمَ الرَّجلُ مخافةَ شرِّه ، وكان زعيمَ القوم أرذلُهم ، وإذا لُبِسَ الحريرُ وشُرِبت الخمور ، واتُّخِذت القِيانُ والمعازف ، ولعن آخرُ هذه الأمّةِ أوّلَها ، فليترقَّبُوا بعد ذلك ثلاثَ خِصَالٍ : ريحاً حمراء ، ومسخاً ، وخَسْفاً .

٣١ الهيثم قال أخبرنا الكلبىُّ قال : كانت قريشٌ تعُدُّ أهلَ الجزالة فى الرأى العباسَ بن عبد المطّلب ، وأبا سفيان وبنِيهما[1] ، وأميَّة بن خَلَف .

قال : وقال ابنُ عبّاس : لم يكن فى العرب أمردُ ولا أشيب أشدَّ عقلاً من السائب بن الأقرع[2] .

قال : وحدّثنى الشَّعبىُّ أنّ السائب شهد فتح مِهرَجان قُذَق[3] ، ودخل منزل الهُرمُزان وفى داره ألفُ بيت ، فطاف فيه ، فإذا ظبىٌ من جِصٍّ فى بيتٍ منها مادٌّ يدَه ، فقال: أقسم بالله أنّ هذا الظبىَ يُشيرُ إلى شىء[4] ! انظروا . فنظروا فاستخرجوا سَفَط كَنزِ الهُرمُزان فإذا فيه ياقوتٌ وزبرجد ، فكتب فيه السائب إلى عُمَر ، وأخذ منه فَصًّا أخضرَ ، وكتب إلى عمر : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَهَبَه لى فليفعلْ . فلما عرض عمر السَّفَط على الهُرمُزان قال : فأين الفصُّ الصغير؟ قال : سألَنيه صاحبُنا فوهبتُه له . قال : إنّ صاحبك بالجوهرِ لَعالِمٌ .

قال : أخبرنا مُجالدُ[5] عن الشَّعبى قال : قال السائب لجَمِيل بن بَصْبَهَرِى[6] :

---

(١) ل : « وبُنَيهما » بهذا الضبط .

(٢) السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر ، صحابى جليل ، استعمله عمر على المدائن . ترجم فى الإصابة ٣٠٥٠ .

(٣) مهرجان قذق ، بكسر الميم وبفتح القاف وضمها أيضا ، قال ياقوت : كورة حسنة واسعة قرب الصيمرة ، من نواحى الجبال ، عن عين القاصد من حلوان العراق إلى همذان .

(٤) ما عدا ل : « إنه يشير إلى شىء » . وانظر نص الخبر فى الإصابة .

(٥) مجالد بن سعيد ، مضت ترجمته فى (١ : ٢٤٢) .

(٦) كذا ورد مع هذا الضبط فى ل . وفيما عدا ل : « بصبهرى » .

أخبرنى عن مكانٍ من القُرَيَة(١) لا يَخْرب حتّى أستقطع(٢) ذلك المكان . قال : [ما] بينَ الماء إلى دار الإمارة . قال : فاختطّ لثقيفٍ فى ذلك الموضع . قال الهيثم : بِتُّ عندهم ليلةً ، فإذا ليلُهم مثلُ النّهار(٣) .

أبو الحسن قال : قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المُغيرة ، لمعاوية : أما والله لو كُنّا على السَّـوَاء بمكّة لعلمت ! قال معاوية : إذاً كنتُ أكون معاويةَ بن أبى سفيان منزلى الأبطحُ(٤) ينشقّ عنى سيلُه ، وكنت أنت عبدَ الرحمن ابن خالد منزلُك أجيادٌ(٥) ، أعلاه مَدَرَة وأسفله عَذِرَةٌ . قال سُهيل بن عمرو : « أشبه امرؤٌ بعضَ بَزِّه » . فصار مثلاً .

وقال مُحرِز بن علقمة :

لقد وارى المقابرُ من شَرِيكٍ ... كثيرَ تحلّمٍ وقليلَ عابِ(٦)
صموتًا فى المجالس غيرَ عَيٍّ ... جديراً حين ينطق بالصّوابِ

٣٢ *وقال ابن الرقاع(٧) :

---

(١) القرية ، بهيئة تصغير القرية ، قال ياقوت : محلتان ببغداد ، إحداهما فى حريم دار الخلافة ، وهى كبيرة فيها محال وسوق كبير . والقرية أيضا محلة كبيرة جدا كالمدينة من الجانب الغربى من بغداد مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية .

(٢) ما عدا ل : « اقتطع » .

(٣) عنى أنهم يصلون الليل بالنهار فى العمل والتجارة وغير ذلك .

(٤) الأبطح والبطحاء : رمل منبسط يضاف إلى مكة حينا وإلى منى آخر .

(٥) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا ، وكانت منزلا لبنى مخزوم .

(٦) العاب : العيب . وشريك هذا هو شريك بن عبد الله النخعى الكوفى القاضى ، ولى القضاء بواسط سنة ١٥٥ ثم بالكوفة ومات بها سنة ١٨٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢١٤) وتهذيب التهذيب .

(٧) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى . كان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا لهم ، خاصا بالوليد بن عبد الملك . وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد ، ثم لم تتم بينهما مهاجاة إلا أن جريرا قد هجاه تعريضا فى قوله :

=

* حى المدملة من ذات المواعيس *

أمْ تداخلت الحتوفُ عليهمُ ... أبوابَهُمْ فكشفْن كلَّ غِطاء
فإذا الذى فى حصنِهِ متحرِّزٌ ... منهم كآخر مُصْحِرٍ بفَضاء
والمرء يورث مجـدَه أبناءه ... ويموت آخرُ وهو فى الأحياء
والقوم أشباهٌ وبين حلومهم ... بَوْنٌ كذاك تفاضُلُ الأشياء

وقال بعضهم :

بيضاء ناصعة البياض كأنها ... قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبْرِدِ
موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ ... إنّ الحِسانَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وترى مآقيها تُقلِّبُ مُقْلَةً ... حوراءَ ترغب عن سواد الإثمِدِ
خَوْدٌ إذا كثُر الحديث تعوَّذَتْ ... بحِمَى الحياء وإن تكلَّمْ تقصِدِ[(١)]

وقال آخر :

لسانُك خيرٌ وحدَه من قبيلةٍ ... وما عُدَّ بَعْدُ فى الفتى أنتَ فاعِلُه
سِوى طَبْعِ الأخلاقِ والفُحْشِ والخَنا ... أبتْ ذا كُمُ أخلاقُه وشمائلُه

وقال الآخر :

على امرئٍ هَدَّ عَرْشَ الحىِّ مَصرعُه ... كأنّه مِن ذَوِى الأحلامِ من عادِ

وقال النابغة :

أحلامُ عادٍ وأجسادٌ مطهَّرةٌ ... من المَعَقَّةِ والآفاتِ والأَثَمِ[(٢)]

وقالت الخنساء :

= ولم يصرح ، لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره . فلم يصرح بهجائه . الأغانى (٨ : ١٨٢ — ١٧٧) .

(١) القصد : التوسط . وقبل هذا البيت فيما عدا ل : « وقال الآخر » .

(٢) المعقة : العقوق . ولم أهتد إلى ضبط « الأثم » ها هنا ، فإن المعاجم لم تذكر إلا « الإثم » بالكسر ، و « الأثام » كسحاب وكتاب . وقبل البيت فى ديوانه ٧٤ :

هم الملوك وأبناء الملوك لهم ... فضل على الناس فى اللأْواء والنعم

خَطَّابُ مُعضِلةٍ فرّاجُ مُظلمةٍ   إنْ جاء معضلةٌ هيّا لها بابا (١)

وعدّد الأصمعيُّ خصال مَعَدّ فقال : ٣٣

كانوا أديماً ماعِزاً شاتُه   أخلصَ فيه القَرظَ الآهِبُ (٢)
أو مرقئٌ عِرقَ دمٍ مُفْرَجٍ   أو سائلٌ في لَزْبةٍ زاعِبُ (٣)
أو ذمّةٌ يوفى بها عاقدٌ   أو عُقدةٌ يُحكمُها آرِبُ (٤)
أو خابطٌ من غيرِ لا نِعْمةٍ   أو رَحِمٍ مَتَّ بها جانبُ (٥)
أو خُطَّةٌ بَزْلاء مفصولةٌ   يرضى بها الشاهدُ والغائبُ (٦)

وقال ابن نوفل (٧) :

وأنت كساقطٍ بين الحشايا   يَصيرُ إلى الخبيثِ من المَصيرِ (٨)

---

(١) ل : « إن داء معضلة » .

(٢) الأديم : الجلد . والقرظ : شجر عظام يدبغ بورقه وثمره . والآهب : كلمة لم تذكرها المعاجم . ولعل المراد به صاحب الإهاب ، وهو الجلد .

(٣) أرقأ الدم : حقنه . والمفرج : القتيل يكون في القوم من غيرهم ، فيحق عليهم أن يعقلوا عنه . واللزبة : السنة الشديدة . يقول : هم في اللزبات سيل زاعب يزعب الوادي يملؤه . ل : « راغب » وليس بشيء .

(٤) أرب العقدة : شدها وعقدها .

(٥) الخابط : الذي يعطي غيره من غير معرفة بينهما . قال علقمة :

وفي كل حي قد خبطت بنعمة   فحق لشأس من نداك ذنوب

ما عدا ل : « حابط » تحريف . والرحم : القرابة . مت بها : توسل . والجانب : الغريب .

(٦) خطة بزلاء : تفصل بين الحق والباطل . والبزلاء : الرأي الجيد والعقل . وفي جميع النسخ : « أو خطبة » تحريف . انظر اللسان (بزل) .

(٧) ل : « أبو نوفل » . وهو يحيى بن نوفل ، كان شاعراً من شعراء الدولة الأموية معاصرا للحكم بن عبدل الأسدي ، وله معه خبر في الأغاني (٢ : ١٤٤) . والشعر التالي في الحيوان(٤ : ٦/٣٢٢ : ٧/٣٩٠ : ٢٠) من قصيدة يهجو بها خالد بن عبد الله القسري .

(٨) جعله ممن يلازم الفراش ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولية . وجاء في حديث علي : « من يعذرني من هؤلاء الضياطرة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه » . وقال عمرو ابن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » .

ومثـــلُ نعامةٍ تُدْعَى بعيراً   تَعاظُمِها إذا ما قيلَ طِيرِى[١]
وإنْ قيـلَ احمِلِى قالتْ فإنّى   مِنَ الطَّيرِ المُرَبّةِ بالوُكورِ[٢]
وكنت لدى المُغيرةِ عيرَ سَوءٍ   يبول من المخــافة للزَّئيرِ[٣]
لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشـيخٍ   كبيرِ السِّنِّ ذى بصرٍ ضَريرِ[٤]
تقول لِما أصابَكَ : أطعمونى   شراباً ثم بُلْتَ على السريرِ[٥]

وقال عبد يغوث[٦] :

ألا لا تَلومانِى كَفَى اللَّومَ ما بِيَا   فما لـكما فى اللَّوْمِ خيرٌ ولا لِيَا
ألم تَعلما أنّ المَلامَةَ نفعُها   قليلٌ ، وما لومى أخى من شِماليا[٧]

(١) تعاظمها : ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . ورويت هذه الـكلمة بهذا اللفظ أيضا فى أصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وعند الدميرى « تعاصينا » . وفى اللسان (نعم) : « تعاظمه » أى هى تعاظم البعير .

(٢) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٣) المغيرة هنا ، هو المغيرة بن سعد ، صاحب فرقة المغيرية . وهو متنبئ خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى . وكان يقول بإلاهية على وتكفير أبى بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه سنة ١١٩ . والعير : الحمار الوحشى . جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد حمله الذعر والفزع أن يهاجم هو الأسد ، مما طار من صوابه وضاع من رشده . وذا معروف من طباع العير . ما عدا ل : « تبول » بالتاء .

(٤) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . والعلج : الرجل من كفار العجم . ونقد المرزبانى هذا البيت فى الموشح ٢٣٥ حيث ظاهره يوهم التناقض؛ فإن ذا البصر لايكون ضريرا . وأقول إنه أراد بالبصر العين ثم وصف ذلك البصر بأنه ضرير .

(٥) كان خالد قد اضطرب عند عيان المغيرة بن سعيد وقال : « أطعمونى ماء » لشدة ذهوله . انظر الحيوان (٢ : ٦/٢٦٧ : ٣٩٠) والبيان (١ : ١٢٢) .

(٦) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى . شاعر جاهلى فارس ، كان قائد قومه بنى الحارث ابن كعب يوم الـكلاب الثانى . وفى ذلك اليوم أسر ، ثم قتل بعد ذلك اليوم . ويروون أنه قال قصيدته هذه حين جهز للقتل . انظر النقائض ١٤٩ — ١٥٦ والأغانى (١٥ : ٦٩ — ٧٥) وكامل ابن الأثير والعقد فى (يوم الـكلاب الثانى) والمفضليات (١ : ١٥٣ — ١٥٦) وأمالى القالى (٣ : ١٢٢) .

(٧) الشمال ، بالـكسر : واحد الشمائل ، وهى الأخلاق والطباع .

فيارا كِباً إمّا عَرضْتَ فبلِّغَن ... نداماىَ من نَجْران أن لاتلاقيا[١]
أبا كربٍ والأيهَمين كليهما ... وقيساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليمانيا[٢]
٣٤ جزى الله قومى بالكُلابِ مَلامةً ... صريحَهُمُ والآخرِينَ المواليا[٣]
أقول وقد شَدُّوا لسانى بنِسْعةٍ ... أمَعشَرَ تيمٍ أطلِقُوا من لسانيا[٤]
وتَضحكُ منِّى شيخةٌ عبشِمِيّةٌ ... كأنْ لم تَرَىْ قبلى أسيراً يمانيا[٥]

[قال أبو عثمان] : وليس فى الأرض أعجبُ من طرفةَ بنِ العبد وعبدِ يغوث ، وذلك أنّا إذا قِسنا جودةَ أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم يكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمْن والرّفاهية[٦] .

أبو عبيدةَ[٧] قال : حدثنى أبو عبد الله الفَزارىّ ، عن مالك بن دينار[٨] قال : ما رأيت أحداً أبيَنَ من الحجّاج ، إنْ كان لَيَرقى المِنبر فيذكُرُ إحسانَه إلى

---

(١) عرضت : أتيت العروض ، بفتح العين ، وهى مكة والمدينة وما حولها .

(٢) أبو كرب ، هو بشر بن علقمة بن الحارث . والأيهمان ، هما الأسود بن علقمة ابن الحارث ، والعاقب ، وهو عبد المسيح بن الأبيض . انظر ابن الأثير . وقيس ، هو ابن معد يكرب ، وهو والد الأشعث بن قيس .

(٣) الكلاب ، بالضم : يوم الكلاب الثانى كلاب أهل اليمن وتميم ، وفيه أسر عبد يغوث. صريحهم : خالصهم ومحضهم فى النسب . والموالى : الحلفاء ها هنا .

(٤) النسعة ، بكسر النون : القطعة من النسع ، وهو سير يضفر من جلد . ومما يروى أنهم بعد أسره شدوا لسانه بنسعة ليمنعوه الكلام . وقيل أراد أنهم فعلوا به ما منع لسانه من أن ينطق بمدحهم .

(٥) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس . والذى أسر عبد يغوث فتى من بنى عمير بن عبد شمس وكان أهوج ، فانطلق به إلى أهله فقالت أمه لعبد يغوث ، ورأته عظيما جميلا : من أنت ؟ قال أنا سيد القوم . فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج ! فمن ذلك قول عبد يغوث : « وتضحك منى » . ما عدا ل : « لم ترأ » وهى رواية نصوا عليها ، جعل الهمزة بدلا من الياء ، وفى الكلام التفات .

(٦) مثل هذا الكلام فى الحيوان (٧ : ١٥٧) وزاد هناك هدبة العذرى .

(٧) ل : « أبو عبيد » .

(٨) ترجم فى (١ : ١٢٠) .

أهل العراق ، وصَفحَه عنهم وإساءتهم إليه ، حتّى أقولَ في نفسي : لأحسبه صادقاً ، وإني لأظنُّهم ظالمين له .

قال : وكانت العرب تخطُب على رواحلها . وكذلك روى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن قُسِّ بن ساعِدة[1] .

قال : وأخبرني عبدُ الرحمن بن مهديّ[2] ، عن مالك بن أنس قال : الوقوف على ظهر الدّوابِّ بعرفةَ سنّة ، والقيام على الأقدام رُخْصة .

وجاء في الأثر : لا تجعلوا ظُهورَ دوابِّكم مجالس .

ووقف الهيثم بن مُطهَّر الفأفاء ، على ظهر دابّته على باب الخَيزُران[3] ، ينتظر بعضَ من يخرج من عندها ، فلمّا طال وقوفُه بعث إليه عُمَر الـكَلْواذيّ فقال له : انزِلْ عن ظهر دابّتك . فلم يَرُدَّ عليه شيئا ، فكرَّ الرّسولُ إليه ، فقال : إني رجلٌ أعرج ، وإن خرج صاحبي من عند الخيزُران في مَوكبه خِفتُ ألّا أدركَه . فبعث إليه : إنْ لم تَنزل أنزلْناك . فبعث إليه قال : هوَ حَبِيسٌ[4] في سبيل الله إن أنزلْتني عنه إن أقضمتُه شهراً ، فانظر أيُّما خيرٌ له أراحةُ ساعة أم جوع شهر ؟ قالوا [له : هذا] الهيثم بن مطهَّر . قال : هذا شيطان[5] .

(١) إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ، ما أجدني أحفظه » . الأغاني (١٤ : ٤٠) والخزانة (١ : ٢٦٨) . وانظر ما سبق في (١ : ٥٢ س ١٠ — ١٥) .

(٢) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري ، الحافظ . شهد له كثير من الأئمة أنه كان أعلم الناس بالحديث ، مع ورع كان فيه وزهد . توفي سنة ١٩٨ وهو ابن ثلاث وستين سنة . تذكرة الحفاظ (١ : ٣٠١) وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٢) .

(٣) الخيزران هي أم موسى الهادي وهارون الرشيد ، وهي أم ولد يقال لها الخيزران ابنة عطاء . وكانت ذات نفوذ كبير عند زوجها المهدي وولديها موسى وهارون ، وهي التي دبرت المؤامرة لاغتيال موسى ١٧٠ . وتوفيت سنة ١٧٤ في خلافة الرشيد . تاريخ الطبري .

(٤) ما عدا ل : « حبيس » .

(٥) أقضمته : علفته القضيم ، وهو الشعير . و « إن » قبله نافية .

(٥) في عيون الأخبار (١ : ١٦٠) : « هذا شيطان ، اتركوه » .

وقال أبو علقمة النحوى : يا آسى[١] ، إنى رجعت إلى المنزل وأنا سنِقٌ لقِسٌ[٢] فأُتيت بشِنْشِنةٍ من لوِيَةٍ ولكيك[٣] ، وقِطَعِ أقرن[٤] قد غدَرْنَ هناك من سَمْن[٥] ، ورُقاقٍ شرشصان[٦] وسَقيط عُطْمُط[٧] ، ثم تناولت عليها ٣٥ كأساً . قال له الطبيب : خُذْ خَرْفقاً وسَفْلقاً وجَرْفقاً[٨] . قال : وَيْلَكَ أىُّ شىء هذا ؟ قال : وأى شىء ما قلت ؟

قال الزِّبرِقان : أحبُّ صبياننا إلىَّ العريض الورِك ، السَّبِط الغُرَّة ، الطويل الغُرلةِ ، الأبله العَفُول . وأبغضُ صبياننا إلىَّ : الأُقيعِصُ الذَّكَر ، الذى كأنما ينظر من جُحْر ، وإذا سأله القوم عن أبيه هَرَّ فى وجوههم .

قال الهيثم : قال الأشعث : إذا كان الغلام سائل الغُرّة ، طويل الغُرْلةِ ملتاث الإزْرَةِ[٩] كأنَّ به لُوثَة[١٠] فما يُشَكّ فى سُؤْدده .

---

(١) الآسى : الطبيب . والخبر برواية أخرى فى عيون الأخبار (٢ : ١٦٢) والعقد (٢ : ٤٨٩) ، وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٩) .

(٢) السنق : الشبعان كالمتخم . واللقس : ذو الغثيان .

(٣) الشنشنة : القطعة . واللوية : ما يخبأ للضيف أو يدخره الرجل لنفسه . والـكيك : الصلب المكتنز من اللحم .

(٤) الأقرن : الـكبش الـكبير القرنين .

(٥) غدر من باب سمع وضرب : شرب . حـ : « قد غدرنا » التيمورية : « غدرون » وليس لهما وجه من الصواب .

(٦) ماعدا ل : « سرشصان » ، ولم أهتد إلى تحقيقها .

(٧) العطمط : الجدى .

(٨) كذا وردت هـذه الألفاظ فى الأصول وليس أحدها صحيحاً . وبدل الأول فى العقد : « خربقا » وهو نبت كالسم يغشى على آكله . وبدل الـكلمة الثانية فى العقد : « سلفقا » . وفى إرشاد الأديب « سلفقا » وفى العيون « شلفقا » وكلاها لا وجه له . وبدل الـكلمة الثالثة فى العقد وعيون الأخبار « شبرقا » ، وهو نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق ، فإذا يبس فهو الضريع .

(٩) الملتاث : المختلط . والإزرة بالـكسر : هيئة الائتزار .

(١٠) اللوثة ، بالضم والفتح : الحمق .

قال أبو المِخَشّ[١] : « كان المخشُ أشدق خُرطُمانيًّا ، سائلاً لعابه ، كأنما ينظر من قَلْتَين ، كأنّ تَرقُوتَه بُوانٌ أو خالِفَةٌ ، وكأنّ كاهلَه كِرْكِرَةُ جمل . فقأ الله عينىّ إنْ كنتُ رأيتُ قبلَه ولا بعدَه مثله » . قال : وكان زيادٌ حوّل المنبرَ و بيوتَ المال والدّواوينَ إلى الأزد ، وصلّى بهم ، وخطب فى مسجد الحُدّان فقال عمرو بن العرندس :

فأصبح فى الحُدّانِ يخطُبُ آمنا   وللأزد عزٌّ لا يزالُ تِلادُ

وقال الأعرج[٢] :

وكنّا نُستطبّ إذا مَرِضْنا   فصار سَقامُنا بيد الطّبيبِ
فكيف نُجيز غُصّتَنا بشىء   ونحن نَغَصُّ بالماء الشّريبِ

وقال أيضا[٣] :

والقائلين فلا يُعابُ خطيبهم   يومَ المَقامةِ بالكلام الفاصلِ

وقال ابن مُفرِّغ :

ومتى تقمْ يوم اجتماع عشيرة   خُطباؤُنا بين العشيرة تَفصِلِ

وقال أيضا :

فيارُبّ خَصم قد كُفيتُ دِفاعَهُ   وقوّمْتُ منه دَرْأه فتنكّبَا[٤]

وقال آخر :

وحامِلِ ضَبِّ ضِغنٍ لم يضرنى   بعيدِ قلبُه حُلوِ اللّسانِ[٥]

---

(١) سبق الخبر فى (١ : ١٢١) .

(٢) هاتان الكلمتان والبيتان بعدهما من ل فقط .

(٣) ما عدا ل : « وقال الأعرج » .

(٤) الدرء : الميل . وتنكب : مال .

(٥) الضب : الحقد . وانظر ما فى « بعيد قلبه » من جمال وقوة .

ولو أنى أشاء نَقَمتُ منه ... بشَغْبٍ من لسانٍ تَيِّحانِ[١]

وقال : ٣٦

عهدتُ بها هِنْدًا وهندٌ غَريرةٌ ... عن الفُحْشِ بلهاء العِشاء نَؤومُ
رَداح الضُّحى مَيَّالةٌ بَخْتَرِيَّةٌ ... لها منطقٌ يُصبِي الحليمَ رخيمُ[٢]

وقال :

وخَصْمٍ يَرْكَبُ العوصاء طاطٍ ... عن المُثْلى قُصاراه القِراعُ[٣]
وملمومٍ جوانبُها رَداحٍ ... تُزَجَّى بالرِّماح لها شُعاعُ[٤]

وقال مُحلِّمُ بن فِراسٍ ، يرثى منصوراً وهمّامًا ابنى المِسْجاح :

كم فيهم لو تَمَلَّينا حياتَهُمُ ... مِن فارسٍ يومَ رَوْعِ الحىِّ مِقدامِ[٥]
ومن فَتًى يملأُ الشِّيزَى مَكَلَّلةً ... شحمَ السَّديفِ نَدِىَّ الحدِّ مِطْعامِ[٦]
ومِن خطيبٍ غداةَ الحفلِ مُرْتَجِلٍ ... ثَبْتِ المَقام أريبٍ غير مِفحامِ

وقال خالدٌ للقعقاع[٧] : أنافِرُك علىَّ[٨] أيُّنا أطعن بالرِّماح ، وأطعم للسِّحاح[٩]

---

(١) التيحان ، بفتح الياء المشدودة وكسرها : الذى يتعرض لكل أمر .

(٢) الرداح ، هنا : التى لا تنبعث . والبخترية : ذات التبختر . والمنطق : الحديث .

(٣) الشعر لربيعة بن مقروم الضبى من قصيدة فى المفضليات (١ : ١٨٤ — ١٨٧). وأنشد هذا البيت فى اللسان (طيط) شاهدا على أن « الطاط » بمعنى المتكبر . والمثلى : خير الأمور . ما عدا ل : « على المثل » . والقراع ، هى فى المفضليات « القذاع » أى المقاذعة والمسابة .

(٤) عنى بالملموم جوانبها الكتيبة . والرداح : الثقيلة الجرارة . تزجى : تساق وتدفع . لها شعاع من كثرة بياض الحديد وصفائه .

(٥) أى لو تمتعنا بحياتهم . وفى اللسان (متع) : « ومتعه : ملاه إياه » . ما عدا ل : « تمتعنا حياتهم » . وفيما عدا ل أيضاً : « يوم روح الحى » تحريف .

(٦) الشيزى : الجفنة تعمل من خشب الشيزى ، وهو الذى يقال له « الآبنوس » . والسديف : السنام . ل : « بدي الحمد » ولا وجه له ، فإن البدى الأول .

(٧) ترجمة خالد بن صفوان فى (١ : ٢٤) والقعقاع بن شور فى (١ : ٤٧) .

(٨) ل : « عن » .

(٩) السحاح ، بكسر السين وضمها : جمع ساح ، يقال جزور ساحة وساح . أى انهت سمنا . ل : « للشحاح » ما عدا ل : « للسجاج » صوابهما ما أثبت .

وأنزَلُ بالبَراح . قال : لا ، بل عن أيّنا أفضلُ أبًا وجدًّا وعمًّا ، وقديمًا وحديثًا . قال خالد : أعطيتُ يومًا مَن سأل ، وأطعمتُ حولاً مَن أكل ، وطعنت فارسًا طعنةً شككت فخذَيه بجنب الفرس . قال القعقاع وأخرج نعلين فقال : رَبَع عليهما أبي أربعين مِرباعا[١] لم تشكل فيهنّ تميميّةٌ ولداً .

كان مالك بن الأخطل التغلبي — وبه كان يكنى — أتى العراق وسمع شعر جرير والفرزدق ، فلمّا قدِم على أبيه سأله عن شِعرهما ، فقال : وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذى يَغرِف من بحرٍ أشعرُهما .

وقال بعضهم :

وما خيرُ مَن لا ينفع الأهلَ عَيشُه ... وإن ماتَ لم تجزع عليه أقاربُه
كَهامٌ على الأقصَى كليلٌ لسانُه ... وفى بَشَر الأدنى حِدادٌ مخالبُه[٢]

وقال العُمانىّ :

إذا مَشَى لكلّ قِرنٍ مُقرَنِ ... ثم مشى القِرنُ له كالأزعَنِ
٣٧ بصارمٍ يفرى صفيحَ الجوشَنِ[٣] ... مُقرطَنٌ زافَ إلى مُقرطَنِ[٤]
يفضي إلى أمّ الفِراخ السُّكَّنِ[٥] ... حيث تقول الهامةُ اسقنى اسقنى[٦]

---

(١) المرباع : ما كان يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنيمة . وقد ربعهم .

(٢) الكهام أصله فى السيف الذى لا يقطع . والبشر : جمع بشرة ، وهى ظاهر الجلد .

(٣) يفرى : يقطع . والجوشن : الحديد الذى يلبس من السلاح .

(٤) المقرطن : لم أجده فى المعاجم . ولعله أراد به الفحل المشدود عليه القرطان — ويقال له أيضا القرطاط — وهو كالبرذعة لذوات الحافر . عنى أنه هو وقرنه خلان يزيف أحدهما إلى الآخر . يقال زاف البعير يزيف : تبختر فى مشيته .

(٥) أم الفراخ ، عنى بها الرأس المشتمل على الدماغ . والدماغ : حشو الرأس . وفى اللسان : « وفرخ الرأس : الدماغ ، على التشبيه ، كما قيل له العصفور . قال :

ونحن كشفنا عن معاوية التى ... هى الأم تغشى كل فرخ منقنق »

(٦) الهامة : الرأس . قال الأصمعى : العرب تقول العطش فى الرأس . وقال غيره : =

* كم لأبى محمد من مَوطنٍ[1] *

وقال العُمَانىُّ :

وِمِقْـوَلٍ نِعمَ لِزازُ الخَصمِ[2] أَلَدَّ يشتقُّ لأهل العِـلْمِ[3]
بباطل يدحَض حقَّ الخصمِ حتى يصيروا كسَحاب البُكمِ[4]

وقال أبو عبيدٍ فى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه حين رأى فلانا[5] يخطب فقال : « هذا الخطيب الشَّحْشَح » . قال : هو الماهر الماضى .

وقال الطِرِمَّاح :

كأنَّ المطايا ليلةَ الخِمس عُلِّقَتْ بوثّابَة تَنضو الرَّواسم شَحْشَحِ[6]

وقال ذو الرمة :

لدُنْ غُدوةٍ حتى إذا امتدَّت الضُّحى وحَثَّ القطينَ الشَّحشحانُ المكلَّفُ[7]

= يقال إن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى ! اسقونى ! حتى يقتل قاتله .

(١) أى موطن صالح مشهور . والموطن : المشهد من مشاهد الحرب ، قال الله : (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) . وقال طرفة :

على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه الفرائص ترعد

(٢) المقول : اللسان ، والرجل الكثير الكلام البليغ . يقال هو لزاز الخصم وملزه ، أى يلزمه ويوكل به ويقدر عليه .

(٣) الألد : الخصم الجدل . واشتقاق الكلام : الأخذ فيه يمينا وشمالا .

(٤) الخصم يقال للواحد والجمع . والبكم ، أراد به الغيوم التى لا صوت لها فهى لا تسمح بماء .

(٥) فى اللسان (٣ : ٣٢٧) : « رأى رجلا يخطب » .

(٦) الخمس : أن ترد الإبل يوما ثم لا ترد ثلاثة أيام ثم ترد اليوم الخامس . علقت بها ، أى علقتها وأولعت بها . وعنى بالوثابة الناقة السريعة . تنضو : تسبق . والرواسم : جمع راسم وراسمة ، وهى الإبل تسير الرسيم ، وهو ضرب من سيرها . والشحشح : الجاد الماضى ، يكون للذكر والأنثى . والبيت فى ديوان الطرماح ١٣٦ واللسان (شحح) وأساس البلاغة (علق) .

(٧) تقرأ « غدوة » فى هذا التعبير بالأوجه الثلاثة : الرفع بتقدير : كانت غدوة ؛ والنصب بتقدير : كان الوقت غدوة ؛ والجر بتقدير الإضافة . والضحى مؤنثة وقد تذكر . والقطين : المقيمون . والمكلف : اللهج بالأمر . والبيت فى ديوان ذى الرمة ٣٧٤ واللسان (شحح) .

يعنى الحادى .

قال : وكان أسدُ بن كُرْزٍ[1] يقال له « خطيب الشّيطان » فلما استعمل خالدٌ ابنُه[2] على العراق قيل له « خطيب الله » فجرَتْ إلى اليوم .

وقال أبو المُثلّم الهُذَلىّ[3] :

أَصَخْرَ بنَ عبد الله إنْ كنتَ شاعراً   فإنّك لا تُهدِى القريضَ لمُفحَمِ[4]

وقاله بلعاء بن قيس[5] :

أبيتُ لنفسى الخسفَ لما رَضُوا به   ووَلَّيْتُهم سَمْعى وما كنتُ مُفحَمَا

وقال عبد الله بن مصعب : وقف معاويةُ على امرأة من كنانة ، فقال لها : هل من قِرًى ؟ قالت : نعم . قال : وما قِرَاك ؟ قالت : عندى خبزٌ خميرٌ ، ولبن فطيرٌ[6] ، وماء نميرٌ .

وقال أُحيحةُ :

والصّمت خيرٌ للفتى   مالم يكن عىٌّ يَشينُه[7]

---

(١) هو أسد بن كرز بن عامر البجلى ثم القسرى ، وهو جد خالد بن عبد الله بن يزيد ابن أسد القسرى . كان يدعى فى الجاهلية « رب بجيلة » ، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية تنزها عنها ، وكان شاعراً ناسكا مغواراً . وأدرك الإسلام وأسلم ، وأهدى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوسا . الإصابة ١٠٣ والأغانى (١٩ : ٥٣ — ٥٥) .

(٢) كلمة « خالد » من ل فقط . وقد أراد بكلمة « ابنه » ابن حفيده .

(٣) أبو المثلم الهذلى : ذكره صاحب المؤتلف ١٧٢ والأغانى (٢٠ : ٢٠ — ٢١) . ما عدا ل : « أبو السلم » تحريف . وقصيدته فى شرح السكرى للهذليين ٢٢ ونسخة الشنقيطى ٩١ .

(٤) صخر هذا هو الملقب بصخر الغى ، لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره . وكان بينه وبين أبى المثلم مناقضات ذكرت فى أشعار الهذليين . وكان صخر يخشى بأس أبى المثلم ، فلما صرع صخر فى غزاة له رثاه أبو المثلم بأبيات أولها :

لو كان للدهر مال كان متلده   لكان للدهر صخر مال قنيان

الأغانى (٢٠ : ٢٠) والمؤتلف ١٨٢ . لمفحم ، يقول : لست مفحما .

(٥) كان بلعاء بن قيس رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم . وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشعارا جيادا . المؤتلف ١٠٦ . ومات قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . انظر العقد .

(٦) الفطير : اللبن ساعة يحلب .   (٧) ما عدا ل : « والصمت أكرم بالفتى » .

والقول ذو خَطَلٍ إذا ... ما لم يكن لبٌّ يُعينه

* وقال أبو ثمامة الضبىّ : ٣٨

ومنا حصينٌ كان فى كل خطبةٍ ... يقولُ ألا مِن ناطقٍ متكلِّمِ

وقال عبيد بن أميّة الضبىّ ، واستبّ هو والحارث بن بَيْبَة المُجاشعى[1] عند نُعمان ، فقال :

تُرى بيوتٌ وتُرى رِماحُ ... ونَعَمٌ مزنَّمٌ سِحَـــاحُ[2]
ومنطقٌ ليس له نجـــاحُ ... يا قَصَبًا طار به الرِّياحُ[3]
* وأذرعاً ليست لها ألواحُ[4] *

وقال قيس بن الخطيم :

وبعض القول ليس له حصاةٌ ... كمَخْضِ الماء ليس له إتاءُ[5]

وهذا شبيه بقوله[6] :

كُسالَى إذا لاقيتَهم غيرَ منطقٍ ... يُلهَّى به المتبول وهو عَناءُ

وقال أبو ثُمامة :

أخاصِمُهـــم مَرّةً قائماً ... وأجثو إذا ما جَثَوْا للرُّكَبْ[7]
إذا منطقٌ قاله صـــاحبى ... تعقّبت آخَـــرَ ذا مُعتقَبْ

---

(١) فى النسخ : « الحارث بن شيبة » تحريف ، صوابه من الاشتقاق ١٤٧ . قال : « والبيبة : المثعب الذى ينصب منه الماء إذا أفرغ من الدلو فى الحوض » .

(٢) المزنم : صغار الإبل . والسحاح بالكسر والضم : السمان .

(٣) جعلهم كالقصب الأجوف الخوار .

(٤) الألواح من الجسد كل عظم فيه عرض

(٥) الحصاة : العقل والرأى . والإتاء هنا : الزيد . والبيت فى ديوانه ٢٧ واللسان (أتى) .

(٦) سبق البيت فى (١ : ٩) منسوبا للمكعبر الضبي برواية أخرى .

(٧) البيتان من أبيات اختارها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٢٢٥) . المخاصمة : المنازعة والمغالبة . والمجاثاة فى القتال من اساليبهم .

وقال الشماخ :

وَمَرتبةٍ لا تُستطاع ، بها الرَّدى   تركت بها الشَّكَّ الذى هو عاجزُ [1]

[ويروى : تلافى بها حلمى عن الجهل حاجز] .

(١) ما عدا ل : « لا يستطاع » والبيت ملفق من بيتين في ديوانه ٤٣ ، وهما :

ومرتبة لا يستقال بها الردى   تلافى بها حلمى عن الجهل حاجز

وعوجاء مجذام وأمر صريمة   تركت بها الشك الذى هو عاجز

باب

من الكلام المحذوف

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأوّل :

هُشَيم [1] ، عن يونُس ، عن الحسن يرفعه ، أنّ المهاجرين قالوا : يارسول الله إن الأنصار قد فَضَلُونا بأنّهم آوَوْنا ونصرونا [2] ، وفعلُوا بنا وفعلوا . قال النبي عليه السلام : أتعرفون ذلك لهم ؟ قالوا : نعم . قال : « فإنّ ذلك [3] » . ليس فى الحديث غيرهذا . يريد : إنّ ذلكم [3] شكرٌ ومكافأة .

قال : وكلّم رجلٌ من قيسٍ عمرَ بنَ عبد العزيز فى حاجةٍ ، وجعل يمتُّ بقرابةٍ ، فقال عمر : « فإنّ ذاك » . ثم ذكر حاجتَه فقال : « لعلّ ذاك » . لم يزدْه ٣٩
على أن قال : فإنّ ذاك ، ولعلّ ذاك . أى إنّ ذلك كما قلت ، ولعلّ حاجتك تُقضَى [4] .

وقال عَبْدُ الله بن قيس [5] :

---

(١) سبقت ترجمته وترجمة شيخه فى ص ٢٢٠ من هذا الجزء .

(٢) ما عدا ل « أووا ونصروا » كما حذفت كلمة « بنا » التالية . وما فى اللسان (١٨ : ١٧٦) يوافق ما فى ل .

(٣) ما عدا ل : « ذاك » . (٤) ما عدا ل : « أن تقضى » .

(٥) التزم الجاحظ أن يذكره باسم « عبدالله » . وكان لقيس ولدان ، عبدالله وعبيد الله واختلفوا فى الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد « فى الكامل » : هو عبدالله . وقال المرزبانى فى « معجمه » : هو عبيد الله ، بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى . وكذلك قال المصعب الزبيرى فى أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادى فى تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير ، وكتب ترجمة مسهبة له فى الأغانى (٤ : ١٥٤ — ١٦٦) . وأما البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقاً مسهباً فيمن لقبه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب هذا اللقب . انظر الخزانة (٣ : ٢٦٦ — ٢٦٩) وكذا ابن قتيبة فى الشعراء . وكان ابن قيس الرقيات زبيرى الهوى خرج مع مصعب على عبد الملك ، وظل عبد الملك يطلبه حتى قبض عليه ، ثم آمنه .

بكَرتْ عليَّ عواذلى ... يَلحَيْنَنى وألُومُهُنَّهْ[١]
ويَقُلْنَ شيبٌ قد علا ... كَ وقد كبرتَ فقلتُ إنَّهْ

وقال الأسدىّ[٢] لعبد الله بن الزُّبير : لا حَمِلتْ ناقةٌ حَملتنى إليك . قال ابن الزبير : « إنّ وراكبها[٣] » .

عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن أبى هاشم القاسم بن كثير[٤] ، عن قيس الخارفى[٥] أنه سمع عليًّا يقول : « سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلّى أبو بكر ، وثلَّث عمر[٦] ، وخَبَطتنا فتنةٌ فما شاء الله » . ليس فى الحديث أكثر من هذا .

ولما كتب أبو عبيدةَ إلى عمرَ جوابَ كتابِ عمر[٧] فى أمر الطّاعون ، فقرأ عمرُ الكتابَ واستَرجَع ، فقال له المسلمون : مات أبو عبيدة . قال : « لا وكأنْ قَد » .

---

(١) البيتان فى ديوانه ١٤١—١٤٢ والخزانة (٤ : ٤٨٥) واللسان (١٦ : ١٧٢) .

(٢) هو فضالة بن شريك الأسدى ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . أو ابنه عبد الله ابن فضالة . انظر الإصابة ٧٠٢١ واللسان (١٦ : ١٧٢) .

(٣) إن هنا حرف جواب بمعنى « نعم » . ونص الخبر فى اللسان : « أنه أتى ابن الزبير فقال : إن ناقتى قد نقب خفها فاحملنى . فقال : ارقعها بجلد ، واخصفها بهلب ، وسر بها البردين . فقال فضالة : إنما أتيتك مستحملا لا مستوصفاً . لا حمل الله ناقة حملتنى إليك ! فقال ابن الزبير : إن وراكبها » .

(٤) هو أبو هاشم القاسم بن كثير الخارفى الهمدانى ، أحد الثقات ، روى عن قيس الخارفى ، وأبى البخترى الطائى ، وعنه سفيان الثورى ومطرف بن طريف . تهذيب التهذيب . والخارفى : نسبة إلى خارف ، وهو لقب مالك بن عبد الله ، والد قبيلة من همدان . القاموس (خرف) .

(٥) سبق الكلام على هذه النسبة فى الترجمة السالفة . وفيما عدا ل : « الخارجى » وهو قيس بن سعد الخارفى ، تابعى ، روى عن على ، وعنه أبو القاسم بن كثير . تهذيب التهذيب .

(٦) صلى : أتى مصلياً ، والمصلى فى الحلبة : الذى يلى السابق .

(٧) هاتان الكلمتان من ل فقط .

وقال النابغة :

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ ركابَنا　　لمّا تَزُلْ برحالنا وكأن قَدِ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

إذا قيل أعمَى قلت إنَّ ، وربَّما　　أكونُ ، وإنِّى من فتًى لبَصيرُ
إذا أبصر القلبُ المروءةَ والتقَى　　فإن عمى العينين ليس يَضيرُ
وإنّ العمى أجرٌ وذُخرٌ وعِصْمَةٌ　　وإنّى إلى هذى الثلاثِ فقيرُ

ابن أبى الزِّناد[1] قال : كنتُ كاتباً لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب فى المظالم فيُراجعه ، فكتب إليه : « إنه يُخَيَّلُ إلىّ أنّى لو كتبت إليك أن تعطىَ رجُلاً شاةً لكتبتَ إلىّ : أضأنٌ أم ماعزٌ ؟ وإنْ كتبتُ إليكَ بأحدِهما كتبت إلىّ : أذكرٌ أم أنثى ؟ وإن كتبت إليك بأحدِهما كتبت إلىّ : أصغيرٌ أم كبير ؟ فإذا أتاك كتابى فى مَظلِمةٍ فلا تُراجعْنى . والسلام » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « إنى لأستعينُ بالرّجل الذى فيه »[2] ٤٠
ليس فى الحديث غير هذا . ثمّ ابتدأ الكلام فقال : « ثمّ أكون على قَفّانِه[3] إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف » . وأرادَ هو قول الأسدىّ :

سُوَيدٌ فيه ، فابغُونا سواه　　أبَيْناه وإنْ بَهّاهُ تاجُ[4]

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان ، سبقت ترجمة والده عبد الله فى ص ٢٤٧ . وأما هو فكان كثير التحديث ، حدث بالمدينة وبغداد ، وولى خراج المدينة فكان يستعين بأهل الخير والورع . ولد سنة ١٠٠ وتوفى فى بغداد ١٧٤ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٣٠٩ .

(٢) فى اللسان (قفف) : «وفى حديث عمر أن حذيفة — رضى الله عنهما — قال له : إنك تستعين بالرجل الفاجر ! فقال : إنى لأستعين بالرجل لقوته ثم أكون على قفانه » .

(٣) ب ، ج : « على قفائه » صوابه فى ل ، والتيمورية واللسان . أى أكون على تتبع أمره حتى استقصى علمه وأعرفه . فكفايته لى تنفعنى ، ومراقبتى له تمنعه من الخيانة .

(٤) بغاه الشىء : طلبه له .

ولم يقُل : فيه كذا وفيه كذا . وقال الرّاجز (١) :

بِتْنا بحسّانَ ومِعْزاهُ تئطّْ (٢) ... في سَمَنٍ جَمٍّ وتَمْرٍ وأَقِطْ (٣)

حتّى إذا كاد الظلام ينكَشِطْ ... جاء بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذِّئبَ قطّْ (٤)

وقيل للمنتجِع بن نَبْهان (٥) ، أولأبي مهديّة (٦) : ما التَّضْـنـاضُ ؟ فأخرج طرَفَ لسانِه وحرّكه .

وقيل له : ما الدَّلَنْظَى ؟ فزَحَر وتقاعَسَ وفرّق ما بين مَنْكِبَيه .

ومن الكلام كلامٌ يذهب السامع منه إلى معانى أهلِه ، وإلى قَصْد صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وتَرَى الناسَ سُكارَى وما هُمْ بِسُكارَى ﴾ . وقال : ﴿ لا يموتُ فيها ولا يَحْيَا ﴾ . وقال : ﴿ ويأتيهِ الموتُ مِنْ كلِّ مَكانٍ وما هُوَ بميّتٍ ﴾ . وسئل عن قوله ﴿ لهُمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بكرةٌ ولا عشيٌّ . وقال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فإنْ كُنْتَ فى شَكٍّ مِمَّا أنزَلْنا إليْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَقرءونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ (٧) ﴾ . قالوا لم يشُكَّ ولم يَسَلْ (٨) .

---

(١) ذكر البغدادى فى الخزانة (١ : ٢٧٧) أن هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة وقيل : قائله العجاج . وانظر الكامل ٥١٨ ليبسك وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٤ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ١٤٩) .

(٢) بحسان ، أى عند حسان . تئط : تصوت أجوافها من الجوع .

(٣) السمن ، بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والجم : الكثير . والأقط : اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل . يقول : هو مع وفرة ما عنده بخيل شحيح .

(٤) يروى أيضا : « جاءوا » . والمذق : بالفتح : اللبن الممزوج بالماء .

(٥) المنتجع بن نبهان ، أحد الأعراب الذين روى عنهم الأصمعى . انظر الحيوان (٢ : ٣٤١) .

(٦) أبو مهدية الأعرابى — ويقال أبو مهدى — أحد فصحاء الأعراب الذين روي عنهم البصريون ، واختار له الأصمعى قصيدة فى الأصمعيات ٢٧ ليبسك . قال ابن النديم ٦٩ : « وكان يهيج به المرة فى كل سنة مديدة » .

(٧) من الآية ٩٤ من يونس . وقراءة « فسل » هى قراءة ابن كثير والكسائى وخلف . وقرأ الجمهور : « فاسأل » . إتحاف فضلاء البشر ٢٥٤ .

(٨) ما عدا ل : « ولم يسأل » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في جواب كلامٍ قد تقدّم وقولٍ قد سلف منه : « مُتْعتَانِ كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهى عنهما وأضرب عليهما »[1]. وهذا مِثل قائلٍ لو قال : أتضربُنا على الكلام في الصّلاة ، وعلى التطبيق إذا ركعنا[2]، فيقول نعم أشدّ الضرب . إذا كان قد تقدّم منه إعلامه إيّاهم بحال الناسخ والمنسوخ[3].

وقد سأل رجل بلالاً مولى أبي بكر رحمه الله[4] وقد أقبل من جهة الحَلْبة ، ٤١
فقال له : من سَبَقَ ؟ قال : سبقَ المُقرَّبون . قال : إنّما أسألك عن الخيل . قال : وأنا أجيبُك عن الخير . فترك بلالٌ جواب لفظه إلى خبرٍ هو أنفعُ له .

حدثني عبدُ الملك بن شَيبان ، قال : حدثني يعقوب بن الفضل الهاشميّ ، قال : كتب أبو جعفر إلى سَلْم[5] يأمره بهدْمِ دُورِ مَن خرج مع إبراهيم ، وعَقْرِ

---

(١) الحديث في الحيوان (٤ : ٢٧٦) . والمتعتان هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا في كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية . أما متعة النساء فهي ما يسميه الفقهاء نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا في أول الإسلام . وفيه نزل قول الله : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » ، ثم نسخ ذلك بنهي الرسول . وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع . وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ، إذ قيل في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وقد عني الجاحظ أن كلام عمر ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله ، وحرمتا أيضا في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » فالمراد : أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول .

(٢) التطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين . انظر اللسان (طبق) .

(٣) انظر الحيوان (٤ : ٢٧٧) .

(٤) بلال هنا ، هو بلال المؤذن ، واسمه بلال بن رباح الحبشي ، ويقال أيضا بلال بن حمامة ، وحمامة أمه . اشتراه أبو بكر من المشركين إنقاذا له من التعذيب ، ثم أعتقه ، فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له ، وشهد جميع المشاهد ، وآخى الرسول بينه وبين أبي عبيدة الجراح . توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ . الإصابة ٧٣٢ .

(٥) هو سلم بن قتيبة المترجم في (١ : ١٧٤) .

نَخلِهم . [قال :] فكتب إليه سَلْم : بأىِّ ذلك نبدأ ؟ بالدُّور أم بالنَّخْل ؟ قال : فكتب إليه أبو جعفر : « أمّا بعدُ فإنِّى لو كتبتُ إليك بإفساد تَمرِهم لكتبت إلى تستأذِننى بأيِّه نبدأ بالبَرْنىِّ أم بالشِّهريز[(١)] ؟ » . وعزله وولَّى محمدَ بنَ سليمان .

وقال ابن مسعود : « إنّ طُول الصَّلاةِ وقِصَر الخُطْبة مَئِنَّةٌ مِن فِقه الرَّجُل » . مَئِنَّة : مَخلَقةٌ ومَجدرة ومَحراة . قال الأصمعىّ : مئنّة : علامة .

وقال عبد الله : « عليكم بالعلم ؛ فإنّ أحدكم لا يدرى متى يُختَلُ إليه[(٢)] » .

ولما أقدم عمرُ بنُ الخطاب عَمرو بنَ العاص عليه من مصر قال له عُمَر : « لقد سِرْتَ سَيْرَ عاشق » . قال عمرو : إنِّى والله ما تأبَّطَتْنِى الإماء ، ولا حَمَلَتْنى البغايا فى غُبَّرات المآلى[(٣)] » . قال له عُمر : « والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتُك عنه ، وإنّ الدَّجاجة لتفحَصُ فى الرَّماد فتضعُ لغير الفَحْلِ والبيضةُ منسوبةٌ إلى طَرْقِها[(٤)] » . وقام عمر فدخل وقام عمرو فقال : لقد أفحَشَ أميرُ المؤمنين علينا .

وجاء فى الأثر : « لا يُمنع فضلُ الماء ليُمنَع به فَضل الكلأ[(٥)] » .

قال أعرابى : اللهم لا تُنزِلْنى ماءَ سَوْء فأكون امرأَ سَوْء[(٦)] .

---

(١) البرنى : ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر : قال أبو حنيفة : أصله فارسى ، إنما هو البارنى . فالبار الحمل ، و« نى » تعظيم ومبالغة . والشهريز : ضرب من التمر ، معرب أيضاً ، وهو بكسر الشين وضمها ، وأنكر بعضهم الضم . ويقال كذلك سهريز بكسر السين المهملة .

(٢) ل : « متى يحتل إليه » تحريف .

(٣) المآلى : جمع مئلاة ، وهى خرقة الحائض . وغبراتها : بقاياها .

(٤) الطرق ، بالفتح : الفحل . ب ، ج : «طرتها» التيمورية : « ظرفها » تحريف . والخبر منثور فى اللسان (غبر ، ألى ، طرق) .

(٥) معناه أن البئر تكون فى البادية ، ويكون قريباً منها كلأٌ ، فإذا ورد عليها وارد فغلب على مائها ومنع من يأتى بعده من الاستقاء منها ، فهو بمنعه الماء مانع من الكلأ ؛ لأنه متى ورد رجل بإبله فأرعاها ذاك الكلأ ثم لم يسقها قتلها العطش . فالذى يمنع ماء البئر يمنع النبات القريب منه . انظر اللسان (كلأ) .

(٦) سبق الخبر فى (١ : ٤٠٥) .

وقال بلعاء بن قيس[١] :

وكم كان فى آل اللُّوَّح من فتى ۞ مُنَادَى مفدًّى حين تُبلَى مرائرُه
وكم كان فى آل اللوَّح من فتًى ۞ يُجيب خطيباً لا يُخاف عوائرُه

وقال الآخر :

ومُخَاصِمٍ قاومت فى كَبَـــدٍ ۞ مثلِ الرِّهان فصار لى العذرُ[٢]

وقال آخر :

وجـــهٌ قبيحٌ ولسان أبكمُ ۞ ومِشفرٌ لا يتوارى أضْجَمُ[٣]

ولما رأى الفرزدق دُرُسْتَ بن رِبَاطٍ الفُقيمىَّ[٤] على المنبر — وكان أسود ٤٢
دميماً قصيراً — قال :

بكى المِنبرُ الشرقىُّ إذْ قام فوقَه ۞ أميرٌ فُقَيمىٌّ قصيرُ الدَّوَارجِ[٥]

وقال :

بكى المنبر الشرقىُّ والناس إذ رأَوْا ۞ عليه فُقَيميًا قصـــير القوائمِ

وإنما كان يعادى بنى فُقَيم لأنَّهم قتلوا أباه غالبا .

قال أبو عبيدة : قال رجل ليونس بن حبيب[٦] : إذا أخذتم فى مذاكرة

---

(١) ترجم فى ١٥٨ .

(٢) الكبد : الشدة والمشقة . ومنه : (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) . والرهان : المسابقة على الخيل .

(٣) أضجم : مائل . ما عدا ل : « أضخم » تحريف .

(٤) ذكر فى القاموس أنه كان شاعراً . وفى ديوان الفرزدق ١٤٢ أن الشعر يقوله لمحمد ابن رباط الفقيمى واستعمله ابن هبيرة على البصرة ، فلما صعد المنبر قال : يا بنى تميم ، اتقوا الله وكونوا كما قال الله فى كتابه : انصر أخاك ظالما أو مظلوماً . فقال له بعض أصحابه : ليس هذا قول الله ، إنما هذا شعر . قال : اسكت ، فمن قاله فقد أحسن وأجل !

(٥) الدوارج : جمع دارجة ، وهى الأرجل . وفى اللسان (درج) : « أن قام فوقه خطيب » .

(٦) ترجم فى (١ : ١٧٤) .

الحديث وقع عليّ النعاس . قال : فاعلم أنك حمارٌ في مِسلاخ إنسان[١] .

قال : ودخل عبدالله بن خازم[٢] على عُبيدالله بن زيادٍ وهو يَخْطِر في مِشيته ، فقال للمنذر بن الجارود : حرِّكه . فقال : يا ابن خازم ، إنّك لتجرُّ ثوبَك كما تجرُّ البَغِيُّ ذيلَها . قال : أمَا والله إنّي مع ذلك لأُنفُذ بالسَّرِيّة ، وأضرِبُ هامة البطل لمُشِيح[٣] ، ولو كنتَ وراء هذا الحائط لوضَعْت أكثَرَك شَعراً[٤] .

وقد كان قبض عطاءه فصبَّه بين أيديهم ثم قال : لعنكِ الله من دراهم ، ما تَقُومين بمَؤُونة خيلنا !

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : خذ الحكمة أنّى أتتك ؛ فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتتلجلج في صدره حتّى تخرجَ فتسكنَ إلى صواحبها .

وقال عمرو بن العاص لأهل الشام يوم صِفِّين[٥] : « أقيمُوا صفوفَكم مثلَ قصِّ الشارب ، وأعيرونا جماجمَكم ساعةً من النَّهار ، فقد بلغ الحقُّ مَقْطَعَه ، وإنّما هو ظالمٌ أو مظلوم » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ[٦] : « عَضوا على النّواجذ من الأضراس[٧] ، فإنّه أنبَى للسُّيوف عن الهام » .

وقال رجل : طِد رجلك إذا اعتصيت بالسَّيف والعصا[٨] ، وأنت مخيَّرٌ في ساعة المسالمة والموادعة .

---

(١) المسلاخ : الجلد . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ١٢٠) .

(٢) ترجم في ص ١٠٨ .

(٣) المشيح : الحازم الحذر .

(٤) يعني بذلك رأسه .

(٥) الخطبة في وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٢٥١ .

(٦) الخطبة في وقعة صفين ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

(٧) النواجذ : أقصى الأضراس ، وهي ضروس الحلم .

(٨) وطد رجله يطدها : أثبتها وثقلها . واعتصى بالسيف : أخذه أخذ العصا ، وضرب به ضربه بها .

ولما أقاموا ابن قيئة[١] بين العُقابين قال له أبوه : طِد رجليك بالأرض[٢] ، وأصِرَّ إصرارَ الفَرَس ، واذكر أحاديث غدٍ ، وإيّاك وذكرَ الله فى هذا الموضع ، فإنّه من الفشل .

قال : وقيل للحجاج : مَن أخطب الناس ؟ قال : صاحب العمامة السوداء ٤٣ بين أخصاص البَصْرة[٣] . يعنى الحسن .

وقال الأحنف : قال عُمر : تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا . وقال عمر : احْذَرْ من فَلَتَات الشّباب كُلَّ ما أورثك النَّبَز وأَعْنَقَكَ اللقَب[٤] ؛ فإنه إنْ يعظُمْ بعدها شأنُك يَشتدَّ على ذلك ندمك .

ولما بنى عُتبةُ بن غزوان وأصحابُه بالبصرة بناء اللَّبِن ، كتب إليهم عُمر : « قد كنت أكره لكم ذلك[٥] فإذْ فعلتم ما فعلتم فعرِّضوا الحيطان وارفعوا السَّمْكَ ؛ وقاربوا بين الخُشُب » . ولما بلغه أنّهم قد اتخذوا الضِّياع وعَمَّروا الأرض ، كتب إليهم : « لا تَنْهَكُوا وجه الأرض ، فإنّ شحمتَها فيه » .

وقال عُمر : « بِعِ الحيوان أحسن ما يكون فى عينك » : وقال : « فرِّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين » .

وقال : « املِكُوا العجينَ فإنّه أحدُ الرَّيْعَين[٦] » .

وقال : « إذا اشتريت بعيراً فاجعله ضَخْماً ؛ فإنّه إنْ أخطأك خُبْرٌ لم يخطئك سُوق » .

---

(١) ابن قيئة هذا ليس هو عمرو بن قيئة ، ولعل فى اسمه تحريفاً .

(٢) ما عدا ل : « الأرض » تحريف .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، وهو بيت من شجر أو قصب ، أو بيت يسقف عليه بخشبة على هيئة الأزج .

(٤) النبز ، بالتحريك : اللقب ، ويكثر النبز فيما يكون ذماً .

(٥) بعده سقط فى التيمورية ينتهى إلى منتصف صفحة ٤٥ من الأصل .

(٦) ملك العجين يملكه ملكا بالفتح ، إذا شدد عجنه . والريع : الزيادة .

وقال عمر : « العمائم تيجان العرب » وقال : « نعم المُسْتَنَد الاحتباء » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس كالإبل ، ترى المائة لا تجد فيها راحلة[١] » .

وأنشدوا :

وكأنّ من زهر الخُزامى والنَّدى ... والأقحوانِ عليه رَيطةَ بُرْنُسِ[٢]

فإذا ترنّمَ حــولَه ذِبّانُه ... أصغى تَسَمُّعَ خائفٍ مُتوجِّسِ

خرجت عليه من الضِّراء دواجِنٌ ... تَحتثُّ نحو مَلاذِ وانٍ أشوَسِ[٣]

يسعى ويَمثُل والصَّفيرُ كلامُهُ ... وتَحي بداه لهُنَّ وَحْيَ الأخرسِ[٤]

وقال الراعى :

أبا خالدٍ لا تَنبِذَنّ نَصَاحةً ... كوَحي الصَّفا خُطَّت لكم فى فؤاديا[٥]

وقال الشاعر :

رُبَّ طَرفٍ مُصرِّحٍ ... عن ضَميرٍ بما هَجَسْ

وقال آخر :

---

(١) الراحلة من الإبل : القوى على الأسفار والأحمال ، التى يختارها الرجل على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر . ويروى : « تجدون الناس بعدى كإبل مائة ، ليس فيها راحلة » .

(٢) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة . والبرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به . والأبيات فى صفة ثور . يقول : ذلك الثور المتوارى بين ذلك الزهر وقد تساقط الندى عليه كأنما لبس برنسا موشيا .

(٣) الضراء : جمع ضرو بالكسر ، وهو الضارى من السباع والكلاب . والدواجن ذوات الإلف ، عنى بها كلاب الصيد . تحتث : تسرع ، وهو مطاوع استحثه واحتثه . والملاذ : الملجأ . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا أو غيظا . ل : « نحو ملاوسى » تحريف .

(٤) يمثل : يقف . يقول : هو يداول بين السعى والانتظار . يعنى الصائد . ب : « يسعى يمثل » ح : « يسعى بمثل » . وحى يحى : أشار يشير .

(٥) النصاحة ، بفتح النون : النصح والإخلاص . ما عدا ل : « لا تنبذنا نصاحة » تحريف . الوحى : الكتابة ، هاهنا . أى كتلك الكتابة الثابتة فى ذاك الحجر .

* بِلحنِ القَولِ والطَّرْفِ الفصيحِ *

وقال المثقِّبُ العبدىَ ، فى استماع الثور ، وتوجُّسِهِ وجَمْعِ بالِه إذا أحسّ بشىء من أسباب القانص ، وذَكَرَ ناقةً : ٤٤

كأنّها أسْفَعُ ذو جُدّةٍ   يَضُمُّه القَفْر وليل سَدِ[١]
كأنّما ينظرُ من بُرقعٍ   من تحت رَوقٍ سَلِبٍ مِذوَدِ[٢]
يُصيخ للنَّبْأة أسماعُه   إصاخةَ الناشدِ للمُنْشِدِ[٣]
ويُوجِس السَّمعَ لنَكرائِه   من خشية القانص والمُؤْسِدِ[٤]

وقال بعض العبيد شعراً يقع فى ذكر الخطباء ، وفى ذكر أشداقهم وتشادُقهم :

أغَرَّكَ منّى أنّ مولاى مَزْيداً   سريعٌ إلى داعى الطعام سَرُوطُ
غلامٌ أتاه الذُّلُّ مِن نحو شِدْقِه   له نَسَبٌ فى الواغِلينَ بسيطُ[٥]
له نحو دَوْرِ الكاس إمّا دعوتَه   لسانٌ كذَلْقِ الزّاعِبيِّ سليطُ[٦]

وقال الأوّل :

* إنّ سَليطاً كاسمه سليطُ *

---

(١) الأسفع : الثور الوحشى الذى فى خديه سواد يضرب إلى الحمرة قليلا . والجدة ، بالضم : الخطة فى ظهره تخالف لونه . والسدى : ذو السدى ، وهو الندى . والبيت فى اللسان (سفع ، سدا) .

(٢) شبه السفعة فى وجه الثور ببرقع أسود . والروق : القرن . والسلب : الطويل . والمذود . الكثير الذود والمدافعة .

(٣) الناشد : الذى يطلب الضالة ويسأل عنها . والمنشد : المرشد إلى الضالة . ماعدا ل : « تصيخ » .

(٤) النكراء : الدهاء والفطنة . والمؤسد : الكلاب الذى يشلى كلابه للصيد ؛ يقال آسد الكلب وأوسده : أغراه بالصيد .

(٥) ل : « أتاه الدل » بالدال المهملة . والواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه . والبسيط : المنبسط الممتد .

(٦) ذلق الشىء : حده . والزاعبي من الرماح : الذى إذا هز تدافع كله .

وقال بعض العبيد فى بعض العبيد :

وقد كان مفتوقَ اللَّهاةِ وشاعراً … وأشدَقَ يَفرِى حين لا أحدٌ يَفرِى

وقال مَورَقٌ العبدُ يتوعّد مولاه[1] :

لولا عجوز قَحمَــةٌ ودَرْدَقُ … وصاحِبٌ جَمُّ الحديثِ مُونِقُ

كيف الفَوات والطَّـلوب مَورَقُ … شيخٌ مَغيظ وسِــنانٌ يَبرقُ

وحنجرٌ رَحبٌ وصوت مِصْلَقُ … وشدقُ ضرغامٍ ونابٌ يَحْرُقُ

وسأل رجلٌ عمر بن عبد العزيز عن الجمل وصفّين فقال : « تلك دماءٌ كفَّ اللهُ يدِى عنها ، فلا أحبُّ أن أغمس لسانى فيها » .

ويقع فى باب التطبيق :

لأنتمْ ببيع اللَّحمِ أعلمُ منكمُ … بضَرب السُّيوفِ المرهَفات القَواطِعِ ٤٥

وقال عمرو بن هُــدّاب : « إنّما كنّا نعرف سؤدد سَلْم بن قُتيبةَ[2] أنه كان يركب وحدَه ويرجع فى خمسين » .

قال الأصمعىّ : دخــل حَبيب بن شَوذَبٍ الأسدىّ على جعفر بن سليمانَ بالمدينة ، فقال : « أصلَحَ الله الأمير ، حبيب بن شَوذبٍ وادُّ الصَّــدر ، جميل الذِّكر ، يكره الزيارة المُمِلّة ، والقَعدة المُنْسِيَة[3] » .

وفى الحديث : « زُرْ غِبًّا تَزْدد حُبًّا » .

وقال بعضهم : عن الثّورى ، عن محمــد بن عَجلان[4] ، عن عِياض بن

---

(١) سبق إنشاد الأبيات التالية فى ١٥٢ .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ١٧٤) .

(٣) يعنى الطويلة . والخبر فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤) مع خلاف .

(٤) هو أبو عبد الله بن عجلان المدنى القرشى ، كان ثقة كثير الحديث له حلقة كبيرة فى مسجد رسول الله ، قدم مصر وصار إلى الإسكندرية ، وتوفى بالمدينة سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٦) .

عبد الله[١] قال : « إنّ الدَّيْنَ مجمعٌ لكلِّ همٍّ ، همٌّ بالليل وذُلٌّ بالنّهار ، وراية الله فى أرضه ، فإذا أراد الله أن يُذلّ عبداً جعله طَوْقاً فى عُنقِه[٢] » .

عمر بن ذَرّ[٣] قال : الحمد لله الذى جعلنا من أُمّةٍ تُغفر لهم السيِّئات ، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات .

ابن أبى الزِّناد[٤] قال : كنا لا نكتُب إلاّ سُنَّةً ، وكان الزهرى يكتب كلَّ شىء ، فلما احتيج إليه عَرفتُ أنه أوعى الناس .

قال : قال فيروزُ حُصَيْن[٥] : إذا أراد الله أن يُزيل عن عبد[٦] نعمة كان أوّلُ ما يغيِّر منه عقلَه .

وقيل لمحمّد بن كعب القُرَظىّ[٧] : ما علامة الخِذْلان ؟ قال : أن يستقبح الرّجلُ ما كان حسناً ، ويستحسن ما كان قبيحاً .

وقال محمد بن حفص[٨] : كُنْ إلى الاستماع أسرعَ منك إلى القول ، ومن خطإ القولِ أشدّ حذراً من خطإ السُّكوت .

وقال الحسن : إذا جالستَ العلماء فكُن على أن تسمع أحرصَ منك على

---

(١) هو عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى المكى ، روى عن ابن عمر وأبى هريرة ، وروى عنه زيد بن أسلم ، ومحمد بن عجلان ، وسعيد المقبرى . ولد بمكة ثم قدم مصر مع أبيه ثم رجع إلى مكة ، فلم يزل بها حتى مات على رأس المائة . تهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٢) فى عيون الأخبار (١ : ٢٥٤) : « جعلها طوقا » أى الراية . وهو الأوفق .

(٣) ترجم فى (١ : ٢٦٠) .

(٤) سبقت ترجمة أبى الزناد عبد الله بن ذكوان فى ٢٤٧ . وأما ابنه الذى عرف بهذه الكنية فهو عبد الرحمن ، كان من ثقات المحدثين ، ولى خراج المدينة ، وقدم بغداد ومات بها سنة ١٧٤ وهو ابن أربع وسبعين سنة . تهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٥٣٥٩ .

(٥) سبقت ترجمته فى ٤٣ من هذا الجزء .

(٦) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ٢٨٦ س ١٠ .

(٧) مضت ترجمته فى ص ٣٤ .

(٨) هو أبو عبد الرحمن محمد بن حفص القطان البصرى ، من ثقات أهل الحديث ، حدث عن ابن عيينة ويحيى القطان ، وعنه يعقوب بن سفيان وابن أبى الدنيا . تهذيب التهذيب .

أن تقول ، وتعلَّمْ حسنَ الاستماع كما تتعلّمُ حُسنَ القول ، ولا تقطع على أحدٍ حديثَه .

سفيان بن عُيينة ، قال : كان يقال : العالِم مثل السِّراج ، من مرَّ به اقتبس منه .

وقال الشاعر أبو دُهْمانَ الغَلاّبيّ (١) :

لئن مصر فاتتنى بما كنتُ أرتجِى ... وأخلفنى منها الذى كنتُ آمُلُ
فما كُلُّ ما يخشى الفتى بمصيبِهِ ... ولا كُلُّ ما يرجو الفتَى هو نائل
٤٦ فما كان بينى لو لقيتُك سالماً ... و بين الغِنَى إلا ليالٍ قلائلُ (٢)

وقال الآخر :

وإن كلام المرء فى غـير كُنْهِهِ ... لكالنَّبل تهوِى ليس فيها نصالُها (٣)

وقال كعبُ الأحبار : قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : « الهديَّةُ تفقأعين الحكيم ، وتُسِمُّه عقل الحليم » .

قال : زَحَم رجُلٌ سالمَ بن عبد الله (٤) فزحم سالمٌ الذى يليه ، فقال له : يا شيخ ما حسبتك إلا شيخَ سَوء ! قال سالم : ما أحسِبك أبعَدْتَ (٥) .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٢) البيتان الأولان من هذه المقطوعة ، هما من أصوات الأغانى (١٩ : ١٥١) . على أن البيت الأخير من قصيدة للحطيئة فى ديوانه ٩٨ يذكر فيها علقمة بن علاثة .

(٣) أنشده فى اللسان (كنه) على أن الكنه بمعنى الوجه .

(٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى المدنى ، فاق أهل المدينة علما وتقى وعبادة وورعا ، وكان يشبه أباه فى السمت والهدى ، وأمه من سبى فارس من بنات يزدجرد . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٠) والمعارف ٩٣ .

(٥) الخبر أورده ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢ : ٥١) . وأوله هناك : « زحم سالم ابن عبد الله بن عمر رجل فقال له سالم : بعض هذا رحمك الله ! فقال له الرجل : ما أراك إلا رجل سوء » .

قال : سأل رجل محمّد بن عمير بن عُطارد[١] وعَتّاب بن ورقاء[٢] فى عشر دِيَاتٍ فقال محمد : علىّ دِيَةٌ . فقال عتّاب : الباقى علىّ . فقال محمّد : نعم العون على المروءة اليَسَارُ .

وقال الأحنف :

فلو مُدّ سَرْوِى بمالٍ كثيرٍ　　لجدتُ وكنتُ له باذلا
فإن المـــروءةَ لا تُستطاع　　إذا لم يكن مالُها فاضِلا

وقال يزيد بن حُجَيّة ، حين بلغه أن زياد بن خَصَفَة تركه ولم يلحق به :

أبلغ زياداً أننى قـــد كفيتُه　　أمورى وخليتُ الذى هو غالبُه
وبابٍ شـديدٍ داؤُه قد فتحتُه　　عليكَ وقد أعيت عليك مذاهبُه
هُبِلتَ فما تَرجُو غَنَائِى ومَشْهدى　　إذا كان يومٌ لا تَوارَى كَواكبُه

[وقال آخر :

* ومنطقٍ خُرّق بالعواسلِ[٣] *]

قال : تجرّدت الحضرميّـة[٤] لزوجها ثمّ قالت : هل ترى فى خلْق الرَّحمٰن مِن تفاوُت ؟ قال : أرى فُطُوراً .

وقال آخر : راوَدَت امرأةٌ شيخاً واستهدفتْ له ، وأبطأ عليه الانتشارُ فلامته ، فقال لها : إنّكِ تفتحين بيتاً وأنا أنشُرُ مَيْتاً .

* * *

علىّ بن محمد[٥] ، عن عمر بن مُجَاشِعٍ[٦] ، أنّ عُمر كتب إلى أبى موسى

---

(١) كان محمد بن عمير من أجواد أهل الكوفة وأشرافهم ، وكان من أمراء على بصفين وله أخبار مع الحجاج . وفيه يقول القائل :

علمت معد والقبائل كلها　　أن الجواد محمد بن عطارد

انظر لسان الميزان والإصابة ٨٥٢٧ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٣٥ .　(٣) سبق البيت فى (١ : ٣٤٩) .

(٤) ما عدا ل : «حضرمية» .　(٥) هو على بن محمد المدائنى ، المترجم فى ص ٢٨٠ .

(٦) هو عمر بن مجاشع المدائنى ، ذكره ابن حبان فى الثقات . وترجم له ابن حجر فى لسان الميزان (٤ : ٢٢٤) .

الأشعريّ : « أمّا بعد ، فإنّ للناس نُفرةً عن سُلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدرِكَنى وإيّاكَ عمياءُ مجهولةٌ ، وضغائنُ محمولة ، وأهواءٌ مُتّبَعة ، ودُنيا مُؤثَرة . فأقِمِ ٤٧ الحدودَ ولو ساعةً من نهار ، وإذا عَرَضَ لك أمرانِ أحدُهما لله والآخرُ للدُّنيا ، فآثِرْ نصيبَكَ من الآخرة على نصيبِك من الدُّنيا ؛ فإنّ الدنيا تَنفَدُ ، والآخرة تَبقَى . وكُن مِن خَشية الله على وَجلٍ ، وأخِفِ الفُسّاقَ واجعلْهم يداً يداً ، ورِجلاً رِجلا . وإذا كانت بين القبائل نائرة[1] وتَداعَوْا : يالَ فلانٍ يالَ فلانٍ ، فإنّما تلك دعْوَى الشيطان[2] ، فاضرِبْهم بالسَّيف حتى يَفيئوا إلى أمر الله ، وتكونَ دعواهم إلى الله وإلى الإمام . وقد بلغَ أميرَ المؤمنين أنّ ضَبّةَ تَدْعو : يالَ ضَبَّةَ ! وإنّى والله ما أعلمُ أنّ ضَبّةَ ساقَ الله بها خيراً قطّ ، ولا مَنَع بها من سوء قطّ . فإذا جاءك كتابى هذا فأنهِكْهُم عقوبةً حتّى يَفرَقُوا إن لم يَفقَهُوا[3] . وألصِقْ بغيلانَ بن خَرَشة من بينهم[4] ، وعُدْ مرضى المسلمين ، واشهَدْ جنائزَهم ، وافتحْ بابَك ، وباشِرْ أمرهم بنفسِك ، فإنّما أنت رجلٌ منهم ، غيرَ أنّ الله جعَلك أثقلَهم حِمْلاً . وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنّه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئةٌ فى لباسك ومَطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلُها . فإيّاكَ يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرّت بوادٍ خِصْبٍ ، فلم يكن لها هِمّةٌ إلاّ السِّمَن ، وإنّما حتفُها فى السِّمَن . واعلم أنّ للعامل مردًّا إلى الله ، فإذا زاغ العاملُ زاغت رعيّتُه . وإنّ أشقَى الناس مَن شَقِيَتْ به رعيّتُه . والسلام » .

عَوَانة[5] ، قال : قدم علينا أعرابى من كَلْبٍ ، وكان يحدِّثنا الحديث فلا

---

(١) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « ثائرة » تحريف .

(٢) ما عدا ل : « نجو الشيطان » تحريف .

(٣) فرق يفرق ، من باب تعب : خاف . والفقه : الفهم والعلم .

(٤) ترجم غيلان بن خرشة الضبى فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) . وألصق ، من قولهم ألصق فلان بعرقوب بعيره ، إذا عقره .

(٥) مضت ترجمته فى (١ : ٣١٦) .

يكاد يقطعُه ، فقال له رجل : أمَا لحديثك هذا آخِر ؟ قال : إذا عجز وصَلْناه .

قال معاويةُ ليونس بن سعيد الثقفى[١] : اتّقِ أن أطيرَ بك طَيرةً بطيئاً وقوعُها . قال : أليس لِى ولك المرجعُ بَعدُ إلى الله ؟ قال : بلى ، فأستغفِرُ الله .

رقَبة بن مَصْقَلة قال : ما سمعتُ عمر بن ذَرّ[٢] يتكلّم إلاّ ذكرت النّفخَ فى الصُّور ، ولا سمعت أحداً يحكيه إلاّ تمنّيت أن يُجلَد ثمانين .

قال : وتكلّم عمرُ بن ذَرّ فصَاح بعض الزّفّانين صَيْحةً[٣] ، فلَطَمَه رَجُلٌ فقال عمرُ بن ذَرّ : ما رأيتُ ظُلْماً قطُّ أوفقَ لى من هذا .

قال طاوس : كنتُ عند محمد بن يوسف[٤] ، فأبلغه رجلٌ عن بعض ٤٨ أعدائه كلاماً ، فقال رجلٌ من القوم : سبحان الله ! فقال طاوس : ما ظننت أنّ قولَ سبحانَ الله معصيةٌ لله حتّى كان اليومَ . كأنّه عنده إنما سبَّح ليُظهِر استعظامَ الذى كان من الرّجُل ، ليوقِعَ به[٥] .

وقال الراجز :

لو كان عَاداكَ البطىءُ المُسهَمُ[٦] إذاً بَدَا منك الذى لا يُكتَمُ
وجهٌ قبيحٌ ولسانٌ أبكَمُ ومِشفَرٌ لا يتوارى أضجَمُ

وقال آخر :

يقعِّرُ القَولَ لكيما تحسبَه[٧] من الرّجال الفُصَحاء المُعرِبَه

(١) ما عدا ل : « ليونس الثقفى » .
(٢) ترجمة عمر بن ذر فى (١ : ٢٦٠) .
(٣) الزفانون : الذين يزفنون ، أى يرقصون .
(٤) هو محمد بن يوسف الثقفى ، أخو الحجاج بن يوسف . ولاه عبد الملك اليمن ، فلم يزل واليا عليها حتى مات . المعارف ١٧٣ .
(٥) سبق الخبر فى (١ : ٣٩٥) .
(٦) المسهم : الذى ذهب جسمه أو عقله . التيمورية : « عاداك » ب ، حـ : « عدوك » . وانظر ما سبق فى ٢٨٤ .
(٧) ل : « يقصر » صوابه فى سائر النسخ .

وهو ، إذا نسبته ، مِن كَرَبَه[1]   من نخلةٍ نابتـــــةٍ فى خَرِبَهْ

***

قالت امرأةُ الحطيئة للحطيئة ، حين تحوّل عن بنى رِياحٍ إلى بنى كلب : « بئس ما استبدلتَ من بنى رياحٍ بعَرُ الـكَبْش » ؛ لأنّهم متفرّقون ، وكذلك بعر الـكبش يقع متفرّقا .

علىّ بن محمد ، عن مَسلمة بن محارب ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى حرب ابن أبى الأسود عن أبيه قال : بعثنى وعِمرانَ بنَ حُصَين[2] عثمانُ بن حُنَيفٍ[3] إلى عائشة فقال : يا أمَّ المؤمنين ، أخبرينا عن مَسيرِك ، أهذا عهدٌ عَهِدَه[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم أمْ رأىٌ رأيتِه ؟ قالت : « بل رأىٌ رأيتُه حينَ قُتِل عثمان ، إنّا نَقَمنا عليه ضَرْبَةَ السَّوطِ[5] ، وموقعَ السَّحابة المُحماةِ[6] ، وإمرةَ سعيدٍ والوليد[7] ، فعدوتم عليه فاستحللتم منـه الحُرَمَ الثّلاث : حُرْمَةَ البلد ، وحرمة

---

(١) الـكرب : أصول السعف .

(٢) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر . استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة ثم استعفاه ، ومات بها سنة ٥٢ . الإصابة ٦٠٠٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٨٣) .

(٣) عثمان بن حنيف الأنصارى ، شهد بدرا ، وولاه عمر السواد مع حذيفة بن اليمان . وكان على قد استعمله على البصرة قبل أن يقدم عليها . ومات فى خلافة معاوية . الإصابة ٥٤٢٧ وتهذيب التهذيب .

(٤) ما عدا ل : « مسيرك هذا ، أعهد » .

(٥) ما عدا ل : « ضربةً بالسيف » .

(٦) فى هامش التيمورية : « قولها موقع السحابة المحماة ، يعنى موضعاً أمطره السحاب لحمى من الرعى . فعل ذلك عثمان ، وكذلك فعـل عمر ، إلا أنه كان يرعى فيه إبل الصدقة ، فـكان ذلك مما نقم على عثمان » .

(٧) سعيد هذا ، هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى . ولى الـكوفة لعثمان بعـد الوليد بن عقبة فشكا منه أهل الـكوفة فعزله . وكان حليما وقورا ، وكان يقال له « عكة العسل » . مات فى قصره بالعقيق سنة ٥٣ ، وأما الوليد فهو الوليد بن عقبة ابن أبى معيط ، وكان قبل إسلامه شديد الأذى للمسلمين ، وكان ممن أسر يوم بدر ، ونشأ فى كنف عثمان إلى أن استخلف فولاه الـكوفة بعد عزل سعد بن أبى وقاص ، فاستعظم الناس =

الخِلافة ، وحرمةَ الشهر الحرام ، بعد أن مُصْناه كما يُماصُ الإناء فاستَنْقَى[1] ، فركِبْتم هـذه منه ظالمين ، فغضبنا لـكم من سوطِ عثمان ، ولا نغضب لعثمان من سيفكم؟» . قلت : وما أنتِ وسيفنا وسوط عثمان ، وأنتِ حبيسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرَكِ أن تقرّى فى بيتك فجئتِ تضرِبين الناسَ بعضَهم ببعض . قالت : وهل أحدٌ يقاتلنى أو يقول غير هذا ؟ قلنا : نعم . قالت : ومن يفعل ذلك أزَنيمُ بنى عامر[2] ؟ ثم قالت : هل أنتَ مبلغٌ عنّى يا عِمران ؟ قال : لا ، لستُ مُبلِغاً عنكِ خيراً ولا شرّا ، فقلت : لـكنّى مبلغ عنكِ فهاتى ما شئت . فقالت ٤٩
اللهمّ اقتلْ مذمّماً قِصاصاً بعثمان — تعنِى محمّدَ بنَ أبى بكر — وارمِ الأشتر بسهم من سهامك لا يُشوِى ، وأدرِكْ عمّارًا بحفرته فى عثمان[3] .

حدثنا يزيدُ بن هارون ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، أنّ زياداً بعث الحكم بن عمرو[4] على خراسان ، فأصابَ مغنماً ، فـكتب إليه زياد :

= ذلك ، وكان الوليد من شجعان قريش وسرواتهم وأجوادهم ، ولـكنه كان يشرب الخمر ، فصلى بالناس الصبح أربعا وهو سكران ، فعزله عثمان عن الـكوفة بعد أن جلده . ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولـكنه كان يحرض على قتال على بكتبه وشعره ، ومات فى خلافة معاوية . الإصابة ٩١٤٨ .

(١) ماص الإناء يموصه : غسله : أرادت أنهم استتابوه عما نقموا منه ، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه .

(٢) الزنيم : الدعى فى النسب . تعنى به عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس ابن الحصين بن الوذيم ، من بنى ثعلبة بن حارثة بن عامر . وأمه سمية بنت خباط ، كانت أمة لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى ثم زوجها ياسرا فولدت له عمارا . الإصابة ٥٦٩٩ والمعارف ١١١ — ١١٢ ووقعة صفين ٢٢٤ .

(٣) أدرك ، كـذا وردت فى جميع الأصول ، ولها وجه . والـكلام إشارة إلى ما كان من عمار بن ياسر ، إذ كان عثمان قد أرسل رجالا إلى الأمصار ليقفوا على بواطن الأمور ، وكان ممن أرسلهم عمار بن ياسر أرسله إلى مصر ، فرجع الرجال جميعا إلا عمارا ، إذ استماله أهل مصر الناقمون إلى جانبهم . انظر الطبرى فى حوادث سنة ٣٥ .

(٤) هو الحـكم بن عمرو بن مجدع ، أبو عمرو الغفارى ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ثم نزل البصرة وولاه زياد خراسان فمات بها سنة ٥٠ . تهذيب التهذيب والإصابة ١٧٧٩ .

« إن أمير المؤمنين معاويةَ كتب إليَّ يأمرُنى أن أصطفيَ له كلَّ صفراء و بيضاء ، فإذا أتاك كتابى هذا فانظرْ ما كان من ذهب وفضّة فلا تَقسِمْه واقسِمْ ما سوى ذلك » . فكتب إليه الحكمُ : « إنى وجدت كتابَ الله قبلَ كتاب أمير المؤمنين ووالله لو أنّ السّموات والأرضَ كانتا رتقاً على عبدٍ فاتّقى الله لجَعل الله له منها مخرجا . والسلام » . ثم أمر المنادى فنادى فى الناس : أن أغدُوا على غنائمكم . فقَسَمها بينهم .

قال : وقال خالدُ بن صفوان : ما رأينا أرضاً مثل الأُبلّة أقربَ مَسافةً ، ولا أطيبَ نُطفةً[1] ، ولا أوطأَ مطيّةً ، ولا أربحَ للتّاجر ، ولا أخفى لعابد » .

قال الكِسائىّ : لقِيتُ أعرابيًّا فجعلتُ أسألُه عن الحَرف بعد الحَرف ، والشىء بعد الشىء أقرِنُه بغيره فقال : تالله ما رأيتُ رجلاً أقدرَ على كلمةٍ إلى جنب كلمة أشبه شىء بها وأبعدَ شىء منها منك .

ووصف أعرابىٌّ رجلا فقال : ذاكَ والله ممن ينفع سِلمُه ، ويتَواصَف حلمُه ، ولا يُستَمرأُ ظُلمه .

وقال آخر لخصمه : لئن هَمْلَجتَ إلى الباطل إنّك لقَطوفٌ إلى الحقّ[2] .

قال : ورأى رقبةُ بن مَصقَلةَ العبدىُّ[3] جاريةً عند العطّار ، فقال له : ما تصنع هذه عندك ؟ قال : أكيل لها حِنّاء . قال : أظنُّك والله تكيل لها كيلاً لا يأجُرُك اللهُ عليه .

---

(١) النطفة : الماء الصافى ، أو الكثير .

(٢) الهملجة : حسن سير الدابة فى سرعة . والقطاف ، بالكسر : تقارب الخطو فى بطء .

(٣) هو أبو عبد الله رقبة بن مصقلة بن عبد الله العبدى الكوفى ، كان مفوها معدودا فى رجالات العرب . قال الدارقطنى : ثقة إلا أنه كانت فيه دعابة . وذكر ابن الأثير وفاته سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب .

محمد بن سعيد ، عن إبراهيم بن حُويطب[١] ، قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس : إنّ هذا الأمر الذى نحنُ وأنتم فيه ليس بأوّلِ أمرٍ قاده البلاء ، وقد بَلغَ الأمرُ منّا ومنكم ما ترى ، وما أبقت لنا هذه الحربُ حياء ولا صبراً ، ولسنا نقول ليتَ الحربَ عادت ، ولكنا نقول ليتها لم تكنْ كانت . ٥٠
فانظر فيما بقى بغير ما مضى ؛ فإنّك رأسُ هذا الأمر بعدَ علىّ ، وإنما هو أميرٌ مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاوَرٌ مأمون ، وأنت هو .

وقال عيسى بن طلحة ، لعروة بن الزبير حين ابتُلى فى رجله[٢] فقطعها : يا أبا عبد الله ، ذهبَ أهوَنُك علينا ، وبقى أكثرك لنا[٣] .

وقالت عائشة : لا سَمَر إلاّ لثلاثة : لمسافر ، أو مُصَلٍّ ، أو عروس[٤] .

قال أبو الحسن : خطب الحجّاج يوم جُمعة فأطال الخطبة ، فقال رجل : « إنّ الوقتَ لا ينتظرك ، وإن الربَّ لا يَعذِرُك » . فحبسه ، فأتاه أهلُ الرجل وكلّموه وقالوا : إنّه مجنون . قال : إنْ أقرَّ بالجنون خلّيتُ سبيلَه . فقيل له : أقِرَّ بالجنون . قال : لا والله لا أزعُم أنّه ابتلانى وقد عافانى .

قالت أمّ هشامٍ السَّلولية : ما ذَكرَ النّاسُ مذكوراً خيراً من الأبلِ : أحناه على أحدٍ بخير ، إنْ حَمَلَت أثقلت ، وإنْ مشت أبعَدت ، وإن نُحِرت أشبعَت ، وإن حُلبت أروَت .

حدّثنى سليمانُ بن أحمد الحَرَشى[٥] ، قال : حدّثنى عبد الله بن محمد بن

---

(١) ما عدا ل : « خويطب » بالخاء المعجمة .

(٢) ما عدا ل : « برجله » .

(٣) كان عروة بن الزبير قد أصابته الأكلة فى رجله بالشام ، وهو عند الوليد ابن عبد الملك ، فقطعت رجله والوليد حاضر ، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها تقطع ، حتى كويت فوجد رائحة الكى . وبقى بعد ذلك ثمان سنين . المعارف ٩٨ .

(٤) هذا الخبر فى ل فقط .

(٥) ما عدا ل : « الحرشى » .

حبيب ، قال : طلب زيادٌ رجلا كان فى الأمان الذى سأله[1] الحسن بن على
لأصحابه ، فكتب فيه الحسنُ إلى زياد : « من الحسن بن على إلى زياد . أمّا بعد فقد
علمت ما كُنّا أخذْنا لأصحابنا ، وقد ذَكَرلى فلانٌ أنك عَرَضْتَ له ، فأُحِبُّ أن
لا تعرض له إلاّ بخير » . فلمّا أتاه الكتابُ ولم ينسبه الحسنُ إلى أبى سفيان
غَضِب فكتب : « من زيادِ بن أبى سفيانَ إلى الحسن . أمّا بعد فقد أتانى
كتابك فى فاسقٍ يؤويه الفُسّاق من شيعتك وشيعة أبيك ، وايْمُ الله لأطلُبُنَّهم
ولو بين جِلدِك ولحمك . وإنّ أحبَّ الناس إلىَّ لحمًا أنْ آكُلَه[2] للحمٌ أنت منه »
فلما وصل الكتابُ إلى الحسنِ وجَّه به إلى معاوية ، فلما قرأه معاويةُ غضِب
وكتب : « مِن معاويةَ بنِ أبى سفيان إلى زيادِ بن أبى سفيان . أمّا بعدُ فإنّ لك
رأيين : رأيًا من أبى سفيان ورأيًا من سُمَيّةَ . فأمّا رأيك من أبى سفيان فحِلْمٌ
وحَزْم ، وأمّا رأيك من سُميّةَ فكما يكون رأىُ مِثْلِها . وقد كتَبَ إلىَّ الحسنُ بنُ
علىٍّ أنك عَرَضْتَ لصاحبه ، فلا تعرِضْ له ؛ فإنّى لم أجعل لك إليه سبيلا ،
وإن الحسنَ بن علىٍّ ممن لا يُرْمى به الرَّجَوان[3] . والعجبُ مِن كتابك إليه ٥١
لا تنسبهُ إلى أبيه ، أفإلى أمّه وكَلْتَه ، وهو ابن فاطمةَ بنتِ محمّد عليه السلام ؟
فالآن حينَ اخترتَ له . والسّلام » .

***

وقدِم مُصعبُ بنُ الزُّبير العراقَ[4] فصعِد المنبرَ ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ طسم . تلك آيات الكتابِ المُبين . نَتْلُو عَلَيْكَ
مِنْ نَبَإِ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الأَرْضِ

(١) ما عدا ل : « سأل له » تحريف .
(٢) ما عدا ل : « وإن أحب لحم إلى آكله » .
(٣) أى ممن لا يستهان به . والرجوان : مثنى رجا ، وهو الناحية من كل شىء .
(٤) وذلك إذ أرسله أخوه عبد الله واليا على البصرة سنة ٦٧ .

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . وأشار بيده نحو الشام . ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ . وأشار نحو الحجاز . ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ . وأشار بيده نحو العراق[1] .

قال : كتب محمد بن كعب القُرَظىّ[2] فقيل له : والأنصارىّ . فقال : أكره أن أمُنَّ على الله بما لم أفعل .

المدائنى[3] قال : قام عمرُو بن العاص بالموسم ، فأطرَى معاويةَ ، وبنى أميّة ، وتناوَلَ بنى هاشم ، وذكر مشاهدَه بصِفِّين ، فقال له ابنُ عبّاس : يا عمرو ، إنك بعتَ دينَك من معاوية فأعطيتَه ما فى يدك ، ومَنّاك ما فى يد غيره ، فكان الذى أخذ منك فوقَ ما أعطاك ، وكان الذى أخذْتَ منه ، دونَ ما أعطيتَه ، وكلٌّ راضٍ بما أخذ وأعطى ، فلمّا صارت مصرُ فى يدك تتبّعكَ فيها بالعزل والتنقيص[4] حتى لو أنَّ نفسَك فيها ألقيتَها إليه ، وذكرتَ مَشاهِدَك بصِفِّين فما ثقُلت علينا يومئذٍ وطأتُك[5] ، ولا نكَتَنا فيها حربُك[6] . وإنْ كنت فيها لطويلَ اللّسان ، قصير

---

(١) انظر الخطبة أيضا فى تاريخ الطبرى (٧ : ١٤٦) فى حوادث سنة ٦٧ والعقد الفريد (٤ : ١٢٥ — ١٣٦) طبع لجنة التأليف . وقد عنى بأهل الشام عبد الملك بن مروان والأمويين ، وبأهل الحجاز أخاه عبد الله بن الزبير ومن معه من شيعته ، وأهل العراق المختار ابن أبى عبيد الثقفى وأنصاره .

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى المدنى ، وكان أبوه من سبى قريظة ، سكن الكوفة ثم المدينة ، وروى عن العباس بن عبدالمطلب ، وعلى بن أبى طالب ، وابن مسعود وعمرو بن العاص . قالوا : وفيه جاء الحديث : « يخرج من أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحديكون بعده » . والكاهنان : قريظة والنضير . توفى سنة ١٠٨ . الإصابة ٨٥٣٠ وتهذيب التهذيب .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ب ، حـ . (٤) ما عدا ل : « والتنقص » .

(٥) فى الأصل : « فأثقلت علينا وطأتك » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) نكاه ينكيه نكاية : أصاب منه .

السِّنان . آخِرُ الحرب إذا أقبلَتْ ، وَأوَّلُها إذا أدبرَتْ . لك يدان : يدٌ لا تبسطها إلى خير ، ويدٌ لا تقبضها عن شرّ . ووجهان : وجهٌ مؤنِسٌ ، ووجه مُوحِشٌ . ولَعَمْرى إنّ مَن باع دينَه بدُنيا غيرِه لحرِيٌّ أن يطول حزنُه على ما بَاعَ واشترى . لك بيانٌ وفيك خَطَلٌ ، ولك رأىٌ وفيك نَكَدٌ ، ولك قدرٌ وفيك حَسَدٌ . فأصغرُ عيبٍ فيك أكبر عيبٍ فى غيرك[1] .

٥٢ فقال عمرو : أمَا واللهِ ما فى قريش أحدٌ أثقلُ وطأةً علىّ منك ، ولا لأحدٍ من قريش قدرٌ مثلُ قدرك .

***

قال : ورأى عمرو بنُ عتبةَ[2] بنِ أبى سفيانَ رجلاً يشتم رجلا ، وآخرَ يستمع له ، فقال للمستمع : نَزِّهْ سمعَك عن استماع الخَنا ، كما تُنَزِّه لسانَك عن القول به ؛ فإن السّامع شريكُ القائل ، وإنما نَظَر إلى شرّ ما فى وعائه [فأفرغَه فى وعائك] ، ولو رُدَّت كلمةُ جاهلٍ فى فيه لسَعِدَ رادُّها ، كما شَقِىَ قائلُها .

***

عَوانة قال : اختصم إلى زيادٍ رجلانِ فى حقٍّ كان لأحدهما على الآخر ، فقال المُدَّعَى عليه : أيُّها الأمير ، إنّه ليسطو علىّ بخاصّة ذَكر أنها له منك . قال زياد : صَدَقَ ؛ وسأخبِرُك بمنفعتها له : إنْ يكن الحقّ عليك أخذتُكَ به ، وإن يكن لك عليه حكمتُ عليه ثمّ قضيتُ عنه .

***

---

(١) ما عدا ل : « أعظم عيب فى غيرك » .

(٢) عمرو بن عتبة بن أبى سفيان ، هو ابن أخى معاوية بن أبى سفيان . وكان عمر ممن خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، وقتل فى تلك الحروب . المعارف ١٥١ . وكان خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين سنتى ٨١ و ٨٣ .

قال : ولما تُوُفِّى أبو بكرٍ الصدّيقُ رحمه الله ، قامت عائشةُ على قبره فقالت[(١)] : نَضَّرَ الله وجْهَك ، وشَكَرَ لك صالحَ سَعيك ، فقد كنتَ للدُّنيا مُذِلاً بإدبارك عنها ، وللآخره مُعِزًّا بإقبالك عليها . وإنْ كان لأجَلُّ الأرزاء بَعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤُك ، ولأكبرُ المصائبِ فقدُك . وإنَّ كتابَ الله ليَعِدُ بجميل العزاء عنك حُسْنَ العِوَض منك . فأنتَجِزُ[(٢)] من الله موعوده فيك بالصَّبر عنك واستخلصه بالاستغفار لك[(٣)] .

* * *

وقامت فَرغانة بنت أوسِ بن حَجَرٍ على قبر الأحنف [بن قيس] وهى على راحلةٍ ، فقالت : إنّا لله و إنا إليه راجعون . رحمك الله أبا بحرٍ مِن مُجَنٍّ فى جَنَنٍ[(٤)] ، ومُدْرَجٍ فى كفَنٍ ؛ فو الذى ابتلانا بفقدك ، وأبلَغَنا[(٥)] يومَ موتِك ، لقد عِشْتَ حميداً ، ومُتَّ فقيدا ، ولقد كنتَ عظيمَ الحِلم ، فاضِلَ السِّلْم ، رفيعَ العِماد ، وارِىَ الزِّناد . منيعَ الحريم ، سليمَ الأديم ، وإنْ كنتَ فى المحافل لَشريفا ، وعلى الأرامل لعَطوفا ، ومن الناس لقريبا ، وفيهم لغريبا . وإنْ كُنتَ لمسوَّدًا ، و إلى الخلفاء لمُوفَدا ، وإن كانوا لقولك لمستمعين ، ولرأيك لمتَّبعين . ثم انصرفَتْ .

* * *

أبو الحسن قال : قال عمرُو بن العاصِ : ما رأيتُ معاويةَ قطُّ متَّكِئا على يساره ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ، كاسراً إحدى عينيه ، يقول

---

(١) الخطبة فى العقد (٣ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٣٢) ونهاية الأرب (٥ : ١٦٧) .

(٢) كذا وردت فى الأصل والعقد بتقديم النون على التاء . والمعروف فى كلامهم « أتنجز » بتقديم التاء ، و « استنجز » .

(٣) فى زهر الآداب : « وأستقضيه » ، وفى العقد ونهاية الأرب : « وأستعيضه » .

(٤) أجنه فى الجنن ، أى وضعه فى القبر . أجنّه : ستره .

(٥) ما عدا ل : « وبلغنا » .

للذى يكلِّمه : يا هَناه[١] ، إلاّ رحمتُ الذى يكلِّمه .

٥٣ وقال عمرُ بنُ الخطّاب رحمه الله كونوا أوعية الكِتاب[٢] ، وينابيعَ العلم ، وسَلُوا الله رزقَ يوم بيوم ، ولا يضيرُكُم ألاّ يُكثِرَ لكم .

وكتب مُعاويةُ إلى عائشة : أن اكتُبى إلىَّ بشىء سمعتِه من أبى القاسم صلى الله عليه وسلم . فكتبتْ إليه : « سمعتُ أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : مَن عمِل بما يُسْخِطَ الله عاد حاسدُه من الناس ذامًّا » .

أوصَى بعضُ العلماء ابنَه فقال : أُوصيك بتقوى الله ، وليَسَعْكَ بيتُك . وامْلِكْ عليك لسانَك ، وابْكِ من خطيئتِك[٣] .

بكر بن أبى بكرٍ القُرَشى قال : قال أعرابىّ : ما غُبِنْتُ قطُّ حتَّى يُغبَنَ قومى . قيل : وكيف ؟ قال : لا أفعل شيئاً حتى أشاوِرهم .

قيل لرجلٍ من عَبْس : ما أكثر صوابكم ! قال : نحنُ ألفُ رجلٍ ، وفينا حازمٌ ونحن نُطيعُه ، فكأنّا ألفُ حازم .

***

قال أبو الحسن[٤] : أوّلُ مَن أجرَى فى البحر السّفُنَ المقيَّرة المسمَّرة ، غيرَ المخرَّزة المدهونة[٥] ، وغير ذوات الجآجى[٦] ، وكان أوّلَ من عمل المَحامِل[٧] ، الحجّاج . وقال بعضُ رُجّاز الأكرياء[٨] :

(١) ياهناه ، كناية عن قولهم يا رجل . وأصلها ياهن ، زيد فيها الألف وهاء السكت .
(٢) كونوا أوعية له ، أى احفظوه فى صدوركم .
(٣) ما عدا ل : « على خطيئتك » .
(٤) هذا الكلام على السفن والمحامل تجده بعينه فى الحيوان (١ : ٨٢) .
(٥) المخرزة : التى فيها غتمة وتحبير شبيه بالخرز .
(٦) جؤجؤ السفينة والطائر : صدرهما . والجمع جآجئ .
(٧) فى اللسان : « والمحمل : واحد محامل الحجاج ... قال ابن سيدة : المحمل شقان على البعير يحمل فيهما العديلان » . وضبطه كمجلس ومنبر .
(٨) الأكرياء : جمع كرى بوزن صبى ، وهوالذى يكرى دابته بالكراء ، أى الأجر . ل : « بعض الرجاز الأكرياء » وأثبت ما فى الحيوان وسائر النسخ .

أوّلُ عبدٍ عَمِلَ المَحاملا [١] … أخزاهُ ربّى عاجلا وآجلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصداغى فهُنّ بِيضُ … محاملٌ لقِدِّها نَقِيضُ [٢]

* * *

قال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابيا يقول : لو تَنَخَّلَ [٣] رجلٌ أخاً شقيقًا لم يأملْ أن يبدوَ منه ما يبدو من الثَّوب ذى الحَرَقِ [٤] ، فرحم الله رجلاً أغضى عن الأقذاء [٥] واستمتع بالظَّاهر .

قال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابيًا يقول : مَن وَلَّد الخيرَ أنتج له فِراخاً تطيرُ بالسرور ، ومَن وَلَّد الشرَّ أنبت له نباتاً مُرًّا مذاقُه ، قُضبانُه الغَيظ ، وثمرهُ النَّدَم .

وأنشد النَّضر بن شُمَيل [٦] :

يحبُّ بَقائى المشفِقُون ومُدَّتى … إلى أجلٍ ، لو تعلمون ، قريبُ

وما أرَبى فى أرْذَلِ العُمْر بعدما … لبِستُ شبابى قَبْلَهَ ومشيبى [٧]

(١) وكذا روايته فى اللسان (حمل) . وفى الحيوان : « أول خلق » .

(٢) القد ، بالكسر : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ فتشد بها الأقتاب والمحامل . والنقيض والإنقاض : الصوت .

(٣) التنخل : الاختيار . ما عدا ل : « تنحل » بالمهملة ، تحريف .

(٤) الحرق ، بالتحريك : النقب فى الثوب من دق القصار ، كأنه احترق بالنار . ماعدا ل : « الخرق » تحريف .

(٥) أغضى عن القذى : صرف بصره عنه . والقذى : الأذى . وأغضى على القذى : صبر عليه وسكت . ما عدا ل : « على الأقذاء » .

(٦) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم ، التميمى المازنى ، النحوى اللغوى . ولد بمرو ونشأ بالبصرة ، وأخذ عن الخليل ، وأقام بالبادية زمانا طويلا ، فأخذ عن فصحاء الأعراب . ويذكرون أنه لما ضاقت عليه الأسباب فى البصرة عزم على الخروج إلى خراسان ، فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين . وروى له ياقوت محاورات مسهبة مع المأمون . توفى سنة ٢٠٤ . إرشاد الأريب (١٩ : ٢٣٨ — ٢٤٣) ووفيات الأعيان ، وبغية الوعاة .

(٧) أرذل العمر ، أى آخره ، فى حال الكبر والعجز ، والأرذل من كل شىء : الردىء منه .

٥٤ وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

يا ابنَ الزُّبيرِ جَـزاكَ اللهُ لائمةً … هَلاَّ انتهيتمْ وفى الأقوالِ تعتيبُ(١)

تَنزُو لتدركَ من كعبٍ غطارفةً … لا تستوى بُسْرَةُ العُرجونِ والطيبُ(٢)

كما ترى فَرْخَ عُشٍّ لا حَراكَ به … وفوقَه من نُسالِ الرِّيشِ تزغيبُ

ما فيـكمُ قد علِمنا مِن محافَظَةٍ … يومَ الحِفاظِ ولا خيرٌ لمنكوبِ(٣)

وأنتمُ تحتَ أرواقِ البيوتِ إذا … هبَّتْ شآميَةٌ دُرْنٌ طحاريبُ(٤)

أنتم مُناخُ الخَنَى قُبحاً لخُلْقِكمِ … فكلُّكم يا بنى البلقاءِ مقشوبُ(٥)

فى ذِمَّتى أنْ تَضِجُّوا من مصادَمَتى … كما تضجُّ من الحَرِّ الجنادِيبُ(٦)

ما بين أدبَسَ نشَّاجٍ له ذَفَرٌ … ومُقْصَدِ القلبِ ذى سِتِّينَ مَعْصُوبِ(٧)

---

(١) التعتيب : الإبطاء . عتب الرجل : أبطأ . قال ابن سيدة : « وأرى الباء بدلا من ميم عتّم » . ومن فسرها بالعتاب فقد أخطأ .

(٢) النزو : الوثب . والغطريف : السيد الشريف السخى . والبسر : مالون ولم ينضج من التمر . والطيب ، بالكسر ، هو من كل شىء أفضله . فى الأصل : « قسوة العرجون » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٣) الحفاظ والمحافظة : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب .

(٤) الأرواق : جمع روق ، وهو مقدم البيت . شآمية : ريح تأتى من قبل الشام ، وهى ريح الشمال ، وهذه معها الجدب . درن : جمع أدرن ، والدرن : الوسخ . وقد أراد درن طباعهم . والطحاريب ، وقد زاد فيه الياء : جمع طحرب ، بكسر الطاء والراء ، وهو القثاء من يابس النبت ونحوه .

(٥) قبحا ، يقال بضم القاف وفتحها ، أى إبعاداً لكم من كل خير . والمقشوب : الملطخ بالعيب ، والممزوج الحسب باللؤم . فى الأصل : « منشوب » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) المصادمة : المقارعة . فى الأصل : « مصارمتى » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٧) الأدبس : ما لونه بين السواد والحمرة . ل : « أدنس » ولم أجد هذا الوصف . والنشاج : الذى يسلح كثيرا ، ومثله المنشج . ل : « نثات » وفيما عداها : « نتاج » والوجه ما أثبت . عنى به صبيانهم . يقول : أنتم بين صبى هـذه صفته وبين شيخ مقصد القلب ، أى ضعيف القلب كأنه رمى بسهم فلم يخطئه . والمعصوب : الذى عصب حاجباه من الكبر ، وهما يسترخيان عند الشيخوخة . ل : « ذى شتين مغضوب » تحريف . وفى البيت إقواء .

خالى سَماعةُ فاعـــلم ، لاخفاء به ... لقد هَوَى بك يا دِقّينُ شُنْخُوبُ[١]
صَعبٌ مناكبُه تَهوِى الكُماةُ به ... خوفاً وتصطادهُمْ منـه كلاليبُ[٢]

وأنشد ابن المُعذَّل[٣] :

تواعَدَ للبَـين الخليطُ لِينْبَتُّوا ... وقالوا لراعِى الظَّهْرِ موعدُك السبتُ[٤]
ففاجأنى بَغتاً ولم أخشَ بَيْنَهـم ... وأفظَعُ شىءٍ حين يفجؤُكَ البغتُ
مَضى لسُـليمَى منذُ ما لم ألاقها ... سِـنُونَ توالَتْ بيننا خمسٌ أوسِتُّ
وفى النَّفسِ حاجاتٌ إليكم كثيرةٌ ... برُبَّانها فى الحىِّ لو أُخِّرَ الوقتُ[٥]
تأيَّمتُ حـتَّى لامنى كلُّ صاحبٍ ... رجاءَ لسَلْمَى أن تَئيمَ كما إمْتُ[٦]
[لِئن بعت حظِّى منك يوماً بغيره ... لَبِئْسَ إذاً يومَ التغابُنِ ما بعتُ[٧]
تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وعهـدُهم ... بأنْ يتمنوا لو حَييتُ إذا متُّ]
وقد علموا عنـد الحقائق أنَّنى ... أخو ثقةٍ ما إنْ ونيتُ ولا إنْتُ[٨] ٥٥

(١) دقين ، كذا ورد فى التيمورية . وفى حواشيها : « دقين : اسم رجل » . ل : « وثيق » ب ، ج . « دفين » بالفاء . والشنخوب : رأس الجبل .

(٢) ما عدا ل : « تعيى الكماة » من الإعياء .

(٣) هو أحمد بن المعذل ، كما سيأتى . وهو أخو عبد الصمد بن المعذل ، كلاهما كان شاعراً . وكان أحمد عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم فى المنزلة ، وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه ، فيحلم عنه . وعبد الصمد أشعرهما . الأغانى (١٢ : ٥٤) .

(٤) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد . انبتوا : تفرقوا وانقطع بعضهم من بعض . الظهر ، بالفتح : الإبل التى يحمل عليها ويركب .

(٥) بربانها ، أى بجميعها ، أو بحدثانها وطراءتها وجدتها .

(٦) تأيم : مكث زماناً لا يتزوج ، وقد استشهد بالبيت فى اللسان (أيم) .

(٧) هذا البيت وتاليه ساقطان من الأصل . التغابن : أن يغبن القوم بعضهم بعضا .

(٨) الحقائق : جمع حقيقة ، وهى ما يحق على المرء أن يحميه . وإنت ، بكسر الهمزة من آن يئين أينا ، إذا أعيا . وبكسر الهمزة من آن يؤون ، إذا اتدع ولم يعجل .

وأنِّىَ قد سَيَّرْتُ نَبْلِى وأنَّنى ... كأنى وقد وقَّعتُ أنصالَها رِشتُ[١]

وقال أحمد بن المعذَّل : أنشدنى أعرابىٌّ من طيِّئٍ :

ولستُ بمَيَّالٍ إلى جانب الغنى ... إذا كانت العَلْياء فى جانب الفقرِ[٢]

وإنى لَصَبَّارٌ على ما ينوبُنى ... وحسبُكَ أنَّ اللهَ أثنى على الصَّبرِ

[خطبة الحجاج]

حدثنا محمّد بن يحيى بن على بن عبد الحميد[٣] ، عن عبد الله بن أبى عبيدة ابن محمد بن عمّار بن ياسر ، قال[٤] :

خرج الحجّاج يريد العراق واليًا عليها ، فى اثنَىْ عشر راكبا على النَّجائب ، حتّى دخل الكوفة فَجأةً حين انتشرَ النّهار ، وقد كان بشرُ بنُ مروانَ بَعث المهلَّبَ إلى الحَرُوريَّة[٥] ، فبدأ الحجّاج بالمسجد فدخَلَه ، ثم صعِدَ المنبرَ وهو

---

(١) النبل : السهام العربية لا واحد لها من لفظها ، وواحدها سهم . وقال بعضهم : واحدتها نبلة . وسير السهام : جعل فيها خطوطا . ل : « يسرت قبل » صوابه فى سائر النسخ . والأنصال : جمع نصل . والتوقيع : التحديد . وراش السهم : جعل له الريش . ل : « كأنى إذا » .

(٢) فى الأغانى (١٢ : ٥٥) أن البيتين للمعذل بن غيلان ، والد أحمد وعبد الصمد . والبيتان فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٧) .

(٣) هو محمد بن يحيى بن على بن عبد الحميد بن عبيد الكنانى المدنى ، روى عن مالك ابن أنس ، وابن عيينة . قال عمر بن شبة : كان كاتبا وأبوه كاتبا وجداه كاتبين ، وكان أحد الثقات المشاهير ، يحمل الحديث والأدب والتفسير . تهذيب التهذيب . ما عدا ل : « عن عبد الحميد » تحريف .

(٤) الخطبة فى الكامل ٢١٥ ليبسك والعقد (٤ : ١١٩) والطبرى (٧ : ٢١٠) وصبح الأعشى (١ : ٢١٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٣) وابن الأثير (٤ : ١٠٦) .

(٥) الحرورية بفتح الحاء والراء ، ويقال بفتح الحاء وضم الراء : نسبة إلى حروراء ، بالمد والقصر ، وهى قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها . والحرورية هم أصل الخوارج . كانوا مع على عليه السلام ثم خالفوه بعد تحكيم الحكمين بينه وبين معاوية وأهل الشام وقالوا : لاحكم إلا لله ، وكفروه وتبرءوا منه وأمروا عليهم ذا الثدية — وهو حرقوص ابن زهير — فخرج على فحاربهم بالنهروان ، فقاتلهم وقتل ذا الثدية ، فسموا الحرورية لوقعة حروراء . معجم الفرق الإسلامية .

ملثَّم[1] بعمامةٍ خزٍّ حمراء ، فقال : علىّ بالناس ! فحسبوه وأصحابَه خوارج ، فهمُّوا به ، حتَّى إذا اجتمع النَّاسُ فى المسجد قام فكشَفَ عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلاَ وطلاَّعُ الثّنايا ‏ ‏ مَتَى أضعِ العِمامةَ تعرفونى[2]

أمَا والله إنى لأحتملُ الشرَّ بحِمْله ، وأحذوه بنَعله ، وأجزيه بمثله ، وإنى لأرَى رءوسًا قد أينعتْ وحان قِطافُها ، وإنى لَصَاحِبُها ، وإنى لأنظرُ إلى الدِّماء تَرَقْرَقُ بين العمائم واللِّحَى .

* قد شمَّرت عن ساقها فشمِّرَا[3] *

ثم قال :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ[4] ‏ ‏ قد لَفَّها الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ[5]

ليسَ براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ ‏ ‏ ولا بجزّارٍ على ظهرِ وَضَمْ[6]

وقال أيضاً :

قد لفَّها اللَّيـــلُ بعَصْلَبِىّ[7] ‏ ‏ أرْوَعَ خرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ[8]

---

(١) ما عدا ل : « متلثم » .

(٢) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، رواها الأصمعى فى الأصمعيات ٧٣ ليبسك .

(٣) فى العقد : « فشمرى » .

(٤) الرجز لرويشد (أورشيد) بن رميض العنبرى ، كما فى حواشى الكامل ، واللسان (حطم) والأغانى (١٤ : ٤٤) يقوله فى الحطم القيسى ، واسمه شريح بن ضبيعة ، وكان شريح قد غزا اليمن ، فغنم وسبى ، ثم أخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجوا ووردوا الماء . فقال فيه رشيد الرجز مادحا ، فلقب « الحطم » بما فى الرجز . وقد أدرك الحطم الإسلام فأسلم ثم ارتد بعد وفاة الرسول . الأغانى . وزيم : اسم ناقته أو فرسه .

(٥) الضمير فى « لفها » للإبل . أى جمعها الليل بسائق شديد . عنى نفسه والرعية .

(٦) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٧) الرجز فى اللسان (عصلب) . والعصلبى : الشديد الباقى على المشى والعمل .

(٨) الأروع : الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسودد ، وقيل هو الجميل الذى يروعك حسنه . والدوى : المفازة . وهى الدو أيضا ، وزيد الياء فيها كما قيل أحمر : أحمرى .

* مهاجِرٌ ليسَ بأعرابىّ *

٥٦ إنّى والله يا أهلَ العراق ، والشِّقاق والنِّفاق ، ومساوى الأخلاق ، ما أُغمَزُ تَغمازَ التِّين ، ولا يُقعقَع لى بالشِّنان (١) ، ولقد فُرِرت عن ذَكاء (٢) ، وفُتِّشت عن تَجرِبة ، وجَرَيتُ مِن الغاية (٣) . إنّ أميرَ المؤمنين كبَّ كِنانته ثم عَجَم عيدانَها (٤) ، فوجدنى أمرَّها عوداً ، وأصلبَها عموداً ، فوجَّهنى إليكم ؛ فإنّكم طالما أوضعتم فى الفِتَن (٥) ، [واضطجعتم فى مراقد الضّلال] ، وسننتم سُنَنَ الغَىّ . أما والله لألحونَّكم لَحوَ العصا ، ولأعصِبَنَّكم عَصْبَ السَّلَمة (٦) ، ولأضرِبنّكم ضَربَ غرائب الإبل (٧) ؛ [فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كُلِّ مكانٍ فكفرت بأنعُم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون] . إنّى والله لا أعِدُ إلاّ وفَيت ، ولا [أهُمُّ إلاّ أمضيت ، ولا] أخلُقُ إلا فريت (٨) . فإيّاىَ وهذه الجماعاتِ وقالاً وقِيلا ، وما تقولون (٩) ؟ وفيم أنتم وذاك ؟

---

(١) الشنان : جمع شن ، بالفتح ، وهو القربة البالية ، وكانوا يحركونها إذا استحثوا الإبل للسير ؛ لتفزع فتسرع .

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء : نهاية الشباب وتمام السن . وهو فى ذوات الحافر أن يجاوز القروح بسنة ، وإنما يقرح حينما يستتم الخامسة ويدخل فى السادسة .

(٣) كأنه عنى أنه جاوز الغاية . والغاية : قصبة تنصب فى الموضع الذى تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفى العقد : « وأجريت إلى الغاية القصوى » .

(٤) فى بعض المراجع : « نثر كنانته » . وعجم العود : عضه ليعرف صلابته .

(٥) الإيضاع : السير بين القوم . وفى الكتاب : « ولأوضعوا خلالكم » .

(٦) السلمة : واحدة السلم ، وهو شجر ذو شوك يدبغ بورقه وقشره . والسلم يعسر خرط ورقه لكثرة شوكه ، فتعصب أغصانه ويشد بعضها ببعض بحبل ، ثم يهصرها الخابط إليه ويخبطها بعصاه ، فيتناثر ورقها للماشية .

(٧) ذلك أن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها .

(٨) خلق الأديم : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه . والفرى : القطع .

(٩) ما عدا ل : « وما تقول » .

أمَا واللهِ لتستقيمُنَّ على طريق الحقِّ أو لَأدعَنَّ لكلِّ رجلٍ منكم شُغُلاً فى جَسَدِه . مَن وجدتُ بعد ثالثةٍ[١] مِن بَعث المهلَّب سفكتُ دمه ، وانتهبتُ ماله .

ثم دخل منزله .

***

أبو الحسن قال : كتب الحجّاجُ بن يوسف إلى قَطَرِىِّ بن الفُجاءةِ . « سلامٌ عليك . أمّا بعدُ فإنّك مَرَقتَ من الدِّين مُروقَ السّهم من الرَّمِيّة ، وقد علمتَ حيث تجرثمتَ[٢] ، ذاكَ أنكَ عاصٍ لله ولوُلاةِ أمرِه ، غير أنّكَ أعرابىٌّ جِلفٌ أُمّىٌّ ، تستطعم الكِسرةَ وتستشفى بالتّمرةِ[٣] ، والأمور عليك حَسرَة ، خرجتَ لتنالَ شُبعةً[٤] فلحِقَ بك طَغامٌ صَلُوا بما صَليتَ به من العيش ، فهم يهزُّون الرِّماح ، ويستنشئون الرِّياح[٥] ، على خوفٍ وجهْدٍ من أمورهم . وما أصبحوا ينتظرون أعظمُ ممّا جَهلوا معرفته ، ثمّ أهلكهم اللهُ بترحتَين . والسّلام » .

فأجابه قطرى

« من قطرىّ بن الفُجاءةِ إلى الحجّاج بن يوسف . سلام على الهداة من الوُلاةِ ، الذين يَرعَون حريمَ الله ويَرهبون نِقَمه . فالحمدُ لله على ما أظهرَ من دِينه ، وأظلعَ به أهل السِّفال[٦] ، وهدَى به من الضَّلال[٧] ، ونصرَ به ، عند استخفافك

(١) ما عدا ل : « بعد ثلاثة » .
(٢) تجرثم : سقط من علو إلى أسفل .
(٣) استطعمه : سأله أن يطعمه . استشفى : طلب الشفاء ، أو ناله .
(٤) الشبعة ، بالضم : مقدار ما يشبع به مرة من الطعام . ما عدا ل : « لتناول شبعة » .
(٥) الاستنشاء : أن يشم الريح ، عنى أنهم يتنسمون ريح الطعام .
(٦) أظلع ، من الظلع ، وهو الغمز فى المشى . ولم أجد هذا الفعل فى معجم . والسفال بالكسر : سفول الخلق .
(٧) ما عدا ل : « من الضلالة » .

٥٧ بحقّه . كتبتَ إلىَّ تذكرُ أنّى أعرابىٌّ جِلفٌ أمّىٌّ ، أستطعم الكِسْرة ، وأستشفى بالتَّمرة . ولعمرى يا ابنَ أمّ الحجّاج[١] إنّك لُمتيَّهٌ فى جِبِلّتك[٢] ، مطلخِمٌ فى طريقتك[٣] ، واهٍ فى وثيقتك[٤] ، لا تعرف الله ولا تجزَع من خطيئتك ، يئست واستيأستَ من ربِّك ، فالشَّيطانُ قرينُك ، لا تجاذبه وِثاقَك ، ولا تنازعه خِناقك[٥] . فالحمدُ لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتَك ، وأوضحَ لى صَلَعتك[٦] . فوالذى نَفْسُ قطرىٍّ بيده ، لعَرفْتَ أنّ مقارعةَ الأبطال ، ليس كتصدير المقال[٧] . مع أنّى أرجو أن يدحَضَ اللهُ حُجّتَك ، وأن يمنحنى مُهجتَك[٨] » .

***

خالد بن يزيدَ الطائىّ ، قال : كتب معاويةُ إلى عدىِّ بن حاتم : « حاجيتُك ما لا يُنسَى » يعنى قتل عثمان . فذهب عدىٌّ بالكتاب إلى علىّ فقال : « إنّ المرأة لا تنسى قاتل بِكْرِها ، ولا أبا عُذْرِها » . فكتب إليه عدىٌّ : « إن ذلك منّى كليلةِ شَيباءَ[٩] » .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : «يا غلام ، ارفع ذلك الثَّيل[١٠] » ، يعنى روثًا . وقيل له : أين خرج هذا الجِبنُ ؟ قال : تحت مَنكِبى[١١] .

(١) نسبه إلى أمه طاعناً فى نسبه .
(٢) المتيه : المضلل . والجبلة : الطبيعة والسجية .
(٣) المطلخم : المظلم ، والمتكبر أيضاً .
(٤) الوثيقة : الثقة . يقال أخذ بالوثيقة فى أمره .
(٥) الخناق ، بالكسر ، الحبل الذى يخنق به .
(٦) الصلعة ، بالتحريك وبالضم : موضع الصلع فى الرأس .
(٧) تصدير المقال : تقديمه . (٨) المهجة : الروح ودم القلب .
(٩) كانت العرب تقول للبكر إذا زفت إلى زوجها فدخل بها ولم يفترعها ليلة زفافها : باتت بليلة حرة . وإن افترعها تلك الليلة قالوا : باتت بليلة شيباء .
(١٠) فى اللسان (ثيل) : « ومنه حديث ابن عبد العزيز ، أنه دخل داراً فيها روث فقال : ألا كنستم هذا الثيل ؟! وكان لا يسمى قبيحا بقبيح » .
(١١) أى ولم يقل : « فى إبطى » .

وقيل لقتيبة(١) : أين خرج بك هذا الخُرَاج(٢) قال : بين الرانِفة والصَّفَن(٣) .

قال : وقيل لرقبة(٤) : ما بال القُرّاء أشدّ الناس نَهْمةً وغُلْمةً ؟ قال : أمّا الغُلمة فأنّهم لا يَزْنون . وأمّا النَّهْمة فلأنّهم يصومون .

وعرض عليه رجلٌ الغَدَاء ، فقال : يا هذا ، إنْ أقسمتَ علىّ ، وإلاّ فدَعْنى .

وقال مُوَرِّق العِجلى(٥) : ما تكلّمتُ بكلمةٍ فى الغضب أندَمُ عليها فى الرِّضا . وقد سألتُ الله حاجةً منذ أربعين سنةً فما أجابنى ولا يئست منها : ألاّ أتكلّم فيما لا يعنينى(٦) .

قال : مكتوب فى حكمة داود : على العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه ، مالكاً للسانه ، مُقبلاً على شانه .

قال : ولمّا قدِم الفرزدقُ الشّامَ قال له جريرٌ — وكان هنالك(٧) — ماظننت أنك تَقْدَمَ بلدًا أنا فيه ! فقال الفرزدق : إنّى طالما خالفتُ رأى العَجَزة .

* وقال يونُس بنُ حبيب : إذا قالوا غُلِّب الشاعر فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلَّب فهو المغلوب . وقال امرؤ القيس : ٥٨

وإنّك لم يفخَرْ عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغلَّبِ(٨)

---

(١) هو قتيبة بن مسلم ، المترجم فى ٤٢ .

(٢) الخراج ، كغراب : مايخرج فى البدن من القروح . والجبن ، بالكسر : الدمل .

(٣) الرانفة : أسفل الألية . والصفن ، بالتحريك : وعاء الخصية . ما عدا ل : « والصفنة » وهى صحيحة أيضاً ، بالتحريك ، وبالفتح .

(٤) هو رقبة بن مصقلة بن عبدالله العبدى ، ويقال فى أبيه أيضاً « مسقلة » بالسين ، كما وقع فى صحيح مسلم . كان ثقة مأموناً يعد فى رجالات العرب ، وكانت فيه دعابة . أرخ ابن الأثير وفاته سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٥٣) .

(٦) ما عدا ل : « ألا أتكلم إلا فيما يعنينى » . وهما سيان .

(٧) ما عدا ل : « هناك »

(٨) ديوان امرئ القيس ٧٧ واللسان (غلب) . وانظر ما سيأتى فى ص ٩١ من أرقام الأصل .

وقال بعضهم :

إنّى امرؤٌ ينفع قومى مَشهدِى   أذبُّ عنهم بلسانى ويَدى

وقال قتيبةُ بن مُسْلم[١] : إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار ، وقَصِّرُوا الشُّعور .

ونظر مخنَّثٌ إلى شيخٍ قبيحِ الوجه فى الطّريق فقال له : ألم يَنْهَكُمْ سليمانُ ابن داودَ عن الخروج بالنّهار ؟

قال : وعزّى أعرابىٌّ ناساً فقال : يرحم الله فلاناً ، قد كان كثير الإهالة دَسِمَ الأشداق .

وقال الشاعر :

ترى وَدَكَ السَّديف على لحاهُمْ   كلون الرّاء لَبَّدَهُ الصقيعُ[٢]

وقال أعرابىٌّ « رحم اللهُ فُلاَنًا ، إنْ كان لضخمَ الكاهل » . ثم جلس وسكت . وقال آخر : « كان والله نقىَّ الأظفار ، قليل الأسرار[٣] » .

وقال صديقٌ لنا : رأيتُ سكراناً وقد ركب رَدْعه[٤] ، ثم إنّه استقلَّ فقال : أنا السَّديف المسرْهَدُ[٥] .

وسارَّ رجلٌ أعرابيًّا بحديثٍ فقال له : أفهمت ؟ قال : بل نسيت !

قال وائلةُ بن خليفةَ السَّدوسىّ ، يهجو عبد الملك بنَ المهلّب :

لقد صَبَرَتْ للذُّلِّ أعوادُ منبرٍ   تقوم عليها فى يديك قضيبُ

---

(١) ترجم فى ٤٢ . ل : « قتيبة بن سلم » تحريف .

(٢) السديف : لحم السنام . والراء : شجر سهلى له ثمر أبيض . وقال أبوالهيثم : الراء : زبد البحر . اللسان (روأ) .

(٣) ل والتيمورية : « الأشرار » صوابه فى ب ، حـ .

(٤) فى الأصل : « درعه » تحريف . يقال : ركب ردعه ، أى خر صريعاً لوجهه فكلما هم بالنهوض ركب مقاديمه . وأصل الردع العنق .

(٥) استقل ، أى نهض . المسرهد : المقطع قطعاً . وهذا الخبر فى ل فقط .

بكى المِنبرُ الغربىُّ إذ قمتَ فوقَه ... وكادت مساميرُ الحـديدِ تذوبُ
رأيتك لمّا شِبْتَ أدركك الذى ... يُصيب سَراةَ الأزدِ حين تشيبُ
٥٩ سفاهةُ أحلامٍ وبُخْـلٌ بنائلٍ ... وفيك لمن عاب المَزُونَ عيوب[1]
وقد أوحَشَتْ منكم رساتيقُ فارسٍ ... وبالمصر دُورٌ جَمَّـةٌ ودُروب[2]
إذا عُصْبَةٌ ضَجَّتْ من الخَرْجِ ناسبت ... مَزُونيَّةً إن النَّسيب نَسيب[3]

وقال بشّارٌ الأعمى ، فى عمرَ بنِ حفص[4] :

ما بالُ عينِك دمعُها مسكوبُ ... حُرِبَتْ فأنتَ بنومها محروبُ
وكذاكَ مَن صحِبَ الحوادثَ لم تزَلْ ... تأتى عليه سَـلامَةٌ ونُكوبُ
يا أرضُ ويحكِ أكرميه فإنّه ... لم يبق للعَتكىِّ فيك ضريبُ
أبهى على خَشَبِ المنابرِ قائماً ... يوماً وأحزَمُ إذ تُشَبُّ حُروب[5]
إنّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلها ... يومَ ابنُ حفص فى الدِّيار خضيبُ
لا يستجيبُ ولا يُحيرِ لسانَهُ ... ولقد يُحيرِ لســانَهُ ويُجيبُ
غُلِبَ العزاء على ابن حفصٍ والأسى ... إنّ العزاء بمثله مغـلوبُ
إذ قيل أصبح فى المقابرِ ثاوياً ... عُمَرٌ وشُقّ لواؤه المنصـوب
فظَلِلْتُ أندُبُ سيفَ آلِ مُحَمَّدٍ ... عُمَراً وعَزَّ هنالك المنـدوبُ

---

(١) الكلام بعد هـذه إلى كلمة « القاس » من ص ٣١٧ س ١٢ ، ساقط من التيمورية . والمزون ، بفتح الميم وضمها : اسم من أسماء عمان وأهلها من الأزد ، وهم رهط المهلب بن أبى صفرة . وذلك أن جدهم الأعلى مازن بن الأزد . اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٩٢) .

(٢) الرساتيق : جمع رستاق ، ورساتيق فارس : سوادها ، أى قراها . ورستاق : معرب « روستا » الفارسية ، وهى بمعنى القرية . استينجاس ٥٩٤ .

(٣) الخرج : الخراج ، وهو ماتؤديه الرعية إلى الولاة . ب ، حـ : « من الجرح » .

(٤) هو عمر هزارمرد ، سبقت ترجمته مع الأبيات التالية فى (١ : ٢٩٤) .

(٥) ما عدا ل : « إن تشب حروب » . وإلى هنا ينتهى الإنشاد فيما سبق .

فعليكَ يا عُمَرُ السَّلامُ فإنَّنا ... باكوكَ ما هَبَّتْ صَبًا وجَنُوبُ

قال إسماعيل بن غَزْوان : الأصواتُ الحسنةُ والعقولُ الحِسان كثيرة ، والبيان الجيِّد والجمال البارع قليل .

وذَكر أبو الحارث ، صاحبَ مسجد ابن رُغْبانَ[1] ، فقال إنْ حدَّثته سبقَك إلى ذلك الحديث ، وإنْ سكتَّ عنه أخذ فى التُّرَّهات .

وقال ابن وهب[2] : أنا أستثقل الكلامَ كما يستثقل حُرَيْثٌ السكوت . كما قال ابن شُبْرُمةَ[3] لإياسِ بن معاوية : شكلى وشكلُك لا يتَّفقان ، أنت لا تشتهى أن تسكت ، وأنا لا أشتهى أن أسمع .

وقال أبو عَقيل بن دُرُسْتَ[4] : إذا لم يكن المستمعُ أحرصَ على الاستماع من القائل على القول ، لم يبلغ القائلُ فى منطقه ، وكان النُّقصان الداخلُ على قوله بقدْر الخَلَّة بالاستماع منه .

وقال ابن بَشّار البَرْقىّ : كان عندنا واحدٌ يتكلَّم فى البلاغة ، فسمعته يقول : لو كنت ليس أنا ، وأنا ابنُ من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه . فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه .

وقالوا : ثلاث يُسرع إليهن الخَلَفُ : الحريق ، والتزويج ، والحجّ .

وقال المهلَّب : « ليس أنْمَى من بقيَّة السَّيف[5] » . فوجد الناس تصديق

---

(١) مسجد ابن رغبان ، كان فى غربى بغداد ، كما ذكر ياقوت . واسمه محمد بن رغبان كما فى الحيوان (٢ : ١٤٦) . وفى المعارف لابن قتيبة ٢٦٦ : « ابن رغبان الذى ينسب إليه المسجد ببغداد ، وهو مولى حبيب بن مسلمة ، وكان حبيب عظيم القدر ، يلى الولايات زمن عثمان ومعاوية » .

(٢) ما عدا ل : « أبو وهب » .

(٣) هو عبد الله بن شبرمة المترجم فى (١ : ٩٨) ، حيث سبق الخبر .

(٤) ما عدا ل : « أبو مقبل » تحريف ، وقد مضى على الصواب فى مواضع متعددة . وانظر الحيوان (٥ : ٢٧٨/٧ : ١٥٢ ، ٢٠٣) .

(٥) فى الأصل : « من سيف » صوابه من ب ، ح .

قوله فيما نال ولدَه من السيف وصار فيهم من النَّماء[١].

وقال علىُّ بن أبى طالب رحمه الله : « بقيَّةُ السَّيف أنمى عَدَداً ، وأكرمُ ولداً » . ووجد الناسُ ذلك بالعِيان ، الذى صار إليه ولدُه من نَهْك السَّيف ، وكَثْرة الذَّرْء ، وكرم النَّجْل .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ولَكُمْ فى القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِى الألْبَاب ﴾ . وقال بعضُ الحكماء : « قَتْل البعض إحياءٌ للجميع » .

وقال همَّام الرقاشى :

أبلغْ أبا مِسْمَعٍ عنِّى مُغلغَلَةً ... وفى العِتاب حياةٌ بينَ أقوامِ[٢]
قدَّمتَ قبلى رِجالاً لم يكن لهمُ ... فى الحقِّ أن يَلِجُوا الأبوابَ قُدَّامِى
لو عُدَّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أكرَمهُم ... قبراً وأبعدَهم من منزل الذَّامِ[٣]
فقد جعلتُ إذا ماحاجةٌ عرضَتْ ... ببــاب قصرِك أدلُوها بأقوام[٤]

* * *

وقال الحجَّاج لامرأةٍ من الخوارج : « والله لأعُدَّنَّكم عَدًّا ، ولأحْصُدَنَّكم حَصداً » . قالت : أنت تَحصُدُ ، والله يزرع ، فانظرْ أينَ قدرةُ المخلوق من قُدرة الخالق .

ولم يظهر من عدد القتلَى مثلُ الذى ظهر فى آل أبى طالب ، وآل الزبير ، ٦١
وآل المهلَّب . وقال الشاعر فى آل الزُّبَير :

---

(١) فى المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » .

(٢) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . وأنشد البيت فى اللسان (غلل) بدون نسبة .

(٣) الذام : العيب . عنى أنه كريم الآباء والإسلاف .

(٤) يقال دلوت بفلان إليك ، أى استشفعت به إليك .

آلُ الزبير بنــو حُــرَّةٍ مَرَوْا بالسُّيوف صُدُوراً حِنَاقا[١]
يموتون والقتل من دأبهم ويَغْشَون يوم السِّباقِ السِّباقا[٢]
إذا فَرَّج القتــلُ عن عِيصِهِمْ أبى ذلك العِيصُ إلاّ اتّفاقا[٣]

***

قال : احترقت دارُ ثمامة[٤] ، فقالوا له : ما أسرعَ خَلَفَ الحريق ؟ قال : فأنا أستحرقُ الله .

وقال ثمامة : سمعت قاصًا بعَبّادانَ[٥] يقول فى دعائه : اللهم ارزُقْنا الشهادةَ وجميعَ المسلمين[٦] .

قال : وتساقط الذِّبّانُ على وجهه فقال : الله أكبر، كثّر الله بكم القبور[٧] .

قال : وسمع أعرابىٌّ رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : ينبغى أن يكون هذا آخِرَ القرآن . قيل له : ولِمَ ؟ قال : رأيت عهوداً تُنْبَذ .

وقال عبد العزيز الغزّال القاصّ[٨] ، فى قَصَصه : ليت الله لم يكن خلقنى وأنا

---

(١) المرى : الاستخراج . عنى أنهم بقتالهم قد شفوا صدور أعدائهم . وأنشد فى اللسان :

* مروا بالسيوف المرهفات دماءهم *

والحناق : جمع حنيق ، وهو ذو الحنق ، بالتحريك ، أى الغيظ .

(٢) ما عدا ل : « يغيثون يوم السباق » تحريف .

(٣) العيص ، بالكسر : الآباء والأعمام والأخوال . وأصله منبت خيار الشجر .

(٤) ثمامة بن أشرس . وقد ترجم فى (١ : ١٠٥) .

(٥) عبادان : موضع تحت البصرة قرب البحر ، وهى منسوبة إلى عباد بن الحصين الحبطى . قال ياقوت : « وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة فى البصرة ونواحيها . إنهم إذا سموا موضعاً أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون فى آخره ألفاً ونونا ، كقولهم فى قرية عندهم منسوبة إلى زياد بن أبيه : زيادان . وأخرى إلى عبد الله : عبد اليان . وأخرى إلى بلال ابن أبى بردة : بلالان » . قلت : هذا مأخوذ من الفارسية ، فإنهم يزيدون « آنه » فى آخر الاسم المنسوب ، كقولهم فى مرد : مردانه ، وفى سر : سرانه .

(٦) الخبر فى الحيوان (٣ : ٣٢٤) . (٧) فى الحيوان : « بكن القبور » .

(٨) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى صفحة ٣١٤ . وفى النسخ « أبو عبد العزيز الغزال القاص » صوابه من الحيوان (٣ : ٣٤/٥ : ١٦٨) حيث ورد الخبر .

الساعةَ أعورُ . فحكَيتُ ذلك لأبي عتَّاب الجرَّار[١] . فقال أبو عتَّاب : بئس ما قال ، ووددتُ والله الذى لا إله إلا هو أنّ الله لم يكن خلقَنى وأنا الساعة أعمى مقطوعُ اليدين والرِّجلين .

قال : ولمّا استعدى الزِّبرقانُ على الحطيئة فأمر عمرُ بقطعِ لسانه ، قال الزِّبرقان : نَشَدتُك اللهَ يا أميرَ المؤمنين أنْ تقطعَه[٢] ، فإنْ كنتَ لا بدَّ فاعلاً فلا تقطعْه فى بيت الزِّبرِقان . فقيل له : إنه لم يذهب هنالك ، إنما أراد أن يقطع لسانَه عنك برغبةٍ أو رهبة .

وتقول العرب : « قتلَت أرضٌ جاهلَها ، وقتَل أرضاً عالمُها » . وتقول : « ذَبحَنِى العطَش » و « المِسْك الذّبيح » و « ركب بنو فلانٍ الفلاةَ فقطع العطشُ أعناقَهم » .

وتقول : فلانٌ لسان القوم ونابُهم الذى يفترُّونَ عنه ، وهؤلاء أنفُ القوم وخراطيمهم . وبَيْسانُ[٣] لسان الأرضِ يومَ القيامة . وفلانٌ أسطُمّةُ الوادى[٤] ٦٣ وعينُ البلد .

وقال الأصمعىّ : قال رجلٌ لأبى عمرو بن العلاء : أكرمك الله ! قال : مُحْدَثة .

قال : وكان ابنُ عونٍ[٥] يقول : كيف أنت أصلحك الله .

وكان الأصمعىُّ يقول : قولهم جُعِلتُ فداكَ ، وجعلنى الله فداك ، مُحدَثٌ .

وقد روى علماء البصريِّين أنّ الحسن لمَّا سمع صراخا فى جِنازة أمِّ عبد الأعلى

(١) ما عدا ل : « الجزار » تحريف .

(٢) نشدتك الله : استحلفتك به . وقد حذف النافى بعد « أن » كما فى قول الله : « يبين الله لكم أن تضلوا » .

(٣) بيسان ، بالفتح : مدينة بالأردن ، بين حوران وفلسطين ، وإليها ينسب القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم بن على البيسانى . قال ياقوت : « ويقال هى لسان الأرض » .

(٤) أسطمه الشىء وأستمته واصطمته : وسطه ومجتمعه .

(٥) عبدالله بن عون ، ترجم فى هذا الجزء ص ٩١ .

ابن عبد الله بن عامر[١] فالتفت ، قال له عبد الأعلى : جُعِلتُ فداك ، لا والله ما أسرتُ ، ولا شَعرتُ ولا شَعرتُ[٢] .

وقال الأصمعى : صلّى أعرابىٌّ فأطال الصلاة ، وإلى جانبه ناسٌ ، فقالوا : ما أحسنَ صلاتَه ! فقال : وأنا مع ذلك صائم[٣] .

[قال الشاعر :

صلّى فأعجبنى وصام فرابنى   عدِّ القلوصَ عن المصلِّ القائم]

وقال طاهرُ بن الحسين[٤] لأبى عبد الله المرْوَزىّ : منذ كم صِرتَ إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلتُ العراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : يا أبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين[٥] .

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٤)

(٢) كذا بالتكرار فى الأصل فقط .

(٣) ما عدا ل : « وأنا مع هذا صائم » .

(٤) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى ، من كبار الوزراء العباسيين . كان أديباً حكيما شجاعا ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى ، وهو الذى قتل الأمين وعقد البيعة للمأمون فولاه شرطة بغداد ، ثم جعله والياً على خراسان ، فحدثته نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى « ذا اليمينين » لأنه ضرب شخصاً فى وقعته مع على بن ماهان بالسيف فقده نصفين ؛ وكانت الضربة بيساره . ولد سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ . وفيات الأعيان وثمار القلوب ٢٠٧ .

(٥) القصة فى الحيوان (٣ : ٨ — ٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عوانة : قال زياد بن أبيه : مِن سعادة الرجل أن يطولَ عمرُه ، ويرى فى عدوِّه ما يسرُّه .

وقال الباهلىّ : قيل لأعرابىّ : ما بالُ المراثى أجوَدَ أشعاركم ؟ قال : لأنّا نقول وأكبادُنا تحترق .

قال أبو الحسن : كانت بنو أميّةَ لا تقبل الرّاويةَ إلا أنْ يكون راويةَ المراثى . قيل : ولِمَ ذاك ؟ قيل[1] : لأنّها تدل على مكارم الأخلاق .

وقال عمر بن الخطّاب رحمه الله : مِن خير صناعات العرب الأبياتُ يقدِّمُها الرّجلُ بين يدَىْ حاجته يستَنْزِلُ بها الكريم[2] ، ويستعطف بها اللئيم .

وقال شعبة[3] : كان سِماك بن حَرْب[4] إذا كانت له إلى الوالى حاجة قال فيه أبياتًا ثم يسأله حاجتَه .

قال أبو الحسن : كان شِظَاظٌ[5] لصًّا ، فأغار على قوم من العرب فاطَّرَدَ

---

(١) كذا فى جميع النسخ .

(٢) يستنزله : يطلب منه النزل ، وهو بضم وبضمتين : قرى الضيف ، وهذا الفعل بمعنى المعنى مما لم يرد فى المعاجم .

(٣) سبقت ترجمة شعبة بن الحجاج فى (١ : ٣٦٩) .

(٤) سماك بن حرب بن أوس الذهلى البكرى الكوفى ، كان فصيحاً عالما بالشعر وأيام الناس ، وأدرك ثمانين من الصحابة ، وتوفى سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب . وسماك هذا ، بكسر السين وفتح الميم الخفيفة . تقريب التهذيب .

(٥) شظاظ ، بالكسر : لص من بنى ضبة ، كان قريناً لمالك بن الريب وأبى حردبة المصين . وقد صلبه الحجاج . وهو الذى يقال فيه : « ألص من شظاظ » . وفيه وفى مالك يقول القائل :

الله نجاك من القصيم ومن شظاظ قاتع المكوم

ومالك وسيفه المسموم

الأغانى (١٩ : ١٦٣ — ١٦٩) واللسان (شظظ) .

٦٣ نعمَهم(١) فساقها ليلتَه حتّى أصبح ، فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قَصْدٍ من طريقنا . فقال : « إن المُحْسِنَ مُعَان » .

وقال أبو الحسن : أربى غلامٌ من بنى علىٍّ(٢) ، على عبدِ الملك ، وعبدُ الملك يومئذ غلام ، فقال له كهلٌ من كهولهم لما رآه مُمْسِكا عن جواب المربى عليه : لو شكوتَه إلى عمّه انتقم [لك] منه . قال : أمسِكْ يا كهلُ ؛ فإنى لا أعُدُّ انتقامَ غيرى انتقاما .

قال أبو الحسن : خاضَ جُلساء عبدِ الملك يوماً فى قتل عثمان ، فقال رجلٌ منهم : يا أمير المؤمنين ، فى أىِّ سِنِيك(٣) كنت يومئذ ؟ قال : كنت دون المُحْتَلَم ، قال : فما بلغَ من حُزنِك عليه ؟ قال : شغلنى الغضبُ له عن الحُزْنِ عليه .

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا اشترى رقيقاً قال : اللهمَّ ارزُقْنى أنصحَهم جَيبًا(٤) ، وأطولَهم عُمْراً .

وكان إذا استعمل رجلاً قال : إن العمل كِيرٌ(٥) ، فانظرْ كيف تخرجُ منه .

قال : ومضى أبو عبد الله الكرخىُّ(٦) إلى الرَّبَض(٧) ، فجلس على بابه ونَفَش

---

(١) ما عدا ل : « فطرد نعمهم » . والطرد والاطراد : الشل . قال طريح :

أمست تصفقها الجنوب وأصبحت زرقاء تطرد القذى بحباب

(٢) أربى عليه ، أى زاد عليه فى الكلام والجدال . وبنو على هؤلاء ، هم بنو على ابن بكر بن وائل .

(٣) فيما عدا ل : « فى أى سنك » .

(٤) ناصح الجيب ، أى نقى الصدر خالص القلب لا غش فيه . وأصل الجيب جيب القميص والدرع ، وهو شقه الذى يدخل منه الرأس .

(٥) أراد أنه مجلبة للكبر . ل : « كبير » .

(٦) هو أبو عبد الله الكرخى اللحيانى ، من معاصرى الجاحظ ، وكان ممن يدعى الفقه والعلم . الحيوان (٣ : ٧ — ٨) .

(٧) الربض : ما حول المدينة من خارج . وقد أراد ربض حرب . قال ياقوت : « هى المحلة المعروفة اليوم بالحربية » . والحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى الراوندى ، أحد قواد المنصور .

لحيتَه وادَّعى الفِقه ، فوقف عليه رجل فقال له : إنّى أدخلتُ إصبَعى فى أنفى فخرج عليها دمٌ . قال : احتجمْ . قال : جلستَ طبيباً أو فقيهاً(١) ؟!

قالوا : بينا الشَّعبيُّ جالسٌ فى مجلسه وأصحابُه يناظرونَه فى الفقه ، إذا شيخٌ بقُرْبِهِ قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسُه ، فقال : إنّى أجدُ فى قفاى حِكّةً أفترى لى أن أحتجم ؟ قال الشَّعبيّ : الحمد لله الذى حوّلَنا من الفقه إلى الحِجامة .

قال : وذكر ناسٌ رجلاً بكثرة الصّوم وطُول الصلاة وشِدّة الاجتهاد ، فقال أعرابىٌّ كان شاهداً لكلامهم : بئس الرجل هذا ، يظنُّ أنّ الله لا يرحمه حتّى يعذِّب نفسه هذا التعذيب .

وقال ابن عَون : أدركت ثلاثةً يتشدَّدون فى السَّماع ، وثلاثة يتساهلون فى المغانى(٢) . فأمّا الذين يتساهلون فالحسن ، والشَّعبيُّ(٣) ، والنَّخَعى(٤) ، وأمّا الذين يتشدَّدون فمحمد بن سيرين(٥) ، * والقاسم بن محمد(٦) ، ورَجاء بن حَيْوة(٧) . ٦٤

قال رجل من أصحاب ابن لَهيعة(٨) : ما رأيت أحسن أدبا من عبد الله بن

---

(١) فى الحيوان : « قعدت طبيبا أو قعدت فقيها » .

(٢) جمع مغنى ، مصدر ميمى من غنى يغنى . ل والتيمورية : « المعانى » بالمهملة ، تحريف . وانظر تفصيل القول فى إباحة السماع ، عند ابن عبد ربه فى العقد الفريد .

(٣) هو عامر بن شراحيل المترجم فى (١ : ١٩٤) .

(٤) هو إبراهيم بن يزيد النخعى المترجم فى (١ : ١٩٢) .

(٥) هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصارى البصرى ، كان مولى لأنس بن مالك وروى عنه ، وكان ثقة صدوقا ورعا ، وكان يعبر الرؤيا . قال ابن عون : ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقوا فتواصوا : ابن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . ولد قبل مقتل عثمان بسنتين ، وتوفى سنة ١١٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٦٤) ووفيات الأعيان .

(٦) هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق . احتضنته عائشة بعد مقتل أبيه ، وكان أشبه ولد أبى بكر به ، وكان فقيها إماما كثير الحديث ، وكان ابن سيرين يأمر من يحج أن ينظر إلى هدى القاسم فيقتدى به . وكان القاسم أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، توفى سنة ١٠٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٩) ووفيات الأعيان ، ونكت الهميان ٢٣٠

(٧) ترجم فى (١ : ٣٩٧) .

(٨) هو عبد الله بن عقبة بن لهيعة ، المترجم فى (١ : ٣٦٢) .

المبارك[1]، والمعافى بن عمران[2].

وقال أبو الحسن: حدثنى عبدُ الأعلى[3] قال: رأيت الطِرِمّاحَ مؤدِّبًا بالرَّىّ فلم أر [أحداً] آخَذَ لعقول الرِّجال، ولا أجْذَبَ لأسماعهم إلى حديثه منه، ولقد رأيت الصِّبْيانَ يخرُجون مِن عنده وكأنّهم قد جالَسُوا العلماء.

قال: كان رجلٌ يبلغه كلامُ الحسن البَصرىّ، فبينا الرجل يطوف بالبيت إذْ سمع رجلاً يقول: «عجباً لقومٍ أُمِرُوا بالزّاد ونُودِىَ فيهم بالرَّحيل، وحُبِس أولُهم على آخرهم، فليت شعرى ما الذى ينتظرون[4]». قال: فقلت فى نفسى: هذا الحسَن.

قال: وأربعةٌ من قريش كانوا رواةَ النّاس للأشعار، وعلماءَهم بالأنساب والأخبار: مَخْرَمةُ بن نوفلِ بن وُهَيب[5] بن عبد مناف بن زُهْرة، وأبو الجهم ابن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف[6]، وحويطب بن عبد العُزّى[7]،

---

(١) ترجم فى ص ٢٤ من من هذا الجزء.

(٢) هو أبو مسعود المعافى بن عمران بن نفيل الأزدى الفهمى، وكان ممن رحل فى طلب العلم إلى الآفاق وجالس العلماء ولزم الثورى، وكان زاهداً فاضلا شريفا، مع صدق لهجة وعظم قدر. توفى سنة ٢٠٤. تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٥١).

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، المترجم فى (١ : ٣٤٤).

(٤) هذه العبارة من ل فقط.

(٥) ل: «وهب». وأثبت ما فى سائر النسخ؛ إذ فى السيرة ٤٢٧، والإصابة ٧٨٣٤ ونكت الهميان ٢٨٧: «أهيب». والواو والهمزة يتعاورهما الإبدال. وقد أسلم مخرمة يوم الفتح، وكف بصره فى زمن عثمان. وتوفى سنة ٥٤ وله مائة وخمس عشرة سنة.

(٦) ترجم له فى الإصابة ٢٠٦ فى باب الكنى. ويقال إن اسمه «عامر» أو «عبيد». كان أبو الجهم من مسلمة الفتح كذلك، وكان من معمرى قريش ومشيختهم. حضر بناء الكعبة مرتين، حين بنتها قريش، وحين بناها ابن الزبير. ومات فى آخر خلافة معاوية. وذلك فى سنة ٦٠.

(٧) وأما حويطب بن عبد العزى، فكان أيضاً ممن أسلم عام الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، عمر مائة وعشرين سنة، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤. الإصابة ١٧٧٨.

وعَقِيل بن أبى طالب[١] . وكان عَقِيلٌ أكثرهم ذِكراً لمثالب النَّاس[٢] ، فعادَوْه لذلك ، وقالوا فيه وحمّقوه . وسمِعَتْ ذلك العامَّةُ منهم ، فلا تزال تسمع الرَّجلَ يقول : قد سمِعتُ الرَّجُلَ يحمِّقه . حتَّى ألَّف بعضُ الأعداء فيه الأحاديثَ[٣] . فمنها قولهم : ثلاثة حمقى كانوا إخوةَ ثلاثةٍ عقلاء ، والأمُّ واحدة . علىٌّ وعَقِيل وأمُّهما فاطمةُ بنت أسد بن هاشم ، وعتبةُ ومعاوية ابنا أبى سفيان وأمُّهما هندُ بنت عتبةَ بن ربيعة ، وعبد الملك ومعاوية ابنا مروان وأمُّهما عائشة بنت معاوية ابن المغيرة بن أبى العاص . فكيف وجعدةُ بن هُبيرةَ يقول :

أبِى من بنى مخزومَ إنْ كنتَ سائلاً ... ومِن هاشمٍ أمّى ، لخيرِ قَبيلِ
فمن ذا الذى يبأى علَىَّ بخالِه ... وخالى علىٌّ ذو الندى وعَقيلُ[٤]

وَقال قُدامة بن موسى بن عُمَر بن قُدامة بن مظعون : ٦٥

وخالى بُغاةُ الخيرِ تَعلم أنّهُ ... جديرٌ بقول الحق لا يتوعَّرُ[٥]

---

(١) وعقيل هذا هو أخو على وجعفر ابنى أبى طالب ، تأخر إسلامه إلى عام الفتح . وكان عالما بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها ، وكان الناس يأخذون عنه ذلك بمسجد المدينة ، كانت له طنفسة تطرح فى المسجد يصلى عليها ويجتمع إليه فى علم النسب وأيام العرب ، وكان قد فارق عليا ووفد إلى معاوية فى دين لحقه . قال ابن عباس : « كان فى قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم فى المنافرات : عقيل ، ومخرمة ، وحويطب ، وأبو الجهم . وكان عقيل يعد المساوى ، فمن كانت مساويه أكثر ينفر صاحبه عليه . وكان الثلاثة يعدون المحاسن ، فمن كانت محاسنه أكثر ينفره على صاحبه » . مات فى خلافة معاوية . وكان أسن من أخيه جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من على بعشر سنين . الإصابة ٥٦٢٢ ونكت الهميان ٢٠٠ .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) زاد الصفدى : « وكان مما أعانهم عليه فى ذلك مغاضبته لأخيه على ، وخروجه إلى معاوية » . وروى الصفدى أيضاً أن الرسول قال له : « يا أبا يزيد ، إنى أحبك حبين : حبا لقرابتك منى ، وحبا لما كنت أعلم من حب عمى إياك » .

(٤) يبأى ، من البأو ، وهو الفخر والكبر .

(٥) كذا فى التيمورية بالعين المهملة . يتوعر : يتعسر . وفى سائر النسخ : « يتوغر » تحريف .

وجدّى علىٌّ ذو التقى وابنُ أمّهِ   عَقيلٌ وخالى ذو الجناحين جَعفرُ[١]
فنحن ولاةُ الخير فى كلِّ موطنٍ   إذا ما ونَى عنه رجالٌ فقصّرُوا

وقال حسّان بن ثابت[٢]:

إن خالى خطيبُ جابيةِ الجو   لانِ عند النُّعمان حين يقومُ[٣]
وهو الصَّقْرُ عند باب ابن سلمَى   يوم نُعمانُ فى الـكَبُول مُقيمُ[٤]
وسَطَتْ نسبتى الذَّوائبَ منهم   كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيمُ
وأبى فى سُمَيحةَ القائل الفا   صِلُ يومَ التفّت عليه الخصومُ[٥]
يفصل القولَ بالبيان وذو الرأ   يِ من القوم ظالعٌ مكمومُ[٦]
تلك أفعالُه وفعـــل الزِّبَعرَى   خاملٌ فى صديقه مذمومُ[٧]
ربَّ حِلمٍ أضاعه عدم الما   لِ وجهلٍ غطّى عليه النّعيمُ

---

(١) كان جعفر يلقب بذى الجناحين ، وبالطيار أيضاً . انظر حواشى (١ : ٣١٢) .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ٣٧٦ — ٣٨٠ والسيرة ٦٢٥ يعدد فيها أصحاب اللواء يوم أحد . مطلعها :

منع النوم بالعشاء الهموم   وخيال إذا تغور النجوم

وفى السيرة أن حسان قال هذه القصيدة ليلا ، فدعا قومه فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح فلا ترووها عنى .

(٣) خاله ، هو مسلمة بن مخلد بن الصامت . والجابية : قرية من أعمال دمشق قرب الجولان ، وأراد بالنعمان بنى جفنة الغساسنة .

(٤) ابن سلمى ، هو النعمان بن المنذر اللخمى ، وسلمى أمه ، أبوها يهودى من أنباط الشام . الحيوان (٤ : ٣٧٧) . ونعمان هـذا ، هو نعمان بن مالك بن نوفل ، كان النعمان ابن المنذر قد حبسـه ، فوفد فيه وفى غيره حسان ، فأطلقوا لأجله . فصواب رواية البيت : « وأنا الصقر » كما فى الديوان والسيرة .

(٥) سميحة : بئر بالمدينة تحاكمت عندها الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان ، أو إلى جده المنذر .

(٦) هذا البيت ساقط من الديوان والسيرة . والظالع : من به الظلع ، وهو عمز شبيه بالعرج . والمكموم : الذى شد فوه بالكمام .

(٧) الزبعرى ، والد عبد الله بن الزبعرى ، وكان بين حسان وعبد الله مهاجاة .

وَلِيَ البَأسَ منكمُ إذ أبيتم أسرةٌ من بنى قُصَىٍّ صميمُ[١]

وقريشٌ تجول منا لِوَاذًا أن يُقيموا وخَفَّ منها الحلومُ[٢]

لم تطق حَمْلَه العواتقُ منهمُ إنّما يحمل اللواءَ النُّجومُ[٣]

وكان عَقِيلٌ [رجلاً] قد كُفَّ بصرُه ، وله بعدُ لسانُه وأدبُه ونسبُه وجوابه ، فلما فَضَلَ نُظَرَاءه من العلماء بهذه الخصال ، صار لسانُه بها أطولَ . وغاضب عليًّا وأقام بالشام ، وكان ذلك مما أطلقَ لسانَ الباغى[٤] والحاسد فيه . وزعموا ٦٦ أنه قال له معاوية : هذا أبو يزيد[٥] ، لولا أنه علم أنّى خيرٌ له من أخيه لما أقام عندنا وتركه . قال [له] عقيل : « أخِى خيرٌ لى فى دينى ، وأنت خيرٌ لى فى دنياى » .

وقال له مرة بصِفِّين : أنت معنا يا أبا يزيدَ الليلة[٦] . قال : ويوم بدرٍ قد كنتُ معكم .

وقال معاويةُ يوما : يا أهلَ الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى فى كتابه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ؟ قالوا : نعم . قال: فإنّ أبا لهب عمُّه . فقال عَقيل : فهل سمعتم قول الله جلّ وعزّ : ﴿ وامرأته حَمَّالَةَ الحَطَبِ[٧] ﴾ ؟ قالوا :

---

(١) ولى ، من الولاية . والبأس : الحرب . صميم : خالصة النسب .

(٢) الديوان : « تلوذ منا لواذاً » . السيرة : « تفر منا لواذا » . لواذاً : استتارا . والحلوم : العقول .

(٣) الضمير فى « حمله » يرجع إلى « اللواء » فى بيت لم يروه الجاحظ ، وموقعه بعد بيت « ولى البأس » . وهو :

تسعة تحمل اللواء وطارت فى رعاع من القنا مخزوم

والعواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين الكتف والعنق . والنجوم : الأشراف المشهورون .

(٤) ما عدا ل : وكان ذلك أيضا أطلق للسان الباغى » .

(٥) أبو يزيد ، كنية عقيل بن أبى طالب .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

(٧) قراءة الجمهور بالرفع . وقرأ الحسن وزيد بن على والأعرج ، وأبو حيوة وابن أبى عبلة وابن محيصن وعاصم : « حمالة » بالنصب على الذم . إتحاف فضلاء البشر وتفسير أبى حيان . وحمالة الحطب هذه هى أم جميل بنت حرب ، أخت أبى سفيان ، فهى عمة معاوية .

نعم . قال : فإنها عَمَّتُه . قال معاوية : حسبُنا ما لقِينا من أخيك .

وذكروا أنَّ امرأة عَقيلٍ ، وهى فاطمةُ ابنة عتبة بن ربيعة قالت : يا بنى هاشم ، لا يحُبّكم قلبى أبداً ! أين أبى ، أين عمّى ، أين أخى ، كأنَّ أعناقَهم أباريقُ الفِضّة ، تَرِدُ آنفُهم قبلَ شِفاهِهم (١) . قال لها عَقيل : إذا دَخلتِ جهنّمَ فخذى على شِمالك .

وقيل لعمَر رحمه الله : فلان لا يعرف الشّرّ . قال : ذلك أجدرُ أن يَقعَ فيه (٢) .

قال : وسمِع أعرابىٌّ رجلاً يقرأ : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ . تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كَفَر (٣) ﴾ قالها بفتح الكاف، فقال الأعرابىّ : لا يكون . فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابىّ : يكون .

---

(١) كان العرب يتمادحون بطول الأنف ، ويتهاجون بقصرها .

(٢) انظر الحيوان (٧ : ٢٥٩) .

(٣) من كان كفر ، أى نوح عليه السلام ، إذ كان هو نعمة أهداها الله إلى قومه فكفروا بها وجحدوا نبوته . وقراءة البناء للفاعل : « كفر » صحيحة أيضاً ، قرأها زيد بن رومان ، وقتادة ، وعيسى . أى جزاء لقومه على كفرهم . فالجزاء فى الأولى بمعنى الثواب ، وفى الثانية بمعنى العقاب . انظر تفسير أبى حيان (٨ : ١٧٨) .

باب

من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء

قال الشاعر :

سَرَى البرقُ مِن نحوِ الحجازِ فشاقَنى   وكلُّ حِجازىٍّ له البرقُ شائِقُ
سَرَى مِثلَ نبضِ العِرقِ والَّليلُ دونَه   وأعلامُ أُبْلَى كلُّها والأسالِقُ[1]

٦٧ * وقال آخر :

أرِقتُ لبرقٍ آخرَ الَّليلِ يلمَعُ   سَرَى دائمًا حيناً يَهُبُّ ويهجعُ
سَرَى كاحتساءِ الطَّيرِ والليلُ ضاربٌ   بأرواقِهِ والصُّبحُ قد كادَ يسطَعُ[2]

* * *

حدثنى إبراهيم بن السِّندى[3] عن أبيه قال : دخل شابٌّ من بنى هاشم على المنصور ، فسأله عن وفاة أبيه فقال : مَرِض أبى رضى الله عنه يوم كذا ، ومات رضى الله عنه يوم كذا ، وترك رضى الله عنه من المال كذا ، ومن الولد كذا . فانتهره الرَّبيعُ[4] وقال : بين يدَىْ أميرِ المؤمنين تُوالِى بالدُّعاء لأبيك ؟ فقال

---

(١) أبلى ، بالضم والقصر : جبال بين مكة والمدينة . والأسالق : جمع من جموع السلق ، بالتحريك ، وهو القاع المطمئن المستوى لا شجر فيه .

(٢) فى اللسان (قذى) بيت يشبه هذا ، منسوب إلى حميد بن ثور . وهو :

خفى كاقتذاء الطير والليل واضع   بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٧) .

(٤) هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة كيسان ، حاجب المنصور . وكان ابن عياش المنتوف يطعن فى نسب الربيع طعنا قبيحا ويقول للربيع : فيك شبه من المسيح ! يخدعه بذلك ، فكان يكرمه لذلك ، حتى أخبر المنصور بما قاله له ، فقال : إنه يقول : لا أب لك . فتنكر له بعد ذلك . وكان أبو فروة كيسان مولى للحارث الحفار مولى عثمان بن عفان . فنى الربيع وجده يقول الحارث بن الديلمى : =

فما علمنا أنَّ المنصور ضحك فى مجلسه ضحكا قطُّ فافترَّ عن نواجذِهِ إلا يومئذ .

وحدثنى إبراهيم بن السِّندىّ عن أبيه قال : دخل شابٌّ من بنى هاشم[1] على المنصور ، فاستجلسه ذاتَ يومٍ ودعا بغَدَائه ، فقال للفتى : أُدنُهْ ، قال الفتى : قد تغدَّيتُ يا أمير المؤمنين . فكفَّ عنه الربيع حتى ظننتُ[2] أنه لم يَفْطِنْ لخطابه ، فلمَّا نَهَضَ إلى الخروج أمهلَه ، فلمّا كان من وراء السِّتْر دفع فى قفاه ، فلما رأى ذلك الحُجَّابُ منه دفعوا فى قفاه حتّى أخرجوه من الدّار ، فدخل رجالٌ من عُمومة الفتى فشكَوا الرَّبيعَ إلى المنصور ، فقال المنصور : إنَّ الربيع لا يُقدِم على مثل هذا إلا وفى يده حُجَّة ، فإن شئتمْ أغضيتم على ما فيها ، وإن شئتمْ سألتُه وأنتم تسمعون . قالوا : فاسأله . فدعا الرّبيعَ وقصُّوا قِصَّته ، فقال الربيع : هذا الفتى كان يسلِّمُ من بعيدٍ وينصرف ، فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلَّم عليه من قريب ثم أمره بالجلوس ، ثم تبذَّل بين يديه وأكل ، ثم دعاه إلى طعامه معه[3] من مائدته ، فبلغ من جهله[4] بفضيلة المرتبة التى صَيَّرَه فيها أن قال[5] حين دعاه إلى غَدَائه : قد تغدّيت ! فإذا ليس عندَه لمن تَغَدَّى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّة الجوع ، ومثل هذا لا يقوِّمُه القولُ دون الفعل . ٦٨

وحدثنا إبراهيمُ بن السِّندىّ عن أبيه قال : والله إنى لَواقفٌ على رأس

= شهدت بإذن الله أن محمدا رسول من الرحمن غير مكذب
وأن ولا كيسان الحارث الذى ولى زمنا حفر القبور بيثرب

وقد انتقل الربيع من حجابة المنصور إلى الوزارة له ، ثم حجب المهدى . وهو الذى بايع المهدى وخلع عيسى بن موسى . وابنه الفضل حجب هارون ومحمداً المخلوع . وابنه العباس بن الفضل حجب الأمين . ومات فى أول ١٧٠ . تاريخ بغداد ٤٥٢١ .

(١) فى المحاسن والمساوى للبيهقى (١ : ١٢٣) أنه محمد بن عيسى بن على .

(٢) ما عدا ل : « ظننا » .

(٣) ما عدا ل : « إلى طعام ليأكل معه » .

(٤) ما عدا ل : « فبلغ به الجهل » .

(٥) ما عدا ل : « إلى أن قال » .

الرَّشيد ، والفَضْلُ بن الربيع واقف فى الجانب الآخر[١] والحسَنُ اللُّؤلؤى[٢] يحدِّثُه ويسائله عن أمور ، وكان آخر ما سأله عن بيع أُمّهات الأولاد ، فلولا أنّى ذكرتُ أنَّ سلطان ما وراء السِّتر للحاجب ، وسلطانَ الدّارِ لصاحب الحرَس ، وأنَّ سلطانى إنما هو على من خرج من حُدود الدّار ، لقد كنت أخذتُ بضَبْعه[٣] وأقمتُه ، فلمَّا صِرْنا وراء السِّتر قلت له والفضل يسمع : أمَا والله لو كان هذا منك فى مسايرةٍ أو موقفٍ لعلمتُ أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجلسك .

وحدَّثنى إبراهيم بن السندى قال : بينا الحسنُ اللؤلؤى فى بعض الليالى بالرَّقّة يحدِّث المأمون والمأمون يومئذ أمير ، إذْ نعَس المأمون ، فقال له اللؤلؤىّ : نمتَ أيُّها الأمير ؟ ففتح المأمونُ عينيه وقال : سوقىٌّ والله ، خُذْ يا غلامُ بيده .

قال : وكُنَّا يومئذ عند زياد بن محمد بن منصور بن زياد ، وقد هيَّأ لنا الفضلُ ابن محمد طعاما ، ومعنا فى المجلس خادم كان لأبيهم[٤] ، فجاء رسول الفضل إلى زيادٍ فقال : يقول لك أخُوك : قد أدرك طعامُنا فتحوَّلوا . ومعنا فى المجلس إبراهيم النَّظَّام ، وأحمدُ بن يوسف ، وقُطربٌ النحوى ، فى رجالٍ من أُدَباء الناس وعلمائهم ، فما مِنّا أحدٌ فطِنَ لخطأ الرسول . فأقبل عليه ميسَّر الخادم[٥] ، فقال : يا ابن اللَّخْناء ، تقِفُ على رأس سيِّدك فتستفتح الكلام كما تستفتحه لرجلٍ من عُرْض الناس[٦] . ألا تقول : يا سيدى ، يقول لك أخوك : ترى أن تصيرَ إلينا بإخوانك فقد تهيّأ أمرُنا ؟

---

(١) ما عدا ل : « واقف فى الأيسر » .

(٢) هو أبو على الحسن بن زياد اللؤلؤى ، مولى الأنصار ، وأحد أصحاب أبى حنيفة والرواة عنه . كوفى نزل بغداد ، وولى القضاء بعد حفص بن غياث سنة ١٩٤ . ويروى عنه أنه كان يكسو مماليكه كما كان يكسو نفسه . وكان يضعف فى حديثه . لسان الميزان (٢ : ٢٠٨) وتاريخ بغداد ٣٨٢٧ .

(٣) الضبع ، بفتح الضاد وسكون الباء : العضد ، أو وسطه .

(٤) ما عدا ل : « وكان لابنهم » . (٥) ما عدا ل : « مبشر الخادم » .

(٦) من عرض الناس ، بالضم ، أى من أوساطهم وجمهورهم .

وابتعت خادماً كان قد خدم أهل الثروة [واليسار] وأشباهَ الملوك ، فمرَّ به خادم من معارفه ممن قد خلق الملوك فقال له : إن الأديب و إن لم يكن ملكا فقد يجب على الخادم أن يخدُمه خِدمةَ الملوك ، فانظر أن تخدُمه خِدمةً تامة . قلت
٦٩ له : وما الخدمة التامة ؟ قال : الخدمة التامة أن تقوم فى دارك لبعض الأمر وبينك وبين نعلك[(١)] تَمشِى خَمسِ خُطًى فلا يدعَك أن تمشىَ إليها ، ولكن يأخذها ويُدنيها منك . ومَن كان يضع النَّعْلَ اليُسرى قُدَّامَ الرِّجل اليمنى فلا ينبغى لمثل هـذا أن يدخلَ على دار مَلِكٍ ولا أديب . ومن الخدمة التامّة أن يكون إذا رأى مُتّكَأً يحتاج إلى مِخَدّةٍ ألاّ ينتظر أمرَك . ويتعاهدَ لِيقةَ الدَّواة قبل أن تأمرَه أن يصبَّ فيه ماء أو سواداً ، وينفُضَ عنها الغُبارَ قبل أنْ يأتيَك بها . وإنْ رأى بين يديك قِرطاساً على طَيِّهِ قطع رأسَه ووضعه بين يديك على كَسْرِه . وأشباهُ ذلك .

* * *

قال : ولمّا كلّم عُروة بن مسعودٍ الثّقفى[(٢)] ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كان فى ذلك ربّما مَسَّ لحيةَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له المغيرةُ بن شُعبة[(٣)] : نَحِّ يدَكَ عن لحية رسول الله عليه السلام قبل ألاّ ترجع إليك يدُك . فقال عروة : يا غُدَرُ[(٤)] ، هل غَسلتُ رأسَك من غَدْرتِك إلاّ بالأمس[(٥)] ؟

---

(١) ما عدا ل : « وبين النعل » .

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن ثقيف الثقفى . وهو عم والد المغيرة بن شعبة . وفيه نزل قول الله : « على رجل من القريتين عظيم » . قدم على الرسول سنة تسع . وقتله رجل من ثقيف . الإصابة ٥٥١٨ .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) .

(٤) ياغدر ، أى يا كثير الغدر ، يقال للذكر غدر ، وللأنثى غدار كقطام ، وهما مختصان بالنداء فى الغالب .

(٥) غسلت ، كذا ضبطت على الصواب بضم التاء فى اللسان (غدر) . وفيه : =

قال : ونادى رجالٌ من وفد بنى تميمٍ⁽¹⁾ النبيَّ صلى الله عليه وسلم باسمه من وراء الحجرات ، فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . وقال الله جلَّ ذِكرُه : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ .

وقال ابن هَرْمةَ أو غيره[2] :

لله دَرُّ سَمَيْدعٍ فَجَعَتْ به ... يومَ البَقيعِ حوادثُ الأيّامِ[3]
هشٌّ إذا نزل الوفودُ ببابه ... سهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الخُدّامِ
فإذا رأيتَ صديقَه وشقيقَه ... لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحامِ

***

قال أبو الحسن : بينا هشامٌ يسير ومعه أعرابىٌّ إذ انتهى إلى مِيلٍ عليه كتاب ، فقال للأعرابى : انظرْ أىُّ ميلٍ هذا ؟ فنظر ثم رجع إليه ، فقال : عليه مِحجنٌ وحَلَقَةٌ ، وثلاثة كأطباء الكَلْبة ، ورأسٌ كأنه رأس قطاةٍ . فعرفه ٧٠
هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابىُّ ، وكان عليه « خَمْسَة » .

= « وهل غسلت غدرتك إلا بالأمس » . وقد فسر ابن هشام هذا فى السيرة ٧٤٤ جوتنجن بقوله : « أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف ، بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر » .

(١) كان قدوم وفد بنى تميم الى الرسول الكريم سنة تسع ، وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود . وكان رأس وفد تميم عطارد بن حاجب بن زرارة ، وفى الوفد من أشراف تميم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، والحتات بن يزيد . فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد .

(٢) تروى الأبيات التالية لمحمد بن بشير الخارجى ، انظر حماسة أبى تمام (١ : ٣٣٤) فى باب المراثى ، وقد أنشد البيهقى هذه الأبيات فى المحاسن (١ : ١٢٤) بدون نسبة .

(٣) البقيع ، ويقال له بقيع الغرقد ، هو مقبرة أهل المدينة ، وهى داخل المدينة .

نوادر الأعراب

استشهدوا أعرابيًّا على رجلٍ وامرأة ، فقال : رأيته قد تَقَمَّصها ، يحفزُها بمؤخَّره ، ويجذبها بمقدَّمه ، وخفِيَ عليَّ المسلك .

وقال آخر : رأيتُه قد تبطَّنَها ، ورأيتُ خلخالاً شائلاً[1] ، وسمعت نفساً عالياً ، ولا عِلم لى بشىء بَعْدُ .

***

وقال أعرابيٌّ : رأيت هذا قد تناوَلَ حَجراً فالتفَّ بهذا ، وحجَزَ النَّاسُ بينهما ، وإذا هذا يستدمِي .

***

وقال بعضهم : الشَّيب نذيرِ الآخرة .

وقال قيس بن عاصم : الشَّيب خِطام المنيَّة .

وقال آخر : الشَّيب توأم الموت .

وقال الحكيم : شيب الشَّعَر موتُ الشَّعَر ، وموت الشَّعَر عِلَّة موت البَشَر .

وقال المعتمِر بن سُليمان : الشَّيب أوَّلُ مراحل الموت .

وقال السَّهميّ : الشيب تمهيد الحِمَام .

وقال العتَّابيّ : الشيب تاريخ الكِتاب[2] .

وقال النَّمريّ : الشيب عنوان الكِبَر .

وقال عديُّ بن زيدٍ العِباديُّ :

وابيضاضُ السَّوادِ من نُذُرِ المو ... تِ وهل مثلُه لحيٍّ نذيرُ[3]

---

(١) ما عدا ل : « خلخالها شائلا » . والشائل : المرتفع .

(٢) أى كتاريخ الكتاب ، إنما يكون فى آخره .

(٣) ما عدا ل : « من نذر الشر » .

وقال الآخر :

أصبح الشَّيْبُ فى المفارق شاعا   واكتسى الرَّأسُ من بياضٍ قِناعا[١]
وتولَّى الشــبابُ إلاَّ قليلاً   ثم يأبى القليلُ إلاَّ نِزَاعا[٢]

قال : وقال رجلٌ لأشعبَ[٣] : ما شكرتَ معروفَ [عندك] . قال : لأنَّ معروفَكَ جاء من عند غير مُحْتَسِب ، فوقع إلى غيرِ شاكر . ٧١

وخفَّفَ أشعبُ الصلاةَ مرَّةً فقال له بعض أهل المسجد : خفَّفْتَ صلاتَك جِدًّا . قال : لأنه لم يخالِطْها رياء .

---

(١) البيتان فى الحيوان (٣ : ١١١) .

(٢) فى الحيوان وما عدا ل : « ثم ولى الشباب » .

(٣) هو أشعب بن جبير ، الذى يضرب به المثل فى الطمع . نشأ أشعب بالمدينة وتولت تربيته عائشة بنت عثمان بن عفان . وفى ذلك يقول : نشأت أنا وأبو الزناد فى حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . انظر أخباره وطرائفه فى الأغانى (١٧ : ٨٣ — ١٠٥) .

كلام بعض المتكلمين من الخطباء

الحمدُ لله كما هو أهلُه، والسلام على أنبيائه الطيِّبين . أخى لا تغترَّنَّ بطُول السلامة مع تضييع الشُّكر ، ولا تُعمِلنَّ نعمةَ الله فى معصيته ، فإنَّ أقلَّ ما يجب لِمُهديها ألاّ تجعلَها ذريعةً فى مخالفته . واعلم أن النِّعم نوافِر ، ولقلّما أقشعَتْ [١] نافرةٌ فرجعَتْ فى نصابِها ، فاستدعِ شاردَها بالتَّوْبة ، واستدِمِ الرّاهِنَ منها بكرَم الجِوار ، واستفتِحْ بابَ المزيد بحُسْن التوكُّل ، ولا تحسَبْ أنَّ سُبوغَ سِتْر نِعَمِ الله عليك غيرُ متقلِّصٍ عمّا قريب إن لم ترْجُ لله وَقاراً [٢] . وإنى لأخشى أن يأتيك أمرُ الله بغتةً أو لإملاء [٣] ، فهو أوْبأ مغبَّة [٤] ، وأثبت فى الحجَّة ، فلأن تعمل ولا تعلَم [٥] خير من أن تعلَم ولا تعمل . إنَّ الجاهل لم يُؤتَ من سُوء نِيَّةٍ ولا استخفاف برُبُوبيَّةٍ ، وليس كمن قهرته الحُجَّة وأعرب له الحقُّ مفصِحاً عن نفسه ، فآثرَ الغفلة ، والخسيسَ من الشَّهوة ، على الله عزَّ وجلَّ ، فأسمَحَتْ نفسُه عن الجنَّة [٦] ، وأسلمَها لأبدِ العقوبة [٧] . فاستشِرْ عقلَك ، وراجِعْ نفسَك ، وادرُسْ نِعَمَ الله عندك ، وتذكَّرْ إحسانَه إليك ؛ فإنه مَجْلَبةٌ للحياء ، ومَردعةٌ للشهوة ، ومَشْحَذَةٌ على الطاعة ؛ فقد أظلَّ البلاء أو كانْ قَدْ ،

---

(١) أقشعت : أقلعت وانكشفت .

(٢) اقتباس من قول الله تعالى : « ما لكم لا ترجون لله وقارا » ، أى لا تخافون لله عظمة » .

(٣) الإملاء : الإمهال والتأخير .

(٤) المغبة : العاقبة . أوبأ : أوخم . ما عدا ل : « أولى » تحريف .

(٥) ما عدا ل : « فلأن لا تعلم ولا تعمل » .

(٦) أى انقادت إلى غير ما يدخلها الجنة .

(٧) الأبد : الخالد المقيم .

فكفكفْ عنك غَرْبَ شؤبوبه(١) ، وجوامحَ سَطْوته ، بسرعة النُّزُوع ، وطول التضرُّع . ثلاثٌ هي أسرعُ في العقل من النار في يبيس العَرْفَج : إعمال الفكرة ، وطولُ التمنّي ، والاستغرابُ في الضَّحِك . إنّ اللهَ لم يخلُق النارَ عبثاً ، ولا الجنةَ هَمَلاً ، ولا الإنسانَ سُدًى . فاعترِفْ رقَّ العبوديّة ، وعجزَ البَشريّة ، فكلُّ زائدٍ ناقصٌ ، وكلُّ قرينٍ مفارقٌ قرينَه ، وكلُّ غنيٍّ محتاجٌ ، وإنْ عصفَتْ به الخُيَلاء وأبطَرَه العُجْب ، وصَالَ على الأقران ؛ فإنه مُدَالٌ مدبَّر ، ومقهور مُيَسَّر. ٧٢ إنْ جاع سَخِط المِحْنة ، وإنْ شَبِع بَطِرَ النِّعمة . تُرضِيه اللَّمحةُ فيستشرِي مَرَحًا ، وتُغضِبه الكلمةُ فيستطير شِقَقًا(٢) ، حتى تنفسخ لذلك مُنّتُه(٣) ، وتنتقض مَرِيرتُه(٤) ، وتضطرب فريصتُه(٥) ، وتنتشر عليه حُجّتُه . وللعجَبُ من لبيبٍ توبِقُه الحِياطة ، ويَسلَم مع الإضاعة ، ويُؤتَى من الثِّقة ، ولا يشعُر بالعاقبة . إن أهمَلَ عَمِي ، وإن عَلِم نَسي . كيف لم يتّخذ الحقَّ مَعقِلاً يُنجيه ، والتوكُّلَ ذائداً يحميه . أعَمِيَ عن الدَّلالة(٦) ، وعند وُضوح الحجّة ، أم آثَرَ العاجلَ الخسيس ، على الآجِل النَّفيس ؟ وكيف توجَد هذه الصِّفة مع صِحّة العُقْدة(٧) ، واعتدال الفِطرة ؟ وكيف يُشيرُ رائدُ العقل ، بإيثار القليل الفاني على الكثير الباقي . وما أظنُّ الذى أقعَدَك عن تناوُل الحظّ ، مع قُرْب

---

(١) الغرب : الحد . وشؤبوب كل شيء : دفعته وحده .

(٢) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهي القطعة . وفي اللسان : « ومنه حديث عائشة رضي الله عنها : فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض . هو مبالغة في الغضب والغيظ » .

(٣) المنة بالضم : القوة .

(٤) تنتقض : تنحل وتنتكث . والمريرة ، هي من الحبال ما لطف وطال واشتد فتله . والمراد بالمريرة هنا : الشكيمة والعزة .

(٥) الفريصة : لحمة بين الجنب والكتف ، ترتعد عند الفزع .

(٦) ما عدا ل : « عن الدلائل » .

(٧) العقدة بالضم : العقيدة والرأي . وفي الحديث : « أن رجلا كان يبايع وفي عقدته ضعف » أي في رأيه ونظره في مصالح نفسه .

مَجْناه ، حتى صار لا يَثْنيك زجرُ الوَعيـد ، ولا يكدح فى عَزَماتك فوتُ الجنَّة[١] ، وحتى ثقُلتْ على سمعك الموعظة ، ونَبَتْ عن قلبك العِـبْرة[٢] إلا طُولُ مجاوَرةِ التقصـير ، واعتيادُ الراحة ، والأُنْس بالهُوَينى ، وإيثارُ الأخفِّ ، وإلفُ قَرينِ السَّوْء . فاذكُر الموتَ وأدِمِ الفِـكرةَ فيه ؛ فإنّ من لم يعتبر بما يرى لم يَعتبر بما لا يرى . وإن كان ما يوجد بالعِيان من مواقع العِبرة لا يكشفُ لك عن قبيح ما أنت عليه ، وهُجْنة ما أصبحتَ فيه ، من إيثار باطلك على حقِّ الله ، واختيار الوَهْن على القوّة ، والتفريطِ على الحزْم ، والإسفاف إلى الدُّون[٣] ، واصطناعِ العار ، والتعرُّضِ للمقْت ، وبسطِ لسان العائب — فمستنبَطاتُ الغَيب[٤] أحرَى بالعجز عن تحريكك ، ونَقْلِك عن سُوء العادة التى آمْرتَها على ربِّك . فاستَحْيِ لِلُبِّك ، واستبقِ ما أفضلَ الخِذْلانُ من قوّتك ، قبل أن يستولِيَ عليك الطبعُ ، ويشتدّ بك العجز[٥] . أوَما علمتَ أنّ المعصـية تُثمِر الذِّلّة ، وتَفُلّ غَرْبَ اللِّسان ، مع السَّلاَطة . بل ما علمتَ أن المستشعِر بذُلِّ الخطيئة ،

٧٣ المخرجَ نفسَه من كَنَف العِصمة ، المتحلِّيَ بدنَس الفاحشة ، نَطِفُ الثَّناء[٦] ، زَمِرُ المروءة[٧] ، قَصِيُّ المجلس ، لا يُشاوَر وهو ذو بَزْلاء[٨] ، ولا يُصَدَّر وهو جميل الرُّواء[٩] ؛ يُسالم مَن كان يسطو عليـه ، ويَضرَع لمن كان يرغَبُ إليه . يَخْـذُلُ

---

(١) يكدح : يؤثر . ما عدا ل : « يقدح » وهما بمعنى .

(٢) نبت عنه : زايلته وتجافت عنه . ما عدا ل : « نَبَت » ولعل هذه « نأت » .

(٣) أسف إلى الدون : نزل إليه . ما عدا ل : « والإشفاق على الدون » ، تحريف جره توهم السياق المزاوجة إلى هنا .

(٤) مستنبطات الغيب : مستخرجاته وما يظهر منه .

(٥) ما عدا ل : « ويشتد عليه العجز » .

(٦) النطف : الملطخ المتهم . والثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم . وخص بعضهم به المدح .

(٧) زمر المروءة : قليلها .

(٨) البزلاء : الرأى الجيد ، والعقل .

(٩) يصدر : يجعل فى الصدر والمقدم . والرواء ، بالضم : المنظر ، ومادته (رأى) .

بحاله المبغِضُ الشانئ(١) ، ويُثلَب بقربه القريب الدانى(٢) ، غامض الشَّخْص(٣) ضئيل الصوت ، نَزْرُ الكلام متلجلج الحُجَّـة ، يتوقَّع الإسكاتَ عند كلِّ كلمة(٤) ، وهو يَرَى فضلَ مزيّته وصريحَ لُبِّه ، وحُسن فضيلتِه ، ولـكنْ قطعَهُ سوءُ ما جني على نفسه ، و[لو] لم تطَّلع عليـه عيون الخليقة لهجست العقولُ بإدْهانه(٥) . وكيف يمتنع من سقوط القَدْر وظنِّ المتفرِّس ، مَن عَرِيَ عن حِلْية التقوى ، وسُلِبَ طابَعَ الهُدَى . ولو لم يَتغشَّه ثوبُ سريرته ، وقبيحُ ما احتجن إليه من مخالفته ربَّه(٦) ، لأضرعَتْه الحجَّـة(٧) . ولفسخَه وهْنُ الخطيئة ، ولقطعه العِلمُ بقبيح ما قارف(٨) ، عن اقتدارِ ذوى الطَّهـارة فى الكلام ، وإدلالِ أهل البَراءة فى النديّ(٩) . هذه حالُ الخـاطئ فى عاجل الدُّنيا ؛ فإذا كان يومُ الجزاء الأكبرِ فهو عانٍ لا يُفَكُّ(١٠) ، وأسيرٌ لا يُفادَى ، وعاريَةٌ لا تُؤدَّى . فاحْذَرْ عادةَ العجز وإلفَ الفكاهة(١١) ، وحبَّ الـكِفاية ، وقلَّة الاكتراث للخطيئة ، والتأسُّفَ على الفائت منها ، وضعفَ النَّدمِ فى أعقابها .

أخى ، أنعَى إليك القاسيَ(١٢) ، فإنه ميِّت وإن كان متحرِّكا ، وأعمَى وإن

---

(١) يجذل : يشتد سروره ، وذلك شماتة به .

(٢) يثلب : يعاب وينتقص .

(٣) فى الأصل : « الشخص » ، صوابه من سائر النسخ .

(٤) الإسكات : السكوت . قال أوس بن حجر :

لنا طرقة ثم إسكاتة كما طرقت بنفاس بكر

(٥) الإدهان : الغش والمصانعة . ما عدا ل : « بأذهانه » .

(٦) احتجن الشىء إليه : ضمه وأمسكه . ما عدا ل : « من مخالفة ربه » .

(٧) أضرعته : أخضعته وأذلته .

(٨) قارف الذنب : قاربه . ل فقط : « قارب » .

(٩) الندى والنادى : مجلس القوم .

(١٠) العانى : الأسير ، سمى بذلك لخضوعه .

(١١) الفكاهة ، بالفتح مصدر ، وبالضم الاسم ، وهى المزاح وطيب النفس .

(١٢) ما عدا ل : « العانى » .

كان رائياً . واحذر القَسْوَةَ فإنها رأسُ الخطايا ، وأمارة الطَّبَع [١] . وهى الشَّوهاء العاقر ، والداهيةُ المُقام . وأراكَ ترتكض فى حبائلها [٢] ، وتستقبِس من شرَرها . ولا بأس أن يعظ المُقَصِّرُ مالم يكن هازلاً . ولن يَهلِكَ امرؤٌ عرف قَدْرَه . ورُبَّ حامِلِ عِلمٍ إلى مَن هو أعلم منه . علّمنا الله وإياكم ما فيه نجاتُنا ، وأعاننا وإياكم على تأدية ما كُلِّفْنا . [والسَّلام]

* * *

قال : قلت لِحُبَاب [٣] : إنكَ لتكذِب فى الحديث . قال : وما عليك إذا كان الذى أزِيدُ فيه أحسنَ منه . واللهِ ما ينفعُك صدقُه ولا يضرُّك كذبُه . وما يدور الأمرُ إلاّ على لفظٍ جيِّد ومعنًى حسن . ولكنَّك والله لو [أردتَ] ذلك لتلجلج لسانُك ، ولذهَب كلامك . ٧٤

وقال أبو الحسن : سَمِع أعرابىٌّ مؤذِّناً يقول : « أشهد أنَّ محمداً رسولَ اللهِ » . قال : يفعل ماذا ؟

قال : وكان يقال : أوّل العِلم الصّمت ، والثانى الاستماع ، والثالث التحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشرُه .

أبو الحسن قال : قرأ رجلٌ فى زمن عمر [بن الخطاب] رحمه الله : فإن زَلَلْتم من بعد ما جاءتكم البيِّناتُ فاعلموا أنّ الله غفورٌ رحيم [٤] . فقال أعرابىٌّ : لا يكون .

قال : ودخل على المهدىّ صالحُ بن عبد الجليل ، فسأله أن يأذن له فى

---

(١) الطبع ، بالتحريك : تلطخ القلب بالأدناس .

(٢) ركض الطائر وارتكض : اضطرب . ما عدا ل : « تركض » .

(٣) هو حباب بن جبلة الدقاق ، متهم بالكذب ، وهو ممن روى عن مالك بن أنس . توفى سنة ٢٢٨ . لسان الميزان (٢ : ١٦٤) وتاريخ بغداد ٤٣٨٢ .

(٤) الآية ٢٠٩ من سورة البقرة . والتلاوة : « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

الكلام ، فقال : تكلم . فقال : إنّا لمّا سهُلَ علينا ما توعَّر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مَقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى ، عند انقطاع عُذْر الكتمان فى التَّقيَّة ، ولا سيَّما حين اتَّسمْتَ بميسم التواضُع ، ووَعَدْتَ اللهَ وحَمَلَةَ كتابه إيثارَ الحقِّ على ما سواه . فجمعنا وإياك مَشهدٌ من مشاهد التمحيص ، ليتمّ مُؤدِّينا على موعود الأداء عنهم ، وقابلنا على موعود القَبول ، أو يُرِدْنا تمحيصُ الله إيانا فى اختلاف السرِّ والعلانية ، ويحلِّينا حليةَ الكاذبين[1] ؛ فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَن حجب الله عنه العِلم عذَّبه على الجهل ، وأشدُّ منه عذاباً مَن أقبل عليه العلمُ وأدبَرَ عنه . ومَن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به فقد رغِب عن هديَّة الله وقصَّرَ بها . فاقبَلْ ما أهدى الله إليك على ألسنتنا[2] قَبولَ تحقيقٍ وعمل ، لا قَبولاً فيه سُمْعةٌ ورِياء[3] ؛ فإنه لا يُعدِمُك منّا إعلامٌ بما تجهل[4] ، ومُواطأة على ما تعلم ، أو تذكيرٌ لك من غفلة . فقد وطَّنَ الله جلَّ وعزَّ ، نبيَّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عمّا فات ، وتحصيناً من التمادى ، ودلالةً على المخرج ، فقال : ﴿ وإمّا ينزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ باللهِ إنَّهُ هُوَ السَّميعُ العليم[5] ﴾ . فأطْلِعِ اللهَ على قلبك بما ينوِّرُ به القلوب ، من إيثار الحقِّ ومنابذة الأهواء ؛ فإنّك إن لم تفعل ذلك يُرَ أثرُك وأثرُ الله عليك فيه . ٧٥
ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله .

---

(١) ما عدا ل : « بحلية الكاذبين » .

(٢) ما عدا ل : « من ألسنتنا » .

(٣) السمعة ، بالضم : ما سُمِّع به رياء ليسمع . يقال : فعل ذلك رياء وسمعة ، أى ليراه الناس ويسمعوا به .

(٤) يقال أعدمه الشىء ، إذا لم يجده . ما عدا ل : « لا يخلفك منا إعلام لما تجهل » .

(٥) الآية ٣٦ من سورة فصلت . والنزغ: الإغراء والوسوسة . وفى سورة الأعراف ٢٠٠ : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم » .

قال : ودخَل رجلٌ على معاوية ، وقد سقطت أسنانُه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الأعضاء يرثُ بعضها بعضاً . والحمد لله(١) الذى جعلك وارثَها ولم يجعلها وارثتك .

* * *

وحدّثنا إسماعيلُ بن عُلَيّة قال : حدّثنا زياد بن أبى حسان ، أنه شهد عُمَرَ بن عبد العزيز رحمه الله حين دفن ابنَه عبد الملك ، فلما سُوِّيَ عليه قبرُه بالأرض — وجعلوا فى قبره خشبتَين من زيتونٍ ، إحداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبرَه بينه و بين القبلة — واستوى قائما وأحاط به الناس فقال :

رحمك الله يا بُنَيَّ ، فلقد كنتَ بَرًّا بأبيك ، وما زلتُ مُذْ وهبك الله لى بك مسروراً . ولا والله ما كنتُ قطُّ أشدَّ بك سروراً ، ولا أرْجَى لحظّي من الله فيك ، منّي مُذْ وضعتُك فى هذا الموضع الذى صيّرَك الله إليه . فغفر اللهُ ذنبَك ، وجَزَاكَ بأحسنِ عمَلِك(٢) ، وتجاوَزَ عن سيّئتك(٣) ورحم اللهُ كلَّ شافعٍ يشفع لك بخيرٍ من شاهدٍ أوْ غائب . رَضِينا بقضاء اللهِ ، وسلّمْنا لأمره . فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين . ثمّ انصرف .

* * *

حدّثنى محمد بن عُبيد الله بن عمرو(٤) قال أخبرنى طارق بن المبارك عن أبيه

---

(١) ما عدا ل : « فالحمد لله » .

(٢) ما عدا ل : « وجازاك بأحسن عملك » .

(٣) ما عدا ل : « عن سيئاتك » .

(٤) ما عدا ل : « بن عمر » . وفى الأغانى (٤ : ٩٤) : « محمد بن عبد الله ابن عمرو » .

قال : قال لى عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة[١] : جاءت هذه الدَّولةُ وأنا حديثُ السِّنِّ ، كثيرُ العِيال ، منتشِر الأموال ، فكنتُ لا أكونُ فى قبيلةٍ إلا شُهِرَ أمرى ، فلمَّا رأيتُ ذلك عزمتُ على أن أفدِىَ حُرَمِى بنفسى . قال المبارك : فأرسَلَ إلىَّ[٢] : أن وافِنى عند باب الأمير سليمان[٣] . قال : فأتيته فإذا عليه طيلسانٌ أبيضُ مُطْبَقٌ[٤] ، وسراويلُ وشيٍ مسدولة . قال : فقلت : سبحان الله ، ما تصنع الحداثةُ بأهلها[٥] ، إن هذا ليس لباسَ هذا اليوم . قال : لا والله ، ولكن ليس عندى ثوبٌ إلاَّ أشهرَ مما ترى[٦] . قال : فأعطيتُه طيلَسانى وأخذتُ طيلسانَه ، ولويتُ سراويلَه إلى رُكبتَيه . قال : فدخل ثم خرجَ إلىَّ مسروراً .

٧٦ قال : قلت : حدِّثنا ماجرى بينك وبين الأمير . قال : دخلتُ عليه ولم يَرَنى قبلَ ذلك ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفظتنى البِلادُ إليك[٧] ، ودلَّنى فضلُك

---

(١) فى الأغانى : « جاءنى رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة فقال لى : يقول لك عمرو » .

(٢) بدل هاتين الكلمتين فى الأغانى : « وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن على ، فصر إلى » . مع حذف الجملة التى بعدهما .

(٣) هو سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، من عمومة أبى العباس السفاح . ولى سليمان البصرة وعمان والبحرين لأبى جعفر . وتوفى بالبصرة سنة ١٤٢ . المعارف ١٦٤ .

(٤) الطيلسان والطيلس : ضرب من الأكسية ، فارسى معرب . وقيده فى التكملة بأنه أسود ، واستدل بقول المرار :

فرفعت رأسى للخيال فما أرى غير المطى وظلمة كالطيلس

وقد فسره فى المعيار بأنه « ثوب يلبس على الكتف » أو « ثوب يحيط بالبدن ينسج للبس ، خال عن التفصيل والخياطة » . وأما أدى شير فقسره بأنه « كساء مدور أخضر لا أسفل له لحمته أو سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ . وهو من لباس العجم » . قلت : هو فى الفارسية : « تالسان » أو « تالشان » بكسر اللام فيهما . وقد فسره استينجاس ٢٦٧ أنه غطاء للرأس يحيط به ويتدلى منه طرف إلى أسفل . وقد ذكر أيضا فى ٨٢٤ « طيلسان » مشيرا إلى أنه مأخوذ من العربية ، وذكر من بين معانيه « العباءة » أو « الرداء » أو « غطاء للكتف » : Tippet . فكأن اللفظ أخذ من الفارسية ثم عاد إليها بمعنى آخر .

(٥) أى حداثة السن .

(٦) ما عدا ل : « أشهى » تحريف .

(٧) فى الأصول : « لفظنى البلاء إليك » ، والوجه ما أثبت فى الأغانى .

عليك ، فإمّا قبلتَنى غانماً وإمّا رددتَنى سالما . قال : ومَن أنتَ أعرفك(١) . قال : فانتسبت له ، فقال : اقعدْ فتكلّمْ غانماً سالما . ثم أقبلَ علىّ فقال : حاجتَك يا ابنَ أخى(٢) قال : قلتُ : إن الحُرَم اللاتى أنت أقربُ الناس إليهنّ معنا ، وأولى الناس بهنّ بعدنا ، قد خِفْنَ بخَوْفِنا . ومَن خاف خِيف عليه . قال : فوالله ما أجابنى إلا بدموعه على خدّيه . قال : يا ابن أخى ، يُحقَن واللهِ دمُك(٣) ، وتُحفَظ حرمُك ، ويُوفَّر عليك مالُك ، ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلتْ . قال : فقلتُ : أكون مُتوارياً أو ظاهراً ؟ قال : كن متوارياً كظاهر(٤) . فكنت واللهِ أكتبُ إليه كما يكتبُ الرَّجُل إلى أبيه وعمّه . قال : فلما فرغ من الحديث رددتُ إليه طيلسانَه ، فقال : مهلاً ، إنّ ثيابَنا إذا فارقَتْنا لم تَرْجِعْ إلينا .

(١) فى الأغانى : « ما أعرفك » .
(٢) ل : « يا ابن أخى » فى هذا الموضع وتاليه .
(٣) فى الأغانى وما عدا ل : « يحقن الله دمك » .
(٤) زاد بعده فى الأغانى : « وآمنا كخائف ، ولتأتنى رقاعك » .

ومن أحاديث النوكى

حديث أبي سعيد الرفاعى[1] : سُئل عن الدُّنيا والدائسة[2] ، فقال : أمّا الدُّنيا فهذه التي أنتم فيها ، وأما الدَّائسة فهى دارٌ أخرى بائنةٌ من هذه الدَّار ، لم يَسمع أهلُها بهذه الدَّار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحنُ لم نسمع بشىء من أمرها[3] ، إلاّ أنّه قد صحّ عندنا أن بيوتَهم من قِنَاء ، وسقوفَهم من قِنَاء وأنعامَهم من قِنَاء ، وخيلَهم من قِنَاء ، وهم فى أنفسهم من قِنَاء ، وقِنَاؤهم أيضاً من قِنَاء . قالوا له : يا أبا سعيد ، زعمتَ أنّ أهلَ تلك الدّار لم يَسمَعوا بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحن لهم ، وأراك تُخبرنا عنهم بأخبارٍ كثيرة . قال : فمن ثَمَّ أعجَبُ زيادةً .

قالوا : ذمّ رجلٌ عند الأحنف الكَمْأةَ بالسَّمن ، فقال الأحنف : « رُبَّ مَلوم لا ذنبَ له[4] » .

٧٧ عبد الله بن مسلم ، عن شَبّةَ بن عِقالٍ[5] ، أنّ رجلاً قال فى مجلس عُبيد الله ابن زياد : ما أطيبُ الأشياء ؟ فقال رجلٌ : ما شَىءٌ أطيبَ من تمرةٍ نِرْسِيانٍ[6] كأنها من آذان النَّوكى[7] ، عليها زُبدة .

---

(١) ما عدا ل : « حديث عن أبى سعيد الرفاعى أنه » .

(٢) كلمة « الدائسة » لا أصل لها . وإنما تندر سائله بهذه اللفظة ليستخرج منه ما يضحك .

(٣) من « وكذلك » إلى هنا ساقط مما عدا ل .

(٤) فى الحيوان (١ : ٢٤) : « رب مذموم » .

(٥) هو شبة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق . وكان شبة شاعراً وخطيباً . سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٧) . ما عدا ل : « شيبة بن عقال » تحريف .

(٦) النرسيان ، بكسر النون : ضرب من التمر يكون أجوده . وأهل العراق يضربون الزبد بالنرسيان مثلا لما يستطاب . ما عدا ل : « برسيان » تحريف . ويقال تمرة نرسيان ، بالإضافة . وابن قتيبة يقول تمرة نرسيان بالتنوين ، يجعلها صفة أو بدلا .

(٧) أى مفرطة فى الصغر . قال فليمون الحكيم فى كتاب الفراسة ٢٩ : « اعلم أن =

وقال أوس بن جابر[١] لابن عامر[٢] :

ظلّتْ عُقَـابُ النُّوكِ تخفِقُ فوقَه ... رِخْوٌ طَفاطِفُه قديمُ الملعبِ[٣]

قد ظلَّ يُوعِدُنى وعينُ وَزِيرِه ... خضراءُ خاسفةٌ كعينِ العقربِ[٤]

يعنى بوزيره عبـد الله بن عُمير الليثى[٥] ، وكان أخاه لأمّه ، أمُّهما دَجاجة بنت أسماء السُّلَميّةُ .

وقال ابن مُناذِر[٦] ، فى خالد بن عبـد الله بن طَليقٍ الخُزَاعىّ[٧] ، وكان المهدىُّ استقضاه وعَزَل عُبيدَ الله بن الحسن العنبرىّ[٨] :

= إفراط صغر الأذنين من آيات الحمق وسوء الفهم وقلة العلم ، وأنه قلما يعدم صغير الأذنين الغدر وكثرة الشر . وأن عظم الأذنين من أعلام الحرص وصغر الهمة والدناءة . وأن أحسن الآذان أذنا وخلقة المرتفعة غير العظيمة ولا الصغيرة ، فإن رأيتها كذلك فاعلم أن هناك فطنة وعقلا وعلما ، وأن صاحبها خليق الشدة والصرامة » .

(١) ما عدا ل : « أوس بن جار » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ، المترجم فى (١ : ٣١٧) . ولد على عهد الرسول . وأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية . وكانت عند عمير بن قتادة الليثى يوم الفتح خمس نسوة فقال له الرسول : فارق إحداهن . ففارق دجاجة فتزوجها عامر فولدت له عبد الله ، الإصابة ٦١٨٥ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . والعقاب ، هاهنا : الراية . عنى أنه مشهور الحمق . والطفاطف : جمع طفطفة بكسر الطاءين ، وهى مارق من الجلد من طرف الكبد . وكل لحم مضطرب طفطفة .

(٤) عنى بخضرة عينيه شدة عداوته . والعرب تجعل زرقة العين وخضرتها مثلا للعداوة وذلك لأن أعداء العرب الروم وكانوا زرق العيون . وفى اللسان : « الزرقة خضرة فى سواد العين » . خاسفة : غائرة . ما عدا ل : « خاشعة » تحريف .

(٥) هو عبد الله بن عمير بن قتادة الليثى . ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦١٧ والصفدى فى نكت الهميان ١٨٤ وقال : « وهو صحابى يعد فى أهل المدينة . وكان أعمى يؤم قومه بنى خطمة . وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعمى » .

(٦) هو محمد بن مناذر ، المترجم فى (١ : ١٨) .

(٧) هو خالد بن طليق ، الذى مضت ترجمته فى ص ٥٨ من هذا الجزء . ولعل « عبد الله » مقحم فى نسبه .

(٨) ترجم فى (١ : ١٢٠) .

أَنَّى دهرُنا والدّهرُ ليس بمُعْتِبٍ   بآبدةٍ والدّهرُ جَمُّ الأوابدِ (١)
بعَزْلِ عُبيــدِ اللهِ عنّا فيا لَهُ   خلافاً وباستعمال ذى النَّوكِ خالدِ
بحَيْرانَ عن قصْد الطريق تَرُدُّه   خيانةُ سَـلّامٍ ولحية فايدِ (٢)
[أذلك من ريب الزّمان وصَرفِهِ   وأحداثه أم نحن فى حُلم راقد]

وقال أيضاً :

قُلْ لأمير المؤمنين الذى   مِن هاشمٍ فى سِرِّها واللُّبابْ
إن كنت للسَّخْطةِ عاقبتنا   بخالدٍ فهْوَ أشدُّ العذابْ
أصمُّ أعمَى عن سبيل الهُدَى   قد ضَرَب الجهلُ عليه حجاب
يا عجباً مِن خالدٍ كيف لا   يُخطئُ فينا مَرةً بالصَّوابْ

وقال :

خالدٌ يحكم فى النّا   سِ بحكم الجاثَليقِ (٣)
يا أبا الهيثمِ ما كُنْـ   ـتَ لهذا بخليقِ
أىُّ قاضٍ أنت للظُّلْـ   ـمِ وتعطيلِ الحُقوقِ (٤) ٧٨
لا ولا أنتَ لما   حُمِّلتَ منه بمطيقِ (٥)

وقال :

يَقطع كفَّ القاذف المفترِى   ويجلد اللّصَّ ثمانينا

---

(١) يقال أعتبه ، أى أرضاه . كأنه أزال عتبه . والأوابد : الدواهى .
(٢) قصد السبيل : استقامته . ترده ، أى عن الاستقامة . ما عدا ل : « تصده » .
(٣) فى الأغانى (١٧ : ٢٤) :

أصبح الحاكم بالنا   س من آل طليق
جالسا يحكم فى النا   س بحكم الجاثليق

والجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحته المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .
(٤) هذا البيت لم يروه أبو الفرج .
(٥) فى الأغانى وما عدا ل : « ولا كنت لما » .

[سَقياً ورَعياً لكَ من حاكمٍ   يُحْيى لنا السُّنَّةَ والدِّينا]

وقال زُهرَةُ الأهوازىّ :

ياقومِ مَن دَلّ على عالمٍ   يعلمُ ماحَدُّ حِرٍ سارقِ

وقال آخر :

وإنِّى لمِضَاءٌ على الهولِ واحداً   ولو ظلّ ينهانى أُخيفشُ شاحجُ
تُشَبَّهُ للنَّوكى أمورٌ كثيرةٌ   وفيها لأكياسِ الرِّجالِ مَخارجُ

وقال آخر :

ولا يعرِفون الشَّرَّ حتى يصيبَهُم   ولا يعرِفون الأمرَ إلاّ تدبُّرَا (١)

وقال آخر :

إذا ظَعَنوا عن دارِ ضيمٍ تَعاذَلُوا   عليها وردُّوا وفدهم يستقيلُها

وقال النابغة :

ولا يحسِبون الخيرَ لا شرَّ بعدَه   ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ (٢)

والعرب تقول : « أخزَى اللهُ الرّأى الدَّبَرِىَّ (٣) »

وقالوا : وجَّه الحجاج إلى مطهَّر بن عمَّار بن ياسرٍ ، عبد الرحمن بن سُلَيم الكلبى ، فلما كان بحُلوانَ أتبعه الحجّاجُ مَدَداً ، وعَجّل عليه بالكتاب مع تُخَيتِ الغَلَطِ (٤) — وإنّما قيل له ذلك لكثرة غلطه — فمرّ تُخَيتٌ بالمَدَد وهم

---

(١) البيت لجرير فى ديوانه ٢٤٦ واللسان (دبر) برواية :

فلا تتقون الشر حتى يصيبكم   ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

يقال عرف الأمر تدبرا ، أى بأخرة ، بعد فوات وقته .

(٢) ديوان النابغة ٩ . وصفهم بالاعتدال ، فإذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم .

(٣) الرأى الدبرى : الذى لا يكون بعد فوات الأمر ، وهو بفتح الدال والباء .

(٤) ماعدا ل : « تحيت » بالحاء المهملة ، فى هذا الموضع وتاليه .

يُعرَضُون بخانِقين[١] فلما قدم على عبدالرحمن قال له : أين تركتَ مَدَدَنا ؟ قال : تركتهم يُخَنقُون بعارضِين . قال : أو يُعرَضُون بخانقين . قال : نعَم ، اللهمّ لاتخانِقْ فى بارِكين !

ولما ذهب يجلس ضَرَطَ ، وكان عبدالرحمن أراد أن يقول له : ألا تَغَدّى ؟ فقال : ألا تَضْرِط . قال : قد فعلتُ أصلحك الله . قال : ماهذا أردتُ . قال : صدقت ولكن الأمير غلط كما غلطنا * [فقال : أنا غلطت من فمى ، وغلط ٧٩
هو من استه] .

(١) خانقين ، بكسر النون والقاف : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد .

باب[1]

من البَلَهِ الذى يعترى من قِبَلِ العبادة وتَرْكُ التعرُّض للتجارب

وهو كما قال أبو وائل : أسمعكم تقولون : الدّانق والقِيراط ، فأيّهما أكثر ؟

قالوا : وكان عامرُ بن عبد الله بن الزُّبير[2] فى المسجد ، وكان قد أخذ عطاءه فقام إلى منزله ونسِيَه ، فلمّا صار فى منزله وذكَرَهُ بعث رسولاً ليأتيه به ، فقيل له : وأينَ تجدُ ذلك المال ؟ فقال : سبحان الله ، أوَ يأخذ أحدٌ ما ليس له .

أبو الحسن قال : قال سَعيد بنُ عبدِ الرحمن الزُّبيرى[3] ، قال : سُرِقتْ نعلُ عامر بن عبد الله الزُّبيرى فلم يتَّخِذْ نعلاً حتّى مات ، وقال : أكره أن أتَّخِذ نعلاً فلعلَّ رجلاً يسرِقُها فيأثَم .

وقالوا : إنّ الخلفاء والأئمّة أفضلُ من الرعيّة ، وعامّة الحكّام أفضلُ من المحكوم عليهم ولهم ؛ لأنّهم أفقَه فى الدِّين وأقوَم بالحقوق ، وأردُّ عَنِ المسلمين[4] وعِلْمهم بهذا أفضلُ من عبادة العُبّاد ؛ لأنّ نفعَ ذلك لايعدو قِمَمَ رءوسهم ، ونفعَ هؤلاء يخُصُّ ويعمّ .

والعِبادةُ لا تُدَلِّه ولا تورثُ البَلَه إلاّ لمن آثَرَ الوحدة ، وتَرَكَ معاملة

---

(١) ما عدا ل : « باب » فقط

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى ، أحد ثقات الحديث ، من التابعين ، وكان عابدا فاضلا ، وله أحاديث يسيرة . توفى سنة ١٢١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٤) .

(٣) هو أبو شيبة سعيد بن عبدالرحمن بن عبد الله الزبيرى الزبيدى الكوفى ، قاضى الرى روى عن مجاهد ، وابن جبير ، والنخعى ، وعنه الثورى ، وعبد الواحد بن زياد . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) ما عدا ل : « على المسلمين » .

النَّاس ، ومُجالَسةَ أهلِ المعرفة . فمن هنالك صاروا بُلْهاً(١) ، حتَّى صار لا يجىء مِن أَعْبَدِهم حاكمٌ ولا إمام .

وما أحسَنَ ما قال أيّوبُ السَّخْتيانىّ(٢) ، حيث يقول : « فى أصحابى مَن أرجو دعوتَه ولا أقبل شهادته » . فإذا لم يَجُزْ فى الشَّهادة كانَ مِن أن يكون حاكماً أبعد .

وقال الشاعر :

وعاجزُ الرَّأيِ مِضياعٌ لفُرصته   حتَّى إذا فاتَ أمرٌ عاتبَ القَدَرَا(٣)

ومِن غير هذا الباب قولُه :

إذا ما الشَّيخُ عُوتبَ زادَ شَرًّا   ويُعتَب بعد صَبْوته الوليدُ(٤)

وقال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : « مِن أفضل العبادة الصَّمتُ وانتظار الفرَج » . وقال الشاعر :

إذا تضايقَ أمرٌ فانتظِرْ فرجًا   فأضيقُ الأمرِ أدناهُ من الفَرَجِ(٥) ٨٠

وقال الفرزدق :

أَرى وسَعداً كالحُوارِ وأمِّه   إذا وطِئته لم يَضِرْهُ اعتمادُها(٦)

وقال أعرابىٌّ :

تُبَصِّرُنى بالعَيش عِرسى كأنَّما   تُبصِّرنى الأمرَ الذى أنا جاهلُه

يعيش الفتى بالفقر يومًا وبالغِنى   وكُلٌّ كأنْ لم يَلْقَ حين يُزايلُه

---

(١) البله : جمع أبله . ما عدا ل : « بلهاء » تحريف .

(٢) هو أيوب بن أبى تميمة السختيانى ، المترجم فى (١ : ١٩٢) .

(٣) أنشده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٤/٢ : ١٤١) .

(٤) يعتب : يرضى ؛ أعتبه : أرضاه . والصبوة : الميل إلى الجهل واللهو .

(٥) أنشده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨٧) .

(٦) اعتمادها ، أى اتكاؤها عليه . والبيت أثبته جامع ديوان الفرزدق ص ٢١٦ نقلا عن الجاحظ .

وقال آخر :

شهدتُ وبيتِ الله أنكَ بارد الـثَّـنايا لذيذٌ لَثمُها حين تُلثَمُ

وقال آخر(١) :

اللهُ يعـلـمُ يا مغيرةُ أنَّني قد دُسْتُها دَوْسَ الحِصان الهيكلِ(٢)

وأخذتها أخْـذَ المقصِّبِ شاتَه عَجْلانَ يَشْوِيها لقومٍ نُزَّلِ(٣)

وقال آخر :

شَهِدْتُ وبيتِ الله أنكَ بارد الـثَّـنايا وأن الـكَشْحَ منك لطيفُ(٤)

وأنكَ مشبوحُ الذِّراعين خلجمٌ وأنكَ إذ تخلو بهنَّ عنيفُ(٥)

وقال آخر :

فهـلاَّ من وزانٍ أو حُصينٍ حميتِ فَرْجَ حاصنةٍ كَعابِ(٦)

---

(١) هو العجاج ، كما فى اللسان (فتح) . وكانت زوجه الدهناء بنت مسحل قد رفعته إلى المغيرة بن شعبة فقالت له : أصلحك الله ، إنى منه بجمع — أى لم يفتضنى — فقال العجاج هذا الشعر ، فأجابته بقولها :

والله لا تمسكنى بشم ولا بتقبيل ولا بضم
إلا برعزاع يسلى همى تسقط منه فتخى فى كمى

ومما قاله هو أيضا ، ما أنشده فى اللسان (هكل) :

أظنت الدهنا وظن مسحل أن الأمير بالقضاء يعجل
عن كسلاتى والحصان يكسل عن السفاد وهو طرف هيكل

(٢) الهيكل : الفرس الطويل الضخم .

(٣) المقصب : القصاب ، وهو يأخذ الشاة بقصبتها ، أى بساقها . والبيتان أنشدهما الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٥٦) .

(٤) أنشد الجاحظ هذين البيتين فى الحيوان (٣ : ٥٦) وآخر البيت الأول عنده : « وأن الخصر منك رقيق » ، وآخر البيت الثانى : « إذ تخلو بهن رفيق » . وذلك بعد أن روى قبلهما بيتين نسبا فى تزيين الأسواق ٤٩ إلى قيس لبنى ، وهما :

شهدت وبيت الله أنك غادة رداح وأن الوجه منك عتيق
وأنك لا تجزينى بمودة ولا أنا للهجران منك مطيق

وقال بعدهما : « فأجابته » . وأنشد البيتين الآخرين .

(٥) المشبوح : العريض . والخلجم : الجسيم العظيم .

(٦) ما عدا ل : « من وزار » .

وأُقسِمُ أنَّهُ قد حَــلَّ منها ... محلَّ السَّيف من قَعْرِ القِرابِ

وقال آخر :

أترجُو أن تَسود ولن تُعَنَّى ... وكيف يسودُ ذُو الدَّعة البخيلُ

وقال الهذلىّ[(١)] :

وإنّ ســيادةَ الأقوامِ فاعلمْ ... لها صَعْدَاء مَطلَعُها طويلُ[(٢)]

وقال جريرُ بن الخطَفَى :

تريدينَ أنْ أرضى وأنتِ بخيلةٌ ... ومن ذا الذى يُرضِى الأخلاَّء بالبُخلِ[(٣)]

* وقال إسحاقُ بنُ حسّانَ بن قُوهِىّ[(٤)] : ٨١

ودونَ النَّـــدَى فى كل قلبٍ ثنيّةٌ ... لها مَصعدٌ حزْنٌ ومنحدَرٌ سهلُ[(٥)]

ووَدَّ الفتى فى كلِّ نيلٍ يُنيلُــهُ ... إذا ما انقضَى لو أنَّ نائلَه جَزْلُ[(٦)]

وقال آخَرُ[(٧)] :

عزمتُ على إقامة ذِى صَباحٍ ... لأمرٍ ما يُسوِّدُ مَن يَسُــودُ

وقال :

وتَعجبُ أنْ حاولتُ منك تنصُّفاً ... وأعجبُ منه ما تحاولُ مِن ظُلمِى[(٨)]

---

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلى ، المعروف بالأعلم . انظر مخطوطة الشنقيطى من الهذليين ٦٠ — ٦١ وشرح السكرى للهذليين ٦٣ — ٦٤ .

(٢) روى فى الحيوان (٢ : ٩٥) واللسان (صعد) : « وإن سياسة الأقوام » . وفى عيون الأخبار (١ : ٢٢٦) واللسان (صعد) : « مطلعها طويل » كما هنا . وفى سائر الأصول والمراجع : « مطلبها » بالباء . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٥) .

(٣) فى ديوان جرير ٤٦٠ : « تريدين أن نرضى » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١١٥) .

(٥) مضى البيتان بدون نسبة فى (١ : ٢٧٤) والحيوان (٢ : ٩٥) .

(٦) أى إن طبيعة الفتيان تعاند طبيعة العامة .

(٧) هو أنس بن مدركة الخثعمى ، كما فى الحيوان (٣ : ٨١) والخزانة (١ : ٤٨٦) وهو من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) . وهو شاهد على جواز جر الظروف غير المتمكنة فى لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه ، زائدة .

(٨) تنصفه : سأله أن ينصفه .

أبا حسنٍ يَكفيك ما فيـــك شاتماً ... لِعرضك من شَتْمِ الرِّجال ومن شتمى [١]

وقال الآخَر :

كما قال الحمـارُ لِسهمِ رَامٍ ... لقد جُمِّعتَ من شتَّى لأمرٍ [٢]

أراكَ حديدةً فى رأس قِدْحٍ ... ومتنِ جُلالة مِن ريشِ نَسْرِ [٣]

وقال الآخَر :

إذا ما مات مثلى مات شىءٌ ... يموتُ بموته بَشَرٌ كثيرُ

وأشْعَرُ منه عَبْدة بن الطَّبيب [٤] ، حيث يقول فى قيس بن عاصم [٥] :

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحدٍ ... ولكنَّه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّمَا [٦]

وقال امرؤ القيس فى شبيهٍ بهذا المعنى :

فلو أنها نفسٌ تموتُ سَـوِيَّةً ... ولكنَّها نفسٌ تُساقِطُ أنفُسَا [٧]

وقال الآخَر :

وزهَّدَنِى فى صالحِ العيش أنَّنى ... رأيتُ يدِى فى صالح العَيش قَلَّتِ

وقال مَعْنُ بنُ أوس :

---

(١) يقول له : لست محتاجا إلى شتم ، فما فيك من عيب ظاهر يكفى شاتمك مؤونة الشتم .

(٢) من شتى ، أى من أشياء شتى مختلفة .

(٣) القدح ، بالكسر : السهم قبل أن يجعل فيه النصل والريش . والجلالة ، بالضم : العظيمة ، عنى بها ريشة النسر . والمتن : الظهر ، وهو الجانب القصيرُ من الريش ، وهو أفضل ما يراش به السهم .

(٤) عبدة هنا بسكون الباء ، ترجم فى (١ : ١٢٢) .

(٥) ترجم فى (١ : ٢١٨) .

(٦) البيت من أبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٢٨) وأبو الفرج فى الأغانى (٩ : ٩٣/١٢ : ١٤٨) .

(٧) البيت فى ديوانه ١٤٢ برواية : « تموت جميعة » . و « تساقط » ينبغى أن تقرأ فى رواية الجاحظ بضم التاء وكسر القاف . ومعناه يموت بموتها بشر كثير . وذلك لتتساوق الشواهد . وهى رواية الوزير أبى بكر . ورواه الأصمعى : « تساقط » بحذف إحدى التاءين ، أى تتساقط . يقول : لو أنى أموت بدفعة ، ولكن نفسى لما بها من المرض تقلع قليلا قليلا ، وتخرج شيئا شيئا . وليست هذه الرواية بمرادة هنا .

ولقد بدا لى أنَّ قلبَك ذاهلٌ ... عنِّى وقلبى لو بدا لك أذْهَلُ[١]
كلٌّ يجامِلُ وهو يُخفِى بُغضَه ... إنَّ الكريم عن القِلَى يتجمَّلُ

٨٢ وقال :

نُرامِى فنَرمِى نحن مِنهُنَّ فى الشَّوَى ... ويَرمِين لا يَعدِلْنَ عن كَبِدٍ سهما[٢]
إذا ما لبِسْنَ الحلىَ والوشىَ أشرقَتْ ... وجوهٌ ولَبّاتٌ يُسَلِّبْننا الحِلْما[٣]
ولُثْنَ السُّبوبَ خِمْرَةً قُرَشِيَّةً ... زُبيرِيَّةً يُعلِمْنَ فى لَوْثها عِلْما[٤]

وقال آخر :

أعلِّل نفسى بما لا يكون ... كما يَفعلُ المائِق الأحمَقُ[٥]

وقال آخر :

تولَّتْ بهجة الدُّنيا ... فكلُّ جديدِها خَلَقُ
وخانَ النَّاسُ كلُّهمُ ... فما أدرى بمَنْ أثِقُ
رأيتُ معالمَ الخيرا ... تِ سُدَّتْ دونَها الطُّرُقُ
فلا حَسَبٌ ولا أدَبٌ ... ولا دِينٌ ولا خُلُقُ

وقال أبو الأسود الدؤلىّ[٦] :

---

(١) البيتان لم يرويا فى ديوان معن بن أوس .

(٢) الشوى : الأطراف ، اليدان والرجلان ، وكل ما ليس مقتلا .

(٣) الوشى : ثياب موشية ذات ألوان . والوشى خلط لون بلون . واللبة ، بالفتح : وسط الصدر والنحر ، وهو موضع القلادة . والحلم ، بالكسر : الأناة والعقل .

(٤) السبوب : جمع سب ، بالكسر ، وهو خمار المرأة الذى تغطى به رأسها . ولاثت المرأة السب : أدارته وطوته . ما عدا ل : « ولبن السبوب » تحريف . والخمرة ، بكسر الخاء المعجمة : هيئة الاختمار . وفى جميع النسخ : « حمرة » تحريف . اللوث : الإدارة والطى . ما عدا ل : « فى لونها » تحريف .

(٥) المائق : الشديد الحمق والغباوة .

(٦) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١١ : ١١٢) من سبب هذا الشعر ، أنه كان لأبى الأسود جار فى ظهر داره ، له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبى الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبى الأسود =

لنا جِيرةٌ سَدُّوا المجازةَ بيننا فإنْ ذكَّرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكيَسُ[1]
ومِن خير ما ألصقْتَ بالدَّار حائطٌ تَزِلُّ به صُقْعُ الخطاطيف أملَسُ[2]

وقال آخَر :

عَقِمَتْ أمٌّ أتتْنَا بكمْ ليس منكمْ رَجُلٌ غيرُ دَنِى
وإذا ما النَّاس عَدُّوا شرفاً كنتمُ من ذاكَ فى بالِ رَخِى[3]

وقال آخر :

قد بلوناكَ بحمدِ ا للهِ إن أغنَى البَلاء[4]
فإذا كلُّ مواعيـدِك والجحدُ سواء

وقال آخر :

ولقد هززتُكَ بالمديـحِ فكنتَ ذا نفسٍ لكيعَهْ
أنتَ الرَّقيع بن الرَّقيـعِ بنِ الرَّقيع بن الرَّقيعَهْ

= دنية ، وكان شرسا سيء الخلق فأراد سد ذلك الباب فقال له قومه : لا تضر بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولا مؤنة . فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لأنه أضر به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه ، فبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال :

بليت بصاحب إن أدن شبرا يزدنى فى مباعدة ذراعا
وإن أمدد له فى الوصل ذرعى يزدنى فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسى له إلا اتباعا وتأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه أيضا البيتين اللذين رواهما الجاحظ . وفى ذلك يقول أيضا :

أعصيت أمر أولى النهى وأطعت أمر ذوى الجهاله
أخطأت حين صرمتنى والمرء يعجز لا المحاله
والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقاله

(١) الجار يجمع على أجوار وجيرة وجيران ، ولا نظير له إلا قاع وأقواع وقيعة وقيعان . والمجازة : الموضع يجاز ، أى يسلك .

(٢) تزل . تزلق وتسقط . والصقع : جمع أصقع ، وهو من الطير ما كان على رأسه بياض . وفى الأغانى : « سفع » جمع أسفع ، وهو الأسود .

(٣) يقال : هو فى بال رخى ، أى فى سعة وخصب وأمن ، لا يكترث لشىء .

(٤) البيتان فى الحيوان (٧ : ١٥٣) وعيون الأخبار (٣ : ١٤٥) .

وقال : ٨٣

لِكُلِّ أُناسٍ سُلَّمٌ يُرتَقَى به ... وليس إلينا في السَّلالِمِ مَطلَعُ[١]

وغايتُنا القُصوَى حِجازٌ لمن به ... وكلُّ حجازٍ إن هبطناه بلقعُ[٢]

ويَنفِرُ منّا كلُّ وحشٍ ويَنتمِي ... إلى وَحْشِنا وحْشُ البلادِ فيرتَعُ[٣]

وقال آخر[٤] :

لو جَرَتْ خيلٌ نُكوصاً ... لجرت خيلُ دُفافَه[٥]

هي لا خيلُ رجاه ... لا ولا خيلُ مَخافه

وقال الخُرَيميّ[٦] :

---

(١) ما عدا ل : « السلاليم » ، وهو جمع سلم . وقد أنشد في اللسان قول ابن مقبل :

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولو ... يبنى له في السموات السلاليم

ثم قال : « احتاج فزاد الياء » . وزيادة الياء في مثله مطرد عند أهل الكوفة .

(٢) الحجاز : الحاجز . يقول : إن أرضنا هذه حجاز حافظ لمن هو في داخله ، فهو يستعصم به فيأمن ؛ وأما أرض غيرنا فإنها مباحة مقتحمة الحجاز ، ولا سيما إذا هبطناها .

(٣) يقول : نحن لكثرتنا ووفرة حصانا ينفر منا الوحش ، على حين يأنس الوحش إلى بعض ما يلم بأطرافنا من وحش ، فهو يرهبنا ولا يرهبه .

(٤) لعله مكنف أبو سلمى ، من ولد زهير بن أبي سلمى ، وكان يهجو ذفافة العبسي الأغاني (١٥ : ١٠٣) .

(٥) ذفافة ، هذا ، هو أبو العباس ذفافة بن عبد العزيز العبسي ، أحد رجال الدولة العباسية . وهو الذي نبا سيفه حين طلب إليه الرشيد أن يضرب أعناق أحد أسرى الروم ، فقيل في ذلك :

أبقى ذفافة عاراً بعد ضربته ... عند الإمام لعبس آخر الأبد

الأغاني (١٨ : ٧٣) . وقد رثاه بعد موته أبو سلمى مكنف بقصيدة رائعة قالوا إن أبا تمام سرق أكثرها . ومن تلك القصيدة :

ألا أيها الناعي ذفافة والندى ... تعست وشلت من أناملك العشر

ومن شعر ذفافة يهجو الربيع بن عبد الله الحارثي وقد أهدى إليه طبق تمر :

بعثت بتمر في طبيق كأنما ... بعثت بياقوت توقد كالجمر

فلو أن ما تهدي سنيا قبلته ... ولكنما أهديت مثلك في القدر

كأن الذي أهديت من بعد شقة ... إلينا من الملقى على ضفة الجسر

(٦) هو إسحاق بن حسان المترجم في (١ : ١١ ، ١١٥) .

اخلَعْ ثيابَكَ من أبى دُلَفٍ　　واهرُبْ من القجفاجة الصَّلِفِ[1]
لا يُعْجِبنّك من أبى دُلَفٍ　　وجهٌ يضىء كدُرّةِ الصَّدَفِ
إنى وجدت أخى أبا دُلَفٍ　　عنـــد الفعال مُوَلَّدَ الشَّرَفِ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

أهلكَتْنى بفُلانٍ ثِقَتى　　وظُنونٌ بفلانٍ حَسَنَهْ
ليس يَستوجِب شكراً رجلٌ　　نالتُ خيراً منه مِن بعدِ سَنَهْ
كنتُ كالهادِى من الطَّيرِ رأى　　طمَعًا أدخله فى مَسْجَنَهْ[2]
زادنى قربُ صديقى فاقةً　　أورثتْ من بعد فقرٍ مَسْكَنَهْ

وأنشدنا[3] :

إذا المرء أولاكَ الهوانَ فأَوْلِهِ　　هواناً وإن كان قريباً أواصِرُهْ[4]
فإنْ أنتَ لم تقـدِرْ على أن تُهِينَه　　فذَرْهُ إلى اليوم الذى أنت قادِرُهْ[5]
وقارِبْ إذا ما لم تكن بِكَ قُدْرَةٌ　　وصَمِّمْ إذا أيقنتَ أنّكَ عاقِرُهْ[6]

٨٤ * وقال بعضُ ظرفاء الأعراب :

وإذا خشيتَ من الفُؤاد لَجاجةً　　فاضربْ عليه بجُرْعةٍ من رائبِ[7]

وهذا من شكل قوله :

ذكرتُكِ ذِكرةً فاصطدتُ ظبياً　　وكنت إذا ذكرتُكِ لا أخيبُ

---

(١) القجفاجة : الكثير الكلام والفخر بما عنده . والمذكور فى المعاجم « القجفاج » وجعلوا الأنثى « بقفاجة » بالهاء ، فهذا قد جعل الهاء لتأكيد المبالغة . والصلف من الصلف ، وهو الغلو فى الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر . وقد عنى التكبر .

(٢) الهادى : المتقدم ، أراد به أول سرب الطير .

(٣) الشعر لأوس بن حبناء ، رواه أبو تمام فى الحماسة (١ : ٢٦٦) .

(٤) الأواصر : جمع آصرة ، وهى القرابة .

(٥) قادره ، أى قادر فيه .

(٦) ما عدا ل : « لك قدرة » . وفى الحماسة : « لك حيلة » .

(٧) الرائب : اللبن الخاثر ، أو الممخوض .

وقال بعض المُحْدَثين :

ما أشبَهَ الإبْرَةَ بالوصْـل ... وأشبَهَ الهجرانَ بالعَزْل[١]

وقالت الخَنساء :

لم تَرَهُ جارة يمشى بساحتها ... لِريبةٍ حين يُخلى بيتَه الجارُ

مثلُ الرُّدينىِّ لم تَدْنَس عمامتُه ... كأنَّه تحت طىِّ البُرْدِ أسوار[٢]

وقال آخر :

ناديت هَيْذَانَ والأبوابُ مُغْلَقةٌ ... ومثلُ هيذانَ سَنَّى فتحةَ البابِ[٣]

كالهُنْدُوانىِّ لم تُفْلَلْ مَضاربُه ... وجهٌ جميـلٌ وقلبٌ غير وجّابِ

وقال آخر :

أرى كلَّ ريح سوف تسكن مَرَّةً ... وكلَّ سماء ذات دَرٍّ ستُقْلِـعُ[٤]

ولستُ بقوَّالٍ إذا قام حالبٌ ... لك الويلُ لا تَجْهَدْ لعلّكَ تُرضِـعِ[٥]

ولـكن إذا جادت بما دُونَ حَلْبِها ... جَهَدْنا ولم نَمْذُق بما نَتوَسَّعُ[٦]

وقال آخر :

تَمَنَّى رجال أن أموت وغايتى ... إلى أجلٍ لو تعلمونَ قَريبِ[٧]

---

(١) أراد : وأشبه العزل بالهجران ، فقلب مبالغة .

(٢) الردينى : الرمح ، منسوب إلى « رُدينة » زعموا أنها وزوجها « سمهر » كانا يقومان الرماح بخط هجر . والأسوار ، بضم الهمزة وكسرها : واحد الأساورة ، وهم الفرسان القاتلون من الفرس . وفى ديوان الخنساء ٤٤ : « لم تنفد شبيبته » .

(٣) سبق البيتان فى (١ : ٤١) . وفى العقد (٣ : ٣٩) أن على بن أبى طالب كان يتمثل بهذين البيتين . والرواية فيه محرفة .

(٤) درة السحاب : صبه واندفاقه .

(٥) ترضع ، أى لعلك تحتاج أن ترضع صغارها .

(٦) المذق : خلط اللبن بالماء ، وفعله من باب نصر .

(٧) ما عدا ل : « أقصى مداه قريب »

وما رغبتى فى أرْذَلِ العُمرِ بعد ما   لبِستُ شبابى كلَّه ومَشِيبى[١]
وأصبحتُ فى قومٍ كأنْ لستُ مِنهمُ   وبادَ قُرُونى منهمُ وضُرُوبى[٢]

٨٥ * وأنشد :

رأيتُ النَّاسَ لمّا قلَّ مالى   وأكثرتُ الغَرامةَ ودَّعونى[٣]
فلمّا أن غَنِيتُ وثاب وَفْرِى   إذا هُمْ لا أبا لَكَ راجِعُونى[٤]

وقال الآخر :

وكنّا نَسْتطِبُّ إذا مَرِضْنا   فصار سَقامُنا بيَدِ الطّبيب
فكيفَ نُجيزُ غُصّتَنا بشىء   ونحنُ نَغَصُّ بالماء الشَّرِيب[٥]

وقال عدىُّ بنُ زيد :

لو بغير الماء حلقى شَرِقٌ   كنتُ كالغَصّان بالماء اعتصارِى[٦]

وقال اللُّوب اليمانى[٧] :

---

(١) أرذل العمر : آخره ، فى حال الكبر والعجز . ما عدا ل : « فى آخر الدهر » .

(٢) القرون : جمع قرن ، بالفتح ، وهو مثلك فى السن ، تقول : هو على قرنى ، أى على سنى . وأما الأقران فجمع قرن ، بالكسر ، وهو الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب . والضروب : جمع ضرب ، بالفتح ، وهو الشبيه .

(٣) الغرامة ، بالفتح : الدين .

(٤) ثاب : رجع . والوفر : الغنى واليسار .

(٥) الغصة : الشرق بالطعام أو بالماء . والشريب : العذب . وانظر ٢٧١ .

(٦) الاعتصار . أن يغص بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا . والبيت من أبيات رواها أبو الفرج فى (٢ : ٢٤) ، أولها :

أبلغ النعمان عنى مألكا   أننى قد طال حبسى وانتظارى

وانظر الحيوان (٥ : ١٣٨ ، ٥٩٣) .

(٧) فيما عدا ل : « وقال التوت اليمانى . ويروى اللوب بالباء ، والتوت هو الصواب وهو المعروف بتويت » . وذكره فى الأغانى (٢٠ : ٧٩) بلفظ « نويب اليمامى » بالنون فى أوله والباء فى آخره ، و« اليمامى » نسبة إلى اليمامة . قال أبو الفرج : « نويب لقب له ، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولى ، أحد الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبنى أبى حفصة وذويهم . ولم يفد إلى خليفة ، ولا وجدت له مديحاً فى الأكابر والرؤساء ، فأخمد ذلك ذكره . وكان شاعراً فصيحاً ، نشأ باليمامة وتوفى بها » .

على أىِّ بابٍ أطلبُ الإذنَ بعد ما   حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجبُهْ

وقال الآخر :

لا تَضجَرَنَّ ولا تَدْخُلْكَ مَعْجَزَةٌ   فالنُّجحُ يَهلِكُ بين العجز والضَّجَرِ (١)

وقال محمد بن يَسير (٢) :

إنَّ الأمورَ إذا انْسَدَّت مسالكُها   فالصَّبر يفتح منها كُلَّ ما ارْتُتِجا (٣)
لا تَيْأسَنَّ وإن طالتْ مطالبةٌ   إذا استعنتَ بصـــبرٍ أن ترى فَرَجَا
أخلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجتِه   ومُدْمِنِ القَرع للأبوابِ أن يَلِجَا
لا يمنعنَّك يأسٌ من مُطالَبَةٍ   فضَـيِّق السَّيلِ يوماً رُبَّما اتهَجَا (٤)

وقال بعضُ ظُرفاء الأعراب :

وإنَّ طعاماً ضمَّ كفِّى وكفَّها   لعمرك عنـدى فى الحياةِ مُبارَكُ
فمِن أجْلِها أستَوْعِبُ الزّادَ كلَّه   ومن أجلها تهوِى يدى فتُدارِكُ (٥)

وقال : ٨٦

كأنِّى لمَّا مسَّنى السَّوطُ مُقْرَمٌ   من العُجْم صَعْبٌ أنْ يقاد نَفُورُ (٦)

---

(١) المعجزة ، بفتح الميم : العجز .
(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٦٠) .
(٣) يقال سده يسده سدا ، فانسد واستد . وارتتج بالبناء للمفعول : استغلق . والأبيات من مقطوعة فى الأغانى (١٢ : ١٣٢) ، أولها :

ما ذا يكلفك الروحات والدلجا   البر طوراً وطوراً تركب اللججا
كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته   ألفيتــه بسهام الرزق قد فلجا

(٤) هذا البيت من ل فقط ، ولم يروه أبو الفرج أيضاً . ولم أجد « اتهج » فى معجم وأراد بالاتهاج السلوك والسير . يقال : نهج فلان الطريق ، أى سلكه .
(٥) الإهواء : التناول باليد . والمداركة : المتابعة
(٦) المقرم : البعير المكرم الودع الذى لا يحمل عليه ولا يذلل . والعجم : جمع أعجم ، وهو ما لا يفصح من الإنسان والحيوان . قال :

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقاً   إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

فكم قد رأينا من لئيمٍ موطّإٍ … صبورٍ على مسِّ السِّياط وَقُورِ(١)
وذى كرَمٍ فى القوم نَهْدٍ مُشيَّعٍ … جَزوعٍ على مسِّ السياط ضَجُورِ(٢)

وقال أُحَيحة بن الجُلاَحِ(٣) :

استغنِ عن كلِّ ذى قُرْبَى وذى رَحِمٍ … إنَّ الغَنِىَّ مَن استغنى عن الناسِ
والبَسْ عـدوَّك فى رِفقٍ وفى دَعَةٍ … لِباسَ ذى إرْبَةٍ للدَّهْرِ لبَّاسِ(٤)
ولا تَغُرَّنْك أضـــغانٌ مُزَمَّلَةٌ … قد يُضْرَبُ الدَّبِرُ الدَّامِى بأحْلاسِ(٥)

وقال أُحَيحةُ أيضاً :

استغْنِ أوْ مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذو نشَبٍ … مِن ابن عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ(٦)
إنى أُكِبُّ على الزَّوْراء أعمُرُها … إنَّ الكريمَ على الإخوان ذو المالِ(٧)
يَلوُون ما عندهم من حَقِّ أقربِهمْ … ومن عشيرتِهم والمال بالوالى(٨)

---

(١) الموطأ : المذلل . والوقور : الساكن الرزين .

(٢) النهد : الجسيم القوى . والمشيع : الشجاع الذى لا يخذله قلبه ، فكأنه يشيعه .

(٣) هو أحيحة بن الجلاح الأوسى ، كان سيد الأوس فى الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وكانت لاتنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشىء كرهته منه فتزوجها هاشم فولدت له عبدالمطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئراً . وهو إلى ذلك شاعر رقيق الشعر . انظر الأغانى (١٣ : ١١٤ — ١٢٢) والخزانة (٢ : ٢٣ — ٢٤) .

(٤) الأربة ، بضم الهمزة وكسرها : الدهاء والبصر بالأمور ، ومنه الأريب . ولبس الدهر : أن يجعل المرء نفسه وفقاً لزمانه وظروفه .

(٥) الأضغان : الأحقاد . والمزملة : المستورة . والدبر : البعير تصيبه الدبرة ، وهى بالتحريك : القرحة . والأحلاس : جمع حلس ، وهو بالكسر والتحريك : كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج . يقول : ربما نشأ الضرر من الأمور الخفيــة التى لا ينتبه إليها . وروى فى حماسة البحترى ٩ : « قد يركب الدبر الدامى » .

(٦) النشب : المال والعقار . والأبيات فى الأغانى (١٣ : ١١٤) ، وثانيها فى حماسة البحترى ٣٤٤ . وهى مع أخوات لها فى معجم البلدان (٤ : ٣١٢) .

(٧) الزوراء : أرض كانت لأحيحة بن الجلاح ، سميت ببئر كانت فيها . عن ياقوت . البحترى : « ولن أزال على الزوراء » ، وفى الأغانى والبلدان : « إنى أقيم على الزوراء » . وعند البحترى وياقوت : « إن الحبيب إلى الإخوان » .

(٨) لوى الحق : مطل فى أدائه . و « المال بالوالى » كذا وردت أيضاً فى معجم البلدان . وفى الأغانى : « والحق للوالى » .

وقال آخر :

سأبغيك مالاً بالمدينـــــة إنّني أرى عازبَ الأموال قلّت فواضِلُه(١)

وقال آخر :

ولا خيرَ فى وصـلٍ إذا لم يكن له على طولِ مَرِّ الحـادثاتِ بقاء

وقال العبّاس بن الأحنف :

لم يَصْفُ حُبٌّ لمعشوقَين لم يَذُقا وَصْلاً يُمِرُّ على من ذاقَهُ العسلُ(٢)

وقال بعض [سفهاء] الأعراب :

لا خيرَ فى الحُبِّ أبا السِّنَّوْرِ أو يلتقى أشعَرُها وأشـعرِى

* وأُطبِقَ الخُصيةَ فوق المَبْعَرِ *

* وقال آخر : ٨٧

وحظُّكَ زَورةٌ فى كلِّ عامٍ موافَقَةً على ظهر الطَّريقِ(٣)

سلاماً خالياً من كلِّ شىء يعودُ به الصَّديقُ على الصَّديقِ

وقال عُطارِد بن قُرّان(٤) :

(١) أبغاه مالا : أعانه على طلبه . والعازب : الذى يرعى بعيداً عن أهله .

(٢) من ذاقه ، أى ذاق ذلك الوصل . ولم يرد هذا البيت فى ديوان العباس .

(٣) كذا وردت فى الأصول ، بتقديم الفاء على القاف . وفى اللسان : « تقول : وافقت فلاناً فى موضع كذا ، أى صادفته » .

(٤) ذكره المرزبانى فى معجمه ٣٠٠ وقال : « أحد بنى صدى بن مالك . هجا جريراً عند هجاء جرير للعرار البرجمى ، فطلبت بنو صدى بن مالك إلى جرير أن يهبه لهم ، فقال جرير :

وهبت عطارداً لبنى صدى ولولا غيره علك اللجاما

وحبس بنجران فقال :

لقـد هزئت منى بنجران أن رأت قيامى فى الـكبلين أم أبان

كأن لم ترى قبلى أسيراً مكبلا ولا رجـلا يرى به الرجوان

كأنى جواد ضمه القيد بعد ما جرى ســابقاً فى حلبة ورهان

خليلى ليس الرأى فى صدر واحد أشـيرا على اليـوم ما تريان

أأركب صعب الأمر إن ذلوله بنجران لا يرجى لحين أوان =

ولا يَلبَثُ الحبلُ الضَّعيف إذا التوى ... وجاذَبَه الأعـــداء أن يتجذَّما[1]

ولا يستوى السَّيفانِ سـيفٌ مؤنثٌ ... وسيفٌ إذا ما عَضَّ بالعَظْمِ صَمَّما[2]

وقال طُرَيح بن إسماعيل[3] ، فى الوليد بن يزيدَ بنِ عبد الملك :

سعيتُ ابتغاء الشُّكر فيما صنعتَ بى ... فقصَّرْتُ مَغْلُوبًا وإنى لشاكر

لأنك تعطيـــنى الجزيل بُدَاهةً ... وأنت لما أستكثِرتُ من ذاك حاقِرُ[4]

فأرجِـعُ مغبوطًا وتَرْجِـعُ بالتى ... لها أوَّلٌ فى المكرُمَاتِ وآخِـرُ

وقد قلتُ شـعراً فيك لـكن تقولُه ... مكارمُ مما تبتـــنِى ومَفاخِرُ

قواصِرُ عنها لم تُحِطْ بصِـــفاتها ... يُزادُ بها ضَرْبٌ من الشِّعر آخِرُ

وقال آخَرُ ، مسلم بن الوليد[5] :

لعـــلَّ له عُذْرًا وأنت تلومُ ... وكم لائمٍ قد لَامَ وهو مُليمُ

وأنشد أيضا :

فـكم مِن مُليمٍ لم يُصَبْ بملامَةٍ ... ومتَّبَعٍ بالذنب ليس له ذَنبُ

وكم مِن محبٍّ صَـدَّ من غير عِلَّةٍ ... وإن لم يكن فى وصل خُلَّته عَتبُ

= وحبس أيضاً بحجر فقال :

يقودنى الأخشن الحداد مؤتزراً ... يمشى العرضـنة مختالا بتقييدى

إنى وأخشن فى حجر لمختلفـا ... حال وما ناعم حالا كمجهود » .

(١) التجذم : التقطع . ب ، حـ : « يتخذما » ، وهى صحيحة أيضاً بمعنى يتقطع .

(٢) المؤنث والأنيث : الذى ليس بقاطع . والمصمم من السيوف : الذى يمضى فى العظام .

(٣) هو طريح بن إسماعيل الثقفى ، نشأ فى دولة بنى أمية ، وجعل شعره فى الوليد بن يزيد وأدرك دولة بنى العباس ، ومات فى أيام المهدى . وكان الوليـد يكرمه ويقدمه لانقطاعه إليه ولخؤولته من ثقيف . الأغانى (٤ : ٧٤ — ٨٢) . والأبيات التالية فى الحماسة (٢ : ٣٦٤) وأولها فى حماسة البحترى ١٦ .

(٤) البداهة ، بضم الباء وفتحها : أول كل شىء وما يفجأ منه . وفى الحماسة : « بديهة » .

(٥) كلمة « مسلم بن الوليد » من ل فقط

كما قال الأحنف : « رُبَّ ملومٍ لا ذنبَ لَهُ[١] » .

وقال ابنُ المقفَّع :

٨٨ فلا تَلُمِ المرء فى شانه   فرُبَّ مَلومٍ ولم يُذنب

وقال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ حسّانَ بن ثابت [الأنصارىّ[٢]] :

وإنَّ امرأً أمسَى وأصبحَ سالمًا   من الناس إلاَّ ما جَنَى لسَعيدُ[٣]

[آخر الجزء الثانى من تجزئة المصنف]

---

(١) انظر ما سبق فى ٣٤٤ س ١٠ — ١١

(٢) وهذه النسبة أيضاً فى الحيوان (٣ : ٥١) . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعراً لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٣) إلا ما جنى ، أى إلا جزاء ما جنى .

فهرس الأبواب

صفحة

فهرس الأعلام المترجمة

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

تصحيحات

ص	س	
١١	١	مِن أثر
١٤	١٢	لا يُعرَف
٢٩	١	أدب الله محمدا صلى الله
٤٠	٣	وتوجبه
٤٢	٦	حلِّزة
٤٧	٤	إيمانا ورضوانا
٤٨	٢٦	عبيد الله
٥٥	١٠	رحمكما الله
٧٨	٦	لسليمان الأعمش
٧٩	٨	مُتْ بداء
٩٣	٢	مَسير
١٠٢	٩	أحملها

ص	س	
١١٧	٢٤	بن خربوذ المكي
١٢٧	١٥	ألستم
١٥٢	٢	مورق العبد
١٨٤	١٨	أجارة بيتينا
١٨٥	٧	الضبي(٦)
٢٠٦	٧	دين بني صريم
٢٦٧	١٣	المغيرة بن سعيد
٢٧٠	٧	الأبله العَقول
٢٧٣	١٣	لكل قِرْنٍ
٢٧٥	٦	وقال بلعاء
٣٣١	٢	خَدَم الملوك
٣٤٦	١٤	لما حُ* مِّلت

